اللسان العربي

مجلة دورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب في العالم العربي

سجل لأعمال

- مجامع اللغة العربية
- المجالس العليا للعلوم والآداب والفنون
- الجامعات والمعاهد العلمية
- الهيئات والمراكز والشعب الوطنية للتعريب
- رجال الفكر والعاملين لإعلاء اللغة العربية وجعلها في مستوى اللغات العالمية الحية

العدد الخامس

يصدرها:

المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي

(جامعة الدول العربية)

(الرباط المغرب الأقصى)

العرب والكشوف العلمية

للدكتور محمد يحيى الهاشمي

رئيس جمعية الابحاث العلمية
حلب (سوريا)

منذ مطلع القرن الثامن عشر يتمخض الغرب عن اكتشافات علمية هائلة فى شتى ميادين العلوم . ولم تكن هذه الكشوف وليدة يومها ، بل تقدمتها جهود جبارة اسفرت عن نتائج ذات بال . ولم يتح للغرب السير فى هذا الطريق الا بعد ان قام باطلاق الفكر من قيوده ودك مبدا السلطة "، ذلك المبدا الذي يعطل قوى الحواس . والنقد النزيه يقضي على الاحكام القبلية والمقيدة قضاء مبرما ، ودابه وديدنه التحري عن الحقيقة الناصعة دون طلاء خداع ولا برقع غشاش (كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء) ان العلم اذن لم يتقدم الا بعد ان اعلن ثورته على الاوهام الزائنة وعلى كل ما يؤخر ركب التقدم والاطلاع الشخصي ، سواء كان ذلك بعين البصر او البصيرة. فالحق حق بقطع النظر عن مصدره ، سواء كان القائل اميرا او حقيرا . لقد كان علماء النهضة « رينسانس Renaissance » هم اولئك النفر من العلماء الذين اوقدوا الشعلة الوهاجة معلنين اليقظة الروحية والثورة الباطنية على ما يؤخر الفكر والاستنباط ، ناكرين الاحتكار العلمي وطأطأة الراس لسلطان اناس معينين كانت لهم مكانتهم فى العلم . امثال هؤلاء هم الذين خدموا العلم خدمة حقيقية نزيهة مجردة ايضا ، وقد اعلنوا على رؤوس الاشهاد أن لا ضرورة لان تكون الحقيقة مدعومة بقول عالم كبير ، بل يشترط فقط أن تكون واضحة للعالم اجمع، فهي ملك لكل انسان . وهم لا يرون الكون بعيون السلف ، غير حاكمين على انفسهم بالعمى فى الوقت الذي خلق الله لهم عيونا ليبصروا بها وآذانا ليسمعوا بها ، وعقولا ليفكروا بها . وانه فى كثير من الاوقات « لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي فى الصدور » . ابوا الرجوع الى الوراء ، والسير خلف الموتى ، واتخاذ الماضين اربابا من دون الله وقدوة فى كل امور حياتهم ، بل تطلعوا الى الافق البعيد ، حيث يكمن النور ، مبددين الظلمات الحالكة التي تمنع رؤية الشعاع الوضاح .

يروي لنا تاريخ العلم ما قاساه هذا النفر من الناس فى استخلاص الحقائق . ولنا فى سير غاليله وكوبرنيكوس ولافوازيه من العظات البينات التي هي تذكرة لاولي الالباب . ولولا الصراع الفكري من حكماء، امثال ديكارت وسبينوزا وباسكال وغيرهم ، لما كان لجهود العلماء من ثمرة مرجوة .

لم يكن الشرق العربي فى القرون الوسطى بهذا التأخر الذي هو عليه فى العصر الحاضر ؛ بل خاض غمار العلم فى كل ميدان من ميادينه ؛ وكان له فضل التقدم والسبق وان نعته بعض الجاهلين بالتقليد المحض والنقل عن الاوائل . نعم انه كان فى البدء مقتبسا ثم اصبح مبتكرا فذا . حتى ان مبدا التحرر الفكري يعزوه بعض المحققين الى العرب الاوائل وهكذا ذكر الاستاذ مصطفى نظيف فى كتابه عن ابن الهيثم انه من الشائع المتواتر ان البحث العلمي على الطريقة الحديثة لم يبدأ فى تاريخ تطور الفكر الانساني الا بعد عصر النهضة فى اوروبا ، وينسب اكبر قسط من الفضل فى نشوء طريقة البحث الحديث الى فرنسيس بيكون ، فهو يعد اول من بين ان الطريقة المثلى هي الاعتماد على الحقائق المشهودة والمضي فى جمع المشاهدات وتبويبها وترتيبها بغية الوصول بالاستقراء الى المعلومات التي تتفق والواقع . والاستقراء من الدعائم الاساسية التي يقوم عليها العلم الحديث (ويقصد بالاستقراء طبعا الاستقراء الموسع لا استقراء ارسطوالمعروف بالصوري)وقدنقل

لنا هذا الاستاذ طريقة ابن الهيثم التي تتفق وطريقة العلم الحديث .

« ونبتدىء فى البحث باستقراء الموجودات ، وتصفح احوال المبصرات ، وما هو مطرد لا يتغير ، وظاهر لا يشتبه من كيفية الاحساس . ثم نترقى فى البحث والمقاييس على التدريج والترتيب ، مع انتقاد المقدمات والتحفظ فى النتائج . ونجعل غرضنا فى جميع ما نستقريه ونتصفحه استعمال العدل لا اتباع الهوى . ونتحرى فى سائر ما نميزه وننتقده طلب الحق لا الميل مع الآراء » . وختم كلامه بقوله : « وما نحن مع جميع ذلك براء مما هو لنا من القوة الانسانية . ومن الله نستمد المعونة فى جميع الامور » . ويعلق مصطفى نظيف على قول ابن الهيثم ، بعد ان سرد تفسيره لمظاهر النور واعتماده على المثل الميكانيكية دون أن يتقيد كما تقيد نيوتن من بعده :

« وما اشبه ابن الهيثم فى هذا بموقف بعض اساطين علم الطبيعة فى اواخر القرن التاسع عشر ، الذين راوا ان يمثلوا الامور الطبيعية بمثل ميكانكية جعلوها صورا تبين بالمحسوسات المعاني الخفية التي تنطوي عليها تلك الامور التي تتضمنها البحوث النظرية او المعادلات الرياضية التي تتعلق بها . وهم يتميزون فى تاريخ تطور علم الطبيعة بمذهبهم هذا ، وليس اليق من ان نسميهم (أصحاب المثل الميكانيكية) . وليس من الخطأ أن نجعل ابن الهيثم من ثلتهم ، فهو قد راى مثل رايهم ونهج مثل منهجهم .

يكون خروجا عن الموضوع ولاشك أن نتكلم عن الجهود العلمية للاوائل من العرب ، امثال جابر ابن حيان والكندي وابناء شاكر وغيرهم ، الذين اتخذوا النسب الرياضية اساسا لفهم القانون العلمي. حتى أن قانون النسب الرياضية عند بروست فى التراكيب الكيميائية نجده عند جابر . ان المبدأ الذي هو اشد اصالة هو مبدأ الميزان عند جابر ، لان خواص الاشياء فى مملكة الكيمياء حسب مبدئه قابلة للقياس ، ولا يكون تناسب المواد مع بعضها بعضا الا بنسب عددية . وهكذا يرى جابر النسب العددية فى الاجسام ، وان القانون الرياضي هو الذي يعطي ترتيب الاجسام وانسجامها ، وهو المفهوم المجرد لعالمنا . فالميزان عنده رمز النظام فى العالم . وقد استعاض عن المقولات العشر لارسطاطاليس بمبدأ واحد واتجاه واحد هو سيادة النظام الطبيعي او الميزان . ويرى بعض المحققين أن فى نظرية جابر الطرافة والعمق لاننا نجد الشغل الشاغل والهم الاكبر للعلم الحديث بكل انواعه وفروعه يتجه الى احلال النسب الكمية محل الخواص الكيفية فى كل تفسير لاي مظهر من مظاهر الوجود ، ويكفي أن يكون جابر قد شعر شعورا واضحا قويا بهذا الاتجاه لكي يتبوأ مركز الصدارة فى تاريخ العلم كله قديمه وحديثه . ويضيق المجال لذكر المنهج الواقعي وثمراته المختلفة عند كل من الجاحظ والكندي وابن سينا واخوان الصفاء والبيروني وغيرهم من العلماء الافذاذ . ولا بد لي من تأدية الامانة فأنقل ما قاله البروفسور نويرات مدير معهد المينرالوجيا فى جامعة بون اثر محاضرة القيتها عن الجغرافيين العرب فى بحثهم عن المعادن :

« اننا لم نتسلق سلم المجد على اكتاف اليونان كما كنا نظن بل على اكتاف العرب » .

منذ القرن السابع الهجري او الثالث عشر الميلادي أخذ الشرق يضيع تراثه . فقلما نجد فى هذه الفترة من الزمن بحثا علميا له قيمته . وانتقل التراث بالتدريج الى الغرب الذي عرف الاستفادة منه وتنميته . فى هذه الحقبة كان الشرق العربي فى ظلام دامس ، وقلما نجد فى بطون الكتب بحثا علميا مبتكرا ، اذا استثنينا من ذلك طبعا المفكر الاجتماعي وواضع اساسات النقد التاريخي ابن خلدون ، والطبيب ابن النفيس الذي اكتشف الدورة الدموية ، والذي خالف فى نظرياته آراء جالينوس وابن سينا ، والذي بقيت نظريته فى زوايا النسيان والاهمال الى ان بعثت منذ مدة قريبة من مرقدها وكذلك نظرية التبلور عند التيتاشي ، ويعثر العلماء بين آونة وأخرى على بعض الابحاث التي لها قيمتها . وليس طابع هذا العصر خلوه تماما من المواضيع العلمية .. ولكن عدم متابعة البحث بصورة متواصلة وبدأب لا يعرف الانقطاع لان المعول فى النهضة العلمية ليس على وجود افراد قلائل بعبقرية فذة .. بل على التعميم والتواصل ، تينك الميزتين الهامتين اللتين لا نجدهما فى عهد سقوط المدنية العربية وتدهورها .

فى مطلع القرن التاسع عشر دبت فى الشرق العربي نهضة جديدة كان مصدرها البعثات العلمية الاولى التي ارسلتها مصر الى اوروبا . وكانت هذه النهضة تبشر بمستقبل باهر للعرب اجمع لو أنها كانت متواصلة وسائرة بنفس السرعة التي بدأت فيها . ان هذه اليقظة كانت قبل يقظة اليابان . وأنه ليعترينا الاندهاش اذا اطلعنا على المشاريع التي تمت فى تلك البرهة القصيرة ، وعلى الكتب العلمية

التي ترجمت الى اللغة العربية . وقد اطلعت على بعض الكتب من الكيمياء المنقولة الى اللغة العربية ، فى المكتبة الوطنية بحلب ، لا اخال انه خفي شيء عن المترجم مما عرف عن هذه المادة فى ذلك العصر . ولو ان الامة العربية تابعت الاقتباس بتلك الخطوات لكان لها اليوم شأن غير شأنها الحالي ، ولكانت لا تقل عن اليابان فى مجاراة الامم الغربية ان لم تزد عليها ، ولا يبعد ان يكون لها فى الابداع الذاتي نصيب وافر .

ان النهضة العربية العلمية كانت قبل نهضة اليابان ، فان البعثات التي ارسلتها مصر الى اوروبا كانت فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ، فنهضة اليابان الحديثة تبتدىء باعتلاء العاهل الياباني مايجي العرش وذلك عام 1857 وكان يبلغ من العمر ست عشرة سنة ، فكان رجلا حاد التفكير فأرسل رجال حكومته الى اوروبا ليطلعوا على حضارتها ومدنيتها وليرجعوا الى بلادهم وقد اغتنموا ما وجدوه خيرا لهم . وفى عام 1889 سن هذا العاهل دستورا جديدا تناول الاصلاح فى جميع النواحي وكان من نتائجه هذه النهضة المتابعة حتى اليوم . وليس من العجب العجاب ان يستيقظ اليابان بعدنا بسنين ويسبقنا مراحل عديدة ؟ ...

ان النهضة العلمية العربية التي يمكننا اعتبارها متتابعة الى حد ما هي تلك النهضة التي حدثت بعد الحرب العالمية الاولى والتي كانت ولا تزال تمشي مع النهضة القومية جنبا الى جنب . ورغم اننا نجد فى بعض منا احساسا عميقا بضرورة اللحاق بالغرب فالمسافة بيننا وبينهم لا تزال بعيدة جدا . وقد ذكر عبد الرحمن الكواكبي قبل نصف قرن من الزمن بأن تقصيرنا عن اللحاق سوف يكون وبالا علينا (1) واننا لنقرأ فى كتابه « ام القرى » صيحة مدوية ، هي فى الحقيقة كما وصفها هو نفسه صيحة فى واد او نفخة فى رماد . ولقد بين فيه : « والحاصل ان تقصيرات العلماء الاقدمين واقتصارات المتأخرين وتباعد الشرقيين الى الآن عن العلوم النافعة الحيوية جعلتهم احط بكثير من الامم . ولا شك اذا تمادى تباعدهم هذا خمسين عاما اخرى تبعد النسبة بينهم وبين جيرانهم كبعدها ما بين الانسان وباقي انواع الحيوانات ... » وها قد مضى اكثر من خمسين سنة على هذا القول واننا لم نتقدم فى العلم كما ينبغي ، رغم ان التعميم فى العلوم خطا خطوات لا بأس بها . علينا اذن أن نتحرى الاسباب فى ذلك .

يظن بعض المفكرين فى الغرب ان هذا التأخر هو حتمي ، لانه على زعمهم من الخصائص العرقية . وتبجح فى ذلك الكثيرون . وقد ذكر احد الكتاب المعاصرين فى الغرب ، الا وهو « هرمان كارغة » فى كتاب نشره باللغة الالمانية : « الانسان والشعب » قوله هذا : « ان اكبر المساهمات والاشتراك الفعلي فى مضمار الرقي لا قيمة لها اذا لم تفهم فهما جيدا ». وهذا على زعمه ما يجعل العرق الابيض يتميز عن بقية العروق . وهو على ما يدعيه سر تفوق هذا العرق ووصوله الى اعلى الدرجات فى الحضارة . لان فيه قوى فعالة ، وهو جدير بفهم جهود المبدعين من ذويه ، وقادر على جمع القيم وتمييزها والاستفادة منها . لذلك كان هذا العرق على دعواه فى ارقى الدرجات » .

اذا أمعنا النظر فى هذا القول وجدنا ان الشق الاول من هذا الحكم صحيح ، لان اكبر المساهمات فى مضمار الرقي لا جدوى منها اذا لم تقترن بالتقدير اللائق . اما الشق الثاني من هذا الحكم فهو غير صحيح ، وناجم عن النتائج المشاهدة . ولكن هذه النتائج ليست حتمية ولا ضرورية ، لان كثيرين من ابناء امتنا قد اتيح لهم أن يكونوا من السابقين فى ميادين العلوم والفنون عندما كانوا يدرسون فى تلك الديار . اما هذا الجمود الذي نراه فهو ليس من الخصائص العرقية ، بل هو ناجم عن عدم صقل المواهب عندنا ، فى الوقت الذي اتيح ذلك فى الغرب ، ويضيق المجال عن ذكر العدد الكبير من علماء العرب فى شتى انحاء العالم الغربي من أوروبا وامريكا والذين يقومون هناك بمهام علمية جسيمة .

ان الغرب قطع طريقا طويلا للوصول الى هذه النتائج التي نراها اليوم . وليس من المنطق فى شيء أن نقوم فنقطع الطريق نفسه ، بل اننا مضطرون الى اخذ النتائج كما هي لذلك كان الاقتباس من اجلنا ضرورة لابد منها . واذا اردنا تشبيه عصرنا بعصر

(1) اقامت مدينة حلب فى عام 1952 حفلة تكريمية بمناسبة مرور مائة عام على ولادة ذلك العبقري العربي الكبير عبدالرحمن الكواكبي، وقد تكلم بالحفلة حفيده وزير الاوقاف السابق ، والقيت كلمة بعنوان « الكواكبي باعث النهضة العلمية » .

من العصور العربية الاولى .. فيقتضي تسمية هـــذا العصر بعصر الترجمة ، الذي كان فى أواخر العهـد الاموي واوائل العهد العباسي . وممـــا يؤسف لـه حقا انه لم تقم فى العصر الحديث حركة ترجمة منظمة كتلك التي قامت فى الماضي وكانت السبب فى النهضة العلمية المعروفة ، ولعبت دورها ايضـــا فى تاريـخ الثقافة العالمية . لانه لا يمكن الحصول على الابـداع الا بعد قطع مرحلة الاقتباس بفهم جيد واسلـــوب موحد لا بلبلة فيه ولا تشتت ، علـى ان ناخذ هـذا الموضوع بصورة جدية لا ان نعالجه على الهامش .

اضف الى ذلك انه من الضروري عمـــل مختبرات توجيهيـــة مـــن شأنها التنبيه الى الثروات الاقتصادية فى البلاد . فاذا ما شعر طالب العلـم ان هذه العلوم العصرية تكون السبب فى زيادة الثروة القومية اقبل عليه بكليته . وعندما يتذوقها ويفهـــم دورها العملي عند ذلك لا يقوى على تركها واهمالها .

من اهم ما يجب علينا القيام به تغيير اساليبنـــا فى التدريس ، فلا نكتفي بحفظ المواد واستظهارهـــا ، بل نتفهمها ايضا . لاننا نجد هذه النزعـــة ، نزعـــة الحفظ والاستظهار دون محاولة فهم ، مسيطرة علينا فى مدارسنا ، الابتدائية منها والثانوية . وحتى المدرسة العالية ولدى اطلاعي على كتاب الكيمياء الـــــذي يدرس فى كليتي الزراعة والهندسة فى جامعة حلـب وجدته يدرس على منهج تدريس العلـوم فى القرون الوسطى بالاعتماد على سيطرة ارسطو بعيدا عــــن التدريب والنقد . وما التجارب التي تعمـل الا شيء ثانوي لا اساسي . وفى المدارس الثانوية يضـاف الـى مشكلة الحفظ القوانين الرياضية ليحصل الطالـب على الشهادة التي يصبو اليها للتوظف . ان هـــذا التوجيه دون امكان تطبيق العلم علـى العمل وعلـى الثمرة المرجوة هو من اهم الاسباب فى ابتعادها عـــن عالم الكشف والابداع وعدم تدرجنا فى فهم العلـوم وهضمها هضما حقيقيا ، والقيام بتطبيقها عمليا .

لاشك ان طريقة العلوم تمشي فى الوقت الحاضر على المنهاج الآتي : المشاهدة فى البدء ، ثم الفرضية ، فالتجربة ، فالقانون . ولكل مرحلة من هذه المراحـل يحتاج المتعلم الى تدريب معين . حتـى ان المشاهدة نفسها تحتاج الى تمرين خـاص ، فان الطالب كثيـرا ما لا يحاول ان يرى ، بل يحاول التخيل فقط ، لانه قد ادخل فى روعه انه اذا حصر فعاليته الذهنيـــة فى المحسوس فقط فذلك انتقاص من قدره وامتهـــان لمكانته ، لانه كثيرا ما يرى نفسه أعظم من أن يحصر فعاليته الذهنية بالمشاهدة المحسوسة التي يقـــدر عليها كل فرد عادي ، وهو يرغب فى التحليق فى أفق الخيال ، ويتوهم اشياء غير واقعية . يريد التحليـق فى السماء وهو لم يتعود السير بالصورة ، ولعل هذه النزعة التي تبعدنا عن تفهم العلوم بالصورة المضبوطة اتت الينا من الادب الوهمي ، ولا اقول الخيالي ، لان فى الخيال الخصب ثمرة مرجوة ايضا . وقد تغلغـل هذا الاتجاه فى نفوسنـــا حتى وصـــل بصـورة لا شعورية الى دراستنا للعلوم الطبيعية . وقد غاب عن فكر الكثيرين ان الهرب الى الخيـــال المحـض ، او بالاحرى الى الوهم كما بينا ، ناتج عن ضيق معيـن الفهم عن استيعاب خفقات الطبيعة الحية ، ومـــن الجهل بأن آيات الكون الاصيلة هي أعمق واجـدى وانفع من الخيال الذي لا يرتكز على اساس .

لا يمكن الانتقال مـــن المشاهدة الى الفرضيـة بصورة آنية ، بل لابد من مساهمـــة قوة الاستنباط فى تفهم الفرضية . اي انه يلزم اشراك الفعالية الذهنية الشخصية فى تفهم ما يجري فى الطبيعة . بعـد هذه المقدمات المختلفة يلزم ان نتعرف الى القوانين الرياضية التي وضعها العلماء لتفسير مـــا يجري فى الطبيعة . وان موقع القوانين الرياضية هو فى الدرجة الثانيـة لا فى الاولى ، فاذا ما شاهدنا خللا فى جريان الطبيعة تطبيقا على القانون الرياضي .. فيجب علينا تصحيح هذا القانون وعده مغلوطا وغير صحيح .

نعم ، اننا وان كنا بحاجة ماسة الى اقتبـاس صحيح متقن دون موارية ولا خداع نفس .. فان هناك بعض المطالب النفسية التي يجب علينـا مراعاتهـا للانتقال من الاقتباس الى الابتكار . لان الاقتبـــاس الصحيح يولد شيئا له قيمته ، اما الاقتباس المغلوط والناقص فانه عقيم لا يولد شيئا وتعزى الصعوبة فى فهم العلم اليوم من الناشئة لان الناقلين لـم يتفهموه تفهما جيدا ، فان الشخص الفاهم للمشكلة العلميـة جدير بتفهيمها بصورة بسيطة اما الذي يفهمها فهمـا ناقصا فغير جدير بذلك فيلف ويدور دون جدوى ودون نتيجة وهناك بعض المطالب الروحية التي يقتضـي مراعاتها ، فانه لا يمكننا ان نكون من المبدعين مـا لم نغيـر ما بأنفسنا . وان الدراسة الآلية غير المسبقة بمقدمات نفسية عميقـة لا يمكنها اعطـاء الثمـرة اللازمة . واننا اذا دققنا فى تاريخ حياة المكتشفيـن نجد هناك امورا نفسية عميقة ساهمت مساهمـة فعالة بالخلق والتوليد . و(ان الله لا يغيـر ما بقـوم

حتى يغيروا ما بأنفسهم) . اذا عقلنا ذلك كان لنا المطمح فى ان لا نكون عالة على الغربي فى يوم من الايام فى الايجاد الذاتي . ان هذه الخبرة الذاتية لها قيمتها ؛ فليس القصد ان يقلد الانسان تقليدا أعمى ، بل ان يدع الشيء يتغلغل الى داخل نفسه وينبع بعد ذلك بصورة عفوية منها . ويقول نيتشه فى هذا الصدد على لسان زردشت عندما التقى به مريدوه وقالوا له : (أيها المعلم ، اننا نؤمن بك) ، فوقف زردشت هازئا متهكما قائلا لهم : (انكم لم تجدوا انفسكم بعد ، فكيف وجدتموني ؟ .. ابحثوا عن أنفسكم بادىء ذي بدء ، فان وجدتموها سهل عليكم عند ذلك الوصول الي ، وان كنتم قد اضعتم انفسكم فانكم لن تجدوني) . ويضيف هذا المفكر الى ذلك قوله : (أريد البقاء احمق اعتمادا على زندي ، دون ان اكون عبقريا اتكالا على غيري) . ويقول اقبال الشاعر الباكستاني :

اذا حلك الظلام كعين ظبي
انرت بنور اضلاعي طريقي

اذا كنا نريد حقا ان نتبع هذه العلوم من انفسنا فعلينا معرفة نقلها الى ساحة اللاواعي واللاشعور ، وان نرى المشاكل العلمية حتى فى احلامنا . وكم من مبتكرات علمية انبعثت من العقل الباطن فقدمت العلم عصورا عديدة . واذا كان الاخلاص رائدنا والصدق دليلنا فيجب علينا الاعتراف بأن العلم لم يشكل بعد هوى باطنيا عميقا عندنا لدرجة لا نستطيع هجرانه سواء نلنا منه فائدة ام لم ننل . ويقول الشاعر فريد الدين العطار :

فان تقرأ علوم الناس الفا
بلا عشق فما حصلت حرفا

وكمنحن بعيدون عن ذلك المثل اللاتيني القائل : (نتعلم من اجل الحياة لا من اجل المدرسة) ومن الواضح الجلي ان الكثيرين يتعلمون للمدرسة ولاجتياز الفحص فقط ، فاذا انتهى ذلك انتهت مهمة العلم ولم يشأ أحد ، الا القليل قراءة الكتب بينه وبين نفسه للثقافة الخاصة وللانتقال من ظلمات الجهل الى النور والاستبصار . حتى ان الشغل الشاغل فى العلم عندنا هو استظهار امثولات لكتابتها بالفصحى وان كانت مغلوطة ، لان المعول عندنا هو على الشهادة لا على العلم الصحيح . كان يراجعني بعض الطلاب فى حل بعض امور لهم فى الكيمياء لاجتياز فحوص الشهادة ، فاذا ما وجدت بعض الاغلاط التي هي فى الكتاب وأردت تنبيههم عليها يغضبون ويقولون لي هم يريدون التعلم كما جاء فى الكتاب ضمانا لنجاحهم .

ان اول ما يجب علينا عمله تحري الطريق الواضح للاخلاص للعلم ، وان كان هذا الطريق شاقا عسيرا . وان ايجاد هذا الطريق وغرسه فى نفوس الناشئة لهو اشد اهمية واكبر فائدة واعظم عائدة من تثقيل الادمغة بالمعلومات الكثيرة التي يشعر الانسان بثقل ظلها على النفس ، او من اتخاذ هذه المعلومات وسيلة للربح المادي فقط بحيث تصبح ميكانيكية آلية خالية من شعور بالرسالة ومن تلك اللذة المعنوية العميقة التي تفوق كنز الارض . ان هذا الهوس وهذه الهواية هما اللذان يسوقان الانسان الى البحث والاستقصاء . اننا لنجد هوايات عديدة عندنا فى مختلف الالعاب ، ولكن قلما نجد مثل هذه الهواية فى العلم بحيث لا نقبل عنه بديلا ، فاذا رأى احدنا الاشتغال فى تجارة اضمن ربحا من العلم طلقه طلاقا لا رجعة فيه . ولعل من ضاقت به سبل العيش معذور فى هجر العلم او فى عدم الاشتغال الكلي به ، ولكن ما عذر اولئك الذين ربحت تجارتهم ومع ذلك لم يكلفوا أنفسهم عناء متابعة الدراسة ؟ نرى فى وطننا كثيرا من الاطباء الذين راجت مهنتهم من الوجهة المادية بدرجة لا يحلم بمثلها امثالهم فى الغرب ، ومع ذلك فقلما يخطر ببال احد منهم الاطلاع على الجديد من المكتشفات العصرية او القيام بدراسة الامراض المستعصية بشتى الوسائل الممكنة ، او ايجاد معهد خاص للبحث لبعض العلل التي نئن تحتها . في عام 1956 كنت مراقبا للمطبوعات الاجنبية عن محافظة حلب ، فلم اجد الا طبيبين فقط ومهندسا واحدا ممن اشترك من المواطنين فى مجلات الاختصاص .

ان يقظة الضمير الحر هي من اهم اسباب الرقي فى العلم ، وهي التي تجبرنا ان نكون مخلصين لقابليتنا الذاتية ؛ ساعين لاكتشاف الميول عند غيرنا وبذل الجهد فى انمائها . ذلك التعليم الموجه الذي اعتنى به الغرب واهملناه ، اذ (كل ميسر لما خلق له) . والنبوغ كما هو معلوم لا يهبط من السماء ، بل هو كالبذرة : ان لم تجد التربة الخصبة والمواد الانباتية الصالحة ذبلت وماتت واصبحت نسيا منسيا .

مما يجب الالتفات اليه بصورة خاصة .. الروح الحركية السائدة فى الغرب والتي كانت من اهم العوامل فى تقدمه وسيره الى الامام . ان هذه

النزعة (كما سبق لنا وبينا) تود تسخير قوى الطبيعة، فالريح والماء والحرارة والكهرباء والمادة والقوى المختلفة والطاقات الذرية كلها تحت تصرف الانسان الحركي وفى قبضة يده . وهذا الانسان لا يكتفي برقعة الارض الضيقة ، بل يحاول الاتصال بالعالم العلوي ، عالم الكواكب .

لعل هذه النزعة قد دبت عند افراد قلائل منا ، فمما يجب علينا عمله ضم تلك الجهود الفردية الى بعضها بعضا لتكون جهودا جماعية متعاونة . ومما يجب الاشارة اليه انه يجب علينا عدم اقتباس هذه النزعة دون قيد ولا شرط بل ينبغي تجنب سيطرة الآلية العمياء التي يشكو منها الغرب والتي احدثت ازمة هائلة زادت فى بلاء الانسان ومحنته وتفننت فى ايجاد وسائل التدمير . وعلى كل فان الحركة لا تأتي عفوا من تلقاء نفسها . ولنعلم ان الابطاء فى البت بالامور والتسويف الذي بلينا به هو من اكبر آفاتنا ومن اكبر عوامل تأخرنا . فالزمن ليس مرور شيء موهوم ، فاذا لم توجد هناك حركة فى اذهاننا وتقدير لسر الزمن .. لفظنا سيره السريع جانبا واصبحنا اسطورة من اساطير الماضي . فالامة التي ليس بمقدورها خلق الجديد فى العلم لا تسير مع الزمن . ولا فائدة من ذهابنا الى الغرب ما لم نقم بتجديد نفوسنا . اننا لنجد الشعب اللابي مثلا (ذلك الشعب الذي يعيش بين السويد والنرويج والدانمارك) لا يزال على تأخره وبداوته مع أنه يعيش فى قلب الامم الاسقاندينافوية التي قطعت شأوا بعيدا فى مضمار التقدم العلمي . هناك المهمة الكبرى الملقاة على كواهل مثقفينا وقادة الراي فينا ، الا وهي خلق الاسباب وتوفير الوسائل لجعل الفكر حريا بالاقتباس . اننا نشعر طبعا بتأجج بصيص ضئيل من هذه الروح الحركية ، ولكننا نخشى على هذا البصيص ان ينطفيء بتعاقب الزمن ان كان المحيط باردا ولم نثابر على النفخ فى كل فرصة سانحة لان المعول عليه فى كل رقي وتبديل هو الانقلاب النفسي.

ان روح المغامرة والطموح هي من اهم الاسباب فى التقدم العلمي . فلو لم تكن هذه الروح سائدة عند كريستوف كولومبس لما اتيح له الكشف عن امريكا . ولو لم تكن عند باستور لما توفق للكشف عن الجراثيم. ولو لم تكن عند لافوازييه لما توفق الى معرفة تركيب الهواء ، وكيفية الاحتراق ، واكتشاف قانون بقاء المادة الذي لم يتزعزع الا فى العصر الحاضر . عندما ساد قانون التبادل بين الكتلة والطاقة ، ولولا تلك الروح ايضا لما توفق الزوجان كوري الى الكشف عن معدن الراديوم العجيب . ولولاها كذلك لما عرف هرتس سر الموجات الاثيرية التي كان من نتائجها الاذاعة اليوم . والامثلة على ذلك فى تاريخ العلم الحاضر لا يحصيها عد . هذه الروح نشاهدها عند اسلافنا الماضين الذين شدوا الرحال وجابوا الآفاق للارتشاف من معين العلم وللكشف عن الحقائق . عندما زرت قبيل الحرب العالمية الثانية منطقة (نورد كاب) اقصى نقطة فى شمال اوربا ، واردت ان اسطر فى كتاب الضيوف هناك أني اول عربي جاء الى هذه المنطقة .. جلب دقة نظري عالم سويدي الى انه يجب علي أن اكتب اني أول عربي يقوم بذلك فى القرن العشرين ، وقد سبقني منذ الف سنة الرحالة العرب القدامى . وقد تأكدت من ذلك عند زيارتي متحف برغن الذي وجدت فيه نقودا عباسية من عهد المتوكل على الله . وفى كتب الجغرافيين قصص وتفاصيل هامة عن هؤلاء الرواد الى تلك الاماكن النائية مع ضعف وسائل النقل . ان هذا المثال وحده يرينا مدى التقاعس الذي بلينا به بالنسبة للماضي ، وما ذلك الا لضعف روح الاطلاع ، تلك الروح التي متى ما تغلغلت فى النفس لا يهدأ صاحبها الا بالوصول الى الهدف وسبر غور اعجوبة من اعاجيب العلم .

ان التعلم فى ديارنا يكون غالبا لاجتياز الفحص فقط ، لا حبا بالاطلاع . ذلك الهدف القريب الذي يقتل فينا نشاطا وفعالية . وكثيرا ما نشاهد الطلاب اذ يحدثهم احد اساتذتهم عن نبذة جديدة اطلع عليها .. يسألونه على الفور : وهل هذا الشيء داخل فى الفحص ؟ .. فان علموا ان لا دخل له فى ذلك اظهروا التأفف من السماع . ولعل قساوة الحياة هي التي فرضت عليهم ان يكونوا قانعين بالهدف القريب وان تكون المواضيع العلمية بالنسبة اليهم وسيلة لا غاية .

شباب قنع لا خير فيهم
وبورك بالشباب الطامحينا

هكذا يكتفون بالكتب المقررة غير راغبين فى توسيع افق اطلاعهم . وفى الحقيقة ان العلم القليل مع تقوية روح الاطلاع له فائدة اكبر من العكس ، اي سعة العلم مع ضعف روح الاطلاع .

اذا درسنا قصص العباقرة والذين خلدوا اسماءهم فى تاريخ العلم نجد عندهم روح الاطلاع قوية حتى انها عند بعضهم اقوى من الحياة التي هي اعز

شيء على الانسان . فكم من ضحايا ذهبت ثمنا لاكتشاف الجراثيم ومفعول بعض العقاقير . ويروى عن ذلك الذي كان يريد معرفة تاثير اول اوكسيد الفحم في جسم الانسان انه قدم نفسه ضحية واخذ يدون ما يجري معه ، وعند شعوره بالاعياء اومأ الى زميله ليتابع تدوين ما حصل له . واننا لنقرأ في ترجمة حياة محمد بن احمد البيروني ، من علماء القرن الخامس الهجري ، انه كان يجهل قضية من القضايا الرياضية ، وقد أتاه زائر وهو في مرضه الاخير ، فطلب منه البيروني ان يشرح له تلك الغوامض . فقال له الزائر : افي مثل هذه الحالة ؟.. فأصر عليه البيروني فشرح الزائر الكيفية . وما كاد يبتعد بضع خطوات عن منزل ذلك العالم حتى سمع صراخ النساء بالحادث الجلل . وكان البيروني كان يريد أن لا يغمض عينيه الى الابد وهو جاهل لذلك . هنا نجد العلم غاية لا وسيلة . وليس هذا شأن البيروني او العلماء الذين ذكرناهم وحدهم ، بل هو شأن جميع الذين اتيح لهم الخلود عبر العصور . ان من اسباب تأخرنا رغم وجود جيوش جرارة من المتعلمين بيننا ، ضعف هذه الروح . وان التعلم دون يقظة روح الاطلاع قوية في النفس هو نصف العلم . وان نصف العلم لاشد ضررا على النفس من الجهل ، فالجاهل الذي يعرف حدوده متواضع ، ونصف العالم غر احمق ، يحب الدعوة الفارغة التي لا لب فيها هو اشبه بالسنبلة الفارغة التي تقف منتصبة اما المليئة فتميل من ثقلها ويذكر الشاعر احمد الصافي أنه يريد أن يموت بلا وعي مخافة الالم ، وانما يستدرك بعد ذلك ويقول :

ولكني اخاف على نقصا
بحرماني من الدرس الاخير

ان الصراع من اجل الشهادة قوي عندنا ، وقد فاتنا معرفة ان هناك كثيرا من العباقرة شقوا طريقهم الى مجد الخلود دون ان يكونوا من حملة الشهادات . فها هو « سيمنس » الذي ركب اول محرك كهربائي كان حدادا بسيطا . وان « ديزل » مركب المحرك المعروف باسمه كان ميكانيكيا بسيطا عرف التحرر من ربقة الآلية فاهتدى الى محركه . وان « اديسون » ابا الاختراعات والكشوف كان عاملا بسيطا في ادارة البرق ، ولكن نشاطه وعبقريته لم يعرفا حدا يقفان عنده . وان الذي حل لغز الخزف الصيني بعد ان ظل قرونا عديدة في الغرب لغزا من الالغاز كان عامل فاخورة بسيط ، وبحدة ذكائه توصل الى معرفة السر وانقذ معلمه من الموت .

اننا كثيرا ما نضيق رحمة الله الواسعة ، فالنبوغ لا يعرف حدا . فبدلا من طلب المجد الحقيقي ننام على الالقاب ، ونقف عن متابعة العمل . وكما نادى المصلح الديني محمد عبده نداءه الشهير :

ولكن دينا قد اردت صلاحه
مخافة أن تقضي عليه العمائم

فنحن بحاجة ماسة الى مصلح علمي يقول : « ولكن علما قد اردت انقاذه مخافة ان تقضي على الشهادات » .

لا نريد ان ندعي أن الشهادة من معهد علمي لا قيمة لها ، ولكن ما نود الاشارة اليه هو ان العلم الحقيقي حركة دائمة لا تعرف الوقوف ابدا . فان كنا مخلصين فاننا نبغي دوما المزيد : « وقل ربي زدني علما » . ومن لم يرغب في الاستزادة وظن انه بلغ الذروة وقع على الارض صريعا . من اجل ذلك كانت شهادة الدكتوراه في الغرب هي بدء العلم وعندنا نهايته. فنحن ننتهي من حيث يبدأ غيرنا . وان كثيرا من افراد امتنا مع الاسف (كما قال الشاعر حافظ) « يعشقون الالقاب في غير العلى » ويفدون بالنفوس الرتبا » .

يحدثنا تاريخ العلم عن دور بريق الفكر ، كما حدث ذلك مع ارشميدس عندما اكتشف شروط الغوص في الماء والوزن النوعي وهو يغتسل في الحمام ، فركض صارخا في شوارع سيراكوز من جزيرة صقليا : « وجدتها ، وجدتها » (« اريكا ، اريكا ») . ولم يكن هذا هو الحادث الوحيد من نوعه ، بل تكرر امثاله مرات عديدة ، وبصور واشكال متباينة يبعثها الى حيز الوجود توارد الخواطر وتداعي الافكار ، كما حدث للكيميائي « ككوله » عندما حل لغز صيغة البنزين وكان في غفوة ينظر الى لهب النار ، فتراءى له كان افعى تعض ذنبها ، فخطر له أن هذه الصيغة لا يمكن ان تكون الا اذا قبلنا أنها دورية مغلقة واديسون قد اعجزته الحيل في عمل المصباح الكهربائي . ففي جلسة هادئة ، وهو يتناول الطعام مع زوجته وولده ، قالت له زوجته ان ابنه بليد فارغ الدماغ . فأجاب : نعم يجب علي تفريغ المصباح من الهواء .

لا تزال كيفية انبجاس المعرفة بغتة وبصورة مفاجئة لغزا من الالغاز . هناك عوامل نفسية أصبحت واضحة على ضوء النهار ، ولكن هناك أمورا لا تزال غامضة . واذا تساءلنا : يا ترى لماذا نسمع صراخ « وجدتها » فى عالم الغرب ، ولم نسمع مثل هذا الصراخ فى عالمنا اليوم مع انه كان لنا نصيب منه فى الماضي ، كما نقرأ ذلك فى الكتب التي تبحث عن تاريخ العلوم ، امثال « كتاب الحكماء » لابن القفطي ، و « عيون الانباء فى طبقات الاطباء » ، وغيرهما من الكتب ؟ .. فالجواب على ذلك هو ان هناك عوامل يقوى فيها هذا البريق ، وعوامل يضعف فيها ، فلنختبر أي العوامل يسيطر علينا .

ان تفرغ التوتر ، وانتقال المعرفة الى اللاوعي ، والاهتمام بالموضوع ، والشعور بالرضى والحرية وراحة البال والضمير ، والتنظيم فى العمل ، هي من اهم الاسباب فى تفجر ينبوع المعرفة والكشف الجديد . أما وضعنا الحاضر فليس مناسبا لذلك : فاننا لنجد أعصابنا متوترة وقلما تنتقل المشاكل العلمية الى ناحية اللاوعي ، وكذلك الاهتمام فهو ضعيف جدا. واذا أردنا التفتيش عن الرضى عن النفس ، وراحة البال والضمير ، وجدناهما امرين صعبي التحقيق فى محيطنا . لذلك كان مثل هذا الجو لا يساعد على الكشف والابداع . وكثير من الحقائق يخشى بعضنا الجهر بها خوفا على مستقبله . وقد يضطر بعضنا ان يقول عن اللبن انه اسود اذا اقتضت مصلحته ذلك . فمن اجل ذلك « فاز المتملقون » . ان مثل هذا الجو الخانق لا يساعد على فتق القابلية وتقدمها، بل يكون عاملا من عوامل التقليد الاعمى ، عدو كل ازدهار فى الكون . فالعمل فى جو مثبط للهمم هو عمل آلي عقيم ان لم يكن هداما .

لعل من اغرب الامور فى فتق القابلية على العلم - الصلة بين العلم والفن بالمعنى الواسع . ان المدقق السطحي يزعم ان لا صلة بين العلم والفن او بين العلم والادب ، ولكن لدى امعان النظر نجد العالم المبدع فنانا بالطبع . واذا درسنا قصص المخترعين والمكتشفين فاننا نجدهم وثيقي الصلة بالناحية الثانية . حتى انه يمكننا التصريح والقول انه يكاد لا يوجد مكتشف له قيمته الا وله ميل خاص لفن او ادب ، لان ابداع شيء جديد ، سواء كان ذلك فى مملكة العلم أو الادب او الفن ، لا يتاح الا لروح فنية فذة . فبين أنغام بيتهوفن ولد تشكل الآنيلين فى بون ، تلك المادة الهامة التي هي الحجر الاساسي فى الصباغات الآنيلية وان مكتشف السلفرسان الجديد « ارليخ » ، او الدواء المعروف ب — 606 — ، قد وصل الى هدفه وكانت-الافكار المولدة تنبجس من نفسه وسط موسيقى الرقص . وكانت السيدة « كوري » مكتشفة الراديوم ، مغرمة باشعار هاينريخ هايني وموسيقى بيتهوفن ، وكانت جديرة بتواصل نشاطها بعد هذه الاستراحة الفنية . وقد كان ديفي ، مكتشف المعادن القلوية التي هي فاتحة عصر جديد فى عالم الكشوف المعدنية ، له ميل عظيم لقرض الشعر . وكانت قريحته تجود فى العمل الفني . وقد قال عنه احد سفراء الانكليز لو لم يصبح من اكبر علماء الكيمياء فى عصره لكان من اكبر الشعراء . وقد استمال السامعين بسحر بيانه وان الفكرة التي خامرت (وهلر) وهي مجابهة الفرضية القائلة : «ان هناك عقبة كأداء لا يمكن اجتيازها بين عالم الحياة واللاحياة » ، هي من وحي فني استمده من خياله الفياض ، لانه كان يعتقد فى قرارة نفسه ان القوة الحيوية المزعومة ليست الا ستارا لما نجهل ، وكان يردد فى نفسه ذلك الشوق العظيم : « آه لو تمكنت من تركيب احدى هذه المواد التي لم يؤثر تركيبها الا فى الجسم الحي ، لاستطعت ضرب الفكرة السائدة ضربة قاضية ، اقوى من الضربة التي وجهها لافوازييه للنظريات القديمة » .

ويعد من اكبر الفلاسفة الذين وضعوا المفهوم الكمي اساسا للكون - الفيلسوف اليوناني « فيثاغوروس » وهو الذي قال بانسجام انغام الافلاك . كان هذا من اكبر العلماء والفلاسفة وفى الوقت نفسه من اكبر الفنانين . اننا لنجد هذا التوازي ايضا فى العصر الحاضر ، فان هناك تشابها عظيما بين تنسيق العناصر للعالم الروسي مندليف والالماني لتر ماير ، وتناسق الالحان . ومن اغرب ما حدث فى هذا الشأن ما ادعاه احد العلماء البريطانيين « جون نيولندز » : (اننا اذا رتبنا العناصر حسب اوزانها الذرية لاحظنا ان كل عنصر ثان يشبه العنصر الاول) . ووجد فى ذلك غرابة تسترعي النظر فشبه جدول العناصر بأصابع البيانو الثمانية والثمانين. ولكن هذه الفكرة التي سخر منها اعضاء الجمعية الملكية البريطانية تابعها العالم الروسي مندليف ، فجاءت قريبة من الواقع . فانه قد اوجد طرائف عديدة للعناصر وهي وان اختلفت بعد ذلك من حيث التنظيم - الا انها تظل متفقة فى الاصل ، وتنتهي اخيرا بالعدد الذري الذي هو العمدة فى تنظيم العناصر اليوم.

حتى ان اينشتاين الشهير هو من كبار علماء الموسيقي ، وله تاليف فيها . وان الطبيب الانساني الكبير (البرت شوايتزر) الذي اكتشف دواء مرض النوم فى افريقيا وتاسى فى سبيل ذلك ما تاسى ، والذي منحته السويد « وسام الاستحقاق الدولي »، هو فى الوقت نفسه من كبار الموسيقيين ، وعرف فى عالم الفن قبل ان يعرف فى عالم الطب . وقد انبثق نجم جديد فى سماء سويسرا فى هذا الوقت هو طفل صغير فى مدينة « بازل » يقول عنه العلماء انه سوف ينضم الى قائمة العباقرة الرياضيين فى العالم ، اظهر فى الوقت نفسه ميلا عظيما للموسيقى حتى انه لقب بالفيثاغوري الصغير .

لا يخدم الفن العلم من هذه الناحية فقط ، بل يخدمه من ناحية التشويق بالعلم للناس فوسائل الايضاح هي عمل فني ، وتدوين سيرة العلماء والمخترعين هو عمل ادبي مجد فنحن مقصرون فى هذه الناحية من جهتين :

1 — اننا مبتعدون عن الروح الفنية المولدة . فيوم كنا مبدعين فى الفن كنا ايضا من المبدعين فى العلوم . ولما اصبحنا مقلدين ، سواء كان ذلك للاوائل أو للغرب ، دون فهم قابليتنا الخاصة ـ اصبح الابداع بعيدا عنا بعد الارض عن السماء .

2 — كان باستطاعة الادب والفن خدمة العلم ، فينقلا لنا ، سواء عن طريق الرسوم والتماثيل او القصص ، سير الذين ابتكروا فى العلوم .

اذا قارنا بين الكتب المعدة للقراءة التي تدرس فى مدارسنا ، وتلك التي تدرس فى مدارس الغرب ، راينا الفرق شاسعا . ففي كتاب القراءة لمدارس الصناعة فى المانيا مثلا نجد ما يلي : قصة ذلك الفلكي الكبير الذي كان عاملا بسيطا . الجهود الصناعية فى العالم القديم . قصة الميكانيكي وايملر . ما يمكن عمله بكيلو من الحديد . قصة « ديزل » . اغنية المطرقة . رسالة المهندس . سرور العمل . العمال الذين اقتدرهم . البناء الجديد قصة اسرة نجار عصامية . المعمل الذي فيه روح . النور على النافذة . وقصص عديدة عن الفنانين والادباء والمغامرين والانسانيين الكبار الذين يقوون رغبة الحياة من ناحية ابداعية . اما كتبنا فقد وقع فى يدي عن طريق المصادفة الكتاب المعد للصف السابع الثانوي عندنا منذ بضع سنين فوجدت المواضيع الآتية : (الملك السجين . انه امير اسير . السجن والاسر . مصطفى كامل على فراش الموت . بطل يرثي نفسه قبل الموت) الخ.. فكلها موت ورثاء ويأس . ولا نجد من القراءات الحافزة للهمم الا الشيء القليل ، مثل : اكتشاف العالم الجديد ، والرحلة فى الصحراء . وعدا ذلك فنكاد لا نجد شيئا من سير اولئك الذين شقوا طريقا جديدا فى الحياة ولقد تغير الوضع بعد ذلك ولكن لا تزال كتبنا خلوة من اللوحات الفنية الفريدة والتوجيه المثمر .

ان نفخ روح الموت فى البراعم التي لم تتفتق بعد لا يتفق والروح التربوية التي من شانها بعث الامل فى النفوس . وهنا ينطبق ما يقوله نيتشه فى حق وعاظ الموت : « هؤلاء هم الذين سئمت نفوسهم من الحياة ويكادون لم يلدوا بعد . ياخذون بالموت ويشتاقون الى تعاليم الاعياء والحرمان . يريدون تقوية ارادة الموت ويلزموننا بدعم ارادتهم . احترسوا من ايقاظ ارادة الموت وفتح التوابيت التي فرضت عليها الحياة فرضا» ويقصد بذلك اولئك الذين هم احياء فى اجسامهم واموات فى نفوسهم . ان اكبر كارثة وقعت فيها المانيا لا نجد لها رثاء فى كتبهم واشعارهم . بدلا من سالناهم عن السبب يجيبوننا على الفور : بدلا من الرثاء والحزن نقوم ونبني ما تهدم . وهذه لعمري هي الطريقة المجدية ، وشتان بين العمل المثمر والعمل العقيم .

هذا ويلزم ان لا ننسى بأن الغلو فى تقدير الفن وعدم الالتفات الى العلم الصحيح وتطبيقه العملي قد يكون فيه كل الضرر ، يمكننا تشبيه الفن بالملح والافاويه للطعام التي تبعث الشهوة على الاكل وتساعد فى افراز الغدد الضرورية للهضم ، ولكننا اذا غالينا ووضعنا كميات كبيرة منها فى الطعام ، فيكون ضررها اكثر من نفعها وتمج النفس هذا الطعام مجا ، فان الغلو والتطرف فى الامور الثانوية واهمال الامور الحيوية المفيدة يبعدنا عن الهدف ويولد فينا الشلل فى العمل ، وكذلك الامر فى الغلو فى الرياضة ، نعم ان العقل الصحيح فى الجسم الصحيح ، ولكن اذا اعتنينا بالجسم فقط واهملنا العقل فنكون جسما لا عقل فيه :

اقبل على النفس واستكمل فضائلها

فانت بالروح لا بالجسم انسان

ان من اهم الاسباب فى تقدم الغرب سيادة روح التعاون ، والاهتمام بالمنتسب الى العلم وتقديم المدد له ماديا ومعنويا . فاذا ما فاجانا الغرب باكتشافات

واختراعات جديدة فاننا نجد ، اذا تعمقنا فى الحقيقة، ان ذلك غير ناجم عن جهد فردي ، بل تضافرت جهود عديدة لابرازه الى حيز الوجود . هناك معاهد عديدة فى الغرب وظيفتها البحث والتنقيب واكتشاف الغوامض . وان جميع الجامعات العالية تهدف دوما لهذا . فضلا عن ذلك فهناك مؤسسات وجمعيات خيرية غايتها تشجيع العلم والبحث ، حتى انه فى جميع المعامل الكبيرة ادارة خاصة لفحص المقترحات ومكافأةاصحابها. ولحفظ حقوقامثالهؤلاء تأسستدائرة التسجيل التي اقتبسناها ايضا من الوجهة الاسمية ، ولكننا لم نسمع حتى الآن بتسجيل شيء له قيمة عالية . اذا شئنا السير فى هذه الطريق فلابد لنا من أن نبتدىء بتأسيس معهد خاص للبحث التطبيقي . فمن التطبيق يمكننا بعد ذلك ان نصل الى العلم المحض. لانه يجب أن لا يعزب عن بالنا ان كثيرا من الابحاث العلمية تنتهي ان قريبا او بعيدا بالاستعمال الصناعي ، فان اقدم المعارف الكيميائية والفيزيائية والميكانيكية كانت تستعمل لايجاد مواد جديدة ولتحسين المواد المعرونة ، ولتقسيم او تحسين طرائق العمل الصناعية . ففي طريق النهضة وفى كل بناء يكون له قيمة دائمة يلزم أن نبدأ فيه من الاسفل ونتدرج الى الاعلى . اما اذا وضعنا احجار البناء فى الاعلى دون أن يكون لها اساس سفلي متين فتقع على رؤوسنا وتحطمنا .

ان اهتمام العلماء بالعامل الانساني فى الصناعة ازداد توسعا يوما بعد يوم الى ان احدث فرع جديد فى علم النفس غايته دراسة المشاكل النفسية المتعلقة به ، وهو الفرع المسمى بعلم النفس الصناعي . ان مخابر البحث تهتم بالطرائق العلمية المختلفة ، وهي عبارة عن مخابر جامعية وحكومية ، ومؤسسات خيرية ، ومخابر لشركات صناعية محدودة (عامة وخاصة) ، واخرى فردية . ان المخبر الفيزيائي والوطني فى بريطانيا ، ومؤسسة الرايخ فى المانيا قبل الحرب .. التي ورثتها اليوم عدة مؤسسات ، والمخبر المركزي للكهرباء فى فرنسا ، والمكتب النموذجي للولايات المتحدة فى واشنطون ، ومؤسسات البحث فى روسيا السوفياتية ، هي امثلة للمخابر الحكومية التي ادت لفروع عديدة من مجموع فروع البحث العلمي التأسيسي خدمات جلى فى حقل الصناعة .

نأتي فى كثير من الاحيان ببعض الخبراء الاجانب دون أن نشرك ابناءنا فى ذلك فاذا لم يكن عندنا من خبراء فيلزم ايجادهم ، وان كانوا ضعفاء فيلزم تقويتهم سواء كان ذلك فى اشراكهم بالاعمال او فى وصلهم بالمعاهد الراقية . وان الاهتمام والثقة والتداريب المتواصلة تصقل مواهب الإنسان ، وقلة الاهتمام تعمل عكس ذلك . ولضعف روح التعاون عندنا فى السابق فاننا كنا نهمل خبراءنا اهمالا تاما .

فالنجاح ، ليس فى بروز الكشوف العلمية فحسب بل فى جميع مرافق الحياة ، لا يكون الا بالتعاون . ويقول المربي الكبير ساطع الحصري فى هذا الصدد : « ان تأثير الانظمة والترتيبات الاجتماعية فى الحياة البشرية تشبه شبها عظيما الدور الذي تلعبه الآلات البخارية والكهربائية . فكما ان هذه الآلات زادت قوى الانسان زيادة هائلة ، فالترتيبات الاجتماعية ايضا قد زادت قوى افراد زيادة مدهشة :

يعجبني فى هذا الصدد ما قرأته لشاعر غربي معاصر : « لودفيك فينك » بعنوان « الى الشباب » :

اصعد الى اعلى ذروة تستطيعها .

لا يزال الطريق يقود الى ثمرات يانعة .

والى كل ما تصبو اليه .

نمسك لك سلم الصعود .

ويقول الشاعر ابن الوردي :

لا تقل قد ذهبت اربابه

كل من سار على الدرب وصل

بلينا مع الاسف ايضا بانعزالية قليلة الشبه . نحن نرسل البعثات العلمية الى الغرب لا للتعمق بالتخصص والاطلاع على مباحث جديدة بل للوصول الى حد معين لا يتجاوز المهنة الآلية . وان تبادل الافكار مع المعاهد الغربية الراقية يرفع سويتنا ، لان بريق الحق يشع من تصادم الافكار . ان مثل هذه الاتصالات الفعلية تقدح زناد الفكر ، ولعلها تولد فينا الطموح الى الاحتذاء بغيرنا فى النشاط والحيوية.

ان تخلفنا عن الكشوف العلمية ، بجانب انخذالنا فى قضية فلسطين ، والدعايات المغرضة فى حقنا ، جعل اسمنا فى عالم الغرب حتى الى فترة قصيرة مشوها مع الاسف الشديد . ولا يمكن تلافي ذلك ان بالعلم الصحيح ، والتعاون الصادق على خير العمل . والشعوب لا تنظر الى ماهية الامة وجوهرها ، ولا الى ماضيها وسلفها ، بل تنظر الى

وضعها الحاضر ومساهمتها فى وضع لبنة فى الرقي العلمي . والمعول دوما على الساعة التي فيها الانسان.

اذا قمنا برسالتنا حق القيام نامل عند ذلك أن يتاح لنا تحقيق ما قاله احد وزراء التربية فى الغرب : « انه من دلائل القوى الحيوية فى شعب عريق ، وصحيح غير فاسد أن ينبري من بين ابناء امته اناس مجهولون قد ضربوا فى النشاط السهم الاوفر ، يأتون بجهود يجتاز تقديرها ارض الوطن ، موجبين ابصار العالم اليهم » . وذلك لا لنقف عند المستوى الذي وصل اليه الغرب ؛ بل لنكمل ما نقص من حضارته تحقيقا للمثل الاعلى الانساني . فنحن على المحك : هل نحن اهل لما يتطلب منا هذا العصر ، ام اننا سنعيش على الهامش فى العلم ، وبين محافل الشعوب .

وقديما قال الشاعر العربي :

لا تحسب المجد تمرا انت آكله
لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

هذا ما اردت بيانه على صفحات اللسان العربي ، المنبر الحر للفكرى والاعتبار ، وللتوجيه والعمل ؛ وما ذلك على حنكة الموجهين الافاضل وهمة الشباب بعزيز .

والرائد لا يكذب اهله ، والنقد النزيه البناء هو خير من التملق الرخيص الهدام .

علم التأثيل

الاستاذ عبد الحق فاضل

التــاثيـــل :

العلوم اللغوية التي يشملهـا « **فقه اللغــة** » العالمي كثيرة ، احدها سماه الاوربيون « Etymology » وترجمه المعاصرون من اللغويين العرب « **علـم أصول الالفاظ** » لانه يبحث عن الاصل الذي تأتت منـه كل لفظة فى المعجم من لفظة أخرى ، من لغة اخـرى على الاغلب .

والعادة حين يؤصلون الالفاظ فى الانكليزية مثلا أن يرجعوها الى السكسونية او الفرنسيـة أو بعض اللغات الاخرى ، وقد يعودون بهـا بعيدا الى احدى اللغات القديمة كالسنسكريتية او اللاتينية ، وفى بعض الاحيان يردونها الى الاغريقيـة . وكثيـرا ما تكـون اللاتينيـة هي طريق انتقال الكلمة من الاغريقية الـى الانكليزية او غيرها من اللغات الاوربية الحديثة .

وكنا ارتأينا فى كلمة سالفة أن نستعمل كلمـة « **التاثيل** » اصطلاحا مقابـل كلمة Etymology الاوربية هذه بمعنى « التأصيل » لان لكلمة « الاصل » ومشتقاتها معاني عامة نستعملها فى مختلف الاغراض من حياتنا اليومية ، فلا نريد أن نحملها الآن معنـى آخر له صبغته العلمية التخصيصية ، فى حين أن لغتنا العربية قد كنزت لنا ذخيرة طالما تحدثنا عن غزارتهـا وباهينا بها الامم . وبامكاننا الآن أن ننتفع بمفرداتهـا ومتشابهاتها التي تتخم جوف المعجم حتى ليكاد ينفجر امتلاءا ، ويكاد اكثر الفاظه حتى المأنوس السائـغ منها يموت اهمالا . ومنها هذه الكلمة التي نقترحهـا «**الاثل**» والتي لا نذكر أن احدا من كتابنا استعملها أو استعمل أحد مشتقاتها الا فى وصف المجد بالاثيل أو المؤثل . اما بقية الصيغ والاشتقاقات فمهجورة لا يعبأ بهـا احـد .

ومهما يكن فان هذه الكلمة تفي بالدقة بغرضنا فى تسمية علم التاصيل اللغوي . فان «**الاثلة** » فى المعجم الاصل ، **وتاثل** الشيء وأثل : تأصل .

والكلمة بعد تزخر بطاقة اشتقاقيـة سخيـة لا تملكها نظيرتها الاوربية (Etymology) التـي لا توجد لها عندهم صيغ اخرى فيما يظهر . ففي وسعنا ان نشتق من كلمتنا العربية هذه : (1) **الاثل** : بمعنى الاصل اللغوي ، و(2) **الاثلـة** : الكلمـة الام ، و(3) **التاثيل** : علم التاصيل اللغوي ، و(4) **المؤثلة** : الكلمة المؤصلة ، و (5) **المؤثل** : من يؤثلها ، و (6) **الاستئثال**: البحث عن الاثل او المطالبة به . وتمكن النسبة الـى بعض الصيغ بالياء **كالاثلى و التاثيلي** ...

و «**التاثيل**» بهذا المعنى علم اوربي فى الواقـع وان كان العرب قد سبقوا اليه . وانما اهتم الاوربيون بتاثيل لغاتهم لان اكثر الفاظها مقتبس من لغات أخرى فكان طبيعيا ان يبحثوا عن اثول الكلمات الاجنبيـة الدخيلة فى لغاتهم . ولم يعظم امر التاثيل عند العـرب

لان الكلمات الدخيلة فى العربية قليلة نسبيا ، لا تكاد تبلغ الثلاثة من المائة من مجموعة الالفاظ العربية (1).

الترسيس :

هذا **التاثيل** الاوربي ليس لنا فيه مقنع ولا كفاية. فلئن قال المؤثلون الانكليز مثلا ان sing (يغني) اثلها singan بالسكسونية و river (نهر) اثلها ripa (ساحل) باللاتينية ، و copper (نحاس) اثلها kupros (قبرص) بالاغريقية ... قلنا : ولكن هذه الاثول الاجنبية لم تنبت من عدم . اننا نروم ان نعرف الرس البدائي الاول الذي نجمت منه هذه الالفاظ السكسونية واللاتينية والاغريقية التي وقف عندها اللغويون كانما هي بداية اللغة كما وقف الاقدمون عند ساحل المحيط كانه نهاية العالم .

من حقنا ان نسألهم : هذه الاثول ما اثولها ؟ كيف نطق بها الناطق الاول فظلت تتطور وتتنقل على السنة الاجيال والشعوب حتى صارت فى الانكليزية : river و sing و plough و air و copper و calcium ؟ ..

هذا ما يجيب عليه علم **الترسيس** .

وعسى الا يذعر القارىء الكريم لهذه الكلمة الغريبة ، فانها لا عيب فيها سوى أنها جديدة عليه . لكنها تجري على قياس معروف معقول ومقبول ومجرب ، ولا تحتاج الا الى شيء من التكرار ليصقلها الاستعمال فتغدو مألوفة مأنوسة . فكما قالوا التأسيس من الاس نقول « **الترسيس** » من « **الرس** » وهي كلمة نقترحها الآن اضافة الى « **التاثيل** » الذي لم يعد معناه الاوربي يفي بحاجتنا فى البحث اللغوي .

والذي نعنيه بالترسيس هو ارجاع اللفظة العربية او الاعجمية الى رسها ، اي بدايتها . فان «**الرس**» فى المعجم : **ابتداء الشيء** .

وابتداء الكلمة هو بذرتها ، اي الصوت الطبيعي الذي حاكاه الانسان الاقدم بحروف نطقية عبر بها عن ذلك الصوت ، او عن الحادثة التي سببت ذلك الصوت ، او الشيء الذي انتجه ، وما الى ذلك من أمور تتصل بـه .

فالتاثيل (Etymology) اذن رد الكلمة الى امها المباشرة او الى جدتها المباشرة او القريبة . أما **الترسيس** فاعادة اللفظة الى جدتها الاولى — حواء — فى صورتها التي نطق بها اول انسان نطق بها ، مع تعقيب المراحل التطورية التي قطعتها تلك اللفظة حتى وصلت الى الصورة التي نعرفها بها الآن ، فى احدى اللغات .

ويمكننا ان نضرب من تطور الاحياء مثلا على التطور اللغوي ، فنقول ان **التاثيل** يشبه البحث عن الاصل المباشر الذي نشأ منه الانسان او الكلب او غيرهما من الاحياء . فأثل الكلب مثلا هو الذئب .

واذا كان « **اثل** » الانسان حيوانا شبيها بالقرد فان « **رس** » الانسان هو الخلية الفردة ، على قول التطوريين . ولترسيسه علينا ان نبحث عن جميع حلقات السلسلة حتى نصل من الانسان الى الاميبة المائية الاولى .

ونقترح كلمة Radixation للانكليزية وغيرها من اللغات الاوربية مقابل كلمتنا العربية « **الترسيس** » باعتبار ان radix هو « الرس » بالانكليزية ، واثلها من اللاتينية بنفس اللفظ والمعنى .

ولئن وقف اللغويون الاوربيون عند حدود التاثيل فلانهم لا يعرفون حدودا أبعد منها ، وبتعبير آخر لانهم لا يعرفون اللغة الام التي انحدرت منها تلك الالفاظ الاثلة ، وبتعبير ثالث لانهم لم يتعمقوا فى درس العربية التي قلنا غير مرة ان تقلبنا النظر فيها وفى ظروفها القبتاريخية (= قبل التاريخية) كشف لنا انها ام اللغات الآرياث ، لا الساميات والحاميات فقط .

بالرغم من انقراض الكثير من انواع الاحياء ، ما تزال تعيش الاميبة الاولى والكثير من ذراريها من الاحياء التي تسلسلت فى التطور حتى كان منها ارقى المخلوقات الانسان . فكذلك الامر فى اللغة العربية : بالرغم من انقراض الكثير من الفاظها ما تزال توجد

---

(1) الاب رفائيل نخلة اليسوعي ، فى كتابه « غرائب اللغة العربية » — ط 2 ، جمع 2515 كلمة قال انها تتضمن أكثر ما تيسر جمعه من الالفاظ الدخيلة فى العربية من مختلف اللغات ، وارتأى ان مجموعها قد يبلغ ثلاثة آلاف كلمة على اكبر الاحتمالات . لكنا نجد أكثر هذه الالفاظ غير مستعمل وغير معروف لدى معظم القراء . كما اننا نخالف جمهرة اللغويين فى تاثيلها جميعا من لغات أجنبية لاننا نعتقد أن عددا منها اثيل فى العربية غير دخيل ، وان الاعجميات هي التي اقتبسته من العربية . وربما كانت لنا عودة الى الموضوع . وسنعرض فى بحثنا هذا لتصحيح تاثيل بضع منها .

فى المعجم بدايات كثيرة من الالفاظ الصوتية الاولية وما يليها من الحلقات الموصلة التي تسلسلت فى التطور حتى تكونت منها الالفاظ الحضارية فى العربية وغيرها من اللغات المتفرعة منها .

وايضاحا للفكرة .. اليك بعض النماذج الانكليزية من تأثيلهم وترسيسنا .

RIVER : نهر .

ويؤثلونها من الفرنسية القديمة rivier وهذه من اللاتينية : ripa : ساحل .

هذا تأثيلهم .

اما ترسيسنا فيتساءل : من اين جاءت ripa اللاتينية هذه ؟ ما علاقة (الساحل) بهذه الحروف : r - i - p - a ؟ بديهي أن الكلمة ليست من صنع الناطق الاول .

فلاجل ترسيسها نقترح ان نسير فى تأثيلها خطوة اخرى .

يقول المعجم العربي ان لديه كلمة عربية مبينة بنفس اللفظ والمعنى : « **الريف** : ما قارب الماء من الارض » وهذا يعني الساحل ، والدليل الصراح على ذلك ان كان الامر بحاجة الى دليل صراح هو ان « الساحل » ايضا يعني فى المعجم : « **ريف** البحر وشاطئه» . ومن هذا المعنى قالوا : **ريف** مصر ، و**ريف** البصرة ، و**ريف** المغرب .. بالضبط كما يقول الاوربيون: **الرفيرا** (riviera) الايطالية و**الرفيرا** الفرنسية. ثم ان العرب اطلقوا « **الريف** » مجازا على « الارض فيها زرع وخصب » ، لان ذلك شأن الارض القريبة من الماء . ثم ساروا خطوة اخرى فى تطوير المعنى فاطلقوا « **الريف** » فى المشرق على المناطق القروية بوجه عام .

ان « **الريف** » كلمة مائية من اسرة الريق (كالعيد)، والريق (كالعين)، والريل (كالعين)، والري.. وغيرها من الالفاظ المائية التي سبق ان رسسناها من صوت الهواء عند هبوبه : **هوووو** .. (2)

وعلى ذكر الري نقول ان (الريف) تنطق بالاسبانية (ريو — rio)

فعلى هذا نظن أن فى وسعنا ترسيس كلمة river الانكليزية هكذا : **هو — هواء — هباء — هباب — اباب — آب — آل — رال** (ومنها الريل) — **راف** (ومنها **الريف**) — ripa (لاتيني) : ساحل— riviera (ايطالي) : ساحل — rivier (فرنسي) قديما : ساحل ، وحديثا : نهر ايضا — rive (فرنسي) : ساحل — (river) (انكليزي) : نهر .

والمقصود بهذا الترسيس طبعا هو القول ان كل واحدة من هاته الالفاظ تمثل صورة لمرحلة اجتازتها الكلمة منذ بدأ الوحش العربي الاقدم يحاول التعبير عن الاشياء بمحاكاة اصواتها فقال فى الغابة (**هوووو..**) ليمثل صوت هبوب الريح .. الى أن قال المتنبي (**ريف**) .. ثم قال شكسبير من بعده river !

SING : **يغني**

يؤثلونها من السكسونية singan ولا يقول المعجم الانكليزي الذي لدينا الآن من أين جاءت هذه الاخيرة .

لكن المعجم العربي يحل لنا المشكلة ، حيث يقول لا فض فوه : (**الصج** : ضرب حديدا على حديد فصوتا» والكلمة فعلا ادق تصوير نطقي لصوت الحديد المسطح اذا صك حديدا مثله . وكل واحد منا قد مرت به تجربة ما من هذا النوع فلحظ مثل هذا الصوت . ويمكننا أن نفهم من هذا ان الكلمة حديثة نسبيا بالقياس مثلا الى قدم (الهو) من صوت الهواء ، لان (**الصج**) نجمت فى العصر الحديدي ، أو ربما قبل ذلك فى العهد النحاسي ثم انتقل المعنى الى الحديد . وهذا ما نرجحه ترجيحا ليس لدينا عليه برهان دامغ .

وعسى الا يتعجل القارىء فيرفض هذا الترسيس بسبب زيادة النون فى اللفظة الانكليزية (sing) بالاضافة الى اختلاف معناها . ذلك ان النون من العربية نفسها ، التي تطورت فيها الكلمة مبنى ومعنى قبل ان تنتقل الى السكسونية . فمن (**الصج**) بالمعنى الآنف صاغ العرب (**الصنج**) : آلة الطرب المعروفة، اي القرص المعدني يضرب بمثله فيحدث صجا حسن الوقع فى السمع . ومن باب المجاز التطوري سموا به

(2) للاطلاع على ترسيس اللفظة بشيء من التفصيل تراجع كلمة لنا بعنوان « لمحات من التأثيل اللغوي » — اللسان العربي — العدد **4** — ص **14** — العمود 1 .

آلة عزفية وترية ايضا . **والصناج** (كالطيار) **والصناجة** (كالطيارة) : ضارب الصنج . وقد اسبغوا على شاعرهم المشهور اعشى قيس لقب « **صناجة العرب** » لانهم كانوا يجدون شعره مطربا كعزف الصنوج .

لا عجب اذن ان يكون معنى song بالانكليزية : اغنية ، مثل شعر الاعشى . وربما كانت صيغة الماضي sang (غنى) هي الصورة الانكليزية الاثلة لانها اقرب الى (الصنج) ، ثم صاغوا منها المضارع sing والمفعول sung . ربما ..

على هذا يكون ترسيسها : **صج — صنج** — singan بالسكسونية — sing و sang و song و sung بالانكليزية .

وقد زعموا — اللغويون ، العرب وغيرهم — ان **الصنج** كلمة دخيلة في العربية ومعربة عن الفارسية (**سنكه**) — بالكاف الفارسية — وهي العيار او الوزن ، وقالوا ان هذه من (**سنك**) : الحجر ، بالفارسية ايضا . وهذا شأنهم في ادانة العربية كلما وجدوا كلمة مشتركة بينها وبين احدى اللغات المرموقة ، وحتى غير المرموقة احيانا ، بالرغم من اشادتهم اجمعين باصالة العربية وتعجبهم من ثرائها الفاحش . وها نحن قد رأينا في ترسيس هذه الكلمة مصداق خطئهم فيها .

فالذي يبدو بعد ان وجدنا في العربية رس الكلمة بجلاء لا يتطرق اليه ريب ان العرب من (**الصنج**) صاغوا (**الصنجة**) وهي القرص المتعر الذي جعلوه كفة للميزان ، وهذه انجبت (**سنجة الميزان**) اي الثقل الذي كانوا يستعملونه عيارا ويضعونه في الكفة ، ومن هذه اخذت الفارسية (**سنكه**) بنفس المعنى . ولما كانوا في القديم يتخذون العيار من الحجر على الاغلب كما لا يزالون يفعلون في بعض القرى ، فقد صاغ الفرس منها (**سنك**) بمعنى الحجر .

فعلى تخريجنا هذا ، ان صح ، تكون (**سنك**) : الحجر ، من (**سنكه**) : العيار ، من (**السنجة**) : العيار ، من (**الصنجة**) : كفة الميزان ، من (**الصنج**) .. اي بعكس المظنون تماما .

PLOUGH : **يحرث**

يؤثلونها من السكسونية ploh : قطعة ارض . والذي يزعمه ترسيسنا ان الكلمة العربية (**فلح**) اقرب الى الانكليزية معنى والى السكسونية مبنى ، ومنها (**الفلاحة**) : الحراثة ، و(**الفلاح**) : الحارث ، ونرجح ان الكلمة السكسونية ايضا كانت تعني الفلاحة اول الامر ثم اطلقت على قطعة الارض كما حدث في العربية اذ اطلقوا (الفدان) المستعمل في حرث الارض على القطعة من الارض .

و(فلح) تعني (شق) في العربية ، ومن اخواتها فلع الشيء وفلخه ، وفلقه : شقه . ثم فلذه : قطعه . وفلغ الراس : شدخه اي كسره ...

وهذه وغيرها من افراد الاسرة نؤثلها من (**فرق**) — كضرب ونصر — ومنها فرق البحر : فلقه .

اما (**فرق**) — كفرح — فتعني خاف ، وهو اصل معناها فيما نعتقد . ومادة (**ف ر ق**) التي تعني الفلق والفراق والخوف — اثلها (**فر**) اي محاكاة صوت اجنحة الطائر عند فراره : **فرررر** ...

ومن بنات (**فر**) : فرق ، فرج ، فرخ ، فرح ، فرز ، فرض ، فرع ..

و (**فر**) نجدها في الفارسية بصيغة (**بر** — par) : يطير او يفر ، ومجازا : الريش ، **الذي هو اداة** الطيران . واسم الفاعل منها (**برنده** — parandeh) : الطائر ، يقابله بالانكليزية : bird . ومنها في الفارسية ايضا (**بروانه** — parvaneh) : الفراشة . ويلاحظ ان كلمة (**الفراشة**) ايضا تبدا بالفاء والراء . ولعل اسمها العربي كان اول الامر (**فرارة**) . و(**الفرارة**) بلغة الموصل لعبة للاطفال دوارة لها ما يشبه اجنحة المروحة . وفي الفارسية ايضا صار اسم (**بروانه**) يطلق مجازا على المروحة الدوارة ونحوها . وقد اقتبسها العراقيون بهذا المعنى في لغتهم الدارجة لمثل مروحة الطائرة والسيارة . ويلاحظ ان العراقيين استعملوا (**الفر**) بمعنى الدوران والتدوير فهم يقولون **يفر** الشيء : يديره .. **وافتر** الشيء او الشخص : دار . ومن ذلك ايضا (**الفرارة**) التي ذكرناها من لغة الموصل . ويبدو لنا ان هذا الاستعمال العراقي اصيل فصيح ، اي قديم بتعبير اصح .

وتوجد في الانكليزية الفاظ من مادة (**فر**) نذكر منها : fear يخاف — free : طليق ، حر — flea : يفر — flee : برغوث (لانه فرار؟) — fly ذبابة او يطير — flight : فرار ...

ونعود الى كلمة plough (يحرث) فنقول انها يمكن ترسيسها بوجه التقريب على هذا النحو : **فر — فرق — فلق — فلخ — فلع — فلح —**

ploh (بالسكسونية) — plough (بالانكليزية) .

امـا نطق هـذا الفعل وامثاله بتسكين اوله فى السكسونية والانكليزية فعادة عربية قديمة فيما نظن . وهي ما زالت موجودة فى لغة المغرب مثلا ، ومن ذلك انهم ينطقون هذا الفعل الماضي بالذات بتسكيـن الفاء : (فلـح — flah)

SOLICIT : يناشد ، يغـري .

اثلها من اللاتينيـة solicitare بنفـس هذين المعنيين اللذين يطابقان الاثل العربي للكلمـة اللاتينية وهو **(السؤل ، والسؤال)** . فقولـك « لـي اليك **مسالة**» يعني لي اليك رجاء ، وقولك « **اسالك** المغفرة » يعني اناشدك المغفرة ، بل ان « **السؤال** » يعني حتـى الاستجداء . واما معنى الاغراء فمن قولك: **سولت** له نفسه ، **وسول** له الشيطـان . ومعنـى التسويل متطور من معنى السؤال والسؤل ، وممـا يؤيد ذلك ان (سال يسال) ينطقونها فى المغـرب **(سول يسـول)** .

اما رس الكلمة فقول الفروج العربي : صي صي صي .. (كما كنا ذكرنا فى حديث سابق) (3) .

يمكن ترسيسهـا اذن بشيء من هذا القبيل : **صي صي صي — صاى** الفرخ (صات) — **صـال** (صهـل) — **سعـل — سأل** (ومنهـا : **سـول**) — solicit : E. - **solicitare** : L. (ونظـن جـذر الكلمة هو « **sol** » وحسب) .

PLATE : صحيفة ، لوحة ، صحن .

يؤثلها المعجم من platta : طبقـة او صفيحة ، باللاتينية الدنيـا اي الحديثة (600 — 1500م) . ونحن لا نعرف فى الترسيس فرقا بيـن اللغات علياها ودنياها ، لان الدنيا والدارجة والعامية والمولدة — وما الى ذلك من تعابير — قد تكون افصـح من النصحى كالذي قلنا فى اكثر من مناسبة .

وفى الانكليزية كلمة اخرى هي plateau : السهل من بـراح الارض ، وهي مـن الفرنسية . وتوجد فى الفرنسيـة والانكليزية كلمة place : الساحة او الميدان او المكان ، ويؤثلونها من الاغريقية platus : مسطح ، عريض .

ونخال هذه الكلمات كلها مـن رس واحد كمـا يوحي تصاقب مبانيها ومعانيها ، ولعلها قد دخلـت الفرنسيـة والانكليزية عـن طريق واحـد او طرق مختلفة ، لكن اقدمها فيما يظهر هـي platus الاغريقية . ويبدو ان platta اللاتينية هـي اثل الكلمة الايطالية piazza : الساحة او الميدان . وهذه الكلمة الايطالية دخلت فى الدارجـة العراقية بصيغة (بياسـه — pyasah) بمعنى التمشي للرياضة او التسلية .

ننتقل الآن الى العربية لنجد ان قولك **(بط الجرح)** يعني شقه . ويخيل لنا ان لفظة **(بط)** ليست الا محاكاة لصوت انبعاج حيوان صغيـر — ونحسبه الضفدع — حين يطؤه انسان . ومـا زال العراقيون يقولـون : **ينبط فؤاده** او قلبه ... بمعنى ينشق غيظا او كمدا .

والباء حرف انفجاري لكنه غير قوي الصـوت فهو يمثل بداية الانبعاج ، اما الطاء فحرف انفجـاري ومفرقع صخاب . وان الاعرب الاقدم — الرسـام الصوتي — الذي صور هذه الكلمة بفمه ليمثل الصوت الذي احدثه بقدمه — ويبدو انه كان صبيا — لجديـر بالكثير من اعجابنا برهافته الموسيقية وكفايتـه النطقية . وانما نرجح انه كان صبيا لان وطء الضفادع استمتاعا بفرقعة انبطاطها من عمل الصبيان فى غالب الاحوال ، ولو اننا لا نبرىء وحـش الغاب (الراشد) — عربيا كان او اعجميا — من امثال هذا العبث بمـا فيه من قسوة ، لان اهل الحضر والحضارات ما زالوا يلهون بما هو اشنع من ذلك من قتل مختلف صنـوف الحيوان ومنها المسالم والجميل باسم الصيد استمتاعا بالفتك والعبث الذي يسمونه(رياضة)تمويها لشعورهم بالاثم ودعاية جوفاء لانفسهم .

وواضح ان الكلمة قديمة من عهد الغابـات والغياض التي تكثر فيها الضفادع ، اي فى احقـاب خصوبة المعربة (= الجزيرة العربية) قبل جفافهـا عند انحسار الجليد عن اوربا .

وربما كان اسم **(البطة)** ناجما من تكور جسدها ككل شيء ينبط او يغريهم شكله بأن يطوه . غير اننا نرجح ان الضفدع هي التي سميت **(بطة) اول الامـر**، ثم اطلق الاسم على هذا الطائر المائي لانه بالاضافـة الى ما تقدم يعوم ويغوص فى الماء كالضفدعة . وقـد

(3) « فضل اللغة العربية على الحضارات القديمة» — اللسـان العربي — العدد : 3 ص 229 .

زال الاسم عن الضفدعة نفسها لغلبة اسم الضفـدع والقـرة — عليهـا .

ومما يؤيد ان لفظة (بط) ناشئة من صـوت الانبطاط اي الانبعاج الذي يحدثه وطء الضفدع هـو انهم صاغوا منها بعد ازمان لا نعرف مداها كلمة تعني الفعل الذي احدث الانبعـاج : **(وطا)** ، وكلمة اخرى تعني الشيء الذي اصابه الانبعاج : **(بطن)** . فـاذا انت قلت « **وطا بطة فبط بطنها** » فقد عبرت عـن مرامك باربع لفظات هي في الاثل كلمة واحدة تطـور بعضها من بعض مع تشاكل المبنـى وتقارب المعنى .

هذا الى ان كلمة (بط) — التي ابدعها العربـي الصغير — انجبت الفاظا اخرى بمعنى شق الشـيء مثل : **بطـر** (ومنها : البيطرة) **وفطر وبض وبضـع** (ومنهـا : **بعض**) ...

ولما كان وطء الضفدع وبط بطنها يجعلها مسطحة الشكل ولاسيما بعد جفانها فقد نشأت من الكلمـة الفاظ اخرى تدل على معنى الضغـط والتسطيـح والتعريض منها : **فطىء** الرجل : دخل ظهره وخـرج صدره (كانما تشبيها بالضفدعة الموطواة) ، ومنها : **بطح** : **فطح** ، **فرطح** ، **فلطح** ، **بلطح** .. **بلط** .

و **(بلط)** هذه هي التي تعنينا في هـذا المقـام . **فالبلاط** هو : « الارض المستوية الملسـاء » ، علـى تعبير المعجم . وقد قالوا **بلط الـدار** (بتخفيف اللام أو تشديده) : فرشها بالبلاط . ومن هنا جـاء **(البـلاط)** بمعنى الجص او الحجارة التي تبلط بها الـدار لتسوية باحتها ، ومن ثم استعيرت الكلمة للقصر الملكي بمعناه الرسمي ، وربما كانت قد اطلقت أولا علـى قاعة المعبد أو دار الكاهن او الرئيس الذي كانـت داره تبلط من دون الدور في احقاب ما قبل التاريخ .

ومن **(البلاط)** بمعنى الارض المستوية الملسـاء اطلقوا « **بلاط الشهداء** » على السهل الذي وقعت فيه معركة (بواتيه) بقيادة عبد الرحمن الغافقي لكثرة مـن استشهد فيها من جيش المسلمين .

كذلك من (البلاط) او احدى اخواتها جـاءت الكلمات الاوربيـة الآنفة الذكـر : platta صفيحـة باللاتينيـة ، و piazza (سـاحـة) بالايطالية ، و plate (طبـق) بالفرنسيـة والانكليزية ، و flat (مسطح) بالانكليزية .

واقرب منها جميعا الى (البلاط) مبنى ومعنـى كلمة plateau : السهـل ، اي الارض المستويـة .

TABLE : **منضـــدة**

اثلها من اللاتينية tabula : لـوح ، منضدة . وقد اصبحت في الايطالية tavola ، وربماكانت منهاكلمة **(طبلة)** المستعملةفي العربيةالدارجة بمعنى المنضدة الصغيرة التي توضع عليها اطبـاق الحلوى والنقل للضيوف . ولما كانوا يضعـون عليها كذلك منفضة السكاير فقد صارت المنفضة أيضـا تدعى **(طبلة)** .. في العراق ، وربما في غيره أيضا .

ومن هذه الكلمة الايطالية — ربما عن طريـق التركية — يطلقون في سورية وبعضهم في العـراق وغيره كلمة **(طاولة)** على المنضدة عامة ، وعلى علبـة الخشب المستطيلة التي يلعبون بها النـرد خاصة ، ويسمونها في العراق **(طاولي)** تأثرا بالطريقة الموصلية والسورية في النطق ، على ما يبدو (اي كسـر آخر الاسم المؤنث) .

ونؤثـل الكلمـة اللاتينيـة (tabula) في العربية من **(الطبل)** ، وهو عادة مسطـح وأجوف ، لكن التسطح هو الصفة الاساسية فيه ، وانما جوفوه فيما بعد تضخيما لصوته فيمًا نظن . فكثيرا ما كانـوا ولا يزالون يقرعون اي شيء مسطح من المعدن — او حتـى الخشب عند بعض القبائل الافريقية مثـلا — لاحداث الضجة المطلوبة .

وليس هذا كل ما يدل على الصلة التأثيلية بين الكلمتين الاوربية والعربية ، وانما توجدَ بينهما صلة اخفى واشد تعقيدا . ذلك انهم في الدارجة السورية يقولون « **طبل في المشي** » اي اعيا ، وهي في الفصحى « **بلط** » ، فكيف جاء هنا معنى الاعياء ؟

نجد من تطورات كلمة (بط) التي تكلمنا عنها ، قولهم **(بطؤ)** بمعنى تأخر . وعند انعام النظر يلـوح ان سبب ذلك على الارجح هو ان القوم حين كانـوا يسيرون او يرحلون كانت كثرة الضفادع في تلـك الاحراش تستهوي الصبيان فينهمكون في مطاردتها ، يطؤونها باقدامهم لاعبين ليبطوها ، فكانـوا بذلـك يتخلفون عن زمرة الكبار الذين يريدونهم على الاسراع واللحـاق . ويظهر ان هذا هو الذي افضى الـى اكتسـاب **(البطء)** معنـى التاخـر . ومن ثم اكتسبت **(بلط)** معنى الاعياء الذي يسبب البطء والتخلـف بدوره . وربما كان معنى البطء قد توزع على الفـاظ اخرى من هذه المجموعة .

ولما كانت **(بلط)** تعني التسطيـح أيضـا فقـد صـارت مقلوبتها **(طبل)** تعني الاعياء بالسوريـة

والتسطيح الذي بقي منه فى الفصحى الاداة المسطحة التي يقرعونها طلبا لصوتها المدوي . لذلك كانت tabula تعني اللوح باللاتينية اصلا مثل مقلوبتها piatta التي سبق الحديث عنها ، ثم اطلقت على المنضدة اي اللوح ذي الارجل ، مجازا اي تطورا .

هكذا ترسيسها اذن : **بسط — بلط — طبل —**
table : E., F. - **Tavola** : It. - **tabula** : L.

كلس : CALCIUM

اثلوها من اللاتينية : calx او calsis ، وهما من الاغريقية : khalix . ويظن اللغويون — العرب وغيرهم — ان كلمة **(الكلس)** دخيلة فى العربية ، وقد احصاها الاب نخلة ضمن مقتبسات العربية من الاغريقية (4) . غير اننا نرى أنها عربية وانها الاثلة ، وهي من **(الكس)** — كالدس — اي دق الشيء حتى يكون كالسويق ، ومنه بالمغربية طعام **(الكسكس)** المشهور . والسويق (اي : الناعم من دقيق الحنطة) شبيه بالكلس كما هو معلوم من حيث كونه مدقوقا ومن حيث أنه أبيض اللون . ويخيل لنا ان **الكس** كان يعني **الكلس** ، لا لانه يعني السويق الشبيه بالكلس فقط بل لانه أثلا من **(القص)** وهو الذي يعني الكلس بالذات ، ومنه **(تقصيص)** الدار : تجصيصها .

ويظهر أن العرب سموا هذه المادة قصا لانها **(تقص)** جلدة راحة اليد حين يعمل الفعلة فيها جبلا وخلطا لاستعمالها فى البناء . ولعل فى تسمية الكلس بالقص شيئا من مبالغة ، لكن امثال هذه المبالغة مألونة فى التطورات اللغوية ، وما زال العراقيون يعبرون عن مثل هذه الحال بقولهم : تذبحت يده .

ومعلوم أن بعض العرب كانوا ينطقون القاف جيما وما زال البدو والجنوبيون من اهل العراق يفعلون ذلك ، ومن هنا ظهرت كلمة **(الجص)** ، وشبيه بذلك أن بعض البدو يقولون (جط راسه) اي قطه .

فالجص أيضا عربية اذن — بنت القص — وليست معربة من **(كج** — gatch) (الفارسية كما قال اللغويون ومنهم حتى المجد الفيروزابادي فالعكس الصحيح .. اي ان **(كج)** الفارسية هي المقتبسة من **(الجص)** او **(القص)** .

على ما تقدم بنا من القول نرسس الكلمة من صوت القطع — قطع عظم او عصا بضربة سيف او فأس — وقد صور العرب هذا الصوت بهذين الحرفين التويين : القاف والطاء . والكلمة حديثة ، اي مما بعد انقضاء العهد الحجري ، لانها نشأت فى ابان استعمال اداة حادة متينة للتقطع — من النحاس او الحديد ، ونستبعد ان يكون مثل هذه الآلة من الحجر :

قط — قص (ومنها : جص) — **كس — كلس —**
calcium : E. - **calx** : L. - **khalix** : G.

عظم : OS

ومنها **osseous** : عظمى أو متعظم ، و osein : المادة العضوية اللينة التي يتكون منها العظم .

و**(العص)** — كالقص — فى العربية : الاصل ، ومنه مجازا **(العصص)** — بضم العين وفتح الصاد او ضمه : اصل الذنب . ومنه **(العصعص)** — كالبلبل — و **(العصعص)** — كالمرمر — و **(العصعوص)** كالعصفور : عظم الذنب .

وقد اخذ اللاتين كلتا الصيغتين : os من العص ، و ossis من العصعص ، فيما يظهر ، (مع العلم بان العراقيين ينطقون العص بضم العين كاللاتين) .

و**(العص)** نؤثله من **(الاس)** (5) . وهكذا نرى كيف انتقل المعنى من **الاصل** ، الى **اصل الذنب** ، ثم الى **عظم الذنب** خاصة ، ثم الى **العظم** عامة .

رسها اذن من همزة التنبه : **آ — اس — عص — عصص —** **os** : E. - **ossis os** : L.

هواء : AIR

المعجم الانكليزي يؤثلها من الاغريقية aêr : طبقة الهواء السفلى القريبة من الارض . ولا ندري لماذا تخطى معجمنا اللاتينية هذه المرة ، فمن عادتهم رفع الكلمة الى اللاتينية أولا ومنها الى الاغريقية كلما وجدوا كلمة لهم فى هاتين اللغتين معا . ذلك ان هذه الكلمة وردت فى اللاتينية ايضا : aêr . ومن يتسلم رسالة من ايطاليا بالبريد الجوي يجد عليها لصيقة : (via aerea)

---

(4) الحاشية : 1 — آنفا .

(5) ورد ترسيس «الاس» فى حديث آخر لنا من هذا العدد بعنوان « اسرار الضمائر » .

يرون — ومنهم الاب نخلة اليسوعي ، وهو من محبي اللغة العربية المعجبين بمناقبها كما يتضح من كتابه الآنف الذكر — ان العرب اقتبسوا من هذه الكلمة الاغريقية **(الهير)** — كالطير — و**(الهير)** كالسيد : ريح الشمال .

والذي نعتقده ان اثل هذه الكلمات جميعا هو **(الأير)** — كالهير — الذي كنا قرأنا في مقاييس ابن فارس انه يعني الريح الباردة او الحارة . ولا نذكر أيهما كان ارجح عنده لان الكتاب ليس في متناول يدنا الآن . والاصح عندنا على كل حال أن الاصل منهما هو الريح الحارة ، ثم شمل الريح الباردة تطورا . ذلك بأن اثل الكلمة هو **(الأر)** — كالشر — وهو اضرام النار ، وهو رسها ايضا ، اي جذرها الصوتي الاول . فان النار حين تتأجج تنبثق من حطبها نفثات قوية تقول **(ارررررر ...)** . وما زال العراقيون يقولون : **(ورت** النار) ، او : (فلان **يور** مثل النار) ، اي سرعان ما يهتاج . ومنها في الفصحى : **وريت الزند واوريته:** اخرجت ناره . ومنها ايضا **(الاوار)** : اللهب ، وحر النار او الشمس ، والدخان ، والعطش ، وريح الجنوب .

والذي نتوهمه أن العرب قالت اولا : **أر الحطب،** اي احتدم ضرامه حتى خرج منه صوت : ارررر. لكن هذا المعنى قد انقرض في الفصحى وبقيت منه الكلمة العراقية (ور) ، ولعلها مستعملة في اقطار عربية أخرى . أما الذي بقي في المعاجم فصيغة الفعل المتعدي **(أر النار)** : أوقدها . ولا يصعب علينا ان نتخيل كيف نشأت من **(الأر)** كلمة **(الأير)** بمعنى الريح الحارة ، وقد رأينا انهم اطلقوا (الاوار) على الريح الجنوبية ومعان حرارية اخرى . ولاشك أنهم في أول الامر قصدوا بها الريح الحارة لا الباردة ، فما زالت الريح الجنوبية كذلك في العراق ، وهي أسوأ الارواح وأوخمها . ولعل ذلك شأنها في جميع الساحل الجنوبي من جزيرة العرب . وقد استعيرت من (الأر) معان أخرى تفرعت منها كلمات اخرى ليس هنا محل ذكرها .

فترسيس air اذن شيء من هذا النحو :
أر — اير (ومنها : **الهير**) — **aêr** في الاغريقية واللاتينية — aerea في الايطالية — **air** في الفرنسية والانكليزية .

(6) Hugh's Dictionary of Islam مادة : Caesar

CAESARISM : حكم استبدادي

اكتسبت الكلمة معناها هذا في الانكليزية من اسم يوليوس **قيصر** (Caesar) ، وهو أول من سمي به .

يقول معجم هوف : « ربما سمي بذلك لان رحم امه شق عند موتها لاخراجه » (6) .

فما علاقة شق الرحم بهذه التسمية التي صارت تعني العظمة والجبروت حتى لقد انتحل اسم **قيصر** كثيرون من حكام الرومان الذين خلفوه وأولهم ربيبه وابن اخته اوكتافيوس **قيصر** ، ثم انتحل اللقب بعد انقراضه في موطنه حكام الروس والالمان ايضا ؟

قالوا ان الكلمة في اللاتينية من مادة caesum ومعناها القطع ، ونحن نقول بتعبير ترسيسي ادق انها من العربية : **القصم و القص** . وهم يقولون ان caesum هذه من مادة caedo : **قطع.** غير اننا نستطيع ان نصحح لهم هذا ايضا فنقول ان هذه الاخيرة من **(القد)** وهو القطع ايضا ، غير انها كلمة مستقلة عن **(القص)** ولو انهما من رس واحد : **(قط)** .

وهذا يعني أن الرومان كانوا يستعملون المترادفين العربيين : **(قد)** و **(قص)** كليهما .

فعلى هذا نرسس الكلمة هكذا : **قط — قص** (و **قد** : caedo) — caesum : L. — Caesar : L. — Caesarism : E. —

TOP

لها في الانكليزية معنيان : (1) قمة ، ويؤثلونها بنفس اللفظ والمعنى من السكسونية ، (2) خذروف ، ويؤثلونها من الجرمانية topf

ويمكننا تتبع المحطات التي نزلت فيها الكلمة خلال هجرتها الطويلة في الزمان والبعيدة في المكان ، وبتعبير آخر يمكننا تشخيص الصور التي تجسدت فيها اثناء تطورها ، على هذا النحو :

الكرة بالفارسية **(توب** — tûp) ، وهي بالعراقية الدارجة **(طوبة** — tobah) . فلهذا يعتقد كل انسان كما كنا نعتقد شخصيا قبل اهتدائنا الى فكرة الترسيس ، ان الكلمة العراقية مقتبسة من الفارسية ، ولاسيما انها وردت في العراقية

بالدارجة ولا سند لها من الفصحى . لكننا اذا انتقلنا مرحلة اخرى غربا ، الى الشآم ، وجدناهم يسمونها **(طابة)** . فاذا نحن سافرنا القهقرى فى الشآم نفسها ثلاثين أو أربعين قرنا وجدنا الكنعانيين يسمونها **(طاو)** ، وهو اسم حرف الطاء ايضا عندهم لانهم كانوا يرسمونه على شكل الكرة ، كالذي كنا نقلناه عن « المعجم الكبير » . ويقول هذا المعجم ان الكلمة من مادة **(طـوى)** .

فبعد هذا التسلسل فى اللفظ والتدرج فى المكان لم يعد فى وسعنا ان نخطىء أثلها العربي . ونخال أن رسها قد نبت من محاكاة صوت انكسار غصن دون انفصال طرفيه احدهما عن الآخر : **(طـو)** . وهذا الصوت مفقود فى المعجم العربي ، لكننا نفترض أن كلمة (طو) كانت موجودة ثم انقرضت قبل أن يدركها المعجميون ، او وجدوها فى احدى الدارجات فانفوا من تدوينها فاهملوها كما فعلوا بأمثالها . ومما يؤيد لنا انها كانت موجودة هو وجود بناتها ، واولاهن فعل **(طوى** طيا) وثانيتهن **(طاو)** الكنعانية . ومن بناتها ايضا : **التو و الزو** . اما **(التو)** فتخصصت بمعنى الفرد الواحد من القرينين من اي نوع (كأنما المقصود احد طرفي الغصن المطوي) . والطي فى الفارسية (تا) التي يظهر أن أثلها من الطي نفسها ، او الطاو ، او التو ..

وأما **(الزو)** فتعني القرينين معا ، من معنى طرفي الغصن المطوي كليهما . ومنها تطور فعل **(زوى)** ومنه **(الزاوية)** لانها تتكون من ضلعين كطرفي الغصن المكسور ، ثم فعل **(وزى)** ومنه **(وازى)** ثم **(وزن)** . ومن (وازى) قالوا : **واسى** ، ثم **ساوى،** **وتساوى** الشيئان فكل منهما سي الآخر اي صنوه ، ومن ثم قالوا : **هما سيان** ..

ومن **(الزو)** ايضا صاغوا **(الزوج)** بمعنى القرينين او الواحد منهما ، اي أن كلمة (الزوج) تجمع معنيي الزو والتو . ثم انهم قلبوا (الزوج) فصارت **(الجوز)** كما ينطقها بعض العرب اليوم ولاسيما فى سورية ومصر.. ومنها **(الجوزة)** الثمرة المعروفة لان قشرتها فلقتان كالزوجين .. ومنها فى الفارسية **(جفت** — joft) بمعنى القرينين وهذه ايضا اقتبستها العراقية الدارجة فى بعض الاستعمالات .

ومن (الطو) صاغوا كذلك **(الطوق)** و **(الطاق)** وكلتاهما تحمل معنى الانثناء والانحناء. وربما كان بعضهم قد صور صوت انكسار الغصن بلفظة **(طق)** الى جانب من صوروه بلفظة (طو) ، وما زال العراقيون يقولون (طق الصحن) مثلا بمعنى انكسر او انفطر . فان صح ذلك يكون (الطوق والطاق) من (طق) كما أن (طاو وطوى) من (طـو) .

و**(الطاق)** بمعنى التوس فى البناء يظنونها من الفارسية بينما كان وجود شقيقتها — الطوق — فى العربية خليقا بأن يهديهم الى عكس ما توهموا . و(الطاق) الى جانب معنى الانحناء تحمل معنى التفرد ايضا مثل التو كقولهم «طاقنعل»اي طبقة منها. والكلمة مستعملة فى الموصل فى مثل « طويت الورقة او الثوب او الغصن **طاقين** » ، وفى مثل « فتل الحبل **طاقين** » . وفى بغداد ينطقونها مقلوبة **(قاط)** . ومن (الطاق) بهذا المعنى اقتبست الفارسية كلمةاخرى هى **(تك)** : وحيد. وهذه ايضا عادت العراقية الدارجة فاقتبستها من الفارسية .

ومن (طوى) نجد فى السكسونية **(توا** — twa) : اثنان . ولا غرابة فى استعارة معنى الاثنين من الطي بعد الذي رأينا ، ولاسيما ان (الاثنين) فى العربية أيضا من نفس المعنى : (ثنى) . ومن (twa) صيغت فى الانكليزية (**two**) . ونجد نفس الكلمة (طوى) بمعنى الاثنين فى اللغات الآرية بوجه عام بابدال طائها دالا ، فهي فى السنسكريتية والفارسية **(دو** — dû) ، وفى الاغريقية واللاتينية **(duo)** وفى الايطالية (دوه — due) ، وفى الفرنسية**(deux)**

وعدا (توب — tup) توجد فى الفارسية من هذه المادة **(تبه** — tappeh) : التمة ، مثل الانكليزية (top) .

أما قول المؤثلين الانكليز ان الاثل الثاني لكلمة (top) التي تعني الخذروف هو (topf) الجرمانية ، فيبدو أن الجرمان هم الذين استعملوا الكلمة مجازا بمعنى الخذروف فأخذ الانكليز عنهم هذا المعنى .

وتوجد فى العراقية الدارجة كلمة **(طوب** — tôb) بمعنى المدفع ، وهي مقتبسة من الفارسية (توب) التي سبق ذكرها بمعنى الكرة ، لان الفرس استعملوها مجازا بمعنى المدفع ايضا والارجح انهم اطلقوها اول الامر على قنبرة المدفع ثم انتقل معناها الى المدفع نفسه .

يكون ترسيسها حسب المراحل التي تيسرت لنا معرفتها اذن شيئا كهذا : **طو** (مفترضة ؟) : صوت

انكسار الغصن — **طوى** طيا — **طاو** (كنعانية) — **طابة** (سورية) — **طوبة** (عراقية) — **توب** (فارسية) : وكلها بمعنى الكرة — **تبه** (فارسية) : قمة — (1) top (انكليزية) : قمة — topf (جرمانية) : خذروف — (2) top (انكليزية): خذروف .

نحاس : COPPER

أثلها Cypress ، وهو اسم جزيرة قبرص. وهذا غاية ما يذكره معجمنا الانكليزي المتيسر (the New Manifold Dictionary) لدينا الآن على علاته فى ظروفنا الراهنة — على علاتها ايضا . ولدى مراجعة المعجم اللاتيني المختصر الآخر الذي لدينا (6) — وجدنا ان الكلمة فى اللاتينية Cyprus وتعني جزيرة قبرص ايضا . ومنها Cyprium : نحاس ... ويؤثلها هذا المعجم من الاغريقية (kupros) قبرص ايضا.

اما فى العربية فان **(القبرس)** — كالقنفذ : اجود النحاس . ومعلوم أن النحاس الاصفر يسمى فى العربية **(الصفر)** ، وهي الكلمة المستعملة فى العراق بمعنى النحاس عموما — لكن بكسر الصاد بدلا من ضمه .

والذي يلوح لنا أن العرب كانوا قد سموا جزيرة قبرص باسم هذا المعدن (الصفر) لشهرتها به ، والاغلب انهم اطلقوا الكلمة اولا على النحاس الذي كانوا يجلبونه منها ، ثم شمل الاسم الجزيرة . وهذه احدى الحقائق التاريخية التي يكشفها لنا البحث الترسيسي — ان صح استنتاجنا . ولقد نطقها الاغريق بضم اولها kupros مثل فصحانا — لغة قريش ومن شاكلها لغويا من العرب — خلافا للعراقيين وغيرهم من العرب المعاصرين الذين ينطقونها اكثرهم بالكسر . اما (os) فى آخر الكلمة الاغريقية فعلامة اعراب تلحق بالاسماء عندهم ، فهي ليست من أصل الكلمة ، اي ان متن الكلمة الاغريقية هو kupr وحسب — كالعربية: **صفر** . ومثل ذلك يقال عن متن الكلمة فى اللاتينية : **cypr** . والحرف (p) فى امثال هذه الكلمات **يقابل حرف** الفاء بالعربية كما هو معلوم . ومن الطريف ان الفاء يقابلها الحرف (p) فى البابلية **ايضا** .

ونرجح ان الاغريق — عرب تلك المنطقة فى تلك الحقبة ؟ — قصدوا بكلمة **kupros** : النحاس ايضا ، لا اسم الجزيرة فقط ، بدليل ان كلا من الانكليز واللاتين صاغوا من هذه الكلمة اسم النحاس، بالاضافة الى ان العرب كذلك اعتبروا (القبرس) اجود النحاس .

أما الخطأ فى نطق (الصفر) بكسر اوله — اذا عددنا ذلك من الخطأ — فقديم عند العرب فيما يظهر لان اللاتين ايضا نطقوا الكلمة بالكسر Cypr (us) كما رأينا .

ونعود لترسيس كلمة **(الصفر)** نفسها . انها من **(الصفير)** . ولقد احسن العرب — مرة اخرى — حين مثلوا صوت الصفير بالصاد والفاء **(صف)** لانه فى واقع الامر مزيج من هذين اللونين ، نعني الحرفين. ويلوح أن هذا المعنى قد اندثر من هذه الصيغة الثنائية (صف) التي كسعت بالراء فيما بعد فصارت: **صفر** يصفر صفيرا .

وكان ان انتقل معنى الكلمة من الصوت الى اللون ، عن طريق النبات . وتفسير ذلك أن النبت اذا يبس اكتسب صفتين : صفرة اللون وصوت الصفير اذا هبت به الريح . فعلى هذا يكون معنى الصفرة منقولا من (صفير) النبات عند جفافه ، اي اصفراره .

ولا يستبعدن القارىء الكريم هذا التخريج منا ، فلقد قالت العرب فعلا : **« صيحت الشمس البقل »** بمعنى جففته . والذي نفهمه من هذا أن جفاف شجيرات البقول بحرارة الشمس يجعلها **(تصيح)** اذا دهمتها الريح ، ولا سيما حين تجف فيها حبوبها . ومن هذا قالوا تطويرا للكلمة **«صوحته الشمس»** فزال عن الكلمة معنى الصياح وثبت معنى الجفاف .

ونذكر نموذجا آخر من ملاحظتهم **لصوت** النبات فى **الريح** **واهتمامهم** به ، وهو نبات **(العشرق)** — بكسر العين والراء — الذي شبهوا وسوسة الحلي بصوته . والله يعلم كم طرب صاحبنا صناجة العرب حين ذكره العشرق بوسوسة الحلي عندما تتبختر فاتنة لبه — هريرة — بالذات ، الى حد انه كرم هذا النبات فى شعره فنعته بالزجل — بكسر الجيم — يوم قال :

تسمع للحلي وسواسا اذا انصرفت
كما استعان **بريح** عشرق زجل !

(6) نوهنا بقصور المراجع لدينا الآن لكي يعذرنا القارىء ان كانت هناك حقائق مهمة اخرى نجهلها [illegible] التفصيلية . وعسى الا يكون فقداننا لديها قد اوقعنا فى أغلاط كبيرة .

فهكذا اكتسب **(الصفير)** معنى **(الصفرة)** . وانما اطلقوا **(الصفر)** على « النحاس الاصفر » ، بل والذهب لصفرة لونهما .

على ماتقدم يكون رس الكلمة الانكليزية copper من صوت الصفير ، ويكون تتابع المراحل التي اجتازتها والصيغ التي تقمصتها شيئا يشبه «تناسخ الارواح » على هذه الوتيرة ، او ما يقاربها : **صف** (مندثرة بهذا المعنى ؟) — **صفر** (صفيرا) — **الصفرة** (اللون) — **الصفر** (النحاس ، ومن ثم جزيرة قبرص) — kupros : G. (قبرص ، والنحاس ايضا على الارجح) — Cyprus : L. (قبرص) — Cyprium : L. (نحاس) — Cypress : E. (قبرص) — Copper : E. (نحاس) — **القبرس** (اجود النحاس) — **قبرص** (اسم الجزيرة) .

وجائز ان الكلمة الانكليزية قد تطورت من (الصفر) مباشرة او عن طريق آخر ، فالشبه بين الكلمتين واضح على كل حال .

اقتبس الاغريق والرومان ، وبعدهم الانكليز وغيرهم ، هذه الكلمة من العربية ، لكن العرب عادوا كما نرى فاقتبسوا منهم اسم الجزيرة (قبرص) واجود النحاس (القبرس) . بضاعتهم ردت اليهم .

* * *

ان كان **(التاثيل)** علما اوربيا الى حد كبير — ومن قبل كان علما عربيا الى حد ما — فان **(الترسيس)** علم عربي محض ، وسيبقى عربيا ابدا . فما من لغة غير العربية جعلتها ظروفها الخاصة التي نأمل ان نتحدث عنها فى مجال آخر ، قادرة على النهوض بهذه المهمة لنفسها ولغيرها من اللغات ، بايجاد الارساس الحية للكثير من الكلمات الآرية ، واكثر منها للكلمات الحامية ، واكثر منها للكلمات السامية ، واكثر بطبيعة الحال للكلمات العربية نفسها .. مع ما يصل هذه الارساس البدائية بالالفاظ الحضارية الراقية العصرية من حلقات ، غير مفقودة ، فى تسلسل تطوري منطقي جذاب يرينا بعض المراحل التي تجسدت فيها الالفاظ معنى ومبنى ، او كلها فى بعض الاحوال .

وكل لغوي أجنب يروم دراسة **علم الترسيس** لامحيص له من تعلم العربية والغوص فى معجمها الى الاعماق لكي يصل الى الجذور ثم الى البذور التي نبتت منها لغته .

وفى امكاننا الآن ان نتكهن الى اي مدى سيكون اقبال علماء اللغة من مختلف الامم على تعلم العربية ، بالتفهم الذي ستلجئهم اليه هذه البدعة الترسيسية المتواضعة التي نزجيها هنا الى القارىء الكريم .

ولما كان **الترسيس** هو الاساس الذي سيقوم عليه علم **نشأة اللغة** وما يتصل به من علوم اللغة ، وبما ان الترسيس سيهدم كذلك بعض النظريات اللغوية السائدة ويجلو بعض الغوامض ويملأ بعض الثغرات فى « **فقه اللغة** » البشري — فاننا نرانا مضطرين الى تصحيح ما قلناه توا من ان اللغة العربية ستكون اساسا لعلم الترسيس ، فالصواب أن العربية وتطوراتها وتفرعاتها وهجراتها ستكون الاساس المكين لعلم فقه اللغة العالمي العام الذي سيعاد النظر فيه بجملته ومختلف فروعه ويعاد تخطيطه وتشييد صرحه على تصميم جديد من قوانين اللغة العربية وايحاءاتها .

وسيتضح كم سيرتقي علم اللغة ويصحح من اخطائه ويقضي على الكثير من تلكئه هنا وتردده هناك، وبأي سرعة ، حالما يأخذون بسلوك الطريق الاستقرائي العلمي الصحيح فى دراسته .. ابتداءا من اللغة العربية ..

نرجو الا يظن القارىء اننا نقول هذا بدافع من وطنية أو قومية او اي نوع من انواع العصبية ، فان البحث العلمي لا يخضع لدوافع من هذا الطراز . وما من عربي او غير عربي يستطيع ان يعرف مقدار الدماء الاجنبية فى شرايينه عبر الوف السنين ، ان لم يكن من جهة الآباء فمن جهات الامهات ، وخصوصا فى عصور التسري واختلاط الشعوب بالهجرات والمصاهرات وغيرها . فان كان فى الامر مفخرة اصلا فهي ليست للعرب وحدهم بل لجميع الشعوب التي يزعم علم الترسيس انها انحدرت منهم او امتزجت بهم .

ومرجع الامر كله على اية حال هو الظروف التي جعلت الصحراء العربية تصون لنا اوائل البدايات اللغوية كما جعلت الاقطار الخصبة المجاورة لها تتلقى الهجرات العربية من قلب البادية وتشييد الحضارات حوالي تلك الرمال فى داخل الجزيرة العربية وخارجها ، وتصنع الالفاظ الحضارية والمصطلحات الثقافية الراقية من تلك اللغة البدوية وما تفرع منها من لهجات ولغات .

ونحن شخصيا كنا قبل ان نتمعن فى درس العربية نظنها هي التي اقتبست المفردات المهمة المشتركة بينها وبين اللغات الاعجمية القديمة البائدة، كما لا يزال يظن سائر اللغويين الاعاجم والاعارب ، القدامى والمحدثين .

عبد الحق فاضل

الضاد الخالدة

لفضيلة الشيخ الحاج إبراهيم نياس

مفتي الديار السنغالية

توصلنا من فضيلة الشيخ الاستاذ الحاج ابراهيم نياس مفتي الديار السينغالية وحامل مشعل الدعوة الاسلامية فى البلاد الافريقية ببحث قيم حول اعجاز لغة القرآن وتطوراتها التاريخية ، وقد أبى حفظه الله الا ان يشيد بمجلة « اللسان العربي » ذلك « المنبر المبارك الذي يتعاقب عليه باستمرار المستعدون من أصحاب الغيرة على لغة القرآن يشيدون بعظمتها ويبرزون خصائصها ويدافعون عن حماها ويسخرون من المحاولات التي تستهدف تعطيل رسالتها الخالدة ، ولكن لغة الضاد مضمونة البقاء لانها بالقرآن عاشت وتحدت العصور والعقبات وبالقرآن تخلد » .

قال حفظه الله ما ملخصه :

اللغة العربية اقدم اللغات الحية فليس ثمة فى العالم لغة محكية اقدم منها ولا تزال اللغة العربية تحتفظ بالاعراب تاما كاملا كما كان شأن جميع اللغات القديمة ، اما معظم اللغات الاخرى فقد فقدت الاعراب ولكننا نجد الاعراب شبه تام فى اللغتين الالمانية والايسلندية كما نجد بعض الاعراب فى اللغة الدنمركية واللغة الروسية ، وهناك آثار للاعراب فى عدد من اللغات الباقية .

ويبدو أن اللغة العربية انفصلت مع اخواتها الشماليات من اللغة السامية الام منذ زمن بعيد جدا ثم عادت فانفصلت من المجموعة الشمالية ايضا منذ زمن بعيد واذا نحن دققنا النظر فى اللغة العربية وجدناها اكثر اخواتها الساميات مفردات واتمها صيغا واكملها صرفا ونحوا وارقاها بيانا وبلاغة وأحسنها اسلوبا من اجل ذلك لا نستبعد أن تكون اللغة العربية هي اللغة السامية الام الفصحى وان سائر اللغات السامية من شمالية كالبابلية والكنعانية والارامية ومن جنوبية كالحبشية والحميرية لهجات ومع كثرة الصلات التي كانت بين عرب الشمال وعرب الجنوب منذ اقدم الازمنة فان لغة حمير اليمن ابتعدت كثيرا عن اللغة المضرية العربية الشمالية التي نزل بها القرآن الكريم حتى قال ابو عمرو ابن العلاء منذ صدر الدولة العباسية : « ما لسان حمير واقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا » .

وكان جميع العرب الذين كانوا يسكنون النصف الشمالي من شبه الجزيرة فى البحرين واليمامة ونجد والحجاز سواء اكانوا ينتسبون الى مضر او الى اليمن يتكلمون لغة واحدة وينظمون فيها اشعارهم فلقد رأينا شعراء الجاهلية من أي المواطن كانوا ينظمون قصائدهم بلغة واحدة فى كل شيء ثم يحملون تلك القصائد لينشدوها فى جميع اقسام بلاد العرب وفى العراق والشام حتى اليمن نفسها مما يدل على أن لغة مضر كانت فى الجاهلية اللغة العامة للعرب كلهم .

على أن هذا لم يمنع أن يكون للعرب لهجات محلية مأنوسة فى قبيلة قبيلة على أن معنى اللهجة هنا انما هو استعمال الفاظ مختلفة للمعنى الواحد فى بعض الاحيان والمجيء بصيغ متباينة لتلك الالفاظ احيانا أما التركيب والنحو والمنطق اللغوي فكانت كلها واحدة .

ففي الحجاز مثلا كانوا يسهلون الهمزة فيقولون سال سل وكد كلاك بينما كان اهل نجد يقولون سأل اسأل اكد كلأك وكان اهل الحجاز يقولون وعد بمعنى هدد وكان بعضهم يقول سكين بينما بعضهم الآخر كان يسمي السكين مدية ، ولقد كانت هذه الالفاظ المختلفة في القبائل المختلفة مألوفة على كثرة أو قلة في جميع بلاد العرب ودائرة على السنة شعراء الجاهلية فلما جاء اصحاب المعاجم عدوا جميع هذه الالفاظ عربية تامة فضموها الى معاجمهم من غير تفريق بينها .

ومن هنا نشأت المترادفات الكثيرة حتى رأينا للسيف فى القاموس العربي الف اسم وحتى رأينا كلمة خال تدل على أربعين معنى .

وخضعت لغة مضر لما كانت قد خضعت له اخواتها من قبل بعوامل من الهرم وبتأثير من العوامل الاجنبية فبدأ فيها اللحن قال ابو عمرو بن العلاء : « فحلان من الشعراء كانا يخطئان فى حركة الروى الحرف الذي تبنى عليه القافية النابغة وبشر بن ابي خازم وهذا معروف عند امرىء القيس وعند غيره ايضا فاذاكانوا يلحنون فمابالك بسائر اهل الجاهلية».

وفى خصائص ابن جني(ص37):«ونزل القرآن الكريم بلغة العرب التي كانوا ينظمون فيها شعرهم ويلقون فيها خطبهم ويتخاطبون بها فيما بينهم ومصداق ذلك قوله تعالى فى سورة ابراهيم وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم » .

وجاءت صفة مبين نعتا للسان العربي وللقرآن وللكتاب وللرسول اثنتى عشرة مرة فى القرآن الكريم منها « ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين » ومنها ايضا « نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين » . ومع نزول القرآن الكريم ولاهتمام المسلمين بتدوين كل آية عند نزولها ثم بالمحافظة على كل جملة ولفظة وحركة ووقف عليه.

وقفت لغة مضر عن التقهقر وحفظت الى اليوم كما كانت فى عهد الرسول لغة لنا فصحى صحيحة مأنوسة ومنذ الجاهلية دخلت على اللغة العربية كلمات اعجمية لمسميات لم تكن عند العرب ثم طرأت عليهم فأخذوها بأسمائها غير أن اللسان العربي استطاع أن يصقل هذه الالفاظ الاعجمية حتى أصبح بعضها وكأنه عربي خالص .

من هذه الالفاظ : قرطاس درهم دينار سجل برنس كرسي دمقس استبرق قصر ، وهذه الكلمات الاعجمية دخلت فى الشعر الجاهلي وبعضها ورد فى القرآن الكريم .

وبينما كانت اللغة العربية تتمثل هذه الالفاظ الاعجمية كانت ثمة الفاظ عربية خالصة تخرج من الاستعمال وتصبح غريبة بعد أن كانت دائرة فى الشعر الجاهلي وبعد أن كان بعضها قد جاء فى القرآن الكريم من هذه الالفاظ الحبك (بضمتين) الحبي (بفتح الحاء وضمها وبكسر الباء بعدها ياء مشددة) الفند (بفتحتين) الكذب المحال (بكسر الميم) .

ومع ان عرب الجاهلية لم يكونوا اهل كتابة فان الكتابة عندهم لم تكن نادرة كما يتخيل بعضهم. لقد كان العرب يكتبون بينهم العقود والمواثيق ويكتبون الرسائل فى بعض الاحوال ويبدو ان الشعراء كانوا يدونون أشعارهم أيضا ومع ان الكتابة كانت معروفة فى الجاهلية فانها لم تكن مألوفة وخصوصا فى البادية.

وكثر اللحن بعد الاسلام بعوامل كثيرة منها اختلاط العرب بغيرهم من الروم والفرس والنبط بعد ان دخل هؤلاء فى الاسلام وبعد ان نزل العرب بالفتح فى الشام والعراق وفارس والهند وافريقية والاندلس.

ومن اسباب اللحن سكنى المدن التي يكثر فيها الاعاجم ومنها كثرة الجواري فى الحياة العربية وقد كن عجميات أو مولدات ومنها تفشى الجهل بترك نفر من اهل المدن دراسة اللغة والنحو ومنها الجوازات فى الشعر فقد كانت تبدأ اضطرارا ثم تعم بطول القراءة والرواية وعم اللحن حتى أن الحجاج ابن يوسف كان يستدرك عليه اللحن بعد اللحن ، اما الخليفة الوليد بن عبد الملك فقد كان لحانا .

وقال الفخر الرازي فى تفسيره عند قوله تعالى: او يأخذكم على تخوف وعن عمر انه قال على المنبر « ما تقولون فى هذه الآية فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال عمر هل تعرف العرب ذلك فى اشعارها ؟ قال نعم ، قال شاعرنا :

تخوف الرحل منها تامكا قردا
كما تخوف عود النبعة السفن

وقد خطأوا المتنبي وابا تمام والبحتري فى اشياء كثيرة كما هو مسطور فى شروح تلك الدواوين وفى الاقتراح للجلال السيوطي : « اجمعوا على انه

لا يحتج بكلام المولدين والمحدثين فى اللغة والعربية وفى الكشاف ما يقتضي تخصيص ذلك بغير ائمة اللغة ورواتها فانه استشهد على مسالة بقول ابي تمام الطائي » .

واول الشعراء المحدثين بشار بن برد وقد احتج سيبويه ببعض شعره تقربا اليه لانه كان هجاه لتركه الاحتجاج بشعره ذكره المرزباني وغيره ونقل ثعلب عن الاصمعي انه قال ختم الشعر بابراهيم بن هرمة وهو آخر الحجج اهـ

ومن جهة اخرى يجوز الاستشهاد بمتواتر القرآن وشاذه .

وكذلك الاستدلال بحديث النبي صلى الله عليه وسلم فقد جوزه ابن مالك ، ومنعه ابن الضائع وابو حيان وسندهما ان الاحاديث لم تنقل كما سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم وانما رويت بالمعنى وان ائمة النحو المتقدمين من المصريين لم يحتجوا بشيء منه ورد الاول على تقدير تسليمه بأن النقل بالمعنى انما كان فى الصدر الاول قبل تدوينه فى الكتب وقبل فساد اللغة ، وغايته تبديل لفظ بلفظ يصح الاحتجاج به فلا فرق على أن اليقين غير شرط بل الظن كاف، ورد الثاني بانه لا يلزم من عدم استدلالهم بالحديث عدم صحة الاستدلال به والصواب جواز الاحتجاج بالحديث للنحوي فى ضبط الفاظه ويلحق به ما روي عن الصحابة .

وتجويز الرواية بالمعنى هو السبب — كما قال ابو الحسن بن الضائع فى شرح الجمل — فى ترك الائمة كسيبويه وغيره الاستشهاد على اثبات اللغة بالحديث واعتمدوا فى ذلك على القرآن وصريح النقل عن العرب ولولا ذلك لكان الاولى فى اثبات فصيح اللغة كلام النبي صلى الله عليه وسلم لانه افصح العرب على أن ابن خروف يستشهد بالحديث كثيرا .

وانتقد ابو حيان فى شرح التسهيل على مصنفه الاستدلال بما وقع فى الاحاديث على اثبات القواعد الكلية فى لسان العرب ملاحظا انه ما راى احدا من المتقدمين والمتاخرين سلك هذه الطريقة غيره على أن الواضعين الاولين لعلم النحو المستقرئين للاحكام من لسان العرب كابي عمرو ابن العلاء وعيسى ابن عمر والخليل وسيبويه من ائمة البصريين والكسائي والفراء وعلي بن المبارك الاحمر وهشام الضرير من ائمة الكوفيين لم يفعلوا ذلك ، وحذا حذوهم المتاخرون من الفريقين وغيرهم من نحاة الاقاليم كنحاة بغداد واهل الاندلس .

ولو وثق الناس ان الحديث هو لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم لجرى مجرى القرآن الكريم فى اثبات القواعد الكلية . غير اننا نجد قصة واحدة تدجرت فىزمانه صلىالله عليهوسلم ترويبالفاظ مختلفة نحو ما روي من قوله زوجتكها بما معك من القرآن أو ملكتكها بما معك من القرآن او خذها بما معك من القرآن ، فنعلم يقينا انه صلى الله عليه وسلم لم يلفظ بجميع هذه الالفاظ بل لا نجزم بانه قال بعضها اذ يحتمل انه قال لفظا مرادفا لهذه الالفاظ غيرها فاتت الرواية بالمرادف ولم تأت بلفظه اذ المعنى هو المطلوب ولاسيما مع تقادم السماع وعدم ضبطها بالكتابة، والاتكال على الحفظ والضابط منهم من ضبط المعنى ، واما من ضبط اللفظ فبعيد جدا لاسيما فى الاحاديث الطوال . وقد قال سفيان الثوري ان قلت لكم اني احدثكم كما سمعت فلا تصدقوني انما هو المعنى ومن نظر فى الحديث ادنى نظر علم العلم اليقين انهم يروون بالمعنى، وهناك شيء آخر وهو أنه وقع اللحن كثيرا فيما روى من الحديث لان كثيرا من الرواة كانوا غير عرب بالطبع ويتعلمون لسان العرب بصناعة النحو فوقع اللحن فى كلامهم وهم لا يعلمون ودخل فى كلامهم وروايتهم غير الفصيح من لسان العرب ، ونعلم قطعا من غير شك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان افصح الناس فلم يكن يتكلم الا بافصح اللغات واحسن التراكيب واشهرها واجزلها واذا تكلم بلغة غير لغته فانما يتكلم بذلك مع اهل تلك اللغة على طريق الاعجاز وتعليم الله ذلك له من غير معلم اهـ

وتدوين الاحاديث والاخبار بل وكثير من المرويات وقع فى الصدر الاول قبل فساد اللغة العربية حين كان كلام اولئك المبدلين على تقدير تبديلهم يسوغ الاحتجاج به وغايته تبديل لفظ بلفظ يصح الاحتجاج به فلا فرق بين الجميع فى صحة الاستدلال .

واليك نبذة من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم :

— المسلمون تتكافا دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم .

— الناس كاسنان المشط والمرء مع من احب ولا خير فى صحبة من لا يرى لك ما ترى له والناس معادن وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن

وهو بالخيار ما لم يتكلم . ورحم الله عبدا قال خيــرا فغنم أو سكت عن شـــر فسلم .

— اسلم تسلم واسلم يوتك الله اجرك مرتيـــن وان احبكم الي واقربكم مني مجلسا يـــوم القيامـــة احاسنكم اخلاقا الموطأون اكنافا الذين يألفون ويؤلفون

— لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وقوله ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ومنع وهات وعقوق الامهات ووأد البنـــات .

— اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنـــة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وخير الامـــــــور اوسطهـــا .

— احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وقوله الظلم ظلمات يوم القيامة .

الى غير ذلك من بيانه مما روته الكافة عـــن الكافة مما لا يقـــاس به .

وقال صلى اله عليه وسلم بيد أني من قريش ونشأت فى بني سعد فجمع الله بذلك قوة عارضـــة البادية وجزالتها ونضارة الفاظ الحاضرة ورونـــــق كلامها الى التأييد الالهي الذي مدده الوحي .

وقد تواترت الروايات بقصـــة الوليد بن المغيرة : انطلق الوليد بن المغيرة حتـــى اتـــي مجلس قومــه من بني مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام البشر ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو ولا يعلى عليه ، ثـــم انصرف الـــى منزله فقالت قريش صبأ والله الوليد والله لتصبأن قريش كلهم الى آخر القصة اهـ

قال الاستاذ الشيخ طنطاوي الجوهري :

جوهرة فى اعجاز القرآن (ص 111) حديث عجيب فى بلاغة آية « يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيـــد » .

فى يوم 13 يونيو سنـــة 1932 قابلني الاديـــب المصري الاستاذ كامل كيلاني فحدثني حديثا عجيبـــا كان أشار اليه قبيل ذلك بمدة قبيل تقديم هذه السورة الى الطبع وهذا الحديث راجع الى البلاغة التي ظهرت فى آية يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد فهـــاك حديثـــه :

قال كنت مع الاستاذ فنكل وهو من افاضــــــل المستشرقين الامريكيين وكانت بيني وبينه صلات ادبية وثيقة وكان يأخذ برايي فى ذكر المشاكل التي تقابله فى الادب لما يعتقده في من الصراحة ؛ ففي ذات يـــوم همس فى أذني متهيبا فقال خبرني عن رأيك بصراحتك المعروفة ، اممن يعتقدون اعجاز القرآن أنت ام لعلك تجاري جمهور المسلمين الذين يتلقنون ذلك كابرا عن كابر ، وابتسم ابتسامة كـــل معانيها لا تخفى علـــى احد وهو يحسب أنه قد القى سهما لا سبيل الى دفعه فابتسمت له كما ابتسم لي وقلت لكي نحكم على بلاغة اسلوب بعينه ، يجب ان نحاول أن نكتب مثله او نقلده فلنحاول ليظهر لنا انحن قادرون ام عاجزون عـــــن محاكاته وتقليده فلنجرب ان نعبر عن سعة جهنـــم فماذا نحن قائلون؟ فأمسك بالقلم وامسكت به فكتبنا نحو عشرين جملة متخيرة الاسلوب نعبر بهـــا عن هذا المعنـــى .

فقلت له مبتسما ابتسامة الظافر الواثق :

الآن تتجلى لك بلاغة القـــرآن واعجازه بعـــد أن حاولنا جهدنا ان نحاكيه فى هذا المعنى فقال هـــل ادى القرآن هذا المعنى بأبلغ مما اديناه فقلت لقـــد كنا اطفالا فى تأديتـــه .

فقال مدهوشا وماذا قال قلت له يـــوم نقـــول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد .

فصفق او كاد وفتح فاه كالابله امام هذه البلاغة المعجزة وقال لي : « صدقت نعم صدقت وانا اقـــرر لك ذلك مغتبطا من كل قلبي » هذا لفظه فقلت له :

« ليس عجيبا أن تذعن للحق وانت اديب خبير بقيمة الاساليب » .

وهذا المستشرق يجيد الانجليزية لانها لغة بلاده فى امريكا والالمانية لانها اللغة التـــي درس بها الادب والعبرية لانها لغة الامومة والعربية لانهـــا اللغـــة التي وقف حياته على درس ادبها فهو رجل متخصص للادب وقد جعل حياتـــه وقفـــا عليـــه .

دراسات وأبحاث لغوية

عروبة عريقة
من المحيط إلى الخليج

الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

ان من ابرز ما تمتاز به العامية فى جناحي العروبة ما بين المغرب واقطار الخليج العربي — وخاصة فى الكويت والبحرين وقطر التي تشرفنا بزيارتها خلال فصل الربيع الماضي بدعوة من حكوماتها الموقرة — هي اصالة معظم مصطلحاتها الدارجة بالنسبة للفصحى ولا بدع فالخليج عريق فى العروبة وقد استعمل سترابون Strabon (1) كلمة الخليج العربي فى وصفه للحملة التي قام بها الرومان على بلاد العرب (2) وكان للعرب الكنعانيين جولات فى هذا الخليج قبل التاريخ الميلادي بالف عام وما زالت آثارهم قائمة الى الآن وتحمل احدى مدن الخليج العتيقة اسم صور أي تير Tyr عاصمة الفينيقيين على الساحل الشرقي للبحر الابيض المتوسط على نسق المدن التي اسسها الكنعانيون فى الجناح الغربي للعروبة منذ عام 1.101 قبل الميلاد بالمغرب الاقصى (ليكسوس Lixus) وتونس (Utique) والاندلس (مالقة وقادس) وهبو Hippo (عنابة وبنزرت) وكانت اللغة البونية langue punique الشبيهة بعامية افريقيا الشمالية (راجع كتابنا معطيات الحضارة المغربية وبحثنا فى « اللسان العربي » العدد الثاني ص 34 عام 1965 حيث نشرنا رسما كشف فى البرازيل عن حجارة مكتوبة بالعربية البونية تحمل تاريخ 125 ق.م) قد سادت كثيرا من الاقاليم العربية التي استوطنها الكنعانيون منذ الالف الثانية قبل الميلاد وهو تاريخ انطلاق حضارتهم وهذه الاقاليم تنتشر من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي ويرى ابن خلدون (المقدمة ج 1 ص 58 طبعة مصر 1936) ان ابراهيم الخليل عليه السلام تزوج بعد سارة بقنطورة بنت يقظان الكنعانية فولدت له ستة اولاد منهم يقشان جد البربر الذين انتقلوا من جنوب فلسطين عن طريق مصر حوالي 1.300 ق.م. ثم تتابعت الجاليات الكنعانية ولهذا اعتبر الحسن الوزان الفاسي (وهو ليون الافريقي Léon l'Africain) الفينيقيين عنصرا هاما فى سكان افريقيا الاقدمين ، وقد انتقل فوج ثان من الكنعانيين صحبة مصريين الى افريقيا الشمالية عام 1215 ق.م. عندما اجلاهم الاسرائيليون عن فلسطين ثم فوج ثالث ممن اجلوا أيام نبي الله داود عليه السلام عام 1055 ق.م.

ومعلوم ان العرب كانوا يملأون هضاب وبطاح

---

(1) جغرافي اغريقي ولد عام 58 قبل الميلاد وتوفي بين سنتي 21 و 25 ميلادية كتب جغرافية ما زال معظمها موجودا الى الآن ولكن قيمة هذا العالم المؤرخ لم تعرف الا منذ القرن السادس عشر الميلادي

(2) جواد علي فى « تاريخ العرب قبل الاسلام » ج2 ص 380 وكذلك المقدسي البشاري الذي عاش عام 985م استعمل كلمة « بحر العرب » فى تقسيمه للابحر السبعة (كتاب احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص 17) .

ويرجع اطلاق المؤرخين الخليج الفارسي على الخليج العربي الى القائد اليوناني نيركس لما عاد من الهند مبعوثا من سيده الاسكندر الاكبر لانه لم يمر الا من الساحل الشرقي فقط (كتاب قطر ماضيها وحاضرها لمصطفى مراد الدباغ ص 24) راجع مجلة « الاقلام التي تصدرها وزارة الثقافة والارشاد ببغداد ج 8 ص 64 السنة الاولى .

جنوب افريقيا فقد كشف الدكتور استانلي تيمبور على مقربة من نهر زمبر فى مقاطعة رديسيا آثارا منقوشة عليها رسوم مكتوبة استدل بها على أن العرب قد استثمروا مناجم الذهب التي كان استثمرها اسلافهم عرب اليمن قبل ذلك بعهد طويل ولاحظ صاحب قصة الحضارة (ج 2 ص 43) (3) ان الحضارة ظهرت فى بلاد آسيا الغربية وبخاصة فى بلاد اليمن وبلاد المغرب القديمة قبل ظهورها فى مصر وما بين النهرين ومنها انتشرت فى صورة مثلث ثقافي الى سومر وبابل واشور والى مصر (4) وقد تحدث ابن خلدون (ج 1 ص 99 طبعة بيروت) عن عروبة الاطلس المغربي فأشار الى ما اكده المؤرخون والنسابون العرب امثال الطبري والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي من ان صنهاجة (سكان الاطلس الاوسط) ومصمودة (الاطلس الكبير) وكتامة (السهول الشمالية والشرقية بالمغرب) عرب يمنيون من سلالة حمير فيكون البرابرة على هذه الرواية اعرق فى العروبة من ربيعة ومضر لانهم من بني افريقش بن قيس بن صيفي الحميري (5) والعامل الجوهري الذي يؤكد تلك الرابطة الموصولة بين عرب افريقيا الشمالية وبين الخليج العربي الى البصرة ؛ ان القوافل التجارية كانت تربط بين بصرة المغرب (6) وبين بصرة المشرق عن طريق الخليج العربي مما ضاعف الاتصال والتبادل الفكري واللغوي بين هاته المراكز وان هذا الاثر العربي ربما وصل الى بابل وخوزستان منذ ما قبل الميلاد اذا صدقنا الرأي القائل بأن قانون حمورابي عربي وان العربية كانت لها جولات فى هذه الاصقاع فلفظ الحوز مثلا يطلق فى المغرب على ناحية مراكش اي الاقليم المحيط بها والاهواز — كما جاء فى معجم البلدان — جمع هوز واصله حوز لانه ليس فى كلام الفرس حاء حيث يقولون مهد فى محمد .. وعلى هذا يكون الاهواز اسما عربيا سمي به فى الاسلام وكان اسمها فى ايام الفرس خوزستان واصل الحوز فى كلام العرب من الحيازة اي الحصول والملك وقد نص سالوست Salluste (7) على ان الفرس الذين حاولوا الاغارة على ايبريا (اي اسبانيا) فى عهد هيروكولس Heraclès (هيركول اللاتيني الذي سميت به اساطين هرقل اي مضيق جبل طارق شمالي المغرب الاقصى) قد تحولت اشرعتهم بالريح الى المحيط الاطلنطيكي فوصلوا الى جنوب المغرب حيث اتصلوا بالجيتول Getules (وهم جزولة على مايظهر) فتصاهروا معهم وسميت سوس او سوسة (8) باسم سوسانة Susiane (أو ارض عيلام Elam) بالاهواز وقد اشتهر الفرس بالنوميديين ومعناه الرمل بلغتهم واطلق على سكان الجزائر وقسم من تونس (اي نوميديا الشرقية وعاصمتها قرطاج) .

وهكذا نرى ان الوصلة موثوقة بين عاميتي المغرب العربي والخليج العربي قبل الاسلام بأزيد من الف عام بفضل بني كنعان وبني قحطان من حميريي اليمن .

وهاكم امثلة عن مظاهر الوحدة والاختلاف بين هذه اللهجات العربية (راجع قسم المعاجم) .

---

(3) نقلا عن : Child, Ancient East, p. 216

(4) مما يدل على عروبة مصر كما قيل وجود اسماء عربية فملك مصر فى عهد يوسف عليه السلام هو الريان بن الوليد الذي خلفه قابوس بن مصعب ابن معاوية (الكامل لابن الاثير ج1 ص72 طبعة 1348)

(5) ذكر القلقشندي فى صبح الاعشى (ج1 ص321) ان افريقش هذا هو الذي نقل البربر من سواحل الشام الى المغرب كما رجحه ابن خلدون وان اكثر الاقوال جانحة الى ان البربر عرب وان لم يتحقق من اي عرب هم وقد انكر عروبتهم ابو عمرو بن عبد البر وابن حزم وابن خلدون الذي نقل عن جمهرة ابن حزم (التاريخ ج 6 ص 96) انه ما كان لحمير طريق الى بلاد البربر الا فى تكاذيب مؤرخي اليمن ويظهر ان ابن خلدون اغفل الطريق القديمة التي كانت تصل اليمن عن طريق بحر القلزم وصحراء السودان والتشاد فالصحراء المغربية الممتدة من تنبكتو الى نهر النيجر الى مراكش تلك الطريق التي حكى الحسن الوزان انه سلكها مع القوافل التجارية فى اواخر القرن العاشر الهجري فرارا من قراصنة طريق سواحل البحر الابيض المتوسط ومعلوم ان سجلماسة كانت مركزا تجاريا تتوارد عليه قوافل البصرة والكوفة وبغداد .

(6) التي تقع بالقرب من القصر الكبير بشمال المغرب والتي هدمها ابو الفتوح عام 368هـ وكانت مركزا اقتصاديا هاما لصنع الكتان (البيان المغرب لابن عذارى ج 1 ص 330) .

(7) مؤرخ روماني 35—86 ق.م. فى كتابه Guerre de Jugurtha (يوغورطا هو ملك نوميديا ولد عام 154 ق.م. وهو ابن اخ Micipsa نجل ماسينيا امير البربر . .

(8) ولعل اسم مدينة سوسة التونسية يرجع لنفس المصدر اذا صحت الرواية .

امثلة من
الدلالة التاريخية للفظ العربي

الاستاذ عبد الله كنون

عضو مجمع اللغـــة العربية (القاهـــرة)

القنـــــداف

قرات من مدة طويلة فى التنراف كتاب المدارك للقاضي عياض اثناء ترجمته للامام مالك ، والكتاب من امهات كتب التراجم لعلمـــاء المالكيـــة وهو ما يـــزال مخطوطا غير مطبوع كما لا احتاج ان اقول ، قرات مـــا يلـــي :

« قال ابو مصعب قال لنا المغيرة تعالوا نجتمع ونستذكر كل ما بقي علينا مما نريد أن نسأل عنه مالكا فمكثنا نجمع ذلك وكتبناه فى تنداق ووجه به المغيرة اليه وسأله الجواب فأجاب فى بعضه وكتب فى الكثير منه لا ادري . فقال المغيرة ياقوم لا والله ما رفع الله هذا الرجل الا بالتقوى من كان منكم يسأل عن هـــذا يرضى أن يقول لا ادري ؟

وقرات فيه هذه النبذة ايضـــا :

« قال القطان لما مات مالك رحمه الله خرجت كتبه فأصيب فيها تنداق عن ابن عمر ليس فى الموطـــا منه شـــيء الا حديثـــان .

وهذه النبذةالثالثـــة :

« قال عتيق : قال مالك اخذت عن ابن شهاب تسعة تناديق فى بطونها وظهورها . ان منهـــا اشيـــاء ما حدثت بها منذ اخذتها بالمدينة .

واخيـــرا قرات هذا الخبـــر :

« لما دفن مالك اخرجت كتبه فاذا فيهـــا سبـــع تناديق من حديث ابن شهاب ظهورها وبطونها مـــلأى وعنده (1) تناديق وصناديق مـــن كتب اهل المدينة . فجعل الناس يقرأون ويقولون : رحمك الله ابا عبد الله ، لقد جالسناك دهرا طويلا فما رايناك ذاكرتنـــا بشـــيء من هـــذا .

وقد استوقف نظري فى هذه الجمل لفظ تنـــداق وجمعه تناديق ، ولـــم اكـــن سمعت بـــه من قبل ، فرجعت الى لسان العرب فوجدته يقول : « التنداق: صحيفة الحساب)» ولم يذكره فى القاموس ، لكـــن صاحب التاج استدركه عليه بهذه الصورة :

« ومما يستدرك عليه التنداق صحيفة الحساب كما فى اللسان واورده المصنف تبعا للصاغاني فى فندق (هنا موضعه) وقد رجعت الى القاموس فى فصـــل الفاء من باب القاف فاذا نصه : والفنداق بالضـــم صحيفة الحساب) وزاد عليـــه فى الشـــرح قولـــه : « وقال الاصمعي احسبه معربا قلت والمشهور بالقاف كما ياتي (2) » ثم رجعت الى اللسان فى فصل الفـــاء من حرف القاف فاذا هو يقول : « الليث : الفنداق هو صحيفة الحساب قال الاصمعي احسبه معربا » .

فملت من هذه الاقوال ان التنداق هو صحيفـــة الحساب ولكن لا على سبيل القطع فان بعضها يجعله بالفاء بدل القاف فبقي علي تحقيق ذلـــك ، ثم النظـــر فى وجه تسمية هذه الصحف التي تخلفت عن مالـــك والتي رفعت اليه وفيها مسائل الفقه والعلم بالتنداق وهو صحيفة الحساب ، وبعد ذلك معرفة اصلـــه اذا كان معربا ، فان هذه الاقوال لم تنص على اللغة التي عرب منهـــا .

وقد استنجدت بكتاب المعرب للجواليقي فوجدته قد ذكره فى باب الفاء ولم يزد شيئا علىقوله «والفنداق

---

(1) كذا بالاصل ولعل الصواب وعدة .

(2) اي فى فصل القاف من بابه . وهو النص السابقمما استدركه على المتـــن .

صحيفة الحساب اعجمية معربة » واملت أن يكون عند صاحب شفاء الغليل مزيد من علم يشفي غلتي فاذا هو لم يذكر اللفظ اطلاقا في حرف الفاء ولا في حرف القاف .

ازاء هذه المعلومات المضطربة والمراجع الشحيحة لم يبق امامي الا اللجوء الى ارباب المعرفة باللغات الشرقية التي يظن ان العربية اخذت ذلك اللفظ منها ولما لم احصل على جواب كاف قررت البحث في معاجم اللغات المشار اليها ، ولم يكن عندي منها الا معجم واحد صغير يسمى الدراري اللامعات في منتخبات اللغات وهو كما قال صاحبه محمد علي الانسي قاموس للغة العثمانية يحتوي على الكلمات التركية والالفاظ الفارسية والافرنجية المتداولة في تلك اللغة ، مطبوع في بيروت سنة 1318هـ ، وقد جاء فيه اثناء حرف القاف ما يلي :

« توناداق : مشدود ، قماط ، لفافة ، مؤخر البارودة . شعلة ثم زاد قائلا :

« توناداقجي : مصلح البواريد ، محرق » .

ونستفيد من هذا النص ان التعريب الذي حصل في لفظ الكلمة هو حذف الواو من بعد القاف ، وان صحيفة الحساب ليس من جملة معاني اللفظ وقد نقلت كلام هذا المعجم في التوناداقجي لانه كان عندنا في طنجة اسرة من قدماء مهاجري الجزائر اسمها العائلي هو القنداقجي ، وكان بعض الناس يحرفه الى الخندقجي فكلمت رئيسها يوما في ذلك وكنت اعتقد ان الخندقجي صواب وانه نسبة الى الخندق ، فقال لي بل هو بالقاف وانه يرجع الى احدى الصنائع المتعلقة بالبندقية او المكحلة كما نقول نحن في المغرب للبندقية . وقد صحح هذا المعنى النقل المذكور من قاموس اللغة العثمانية ، وبين لنا أن تلك الصنعة تتعلق بخشبة البندقية التي عبر عنها في هذا القاموس بمؤخر البارودة وعن صانعها بمصلح البواريد » .

وبعد هذا أوقفني الاخ الاستاذ محمد الخالصي من أفاضل علماء بغداد على النص الآتي من المعجم الفارسي « فرهنك نفيسي ج 4 ص 2713 : » قنداق من التركية : الخشبة توضع فيها انبوبة البندقية . الخرقة تلف بها يدا الطفل ورجله وتشد بشريط .

ثم على نص آخر من معجم فارسي لسيد محمد علي، اسمه (فرهنك نظام) ج4 ص 142 وهو «قنداق: محرف غنداغ » .

ونقل التفسير الآتي عن هذا المعجم في لفظ غنداغ من ج 3 ص 747 ونصه :

« غنداغ : الخرقة يلف بها الطفل الرضيع ، أصل الكلمة في السنكريتية بمعنى اللف » .

ولاحظ الاستاذ الخالصي ان كلمة غنداغ لا تزال مستعملة في اللغة الفارسية الدارجة بمعنى القماط الذي يلف فيه الوليد وقد تلفظ قنداغة او غنداغة ، كما ان العراقيين ما زالوا يطلقون على اخمص البندقية كلمة القنداق .

هذا فيما يتعلق بالقنداق بالقاف واما الفنداق بالفاء فقد نقل لي الاخ المذكور من المعجم الفارسي (فرهنك نفيسي) قوله عنه في ص 2589 من الجزء الرابع انه (نامة حساب) وترجمتها ورقة الحساب .

فيؤخذ من هذه النصوص أن القنداق هو غير الفنداق ، وأن الاول أصله الغين وقد حرف الى القاف وعرب بالقاف خلاف الثاني فانه بالفاء أصلا .

أما من حيث المعنى فان الذي يطلق على صحيفة الحساب هو الفنداق بالفاء كما اقتصر عليه معجم فرهنك نفيسي ولم يذكر هذا المعنى لذي القاف هو ولا صاحب الدراري اللامعات . وعليه فان المجد الفيروزبادي على صواب في ذكره في فصل الفاء من باب القاف بهذا المعنى مقتصرا عليه تبعا للصاغاني كما قال صاحب التاج . واعتراض هذا عليه بأن موضعه القاف وانه هو المشهور غير صحيح .

ويتأيد هذا بذكر الجواليقي له في الفاء غير متردد كما تردد ابن منظور حين ذكره في الحرفين معا.

وعلى كل حال فنحن نطلب تفسير لفظ القنداق الذي ورد في تلك العبارات المتعددة من كتاب المدارك بالقاف افرادا وجمعا ، ومعنى ورقة الحساب بعيدة عن المراد به فضلا عن أنها انما تفسر ذا الفاء وليس هو مطلوبنا .

ونرى أن ما ورد في تفسير القنداق من انه القماط واللفافة وقول صاحب معجم (فرهنك نظام) أن أصل الكلمة في السنكرتية بمعنى اللف ، يوحي لنا بأنهم كانوا يطلقون اللفظ على الصحيفة التي تلف وتلوى كالانبوبة والجعبة ، وأن هذه القناديق التي وجدت في تركة الامام مالك أو التي وجهت اليه كانت صحفا مكتوبة تارة من وجهين وتارة من وجه واحد وهي ملفوفة كما يلف القماط على الوليد وذلك على مثال ما لا يزال الكثير منا يفعله في الوثائق والخرط ونحوها . وهو من مجاز التشبيه كما لا يخفى .

ان هذا هو ما وصلت له بعد البحث الدقيق في معنى هذا اللفظ واذا كان عند أهل الذكر شيء غير هذا فليخرجوه لنا مشكورين .

التقييم

كثر استعمال هذا اللفظ في الايام الاخيرة ، وخاصة من النقاد المحدثين كثرة ملحوظة تنبىء عن الاصرار على مخالفة القياس به ، وعدم الأخذ بتوجيهات علماء النحو والصرف الذين لم يفتأوا ينبهون على خطأ ذلك الاستعمال ، ويبينون أن صوابه هو التقويم بالواو لا بالياء .

ويظهر ان الادباء والنقاد من الجيل الجديد وجدوا له جرسا يتلاءم مع ما يدعون اليه من مذاهب جديدة ، ودلالة ادق على التجارب التي يستهدفون تقديمها للناس .

ان التقويم في نظرهم اصبح عملية تختص بتقدير المثمنات وقياس المثليات على ما يفهم من كلامهم ، أما الاعمال الادبية والمذاهب الفكرية فان وزنها وتحليلها يجب ان يعبر عنه بلفظ آخر يكون اكثر استجابة للبواعث المعنوية والمعايير الفنية ، وليس هو الا التقييم .

لست بصدد مناقشة هذا الراي ، ولكني احب ان الفت النظر الى نص قديم ورد فيه هذا الاستعمال ، ولم يثر كثير اهتمام من الذين تناولوه بالشرح مع أنهم جميعا من أهل العلم الذين لا يخفى عليهم امره . وهذا النص هو أثر روي في صحيح البخاري عن الزهري في كتاب الاكراه وبالضبط في باب اذا استكرهت المراة على الزنا . وهو : « قال الزهري في الامة البكر ، يفترعها الحر ، يقيم ذلك الحكم من الامة العذراء بقدر قيمتها ويجلد . »

وانا وان كنت لا أجهل ما قيل في الاستشهاد بالحديث على مسائل النحو واللغة ، واعرف أن لفظ الشاهد يحتمل قراءتين ولعلهما روايتان : يقيم (المهموز) ويقيم (المضعف) فاني اسوق هنا ما كتبه شراح البخاري على هذا اللفظ واستخلص منه النتيجة الطبيعية التي يؤدي اليها .

فالقسطلاني لم يزد على انفسريقيم بيقوم (المضعف) وابن حجر قال: «ومعنى يقيم يقوم» أما العيني فنصهما كتب : « قوله يقيم ، قال الكرماني ويقيم اما بمعنى يقوم واما من قامت الامة مائة دينار اذا بلغت قيمتها : » وبقية الشراح الذين راجعناهم لم يتكلموا على اللفظ اصلا ، فكأنهم مسلمون له ، كما ان الآخرين وجهوه ولم يعترضوه .

1 — وازيد على هذا قول الفيومي في المصباح: « قام بالامر يقوم به قياما فهو قوام وقائم ، واستقام الامر ، وهذا قوامه بالفتح والكسر . وتقلب الواو ياء جوازا مع الكسرة اي عماده الذي يقوم به وينتظم. ومنهم من يقتصر على الكسر ومنه قوله تعالى (التي جعل الله لكم قياما) ..

فقد قلبوا الواو ياء مناسبة للكسرة مع أن التصحيح لا ينافيها وهو وارد معها ومع الفتحة .

2 — وقال الفيومي ايضا : « وقام المتاع بكذا اي تعدلت قيمته به . والقيمة الثمن الذي يقاوم به المتاع اي يقوم مقامه ، والجمع القيم مثل سدرة وسدر، وشيء قيمي نسبة الى القيمة على لفظها لانه لا وصف له ينضبط به في اصل الخلقة حتى ينسب اليه ، بخلاف ما له وصف ينضبط به كالحبوب والحيوان المعتدل فانه ينسب الى صورته وشكله فيقال مثلي اي له مثل شكلا وصورة من اصل الخلقة .

والشاهد منه في قوله نسبة الى القيمة على لفظها يعني لانه لو كان نسبة لها على القاعدة النحوية المعروفة لقيل قومي بفتح ثانيه بعد رده الى أصله الواوي . وليس قوله لانه لا وصف له تعليلا لهذه النسبة وانما هو بيان لمعناها بدليل مقابلته بالمثلي ... وهذا اصطلاح فقهي كما لا يخفى ، فاذا صح للفقهاء ان يخالفوا قاعدة النسب في قيمي مع مثلي فلا مانع ان يصطلح الادباء على جعل تقييم بالياء وان خالف القاعدة لغرض بياني واضح .

3 — ثم اضيف الى ذلك ما جاء في البحر المحيط لابي حيان على الآية الآنفة الذكر (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قيما) قال :

« وقرأ نافع وابن عامر قيما وجمهور السبعة قياما وعبد الله بن عمر قواما بكسر القاف والحسن وعيسى بن عمر قواما بفتحها ورويت عن ابى عمرو وقرىء شاذا قوما ، فأما قيما فمصدر كالقيام (3) قاله الكسائي والفراء والاخفش وليس مقصورا من قيام. وقيل هو مقصور منه . قالوا وحذفت الالف كما حذفت في خيم واصله خيام . أو جمع قيمة كديم جمع ديمة قاله البصريون غير الاخفش ورده ابو علي بأنه وصف في قوله دينا (4) قيما والقيم لا يوصف به ، وانما هو مصدر بمعنى القيام الذي يراد به الثبات والدوام. ورد هذا بأنه لو كان مصدرا لما أعل كما لم يعل حولا وعوضالانه علىغيرمثال الفعل لاسيماالثلاثيالمجرد واجيب بأنه تبع فعله في الاعلال لانه مصدر بمعنى القيام فكما أعل القيام أعل هو . وحكى الاخفش قيما وقوما قال والقياس تصحيح الواو وانما اعتلت على وجه الشذوذ كقولهم ثيرة (5) وقول بني ضبة طيال

---

(3) في الاصل فمقدر كالقيام والقيام ونظن أن ذلك من خطأ الطبع .

فى جميع طويل وقول الجميع جياد فى جمع جواد ، واذا اعلو ديما لاعتلال ديمة فان اعلال المصدر لاعتلال فعله اولى . الا ترى الى صحة الجمع مع اعتلال مفرده فى معيشة ومعائش ومقامة ومقاوم ، ولم يصححوا مصدرا اعلوا فعله . »

ففي هذا الكلام اكثر من سند لاعلال تقيم . ولاسيما قوله الاخير ولم يصححوا مصدرا اعلوا فعله. وان كان ليس على اطلاقه ، ولكن يكفي فى الاعتضاد مجيء قيما بالياء من قام الواوي مصدرا قرىء به فى السبع .

4 — واخيرا قال فى لسان العرب بعد أن ذكر من أسمائه تعالى القيوم والقيام : وقال الفراء صورة القيوم من الفعل الفيعول وصورة القيام الفيعال وهما جميعا مدح ، قال واهل الحجاز اكثر شيء قولا للفيعال من ذوات الثلاثة مثل الصواغ يقولون الصياغ . وقال الفراء فى القيم هو من الفعل فعيل أصله قويم وكذلك سيد سويد وجيد جويد بوزن ظريف وكريم . وكان يلزمهم أن يجعلوا الواو الفا لانفتاح ما قبلها ثم يسقطونها لسكونها وسكون التي بعدها فلما فعلوا ذلك صارت سيد على فعل ، فزادوا ياء على الياء ليكمل بناء الحرف . وقال سيبويه : قيم وزنه فيعل وأصله قيوم ، فلما اجتمعت الياء والواو والسابق ساكن ابدلوا من الواو ياء وادغموا فيها الياء التي قبلها فصارت ياء مشددة . وكذلك قال فى سيد وجيد وميت وهين ولين . قال الفراء ليس فى ابنية العرب فيعل والحي كان فى الاصل حيوا ، فلما اجتمعت الياء والواو والسابق ساكن جعلتا ياء مشددة » .

ثم قال فى جمع قوم : « والجمع اقوام واقاوم واقايم ، كلاهما على الحذف . قال ابو صخر الهذلي ، انشده يعقوب :

فان يعذر القلب العشية فى الصبا

فؤادك لا يعذرك فيه الاقاوم

ويروى الاقايم . وعنى بالقلب العقل .

فهذا الكلام كله يدل على تقارض الواو والياء فى هذه المادة تقارضا يكاد يكون اعتباطيا لا يرجع الى قاعدة ، مما يضطر العلماء معه الى التماس الوجوه والمخارج له ، فهلا يسع الذين يقولون تقييم ما وسع اجدادهم هؤلاء ؟

(4) اي فى قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي
(5) يعني فى جمع ثور .

شجب

جاء فى المعجم الوسيط ما يلي : شجب الشيء يشجب شجوبا هلك ، وفلان حزن والغراب شجيبا نعق بالبين وفلانا شجبا اهلكه ، ويقال شجب الصيد رماه بسهم فاصابه واعجزه عن الحراك ، وفلانا احزنه والشيء فلانا شغله والشيء جذبه، يقال شجب اللجام . وشجبه عن حاجته . وشجب القارورة بالشجاب شدها ..الخ

وهذه المعاني التي ذكرها المعجم الوسيط لشجب وما تصرف منه هي بعينها الواردة فى القاموس وغيره من معاجم اللغة . ولعلنا نلاحظ ان المعنى الوحيد الذي يستعمل فيه هذا الفعل بكثرة اليوم ، لم يرد فى المعاجم وهو شجب بمعنى انتقد وندد . يقال شجب الخطة او السياسة الفلانية يشجبها شجبا اي انتقدها وندد بها وهاجمها وحمل عليها . وهذا كثيرا ما يرد فى الصحف اليومية معبرا به عن المواقف المضادة التي يقفها مندوبو بعض الدول فى المنظمات السياسية من سلوك بعض الساسة والحكومات فى دول اخرى . وظاهر أن معنى هلك واهلك وحزن واحزن غير موافق للمعنى المراد هنا ، اللهم الا ان يستعار له معنى رمى الصيد الوارد لذلك الفعل وحينئذ فينبغي النص عليه فى المعاجم اللغوية الجديدة ، والا وجب (شجبه) اي هلاكه فعندنا ما يغني عنه مما ذكرناه كندد به وهاجمه وما الى ذلك.

وديان

لا يكاد الكتاب اليوم يستعملون فى جمع واد ، الا هذه الصيغة اعني صيغة وديان وهي صيغة لا قياسية ولا واردة عن العرب فى جمع هذا المفرد .. فجموعه التي ذكرتها المعاجم ثلاثة هي أوداء وأودية واوداية ، ويمكن أن يزاد عليها اوداه بقلب الهمزة هاء فى أوداء وهي لغة طيىء . وصحف بعضهم الجمع الاخير وهو اوداية الى اوادية وانشد عليه. واقطع الابحر والاوادية ، لكن ابن سيده نبه على هذا التصحيف وقال ان صوابه والاوداية بدليل ما قبله وهو قوله : اما تريني رجلا دعكاية .. فنحن اولاء نرى أن ليس بين هذه الجموع المنصوصة وديان .

واما القياس فقد اشار ابن مالك فى الكافية الى ما يجمع على فعلان بقوله :

فعلان لاسم كفعال (1) وفعل (2)
وفعل (3) الواوي عينا وفعل (4)
وفي فعـــال (5) وفعال (6) قد يــرد
كذا فعيل (7) وفعول قد وجد (8)
في فاعل (9) وفعلة (10) وفعل (11)
وفعلة (12) فعلة (13) وفعل (14)
في فعلان (15) وفعل (16) قد نقل
والثاني نـــادر ولكـــن احتمـــل

وهي ستة عشر وزنا ليس فيها وزن واد كمـــا نـــرى ، فمـــاذا اذن ؟

لا شك ان هذا الجمع غلط ، ولعله كان قياســـا من قائله الاول على مفردات الوزن الثالث مثل نـــار ونيـــران وغار وغيران وتاج وتيجان وجار وجيران ولكن هذه ثلاثية صحيحة اللام بخلاف واد .

اما سر انتشاره فيرجع فيما اظن الى الترجمة، لان المعجم الوحيد الذي اثبته هو معجم الاب بيلـــو الفرنسي العربي ، وقد اثبته في هذا المعجم بيـــن قوسين اشارة الى التحفظ بشانه ، ولكنه في الفرائـــد الدرية الذي هو النسخة العربية الفرنسية من هـــذا المعجم حذف القوسين فبقى وديان على قدم المساواة مع الجموع الصحيحة ، فاعتمده التراجمة وسار هذه السيرورة التي غطت على غيره .

تحـــاشـــد النـــاس

هذا تعبير ورد في المدارك للقاضي عياض عمـــا نقول فيه اليوم تظاهر الناس . وأنا لم أورده هنا الا لتسجيل الدلالة التاريخية التي مر بها للانتفاع بذلـــك في المعجم التاريخي للغتنا الضادية الذي ينوي المجمع اللغوي وضعه في المستقبل القريب اعانه اللـــه على ذلـــــك .

فقد تعرض القاضي رحمه الله لمحنة احد الفقهاء فقال : « ان الوالي ضربه وحبسه ، فتحاشد الناس ؛ وكان بعضهم يقع عليه ليقيه بنفسه .. واخرج اليهـــم الاجناد ففضوهم » فتحاشد هنا قد استعمل في تمـــام المعنـــى الذي نستعمل نحن فيه اليوم تظاهر .. وأما فضوهم فيغلب ان نقول بدله فرقوهم . ولكنه مستعمل ايضـــا .

التكميـــــد

وهذا لفظ آخر من وادي ما قبله .. وقفت عليه في كتاب اجوبة فقهية للقاضي عبد الوهاب ضمن مجموع في المكتبة الوطنية بمدريد يحمل رقم 4950 وقد تعرض فيه لضمان الصناع والكمادبالخصوص. واطلقالتكميد على ما نسميه اليوم بكي الثياب وهو تعبيـــر اخواننـــا في المشرق او تحديدها وهو تعبيرنا في المغرب ، واطلق الكماد على المكوجي ، وكنت احسب ان الكماد فيمـــا اتى من اسماء بعض اهل العلم يرجع الى الكمــــد والحزن .. فاذا به يرجع الى هذه الصناعة ولذلـــك سجلت هذه الفائدة ، وهي ايضا من الدلالة التاريخية للالفـــاظ .

---

(1) نحو غلام وغلمـــان .
(2) كصرد وصردان .
(3) مفتوح الفاء ومضمومها كتاج وتيجان وعود وعيـــدان .
(4) كخـــرب وخربـــان .
(5) كغـــزال وغـــزلان .
(6) كصوار وصـــران .
(7) كظليم وظلمـــان .
(8) كخروف وخرفـــان .
(9) كحائط وحيطـــان .
(10) كنســـوة ونســـوان .
(11) كقنو وقنـــوان .
(12) كبركـــة وبركـــان .
(13) كقضفة وقضفـــان .
(14) كضيف وضيفـــان .
(15) نحو كروان وكروان
(16) كضفـــن وضفنـــان .

مزالق التعريب

مصلحة التعريب التابعة لمكتب التسويق والتصدير
الدار البيضـــاء

نعم ان للتعريب مزالق يلتوي فيها الكلام ويضطرب مدلوله وتشوه الفكرة وينحرف المعنى انلم يتبددويندثر. ومن هذه المزالق ما هو من فعل المنتجين أي المعربين ونعني اولئك الرواد الذين يصوغون الفاظا عربيـــة جديـــدة أو يحدثـــون معانـــي جديدة لالفـــاظ عربيـــة قديمـــة مـــن اجـــل التعبيـــر عـــن مفهوم علمي أو حضاري لم يكن معروفا عند العرب من قبل. ومن هذه المزالق ما هو مـــن فعل المستهلكين لهـــذه المصطلحات ونعني أولئك الذين يتناولون هـــذه المصطلحات بأقلامهم فيستعملونها في معظم الاحيـــان استعمالا صحيحا أي للدلالة على المعنى الذي قصده المعربون ، أو يبتعدون بها في بعض الاحيان عن هـــذا المعنى من جراء سوء فهم . وكثيرا ما يصدر ذلك عن اولئك الذين لا يعرفون سوى اللغة العربية فيعســـر عليهم استبانة المدلول الاصطلاحي المقتبس من لغـــة الاعاجم .

وتحت هذا العنـــوان سنتحدث ان شاء اللـــه عن هذه المزالق كلما سنحت لنا الفرصـــة .

1 — الخلط بين « التقويم » و « التقييم »

من المزالق التي وقع فيها المستهلكون استعمالهم لفظ « التقييم » بمعنى « التقويم » على سبيل الترادف ظانين أنهم يرضون بذلك الذوق العربي المعاصـــر الذي أخذ في العدول عن « التقويم » الى « التقييم » بينما لم يستعمل المعربون هذا اللفظ الاخير حسبمـــا نفهم الا لاداء معنى مغاير تماما لمدلول اللفـــظ الاول ، وهو ما يدل عليه اللفظ الفرنسي (Valorisation) الذي يعني فيما يعنيـــه اكســـاب القيمة او الزيادة فيهـــا .

ونحن لا ننكر على المستهلكين تصرفهم هذا من الوجهة الاصولية فانهم قد لا يعوزهم سنـــد مـــن اللغة لتدعيم استعمالهم لفظ « التقييم » بمعنـــى « التقويم » ولكن الذي نود أن نلفت اليه انظار هؤلاء الكرام هو انه لا يسوغ لنا ابناء العروبة العدول عن لفظ « التقويم » بدون ايما ضرورة ولا حاجة خصوصا وان هذا اللفظ القرآني ما زال وافيـــا بجميع معانيه في وضـــوح تـــام .

وسنوضح فيما يلي بالامثلة والشواهد الفرق بين الكلمتيـــن

ا — التقييـــم (Valorisation)

«تقييم شيء هو اكسابه قيمة لم تكن له بالمرةاو لم يكن له منهـــا الا بعضهـــا »

هذا أحد المدلولين اللذين أوردهما « لاروس » للكلمة الفرنسيـــة (Valorisation) وضرب مثلا لذلك ضمن شرحه فعل (Valoriser) أي « قيم » بقوله : « محطة جديدة للسكك الحديدية تقيم الاراضي المجاورة » يعني ترفع من قيمتها .

ويتمثل عندنا بالدار البيضاء مدلول هذا اللفـــظ في منهاج تقييم الاراضي الذي تسلكه شركة عقارية معروفة تزاول بيع الاراضي ومجموعة الدور التـــي تبنيها في مساحة كبيرة من الارض رخيصة لبعدها عن المدينة وعن جميع مرافقها العمرانية فتبدأ فيها ببنـــاء مسجد وحمام فاذا بالرقعة من هذه الارض تكتســـب قيمة لم تكن لها من قبل ويصبح ثمن المتر المربع منهـــا يساوي أضعافه مضاعفة .

فهذه الشركة بعملها هذا قد « قيمت » أرضها ولم « تقومهـا » .

أما المدلول الثاني لكلمـة (Valorisation) الفرنسية فهو حسب (لاروس) كما يلـي :

« ارتفاع قيمة بضاعة او انتاج أو مادة ارتفاعا مصطنعا بواسطة مناورات اقتصاديـة » .

وهذا المدلول الثاني هو الذي عبر عنه مجمـع اللغة العربية فى القاهرة بـ « تعليـة السعـر » وشرحه بقوله « الطرق المتبعة لرفع الاسعار » وذلك بصدد تعريبه كلمة (Valorisation) ضمن مصطلحات الاقتصـاد السياسي .

وضرب (لاروس) مثـلا لهـذا المدلول الاخير بقوله : « لقـد عمـدت البرازيل فى سنتي 1907 و1917 الـى « تعليـة سعـر » (Valorisation) حاصلاتها من البن » .

ب ــ التقويـم

1) Maladie des bestiaux
2) { Redressement / Revalorisation
3) Evaluation
4) Calendrier
5) Disposition des pays de la terre d'après leur latitude et longitude

لهذا اللفظ معان مختلفة منها القديم ومنهـا المولد نذكرها فيما يلي :

1 ــ مصدر فعل « قوم » اللازم :

قومت الشاة : أصابها القوام وهو داء يأخذها فى قوائمها وتقوم منه فلا تنبعث .

2 ــ مصدر فعل « قوم » المتعدي الذي يفيد جعل الشىء قويما اي مستقيما .

نقول : « قوم الشىء : ثقفه ، عدلـه ، ازال عوجه .

وفى (اساس البلاغة) : « قوم العود وأقامه فقام واستقام وتقوم ورمح قويـم » .

وورد هذا المعنى فى القرآن الكريم ضمن قوله تعالى : « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم »

و « التقويم » بهذا المعنى الثاني العام يقابله فى الفرنسيـة لفظ (Redressement)

وله فى الاقتصاد معنى خاص تتضمنه عبـارة « تقويم النقود » وهو اعادتها الى قيمتها الاصليـة وتثبيتها ، ويقابل هذا المعنى الخاص فى الفرنسيـة لفـظ (Revalorisation)

3 ــ مصدر «قوم السلعة : سعرها وثمنها»

وجاء فى (لسان العرب) «قوم السلعة واستقامها: قدرها - وفى الحديث : قالوا (يا رسول الله لو قومت لنا) فقال : (الله هو المقوم) اي لو سعرته لنا وهو من قيمة الشىء اي حددت لنا قيمتها » .

و«التقويم» بهذا المعنـى يقابله فى الفرنسيـة لفـظ (évaluation)

4 ــ التقويم : تقسيم الازمنة وحساب الاوقات وما يتعلق بها ويقابله فى الفرنسية لفظ (Calendrier) فنقول مثلا «التقويم الهجري» (Calendrier de l'hégire) والتقويـم الميـلادي (Calendrier grégorien) والتقويم الزراعي (Calendrier agricole)

وهو جدول مواعد الاعمال الزراعية المختلفة .

5 ــ تقويم البلدان : بيان طولها وعرضهـا وخـراج اراضيهـا .

* * *

يتضح من هذا ان ليس فيما ذكرته المعاجـم العربية من معاني « التقويم » معنى اكساب القيمـة الذي وضع لادائه لفظ « التقييم » فلا ينبغي فى راينا ان يستعمل هذان اللفظان مترادفيـن ولا أن يحـل احدهما محل الآخر بدون ضرورة لغوية ثابتة .

الدار البيضـاء

العربية فلسفة وحياة

للأستاذ أحمد عبد الرحيم السايح

من شيوخ جامع الازهـر (القاهرة)

لقد تفضلت مجلة اللسان العربي بنشر مقالنا الذي جعلنا عنوانه « العربية » في عددها الرابع ، ويسرني جدا أن اتابع الحديث والكتابة عن اللغة العربية فانها — بلا مراء — اللغة الوحيدة التي فتحت صدرها لتراث الانسانية الخالد ، ومعارف البشرية كلها ، كما اتسعت لمقومات الامة الاسلامية التي شرقت بالحضارة وغربت ، برزت في أواسط القرن السادس بغتة تتمتع بقوة بالغة اشدها ، فما عرف التاريخ لها طفولة ولا نموا ، وما بدت الا لتكون لسان التمدن فانطلقت من شبه الجزيرة العربية تنتقل الى الامصار القصية مفرداتها ، وخصائصها ، وبفضل حضارة الاسلام صارت ابعد اللغات مدى واوسعها افقا ، وستظل العربية حية ما دام الاسلام حيا . فمن ذا الذي لا يعرف للقرآن فضله في بقاء العربية حية ؟ ومن ذا الذي يجهل أن اللغة العربية باقية ما بقي الاسلام ؟ من ذا الذي لا يعترف بما ادته هذه اللغة من خدمة للانسانية ، وبأنها كانت ، ولا زالت الصلة الوحيدة بين حضارات الماضي وحضارة اليوم .

لقد اندثرت جميع أخواتها السامية من آرامية ، وكنعانية ، وكلدانية ، وسريانية ، واشورية ، وعبرانية قديمة ، وغيرها ، في حين بقيت هي على رغم ما مر بها من عصور الركود والجمود ، وما فتئت تفيض بالقوة والحيوية والحياة .

انها الحصن المنيع الذي تحتمي فيه العروبة من طغيان العامية واللهجات المحلية . انها الرابطة النفسية التي تجمع بين أهل البلاد المتباعدة ، والصيغة الجميلة التي نودعها مكنونات العقول والقلوب جيلا بعد جيل .

هذه اللغة العربية وسعت مبادىء ومثلا وقيما سماوية لم تضق بها ؛ ولم تنطل عن احتمال اعبائها . بل في ظل حضارة الاسلام مرنت وامتصت وتفاعلت ونمت نماءها الطبيعي المتطور من داخلها .

ولم تمض حقب طويلة حتى غدت لغة الشعوب من أواسط آسيا الى جبال البرانس في شمال اسبانيا ولم تستطع لغة من لغات هذه البيئات أن تثبت لها ، أو تحول بينها ، وبين سيادتها ، وقد يكون من اسباب ذلك أنها لغة القرآن الكريم ، وقد يكون من اسبابه قوتها وجمالها الفني . ومهما تكن الاسباب فانها أصبحت لغة قومية لامم وشعوب قد تختلف وتتباين في اجناسها واصل نشأتها ، ولكنها تأتلف وتتحد في عروبتها فهي جميعا تنضوي تحت لوائها وتتلقن لسانها ؛ وتعب من قرآنها وشعرها وبيانها ، فتستطيع ان تعيش لها وبها ، وتحيى فيها حياتها المعنوية : الادبية والعقلية ، وهي ما تزال الى اليوم لغة شعوب الشرق العربي من الخليج الى المحيط الاطلسي ، تتوهج جذوتها ، وترسل ضوءها وشررها الى كل مكان حتى في امريكا ، فقد تناول منها المهاجرون الى تلك الديار النائية اقباسا لا تزال تضيء في مجلاتهم وآثارهم الادبية .

وواضح أنها اجتازت آمادا واحقابا متطاولة من الزمن ، وقد المت بها خطوب كثيرة ، ولكنها وقفت في طريقها كالصخرة في مجرى السيل ، يلم بها ثم يزايلها ، وليس معنى ذلك أنها ظلت جامدة لا تتطور ، بل لقد تطورت أطوارا كثيرة بحكم ما التقت به من ثقافات ، وقد حولت اليها وصبت فيها ثقافات الفرس واليونان والهند ومصر واسبانيا اللاتينية ، فوسعتها ، وتمثلتها تمثلا منقطع النظير ، وكأنما

اصبحت نهرا كبيرا تتدافع اليه جداول شتى من الفكر والمعرفة ، وهو لا ينحرف ، ولا يغير وجهته ، بل يجري غزيرا زاخرا متدفقا مقتحما كل ما يصادفه من حواجز وسدود ، ولقد وحدت اللغة العربية بين الامم والشعوب ، فاذا هي جميعها عالم عربي واحد مهما تدانت او تباعدت ومهما شرقت أو غربت(1)

نعم انها لغة عجيبة انضجها الزمن المتطاول فى البقاع الشاسعة من الجزيرة واخرجتها الفطرة السليمة ، والاحساس المرهف ، والادراك النافذ ، لغة كاملة معجبة عجيبة ، تكاد تصور الفاظها مشاهد الطبيعة ، وتمثل كلماتها خطرات النفوس ، تكاد تتجلى معانيها فى اجراس الالفاظ ، وتتمثل فى نبرات الحروف ، كأنما كلماتها خطرات الضمير ، ونبضات القلوب ، ونبرات الحياة . فالمعاني المحسة والمعقولة مبينة فى الفاظ تدرك الفروق الدقيقة بين الاشياء المتشابهة ، فتضع للشبيه لفظا غير ما وضعته لشبيهه ، ادراكا للفرق الدقيق بينهما ، فاذا وضعت بعض اللغات للضرب مثلا كلمة واحدة ، وضعت العربية كلمات تختلف باختلاف آلة الضرب وموضعه من الجسم ، واذا دلت اللغات على صفات الوجه الانساني مثلا بكلمات مركبة لكل صيغة دلت العربية على كل حلية فى الانسان وكل صفة فى عينيه، وحاجبه وأنفه وفمه واسنانه وغيرها بأسماء خاصة ، ثم هذا الاحساس الحاد الدقيق المتمثل فى المفردات يتجلى فى التركيب مدهشا ، فكل كلمة لها فى الجملة مكان يحس بها المتكلم ، أو تحس بها الكلمة نفسها فتعطي أوتاخذ صوتا مكافئا لهذه المكانة ، فالكلمة الاصيلة لها اقوى الاصوات وهو الضم ، والاخريات لها الفتح والجر ، وما أرى هذا الا ضربا من الحياة فى الالفاظ والتركيب يبين عن أدق الاحساس والطفه .

واذا اشتملت اللغات على كلمات هي : مادتها . ففي اللغة العربية مادة وقوالب يستعملها صاحبها حين الحاجة ، فيها مادة ووزن ، فخذ المادة أو اخلقها او استعرها من لغة أخرى ، ثم صبها فى قالب من قوالب الاسماء والانفعال وصورها بالقوالب أو الاوزان ، فمن سمع فاعلا أو مفعولا ادرك أن هذا الوزن فى حركاته وسكناته له معنى يلازمه فى المواد كلها ، وبهذا امتازت اللغة العربية واستبانت خصائصها ، حتى نفت عن نفسها كل كلمة اجنبية ما لم تخضع لاوزانها وقوانينها ، للاسماء أوزان ، وللافعال أوزان ، فما لا تزنه هذه الاوزان فهو اجنبي، وبهذا بقيت على الدهر المتطاول خالصة نقية صحيحة قوية .

وقد امتحنت هذه اللغة : الحضارة الواسعة ، واختبرها التاريخ الطويل ، فلم تعجز ولم تضق بكل ما ادركه الانسان من علم ، وتتقنه من صناعة ، بل وسعت حضارة القرون المتطاولة ، والامم المختلفة غير كارهة ، ولا مكرهة ، وقد اراد الله لها أن تكون لغة كتابه وترجمان وحيه ، وبلاغ رسالته ، فاشتملت على العالم الحسي والعقلي مصورا فى كلمات وآيات ، وجوزيت على هذا خلودا ما خلد للانسان عقل وقلب ، وما استقام له احساس وادراك .

وتقلب الزمن وتوالت المحن وثارت الفتن ، وهي ثابتة ناضرة رائعة ثبات قوانين ، وروعة كواكبه .

محيت لغات ، وبدلت لغات ، وحرفت لغات والعربية هي العربية ، لم تمح ولم تغير ولم تبدل . ما آية الخلود فى هذا ؟

ولم تبق العربية لغة العرب وحدهم ، بل ثقفتها الامم الاخرى ، وأولتها من العناية والحفاوة اكثر مما أولت لغاتها احيانا ، فصارت لغة العلوم والآداب للعرب ، وغير العرب ، حقبا طويلة ، ما بين اقصى المغرب واقصى المشرق ولا تزال لغة ادب وعلم فى الامم الاسلامية غير العربية .

وقد حوت على مر العصور أدبا لا تحويه لغة اخرى ، ما بين الصين الى بحر الظلمات .

فالعربية بأهلها وموطنها وخصائصها وآدابها وتاريخها ، العربية بقرآنها خالدة باقية على الخطوب والعصور، لغة دين وعلم وادب وحضارة وانسانية(2)

ولقد اشترك مع العربية لغتان اخريان بكونهما لغتين عموميتين- لافكار دينية وآداب اجتماعية ، ومذاهب سياسية ، انتشرت بين أمم مختلفة ، هاتان اللغتان هما : اللغة اللاتينية . واللغة اليونانية .

لقد كانت اللاتينية تستعمل من (كمبانيا) فى ايطاليا الجنوبية ، الى الجزر البريطانية ومن نهر الراين الى جبل الاطلس .

---

(1) انظر مقال : د/شوقي ضيف . مجلة العربي رقم 58 .

(2) انظر : كتاب (مهد العرب) للدكتور عبد الوهاب.ع.ام . اقرأ رقم 040 القاهرة .

واستعملت اليونانية من اقاصي صقلية الى شاطىء دجلة ، ومن البحر الاسود الى تخوم الحبشة . لكن ما اضيق هذا الانتشار اذا ما توبل بانتشار العربية التي امتدت الى اسبانيا وافريقيا حتى خط الاستواء ، وجنوب آسيا وشمالها الى ما وراء بلاد التتر .

لقد امست اللاتينية واليونانية فى صف اللغات الضعيفة منذ هبطت مدنيتاهما فما الذي حفظ اللغة العربية حية رغم ما مر بها من محن وأهوال ؟

ان الذي كان باعثا على قيام الحضارة العربية الاسلامية ، هو هو الذي ما زال حافظ العربية الى اليوم هو القرآن الكريم ، والاسلام يرمي الى التوحيد توحيد الانسانية فى الاخاء الانساني ، وتوحيد البشرية فى الانتاج المادي ، وتوحيد المسلمين فى الحديث بالعربية . ولغة الاسلام : العربية .

وستظل العربية حية ما دام الاسلام حيا ، وستزداد قوة العربية كلما ازداد المسلمون تقدما وفلاحا ونجاحا .

خصائص اللغة العربية ومميزاتها :

وللغة العربية خصائص ومميزات ، بزت بها غيرها ، لا تدانيها فيها لغة من لغات العالم ، فأنت تستطيع أن تصنع من كلماتها الخلاقة ومفرداتها المانوسة قطعا تسحر الالباب ، وتأخذ بالافهام ، وتشحذ الهمم ، وتنبه العقول .

وقد اعتنت اللغة العربية بجمال الالفاظ وحسن هيئتها ، وذلك اهتماما منها بالمعنى حتى يقع القول من نفس السامع الموقع المرجو . الذي يهيىء له الحالة النفسية التي تحفزه الى الحركة واليقظة والعمل . والحق يقال ان العربية بهذا اصبحت من اكثر لغات العالم دلالة معنوية .

قال جورجي زيدان : « الفعل (قضى) معناه (حكم) والاصل فيه القطع الحسي ، والفعل (عقل) معناه (فهم) وهو مأخوذ من : عقل الناقة ، اي ربطها، والفعل (أدرك) الاصل فيه البلوغ الحسي ؛ فيقال فلان ادرك القطار اي لحقه ، والفعل (بلغ) وضع أصلا للدلالة على الوصول الحسي فى المكان والزمان، بل ان الاصل فى معنى (الفصاحة) قولهم : فصح اللبن ، اذا ذهبت رغوته ، ثم قيل : فصح بمعنى وضح ، و(الراي) صله من (رأى) اي شهد بعينه (3) .

وفى اللغة العربية صَيغ وقوالب وابنية ، تدل على معان وصفات وأحوال ، فما كان على (فعلان) دل على الحركة والاضطراب ، كالنزوان والغليان ، والضريان ، والهيجان ، وما كان على (فعلان) دل على صفات تقع من احوال كالعطشان والغرثان والشبعان والريان والغضبان ، وما كان على (افعل) دل على صفات بالالوان نحو : ابيض واحمر واسود واصفر واخضر ، وكذلك العيوب تكون على (فعل) نحو : ازرق واحول واعور واقرع واقطع واعرج واضيق ، وتكون الادواء على (فعال) : كالصداع والزكام والسعال والخناق والكباد ، والاصوات اكثرها على هذا : كالصراخ والنباح والضباع والرغاء والثغاء والخوار ، وفصل اخر منها على (فعيل) : كالضجيج ، والهرير والهدير والصهيل والنهيق والضغيب والزئير والنعيق والنعيب والخرير والصوير ، وحكايات الاصوات على (فعللة) : كالصرصرة والترترة والفرغرة ، واطعمة العرب على (فعيلة) : كالسخينة والعصيدة ، واللفيتة ، والنقيمة ، والعقيقة ، واكثر الادوية على (فعول) : كاللعوق ، والسعوط ، والوجود ، واللدود، والذرور ، والقطور ، واكثر العادات فى الاستكثار على (مفعال) نحو مطعان و مطعام ، ومضراب ومضباق ، ومكثار ، ومهذار ، وامراة معطار ، ومذكار ، ومئناث (4) .

وابنية الافعال عامل قوي من عوامل ثروة اللغة العربية . وقدرتها على الدلالة على فرق وظلال تنضاف الى المعنى الاصلي دون زيادة فى اللفظ وقد عقد الثعالبي فى فقه (اللغة وسر العربية) فصلا فى ابنية الافعال ، فقال : فى الاكثر الاغلب (فعل) يكون بمعنى التكثير كقوله — عز ذكره — : « وغلقت الابواب » وقوله : «يذبحون ابناءكم» ، و(فعل) يكون بمعنى افعل نحو : خبر واخبر ، وكرم واكرم ، ونزل وانزل ، ويكون فعل بنية لا لمعنى ، نحو : كلم ، ويكون بمعنى نسب ، نحو (ظلمة بتشديد اللام) اذا نسبه الى الظلم .

(وافعل) يكون بمعنى فعل ، نحو : اسقى وسقى ، (وفاعل) يكون بين اثنين نحو: ضاربه وبارزه، ويكون بمعنى (فعل) كقول الله عز وجل : « قاتلهم

(3) راجع كتاب (الفلسفة اللغوية) لجرجي زيدان .الطبعة الثالثة القاهرة ص 110 .
(4) انظر ص 552 — 554 من فقه اللغة للثعالبي ط المكتبة التجارية بالقاهرة .

الله » أي قتلهم ، (وتفاعل) يكون بين اثنين وبين الجماعة ، نحو : تجادلا ، وتناظرا ، ويكون من واحد نحو : تراءى له ، ويكون بمعنى أظهر ، نحو : تغافل وتجاهل ، اذا اظهر غفلة وجهلا ، (وتفعل) يكون بمعنى (فعل) نحو : تخلصه اذا خلصه . (واستفعل) يكون بمعنى التكلف ، نحو : استعظم أي تعظم ، ويكون استفعل بمعنى الاستدعاء والطلب ، نحو : استطعم ويكون بمعنى صار ، نحو : استنوق الجمل (5) .

وشيء آخر يجعل اللغة العربية اكثر مرونة فى الواقع من غيرها من اللغات الحية المعروفة ، وهو انها اكثر اللغات قبولا للاشتقاق ، والاشتقاق باب واسع تستطيع به اللغة ان تؤدي معاني الحضارة الحديثة على اختلافها ، والاشتقاق فى العربية يقوم بدور لا يستهان به فى تنويع المعنى الاصلي وتلوينه ، اذ يكسبه خواص مختلفة بين طبع وتطبع ومبالغة وتعدية ومطاوعة ، ومشاركة ، ومبادلة مما لا يتيسر التعبير عنه فى اللغات الآرية مثلا ، الا بألفاظ خاصة ذات معان مستقلة ، ولا نزاع فى أن منهج اللغة العربية الفريد فى الاشتقاق ، قد زودها بذخيرة من المعاني لا يسهل اداؤها فى الاخرى . وقد لاحظ السيوطي هذه الزيادة فى المعنى المشترك حين عرف الاشتقاق بأنه « أخذ صيغة من اخرى مع اتفاقهما معنى ومادة وهيئة تركيب ، ليدل بالثانية على معنى الاصل بزيادة مفيدة ، لاجلها اختلفا هيئة أو حروفا » وجلي أن هذه الطريقة فى توليد الالفاظ بعضها من بعض تجعل من اللغة جسما حيا ، تتوالد اجزاؤه ، ويتصل بعضها ببعض ، بأواصر قوية واضحة ، وتغني عن عدد ضخم من المفردات المفككة المنعزلة التي كان لابد منها لو عدم الاشتقاق ، وان هذا الارتباط بين الفاظ العربية الذي يقوم على ثبات عناصر مادية ظاهرة ، وهي الحروف أو الاصوات الثلاثة وثبات قدر من المعنى سواء كان ماديا ظاهرا ، او مختفيا مستترا ، خصيصة عظيمة لهذه اللغة تشعر متعلمها بما بين الفاظها من صلات حية ، تسمح لنا بالقول بأن ارتباطها حيوي ، وأن طريقتها حيوية توليدية ، وليست آلية جامدة .

وهي تدل بالحركات على المعاني المختلفة ، من غير أن تكون تلك الحركات اثرا لمقطع او بقية من اداة فيكون ذلك فى وسط الكلمة واولها وآخرها : فهم يفرقون بالحركة بين اسم الفاعل واسم المفعول فى مثل مكرم ، ومكرم ، وبين فعل المعلوم وفعل المجهول ، نحو : كتب وكتب ، وبين الفعل والمصدر ، فى مثل : علم وعلم ، وبين الوصف والمصدر ، فى مثل فرح وفرح ، وبين المفرد والجمع فى مثل : اسد واسد (6) .

هذه العلامات الاعرابية اشارة الى معان يقصد اليها . فاللغة العربية اذن تجعل الصدارة للمعنى . ولا نعرف بين اللغات الكبرى لغة أصلح من لغتنا العربية لهذا الباب من ابواب الدراسة اللغوية ، لان مخارج حروفها مستوفاة متميزة (7) .

قال ابن جني : فكأن العرب انما تحلى الفاظها وتدبجها وتشيها وتزخرفها ، عناية منها بالمعاني التي وراءها ، وتوصلا بها الى ادراك مطالبها ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا) فاذا كان رسول الله يعتقد هذا فى الفاظ هؤلاء القوم ، التي جعلت مصائد واشراكا للقلوب ، وسببا وسلما الى تحصيل المطلوب ، عرف بذلك أن الالفاظ خدم للمعاني ، والمخدوم — لا شك — أشرف من الخادم (8) .

فاذا رأيت العرب قد اصلحوا الفاظها — اي العربية — وحسنوها ، وحموا حواشيها وهذبوها ، وصقلوا غروبها وأرهفوها ، فلا ترين أن العناية اذ ذاك انما هي بالالفاظ ، بل هي عندنا خدمة منهم للمعاني وتنويه وتشريف ، ونظير ذلك ، وانما الوعاء وتحصينه ، وتزكيته وتقديسه ، وانما المبغي بذلك منه الاحتياط للموعي عليه وجواره بما يعطر بنشره ، ولا يمر جوهره كما قد تجد من المعاني الفاخرة السامية ما يهجنه ، ويغض منه كدرة لفظه وسوء العبارة عنه (9) .

وفى باب (اصلاح اللفظ) قال ابن جني : « اعلم انه لما كانت الالفاظ للمعاني أزمة وعليها أدلة واليها

(5) انظر ص 549 — 551 من فقه اللغة للثعالبي نفس الطبعة السابقة .
(6) انظر ص 47 — 49 من فلسفة اللغة العربية د. عثمان امين ، المكتبة الثقافية 144 ، القاهرة .
(7) من كتاب اشتات مجتمعات — عباس العقاد ص 49 — دار المعارف بمصر .
(8) الخصائص لابن جني ص 228 ج 1 مطبعة الهلال بمصر 1912 م .
(9) المرجع السابق ص 225

موصلة ، وعلى المراد منها محصلة ، عنيت العرب بها، فأولتها صالحا من تثقيفها واصلاحها (10) .

ويدلك على تمكن المعنى من انفسهم ، وتقدمه للفظ عندهم ، تقديمهم لحرف المعنى من أول الكلمة ، وذلك لقوة العناية به ، فقدموا دليله ليكون ذلك امارة لتمكنه عندهم ، وعلى ذلك تقدمت حروف المضارعة فى اول الفعل اذ كن دلائل على الفاعلين ، من هم ، وما هم ، وكم عدتهم ، نحو : افعل ، ونفعل، وتفعل ، ويفعل : فالمعاني اقوى عند العرب ، واكرم عليهم ، وافخم قدرا فى نفوسهم ، لهذا أصلحوا الالفاظ، وبالغوا فى تحبيرها ، وتحسينها ، لتكون المعاني ، اوقع فى السمع واذهب فى الدلالة على القصد .

ومن خصائص العربية التي تعرب عن قوتها وفاعليتها فى الحياة ، وتوثبها الى العلا والسمو : الحركية ، وكأن اللغة العربية بهذه الحركية تدفع بابنائها الى المجد دفعا وتغرس فيهم حب العمل والحركة ، فلا ينبغي أن تكون اللغة متحركة مرنة واهلها جامدون ساكنون .

قال العالم ابن جني : ان معنى قول اين وجدت ، وكيف وقعت من تقدم بعض حروفها على بعض ، وتأخره عنه انما هو للخفوف والحركة ، وجهات تراكيبها الست مستعملة كلها لم يهمل منها شيء وهي (ق و ل) و (ق ل و) و (و ق ل) و (و ل ق) و (ل ق و) و (ل و ق) قول وهو القول : وذلك أن الفم واللسان يخفان له ويقلقان ويمذلان به . وهو بضد السكوت الذي هو داعية الى السكون . الا ترى ان الابتداء لما كان اخذا ، فى القول لم يكن الحرف المبدوء به الا متحركا ، ولما كان الانتهاء اخذا فى السكوت . لم يكن الحرف الموقوف عليه الا ساكنا ، وأما « كلم » فهذه ايضا حالها وذلك انها حيث تقلبت فمعناها الدلالة على القوة والشدة (11) .

وتأكيدا لهذا المعنى قال ابن جني « وذلك أنا عقدنا تقاليب الكلام الستة على القوة والشدة ، وتقاليب القول الستة على الاسراع والخفة (12) .

ارأيت لغة تهيىء الحالة النفسية فى الانسانية ، وتحفز الهمم الى الوثوب والحركة ، وتشحذ النفوس الى الاصالة والابتكار والابداع مثل اللغة العربية ؟ ولعلنا نعرف ان هذا هو السر فى بلوغ المسلمين اوج العظمة والحضارة ، وقيادة الدنيا ، وذلك حينما كانوا عاملين بمبادىء تعاليم الاسلام .

قال الدكتور عثمان امين : اما عن الحركية فاللغات الغربية لا ترى مانعا من البدء بالحروف الساكنة، فاسم (افلاطون) فى جميع تلك اللغات مبدوء بحرفين ساكنين ، أما فى اللغة العربية ، فقد امتنع النطق بالحرف الساكن فى اول الكلمة ، ولذلك أضاف العرب الفا او همزة الى حروف اسم افلاطون ، كيما يتيسر النطق به تمشيا مع فلسفة اللغة العربية ، التي تمنع الناطق بها من النطق بالحروف الساكنة فى اول الكلام ، لان تلك الفلسفة تفترض أن كل قول اذا كان قولا جادا ، ينبغي أن يكون بمنزلة الفعل ، أو ان يهيىء قائله او سامعه للفعل المرتقب ، والفعل يقتضي الحركة ويستلزم الخفوف كما قال ابن جني ، واي قول لا يكون فيه حركية او تهيؤ للفعل فهو عبث أو لهو ، وفلسفة العربية تريد أن تنزه اهلها عن لغو الكلام (13) .

والحركية فى العربية حركية حياة خلاقة مبدعة، ذات عبقرية خاصة، وهي لاتكتفي بمسايرة التطورات المستحدثة ، كما تفعل بقية اللغات ، بل يجد الباحث المنصف فيها حركة بشرية فى تفاعلها ، فكانها كائن يذهب ويجيء وتموج فيه العواطف والاحاسيس ، ومن ابرز المميزات فى العربية أن كلماتها تنعم بهذه الحياة وبهذه الحركية ، فى الحين الذي نجد الكلمات فى سائر اللغات أدوات جامدة ، لا يعرف فيها شيء من الحياة ، الا بعد أن تجتمع طائفة منها الى بعضها ، وتؤلف عبارة .

ان العربية فى عبقريتها ، لم تكتف بهذا المنطق الذي هو فى حد ذاته قاعدة بل عمدت الى اكثر من ذلك . وها هي ظاهرة من ظواهر حياتها وحركتها حتى فى الكلمات ، فهي تتساهل اشمل ما يكون التساهل حيال من يتكلمها ، كما يفعل الرجل الشهم ازاء صاحبه تماما ، خذ مثلا كلمة (غضروف) ان اجتماع الغين والضاد يثقل احيانا على اللفظ وتناسق الكلمات فى الكلمة يجعلها سريعة الانفصال عن

---

(10) نفس المصدر ص 217 .
(11) الخصائص لابن جني ج 1 ص 5 — 12 .
(12) الخصائص لابن جني ج 1 ص 527 .
(13) محاضرات جامعة الازهر — الموسم الثاني 1962 م

اخواتها فى العبارة ، وفى السرعة ، فماذا تفعل اللغة العربية لتتلافى هذا الامر ؟ انها تتساهل معك ، وتقول لك ، اذا لم تستطع ان تلفظ كلمة (غضروف) فالفظ كلمة (غرضوف) فانها هي نفسها .

ان اللغة العربية لا تتعنت الى الدرجة التي تشعر بالبغض لها ، بل هي تأخذك بالحسنى ، فاذا انت من نبالة عواطفها ، ومن شهامة اخلاقها اسير لا تكاد تملك من امرك شيئا . والحياة التي فيها حياة ذات مقاصد ، تريد أن يكون التعبير جميلا وتريد أن يمتد هدفها الى اكثر من ذلك فيتحول الى فكرة مستمرة للجمال والذوق والذكاء ، فكرة تندفع بصورة تلقائية وتتولد من نفسها كالطاقة الذرية سواء بسواء (14) .

وانتقل بالقارىء العربي الى خاصة اخرى من خصائص العربية . هذه الخاصية هي الاعراب والاعراب هو : الابانة عن المعاني بالالفاظ ولفظة اعراب مصدر من اعربت عن الشيء اذا أوضحت عنه يقال فلان معرب عن ما فى نفسه : اي مبين له ، وموضح عنه .

الا ترى انك اذا سمعت اكرم سعيد اباه ، وشكر سعيدا أبوه ، علمت برفع احدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول ولو كان الكلام شرجا واحدا لاستبهم احدهما من صاحبه .

واصل هذا كله قولهم « العرب » وذلك لما يعزى اليه من الفصاحة ، والاعراب والبيان . ومنه قولهم فى الحديث « الثيب تعرب عن نفسها » والمعرب صاحب الخيل العراب ، وعليه قول الشاعر :

ويصهل فى مثل جوف الطو
ي صهيلا تبين للمعرب

اي اذا سمع صاحب الخيل العراب صوته علم انه عربي (15).

فالاعراب فلسفته : الابانة عن نظم تكوين الجمل بالحالات المختلفة للكلمة ، وعن صلات الكلمات بعضها ببعض ، ويمكن أن نقول : ان الاعراب دعوة الى الترابط والتآلف واعطاء كل ذي حق حقه دون ما لبس أو ابهام .

والعربية لغة وضوح وجلاء ، والاعراب احدى وسائلها لتحقيق هذه الغاية . وفى اللغات الخالية من الاعراب يعتمد اهل اللغة على القرائن ، وعلى اضافة كلمات الى الجملة لفهم المقصود من المعاني ، ولكن الاتكال على القرائن ، وعلى اضافة بعض الكلمات ، ربما لا يطرد . فأوجبت لغة العرب التفريق بين الفاعل والمفعول بالاعراب والا وقع الابهام وبهذا الصدد يحكى أن رجلا دخل على أمير المؤمنين علي — كرم الله وجهه — فقال له من غير اعراب : (قتل الناس عثمان) فقال له علي أمير المؤمنين : بين الفاعل من المفعول رحمك الله فاك وكذلك لا تستطيع التفرقة بين النفي والتعجب والاستفهام الا بالاعراب لان الصيغة فيها جميعا واحدة ، وحكاية أبي الاسود الدؤلي مع ابنته مشهورة ، اذ كانت تشاهد السماء ، وتعجب لمنظرها، فقالت : ما احسن (بضم النون) السماء فقال ابوها : نجومها فقالت : ما عن هذا اسأل ، وانما انا اعجب. فقال : لها اذن قولي : ما أحسن السماء . وافتحي فاك ، وهكذا وضع باب التعجب ، وباب الاستفهام فى العربية .

الاعراب اذن مطلب العقل فى اللغة ولذلك نرى ان الاعراب ارقى ما وصلت اليه اللغات فى الابانة والوضوح . وهذه المرتبة قد بلغتها العربية الفصحى ، ولا يشاركها فيه من اللغات القديمة الا اليونانية واللاتينية ، ولا يشاركها فيه من اللغات الحية الا الالمانية . اما اللغات الارية الحديثة — وتشمل معظم لغات اوربا الحديثة — فقد خلت من الاعراب ، ولا مميز فيها بين الرفع والنصب والجر ، وانما يقوم مقامها الحاق ادوات خاصة بذلك معظمها من حروف الجر ، أو بتقديم الالفاظ وتأخيرها ، مما لا يخرج عن الوضع الخارجي ، فى المكان ، هذا فى حين ان اللغة العربية ، قد استلزمت من أول الامر ، ان يكون الفكر الواعي مجددا للوضع الخارجي ، وأن يكون النظر الى المعنى : هو المبرر للتقديم والتأخير وتأكيد الاسناد وغير ذلك (16) .

ونحن نعني بالاعراب تغيير اواخر الكلم بتغيير العوامل عليها بالرفع والنصب والجر والسكون ، واللغات الحية فى العالم المتمدن الآن تعد بالعشرات ليس بينها من اللغات المعربة الا ثلاث : وهي العربية

(14) انظر مقال الياس قنصل — مجلة الاقلام المجلد الاول — بغداد .
(15) الخصائص ج 1 ص 22 — 24 .
(16) انظر : كتاب (فلسفة اللغة العربية) الدكتورعثمان امين المكتبة الثقافية عدد 144 القاهرة .

وابنتها الحبشيـة واللغة الالمانية (17) وقد اشـار عبد الرحمن بن خلدون الى مكانة العرب من كـلام العرب فقال : فان كلامهم — اي العرب — واسـع ، ولكل مقام عندهم مقال يختص به بعد كمال الاعراب والابانة . الا ترى ان قولهم زيد جاءني مغاير لقولهم : جاءني زيد ، من قبل أن المتقدم منهما هو الاهم عند المتكلم ؟ فمن قال : زيد جاءني ، أفاد أن اهتمامـه بالشخص قبل المجيء المسند . وكذلك التعبير عـن اجزاء الجملة ، بما يناسب المقام من موصول أو مبهم أو معرفة . وكذا تأكيد الاسناد على الجملة كقولهم : زيد قائم ، وان زيدا قائم ، وان زيدا لقائم ، متغايـرة كلها فى الادلة وان استوت من طريق الاعراب ، فـان الاول العاري عن التأكيد انما يفيـد الخالـي الذهن ، والثاني المؤكـد يفيد المتردد ، والثالث يفيد المفكر ، فهي مختلفـة (18) .

واذا كانت العربية عنيت بالاعراب توضيحـا للمخاطب والسامع وراحة للمتكلم ، فحرصا منهـا على وقت السامع والمتكلم توخت التركيز فى المعنـى والايجاز فى الجملة اقتدارا واختصارا وتوسعا وثقـة بفهم المخاطب . قال الله تعالى : « كل من عليها فان » اي على الارض ، وقال عـز وجل : « حتـى توارت بالحجاب » يعني الشمس . وقال « كلا اذا بلغـت التراقي » يعنـي الروح .

وقد تستعمل العربية حرفا واحدا يـدل علـى معان كثيرة ويعبر عن اغراض متنوعة . مثال ذلـك حرف (اللام) فمنه : لام التوكيـد ، ولام الاستغاثة، ولام التعجب ، ولام الملك ، ولام السبب ، ولام الوقت ولام التخصيص ، ولام الامـر ، ولام الجزاء ، ولام القسم ، على ان فى اللغة العربية مرونـة وحسـا موسيقيا يجعلانهـا لا تتـردد فى أن تزيد أو تحذف ، حفظا للتوازن ، وايثارا له ، فالزيادة مثل : قولـه تعالى « وتظنون بالله الظنونا » . « فأضلونا السبيلا» والحذف مثل : قوله تعالـى : « والليل اذا يسر »

ولهذا كله قال صاحب العبقريات : « واللغـة العربية فى طليعة اللغات المعبرة بين لغات العالـم الشرقيـة او الغربيـة : فـلا يعـرف علمـاء اللغات لغة قوم تتراءى لنا صفاتهم وصفات أوطانهم من كلماتهم والفاظهم ، كما تتراءى لنا اطوار المجتمع العربي من مادة الفاظه ومفرداته فى اسلوب الواقـع واسلوب المجـاز (19) .

ولقد شهد للغة العربية كبار الباحثين والعلماء والمستشرقين ، من غير العرب . وكان هذا منهـم اعرابا عن الحقيقة التي لا يسوغ انكارها ، ومرضاة للعلم فى ذاتـه .

قال : اغناطيوس كراتشكوفسكي : أول مـا نلحظه من اول نظرة نلقيها على هـذه اللغة — اي العربية — الغنى العظيم فى الكلمـات ، والاتقان فى الشكل والليونـة فى التركيب .

وقال الدكتور (ستنجاس) : ولنسائل انفسنـا ماذا كان مصير هذه اللغة العربية ، لو لم يكن محمد. ولو لم يكن القرآن ؟ ونحن لا ننكر ان اللغة العربيـة انتجت قبل الاسلام الوانا عديدة من الشعر ، وهـي غاية فى الحسن والرقـة الا انها كانت كلها محفوظـة فى اذهان الناس وغير مكتوبة ، زد علـى ذلـك ان الشعر العربي ، ليس هو الادب كله .

وقال المستشرق (ارنست رينان) : من أغـرب المدهشات ان تنبت تلك اللغة العربية القوية ، وتصل الى درجة الكمال وسط الصحارى ، عند أمة مـن الرحل ، تلك اللغة التي فاقت اخواتها بكثرة مفرداتها، ودقة معانيها ، وحسن نظام مبانيها ، وكانت هـذه اللغة مجهولة عند الامم ، ومن يوم علمت ظهرت لنا فى حلل الكمال ، ولم يعرف لها فى كل اطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة ، لا نكاد نعلـم مـن شأنها الا فتوحاتها وانتصاراتها التـي لا تبارى ، ولا نعلـم شبيها لهذه اللغة التـي ظهرت للباحثين من غيـر تدرج ، وبقيت حافظة لكيانها من كل شائبة .

وقال (شينجلر) : ان اللغـة العربية لعبت ، دورا اساسيا كوسيلة لنشر المعارف وآلة للتفكيـر ، فى خلال المرحلة التاريخية التي بدات ، حين احتكـر العرب — على حساب الرومان واليونان — طريـق الهنـد .

وقال العلامة (فريتاج الالماني) : ان اللغـة العربية ليست اغنى لغات العالـم فحسب ، بـل ان الذين نبغـوا فى التأليف بها لا يكاد يأتي عليهم العد ،

(17) راجع كتاب (تاريخ آداب اللغة العربية) جرجي زيدان جـ 1 ص 42 الطبعة الثالثة — القاهرة .
(18) مقدمة ابن خلدون ط/ دار التحرير للطبـع والنشـر ، 1966 م — القاهـرة .
(19) انظـر مجلة الازهر مارس 1959 مقال عباس العقـاد .

وان اختلافنا عنهم فى الزمان والسجايا والاخلاق أقام بيننا ونحن الغرباء عنالعربية — وبين ما الفـــــوه حجابا لا يتبين ما وراءه الا بصعوبـــة .

وقال (ريتشرد كويتهيل) : انه لا يعقل أن تحـل اللغة الفرنسية أو الانجليزية محل اللغة العربيـــة، وان شعبا له آداب غنيـــة منوعة كالآداب العربية ، ولغة مرنة ذات مادة تكاد لا تفنى ، لا يخون ماضيه ، ولا ينبذ ارثا اتصل اليه بعد قرون طويلـــة عن آبائه وأجداده ، وان التباين الجزئي الذي يبدو بين اللهجات العربية ، لابد ان يزول .

وقال (وليم رول) : ان اللغة العربية لم تتقهقـر قط فيما مضى امام اي لغة من اللغات التي احتكـت بها ، وانها ستحافظ على كيانها فى المستقبل ، كمـا فعلت فى الماضي وان لها لينا ومرونة يمكنانها مـــن التكيف وفقا لمقتضيـات العصــر .

وقال (ماجليوت) : ان اللغة العربية لا تـزال حية حياة حقيقية ، وانها احدى ثلاث لغات استولت على سكان المعمورة استيلاء لم يحصل عليه غيرهـا الانجليزية والفرنسية ، وهي تخالف اختيها بأن زمان حدوثها معروف ، ولا يزيد سنها على قرون معدودة ، اما اللغة العربية فابتداؤها أقدم من كل تاريخ .

وقال ادوارد فان ديك : اللغة العربية من أكثر لغات الارض امتيازا، وهذا الامتياز من وجهين، الاول: من حيث ثروة معجمها ، والثاني من حيث استيعاب آدابهـا .

وقال (بروكلمان) : ولغة الشعر العربي هذه ، قد تميزت ميزة عظمى من الصور النحوية ، وقـــد بلغت من حيث دقة التعبير عن علاقات الاعـــراب والنحو ، ذروة التطور فى اللغات السامية ، ومعجـم العربية اللغوي لا يجاريه معجم فى ثرائه ، انه نهـر تقوم على ارفاده منابع اللهجات الخاصة التي تنطق بها القبائل العربية .

وقـال (لوي مسينيون) : فى حين ان اللغـة السريانية نقلت اجروميتها عن اللغة اليونانية نقـلا ، استطاعت لغة الضاد ان تشيد بناء فخما من الاعراب يضع امام الابصار مشهدا فلسفيا ذا آصالة وابتكار . وبفضل القـرآن بلغت العربية من الاتساع مدى لا تكـاد تعرفه اي لغة اخرى مـن لغات الدنيـا والمسلمون جميعا ، مؤمنون بأن العربية هي : وحدها اللسان الذي احل لهم ان يستعملوه فى صلاتهـم ، وبهذا اكتسبت العربية منذ زمان طويل مكانة رفيعـة فاقت جميع اللغات الاخرى التـي تنطق بها شعـوب اسلاميـة .

وقال (رانكه) الفيلسوف الالماني : ان الثقافـة الانسانية تعتمد على لغتين كلاسيكيتين هما : العربية واللاتينية ، وبينمـا اشتقت اللغـات الغربية مـن اللاتينية ، فقد نفثت اللغة العربية فى الشرق روحـا فنية . ولا يمكن فهم المصنفـــات الادبية الفارسية أو التركيـة بدون العودة الى الكلمات العربية وخاصة : ان وحي القرآن الكريم الذي لا يجارى ، يعد — بلا مراء — اساس العقيدة الانسانية والثقافة البشرية .

وبعد . هذه هي اللغة العربية المتدفقة . وهـذا هو مجمل آراء وشهـادات المستشرقين وتلـك خصائصها كما عرفناها ، فما اعرقها لغة ، انهـا لغة المسلميـن والاسلام .

اللغة العربية على المحك

الأستاذ خليل الهنداوي
حلب (سوريا)

حقا لكل لغة مشاكلها ، ومن يطلع على مسيرة اللغات فى العالم ير أن هناك فئة من اللغات تحيا حياة عامة ، منسابة ، وفئة منها تحيا فى حيز ضيق ، يتناول اصحاب هذه اللغة ، واهلها .

وهذا ينطبق على اللغة العربية انطباقه على بقية اللغات . واللغة العربية اليوم تحيا فى هذا الجزء الضيق ، واذا ابتعدت قليلا عنه كان انفراجها فى دائرة الدراسات التاريخية والاجتماعية وقليل منه فى الدراسات العلمية ، والمصطلحات التقنية .

وقد مرت اللغة العربية بدور ، كانت فيه لغة انسانية ، حين تجاوزت التخوم العربية ، واصبح ادبها والعلم فيها ذائعا فى الاقطار التي مسحها الفتح العربي اولا ، والدين ثانيا .

والاسلام ، بطبيعته ، مرتبط باللغة العربية ، ولا غنى للمسلم مهما كان اصله ومنشؤه عن المامه باللغة العربية سواء كان قارئا للقرآن فى تأدية شعائر الدين ، أو متفهما لاصوله . وهذه مزية لم تحظ بها لغة أخرى فى العالم . وكان من وراء ذلك ان عم نفوذ اللغة العربية واسهم فى التأليف بها جماعات عربية ، وغير عربية .

ولما انحسر النفوذ العربي عن هذه الاقطار انحسر نفوذ اللغة فيها ، كوسيلة للتعبير ، والتأليف. ولم يبق منها الا رمزها المتصل بالدين .

وقد ينطبق هذا المثل على لغة ، تعد أكثر اللغات انتشارا اليوم ، هي اللغة الانجليزية ، فان تغلغل الاحتلال الانجليزي فى الاقطار الدانية والنائية ، مهد لهذه اللغة أن تنتشر وتتوسع ، وتقدم اللغة العلمية بها على الاقل . وقد ظل تأثير هذه اللغة فى الاوساط العلمية والدراسية بهذه الاقطار ، قائما ، حتى بعد انحسار الاحتلال ، لان هذه الاقطار المتخلفة وجدت فراغا كبيرا ، وجدبا فى لغتها القومية وثقافتها ، فظلت مثابرة على تبني اللغة الانجليزية فى مدارسها العالية ، وجامعاتها . ولا ندري : الى متى تدوم هذه التبعية ؟

ويبدو أن الغزو نفسه يمهد لانتشار لغة الغازي، اما تقربا من الغازي ، واما طلبا لاتمام النقص الذي تشعر به ، والا فان هنالك لغات اخرى واسعة ، لا تقل طواعية ومرونة وغنى عن اللغة الانجليزية ، ولكن لم يرافقها غزو واسع ، يمكن لها ما مكنه الغزو للغة الانجليزية .

ولذلك تحيا اللغة العربية الآن فى حيز ضيق، هو رقعة العالم العربي ، وهذه الحياة نفسها غير موحدة باصطلاحاتها ، ولا مستقرة فى اشتقاقاتها ، لاختلاف هذا العالم فى وجهات ثقافاته .

ولعل من العوامل البارزة فى استقرار اللغات الاجنبية انها تصدر فى اشتقاقها من منبع واحد ، هو اللغة اللاتينية ، واليونانية القديمة ، وهذا المنبع وحد مصطلحاتها العلمية والفلسفية ، بينما اللغة العربية قل اتصالها بهذا المنبع ، فلذلك جاءت المشكلة وتعقدت من نتيجة هذا الانقطاع .

* * *

والذي يتأمل تطور اللغة العربية يجد انه تطور لا يتخطى الشكلية ، والدوران على النفس ، فأما البناء فهو باق لا يتبدل ، وما اشبهه ببناء عتيق ، قد تأكلت حجارته ، شأن آثارنا القديمة الشاخصة ، وغطاها طحلب القدم . فالقواعد لا تزال واحدة ، لم يجرؤ احد أن يخفف ، أو ييسر من قيودها ، أو يقلل من شواذها المتقلقلة . ولم يبق منها الا عملية الاشتقاق ، وهي عملية ناجعة ، لو وجدت من يستغلها ، ويفيد منها . ولكن هذه العملية ليست موحدة فى الاقطار ، اذ نرى كل مجمع لغوي يشتق وفق هواه واجتهاده ، ثم لا يأخذ أحد بهذا الاشتقاق . ولا تنكر وزارة من وزارات التعليم والثقافة فى تطبيق هذه المشتقات ، واذاعتها فى الكتب المدرسية التي يأخذ بها الطلاب .

ولذلك: اذا اردنا خيرا وحياة لهذه المصطلحات، يجب :

اولا : العمل على تهذيب القواعد وتخفيف اعبائهـــا .

ثانيا : توحيد جهات الاشتقاق بما يجري مـــع الطبع والعصر والحاجـــة .

ثالثا : اذاعة هذه المصطلحات المشتقة ، بكـــل وسيلة فعالة ، فى ابناء الجيل الآتي .

* * *

وأما الذين يزعمون أن اللغة العربيـــة عقيمة ، لا تستجيب الى الحياة الحديثة ، تعصبا او لهـــوى خبيث فيهم ، فقد فاتهم أن اللغة العربية ، بطبيعتها ، لغة مرنة ، غنية ، يدل على ذلك مفرداتها الدقيقة ، وقد امتحنت — أيام النهضة العلمية فى العصـــــور العباسية — وثبتت لهذا الامتحان ، وعبرت احســـن تعبير عن كل خاطرة ، وتجربة ، ومعنى هذا أنهـــا صالحة للتدريس الجامعي بأوسع ما يريد منها هـــذا التدريس ، ومستعدة للوفاء بالتزامات التعبير عـــن كل شيء .

وقد اراد الشاعر — حافظ ابراهيم — مرة أن ينبري لهذه المشكلة ، ويعالجها بروح شعرية ، فوضع قصيدته المشهورة ، عن لسان اللغـــة العربيـــة ، فى الشكوى من اهمال ابنائها ، ومما قاله :

ايطربكم مـــن جانـــب الغرب ناعب
ينـــادي بـــوادي فى ربيع حياتي ؟
وسعت كتاب الله لفظـــا وغايـــة
وما ضقت عن آي بها ، وعظـــات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ؟
وتسجيـــل اسمـــــاء لمخترعـــات
اتـــوا اهلهـــم بالمعجـــزات تفننا
فيـــا ليتكـــم تاتـــون بالكلمـــات

فالمشكلة التي عاناها الشاعر منذخمسين سنة، لا تزال هي مشكلتنا اليوم ، بل ربما زادت عليهـــا صعوبة وتعقدا ، لانها ليست بمشكلة العجمة التـــي امتدت زمنا الى لغة المخاطبة ، بتاثير العوامل الغريبة الزائفة التي ضعفت ، وكادت تضمحـــل ، وانما هي ، فى الدرجة الاولى ، مشكلة استحداث اللغة العلميـــة التي تجاري النهضة العلمية الوثابة .

ومن هذه المشكلة مسالة ايجاد المفردات العلمية الدقيقة للمنجزات والمخترعات المستحدثة وبخاصـــة فى علوم الطب والصيدلة والفيزياء والكيمياء والاجتماع.

واللغة العربية وقفت موقفا طبيعيا من هـــذه المستحدثات ، فقد رايناها تعرب بعضها ، فتنجح فى البعض ، وتخفق فى البعض . فمثلا ، كلمة السيـــارة والطيارة والهاتف والمذيـــاع كلمـــات موفقة سائرة ، وهنالك كلمات اخرى كتبت ، ولم ينطق بها لعسرها وبعدها عن المرونة اللفظية ، والروح العلمية .

وان من الواجب على ذوي الاختصاص مـــن علماء وفقهاء لغويين أن يتأملوا فى جيراننا ، ممـــن حالهم كحالنا ، ومشكلتهم كمشكلتنا ، ولغتهم عزيـــزة عليهم كما لغتنا عزيزة علينا ، كيف قابلوا هذه المشكلة، وحلوهـــا .

ولكن جل ما فى الامر ان نقابل المشكلة بتجـــرد، بدون تحيز ولا تعصب !

وفى الحق أن لكل لغة وجهين : وجهها الادبي الخاص الذي لا تنفصل عنه ، وهذا له مميزاتـــه الشخصية فى التعبير والمجـــاز والتشبيـــه ، ووجههـــا العلمي الذي أصبح ، بفضل اتصال اجـــزاء العالم ، بعضها ببعض وجها عاما متحدا ، ونحن ، فيما نشتق فى هذا المجال نتكلف ما لا يستطاع ، لانه تسمية لاشياء لم نخلقها . ولذلك ، كحل صحيح للمشكلة ، يجـــدر بنا ان نبقي على المصطلحات العلميـــة ، كما وردت بلغتها الاصلية . وهي — غالبا — مصطلحـــات تستخدمها كل لغة فى العالم ، دون أن تجد فى ذلـــك غضاضة على لغتها . واللغة العربية ذاتها فتحـــت صدرها اكثر من مرة ، لامثال هـــذه المصطلحات ، وللالفاظ الغريبة عنها ، فى عصور نهضتها ، واحتضنتها وعربتهـــا .

وان فى القرآن الكريم الذي انزل عربيا ، الكثير من هذه المفردات التي انتقلت الى العربية من اللغات السريانية المجاورة لها .

هـــذا ويوفر علينا الزمـــن ، ويجنبنا الفوضى فى التعبير ، ويجعلنا ذلك اقرب الى التيـــار العلمـــي العالمي ، كما يجعل المختص منا اقرب الى روح هذه الاشياء ، وايسر اتصالا بمراجعها الغريبة التي غدت جزءا لا يتجزأ من دراساتنا العلمية

اللغة العربية والعالم الحديث

شارل بيلا

الاستاذ بجامعة السربون (باريس)

قيل ان العرب لم يتصوروا الزمان كما نتصوره نحن ابناء القرن العشرين ، الا ان المؤرخين المسلمين شعروا بفردانية الوقائع التاريخية ، او بعبارة اخرى علموا ان التاريخ لا يعود ولا يستعاد ، بالرغم من ذلك كله نرى جزءا من تاريخ العرب ، بل من تاريخ اللغة العربية ، كأنه يتكرر فى وقتنا هذا اذ ان الناطقين بالضاد تعترضهم — والاولى ان اقول : تعتريهم مشاكل شديدة التعقد شبيهة بما اضطر اجدادهم فى صدر الاسلام الى تذليله من الصعوبات فيما يخص اللغة ومقتضياتها .

فلقد دعيت الى تبيين هذه المعضلات وتوضيحها اي الى الحديث حول امكانيات اللغة العربية وهل هي جديرة بان تستعمل فى التعليم العالي والتقني ، فهذا باب من ابواب العلم بعيد المرام صعب الطرق دقيق الفتح لان مكانة العربية وموقفها من العالم الحديث موضوع يبعث على المجادلة والمشاجرة ويضرم نار الاهواء ، فيستوجب الخوض فيه بعض الاحتياطات والتحفظات .

فالمسألة التي طرحت على بساط البحث ترجع الى التساؤل عن روح العربية — ولم اقل عبقرية العربية لان العبقرية شيء آخر لا يمت الى مرادنا بسبب — ، وعن المصطلحات المستعملة فى التعليم الفني والعلمي اتوجد وتستطيع ان تظهر الى حيز الوجود ام لا ، فيمكنني ان اجيب عفويا على هذا السؤال قائلا ان جملة من المصطلحات غير موجودة الى حد الآن ، الا ان اغلب ما يحتاج اليه منها ممكن الوضع جائز الاختراع، ومثل هذا التصريح من شأنه ان يقر العيون ويثلج الصدور ، غير اني بحاجة الى ضرب مثل بسيط افهاما للموافقين وافحاما للمخالفين: هبوا أن حارة جديدة قد بنيت فى مدينة من المدن الكبار، فلا غرو أن احداثها يثير مشاكل شتى منها مشكلة النقليات العمومية مثلا ، فما هي واجبات المسؤولين عند ذلك ؟ فيجب عليهم اولا أن يدرسوا المعضلة ويتأملوا معطياتها ، اي ان يقدروا الحوائج الجديدة ثم يعددوا ويحصوا الوسائل الموجودة فان لم يكف ما لديهم من سيارات النقل التمسوا مركبات اخرى على حسب ما يقتضيه عدد السكان وهلم جرا ، الا ان النقليات لها ادارة منظمة وموظفون متدربون يعرفون موارد الامور ومصادرها ويتخذون التراتيب اللازمة ، اما اللغة فليس لها ديوان حكومي ولا يخدمها موظفون يطبقون مبادىء معلومة ويسلكون مسالك محدودة ، بل يخدمها افراد ليس لهم من الحيلة الا حبهم للغة ومن المنهاج الا ما خطر ببالهم ، فعدم المنهاج او اتباع منهاج اختباري لا يفضي فى القرن العشرين الا الى الفوضى (1) ، وخلاصة القول ففي جميع الميادين ينبغي لمن اراد القيام بالحوائج الجديدة الناجمة عن

1) لقد كتبت هذه الاسطر قبل انشاء مكتب التعريب الذي نشر معاجم موقتة لها اهمية كبرى فى سبيل التعريب ووضع المصطلحات المحتاج اليها .

تغير الاحوال ان يحصي هذه الحوائج ويستخدم جميع ما لديه من الوسائل لسد الثلمة الظاهرة : فان نجح فله الحمد وان اخفق فقد ابلغ العذر .

ومن شأن الانسانية من بدئها الى آخر الابد ان تتغير احوالها وتتطور فتتقدم وتترقى ، ولولا ذلك لعشنا فى الكهوف والغيران وغطينا اجسادنا بجلود الوحوش والسباع ؛ غير أن الحضارة ليست بنصيب امة من الامم بل انها نعمة عامة ينتفع بها من شاء ويتركها من شاء اعني بذلك ان البشرية ان تقدمت جملة فان الامم المختلفة تناوبت على المدنية وتداولتها ، فنشأت حضارات وكهلت ثم هرمت وماتت ، فقامت مقامها حضارات اخرى صارت مصيرها وهكذا الى يومنا هذا ، ومن ناحية اخرى فمن المعلوم أن المدنيات المعاصرة بعضها بعضا كانت تتباين بقدر تباعد البلدان وتفاوت الاحوال الجغرافية والاقتصادية الى غير ذلك من العوامل الفعالة ، فلم تزل هذه العوامل تعمل عملها وتؤثر فى شكل المدنيات ، ولكن الدنيا بعد أن كانت فسيحة الاقطار اصبحت ضيقة الانحاء متماسكة الاجزاء رغما عن النزاع السياسي او الديني الظاهر الذي يكاد يخفي بواطن الامور ، والحاصل أن جميع المدنيات المختلفة تميل الآن — فى بعض نواحيها على الاقل — الى شيء من الائتلاف والتشابه لا يخلو من ان يثير مشاكل شتى فيما يتعلق بمظاهر الحياة عامة وباللغات المتكلم بها فى مختلف اقطار العالم خاصة .

ثم ان التاريخ الكوني يعلمنا ان التقدم كان فى اغلب الاوقات بطيئا تدريجيا لا يستعجل الاجيال المتتالية فى وضع الكلام المناسب للحضارة التي هو آلة لها واداة ، وكذلك كانت الحال فى أروبا الى عهد الثورة الصناعية التي اندلعت فى القرن التاسع عشر ، فمنذ ذلك الوقت وخصوصا منذ الحرب العالمية الاولى ثم الثانية تهاطلت علينا المخترعات الصناعية والمكتشفات العلمية حتى قيل ان الشيء يكاد يؤخذ قبل ان يوضع اسمه وان المدلول يسبق الدال عليه .

فلا يخفى على احد ان الدول الغربية لها اليد البيضاء فى اكثر هذه المخترعات والمكتشفات ، ولحسن الحظ تكون ولا يزال يتكون كلام علمي مستمدة عناصره من اللاتينية واليونانية اللتين اصبحتا معدنين لا ينضبان بعد أن كانتا اصلين اساسيين من اصول اللغات الغربية ، ففي اغلب الاحوال يجوز أن تصير كلمة موضوعة فى امريكا مثلا فرنسية محضا بغير تبديل الا فى النطق ، ولكن الآفة التي لا مفر منها هي الاقتباس من اللغات الاجنبية فى ميادين تستغني عن ذلك كالتجارة والرياضة؛ فالصحف الفرنسية وبعض الكتب مشحونة بالفاظ انجليزية اوامريكيةلا حاجة اليها اللهم الا فى الاوساط النفاجة المتنبلة ، ويشتكي انصار الفرنسية هذا الاجتياح السلمي الذي اصبح خطرا خطيرا على فصاحة اللسان (2) : يدل ذلك كله على ان لغة عالمية كالفرنسية التي كانت الى عهد قريب لغة الاوساط المثقفة فى جميع اقطار اروبا ولم تزل فى بعض البلدان لغة الديبلوماسية لوضوحها وبلاغتها ؛ لا تستطيع ان تتبع التقدم وتوافقه الا بجهد جهيد ، ولكنها لم تتأخر بعد وعليها أن تقوم بالحوائج الناشئة كل يوم فقط ، فما ظنكم باللغات التي كان يتكلم بها رجال انتقلوا فجأة من حضارة بائت بروحيتها الى مدنية تتميز بماديتها ؟ فهذه هي المأساة ومنها نتج القلق الذي يشعر به الناطقون بالضاد ، فليس داء بلا دواء الا الموت ، وبما ان اللغة العربية لم تمت ولن تموت فالامل ممكن ، بل انه لاجباري ، ولو خامرني ادنى شك فى حيوية العربية لما تناولت هذا الحديث .

فحالة العربية الآن غير حالة اللغات الغربية لانها لغة عريقة فى التقادم بلغت اوجها فى القرون الوسطى ثم ركدت عصورا طوالا وانتعشت فى القرن الماضي لاسباب معروفة تغني استفاضتها عن اعادتها هنا ؛ فتغيرت حينذاك الحضارة العربية تغيرا ملموسا واخذ سكان الشرق الاوسط من كل شيء غربي بطرفه حتى انهم يفتقرون الآن الى وضع عدد وافر من الالفاظ للدلالة على امور موجودة فى الغرب منذ امد طويل ويحتاجون علاوة على ذلك الى تتبع الترقي السريع المستمر .

فان نحن القينا نظرة اجمالية على ما تحتاج اليه اللغة العربية من الكلام راينا امس الاشياء تنحصر فيما يلي :

اولا — العربية تحتاجالى أمورواشياء غيرمعهودة فى المدينة العربية من ملابس ومآكل ومشارب وادوات وغير ذلك فقديما كان فى الحضارة الغربية او حديثا كالراديو والتلفون والنيلون وغيرها مما يدخل فى

2) حتى لقد نشر اخيرا احد زملائي بجامعة السربون الاستاذ (Etiemble) كتابا ممتعا عنوانه : «هل تتكلمون بالفرنجليزية » (نحتا من فرنسية وانجليزية) ينتقد فيه الذين يكثرون من استعمال الفاظ وتراكيب انجليزية فيما يقولون ويكتبون .

نطاق الحياة اليومية ، او بعبارة اخرى فاللغة بحاجة ماسة الى الفاظ دالة على مدلولات حسية .

ثانيا ــ الحاجة الى الدلالة على مفاهيم غير معروفة من قبل متعلقة بالحياة الفكرية والادارية والسياسية الخ.. فاهم المشاكل فى هذا الميدان هو ان تتفق جميع البلدان العربية على « مصطلحات » مقبولة فلا يقال مثلا هنا « دراجة » وهناك « عجلة » للدلالة على (Bicycle)

ثالثا ــ الحاجة الى المصطلحات العلمية والتقنية، فهذه المصطلحات هي التي تشغل اذهان الناطقين بالضاد فيتحيرون ويتساءلون عن سبب ما يظهر من تقصير فى لسانهم وعن واجبهم فى هذا المضمار ، غير منتبهين الى امور من شانها ان تشفي غليلهم .

ذلك اننا ان تأملنا لغة من اللغات فى وقت معين من تاريخنا راينا انها تنقسم الى قسمين رئيسيين : فالقسم الاول ما يجب على انسان مثقف غير متخصص ان يعرفه من المفردات ليعبر عن افكاره ويؤدي دوره فى المجتمع ويقرأ الكتب والجرائد ، فيتراوح عدد هذه الالفاظ حسب اللغات والاشخاص من بضعة آلاف الى ما يقرب العشرين من الآلاف ومن هذه الكتلة اللغوية تنبثق روح اللغة وتظهر خاصيتها ومميزاتها.

واما القسم الثاني فهو عبارة عن السنة متباينة ضمن لغة واحدة ، اعني بذلك كلام الاطباء مثلا والفلاسفة والنجارة والحدادة والمتخصصين فى مختلف الصنائع والعلوم والفنون ، فيعلم تلامذة صف الفلسفة فى المدارس الثانوية انه لا يمكنهم ادراك ما فى كتبهم الفلسفية دون مراجعة معجم خاص يتضمن الفاظا كثيرة لا توجد فى قواميس اللغة ، وهكذا اصبح من الميسور ان نميز فى هذا القسم الثاني فرعين : : فالفرع الاول هو ما يجب على جميع الناس وبالاحرى المثقفين منهم ان يعرفوه من المصطلحات الفنية والعلمية ليقال انهم من الادباء، لان الادب كما تعلمون هو الاخذ من كل شيء بطرف ، واما الفرع الثاني فهو خاص الخاص وقدس الاقداس اذ يشتمل على المصطلحات الواجبة معرفتها لنيل شهادات التعليم العالي .

أما القسم الاول والفرع الاول من القسم الثاني فلا بأس بهما فيما يخص العربية لان الجهود التي بذلها الكتاب والعلماء والصحفيون والخبراء قد افضت الى نتائج مرضية رغما عن عدم الاتفاق التام بين كثير من الالفاظ وما يناسبها فى اللغات الاخرى ، فلا انكر هذه الاصالة ولا استكرهها ، غير ان المكروه هو عدم الثبوت فى المعنى لان كلمة عربية ربما تدل على مدلولات ومفاهيم تنتقل بين حدين متباعدين ، لقد حاولت فى معجم صغير نشرته منذ اعوام ان احدد معنى بعض الكلمات المترادفة ظاهرا المتباينة باطنا كافتراض واحتمال وغيرهما ؛ ثم رايت ان الكتاب لا يراعون تدريج المعاني وربما يضعون الكلام غير موضوعه بدون ورع ولا حرج ، فعلى كل حال يبدو ان جملة اللغة وافرة غزيرة ومع ذلك يجدر بي ان اعترف بأن الثلم لم تسد بعد تماما وان مفاهيم عديدة ظل من العويص التعبير عنها بعربية فصيحة ، ولكننا ان قارنا بين حالة اللغة فى اواخر القرن الماضي وبين حالتها الحاضرة لاحظنا انها تقدمت تقدما باهرا فيما يخص الاعراب عن مظاهر الحياة الحديثة ، واني لاعتقد ان الوسائل التي وضعتها الطبيعة تحت تصرف الناطقين بالضاد جديرة بأن توسع اللغة وتغنيها وترقيها وترفعها الى مستوى عال سام .

اما الفرع الثاني فهو الذي يهمنا الآن لان العربية متأخرة فى هذا الميدان تأخرا نسبيا لا يجوز ان يعاب به العرب انفسهم ، ذلك ان التعليم التقني والعالي كان يتكفل به غالبا فى الاقطار العربية اساتذة انجليزيون أو فرنسيون وكان الطلاب يحسنون لغة غربية فما زالوا لحسن الحظ يجيدونها، ولكن الاقطار المومى اليها قد نالت استقلالها التام بعد الحرب العالمية الثانية ، فارادت الحكومات ان تعرب التعليم فى جميع درجاته ونواحيه دون استعداد كاف بل دون اعداد الاحوال الصالحة ، فلقيت بغتة صعوبات شديدة ظنت فى اوقات اليأس انها لن تذلل ابدا ، فهذه المصاعب ــ والحق يقال ــ مخيفة هائلة غير ان اهل اللغة لم يواجهوا المشاكل من وجوهها ولم يشمروا عن ساعد الجد والكد لحلها حتى ادعى بعضهم انها محلولة فلا حاجة اذن الى اعتبارها ، فهذه حقيقة مرة من واجبي ان ابرزها .

وقد قلت ايضا أن التاريخ يتكرر احيانا ، فينبغي الآن ان ابدي رايي فى هذا الشان : يعلم الحفاظ ان القرآن الكريم لا يتضمن كثيرا من المصطلحات الاسلامية التي يرجع فضل وضعها الى علماء القرن الاول والقرن الثاني الذين اجهدوا انفسهم فى افراغ الالفاظ اللازمة فى قوالب عربية حتى تصبح اللغة آلة صالحة للحضارة الاسلامية الناشئة اذ كان من الاكيد ان لهجة الحجاز ونجد كانت تقوم فى الجاهلية بحوائج الشعراء والخطباء وسكان الوبر والمدر ولكنها

اضحت غير كافية بمجرد ما ارتقى العرب مدارج المدنية الرفيعة المتفننة التي نالوا بها مجدا خالدا .

فنشأت الى جانب العلوم الاسلامية التي تتطلب مصطلحات كثيرة ، علوم اخرى كالجغرافية والتاريخ فضلا عن الرياضيات والفلسفة وغيرهما من العلوم ، فلما تسلم بنو العباس عرش الخلافة شجعوا حركة الترجمة حتى أن لفيفا من المترجمين نقلوا من البهلوية واليونانية والسريانية عددا جما من الكتب الادبية والتاريخية والعلمية والفلسفية ، فنمت اللغة وتوسعت بفضل المترجمين ثم المتكلمين والفلاسفة الذين وضعوا اسس الكلام الفلسفي ، ومن العجيب أن اكثر المصطلحات الادارية والسياسية والفلسفية عربية الاصل — ان استثنينا اسماء النقود القديم اقتباسها كالدرهم والدينار والفلس ، وعددا يسيرا من الالفاظ الفلسفية كالفلسفة نفسها والهيولي مثلا — فنترك هذه الملاحظات الخاطفة على سعة الجهود المستمرة التي بذلت لكي تعرب المفاهيم المأخوذة من مدنيات اخرى ، ولسوء الحظ لم يعتن احد بالاساليب والطرائق التي طبقت عفوا أو عن قصد فى سبيل هذا التعريب .

ومع ذلك فاذا تصفحنا مثلا كتاب ميولى الطب فى الحشائش والسموم لدياسقوريدوس الذي نقل الى العربية فى القرون الوسطى ونشر مؤخرا فى تطوان (المغرب) رأينا أن المترجم لم يجد لعدد كثير من اسماء الحشائش والسموم ما يقابلها فى اللغة العربية فأبقاها على حالها اي اقتصر على كتابتها بالحروف العربية ، ومما يجدر بالملاحظة ان هذه اسماء كتابية صحفية لا رواج لها الا فى الاوساط المتخصصة من العطارين والصيادلة . فاننا سنصادف فى مجرى بحثنا ما يشبه تمام الشبه بما قد مر ذكره ، وبالضد فان نظرنا الى التحفة التي نشرها وترجمها الى الفرنسية الدكتور رينو والاستاذ كولين وادرجاها فى منشورات معهد الدراسات العليا فى الرباط بعنوان: « تحفة الاحباب فىماهية النبات والاعشاب» اضطررنا الى الاعتراف بأن اللغة العربية كانت فى القرون الوسطى تشتمل على كثير من اسماء النبات والاعشاب التي تنبتها الارض حول البحر المتوسط ، فمن اعتنى من العلماء المعاصرين بفحص علمي لهذين الكتابين واشباههما وباقامة لائحة الاسماء المذكورة فيها ؟

ولعلكم فهمتم من كل هذا الغرض الذي ارمي اليه والغاية التي اهدف اليها : فان ما يعترضنا من مشاكل يمكن التماس حلول لها وليس ذلك بممكن فحسب بل هو ضروري اجباري اذا اردنا ان تدوم هذه اللغة الجميلة العزيزة وتحل محلها بين اللغات الكبرى، فالوسائل التي هي لدينا مختلفة وسأذكرها بدون ترتيب منطقي ليأخذها من شاء ويتركها من شاء :

اولا — رغما عما يزعم بعض الناطقين بالضاد فان اللهجات العربية حية موجودة غير معدومة ، فهي غنية واسعة تتضمن هنا وهناك الفاظا عامية يومية الاستعمال لا توجد فى اللغة الفصحى ، منها خاصة مصطلحات أهل الصنائع ، فلاي سبب لا يمكن الرجوع اليها عند الحاجة بشرط أن يتفق على معناها؟

ثانيا — رغما عن افتخار العرب بماضيهم المجيد لم يستغلوا حق الاستغلال ثروة قريبة المنال كثيرة المنافع الا وهي اللغات الاجنبية التي اخذت من العربية فى القرون الوسطى وبعدها الفاظا لم تزل حية الى الآن ، فلعل اهم هذه اللغات التركية التي ردت للعربية « جمهورية » و « لسان الحال » وغير ذلك وتستطيع ان ترد لها ايضا قسطا من المصطلحات الطبية والعلمية ، ثم تليها الفارسية التي اخذت أيضا كثيرا من المفردات ثم خصصت معانيها وحددتها ، فكثيرا ما الجأ الى قاموس فارسي اذا ما صادفت كلمة عربية لا توجد فى المعاجم العادية بالمعنى الذي كانت تستعمل به فى القرون الوسطى لان اصحاب القواميس العربية لم يقيدوا المولدات ، فأظن أن معاصرينا لم يكترثوا بمثل هذا المعدن كما انهم لم ينتفعوا باللغات الغربية كالاسبانية والفرنسية وغيرهما ، فاني اعتقد مثلا ان اللفظة المعروفة (chèque) التي صارت فى العربية « شيك » هي فى الاصل « صك » ولنقس على ذلك .

ثالثا — وبالعكس من ذلك لا تتورع العربية عن الاقتباس ، ومن المعلوم ان الدخيل فيها غير قليل الا ان المسلمين انفسهم يقرون بأن فى القرآن الفاظا غير عربية الاصل كمنبر وصراط وصلاة وغير ذلك مما ذكره النحويون ، حتى ذهب السيوطي الى ان فى القرآن بضع كلمات بربرية .

ولكن مسألة الاقتباس من اللغات الاخرى مسألة دقيقة صعبة ، فان اللهجات ، بما انها حية ، يمكنها ان تقبل جميع المفردات الاجنبية فتعربها تعريبا نسبيا حتى يقال قبطان (capitaine) على وزن فرمان ، وجن النار (général) أو تبقيها على حالها كطموبيل (automobile) واوتيل (hôtel) ، أما الفصحى فلا تتمتع بحرية تامة وان بدلت الكلمة

الدخيلة لتفرغها في صيغة من الصيغ شوهتها وجعلتها غير مفهومة ، فان اخذتها اللغة كما هي لم يعرف من جهل اللغة الاصلية كيف يقراها وقال مثلا تلفون (بضمتين) ، وزيادة على ذلك فمن الصعب أن يجمع اهل اللغة على مثل هذا الدخيل الا بعد طول المدة ، ان لم تمت الكلمة في اثناء ذلك ، فالافضل اذن ان يقتصر على اخذ الالفاظ التي لها اشباه في اللغة فتنضم بسهولة تامة الى السلاسل اللغوية كتلسم على وزن علم ، وتلغزة على وزن فلسفة وغاز على وزن نار .

واما الالفاظ التي لا تعرب بسهولة فاعتقد أن الكف عنها احسن والتماس كلمات عربية اصوب ، فاذا تنافست كلمتان احداهما عربية والاخرى دخيلة فالافضل ان تستعمل الاولى بدلا من الثانية ، فقد قرات في محضر من محاضر الدرك السوري : « كلمناه هاتفيا » ومن العجيب ان اكثر الناس يقولون تلفونيا او بالتلفون مفضلين كلمة غير عربية بدون جدوى ولا منفعة ، فهذا مظهر من مظاهر الفوضى السائدة في الوقت الراهن ، وبالعكس فان تنافست كلمة دخيلة واضحة كفلم واخرى عربية ذات معان شتى مثل شريط ، فالاولى أن تقدم الاولى على الاخرى .

فلا يجوز وانا بصدد هذه الدراسة الوجيزة لتصريف الدخيل من الكلام الان الاحظ أن الخط العربي قلما يحتفظ بأصوات الكلمات المأخوذة ، وعلى سبيل المثال فاني لا ادري كيف اكتب اسمي حينما امضي كتابا أو مقالا بالعربية ؟

فان الاتفاق الذي ذكرته آنفا بين (فلم) والجهاز الصوتي العربي قليل الوجود نادر الحدوث ، ولذلك قد تجاوز بعض الناس الحق الى الباطل فاقترحوا استبدال الحروف اللاتينية بالابجدية العربية ، ولكني اعتقد ان مثل هذا المشروع مكتوب عليه الفشل لان العربية غير التركية وايقنت أن الخط العربي سيدوم الى أن يرث الله الارض ومن عليها ، ومع ذلك لقد تأملت هذه القضية فرأيت أن تستعمل الحروف اللاتينية في احوال معينة واوقات محدودة معلومة ونواح خاصة من التعليم العالي ، اي في كليات العلوم والصيدلة اذا ما طرق باب المركبات الكيماوية مثل : (methylaminoethanol) لاني اظن أنه ليس من الضروري أن يلتمس الاساتذة تعريب هذه المولدات — بمعنى الكلمة الاصلي — الحوشية ، فيكفي اذ ذاك ان يعرف الطلاب الخط اللاتيني ، وبما انهم مضطرون لاسباب اخرى الى معرفة لغة اجنبية فليس في ذلك عظيم الضرر .

ومن جهة اخرى يعلم الجميع ان علماء النبات والحيوان يستعملون في العالم اجمع اسما ونعتا لاتينيين لكل جنس ونوع منه النبات والحيوان ، فهذه الاسماء والنعوت مجمع عليها ، كما قلت في العالم كله والروس انفسهم الذين يكتبون بخط خاص يذكرون لكل حيوان ونبات اسمه ونعته باللاتينية ، ومع ذلك ارى بعض الناطقين بالضاد ينفردون وينفصلون عن سائر العالم فيريدون أن ينقلوا هذه المصطلحات من اللاتينية الى العربية بدون فائدة .

ولكن لا ارى مانعا من تعريب بعض المصطلحات المستعملة في التعليم الثانوي ، واستحسن المنهاج الذي قد طبق منذ أمد طويل في سوريا حيث تستعمل اسماء مركبة من اللفظة العربية الاصلية والنهاية الفرنسية كمثل كبريتور وكبريتات .

رابعا — ان اللغة العربية غنية جدا ولكن اللغويين الذين الفوا المعاجم على حسب نظريتهم اللغوية جمعوا ما استطاعوا جمعه من لغات القبائل وكلام الشعراء ولم يلتفتوا الى الالفاظ المولدة التي قد يحتاج اليها في الوقت الحاضر ، ولقد جعلتني مطالعة الكتب القديمة اعتقد ان تنقيبا دقيقا في مؤلفات القرون الوسطى سيجلب غلات وافرة ذات قيمة لا تقدر .

خامسا — ان اللغة العربية مرنة جدا بفضل الاشتقاق ، فلها المصادر واسماء الآلات والامكنة والازمنة وغير ذلك مما يسهل وضع كلمات جديدة ، فلا استنكر مثلا « مكتاب » على وزن « منشار » للدلالة على الآلة الكاتبة ، و « نحال » لمربي النحل ، والذي استشنعه هو ما يسمى بالنحت كمثل « تحتربه » (Underground) أو « مافوسجي » (ultraviolet) (ما فوق البنفسجي) ، أما الالفاظ المركبة من « لا » وكلمة أخرى (لامبالاة ، لاشيء ، لانهائي) فلا بأس بها لان هذا التركيب قديم لا يخالف روح العربية مخالفة منكرة .

سادسا — لاكثر المفردات القديمة معان شتى يجوز أن يستخرج منها معنى ملائم لما يحتاج اليه تمام الملاءمة ، ولما يسمى التضمين دور هام في توسيع اللغة واغنائها .

تلك بعض الوسائل الصالحة لسد الثلم الباقية في اللغة العربية وقد استخدمت قليلا او كثيرا منذ القرن الماضي ، ولكنني اعتقد أنه من الواجب على الناطقين بالضاد ان يدركوا ان وقت المنهاج التجريبي قد مضى ، وحان زمن المنهاج المنطقي العلمي لان الحالة الراهنة لا تفضي الا الى القلق والغصة ولا تنتج الا الاضطراب والفقر ، فان عثر احدهم على كلمة جيدة او اخترعها من تلقاء نفسه لم يلبث منافسوه وحساده أن يستقبحوها فيحاولوا أن يروجوا مكانها كلمة اخرى اقل جودة وفصاحة وهلم جرا ، فهكذا تتعدد العبارات الدالة على مدلولواحد في حين أن عدة مفاهيم لا يمكن التعبير عنها .

فان اراد المسؤولون تنمية العربية وتوسيع نطاقها وترقيتها الى مستوى اللغات الكبرى فعليهم أن يتخذوا مختلف التراتيب دون ان يتكلوا على المجامع العلمية رغم ما تبذله من الجهود في هذا المضمار ، فاني لم ازل منذ ربع قرن موقنا بأن **اللغة العربية جديرة بأن تصبح لغة عالمية** ، ولكني اتاسف على ضياع الوقت وعدم المنهاج واضطراب المساعي الفردية التي تذهب احيانا ادراج الرياح ، فمن المرغوب فيه انتؤلف جامعةالدول العربيةعدةلجان(1) مركبة من متخصصين في علم من العلوم وصناعة من الصنائع وفن من الفنون وتكلفها بتأليف قاموس يوزع بعد في جميع المدارس من الابتدائية الى العالية لكي توحد اللغة ويزول الاختلاف

شارل بيلا (باريس)

(1) هذا اقتراح كان قبل ان يؤسس المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي

هل اللغة العربية صعبة؟ كيف يمكن تيسيرها؟

للاستاذ: رشاد دارغوث
- بيروت -

(أ) اجمع على القول بصعوبة اللغة العربية دارسوها وخاصة الاجانب ، سواء كانوا مستشرقين أو ديبلوماسيين . حتى كاد ترديد هذا الكلام المرسل يلبسه ثوب الحقيقة . ولاسيما ان الطرق والاساليب المتبعة ، حتى الآن ، فى تدريس لغتنا ، للمبتدئين ولسواهم ، لم تتطور بالقدر الكافي . كما أن الكتب الموضوعة لذلك الغرض ، لم تستوف الشروط التربوية والسيكولوجية (النفسية) التي اهتدى اليها الاختصاصيون .

ب — والامر الذي لا شك فيه ، هو أن اللغة العربية ، فى أوضاعها الراهنة ، وما تراكب على قواعدها من بقايا الثقافات التي احتضنتها ، ليست هذه اللغة العريقة من اللغات السهلة ، سواء فى دراستها ، نحوا وصرفا ، أو فى كتابة حروفها ، أو قراءة تلك الحروف .

ولئن كانت هذه اللغة ، فى الاصل ، لغة منطقية، وبالتالي سهلة التناول ، فهي ، بما اجتمع لها من القيود ، فى مدى تاريخها الطويل ، بتأثير الشعوب المنوعة التي اعتنقتها ، قد صارت الى ما صارت اليه اللغة اللاتينية ، قبل ان تنقرض ، وينبثق عنها فروعها الحديثة (الفرنسية والايطالية والاسبانية) .

ج — وما حفظ اللغة العربية وصانها من الانقراض سوى الحيوية التي امتازت بها ، وهي التي حببتها الى شتى الشعوب والامم المستعربة ، فاستبدلت بها لغاتها الاصلية . وذلك بالاضافة الى كونها لغة القرآن .

وليس ادل على تلك الحيوية المرنة ، من تقبلها الاشتقاق ، على اوسع نطاق ، يمكن ان ترضخ له اللغات . (اطلب كتاب الاشتقاق والتعريب ، للعلامة « المغربي » (1)).

ولنذكر هنا ان اللغات السامية الشقيقة للغتنا قد انقرضت ، منذ مئات السنين ، باستثناء العبرانية. كما انقرضت معاصراتها من اللغات الآرية ، كاللاتينية وسواها .

كما يحسن ان نذكر ، على هامش القيود والشواذ التي توفرت فى اللغة العربية ، ان اكثر علماء اللغة كانوا من غير العرب ، حتى فى عصور الازدهار الاولى . ولهذا الواقع التاريخي دلالته الخاصة ، وآثاره الملموسة فى ما وصلت اليه قواعد اللغة ، من تعقد بعد البساطة .

خطوات اولى للتيسير

ا — وقد يسر الاولون القراءة ، بتشكيل الحروف ، اي بوضع الحركات المعروفة عليها (الفتحة والضمة والكسرة) . ويرجع الفضل فى ذلك الى ابي الاسود الدؤلي ، الذي كان يعمل ، بتوجيه الامام علي ، على وضع قواعد اللغة الاساسية . فكانت هذه الخطوة موفقة كل التوفيق ، اذ يسرت القراءة والفهم معا على القارىء ، كما يسرت وتيسر حفظ

(1) المرحوم الشيخ عبد القادر المغربي نائب رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق ، وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

المفردات والتراكيب العربية ، على وجهها الصحيح ، وتساعد على النطق بها سليمة من الرصانة الشائعة

ب — وكان اعجام الحروف، اي تنقيط الحروف المتشابهة (كالباء والتاء والثاء ، وما اليها) الخطوة التالية لتيسير القراءة وضبط الكتابة . وقد تم ذلك في العهد الاموي ، في خلافة عبد الملك بن مروان ، يوم اعتزم تعزيز اللغة العربية ، فجعلها لغة الدواوين ، اي لغة الدولة الرسمية .

وقد كانت الحروف الكوفية الشائعة الاستعمال، لا تعرف — ولاسيما المتشابهة منها — الا من سياق الكلام . « فباب» مثلا كانت تقرأ كذلك ، كما تقرأ تاب ، أو ناب ، أو بات أو ثاب ...

ج — وجاء التوقيف ، أو استعمال علامات الوقف ، حينما دون القرآن ، خطوة ثالثة لتيسير القراءة . واننا لنجد في المصاحف ، الموجودة بين ايدينا ، اولى المحاولات لاستعمال علامات الوقف ، وان كان المقرئون مجمعين على القول بأنه « ليس في القرآن من وقف وجب » .

د — وللبنانيين ، على مر العصور ، سبق في هذا الصعيد ، لابد من الاشارة اليه . ففي العهد الفنيقي ، اتحفوا العالم بحروف الهجاء ، وهي اعظم نتاج تمخض عنه العقل البشري . فجاءت تلك الحروف الصوتية المعدودة ، بعد الحروف الهيروغليفية والمسمارية الكثيرة ، دليلا على ما يهدف اليه الفكر الانساني المتطور ، في وسائل التعبير عن ذاته ، من اقتضاب ، ويسر ، وبساطة .

وفي العهد العربي عمل اللبنانيون ، ثم تابعهم المصريون والسوريون وسواهم ، على طبع هذه اللغة بالطابع الحضاري ، وتيسير الفهم بها ، بعد تيسير اساليب التعبير . ويكفي أن نذكر النهضة الادبية ، التي بعثها مغتربونا في مصر ، وفي الامريكتين ، لنسجل فضل لبنان العميم على هذه اللغة ، في الوطن وفي المهاجر . حتى صار اللسان العربي ، في الكتاب الحديث ، كما نعهده الآن ، مستساغ الالوان حلو الجرس ، مرن السياق ، جميل الاسلوب . وبات بامكان القارىء أن يتابع المطالعة ، دون توقف عند كل خطوة ، أو رجوع الى المعجم في كل جملة .

هـ — ولابد من القول ، بأن بعض الفضل ، في ذلك ، يرجع الى التلاقح الحاصل بين أساليب لغتنا العربية ، وأساليب اللغات الاجنبية ، التي تعلمناها واتقناها .

وهو تلاقح تم مثله في العهد العباسي ، بين هذه اللغة واللغات الاخرى (الفارسية ، والرومية ، والسريانية وسواها) . فجنت لغتنا من ذلك التلاقح ، في الماضي والحاضر ، اطيب الثمرات .

بقيت الحروف العربية نفسها ، ووفرة اشكالها المطبعية ، فهي بين حروف « الاول » وحروف « الوسط » وحروف « الآخر » ، والحروف المنفصلة ، تتضاعف عددا . في حين انها لا تتجاوز في الاصل ، السبعة والعشرين . وهو أمر يعوق ازدهار الطباعة، ورواج الكتاب العربي .

و — الا ان الحلول التي عرضت ، حتى الآن ، لهذه المعضلة ، لم تكن عملية . سواء منها الاقتراح القاضي باستبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية ، او وضع حروف جديدة لا تمت الى الحروف القديمة بصلة ، أو الاكتفاء بشكل واحد ، من اشكال الحروف الحالية ، لكتابتها به باستمرار .

فأي من هذه الاقتراحات ، اذا اخذنا به ، يقود بالنتيجة الى طفرة ، لا تحمد عواقبها ، ولا تبل للشعوب العربية بتحملها ، وهي في مستواها الراهن ، اجتماعيا ، واقتصاديا ، وثقافيا .

فضلا عن ان الاخذ بتلك المقترحات ، أو بأحدها امر يخرج عن مدى امكان هذه الشعوب ، لان الحروف العربية مرحلة من تطور (الابجدية) ، من جهة ، ولانها حروف يكتب بها غير العرب لغاتهم ، من جهة ثانية .

وقد جاء اقتراح الامير آغا خان ، أخيرا في المؤتمر الاسلامي المنعقد في كراشي (شباط 1951) باتخاذ اللغة العربية لغة رسمية، في البلاد الاسلامية الى جانب لغاتها القومية ، دليلا على صحة ما نذهب اليه .

خطـــوات تاليـــة لابـــد منهـــا

أ — لابد من خطوات اخرى نتخذها ، لتيسير اللغة العربية ، ولكن بصورة تدريجية . واننا سنلخص ما نرى امكان الاخذ به ، في الوقت الحاضر ، بسبيل ادراك تلك الغايـــة ، على الوجه التالـــي :

ب — يتحتم علينا الابقاء على الحـــــروف العربية ، بأشكالها الراهنة . علـــى أن نضيف اليهـــا بعض الاصطلاحات التي تمكننا من تصوير الاصوات المعروفة ، في اللغات الاجنبيـــة : مثـــل حرف U الفرنسي ، و P وسواهما .

وقد جرى الكتاب على استعمال الباء ، بثـــلاث نقط ، لتصوير الصوت الثاني . ونقترح نحن استعمال الواو ، تعلوها نقطة ، لتصوير الصوت الاول .

ج — ولابد لنا من تشكيل الحروف ، اي وضع علامات الاعراب عليها ، بسبيل تسهيل القـــراءة وضبط الكتابة واللفظ . لا فـــرق في ذلك بين الكتـــب المدرسية الموضوعة للمبتدئين ، وبين كتب المطالعة التي تنشر للمثقفين ، وبين الصحف والمجـــــلات وسواها ، من المنشورات الدوريـــة .

فقد حمل الاولين ، على وضع هذه العلامات ، حرصهم على سلامة اللغة ، من رطانـــة الاعاجم . ونحن ، على الرغم من الفارق الزمني ، نجد أن ذلـــك الباعث لم يبرح قائما . فما علينا الا أن نقيد الكلمـــات بالحركات ، فنحفظها صحيحة من جهة ، ثم نقرأهـــا بيسر وسهولة من جهة ثانيـــة .

د — ولكن كيف نحـــرك الحروف ؟

منذ نحو عشرين سنة ، طبقنا القواعد التالية ، في جميع الكتب التـــي الفناهـــا ، او اشتركنـــا في تأليفها :

1) نحذف العلامة المعروفة (بالسكون) حيثما وردت هذه العلامة التي يغنينا عنها عـــدم وجودها . ونصطلح على أن غياب الحركة معناه وجود (السكون) وهكذا نخفف ربع الحركات ، علـــى اقل تعديل ، في ضبط الكتابة .

2) نستغني عن تحريك الحرف الذي نقـــف عنده ، فلا حركة اذن حين الوقف ، عملا بالمصطلـــح العام ، لدى علماء التجويد .

وهذه القاعدة تخفف جزءا غير يسيـــر مـــن الحركات التي لا لزوم لها ، ما دمنا لا نلفظ حركـــة الحرف الذي نقف عنـــده .

3) نحذف الحركات قبل حروف المد . وهـــي ثلاثة : الالف والواو والياء . أما اذا كان الحرفـــان الاولان للقطع ، فاننا نقرن الحرف الذي يسبقهمـــا بالحركة اللازمة .

ومثال ذلك : (باب ، ونـــور ، وطيب) . فالالف والواو والياء ، في هذه الالفاظ ، حروف مد ، تغنـــي عن الفتحة على الباء ، والضمة على النون ، والكسرة على الطـــاء . أما في هاتين الكلمتين : « ثوب وطير » فلابد من وضع الفتحة على كل من الثاء والطاء ، لان الواو والياء فيهما همـــا حرفا قطـــع ، لا حرفا مد .

ومن السهل ادراك الصعوبات التي نتفاداهـــا بلجوئنا الى تطبيق هذه القاعدة .

4) لا لزوم للعلامة الخاصـــة الدالة علـــى همزة الوصل (ا) اذ ان همزة القطع وحدها هـــي التي نرسمها على الالف ، حين الكتابة .

5) لا لزوم للفتحة قبل تاء التأنيث ، ســـواء كان ذلك في الاسم أو في الفعل . ومثال ذلك لفظتا : كتابة ، وشربت . ففي الحالتين يحتم وجود هذه التاء فتح الحرف الذي يسبقهـــا .

6) لا لزوم للشدة على الحروف الشمسية . ومثال ذلك : الصورة ، الشمس . ان وضـــع الشـــدة على الصاد أو الشين ، كما جرت العادة ، لا مبرر له، لان اللفظتين ليستا من الكلمات المضاعفة ، مثل «مد أو شدد » التي تستلزم هذه العلامة .

7) نظهر الالف المضمرة ، وسواها من الحروف المتروكة ، في مثل « هذا ، وذلك ورحمن » وسواها من الفاظ شائعة ، فنستغني عن بعض الصعوبات . وعلى هذا نكتب هذه الكلمات كما تلفظ ، دون زيادة ولا نقصان : هاذا ، وذالك ورحمان ، وسواها .

كما نكتب داوود بالواوين ، (ومئة) على هذه الصورة بالذات ، وعمر دون واو . وفيما ومما وعلام ، وسواها دون اتصال او ادغام أو حذف .

وهكذا نكتب سواها من الكلمات الكثيرة ، التي اعتدنا أن نكتبها على غير الصورة التي تلفظ بها ، او الصورة التي كانت عليها قبلا . وهي بمجموعها تؤلف احدى الصعوبات التي تعترض سبيل دارسي اللغة العربية .

والواقع انه ليس من مبرر للاستمرار على الاخذ بهذه الشواذ ، او الاخطاء المتوارثة ، بعد أن تحللت لغتنا من امثالها فى العصور السابقة (لنذكر كتابة القرآن ، وفيها من ذلك ما يعلله العلماء بالقول : ان كتابة القرآن لا يقاس عليها) .

فنحن احوج الى التحرر من تلك الاعباء ، ولاسيما فى عصر العلم والمادة والسرعة الذي نعيش فيه .

8) ومن هذا القبيل تجنب الالفاظ المشتركة او التي تقبل الابهام . ومثال ذلك لفظة : « الارز » فهي تحتمل أن تكون للدلالة على الحبوب المعروفة ، والمسماة كذلك « الرز » ، كما يمكن أن تدل على الشجر المعروف ، والذي اتخذه لبنان شعارا له .

لذلك نعمد الى تخصيص لفظة « الرز » بالغلال الزراعية المذكورة ، ونترك اللفظة الاخرى للدلالة على الشجر المشار اليه .

هذه الالفاظ كثيرة فى اللغة العربية . واكثر منها المترادفات ، التي لا يمكن أن تكون للدلالة على معنى واحد . بل هي ، فى الاصل ، نعوت تدل على حالات معينة . فيحسن بنا ان نصرفها الى وجوهها التي تصلح لها . وحينئذ نتجنب صعوبة اخرى ، صارت من الادلة على فقر اللغة العربية ، بعد ان كانت من مظاهر غناها ، ونعني وفرة الاسماء لبعض المدلولات، كالسيف ، والناقة ، والاسد وسواها ، وانعدام الاسماء لكثير من المسميات القديمة والحديثة ، على حد سواء .

9) كتابة الهمزة ، وهي ، من اعقد مشكلات الكتابة العربية . ويكفي ان نعلم ان اكثر الادباء . والصحفيين يخطئون فى تصويرها ، فى كثير من المواضع . كما ان الاجتهادات فى بعض قواعدها المعقدة ، تختلف بين قطر وقطر ، وبلد وبلد .

ومن رأينا ان نوحد اشكالها : فنجعلها بكرسي الالف ، فى بدء الكلمة وفى وسطها ، ودون كرسي فى ما عدا ذلك .

10) وعلى ذكر التوحيد ، لابد من الاشارة الى الفوارق التي نشاهدها فى رسم بعض الحروف، فى هذا البلد او ذاك ، من بلاد العربية . فبينما نرسم، نحن فى لبنان ، حرف الياء معجما اي مع النقطتين ، هكذا (ي) ، يرسمه اخواننا المصريون مهملا اي دون تنقيط هكذا (ى) . اي انهم يرسمونه شبيها بالالف المقصورة عندنا . وهكذا يقع القارىء فى الالتباس ، كلما شاهد هذه اللفظة مثلا (اري) ، مكتوبة على الطريقة المصرية . فهل هي (ارى) ، للمتكلم بصيغة المضارع أم (اري) للمخاطبة ، بصيغة الامر !

ومثل هذا كثير ، فى رسم الحروف ، فى مختلف البلاد العربية .

هـ) هذه الطرق التي طبقناها ، فاتت بافضل النتائج ، وسواها مما نحتفظ بتفصيلاته ، الى فرصة ثانية ، يمكننا فيها ان نسهب فى ما اجملنا عليه القول ، هي وسائل صالحة للتخفيف عن بصر القارىء. كما انها توفر للمطالع جزءا غير يسير من قوة الانتباه، فيصرفه الى تفهم المعنى فى النص الذي يطالعه . فضلا عما توفره من جهود عامل المطبعة ، ووقته . وبالتالي تساهم هذه الطرق ، متى طبقت بصورة اجماعية ، فى ازدهار الطباعة ، وتيسير التعليم ، وشيوع الثقافة بترويج الكتاب العربي ، الذي يشكو الكساد ، حتى فى أوساط المثقفين .

و — واننا نورد فيما يلي الفقرة السابقة ، مضبوطة بالحركات ، وفاقا للطريقة القديمة ، والى جانبها النص نفسه مشكولا بالطريقة التي اتبعناها فى كتبنا المطبوعة ، وفى هذه الرسالة ، وشرحناها فيما مر باقتضاب ، وذلك على سبيل المقارنة :

الطريقة القديمة

هٰذِهِ ٱلطُّرُقُ ٱلَّتِي طَبَّقْنَاهَا ،
فَأَتَتْ بِأَفْضَلِ ٱلنَّتَائِجِ ،
وَسِوَاهَا مِمَّا نَحْتَفِظُ بِتَفْصِيلَاتِهِ ،
إِلَى فُرْصَةٍ ثَانِيَةٍ ، يُمَكِّنُنَا
فِيهَا أَنْ نُسْهِبَ فِي مَا أَجْمَلْنَا
عَلَيْهِ ٱلْقَوْلَ ، هِيَ وَسَائِلُ صَالِحَةٌ
لِلتَّخْفِيفِ عَنْ بَصَرِ ٱلْقَارِي .
كَمَا إِنَّهَا تُوَفِّرُ لِلْمُطَالِعِ جُزْءاً
غَيْرَ يَسِيرٍ مِنْ قُوَّةِ ٱلْانْتِبَاهِ ،
فَيَصْرِفُهُ إِلَى تَفَهُّمِ ٱلْمَعْنَى
فِي ٱلنَّصِّ ٱلَّذِي يُطَالِعُهُ .
فَضْلاً عَمَّا تُوَفِّرُ مِنْ جُهُودِ
عَامِلِ ٱلْمَطْبَعَةِ ، وَوَقْتِهِ .
وَبِٱلتَّالِي تُسَاهِمُ هٰذِهِ ٱلطُّرُقُ ،
مَتَى طُبِّقَتْ بِصُورَةٍ إِجْمَاعِيَّةٍ ،
فِي ٱزْدِهَارِ ٱلطِّبَاعَةِ ، وَتَيْسِيرِ
ٱلتَّعْلِيمِ ، وَشُيُوعِ ٱلثَّقَافَةِ ،
بِتَرْوِيجِ ٱلْكِتَابِ ٱلْعَرَبِيِّ ،
ٱلَّذِي يَشْكُو ٱلْكَسَادَ ، حَتَّى
فِي أَوْسَاطِ ٱلْمُثَقَّفِينَ .

الطريقة الجديدة

هَـذِهِ الطُرقُ التي
طَبَّقناها ، فأتت بأفضلِ النتائِج ،
وسِواها مما نَحتفِظُ بِتفصيلاتِه ،
إلى فُرصةٍ ثانية ، يُمكِنُنا فيها
أن نُسهِبَ في ما أجملنا عليهِ
القول ، هي وَسائِلُ صالحةٌ
للتخفيفِ عَن بصَرِ القاري .
كما إنها تُوَفِّرُ لِلمُطالِعِ جُزءاً
غيرَ يَسيرٍ من قُوّةِ الانتباه ،
فيصرِفُهُ إلى تَفَهُّمِ المَعنى في
النصِّ الذي يُطالِعُه . فضلاً عمّا
تُوَفِّرُهُ مِن جُهودِ عامِلِ
المَطبَعة ، ووَقتِه . وبالتالي
تُساهِمُ هذِهِ الطُرق ، متى
طُبِّقت بِصورةٍ إجماعيّة ، في
ازدِهارِ الطِباعة ، وتَيسيرِ
التعليم ، وشُيوعِ الثَقافة ،
بِترويجِ الكِتابِ العَربيّ ،
الذي يَشكو الكَساد ، حتّى
في أوساطِ المُثقَّفين .

علامـات الوقف

أ — يضاف الى ما تقدم علامـات الوقـف الشائعة فى الكتابة ، لدى الامم الغربية . وقد شعر العرب بالاقدمون بالحاجة الى مثلها ، فى تلاوة القرآن الكريم ، فاصطلحوا على علامـات للوقف ، نجدها فى المصاحف ، كما سبق القول ، وان كانوا قد اصطلحوا ايضا على انه ليس فى القرآن من وقف وجب .

هذه العلامات تيسر القراءة العربية تيسيـرا محسوسا ، كما تقرب النصوص المقروءة من الافهام.

وقد اختبرنا ذلك فى كتبنا المنشورة ، المدرسية منها والادبية . فاتى بافضل النتائج . وان كان احـد النقـاد قد عد ذلك ، فى رواية « خطيئة الشيـخ » المنشورة عام 1938 — خطيئة لا تغتفر .

كما نشرنا بحثا مستفيضا حول هذا الموضوع، وضرورة جعل تلك العلامات جزءا من الكتابة العربية، فى « مجلة التعليم » الصادرة بالفرنسية ، عـن مديرية المعارف العامة ، فى المفوضية الفرنسيـة عـام 1928 .

هذه العلامات ، من الفاصلة الى النقطة ، ومـن علامة التعجب الى علامة الاستفهام ، ومن المعترضتين الـى القوسين .. كلها وسائـل لتيسير القراءة ، وتيسير الفهم . فضلا عما تكسبـه الكتابة العربيـة من مظهر فني فى الاخراج ، لا نجده فى الكتب التـي تخلو من تلك العلامات ، او يقتصر فيها على بعضها الشائع ، حتـى فى الصحف اليوميـة .

ب — وفيما يلي انموذجان للمقارنة ، نختارهما من « مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق » .

فقد ورد فى كتاب « تاريـخ الحكماء » (1) — الصفحة 56 الفقرة التالية :

«« فسال الامير نوح بن منصور الرئيس ابو علي الاذن له فى دخول دار له فيها بيوت الكتب فنال الايجاب فطالع من جملتها فهرست كتب الاوائل وطلب مـا احتاج اليه فراى من الكتب ما لم يقرع اسماع الناس اسمه لابي نصر الفارابي وغيره . فقـرأ تلك الكتب وظفر بفوائدها وعرف مرتبة كل رجل فى علمـه من المتقدميـن » .

وورد فى « ديـوان ابـن عنيـن » (2) — فى الصفحة 6 وما يليها — من قصيدة مدح بها الشاعـر الملك العادل :

« ملك اذا خفت حلـوم ذوي النهي
فى الـروع زاد رزانـة وتوقـرا
ثبت الجنـان تـراع مـن وثباته
يـوم الوغى وثباته اسد الشرى
يقـظ يكـاد يقول عمـا فى غـد
ببديهـة اغنتـه ان يتفكـرا
حلـم تخـف لـه الجبـال وراءه
عـزم وراي يحقـر الاسكنـدرا
يعفو عـن الذنب العظيم تكرمـا
ويصد عن قول الخنـا متكبـرا »

ففي تلك الفقر النثرية « نقطتان » فحسب من علامات الوقف ، وفى هذا المقطع الشعري ، لا اثـر لتلك العلامات على الاطلاق .

ج — واذا نحن نشرنا ، فيما يلي ، تلك الفقرة النثرية مضبوطة بعلامات الوقف ، على الطريقة التي نقترحها ، امكن للمطالع ادراك معانيها ، دون عناء ، ولو اغفلنا ، كما فعل الناشر ، حركات الاعراب .

كما ان هذا المقطع الشعري ، اذا نشرنـاه مقرونا بعلامات الوقف، صار أوضح معنى ، وساهمنا، الى حد ، فى ابراز الصورة العامة التي اراد الشاعر ان يعطيها لملك عظيم ، صورة تشبه لوحة زيتيـة متجانسة الالوان ، وان كانت الوانهـا ، فى الاصل ، شتـى متنافـرة .

---

(1) عني بنشره وتحقيقه المرحوم الاستاذ محمد كرد علـي .
(2) عني بنشره وتحقيقه الاستاذ المرحـوم خليـل مردم بـك .

وفيما يلي الفقرة والمقطع ، مقرونين بعلامات الوقف ، وبالحركات على طريقتنا المقترحة .

١ — « فَنَالَ الأميرَنوحُ بنُ منصور ، الرئيسُ أبوعليّ ، الأذنَ لَهُ في دُخولِ دارٍ لَه ، فيها بُيوتُ الكُتُبِ فنالَ الإيجاب . فطالَع ، مِن جُمَلِها ، فِهرِستَ كُتُبِ الأوائل ، وَطَلبَ ما احتاجَ إليه . فرأى مِنَ الكُتُبِ ما لم يَقرَعْ أسماعَ الناسِ اسمُه ، لأبي نَصرِ الفارابي ، وغيرِه . فَقَرأَ تلكَ الكُتُب ، وَظفِرَ بِفوائدِها . وَعَرفَ مرتبةَ كلِّ رَجُل ، في عِلمِه ، مِن المُتقدِّمين .

٢ — « مَلِكٌ ، إذا خَفَّت حُلومُ ذَوي النُّهى
في الرَّوعِ ، زادَ رَزانةً ، وتَوَقُّرا !
ثَبتُ الجَنانِ ، مُراعٌ مِنَ وَثَباتِهِ
يَومَ الوَغى ، وَثَباتِهِ ، أُسدُ الشَّرى .
يَقِظٌ ، يكادُ يَقولُ عَمّا في غَدٍ !
بِبَديهةٍ أغنتهُ أن يَتفكّرا .
حِلمٌ تَخِفُّ لَهُ الجِبالُ ! وَراءَه
عَزمٌ ، وَرأيٌ يُحقِرُ الإسكَندرا !
يَعفو عَنِ الذَنبِ العَظيم ، تَكَرُّماً !
وَيَصُدُّ عَن قَولِ الخَنا ، مُتكَبِّرا ! »

وسائل ايجابية وسلبية

أ — هذه القواعد التي اوجزنا الكلام عليها ، تهدف الى ضبط الكتابة العربية ، وتيسيرها معا ، كما تهدف الى تسهيل القراءة والفهم . وقد ثبتت لدينا فائدتها ، بعد تطبيقها عمليا ، منذ عشرين سنة ونيف .

وهي كما يبدو وسائل ايجابية ، تساير النزعة التطورية ، دون تهديم ، أو تنكر لماض عظيم ، وتساوق اتجاه الفكر ، لدى الشعوب العربية ، التي تمقت الطفرات ، ولا تستسيغ الثورات ، كما لا ترتضي أن يقوم بينها وبين ماضيها اي حجاب .

وفي تطبيق هذه القواعد ، نسير بلغتنا الى الامام . ونتم ما بدأ به الالون ، في مطلع النهضة العربية ، اذ شكلت الحروف بالحركات ، خشية الرطانة الشائعة اليوم ، حتى بين المثقفين ، ثم اعجمت الحروف المتشابهة ، باضافة التنقيط عليها .

ب — ولكن لابد لنامن أن نضيف الى ما ذكرنا، من وسائل التيسير الايجابية ، وسيلة « سلبية » — اذا صح التعبير — وهي الوسيلة التي تلجا اليها الام مع طفلها ، والمعلم مع تلميذه والصحفي اللبق مع قرائه ، والاديب الموهوب مع المطالعين من عامة المثقفين . ونعني الامتناع عن « الاغراب » ، في اللفظ وفي المعنى .

هذا الاغراب نوعان : اغراب في المفردات ، واغراب في التراكيب . والمهم هو الابتعاد عن النوع الثاني . لان اللفظة مهما بعد مدلولها عن مصطلح الناس ، تجد الى افهامهم سبيلا ، ولاسيما اذا كانت تدل على المحسوسات .

نحن نجد الكلام ، باللغات الاجنبية أيسر فهما ، منه باللغة العربية . كما نجد انفسنا اسرع ادراكا لما يقال بتلك اللغات . ويرجع ذلك ، في راينا ، الى ان الاغراب في التركيب ، في تلك اللغات ، لا وجود له الا نادرا . فالفعل يتبعه الفاعل ، ثم ما يتمم المعنى . اما في اللغة العربية ، فاساليب البيان والبلاغة منوعة ، حتى يكاد يطغى المبنى ، على المعنى ، والمظهر على الحقيقة ، في كل ما يقال ويكتب بهذه اللغة .

فيحسن بالكاتب العربي أن يعلم هذه الحقيقة الاولية . وهي أن تلك الاساليب البيانية ليست كلها في متناول عامة القراء . فلتبق للاختصاصيين ، وللتباري بالفصاحة وآيات الاعجاز ، في المجالات الصالحة لتلك المباراة .

ب — حينئذ ،ومتى لجأ الكاتب الى الاسلوب الملائم ، انتفى اساس الزعم القائل بصعوبة اللغة العربية ، وخاصة ذلك القول الشائع بأن على قارىء اللغة العربية أن يفهم كي يقرأ ، بينما يقرأ الناس في لغاتهم كي يفهموا !

وبالاسلوب الملائم نعني الاسلوب البسيط ، اي الاسلوب الذي لا تفسده الجوازات والشواذ ، ولا تثقله الاستطرادات والتحشيات .

واكرر القول بأن العدول عن الاخذ بتلك الاساليب ، التي تبقى للاختصاصيين ، لا يعني اسقاطها او ابطال ما لها في النفوس من سحر . بل يعني اننا نتركها لعلماء اللغة ، وجهابذة البيان . اذ ليس مفروضا في كل قارىء او متعلم مبتدىء ، أن يكون سيبويه زمانه ، او عضوا في مجمع لغوي .

الخـلاصـة

ا ــ ان تيسير الكتابة والقراءة ، باللغة العربية ، من الاغراض التي يجب أن نهدف اليها ، لا اقرارا بالقول بصعوبة هذه اللغة ، بل سيرا مع سنن التطور .

ولما كانت الحروف المطبعية الحالية غير كافية ، فان اضافة بعض الحروف الجديدة ، المنبثقة عن الأشكال المعروفة ، ضروري ، لرسم الاصوات التي لا عهد للعرب بها ، مثل حرف U الفرنسي ، و P وسواهما .

ب ــ والحروف العربية نوعان : منفصلة ، ومتصلة . اما المنفصلة ، وعددها احد عشر ، فهي : ا ، د ، ذ ، ر ، ز ، ط ، ظ ، ة ، و ، لا ، ي . وفى اعتقادي انه يمكن ابقاؤها على حالها .

واما المتصلة ، وعددها تسعة عشر . وهي :

(ب ، ت ، ث ، ج ، ح ، خ ، س ، ش ، ص ، ض ، ع ، غ ، ف ، ق ، ك ، ل ، م ، ن) ، فيحسن توحيدشكلها المطبعي،حيثماوردت. ولا فرق بينأنيكون شكلها الموحد هو شكلها فى اول الكلمة ، او فى آخرها. وحينئذ تصبح جميع الحروف منفصلة . وهذا ممكن .

ج ــ يضاف الى ذلك وجوب استعمال الحركات ، وعلامات الوقف ، على اعتبارها جزءا متمما للحروف وللكلام .

د ــ وفى اعتقادي أن أشكال الحروف العربية الثلاثين ، الآنف ذكرها ، والحركات الاربع المطلوب استعمالها (الفتحة والضمة والكسرة والشدة) ليست اوفر عددا ، ولا اصعب استعمالا ، فى الكتابة والطباعة ، من امثالها ، فى اللغات الاجنبية .

ولاسيما اذا اعتبرنا أن تلك اللغات تستعمل الحروف اللاتينية ، بشكليها : العادي والكبير (ماجسكول ، كابتال) وتصور تلك الحروف فى الكتابة ، على صور تختلف عن صورها المطبعية .

وحينئذ تسلم اللغة العربية ميزة حروفها ، التي لا تشاركها فيها حروف ، ونعني صلاحها للاختزال حين الكتابة . وفى الواقع ، فان حروف الكتابة العربية ، كما وصلت الينا فى خطوطها المختلفة ،حروف اختزال .

فاذا اصطلحنا على استعمال حروف « الاول » او حروف « الآخر » للطباعة ، تيسيرا لعمل المنضدين الطباعي ، وترويجا للكتاب العربي، وبالتالي خدمة للفكر وللعلم ، فى اوساط الشعوب التي تتكلم هذه اللغة ــ فيجب أن نحرص ، فى الوقت نفسه ، على الابقاء على حروف الكتابة ، باشكالها الفنية التي تطورت اليها . فصارت الالفاظ الجامدة قطعا من الفن الحي .

وفيما يلي ، نورد الفقرة الاخيرة ، مطبوعة بحروف منفصلة ، على سبيل المثال :

وحينئذ تسلم اللغة العربية ميزة حروفها ، التي لا تشاركها فيها حروف ، ونعني صلاحها للاختزال حين الكتابة: وفي الواقع ، فان حروف الكتابة العربية ، كما وصلت الينا في خطوطها المختلفة ، حروف اختزال .

كما نورد الجملة الاخيرة ، من الفقرة السابقة ، مكتوبة بالخط النسخي ، دون زوائد يحشرها الخطاطون عادة للزينة ، فتجيء لتعقيد الخط العربي وتشويهه ، فى اعتقادنا :

يَجِبُ أَنْ نَحْرِصَ فِي الوَقْتِ نَفْسِهِ عَلَى الأبقاءِ عَلَى حُروفِ الكِتابَةِ بِأَشْكالِها الفَنِّيَّةِ ، الَّتِي تَطَوَّرَتْ أليها ، فَصارَتِ الأَلفاظُ الجامِدَةُ قِطَعًا مِنَ الفَنِّ الحَيِّ

واننا نسال الله فى الختام ، أن يهدينا الى ما يفيد بلادنا ، وينهض بالشعوب العربية ، الى المكان اللائق بها ، فى مجموعة الامم الواعية الحرة !

تيسير اللغة العربية للأجانب

الدكتور الطاهر احمد مكي

استاذ الادب الاندلسي فى كلية دار العلوم (جامعة القاهرة)

مرت اللغة العربية كلغة مطلوبة من غير بنيها بمراحل ثلاث ، تأثرت فى كل منها بالهدف من تعليمها وبالفلسفة التربوية السائدة فى عصرها .

ويمكن أن نرد اقدم محاولة للمرحلة الاولى الى مدرسة المترجمين فى طليطلة ، وقد اقامها الفونسو العالم Alfonso El Sabio (1252 — 1284) واحتضنها رايموندو المطران (1) ، وهدفها نقل التراث العربي من رياضيات وفلك وطب وكيمياء وطبيعة وفلسفة ومنطق وسياسة الى اللغة اللاتينية ، ويقوم على العمل فيها اناس من أجناس مختلفة ، ولغات متباينة ، عرب واسبان ويهود ، وطريقة الترجمة ان يملي المترجم النص العربي بالاسبانية الدارجة ، ثم يقوم آخر بنقله منها الى اللاتينية ، وعلى هذا النحو ترجم جانب من مؤلفات ابن سينا وابن رشد ، وبعض آثار الغزالي ، وكتب أخرى فى الفلسفة شهرت بها المدرسة ، فهرع الى طليطلة نفر من الاوربيين المتعطشين الى العلوم الاغريقية ، ولم تكن توجد الا فى اللغة العربية ، يطلبونها لانفسهم ويدرسونها لحسابهم ، ولما كان حظهم من العربية متواضعا ، أو كانوا لا يعرفون منها شيئا ، فقد استعانوا بعامة سكان المدينة ، يترجمون لهم حرفا بحرف مادة الكتاب الراغبين فيه الى الاسبانية الدارجة ، أو يعبرون لهم عن معناه فى لاتينية ركيكة ، يقومون هم بصوغها فى طابعها اللاتيني النهائي . وترجمات هؤلاء الغرباء لا تكاد تفهم ، لركاكة لغتها اللاتينية ، والبعد الواضح بين المعاني التي تضمنتها والمعاني الاصلية للنص العربي .

وما لبث ان انضم الى الاعجاب بالثقافة العربية دافع ديني ، وكان الدين فى العصور الوسطى — وما يزال — يغطي الجانب الاعظم من اهتمامات الناس ، يهدف من دراسة العربية الى فهم الاسلام ، التماسا لحجج يقارع بها اهله ، ويحاول عن طريق فهمها علماءه ، أو يشكك الناس فى مبادئه ويحاول أن يوقف تيار مده ، وكانوا بين متعصب وقف بقصده عند هذا الحد فلم يتجاوزه مثل رايموندو مارتين المشار اليه سابقا ، وبين من أدى به اتقانه العربية وتعايشه مع آدابها الى حب اهلها والحنو عليهم ، ويأتي رايموندو لل Raimundo Luil فى مقدمة هؤلاء ، فقد أقبل على الفكر الاسلامي بقلب مفتوح وعقل متحرر ، وترك ذلك اثرا واضحا فيما خلف من تراث ديني كاثوليكي ، كان معجبا بتقوى المسلمين ماخوذا بفضائلهم ، ودعا قومه الى ان يستهلواكتبهم ورسائلهم باسم المسيح كما يستهلها المسلمون باسم الرسول ، والى فصل الرجال عن النساء فى الكنائس ، وازدرى الهيئات الرهبانية المنظمة والجماعات الدينية الرسمية ، والف بعض كتبه بالعربية اولا ثم ترجمها بنفسه الى اللغة القطلونية ، وعندما اشرف على كلية « ميرمار » للرهبان جعل تعليم اللغة العربية فرضا على طلابها .

(1) Raimundo Martin قس من طائفة الدومينكان ، عاش من 1230 الى 1286 ، واصبح مطرانا لطليطلة ، ورجل الدين الاول فى اسبانيا المسيحية ، عرف بتشجيعه لدراسة العربية وترجمة آثارها ، وكان هو نفسه يجيدها ، والف فيها معجما لاتينيا عربيا ، وربما كان الاول فى نوعه ، وقد نشره المستشرق الايطالي سكياباريلي Schiaparelli عام 1872 .

لكن « لل» لـم يقف بجهده عنـد هـذا القدر ، فتقدم مدفوعا بأغراض تبشيرية الى المجمع المسكوني الذي عقد فى فيينا عام 1311 بعدة إقتراحات ؛ كـان تدريس اللغة العربية فى الجامعات الاوربية الاقتراح الوحيد الذي قبل منها ، فصدر قرار المجمع بتدريس اللغة العربية فى جامعات باريس واكسفورد وبولونيا وسلمنقة ؛ وقبل هذا القرار كانت تدرس فى مرسية وارغون وشاطبة ومدن اسبانية اخرى . واذا كانت اسبانيا قد اندفعت فى تعلم اللغة العربية مأخـوذة بالتراث الاندلسي المتفوق ، فان ايطاليا ـــ وكان البابا هو السيد الآمر فيها اذ ذاك ـــ بدات تشارك اسبانيـا اهتمامها باللغة العربية ؛ فقد كان بين رجال الكنيسة من يحلم بفكرة ضم الكنائـس الشرقية وتوحيدها فى اطار الكاثوليكيـة ؛ وجانب كبير من هذه الكنائـس كانت لغته العربية ؛ فاقتضت السياسـة الدينيـة العنايـة بهـا .

ليس لدينا الآن معلومات كافية عن الطريقة التي كان يتعلم بها العربية الاجانب الوافدون الى اسبانيا ، او الاسبان المنعزلون عن المسلمين هناك ، وان غلبه على الظن أنها كانت تحمل طابع أواخر العصـور الوسطى الاسلامية ، من استظهار القواعد والالمـام بالمفردات ؛ كل على حدة ، والافادة من ذلك فى القراءة والترجمة ، اما الذين كانت تضطرهم ظروفهم الـى التكلم مع المسلمين فكانوا يأخذون لغتهم من الحيـاة بالاندماج مع الناس ، والاحتكاك بالجماعات ، والدربة على القول ، ولدينا اشارات كافية على أن « لـل » اشترى عبدا مثقفا فى احدى جولاته بالمشرق يعلمـه العربية ويحادثه بها . كذلك نعرف ان الدراسـات العربية اصطدمت بعقبة عدم وجـود حروف عربيـة فى اية مطبعة حتـى قريب من نهاية القرن السادس عشر ، فاذا اريد نسخ نص عربي استخدموا قطـع الخشب ، ونقشوا عليها النصوص بحـروف عربيـة مكلفتة لعدم تيسر خطاطين عرب آنذاك ، وفى عـام 1580 تقريبا أعد فرديناندو فون ميديتشي كردينال ثم دوق توسكانا مطبعة عربية فى روما مزودة لاول مـرة بحروف عربية ، فكان ذلك خطوة هامة فى تقـدم الدراسات العربية وانتشارها .

المرحلة الثانية صاحبت عصر التوسع الاوربي ؛ سقطت الهند فى يد انجلترا ، واستولت هولندا علـى اندونيسيا ، وبلغ الصراع اشده بين تركيا وأوربا ، وفى هذه المرحلة توارى الهدف من تعليم العربية كأداة لنقل الثقافة ، وحل مكانه غرض سياسي يرمي الـى التعرف على روح المسلمين لتفتيت روح المقاومة فيهم، والالمام بعاداتهم لحكمهم بأيسر السبـل ، ونبـش نقاط الضعف فى تاريخهم لاثارة الخلاف ، وترجمـة الكتب التي يحتاجون اليها لادراة البـلاد المفتوحـة ، ككتب المواريث والمعاملات والاحـوال الشخصيـة ، وكثير منها كانت تجري ترجمته بأوامـر صريحة مـن وزارات المستعمرات ، وترك هذا الاتجاه بصماتـه واضحة فيما كانت تعالج كل دولة مـن شـؤون المسلمين . عكفت فرنسا وايطاليا على دراسة المذهب المالكي لانتشاره فى شمال افريقية ، وانجلترا علـى دراسة المذهب الحنفي لانه السائد فى الهند . وهولندا على دراسة المذهب الشافعي لان جمهرة المسلميـن تسيـر على احكامه فى اندونيسيا .

وبقي الهدف الديني قائما الى جانب الهـدف الاستعماري ، واتخذ شكلا اوسع واقوى مما كـان عليه قبلا ، فمع الاستعمار اتسعت حركة التبشيـر واصبحت اكثر شراسة وطمعا ، وكان الفارق بينهـم ان السياسي كل غايته ان يستطيع قراءة العربية ، وان المثقف العامل له كل بغيته ان يستطيع الترجمة ، أما رجل الدين المبشر فكان عليه أن يتكلم ، وأن يجيـد الكلام بلغة العامة ، لان اللسان طريقه الوحيد الـى التأثير ، فعنى رجال الدين بالكلام وأقاموا لهم أديرة عدة فى جوانب مختلفة من العالم الاسلامي حيث تتكلم العربية ، هنـاك يستطيعون أن يتعلموها وأن يمرنوا جيدا على الحديث بها وفى لغاتها المختلفة .

وفى هذه المرحلة حدث القليل من التطور فى طرق تدريس اللغة ؛ لكن اجادتها بلغت قدرا عاليا بفضـل انتشار الطباعة ورخص الكتب نسبيا ، والانفاق علـى تدريسها بسخاء ، واغداق المرتبـات على عارفيهـا ، وتأليف المعاجم ، والحاجة الى التدقيق فى ترجمة مـا ينقل من العربية الى اللغـات الاخـرى ، لاقبـال الاوربيين الشديد على الطب العربي ، وكانت اللغـة العربية احدى اللغات التي يدرس بها الطب فى أشهر مدارسه الاوربية فى العصر الوسيط ، فى مدرسـة سالرن Salerne فى ايطاليا ، ويقوم علـى تدريسها استاذ عربي لم يحفظ لنـا التاريخ غيـر اسمه مجردا وهو عبد الله ، ثم خلفه فى منصبـه عربي آخر لعل اسمه يونس الفاسي العربـي Ioannes Afflacius Saracenus

ولم يكد الاستعمار يثبت اقدامه فى دنياه الجديدة حتـى أثارت تقاليد هذا العالم وأهله وتاريخه وآدابه فضول جامعات اوربا وعلمائهـا ، فكان أن نشروا

تراثه على هدى من مناهجهم الجديدة ، ودرسوا حضارته بروح محايدة فى احايين كثيرة ، ولكنه حياد لا يحول دون الخطأ مقصودا او لجهل فى القياس والاستنتاج ، وانضم اليهم طائفة اخرى من المستكشفين والمغامرين والرحالة اغرموا بهذا الشرق العجيب المثير الساحر ، والعرب جل اهله ، وبلادهم اقرب مناطقه ، فتعلموا العربية لغة يتفاهمون بها مع سكانه ، فلم يكن عامة الناس فى هذه البلاد هاتيك الايام ، يحسنون غير لغتهم الوطنية شيئا (1) .

لتحقيق هذا الغرض بدات العربية تلقى اهتماما اكبر ، يتمثل فى دراسة الادب والتاريخ والحضارة الى جانب قواعد اللغة ، فانشىء قسم اللغات الشرقية فى جامعة ليدن عام 1613 ، وبه تحولت الى مركز ضخم للاستشراق طوال القرن السابع عشر ، واشتهر بها توماس اربنيوس Erpenius (1584 — 1624) ، ثم خلفه فيها يعقوب جوليوس Golius فكان اول من انشأ قسما للمخطوطات العربية نواتة 250 مخطوطة عربية اشتراها اثناء سياحته فى سوريا وتركيا وما تزال محفوظة فى مكتبة ليدن حتى الآن ، ثم اضاف اليها وارنر Warner احد تلاميذه ما يقرب من الف مخطوطة قيمة ، وهكذا تحولت ليدن الى مركز استشراقي عظيم يرده كل الراغبين فى دراسة التراث العربي ، وكانت هذه المخطوطات الزاد الذي ازدهر بينه مستشرق هولندي عظيم هو رينهارت دوزي . الا ان دراسة العربية فى جامعة ليدن لم تنفصل فى البدء عن الدراسات اللاهوتية فظلت روح المبشرين مسيطرة عليها ، وجعل عالم مثل البرشت شولتنس Schultens (1686 — 1750) العربية وسيلة لدرس ما غمض فى النص العبري للعهد القديم ، وكانت الفكرة السائدة اذ ذاك ان العربية لهجة عبرية .

وفى اواخر القرن الثامن عشر آلت الى فرنسا زعامة الاستشراق دون خلاف ، وكان انشاء مدرسة اللغات الشرقية فى باريس عام 1795 خطوة هامة فى طريق توطيد هذه الزعامة ، فقد اصبحت قبلة الراغبين فى تعلم اللغة العربية من كل جهات اوربا ، وكانت الدراسة بها قائمة لذاتها لا تهدف الى خدمة اللاهوت ، ولا تخضع لنفوذ رجال الدين ، وكانت مناخا ملائما لكي تزدهر فى رعايتها دراسات كبار مستشرقيها ، وفى مقدمتهم سيلفستر دي ساسي De Sacy (1758 — 1838) ، وقدر لدراسة اللغة العربية وآدابها ان تساير مصالح فرنسا فى العالم العربي اتساعا وعمقا .

وما لبثت المانيا ان نافست فرنسا ، وتحولت ليبزج فى القرن التاسع عشر ، على يد هاينريش لوبيريشت فلايشر (1801 — 1888) انجب تلاميذ دي ساسي الى مركز هام لدراسة الحضارة العربية ، فقد كان فلايشر اعظم مستشرق على ايامه ، وقدر له ان يكون ذا تأثير لم يتيسر مثله الا للنزر القليل من المستشرقين ، فاجتذب العديد من الطلاب من خارج المانيا وداخلها ، وغطت شهرته على معاصريه من المستشرقين الالمان .

نفس الشىء حدث فى اسبانيا ، ومع ان دراسة اللغة العربية فيها بدات قبل اي بلد اوربي آخر ، الا ان المتعصبين من رجال الدين الكاثوليك سيطروا عليها بعد اجلاء المسلمين عن اسبانيا فانحرفوا بها عند الهدف العلمي المستقيم ، واتخذوها وسيلة للحط من كل ما هو اسلامي وعربي ، فلما كان القرن التاسع عشر وهبت اسبانيا فى مطلعه ونهايته بمستشرقين عظيمين : فرانسيسكو كوديرا وخليان ريبيرا ، يجمعان الى العلم الواسع بالعربية صفاء الضمير ، واستقامة الفكرة ، ونبل الغرض ، والايمان بشرف الكلمة ، فعوضا اسبانيا فى مجال الدراسات الاسلامية ما خسرته على امتداد خمسة قرون منذ أن بدات مدرسة المترجمين فى طليطلة تنقل روائع التراث العربي واليوناني المترجم الى العربية .

الا ان الذين جددوا فى بلادهم كل شىء فاخترعوا المثير فى عوالم المادة ، وابدعوا الرائع فى دنيا الفن ، وذللوا ما كان قبل عسيرا او مستحيلا ، ونشروا المطوى من المخطوطات العربية ، وحققوا ما اصابه التشويه منها ، وتركوا تدريس اللغة العربية كما تلقوه ، لم يتقدموا به خطوة ولا اضافوا اليه جديدا . وعلى الجانب الآخر كان العالم العربي فقيرا متهالكا فى بداية يقظته ، على عينه وقلبه وعقله بقايا من الرقدة الاخيرة ، ليس لديه ما يعطيه ، وقد استعانت

(1) أصدق مثل لهذه المغامرة يتجلى فى Domingo Badia الاسباني فقد درس العربية واجادها كاهلها، واتخذ لنفسه اسم علي بك العباسي ، وبه جاب العالم الاسلامي كله ، من المغرب الاقصى الى العراق ، انظر مقالنا عنه فى : المجلة ، ص 15 الى 21 ، العدد 39 ، القاهرة مارس 1960 .

الجامعات الاوربية فى تلك الفترة بمدرسين عرب لرفع مستوى التدريس فيها ، فشغل الياس بقطر (1784 — 1821) كرسي اللغة العربية فى مدرسة اللغات الشرقية بباريس ، وقام بنفس المهمة محمد عياد الطنطاوي (1810 — 1861) فى كلية اللغات الشرقية بجامعة بطرسبرج ، على حين تولى احمد فارس الشدياق (1805 — 1887) تدريسها فى الجامعات البريطانية ، لكن احدا منهم لم يأت بجديد فى طرق تدريس العربية أو محاولة تذليل صعابها .

فلما كانت الحرب العالمية الثانية ، ومعها دال سلطان الاستعمار السياسي عن العالم العربي الا قليلا ، واحتلت شعوبه من اهتمام الدول مكانا رحيبا، للموقع الذي تحتله على ظهر البسيطة ، وللدور الذي تضطلع به فى مجال السياسة ، ولما تملك من ثروات مستغلة أو مخباة لم تمسسها يد بعد ، ولتقدم وسائل المواصلات ، وزوال الحواجز المانعة والمعوقة ، وانتشار السياحة ، وتطور الحروب النفسية واتخاذها من الكلمة المكتوبة والمذاعة سلاحا تغزو به وتهاجم وتحطم ، كل ذلك جعل من العربية واحدة من اللغات التي يزداد عليها الاقبال كل يوم اتساعا . واصبحت تطلب لاكثر من غاية : هدف سياسي لم يتغير منذ أن كانت السياسة وان اخذ دائما شكل العصر الذي يوجد فيه ، وهدف ثقافي هو فى خدمة السياسة كثيرا ويستقل عنها فى قليل من الاحيان . وهدف اقتصادي هو الجديد على عصرنا ، يتمثل فى عدد من الشركات الاجنبية الكبيرة تعمل على امتداد ارضنا . تدرس العربية لموظفيها ، وتدرس العرب لحسابها ، تدرس العربية جادة لان ذلك يرتبط بالانتاج والارباح ، وتدرس العرب علميا فى حيدة لتستطيع فى ضوء ما ينتهي اليه الباحثون ان تتعامل معهم ، وان تخطط لمعاركها بوعي . واختفى النشاط التبشيري أو كاد ، لان مجاله سد الى الابد فى العالم العربي ، وفى غير العربي يجري بلغات اهله ، ولفهم الاسلام ومواجهة مبادئه ، يعتمد الفاتيكان على الكاثوليك من العرب ، والعربية لغتهم ، ومنهم فيها أدباء ومفكرون .

لكن الرجل العصري ، وقد نال من تطويع السكون ما اراد ، ومن تذليل الطبيعة ما جعله سيدا ، يريد أن يصنع الشيء نفسه فى المجالات الثقافية ، لم يعد ذلك العاكف على كتابه فى مكان قصي من الحياة ، يمضي معه اياما وشهورا . يستظهر كلمات وسطورا وصفحات ، وتمضي الدنيا حوله ، لا يحس انها اختلست منه اجمل ايام عمره ، وازهى سني شبابه ، انه يريد أن يبلغ من تعلم اللغة الشيء الكثير فى الزمن القليل بالجهد اليسير ، ما دام يملك أن يدفع وفىضوء هذهالفلسفة بذلت محاولات كثيرة ، من جانب الهيئات الاجنبية ، على امتداد اللغات الحية كلها ، لتذليل صعاب اللغات أمام الراغبين فى تعلمها ، وفيما يختص باللغة العربية فان المؤسسات المالية الكبرى فى الولايات المتحدة ، مثل « ارامكو » و « مؤسسة فورد » تنفق بسخاء على دراسات متوالية تقوم بها الجامعات هناك ، والهيئات المتخصصة مثل : « مركز دراسات الشرق الاوسط بجامعة هارفارد » و « لجنة الدراسات الخاصة بالشرقيين الاوسط والادنى » التابعة لمجلس ابحاث العلوم الاجتماعية لتيسير سبل تعلم اللغة العربية ، وآخرها الحلقة الدراسية التي عقدت فى جامعة ميتشجان عام 1961 لدراسة القضايا المتعلقة بالمصطلحات النحوية العربية ، ويسهم اليونسكو عادة بامكانياته المادية والفنية فى مثل هذه الدراسات، ولو أن احدا فى العالم العربي لم يفكر فى استغلالها بعد .

أما العالم العربي بجامعاته ومعاهده ، والجامعة العربية وهيئاتها الثقافية . فلم تعط الامر اية عناية . ولم تقم بأية محاولة جادة لتيسير دراسة اللغة العربية للاجانب ، على الرغم من اعداد الطلاب الوفيرة التي بدات تتجه الى جامعات الجمهورية العربية ومعاهدها وغيرها من جامعات العالم العربي ، من اقطار مختلفة ، تتكلم لغات متباينة ، وعلى الرغم من معاهدنا الثقافية الكثيرة ، المنتشرة فى بلاد عديدة لا تتكلم اللغة العربية ، وتجعل من تدريس العربية بعض رسالتها ، وعلى الرغم من الشقاء المذل الذي يعانيه الطلاب الوافدون وهم يواجهون ، وربما لاول مرة ، لغة جديدة ، بلا كتاب معد ، ولا مدرس متخصص ، ولا معاجم ميسرة .

من الواضح ان لنا هدفا من تعليم العربية يلتقي مع اغراض الهيئات الاجنبية احيانا ويخالفها أحيانا ، نحن نود أن يدرك الناس حضارتنا وواقعنا ، وان تكون صلتهم بثقافتنا مباشرة ، لا تعبر اليهم عن طريق لغة اجنبية اخرى ، والا يقف جهد الدارس لها عند ماضي العرب الثقافي ، وانما يتجاوزه الى حاضرهم الماثل ايضا ، وأن يدرسها على نحو يدرك معه روح الامة العربية ادراكا يؤدي الى شعور بالمودة والقربى — كالذي كان من رايموندلل — واذا كان الاقتصاد والسياسة يقفان وراء اغلبالجهود الاجنبية المعاصرة،

فعلينا ان نفيد من هذه الجهود وان نحولها لصالحنا ، فاجادة الاجانب للغة العربية هي الطريق الوحيد ، وليس ثمة طريق آخر ، لعالمية الادب العربي ، فقبل ان يصبح ادب ما عالميا ، لابد ان يكون هناك من يحسن قراءته وتذوقه وفهمه وترجمته ، من غير بنيه ، واعني هنا الترجمة التي تأتي عن اقتناع ، لا التراجم الشبيهة بالرسمية ، فانها قد تختار نصوصا ، ليست هي الافضل دائما ، من شعر أو قصص او ابحاث ، ثم يعهد بها الى مصريين ينقلونها الى الانجليزية أو الفرنسية مثل هذه التراجم لا تقرأ ، وانما تأخذ مكانها بعد قليل اكواما من الورق فى المخازن ، لان اجادة المصري للغة الاجنبية لا تعني انه قادر على ان يكتب بها ادبا ، بل ليس كل انجليزي او فرنسي بقادر على ان يكتب فى لغته ادبا ، ومن هنا فان العملي ان تنفق الاموال المرصودة لمثل هذه التراجم على كراسي تنشأ للغة العربية فى جامعات العالم الكبرى ، اذا لم تكن ، فان كان بها كراسي عاضدناها بالمال والكتاب والاستاذ ، ووطدنا صلة القائمين عليها بأدبنا ، وسهلنا لطلابنا بالمنح المجيء الى بلادنا ، لتعميق دراستهم للغة ، وربطهم بالادب ، وعندما يكون لنا فى كل لغة طليعة من الشبان المثقفين المجيدين للغة العربية ، ويومئذ ، سيأخذ الادب العربي بمختلف طعومه طريقه الى العالمية ، دون قرار من مؤتمر أو توصية من لجان (1) .

ادراك الصعوبات التي تواجه الاجنبي فى تعلمه اللغة العربية هي الخطوة الاولى فى تطوير طرائق تدريسها ، والواقع أن كثيرين منا بحكم التربية التي تعلموا على اساسها فى المدارس ، او استجابة لرد فعل نفسي ضد القواعد ، يتصورون ان النحو هو اشق ما يواجه الطلاب الاجانب . ومن تجربتي مدرسا للغة العربية فى كلية الآداب بجامعة مدريد لبعض الوقت ، ولعامين فى جامعة الجزويت بكولومبيا ، فان اسهل ما يواجه الطالب الاجنبي هو النحو ، اذا درس قواعده مجردة ، ذلك ان احكامه المنطقة تجعل من اليسير على أي عقل استيعابها لكن مشكلة النحو تبدأ عندما يرتبط باللغة نفسها ، او بعبارة أصح بالجانب التطبيقي منه .

ولدينا الآن حصيلة وافرة من كتب النحو فى كل اللغات ، منها الموجز المركز ، والمطنب الشامل ، من يجعل النحو غرضا لذاته ، ومن لا يعطي منه غير القليل ، وفى كل منها جانب من خير ، لو جمع فى كتاب واحد لاعطى خلاصة مفيدة ، لجهد عقول دراسة ، ومن هذا الخير حل مشكلة المجرد والمزيد ، فقد اتفق على أن صيغ الافعال — الثلاثي والمزيد منه — عشرة ، لكل صيغة رقم تعرف به ، دون حاجة الى ذكر ما لحق الكلمة من تغيير أو زيادة ، وكان اول من اهتدى الى هذه الطريقة وطبقها فيما اعرف المستشرق الاسباني ميجيل اسين بلاثيوس استاذ اللغة العربية السابق فى جامعة مدريد ، ومهد لها بمقدمة تجعل منها شيئا عاديا فى نظر الطالب الدارس لها ، يقول : كما يحدث فى الافعال اللاتينية — او الاسبانية — حيث تشتق من الصيغة الاصلية للفعل صيغا أخرى بزيادة تلحق الصيغة الاولى ، وتعطيها معنى مخالفا مثل Currere فهي اصل للافعال الآتية incurrere او concurrere و discurrere و Transcurrere الخ كذلك يحدث فى العربية ، تلحق بعض الزوائد الصيغة الثلاثية فتعطيها معنى جديدا ، قد يختلف عن معنى الثلاثي الذي اشتقت منه واورد الصيغ على النحو التالي :

الصيغة الاولى ـَ ـَُِ ـَ فعل — بفتح العين او ضمها او كسرها
الصيغة الثانية ـَ ـّـَ ـَ فعل — بتشديد العين
الصيغة الثالثة ـَ ا ـِ ـَ فاعل .
الصيغة الرابعة أَ ـْ ـَ ـَ افعل بتسكين الفاء
الصيغة الخامسة تَ ـَ ـّـَ ـَ تفعل بتشديد العين
الصيغة السادسة تَ ـَ ا ـَ ـَ تفاعل .
الصيغة السابعة انْ ـَ ـَ ـَ انفعل
الصيغة الثامنة ا ـْ ـتَ ـَ ـَ افتعل
الصيغة التاسعة ا ـْ ـَ ـّـَ افعل بتشديد اللام
الصيغة العاشرة اسْتَ ـْ ـَ ـَ استفعل

(1) ان اثنين من الاسبان الشبان جاءا القاهرة على منحة ، هما الآن ألمع عالمين بالعربية فى دنيا الاستشراق ، اما اولهما Pedro Martinez المدرس فى كلية الآداب بجامعة مدريد ، فقد نشر ترجمة لمختارات من الشعر العربي مع مقدمة دراسية . ثم مجموعة من القصص لطائفة من الكتاب المصريين والثاني هو Fedrico C. de Cordoba ويعمل مدرسا فى كلية الآداب فى تطوان بالمغرب ويقوم الآن بترجمة عودة الروح لتوفيق الحكيم ، وقنديل ام هاشم ليحيى حقي ، والمعلقات السبع من الشعر الجاهلي ، وكلاهما شارك فى ترجمة مسرح الحكيم الى الاسبانية ، واعمال اخرى لا تحضرني الآن .

اصبح استخدام الارقام لهذه الصيغ مقبولا من الطالب ، ويجري عليه العمل كشيء مسلم به ومفهوم بذاته ، ويرمز بها في المعاجم اختصارا ، بدلا من ايراد صيغة الفعل نفسها ، او تكرارها كلما اختلف المعنى بحسب الزيادة التي لحقته . وقد يكون من المفيد لنا ان نضمنها كتبنا التي نعلم بها اللغة العربية للاجانب ولابنائها ، فان استخدام الارقام للصيغ اوفر في الوقت والجهد ، واستخدامها في المعاجم العربية يختصر ثلث حجمها على الاقل ومن هذه الصيغ على الترتيب السابق يجيء المضارع والامر واسم الفاعل والمفعول والمصدر ، واذا استثنينا الصيغة الاولى في اضطراب مصادرها ، فالبقية تجيء مصادرها على القياس دون خلل او اضطراب . ولا يجد الاجنبي عسرا في فهم اسماء الزمان والمكان والآلة ، لانها تجري في اشتقاقها على قانون لا يختلف ، وتجاوز عدد من الحالات الشاذة مندوحة حسنة ، لا يخسر معها الاجنبي مهما من اللغة ، ويربح كثيرا من التيسير والتسهيل .

لكن المشكلة العويصة التي يدور معها راس الاجنبي ، ويجد نفسه ازاءها غريقا في طوفان من الصيغ والاشكال والقواعد فتأتي من جموع التكسير، انها تجري على غير قاعدة ثابتة ، وصيغة كثيرة العدد ، واستخدامه في الشعر والنصوص كثير ، ويرد في الادب وفي الحياة اليومية باكثر مما يرد اي جمع آخر ، ومن هنا يحسن ان نقوم بعملية استقراء للجموع الاوفر ورودا في لغة الحياة اليومية وان نبوبها ، ونقيم لها الاسس التي تجري عليها ، ونهمل، في المراحل الاولى على الاقل ، تدريس الصيغ الاخرى للاجنبي .

من العسير علينا ان نستعرض في صفحات محدودة النهج الذي نريده كاملا لتعليم النحو للاجانب ، فلا بأس أن نقف عند النقط الجوهرية ، وان نترك التفصيلات لمكانها . والمنهاج كما اتصوره يجري على مرحلتين ، الاولى للمبتدئين ، وتتطلب ان ناخذ الطالب برفق وعناية ، نمده بالامل ، ونجنبه على الجهد ، فاذا وجد نفسه خاتمة المطاف قد تعلم شيئا ، وافاد جديدا شجعه ذلك على المزيد من القراءة ، والدأب على الدروس ، والاستمرار في نفس الطريق. وهي قبل ، حصيلة تجارب يمكن ان تعدل في ضوء تجارب الآخرين اضافة وحذفا وتحويرا . واول ما نبدأ به هو كيفية نطق الاصوات ومخارج الحروف ، وتركيب الكلمات ، ثم اداة التعريف على أن نقرنها بما اهمله القدماء وهو اداة التنكير ، وقد تعورف على دراستها في العربية تحت اسم « التنوين » وفي الدروس الاولى يتلقى الطالب اللغة تلقينا ، امثلة مسلمة ، ينطقها ويفهم معناها ويحفظها تاركا التعليل والتفسير لمرحلة تالية .

ومن هذه الخطوة الى اقسام الكلمة : الاسم والفعل والحرف ، نمهد بها مباشرة الى الجملة بقسميها ، الفعلية والاسمية ، على قاعدة البدء بالكل والانتقال منه الى الاجزاء والتفاصيل ، وفهم الجملة اسهل من فهم الكلمة ، والكلمة اسهل من الحرف . ومع الجملة الفعلية تبدأ دراسة الفعل الثلاثي الصحيح . المفتوح العين اولا ، فالمكسور منه ، ثم المضموم ، واعني بدراسة الافعال هنا استخدامها في الجمل ، وهي تكون جل افعال اللغة ، فاذا أمضى الطلاب ايامهم الاولى يدرسونه ، وينبهون الى شواذه، امكنهم أن يواجهوا خطواتهم الاولى بحصيلة هائلة من الافعال ، ثم مجيء المضارع من هذه الافعال مع المزاوجة بين شرح قاعدة التصريف وتلقين الضبط الداخلي للفعل ، واشتقاق اسم الفاعل والمفعول ، وقاعدتهما وهي لا تختلف ، وبالتدريب على اشتقاق هذين الاسمين يبدأ الطلاب المران على الجملة الاسمية، ومع دراسة الجملة الفعلية يدرسون الامر ، ونفي الماضي والمضارع ، والضمائر التي تلحق الفعل ، ومع الاسمية يدرسون جمع المذكر ، وجمع المؤنث ، والصور الجارية لجمع التكسير ، والضمائر المنفصلة وضمائر الملكية ، ثم المثنى اخيرا ، وعلى امتداد الفترة كلها يدرس الطلاب اسماء الاشارة ، للمفرد اولا ، ثم للجمع ، وللمثنى اخيرا ، وحروف الجر الشائعة الاستعمال ، والارقام والتذكير والتأنيث .

في المرحلة الثانية ، يبدأ الطلاب ، وبالتدريج دراسة صيغ الثلاثي المزيد ، ماضيها ومضارعها . وما يشتق منها من اسماء الفاعل (ويتضمن صيغ المبالغة) واسماء الزمان والمكان والآلة ، ومصادر الافعال المزيدة وجلها قياسي ، اما مصادر الثلاثي نفسه فتلقن كامثلة للطلاب طوال فترة الدراسة ، ثم تعطى لها بعض الضوابط في آخر المرحلة ، ويدرس الطلاب ايضا المبني للمجهول ، والافعال المعتلة ، وليس من الضروري الضغط على كلمة علة هذه ، فيمكن أن يقال انها حروف ذات وضع خاص ، وجودها في الكلمة يعطيها وضعا خاصا في التصريف والتغييرات التي تطرأ على المضارع عندما يسبقه ناصب او جازم ، ويقال عنها انها اداة وليس من الضروري أن يعرف الطالب اهي حروف أم اسماء ، والشرط وجوابه ، والاسماء الموصولة والنسب ، والتغييرات التي تدخل

على الجملة الاسمية عندما تسبقها ان واشباهها ، دون تعرض للافعال الناسخة ، ويكتفي بدراسة هذه كأفعال عادية تماما .

أما التراكيب التي لا تعرض الا قليلا كصيغ التعجب والتصغير . فيكتفي بالاشارة اليها في آخر المرحلة ، على أن تدرس مع بعض القضايا النحوية الاخرى في المراحل التالية .

مع هذه القواعد فان الضبط الخارجي للكلمة ، وهو الذي يحدده الاعراب ، لن يكون عسيرا ، وتبقى مشكلة الضبط الداخلي ، وبخاصة عند التفرقة بين أنواع الفعل الثلاثي وعند صوغ المضارع منه ، وهو ما لا سبيل الى معرفته غير شكل الكلمات وقراءتها وتكرارها .

فاذا تركنا النحو فما يأتي بعده في الاهمية هو اللغة نفسها ، اعني مفرداتها .

والهدف منها أن نمكن الطالب من أن يتحدث بلغة عربية صحيحة غير متقعرة ، وأن يفهم الاذاعة ، ويتذوق الادب ، ويدرك مرمى القصة ، ويحسن استخدام المصادر القديمة اذا تقدم في الدرس ، وأمعن في التحصيل ، مستعينا بالمعاجم العربية الخالصة أو ذات الشروح الاجنبية .

ولتحقيق هذا الهدف يجمل بنا احصاء الكلمات الاكثر دورانا على الالسنة ، باستقرائها من الصحف والمجلات والاذاعة ، والنصوص الادبية المعاصرة ، وكلمات الحياة العادية ، والامر ليس بجديد ولا عسير فهناك بعض مؤلفات اجنبية كتبت في هذا الامر ، بعضها جمع مفردات من العالم العربي كله ، وبعضها قام على احصاء ما يدور في حياة دولة واحدة ، وكلا الاتجاهين محاولة طيبة ، لكنها غير كاملة ، لنقص امكانيات القائمين بها، على الصعيدين العلمي والمادي.

في البدء علينا أن نعني بتعليم الطالب اللغة المكتوبة ، لا اللغة الادبية ، وهما معنيان يجتمعان احيانا في لغة واحدة ، ويختلفان أحيانا ، فاللغة المكتوبة هي لغة الحياة العادية ، غير العامية ، وتتميز اللغة الادبية عنها في غالب الاحيان ، لان رجال الادب في كل الاقطار من شعراء وقصاص وكتاب ، يكونون طبقة لها تقاليدها وعوائدها ، وللغتهم خصائص متميزة ، تتطلب تهيئة وترويضا وتثقيفا عاليا ، وهي تغاير اللغة المكتوبة ، رغم تنوعها العديد فيما بينها . وعلينا أن نعطي اهمية قصوى للكلمات ذات المعاني المحددة ، الخاصة بالمفهومات المادية العملية ، ثم تأتي بعد ذلك الكلمات التي تدل على معان اكثر تجريدا ، على الا نقدم للمبتدىء مفردات لا تجديه شيئا ، لان الهدف في المرحلة الاولى ان تكون لديه حصيلة من كلمات مفيدة ، والكلمات التي يتيسر وجودها في نص ادبي ، ولا تستخدم في الصحف أو الاذاعة ، وانما يقتصر مجالها على الحديث العام ، يمكن أن تضمن بطريقة طبيعية في حوار أو نصوص للقراءة تدور حول بعض المشاكل المعاصرة .

هناك حاجات مشتركة بين جميع الناس ، ولهذه الحاجات مفردات تكاد تتساوى في عدد الكلمات ، على امتداد العالم طوله وعرضه ، ومن دراسات قام بها قس في احدى القرى الانجليزية تبين أن الكلمات التي يستخدمها فلاح امي لا تتجاوز 300 كلمة ، وهي الحد الادنى لما يعرفه انسان في مثل ظروفه ، ومن جانب آخر اجريت احصاءات لبعض الكتب الادبية ، فوجد ان العهد القديم يضم 5642 كلمة ، وان العهد الجديد يضم 4800 كلمة ، وان مفردات ادب شكسبير تبلغ 15 الف كلمة ، والفاظ ملتن تبلغ 7 آلاف كلمة . ومن هنا يمكن أن نستنتج ان امداد الطالب بحصيلة من المفردات تبلغ ثلاثة آلاف كلمة في مؤلفين ، الاول يضم الف كلمة ، والثاني الفين ، يقضي الطالب بعد دراستهما مرحلة تعمق واجادة ، يكفي لان يبدأ مرحلة التخصص والعكوف على الادب القديم لمن يريد .

لم تجر عملية احصاء هذه المفردات في العالم العربي بعد ، ولم يقم احد بدراسة معاجم ادبائنا ، كم يستخدمون من الالفاظ وماذا يؤثرون ، والى أن يتم ذلك ، يمكن أن نستعين بالاحصاءات التي قام بها الاجانب ، ويمكن ان نعهد الى القائمين بالعمل في اذاعاتنا الموجهة اعداد جذاذات للكلمات التي تمر بهم يوميا في تراجمهم للاخبار والاحداث ، يكتبونها بالعربية الى جانب اللغة الاجنبية التي اذيعت بها ، وترتب هذه الجذاذات وتدرس على نحو منهجي ويختار من بينها الالفاظ الاكثر دورانا ، وقد تصلح في الوقت نفسه لعمل معاجم لبعض اللغات التي لا توجد فيها معاجم للعربية ، كالاسبانية والبرتغالية(1)

(1) في صيف 1964 زرت القسم العربي في محطة الاذاعة الفرنسية ، فوجدتهم يصنعون شيئا كهذا باشراف المستشرق الفرنسي شارل بل ،الاستاذ في جامعة باريس ، وفيما قيل لي فان لجنة مماثلة تقوم بنفس العمل في محطة الاذاعة البريطانية .

يراعى فى القطع الموضوعة والمختارة ان تكون مفيدة للطالب ، تمده الى جانب اللغة بالجديد فى معارفه عن حياة الشعوب التي يدرس لغتها ، وان تتجه هذه المعرفة الى الحضارة ما امكن ، وان تبتعد عن المعالجة المباشرة لقضايا السياسة ، وان تلتزم جانب الصدق دون مغالاة . وكتب تعليم اللغة العربية التي وزعها خصومنا فى الخارج لا تهاجمنا مباشرة ، ولا تتعرض للسياسة ، لكن الدارس يخرج بعد دراستها وفى ذهنه صورة كريهة للعالم العربي تحتاج الى جهد سنين لانتزاعها من اعماقه . انها تعطي القاعدة العلمية وهي محايدة ، ثم تنتقل الى القراءة وهي موحية ، فلا تكون نصا ادبيا جميلا ، ولا قطعة شعرية نابضة بالانسانية ، ولا حقيقة تاريخية ثابتة ، وانما تتحدث عن أمثال : « الاعرابي والنخلة » ، « بدوي يتيه فى الصحراء » ، « الراعي وغنمه » ، من كل ما يهدف الى تحقير المتكلمين بالعربية وابرازهم فى صورة المجردين من كل حضارة عصرية .

وتشكل الكلمات كاملة ، وبصفة خاصة فى المراحل الاولى ، لان الشكل – فى نظر الاجنبي – جزء من بنية الكلمة ، اهماله يجعل الكلمة تفقد احد عناصرها ، فيعجز الطالب عن فهم المراد من اللفظ ، فلا يدري فى مثل « جمع » اهي اسم أم فعل ، واذا كانت فعلا اهو للمعلوم أم للمجهول ، ثم نتخفف من الحركات شيئا فشيئا ، الى ان يتعود الطالب القراءة دون غير الضروري من الشكل فى المرحلة الاخيرة ، وليكن ذلك من الكتاب الرابع مثلا ، ويمكن التخفف بدءا من بعض الحركات بما لا يتعارض مع الغاية منها ، فلا تكتب الفتحة مثلا وتكون مفهومة عند اهمالها ، الا اذا كانت حركة للواو أو الياء فى مثل (صور – جيل) ، وتعتبر حروف العلة مدا ما لم تضبط بالشكل ، أما الشدة والمدة وهمزة القطع فاثباتها أمر جوهري ، ولا ضير ، بل يكون ضروريا ، ان يكتب نطق الكلمة بحروف لاتينية فى المرحلة الاولى ، وان يوضع للحركات قاعدة يتفق عليها ، وتصبح محتذاة عالميا ، وان يتفق على رأي ، هل يكون النقل حرفيا ، فتكتب الكلمة دون اعتبار للنطق الحقيقي ، فيقال al-Dâr أم يكون النقل صوتيا وصفيا ، وحينئذ تنقل الكلمات كما ينطق بها ، فيقال ad-Dâr

عند الكتابة للاجانب يحسن ، فى المراحل الاولى ، التخلص من الزخارف الخطية التي يلجأ اليها البعض عند توالي حروف متشابهة ، لاعطاء الكلمة شكلا اكثر جمالا وانسجاما فى عين القارىء ، فيصعدون ببعض الحروف لغير ضرورة ، مما ترك أثرها فى حروف الطباعة ، فكلمة يتبينون مثلا يمكن أن تكتب بالصعود بالتاء ثم بالباء ثم بالياء ثم بالنون مما يوقع القارىء المبتدىء فى اضطراب ، ويحسن ان تلتزم صورة الحرف العربي شكلا موحدا ، كانت فى وسط الكلمة ، كما سبق ، او فى اولها ، على نحو ما تكتب عليه النون فى « نهر » و « نهر » أو آخر كما تكتب الميم فى « تلم » و « تلم » أو

وفى الكتاب الاول ، وربما الثاني ايضا ، من المفيد أن يؤدي الرسم دوره الى جانب اللفظ فى توضيح المعني ، وبخاصة فى الاسماء ، وان رسم تط الى جوار حروفه ، يجعلها اثبت فى الذهن ، وادل على المعنى ، واوفر فى الشرح .

من المؤسف أن تدريس اللغة العربية للاجانب يقوم على كتب مؤلفوها فى معظمهم من الاجانب ، واغلبها عتيق النص والمنهج وهي ضارة ومؤذية وجارحة لكرامة الانسان العربي وشعوره ، تتحدث عن قضايا عفا عليها الزمن ، وتستخدم أسلوبا مسجوعا ركيكا ، انطوى عصره وذهبت ايامه ، واذن فلا بد لنا من كتب نصنعها نحن ، كتب للقواعد بتدريباتها ، وللقراءة المبسطة ، وللادب المعاصر ، وللادب العربي فى زاهر أيامه ، ولن يؤدي كتاب واحد من هذه الكتب الادبية رسالته ما لم يضبط الضروري من الفاظه ، ويلحق بآخره معجم صغير Glossaire تترجم فيه الالفاظ الصعبة وغير المتداولة الى اللغة التي يعد لطلابها ، انجليزية أو فرنسية ، على قواعد الفصحى ونهجها .

وقد اثبتت التجارب ان الطلاب الاوروبيين يقبلون على دراسة اللغة العربية بحماسة ثم ينصرفون عنها عندما يشعرون ان اللغة التي يبذلون الجهد فى دراستها ليست هي اللغة التي يتحدث بها الناس فى اي بلد عربي يمكن أن يذهبوا اليه مستقبلا ، ولسد هذه الثغرة علينا أن ننشر عددا من المسرحيات المعاصرة لكبار كتابنا ، على النحو المتقدم، ففيها لغة الحياة ، وفيها الحوار الذي تأنس اليه النفس وتألفه ، ويعين الاجنبي على أن يلتقط من كتاب ادبي الكثير من التعابير الدارجة ، الجارية على قواعد الفصحى ومنهجها .

واعتقد ان على الجامعة العربية ان تعطي هذا الامر بعض جهدها ، من اعداد اللجان ، وتأليف

الكتب ، واقامة المعاهد ، وتنسيق الخطط بين دولها فى هذا المجال وحث المتخلف منها على أن يأخذ بحظه من هذه الرسالة الجادة ، وأن تعين دور النشر الكبرى التي تخصصت فى اصدار كتب اللغات، بالخبراء والفنيين ، وان تخطو الخطوة التي شملت لغات كثيرة وما زالت العربية محرومة منها ؛ وهي التعليم عن طريق الاسطوانة والاذاعة والاشرطة المسجلة ، وأن تحيط دوائر الاستشراق فى الخارج بما تنتهي اليه الدوائر العلمية فى العالم العربي من تطوير فى مناهج اللغة العربية ، يتصل باللغة أو الكتابة أو النشر ، كاختصار اشكال الحروف العربية، واصدار المجمع اللغوي فى القاهرة كتاب « المعجم الوسيط» وأن تفكر على المدى البعيد ، فتقوم بتوحيد كثير من المترادفات التي تستخدم للمعاني الجديدة ، ففي كل دولة من دولها لفظ والمعنى واحد ، فيتحتم على الطالب الاجنبي أن يحفظ لمقابل الكلمة الاجنبية الواحدة عددا من الكلمات العربية ، فكلمة Vice-Président يعبر عنها بكلمات : نائب ، ووكيل ، وخليفة ، وكاهية ، ومساعد .

ذلك ، فى ظني ، عمل أولى بالالوف من الجنيهات التي رصدت لترجمة أعمال شكسبير !

لكن هذه النيات الطيبة يمكن ان تنتهي كلها الى لا شيء اذا لم يسبقها الاهتمام بتكوين جيل من الاساتذة يتخصص فى تدريس اللغة العربية للاجانب، والتخلي عن فكرة ان كل من تكلم العربية قادر على تدريسها ، فمعرفة اللغة شيء ، وتدريسها للآخرين شيء آخر ، فاذا كان هؤلاء الآخرون أجانب يتكلمون لغة أخرى كانت الحاجة الى التخصص اشد . والعناية بالاعداد أدعى ، وقيام مدرس تاريخ — مثلا — بتدريس اللغة العربية ، أو ارسال خريج فى مدرسة الالسن ليشغل كرسي اللغة العربية فى احدى الجامعات الاسبانية ، لمجرد أنه درس الاسبانية ، ضار باللغة وبنا وسمعة الادب العربي ، وبثقافتنا المعاصرة بوجه عام : وترك تعليم اللغة العربية فى رعاية الاساتذة الاجانب ، يجعل منها امام الطلاب شيئا اشبه بالطلاسم ، وبعيني شهدت راهبا يدرس الادب العربي ، فى احدى جامعات اوربا ، ولا يعرف من العربية غير قراءة الرسم ، واستخدام المعاجم ، لا يحسن نطق كلمة ، ولا يتذوق تعبيرا جميلا .

ولابد من اعداد المدرس العربي فى اللغة التي يستخدمها الطلاب الذين يدرس لهم ، وأن يكون على قدر من ثقافة يدرك معه وجوه الخلاف بين اللغات الهندية الاوربية واللغات السامية — مثلا — ويعي المفهومات المختلفة للتحليل النحوي بين هاتين المجموعتين ، والمصطلحات النحوية المتعلقة بالالفاظ وتركيب الجمل على نحو أخص ، وما يوجد فى العربية وليس له مقابل فى هذه اللغات أو العكس . وان أشق ما يواجه الاجنبي هو أن طريقة التفكير تختلف من لغة الى اخرى اختلافا بينا ، وان تركيب اللغة فى العربية يختلف عنه فى اللغات الاوربية الحديثة ، وسوف يحس الطالب بسرور ، وهو يواجه للمرة الاولى الاشكال الغريبة للرسم العربي ، اذا عرف ان خمسة حروف من الابجدية العربية لها شكل واحد ، وانها تختلف فيما بينها بالنقط ، وهي ب ت ث ن ي ، وان ثلاثة اخرى لها نفس الشكل ويفرق بينها بالنقط وهي : ج ح خ ، وهكذا . وان المثنى ، على دهشة الاجنبي منه ، ليس شيئا خاصا باللغة العربية ، فقد كان موجودا فى الهندية الاوربية قديما ، وما يزال موجودا بعد فى اللهجة السلوفينية فى يوغوسلافيا ، وفى صورابية اللوزاس (اقليم بين المانيا وتشيكوسلوفاكيا) والحق ان صورة المثنى بدأت تختفي فى لغة الحياة العادية من زمن طويل ، ولولا القرآن لاختفت من اللغة الادبية ايضا .

وأن يعرف أن العربية تعبر عن الفكرة الرئيسية بالسواكن ، وعن تفرعاتها الثانوية بالحركات ، ومن ثم فان التصريف يتم داخل الكلمة غالبا ، مما يسمح لها بصوغ عدد من المشتقات دون حاجة الى لواحق ، فنحن نقول كتب ، كاتب ، كوتب ، كتاب ، كاتب ، وهو ما لا يمكن بلوغه فى لغة اخرى دون التجاء الى اللواحق . وأن الصعوبات التي تواجه الطالب الاجنبي تتمثل فى تعلم الكلمة الاولى ، وفى الانتقال من قراءة النصوص المضبوطة بالشكل الى النصوص المجردة منه ، وفى تخطي قراءة الجمل المتفرقة الى قراءة نص كامل ، وأن تكرار المفردات والجمل البسيطة يعين الطالب على اجادة النطق ، وارهاف السمع ، مختارا من الالفاظ اكثرها دورانا على الالسنة وشيوعا فى الحياة ، متجنبا المفردات القليلة الفائدة ، أو النادرة الاستعمال فاذا استطاع طالب بعد قليل من الزمن ان يقرأ عنوانا فى صحيفة أو يلتقط جملة من اذاعة فسيكون ذلك دافعا له على الاستمرار فى الدرس ، والمضي فى الطريق الى نهايته .

إقليمية اللهجات العامية أكبر حجة على عدم صلاحيتها

الأستاذ إلياس زنتيس

الجامعة الحـرة (امستردام)

كثر الكلام والجدال فى الآونة الاخيرة حول اللغة الفصحى واللغة العامية وكيف يمكن الوصول الى اتفاق بينهما والفارق البعيد فى الكتابة والتخاطب بينهما ودعا بعضهم الى التاليف فى اللغة العامية لسهولتها وتعبيرها عن افكار العامة بابسط طريقة وطرح اللغة الفصحى جانبا لصعوبتها للذين لم يتعلموا هـذه اللغة فى المدارس ولتعقيدها كما يقولون . كما دعا بعضهم الى الكتابة بالاحرف اللاتينية اسوة بالاتراك. وذعم بعضهم حجته باقوال بعض الاجانب الذين يتعلمون اللغة العربية فى اوروبا على الطريقة الفصحى فاذا قدموا الى بعض الاقطار العربية صعب عليهم التفاهم والتخاطب مع عامة الناس فيها .

ولعمري ان الموضوع ذو اهمية كبيرة ليس فى البحث عن اي من الطريقتين يجب أن نتبع ، بل ان اهمية الموضوع كامنة فى ان نحسم الجدال فيه ونقلل من الكلام حوله حتى لا يتشعب الراي وحتى لا يتسلل ادنى شك فى لغتنا الفصحى يدعو الى وصفها او يرميها بالعقم وعدم مجاراتها لروح العصر وعجزها عن مجاراة اللغات الاخرى فى العلوم والفنون . ولذلك ارى ان لا تترك مجامعنا اللغوية هذه الفكرة تنمو فى عقول الناس بفتح باب الجدل والنقاش حول هذا الموضوع الى ما لا نهاية له.

اين توجد اللغة العاميـة ؟

ان البلاد العربية اقطار شاسعة واسعة تمتد من المحيط الى الخليج . فهي ليست قطرا واحدا حتى يكون له لغة عامية واحدة . وحتى فى القطر الواحد توجد فيه عدة لهجات . فالصعيد المصري له لغة عامية غير التي فى البحري وكذلك السوري ترى فيه فارقا بين لهجة دمشق ولهجة حلب مثلا . حتى فى فلسطين القطر الصغير يوجد فرق بين لهجة غزة ولهجة حيفا والجليل .

فما بالك باقطار متعددة متباعدة جاورت وخالطت مع الزمن شعوبا متعددة، ومن هذا الاختلاط تولدت فيها لهجات ودخلت فيها كلمات خاصة بذلك القطر لقربه من احد الشعوب التي تجاور حدوده . فالعراق الذي يجاوره الترك والفرس والقوقاز له لغة عامية غير التي فى الشام او مصر او غيرها وكذلك المغرب وشمال افريقيا له لغة عامية لا تفهم تماما فى باقي الاقطار العربية . فاي من هذه اللهجات هي اللغة العامية التي نريد أن نتخذها اداة للتفاهم كما يقول البعض . فالدكتور انيس فريحة يريد أن يكتب باللغة العامية اللبنانية وهو لا يقدر أن يكتب بغيرها . والاستاذ محمد تيمور يعنى باللغة العامية المصرية والفرق بينهما كبير . واذا قام كل قطر يكتب بلغته العامية ففي ذلك لعمري بلبلة واي بلبلة ونحر اللغة العربية بيد اصحابها وابنائها .

وقد احسن عميد الادب العربي الدكتور طه حسين الرد على فكرة اتخاذ اللغة العامية اذ قال :

« احب ان الفت نظر ادبائنا الذين يطالبون بالالتجاء الى اللهجات العامية الى شيء خطير ما ارى انهم قد فكروا فيه فأحسنوا التفكير . هو أن العالم العربي الآن ، وكثيرا من اهل العالم الشرقي كله يفهم العربية الفصحى ويتخذها وسيلة للتعبير عن ذات نفسه وللتواصل الصحيح القوي بين اقطاره المتباعدة فلنحذر أن نشجع الكتابة باللهجات العامية فيمعن كل قطر فى لهجته وتمعن هذه اللهجات فى التباعد والتدابر ، ويأتي يوم يحتاج فيه المصري الى ان

يترجم الى لهجته كتب السوريين واللبنانيين والعراقيين ويحتاج اهل سوريا ولبنان والعراق الى مثل ما يحتاج اليه المصريون من ترجمة الكتب المصرية الى لهجاتهم كما يترجم الفرنسيون عن الايطاليين والاسبانيين وكما يترجم هؤلاء عن الفرنسيين .

ولنسأل أنفسنا آخر الامر ايهما خير ان تكون للعالم العربي كله لغة واحدة هي اللغة الفصحى يفهمها أهل مراكش كما يفهمها اهل العراق ، ام ان تكون لهذا العالم لغات بعدد الاقطار التي تتألف منها ، وان يترجم بعض عن بعض ؟ اما انا فأوثر وحدة اللغةهذه فهيخليقة بأن يجاهدفى سبيلها المؤمنون بها وبأن يضحوا فى سبيلها بكل ما يملكون .. »

هذا هو رد زعيم الادب العربي ولعمري انه احسن رد على الداعين لاتخاذ اللغة العامية .

ما هي اللغة العامية ؟

كانت اللغة فى الجزيرة العربية لغة فصحى رغم تعدد اللهجات التي كانت فى المناطق المتعددة من الجزيرة وكانت ارقاها لغة الحجاز ونجد . وبما أن الحجاز كان ممرا للتجارة وكانت مكة مكانا للحج فقد كانت قريش اقوى البطون العربية واكثرها نفوذا من اثر التجارة والحج فقد غلبت لهجتها على غيرها من اللهجات . فلما جاء الاسلام نمت لها واصبحت لهجتها هي العليا وصارت لسان النبوة والملك والعلم والفصاحة . فلما خرج العرب من جزيرتهم وعاشروا غيرهم من الشعوب فى الممالك التي اخضعوها لسلطانهم خافوا على لغتهم من التحريف واللحن . ولما جاء احدهم الى زياد بن أبيه والي العراق وقال له : « اصلح الله الامير ، توفي ابانا وترك بنون » اوعز الامير الى ابي الاسود الدؤلي ان يضع للناس ما يقيمون به كلامهم فقام بوضع علم النحو . واخذت الغيرة غيره من العلماء فوضعوا ما اشكل من ابواب اللغة . وهكذا اصبحت اللغة ذات قواعد ثابتة وكثرت المؤلفات فى مختلف علوم اللغة والبلاغة وكثر الشعراء واصحاب الرسائل فأمدوا اللغة بكنوز وافرة من بنات افكارهم وقام الائمة فى جمع الاحاديث النبوية وكتبوا التفاسير ووضعوا الفقه . وقام التراجمة بنقل العلوم عن اليونان والهنود وغيرهم ، وهكذا مع الزمن صار للعربية رصيد عظيم فى العلوم والآداب لم يكن لامة من الامم واصبحت خزائن الكتب فى العالم تمتلك مئات بل آلاف المؤلفات العربية فى شتى العلوم والادب .

فماذا نعمل بهذا الميراث العظيم وهل نقطع صلتنا به ونتخذ العامية لغة لنا ؟

واذا اخذنا باللغة- العامية ودرجنا عليها وادخلناها مناهج التدريس بدل اللغة الفصحى ثم أراد الواحد منا ان يدرس مناهج دينه فى القرآن والحديث والفقه او دراسة الادب العربي والبحث فيه وجد ذلك من اصعب الامور واضطر ان يدرس لغة غير التي درسها وتعود عليها . ان الاخذ باللغة العامية سوف يبعدنا عن فهم الادب العربي قبل الاسلام وبعده ويضيع منا تراث ضخم تحسدنا عليه جميع الامم .

وقد قام احد الذين ينادون بالعامية الى استخلاص الاحكام التالية ، قال :

1) ان اكثر الالفاظ العامية عربية اصابها التحريف فى النطق للتخفيف والتيسير

والرد على هذا الحكم هو ان المتعلم الذي اعتاد النطق السليم لا يسعى لان يحرفه حتى لا يشذ وقعه فىاذنه .

2) ان اسلوب العامية قد استقر على صورة تعودها الناس وهو يختلف عن الاسلوب العربي الصحيح .

والرد على ذلك ان اسلوب الفصحى قد استقر على صورة وضعها علماء اللغة بعد البحث والاستقراء وان اسلوب العامية له صور متعددة بتعدد الاقطار العربية وهو يختلف عن الاسلوب العربي العامي .

3) ان العامية لا تزال تتطور ، وهذا التطور ناشىء عن حياة الناس ، فهي وليدة الحياة نفسها وفيها من المرونة ما فى الكائن الحي .

الجواب ان العامية تتطور وهذا التطور ناشىء عن الجهل بالثقافة والتعليم فهي وليدة الجهل بلا جدال ومرونتها لا تعادل مرونة الفصحى .

4) ان العامية ليست مسخا مجردا عن الفصحى وانما هي لغة قائمة بنفسها لها قواعدها واصولها فاذا شذ عنها فكأنه خرج عن طريقة مقررة .

الجواب ان العامية مسخ وتحريف عن الفصحى كما اعترف فى الحكم الاول وهي ليست لغة قائمة بنفسها بل لغات متعددة بتعدد الاقطار وكل قطر له قواعد واصول غير التي فى القطر الاخر وليست لها طريقة مقررة الا فى القطر الواحد وهذه الطريقة

تعتبر شذوذا في باقي الاقطار وهنا نعود الى السؤال المهم وهو اي لغة عامية من لغات الاقطار المتعددة يعنــي ؟

هذا ولو اردنا ان نرد على الداعين الى اللغــة العامية لندحض مزاعمهم لاحتجنا الى وقت طويــل او الى كتاب كبير ، وان الذين يناصرون العامية يفكر كل منهم في لغته او بالاحرى في لهجته التي درج عليها مع العلم انها لا توافق لهجة اخوانه في الاقطار الاخرى وجاء لاحدهم في كتاب « نحو عربية ميسرة » الفقــرة التاليــة :

« .. انك لا تستطيع ان تقول بالفصحى مــا تقوله بالعامية ، واذا نقلته الى الفصحــى اتى جافا قاسيا خلوا من العنصر الانساني اللطيف في اللغــة . تصور على المسرح فلاحا يتكلم الفصحى او سكيرا يتكلم الفصحى أو خادمة تخاطب سيدتها بالفصحى ، أو نجيب حنكش يقص أقاصيصه الزحلاوية البرازيلية بلغة الزمخشري ، وسعيد فريحة في نكات يقصهــا بالفصحــى أو المجلات المصرية تنقل كلام ابن البلــد الى اللغــة الفصحــى ..»

ان الكاتب يتجنى على اللغة العربية وهي براء منه وما كان منه ان ينكر افضال اللغة العربية بــل وامجادها في الحياة الفكرية الانسانية وانها عبــرت ولا تزال تعبر عن الحياة بحلاوتها ومرارتها ولينهــا وشدتها ، وان كتبها الادبية من نثر وشعر فيها مــن التعابير التي يهتز لها القلب فرحا من حلاوتها ويهطل لها الدمع من مرارتها وان العربية لم تدع بابا مــن ابواب الحياة الا ولجته وعبرت عنه احسن التعبيــر لينه وشدتــه .

اما تصوره فلاحا على المسرح يتكلم الفصحــى او سكيرا او خادمة تخاطب سيدتها بالفصحــى فهذا كله لاننا اعتدنا ان نعرف ان فلاحنا الجاهل أو خادمتنا او غيرهما من عامة الناس قد حرموا من الثقافــة وعاشوا القرون الطوال في جهل وتأخر والتعليم لــم يصقل حديثهم ولذلك فقد تعودنا ان نسمع فلاحنــا يتكلم بلغته البعيدة عن أصل اللغة لانه لم يتعلــم اللغة فيخرج الفاظا اصطلح عليها هــو وآبــاؤه في بيئته لاداء المعنى المطلوب . ومع ان فلاحي اوروبا لهم لهجة غير التي في المدن غير أن الفلاح الاوروبي اذا اراد ان يتكلم مع مثقف أو رئيس دائرة من سكــان المدن فانه يقدر ان يتكلم بلغته المثقفة .

أما اذا قص نجيب حنكش احاديثه الزحلاوية ، وهي لبنانية اللهجــة ، على مسمــع من عراقي أو مراكشي أو يمني ، فانهم سوف لا يفقهون منها شيئا وسوف لا يطربون لها لانها ليست من المصطلح الــذي اعتــادوه وكذلك قل عن سعيــد فريحة اللبنانــي او ابــن البلــد المصري .

فمما لا ريب فيه ان اللغة العامية تمتد حيــن يصيب التعليم جزر . اي ان اللغة العامية وصلت الى هذا الفرق بينها وبين الفصحــى بعد ان انحصــر التعليم في الاقطار العربية وقلت المــدارس وســاد الجهل وقلت الفئة المتعلمة . وان عصور التخلــف التي تتابعت على الاقطار العربية وهي ترزح تحــت نير اجنبي او نير سلطة محلية لا تهتم لصالح شعوبها خلقت في هذه الاقطار اكثرية امية جاهلة لم يصقلهــا التعليم وابتعدت عن اصول اللغة ومصطلحاتهــا تجهلها بها ، فانكبت على لغتها العامية لتستعيــض بها عما هي فيه من النقص ومع توالي الاجيال كثــر البعد بينها وبين الفصحــى الــى ان صارت كمــا هي عليه اليوم . الا ان لهذه العلة دواء ، فــاذا احسنا استعمال هذا الدواء ، ــ وهو احسن دواء ــ فاننا نتمكن به اولا من الحفاظ على لغتنا من الانقراض وثانيا على امة العرب من الفوضى التي سوف تنشأ اذا اخذ كل قطر يكتب بلغته العامية ، واعوذ بها من فوضى ،وليتذكر الذين يهتمون بهذه المسألة ان الورد لا يجنى بدون وخز شوكه والعسل بدون وخز ابره . وليتذكر الذين يهتمون بذلك اننــا سوف لا نجنــي ثمارها يانعة في وقت قصيــر ولكن سوف نجنــي ثمارها بعد جيل او جيلين من الزمن وهي ليســت حقبة طويلة بالنسبة للتاريخ واعني هنا اننا ســوف نجني ثمارهــا مع الجيل القادم وثمارا احسن مــع الجيــل القــادم ان شاء الله . مع اننا اذا اتبعنــا الطريقة العامية فسوف لا نجني اية ثمار ســوى ضياع اللغة وسوى الفوضى من زعم كل قطــر ان لغته العامية هي المثلــى .

ان الدواء الوحيد لانقاذنا من الفوضى وانقاذ لغة الضاد من الانقراض هو التعليــم ، والتعليم فقط . فاذا اتبعنا طرق التعليم بالمعنى المعروف اي التعليــم الاجباري مع وضع برامج خاصة لمحاربة العاميــة وتقريب الثقافة الى كافة الجماهير مــن فلاحيــن وحضر فاننا نستطيع بعد جيل او جيلين ، تقويــم المعوج من السنة العرب المعوجة وجعل الفــــلاح والخادمة وسواهما يقدرون على التفاهــم والتخاطب

بالفصحى بعد أن يكون قد شملهم نظام التعليم واخذوا قسطهم من الثقافة ، وعندئذ اذا قدم احد الاوروبيين الى اي بلد من بلاد العرب فانه سوف يرى ان كل الامة رجالها ونساءها يتكلمون او يقدرون على المخاطبة بالفصحى فيفهمونه ويفهمهم .

وبالختام اضع هنا بعض الحلول للخروج من هذه المشكلة راجيا ان تلاقي من اولي الامر بعض الاهتمام :

أولا : العمل على تسهيل قواعد اللغة وعقد مؤتمرات من اللغويين لوضع نظام جديد لدراسة اللغة وتبسيط النحو .

ثانيا : توحيد التعليم الخاص باللغة العربية مع وضع كتب خاصة موحدة للنحو والتاريخ والعلوم يقوم بوضعها نخبة من المعلمين او المؤلفين من جميع الاقطار وتدرس فى جميع الاقطار وبذلك تتوحد الافكار عند الصغار حتى اذا صاروا رجالا فى المستقبل كانت مناهج التعليم والكتب الموحدة قد وحدت من افكارهم وذهبت بالعصبية وقللت من البعد بينهم .

ثالثا : وضع نظام فى المدارس فى جميع الاقطار يحض الطلبة على التخاطب بالفصحى ما امكن واقامة حلقات خطابية ومحاربة أو تقليل التكلم بالعامية مع افهام الطلبة فائدة ذلك لهم ولبلادهم .

رابعا : عقد مؤتمرات لغوية يحضرها ممثلون عن جميع الاقطار العربية لوضع مصطلحات لتوحيد اسماء الاشياء المختلف فى الاصطلاح عليها فى بعض الاقطار من عامية او فصحى .

خامسا : كل البحوث الخاصة باللغة العربية يجب أن يعود البت فيها الى مجامع اللغة لا الى افراد .

الحرف العربي وجولاته في العالم

الدكتور عفيف بهنسي

مدير الفنون الجميلة (دمشق)

ليس منا من يعرف كيف تعلم لغة المخاطبة التي ينقل عن طريقها افكاره . والذي نذكره عن اطفالنا انهم منذ نشأتهم الاولى كانوا يحاولون التعبير عن حالة عاطفية معينة ، فعندما يحاول الطفل ان يلفظ كلمة (ما) او (ماما) فانه يكثف بهذا الجرس القصير كل ما يختزنه وجدانه من عاطفة الانتماء وتحقيق الرغبات . ومن المؤكد ان هذا الطفل ، واي طفل ، لا يلقن أصول الكلام وفق الاصول القاعدية التي تلقن بها اللغات فى المدارس ، بل انه يتلقن فى الواقع الجرس المنسجم مع الاشارة التي يرغب التعبير فيها عن خياله الفطري .

هنا نجد انفسنا امام فروق لابد من ايضاحها ، بين الجرس وهو المظهر الصوتي للاشارة وبين الاشارة ذاتها وهي انبثاق الحدس من الوجدان ؛ وبمعنى آخر ان الاشارة هي الانفعال فى طور التكون ، وهو انفعال مجرد ، هو حالة وجدانية لم يصرح عنها بعد ، ولذلك فهي تبحث عن صورة صوتية او صورة شكلية ، وفى هذه المرحلة تنتقل خطوة خطوة من العفوية التصويرية الى العقلانية التقنية .

قد يكون من واجبي ان اقف قليلا هنا لكي اتساءل ، لماذا نسر ونفرح وندهش امام النبرات او الخطوط التي تصدر مفاجئة عن اطفالنا — بينما نقدر تقديرا المعارف التي تزداد فى ذهن كبار اطفالنا دون أن يرافق ذلك النشوة التي تصاحب سماعنا اللحن الجميل ؟...

يخيل الي ان تفسير ذلك ممكن جدا ، فكلمات الطفل وخطوطه الاولى هي ابداع ، هي كشف عن زاوية جديدة من الحياة . واذا اضفنا الى ذلك ما تبيناه قبل قليل ، من ان الكلمة هي الصورة الصوتية او الشكلية العفوية فى بدايتها ، والمعبرة عن حالة عاطفية معينة ، فاننا نقف امام تعريف الفن بكل وضوح .

وليست الصورة الشكلية ، وقد تدرجت من رسم الشكل ذاته الى صور هيروغليفية او الى رموز ، الا الكتابة ذاتها التي خضعت فيما بعد الى مخارج الحروف فكانت هجائية او قاربت بداية التركيب اللغوي القاعدي .

هنا تأخذ اللغة طريقها الى التقنيات القاعدية والصرفية والبلاغية كما يأخذ الفن طريقه الى تقنيات اخرى ترتبط بقواعد الرسم والتلوين ، او بأصول التنغيم والطباق وغيرها . ولكن مهما تكاثرت تلك القواعد التقنية فانها لن تختلط مطلقا بالاصول المبدعة ولن تأخذ مكانها ، ولن يحول هذا دون أن نقول بوحدة طبيعة اللغة والفن ، بل اننا نستطيع ان نعكس القول السائر (الفن لغة) لكي نقول (اللغة فن) . ويبدو ذلك اكثر وضوحا فى الكتابة الهيروغليفية ، فلقد لعبت دورا رئيسيا فى تحديد خصائص الفن المصري القديم ؛ كذلك كان شأن الكتابة المسمارية الاولى التي ابتدأت تصويرية رمزية ، فاذا اراد السومري القديم التعبير عن شرب الماء مثلا ، رسم شكلا مجوفا يعبر عن الفم وفى وسطه يرسم خطا عموديا صغيرا بأسفله دائرة صغيرة يرمز بها الى نقطة الماء الساقطة من السحاب .

اما الكلمة العربية ، فليس بامكاننا ان ننظر اليها هذه النظرة التصويرية بعد ان اصبحت مؤلفة من حروف هجائية مركبة . الا اننا اذا ما استعرضنا تفنن الخطاطين فى زخرفة ورقش هذا الخط لتبين

لنا ان الحرف العربي حمل خصائص الفـن العربي وكان رسول هذا الفن فى جميع هجراته واسفاره .

ولسوف يقتضينا الحديث فى هذا الموضـوع العودة الى البحث عن جذور الحرف العربـي فى بدوات التاريـخ .

ثمة اصول للغة العربية لفظا وصورة ، اشبعت درسا من قبل علماء اللغة ، ولكن لابد من تصحيـح الخطأ الذي انتشر منذ عام 1871 استنادا الى مـا جاء فى سفر التكوين ، يقوم على اعتبار اللغات التـي انتشرت وتطورت على الارض العربية فيما بيـن النهرين وحتـى الجنوب العربي هي لغات ساميـة نسبة الى سام بن نوح ، ومن المؤكد أن نسبة هـذه اللغات او اللهجات الى سام أمر مجازى وليس مـن المنطق أو الواقعية التاريخية فى شىء ، واذا ما لجأت الكتب القديمة الى الالتصاق بهذا النعت فلانها لـم تجد ضمن اطار القصص الديني الا اسماء الاوائـل مصدرا ونعتا ، وكان ذلك نتيجة تسمية الاقـوام العربية بالاقوام السامية تجوزا ايضا . ومن حسـن الحظ ان العلماء والمؤرخين المعاصرين من امثـال شبنغلر وتونبـي ودروزة (1) اخذوا باعادة النظـر فى تسمية الارض واللغات والاقوام التي عاشت بيـن الرافدين ووادي النيل ، فاصبحت العروبة هي الصنف الاقوى لجميع مقومات هذه الشعوب والحضارات ، وهكذا نقول انه نشأت على هذه الارض العربية لغة عربية تطورت منذ عهد الاكاديين حتى يومنا هذا مارة عبر الاموريين الى الكنعانيين والاراميين ، تاركـة وراءها لهجات واضحة منها الاوغاريتية والكنعانيـة القديمة والمؤابية والعبرية والفينيقية التي اطلق عليها ايضا فى افريقيا (قرطاجنة) اسم البونية ، ثم ظهرت اللغة التدمرية والنبطية التي منها العربية الحديثـة وهي اكمل اللغات السابقة واقربهـا الى الاصـل واطولها استمرارا . ولقد حاول فيشر (2) وضـع معجم عربي عني فيه بتاريخ الكلمة وتطورها دلالـة وصوتا مع مقارنة الاصل العربي لهذه الكلمة بمـا يقابله فى اللغات التي اطلق عليها السامية . وقـد توقف هذا العمل الجليل بسبب الحرب العالمية الاخيرة، ثم توفي العالم فيشر قبل أن ينتهي القاموس .

ولئن أردنا اعادة تتبع تطور اللغة من ناحيـة تطور الحرف وحسب ، لرأينا انه منذ بداية الالـف الثالثة قبل الميلاد نزحت اولى القبائل العربية مـن جنوبي الجزيرة لكي تستقر فيما بين الرافدين وقـد افلت حضارة السومريين ، فاتخذوا آكاد عاصمـة لهم ثم عرفوا باسمها وكانت لهم لغـة ذات كتابـة . ولكنهم أخذوا فيما اخذوا من تراث السومرييـن الكتابة المسماريـة التي استفادوا منها ولاشـك لتسهيل تعاملهـم مـع السومريين الذين استمروا فى معايشة الاكاديين .

ولان التاريخ لم يقطع بعد فى تفريق الاكادييـن عن الاموريين (سكان الغرب) فان اللغة التي استعملها اولئك وهؤلاء واحدة او متقاربة وان استعمـل الامويون كتابة اخرى غير المسمارية هي من بدوات الكتابة العربية الاصيلة التي تأكد انها كانت اصـل الكتابات العربية الاخرى من كنعانية وآراميـة وسريانية وعربية حديثـة .

بيد ان الكتابة العربية قد سارت فى الجنوب وفق تطور آخر ، فانتقلت من ثمودية الى صفوية الـى الكتابة المسندية فالنبطية التي التقت بالعربية الحديثة.

وهكذا كانت الكتابات فى الجنوب مختلفة حتـى ان قرابة الكتابة الكوفية بالكتابة الآرامية تبـدو أكثر وضوحا مما بين الكتابتين العربية الكوفية والحميرية، ويزيد فى تأكيد الرابطة بين الخط العربي والخـط الارامي ، الابجدية ووحدة اسماء الحروف = الالف — الجيم — الدال — الزاي — الشين والصـاد والضاد . ومنها ان كل حرفين يلفظان من مخـرج واحد يتشابه رسمهما فى العربيـة وفى الآراميـة السريانية كالصاد والضاد ، والطاء والظاء .. وثمـة دليل آخر على تفرع الحرف العربي من الارامي هو ان الحرف الارامي يكتب متصلا وله ثلاثة اشكـال بحسب موقعه من الكلمة كما هو الامر فى الكلمـة العربية ثم انهم يفصلون فيما بعد بعض الحـروف كالراء والواو والالف والدال .

(1) محمد عزة دروزة — تاريخ الجنس العربـي بيـروت 1964 .

(2) فيشر اوغست مستشرق الماني ، ابتدأ منذ عـام 1907 باعـداد هـذا القامـوس ، فى القاهرة ، واثناء الحرب اعتقد ان اوراقه نفدت فى مجمع اللغة العربية ، ويبلغ عددها 26 الف بطاقة ثم قام المجمع بنشرها عام 1950 تحت عنـوان « معجم تاريخي للغة الآداب العربية حتـى نهايـة القرن الثالث الهجري » . وكان العالم كوكوخ قبل ذلـك .

ان هذا النسب القديم للكلمة العربية دفع العرب الى الاعتقاد بازلية الكلمة (فى البدء كانت الكلمة) وفى حديث شريف (ان أول ما خلق الله القلم) ولابد من الاشارة الى ان كلمة قلم توجد فى كثير من اللغات العربية السامية ولقد انتقلت الى اليونانية (كلاموس) عن طريق الفينيقية ، ومنها الى الفرنسية Calame . وفى رواية ان اخنوخ عليه السلام انما سمى ادريس لانه أول من درس الخط وخط بالقلم.

ان هذه المقدمة العاجلة توضح لنا اصالة اللغة العربية وخاصة كتابتها وارتباطها المتلازم بتطور التاريخ العربي منذ بداية التاريخ الى اليوم ، ولان الحرف العربي وصل الى كماله فى العربية الحديثة التي ظهرت منذ بداية الميلاد ، فانها وحدها ستكون موضوع حديثنا الآن .

ان أول الخطوط العربية الحديثة التي عثر عليها نقوش فى وادي المكتب (صحراء سيناء) تؤكد العلاقة مع الآرامية وفيها تبدو بعض المقاطع مثل بن ويعلي عربية الصياغة والرسم ويرجع هذا النقش الى عام 210م .

ثم يتطور الخط العربي نحو الوضوح شيئا فشيئا كما يبدو فى لوح مدائن صالح الذي يرجع الى عام 267م. وفى القرن الرابع الميلادي نرى الخط العربي قريب الصلة بالخط المألوف كما فى لوح النمارة (حوران) الذي يشير الى قبر امرىء القيس بن عمرو والمؤرخ فى عام 328 ميلادي .

وهكذا فان الخط العربي قد تدرج بوضوح عن الخطوط السابقة للخط العربي الحديث ولعل هذا ايضا يفسر تدرج اللغة ذاتها وقد كان مجهولا ، بل كان يعتقد ان اللغة العربية ولدت كاملة دون أن تعرف لها طفولة نامية أو نقص تكامل على الايام ، كما يقول ارنست رينان . ويؤكد جميع المؤرخين فوق ذلك ان العربية قبيل الاسلام كانت لهجات مختلفة وذات كتابة واحدة وان اختيار القرآن للهجة قريش كان مبدا توحيد اللغة العربية الادبية والدارجة لفظا وكتابة .

ونحن لا نعتقد أن هناك خلافا فى جذور الكلمة العربية صورة وجرسا فاذا كان صوت الكلمة امتدادا لبادرة صوت الطبيعة كما يقول الارسوزي (3) ، وان رائدها الملأ الاعلى ، وان مثل اللسان العربي كمثل هيكل عظمي يوحي بكل من عظامه المبعثرة فى طيات الارض لنوع منشئه . فاننا نقول بأن صورة الكلمة العربية ذاتها هي انعكاس لصورة الطبيعة بحسب رؤية حدسية توليدية وبذهنية وذوقية خاصة نسميها هنا ذوقية عربية .

ويوضح ذلك ما يقوله الارسوزي (4) « ان الاسماء تنزل من السماء — الحس ، حدس اجدادنا فى اصول كلامنا ، الحدس الذي يتضمن الانسجام مع الغرائز والاشياء من جهة وبينها وبين المفاهيم التي تتلخص بها الغرائز والاشياء من جهة ثانية » .

على أن اهمية صورة الحرف العربي تبدو فى الواقع من خلال ارتباطها بكتابة القرآن الذي انتشر بانتشار الدين الاسلامي ، والواقع ان الدين الاسلامي لارتباطه باللغة والكتابة العربية حمل خصائص العرب الى كل مكان اصبح عقيدة عامة فيه ، ويؤكد ذلك ارنست كونل (5) فيقول : « لقد منح العرب الدين الاسلامي اللغة والخط ، وانتشر الخط العربي فى العالم الاسلامي فأصبح رابطة لجميع الشعوب الاسلامية رغم الحدود الحاضرة . » ولقد اعتني بالخط العربي منذ نشأة الاسلام ، فلقد روى ابن الاثير (6) أن الرسول اقام فى المدينة قبل اي شيء مسجد المدينة وجعله للتعليم وكلف عبد الله بن سعد ابن العاص وعبادة بن الصامت بتعليم الكتابة ، ولقد اوفد الرسول معاذ بن جبل لتعليم الكتابة والخط فأخذ يتنقل فى عمالة كل عامل ، وقال علي « عليكم بحسن الخط فانه مفتاح الرزق » ، كما قال ابن العباس « الخط الجميل يزيد الحق بيانا » .

وتطور الحرف الجميل بسرعة بعد ان أضيف اليه الاعراب والرقش . ولقد روى البلاذري عن ابن النديم فى كتابه الفهرست « اختلف الناس فى أول من وضع الخط العربي فقد قال ابن عباس : أول من كتب بالعربية ثلاثة رجال .. سكنوا الانبار .. وهم مرامرة بن مرة ، واسلم بن سدره ، وعامر بن جدرة . فأما مرامرة فوضع الصور ، وأما اسلم ففصل ووصل وأما عامر فوضع الاعجام » .

(3) زكي الارسوزي (بعث الامة العربية) دمشق ص 8 .
(4) زكي الارسوزي نفس المرجع ص 9 .
(5) ارنست كونل انظر فن الخط العربي المقدمة 1943 .
(6) ابن الاثير — اسد الغابة ص 175 .

ثم اخذ الخط اشكالا فنية بل اساليب بعضهـــا تزييني صرف والآخر قاعدي . واول الخطوط التزيينية الخط الكوفي ومنه المضلع الهندسي والمشجـــر والمضفر ، وهناك خطوط زخرفية اخرى كالطغرائي والديواني والفارسي ايضـــا .

اما الاسلوب القاعدي فلقد ابتدأ مزيجا مـــن الكوفي والحجازي ، ثم ظهر قـلم الطومـــار والثلث والثلثين والنصف ثم الرقعي أو الرقاع .

وتم ظهور الخط النسخي على يد الوزير بن مقلـة واخيه الحسن . وفي المغرب حافظ الحرف على شكلـه الحجازي القديم . وابتكر العثمانيون الخط الهمايوني .

ولم يكن انتحال الحرف العربي خلال العالـــم الاسلامي وغيره الا انتقالا للفن العربي ذاته ، ذلك ان الوحدة بين الفن والحرف التي عرضنا لها في بدايـة هذا الحديث تبدو اكثر تماسكا بين الفن والحـــرف العربي ، ولعل التصاق الخط العربي بالفن الزخرفي له تفسيـر دينـي وجدانـي ايضـا .

يقول كاسيرر (7) ان الفن هو الصورة التـي تساعد على التعبير عن ــ الكلمة ــ اللوغوس والتي تعجز صورة الحرف المنطقية المحددة عن التعبير عنها، واقدم مثال على ذلك خط كوفي يرجع الى عام 784 م وهو نسخة قرآن كريم محفوظ في دار الكتب المصرية في القاهرة وفيه يبدو امتزاج الخطـــوط بالزخرفـــة في عناويـــن السور والاحزاب .

ويقول لوبون (8) كان للغة العرب مثل ما للدين من حظ فقد ظلت اللغة العربية في بلاد فارس ، لغة اهل الادب والعلم ، وظل الفرس يكتبون لغتهـــم بالحروف العربية ، ولقد كتبت ما عرفته بلاد فـــارس من علم الكلام والعلوم الاخرى بلغة العرب ، وللغـــة العربية في هذا الجزء من آسيـــا شأن كالذي كـــان للغة اللاتينية في القرون الوسطى . »

« وانتحل الترك انفسهم ، الخـــط العربي ، ولا تجد في تركيا انسانا على شيء من التعليم لا يستطيع أن يفهم لغة القرآن بسهولة » .

ولقد حور الايرانيون الخط الكوفي فأصبحـــت المدات فيه اكثر وضوحا من الجرات . ومن الخطاطين المشهورين أبو القاسم بن ابراهيم (في القرن الحادي عشر) وميـــر علي تبريزي (في القرن الخامس عشر) وسلطان مشهدي وعبد الكريم الخوارزمي .

كذلك انتقل الخط الى الاتـــراك فحولوا خـــط الرقاع وابتكروا الهمايوني ومن اشهر خطاطيهـــم الشيخ حميد الله الاماسي امام الخطاطين العثمانيين، وجلال الدين الحافظ عثمان الـــذي كتب المصحـــف الشريف بأروع الخط .

وفي الاندلس ذكر الضبي في (بغيـــة الملتمس) ان الوزير الشاعر حسان بن مالك بن أبي عبيدة وزيـــر المنصور بن أبي عامر ، الف وصور ونسخ كتابا مـــن تأليفه في مدة اسبوع وقدمه هدية للمنصور .

وهكذا اعتبر الخط كما يقول كونـــل (9) اشرف الفنون وارتفعت مكانة الخطاطين واحتل عدد منهـــم منصب الوزارة كمـــا تبيـــن .

ولقد لقي الحرف في هجرته الى الاراضـــــي الفارسية أو التركية ، وفي الاندلس وسائر اوربا مـــن الاحتفال ما وازى تقديره في ارض العرب ذاتها .

فلقد كان الامراء في فارس هم اول من اهتـــم بالخط العربي ونسخ القرآن . فلقد انشأ الوزيـــر المغولي رشيد الدين ضاحية اسماها « ربع رشيد » قرب تبريز ، وفيها عهد الى مهرة الخطاطين والمصورين نسخ الكتابة الهامة وتصويرها ، من اهمها كتـــاب (جامع التواريخ) الشبيـــر ، كذلك اصبحت هراة في عهد الصفويين عاصمة الخط والتصوير وكان بهـــزاد معلم التصوير وموجه الخطاطيـــن .

وكان الحكام يقضون ساعات فراغهم بنســـخ القرآن بجهد واجتهـــاد ، وهم يفتخرون بانتمائهـــم لاساتذة الخط ، ومن هؤلاء عضـــد الدولة البويهي ، والشاه طهماسب ، بل كان الامراء منهم يتسابقـــون لمساعدة الخطاطيـــن بأن يمسكـــوا لهـــم بالمحبرة او يقدموا معونة بوضع الوسائد بمكانها او بامســـاك الشمعدان .

ولم يكن احتفاء الاسبانيين اقل من احتفـــاء الايرانيين بالحرف العربي ، بل ان الاسبان هجـــروا لغتهم كما يقول دوزي (10) كي يتعلموا العربيـــة

---

(7) كاسيرر مدخل فلسفة الحضارة الانسانية ترجمة احسان عباس ص 206 .

(8) لوبون حضارة العرب ترجمة اكرم زعيتر ص 441 .

(9) ارنست كونل نفس المرجع ، المقدمة .

(10) دوزي ، في كتاب تاريخ المسلمين في اسبانيـــا مطبعة ليدن 1932 .

لغة وكتابة حتى لم يعد يوجد من يقرأ الكتب المقدسة باللاتينية بل ترجمت الى العربية كي يقراها نصارى الاندلس .

وكان اسحق فلاسكز القرطبي ممن ترجم انجيل لوقا من اللاتينية عام 946 ، ولعله ترجم الاناجيل الثلاثة الاخرى ايضا ، اما التوراة فلقد نقلت الى العربية بعد الفتح الاسلامي مباشرة .

ويقول بالانسيا Palencia كان المستعربون يتكلمون اللغة العربية ويدينون بالنصرانية ، وفى المدن الكبرى مثل طليطلة بقيت اللغة العربية يعول عليها القوم للكتابة ويستعملونها فى القضاء والتجارة زهاء قرنين بعد رجوع النصرانية على يد الفونس السادس عام 1085 .

ويؤيد ذلك ما قدمه دوزي وانغلمان من كلمات اسبانية وبرتغالية ذات اصل عربي ما زالت حتى اليوم ، صنفت فى معجم خاص .

ولقد كانت الاندلس مصدر اشعاع الثقافة العالمية والعربية فلقد اصبح الاهتمام بالكتب شديدا وابتكرت لذلك طرائق اشبه بالطباعة ويذكر ابن الابار (11) (انه كان لعبد الرحمن كاتب اعتاد أن ينشىء الرسائل الرسمية فى منزله ثم ينفذها الى ديوان خاص يصير فيه اظهارها على الورق وهو نوع من الطباعة فتصدر فى نسخ متعددة توزع على عمال الدولة) .

وهكذا امتلأت المكتبات بالمخطوطات وكانت المكتبة الاموية فى قرطبة قد وصلت ذروتها أيام المستنصر بن عبد الرحمن الناصر عام 961 وقد حوت ما يزيد عن اربعة آلاف مجلد مخطوط ، ثم نهبت وتبددت بعد حصار قرطبة عام 1009 وما زالت بقاياها فى مكتبة الاسكوريال قرب مدريد حتى اليوم .

ولقد اهتم سواد الناس فى الاندلس بالمخطوطات ذات الخط الجميل ، ويذكر المقري (12) قصة عن الحضرمي قال : اقمت مرة بقرطبة ولازمت سوق كتبها مدة اترقب فيه وقوع كتاب كان لي بطلبه اعتناء الى ان وقع وهو بخط جيد وتسفير مليح ففرحت به أشد الفرح فجعلت ازيد فى ثمنه فيرجع الى المنادي بالزيادة علي ، الى ان بلغ فوق حده فقلت له يا هذا ارني من يزيد فى هذا الكتاب حتى ابلغه الى ما لا يساوي . قال فأراني شخصا عليه لباس رياسة فدنوت منه وقلت له : اعز الله سيدنا الفقيه ان كان لك غرض فى هذا الكتاب تركته لك فقد بلغت به الزيادة بيننا فوق حدها . فقال : لست بفقيه ولا ادري ما فيه ولكن اقمت خزانة كتب واحتفلت فيها لاتجمل بين اعيان البلد وبقي فيها موضع يسع هذا الكتاب فلما رايته حسن الخط جيد التجليد استحسنته ولم ابال بما ازيد فيه » .

كذلك امتد الحرف العربي الى انحاء لا يحكمها العرب فى الجزيرة الايبيرية . يقول جورج غراف (Graff) « سلك الفنس على غرار بعض اسلافه فكتب بالعربية على النقود التي سكها . وكان بطرس الاول المتوفى عام 1104 من ملوك الاراغون لا يحسن الا العربية كتابة . واستعمل المستعربون الحروف العربية بكتابة اللاتينية ايضا » .

على أن هجرة الحرف الجميل الى الاندلس لم تنقطع بانقطاع سيادة العرب على هذه الارض الواسعة بل ان هذا الحرف وقد تمكن كعنصر من عناصر الزخرفة الجميلة ، قام بسياحات بعيدة المدى وترك آثارا ما زالت ماثلة فى كل مكان انتقلت اليه الاشياء ذات الرقش والكتابة العربية .

ففي عام 1491 استسلمت غرناطة وغادر عبد الله الصغير قصر الحمراء وكان قد اتفق مع الاسبان على حفظ نفوس المسلمين واهلهم ومالهم وشريعتهم ، ولكن فرديناند وايزابيلا نكثا العهد وقال الكاردينال زيمانس دوسيس نيروس de Cisneros يحمل المسلمين على التنصر وامر بحرق الكتب العربية فى غرناطة .

ولقد اصبح اسم المسلمين الذين لم يهجروا البلاد بعد سقوط غرناطة (الموريسكو) . وكان لهؤلاء لهجة رومانسية (اي محرفة عن اللاتينية) الا انهم استخدموا الحروف العربية لكتابته . ويطلق على هذا الادب واللغة عبارة الجميادو Al Jamiado وهي تحريف للفظة (الاعجمية) العربية ولقد عثر على مجموع مخطوطات بهذه اللغة تحت الارض فى بيت قديم بالاراغون لعلها اخفيت عن عيون رجال

(11) ابن الابار ـ الحلة ص 137 .
(12) المقري نفح الطيب ، ج 1 ص 32 .

التفتيش ، ولقد جمعت هذه المخطوطات فى كتاب تحت عنوان (المخطوطات العربية والجميادو) فى مكتبة الجونتا صدر فى مدريد عام 1912 .

وانتقل الحرف العربي مع عناصر الخط والزخرفة الى اوربا بواسطة عدة طرق :

اولا — عن طريق الحروب الصليبية فى المشرق العربي . فلقد نقل الصليبيون وملوكهم العديد من الاشياء الفنية ذات النقوش والكتابات العربية اعتبرت اساسا لتقليد الحرف العربي فى بعض الزخرفات الاوربية . وما زالت بعض تلك الاشياء الفنية موجودة فى متاحف اوربا ، نذكر منها الاناء الزجاجي الذي يعود الى الفسطاط من العهد الفاطمي ويمثل كتابة خطية وصورة تيوس وحشية متقاتلة . وثمة طاس رائع منقوش مزين بنسر واسدين ، وهما محفوظان بمتحف امستردام .

وفى كنائس سان مارك فى البندقية وكنيسة سان دونيس مجموعة من الاكواب والاباريق منقوشة بالزخرفات والخط العربي .

وفى بيزا ابريق يطلق عليه اسم عقاب كامبو سانتو ، ويقال ان اموري ملك القدس قد استحضره معه من مصر .

وفى اللوفر ابريق عربي من البلور يرجع الى القرن العاشر من الميلاد محلي عند عنقه بكتابات كوفية .

وفى متحف شارتر قدح يعرف بقدح شارلمان وقد جيء به من الشرق ايام الحروب الصليبية .

وعدا هذه الاشياء هناك المنسوجات التي نقلت من الشرق والتي استخدمت فى تغطية رموس الشخصيات الدينية باعتبارها اشياء ثمينة ، ومثالها القطع الحريرية الرائعة المزينة والموجودة فى كادوين مقاطعة بيريغورد فى فرنسا والتي تحمل اسم الخليفة الفاطمي المستعلي (الذي حكم من 1094 الى 1101) .

وكذلك الوشاح المنسوب للقديسة حنه والموجود فى كاتدرائية آبت Apt ، وهو قطعة من الطراز مصنوعة من الكتان والحرير عليها اسم نفس الخليفة .

ثانيا — كذلك انتقل الفن العربي ومعه عناصر الخط والحرف الجميل الى اوربا عن طريق المستعربين Les Mozarabes فى الاندلس الذين عاصروا المسلمين وتظاهروا بالاسلام واخفوا دينهم ولكنهم تبنوا تقاليد العرب ولغتهم . ومن منشآتهم التي شيدوها الكنيس المنشأ فى طليطلة عام 1200 والذي اصبح فيما بعد كنيسة سانت ماري لابلانش . وينتسب الطراز فيها الى فن الموحدين كما تؤكد الكتابات العربية الثابتة عليها اهتمام نصارى الاندلس بالحرف العربي .

كذلك زين هنري الثاني دوترانستامار de Transtamare الكنيسة التي اضيفت الى المسجد الاموي فى قرطبة بالزخرفات العربية والكتابات البديعة .

وفى كنيسة الترانسيتو فى طليطلة نقوش امتلأت بكتابات عربية ذات موضوعات دينية اسلامية .

ثالثا — والطريق الاهم الذي انتقل عليه الحرف العربي هو طريق المدجنين Les Mudéjars وهم المسلمون العرب الذين دجنوا فى الاندلس بعد نزوح العرب عنها فاستمروا على تمسكهم بالتقاليد العربية ونقلوا التراث العربي الى الآثار الرومانية والقوطية ، وكانوا جسرا فى نشر ذلك خلال اوربا .

والفن المدجن هو صورة مطابقة تماما للفن العربي الاسلامي الذي كان سائدا ايام الحكم العربي . ولقد حفظ طابعه الاصيل فى العمارة والزخرفة والكتابات ويبدو ذلك واضحا فى تزيينات قصر اشبيلية Alcazar de Séville الذي انشىء عام 1354 من قبل بيير لوكرول Le Cruel فى نفس مكان مخطط القصر العربي القديم الذي انشاه العرب فى القرنين الحادي عشر والثاني عشر .

ويقول مارسيه (13) (رغم ان هذا القصر الاندلسي قد رمم كليا فى القرن السادس عشر والقرن السابع عشر والقرن التاسع عشر ، فانه ما زال يكشف عن مشاركة الفنانين الغرناطيين ويؤكد بصورة قاطعة تاثير طابع الفن الاسلامي على الملوك المسيحيين) ونضيف خاصة بالكتابات العربية عبارة (لا غالب الا اللـه) .

على ان الطريق السريع الفعال لنقل الحرف العربي كان فى الاشياء الفنية التي انتشرت من الاندلس .

فلقد انتشر الخزف العربي من بلانسيه فى الشمال ووصل الى هولاندة ثم ايطاليا حاملا رقشا وكتابات عربية واستمرت هذه الاواني تحمل

الكتابات العربية حتى بعد انتهاء الحكم العربي وسرى تقليد هذه الكتابات دون التعرف على مضمونها أو الاهتمام بمعالمها . ولقد اطلق على الخزف أو الزليج اسم (ازليخو) بالاسبانية كاستمرار لهذا الفن العربي وتقاليده .

كذلك كانت الانسجة التي تصدرها غرناطة (غرنادين) بما تحمل من كتابات عربية موضع اهتمام رجال الكنيسة والبلاط فى الغرب مما دعا الصناع الغربيين الى تقليدها . ويذكر مارسيه (14) ان كنيسة سانت اتيين فى غورماس تحوي نقابا من الكتان المطرز بالحرير الملون يحمل اسم هشام الثاني (976 — 1015) .

وكما هو الامر فى صناعة الزجاج والخَزف والعمارة فلقد نقل النساجون الاوربيون منذ القرن الثامن عشر المواضيع العربية والزخرفات واصبحت صورة الحرف العربي هي المقصودة بذاتها .

وثمة طريق آخر انتقل بواسطته الحرف العربي الى مهاجره فى مراكز الفن العالمية ، هو طريق صقلية التي حكمها الاغالبة ثم الفاطميون من عام 827 وحتى عام 1091 ، ثم استمرت عربية فى عهد النورمان . فلقد اعتمد روجر الاول المتوفى عام 1101 على المسلمين فى جيشه كما شمل العلوم العربية باهتمامه فقرب الفلاسفة والاطباء العرب واستعان بشؤون الدولة بموظفين من العرب وكان بلاطه شرقيا صرفا . واستمر العرب قرنا كاملا بعد ذلك يديرون الوظائف العامة .

اما روجر الثاني فكان يلبس لباس العرب وكانت جبته مزينة بالحروف العربية ، وما زالت محفوظة فى باليرمو حتى الآن . واستمر الزي الاسباني العربي سائدا فى صقلية حتى ولاية وليم الثاني الذي مات عام 1689 .

ويقول الرحالة العربي ابن جبير : « لقد كان الملك روجر الثاني ينصت بكل انتباه لجميع النصائح التي كان يقدمها له العرب وكان يقرأ ويكتب العربية بطلاقة . وكانت نساء باليرمو المسيحيات يقلدن المسلمات فكانت تتحجبن ويطلين اصابعهن بالحناء وكن يتكلمن ايضا اللغة العربية » .

اما فريدريك الثاني (1215 — 1250) والذي امتد حكمه الى المانيا والى القدس واصبح اعظم ملك مسيحي ، فلعله كان اكثر تعلقا بالعادات العربية . فقد اقام لنفسه بيت حريم وارخى لحيته وارتدى ملابس المسلمين وتهادن وتعاون مع السلطان الايوبي الكامل . ولقد قرب اليه المترجمين مثل ثاذري وميخائيل سكوت لكي ينقلوا له عن العربية كتب التنجيم والفلسفة وعلم الحياة والحيوان وقصة كليلة ودمنة .

ولعل اقدم وثيقة اوربية مكتوبة باللغتين اليونانية والعربية هي الامر الاداري الذي اصدرته زوجة روجر الاول عام 1109 .

ولدينا من عهد الملك روجر الثاني اقدم النقود التي تحمل تاريخا مكتوبا بالارقام العربية 1138 ومعها نقش عربي .

وما زالت الكتابات الموجودة فى سقف كنيسة البالاتين فى باليرمو او بلرم تذكرنا بهجرة منتصرة للحرف العربي فى اوربا .

وكنيسة البالاتين فى باليرمو انشئت عام 1140 وزينت خلال السنوات التي تلت هذا التاريخ مباشرة، وهي عبارة عن مطلى بيزنطي الطراز محلى بالفسيفساء مزين بمشاهد من العهد القديم ، اما السقف فهو من الخشب المصنوع وفق الطراز الاسلامي ومحلى بمقرنصات . وعلى هذا السقف مجموعة من الصور تنسب بوضوح الى اسلوب الفن العباسي فى سامراء ومنها صورة روجر الثاني وقد ارتدى معطفا كتبت عليه كلمات عربية هي (مسرات الليل والنهار دون انقطاع أو تغيير) (15) .

ويقول ايتنهاوسن (15) Ettinghausen انه ثمة كتابات على سقف كنيسة القصر تتضمن عبارات اسلامية كتبت بالخط الكوفي رغم انها تمت فى عهد مسيحي كما تضمنت واجهة الساعة الشمسية فى ساحة القصر دعاء الى الله بالعربية بأن يطيل حياة وسعادة الملك . ولقد ارخ ذلك بالهجري . ثم يقول : « كذلك نقش اسم الله والتاريخ الهجري على حجرة قبر اقامه كاهن الملك ، غريسانت لامه عام 1149 » .

---

(13) مارسيه فى كتابه الفن الاسلامي طبعة 1962 ص 169

(14) مارسيه نفس المرجع ص 97 .

(15) ايتنهاوسن — التصوير العربي — سكيرا ص 44 .

ويقول مارسيه (16) ، « لقد اصبحت صقلية فى عهد الاسلام وفى عهد النورمان وسيلة انتقال الطرز العربية الى الغرب المسيحي » .

ولقد كان معمل الحياكة المشهور الذي انشأه امراء المسلمين فى قصر باليرمو الملكي يجهز العائلات الملكية فى اوربا بالملابس الرسمية التي طرزت عليها الكتابات العربية واصبح هذا تقليدا بدا واضحا فى البندقية وبيزا . وازداد الطلب على المنسوجات الشرقية واصبح الاوربي انما يعتبر انيقا بامتلاكه الزي العربي .

ويقول لوبون Le Bon (17) : ولقد بلغ الخط العربي من الصلاح للزينة ما جعل رجال الفن فى القرون الوسطى وفى عصر النهضة يكثرون من استنساخ ما كان يقع تحت ايديهم اتفاقا من قطع الكتابات العربية فيزينون بها المباني المسيحية سائرين فى ذلك مع الهوى . ثم يقول : « لقد شاهد السيدان لونغبريه long perier ولافوا La voix وغيرهما الشىء الكثير منه فى ايطاليا . ومما شاهده السيد لافوا فى مكان الامتعة فى كاتدرائية ميلانو بساب مبني على طراز رسم البيكارين يحيط به افريز حجري مزين بكلمة عربية مكررة عدة مرات ، وكتابة عربية اخرى حول راس المسيح المصور فوق ابواب كنيسة القديس بطرس التي امر بانشائها البابا اوجين الرابع بالاضافة الى خطوط كوفية طويلة على قميص القديس بطرس والقديس بولس » . وتابع لوبون قوله : ومن دواعي اسفي عدم ترجمة هذا الكاتب لهذه الكتابات فقد تكون الكتابة التي حول راس المسيح هي عبارة (لا اله الا الله محمد رسول الله) .

ولقد لفتت انتباهنا هذه الملاحظة فتمنينا بالتحقيق الممكن وكان همنا التأكد من وجود مثل هذه الكتابات العربية على مصراعي باب كنيسة القديس بطرس فى الفاتيكان .

واحب ان الح هنا الى ان ملاحظة لافوا على لسان لوبون لم تكن واضحة ودقيقة بل كانت مختلفة عما توصلنا اليه .

وقصة هذا الباب تبتدىء منذ ان قام (غيبرتي) Ghiberti بتصميم الباب الثاني لمعمودية فلورنسا وكان قد نال شهرة واسعة مما دعا البابا اوجين الرابع ان يطلب من احد مساعديه وهو انطوني افيرلينو Averlino والمدعو فيلاريتي Filareté ان ينفذ له اكبر واعقد مشروع فني نحتي فى مقر البابوية وهو الباب البرونزي فى كنيسة القديس بطرس (سان بيير) .

ولم يكن فيلاريتي مرتبطا باي اسلوب من اساليب عصر النهضة ؛ الا انه نشأ فى فلورنسا والم بالثقافة الكلاسية فى روما بين عامي 1433 — 1445 كما يؤكد ذلك فازاري Vasari وفى ذلك الوقت تام فيلاريتي ومساعدوه بانهاء هذا الباب خلال اثنى عشر عاما .

ويتألف الباب من درفتين وكل درفة مؤلفة من ثلاثة الواح متواضعة ويمثل اللوحين الوسطيين القديس بطرس والقديس بولس وفوقهما لوحان متضمنان وجهي حواريين . ولقد عولج النحت البارز بكثير من الزخرفة التي تذكرنا بالرقش العربي كما تفصل الالواح الستة مشاهد صغيرة تذكرنا بقصص الاساطير الكلاسية والرومانية .

ونحن نميل الى الاعتقاد بان بعض مساعدي فيلاريتي كان عربيا من شمالي افريقيا او من الاندلس وذلك لوفرة الكتابات العربية التي كانت تحيط اطارات اللوحين الكبيرين ، والتي تحيط الهالات المحيطة برؤوس القديسين الاربعة .

ولم يتح لنا قراءة هذه الخطوط جيدا فقد تكون كتابة تصويرية أو تكون من لغة الاعاجم الجميادو

ومن المحتمل ان تكون هذه الكتابات منقولة عن كتابات عربية أو فارسية احاطت بعض السجاجيد الشرقية ، ذلك ان خلفية كل لوح مفروشة بنقوش السجاد ذات الطابعالشرقيوان كانتالتفاصيل والصيغ غربية . ولكن هذا لا يخفف من اعتقادنا بوجود صانع عربي أو مستعرب اشترك بتصميم هذا الباب ، وقد يكون فيلاريتي نفسه قد زار الاندلس او شمال افريقيا . وسنفرد لهذا الباب دراسة مستقلة .

ويقول مارسية (18) « لقد كانت الحضارة العربية الاسلامية شديدة التغلغل فى عالمنا حتى ان العناصر الاسلامية طغت منذ نهاية القرن الحادي

(16) مارسيه نفس المرجع ص 99 .
(17) غوستاف لوبون — نفس المرجع ص 531 .
(18) مارسيه نفس المرجع ص 98 .

عشر في واجهات الكنائس الرومية ثم رايناها فيما بعد تختلط في الكنائس القوطية مع العناصر الواردة من فرنسة » .

ويوضح هذا القول ما نراه في واجهة كاتدرائية انغوليم في فرنسا حيث نرى تمثال المسيح وحوله اسد مجنح مستوحى من الزخرفة النباتية في الفنون العربية، اما المسيح فان اسلوبه شرقي محض .

وفي لانغدوك في ساحة مواساك اعمدة مزدوجة كتلك الموجودة في الاندلس ذات تيجان مزخرفة برقش عربي وكتابات عربية بالخط الكوفي تعلو التاج ، ولكنها كتابات منقولة تصعب قراءتها وقد لا تكون لها دلالة قط .

وهكذا انتقل الحرف العربي الى اماكن متطرفة من العالم وتصدر واجهات الكنائس والاديرة، ولقد كانت صفاته الفنية كعنصر فذ من عناصر التزيين سبب انتقاله واحلاله المكانة اللائقة من التقدير ولم يحل مضمونه الديني المخالف دون استعارته في اهم الاعمال الفنية والآثار . واستمر ذلك ما بقيت تلك الآثار والاوابد قائمة مئات السنين ولم تستطع حتى العصبيات المتزمتة ان تمحي آثاره مع الايام .

ومنذ بداية القرن الماضي كان ثمة اهتمام من قبل الفنانين والمفكرين بالفن والرقش العربي .

وفي مستهل هذا القرن ، وقد بدت الامة العربية شيئا فشيئا اقدر على التعبير عن نهضتها وتراثها ، اشتد الاهتمام بالعرب وآثارهم وتقاليدهم الفنية . وتركز هذا الاهتمام بالرقش العربي لقرابته من مفهوم التجريدية التي سرت تقليدا فنيا قويا في هذا القرن .

مما لا شك فيه يبقى الحرف العربي من اجمل الصيغ المجردة خاصة بالنسبة لانسان لا يفقه دلالة هذا الحرف أو ينسى هذه الدلالة لكي يستفيد من الشكل الجمالي للحرف .

وهكذا ظهر من الفنانين التجريديين المعاصرين في اوربا من استعمل الحرف العربي فكان مدرسة مستقلة ذات اطار مستقل متميز ولقد تجلى هذا الاتجاه قويا واضحا عند بول كلي P. Klee ونالارد Nallard وهوفر Hoeffer وديغوتكس Degottex وتروكس Trox ومانوسيه Manessier

اما اعمال كلي التي تتضمن نماذج عن الخط الجميل العربي او غيره من الخطوط فهي كثيرة وتمتاز بالتطوير والتحوير . ولقد استمرأ كلي الخط العربي الذي يكتب من اليمين الى اليسار (19) نظرا لان كلي كان اعسر بل كان يستطيع التصوير باليد اليسري بنفس قوة اليد اليمنى ، وكان يطيب له ان يكتب جملا برمتها باللغة العربية باشكال الخط العربي الجميل ولكن دون ان يكون بمقدوره قراءتها او فهمها مع انه حاول ان يتعلم العربية .

ولقد امتاز اسلوب لويس نالار (المولود في الجزائر عام 1918) باستعمال الكتابة العربية مع التصوير مستوحيا ذلك من الرقش العربي .

اما كارل جورج هوفر Hoeffer (المولود في سيليسيا عام 1914) فلقد جذبته رشاقة الخط العربي وخاصة النسخي منه فاقام اسلوبه على اساس هذا الخط . وفي مدينة اوفنباخ في المانيا متحف للكتابة وحسن الخط ضم مجموعات رائعة للخطوط العربية الاثرية كما ضم بعض اعمال هوفر للمقارنة وتحديد التاثير العربي على اسلوبه .

ولم يقتصر الفنانون العرب الحديثون في الافادة من الحرف العربي في اعمالهم التصويرية الحديثة نذكر منهم ادهم اسماعيل ومحمود حماد وسامي برهان في القطر السوري وحامد عبد الله وسعد كامل من القطر المصري واحمد شبرين من القطر السوداني وغيرهم .

ولقد جال الحرف العربي في انحاء العالم مع لوحاتهم والتقى فيما التقى بالحرف العربي في مهاجره على لوحات الفنانين العارضين المعاصرين .

(19) انظر فيلكس كلي في كتابه ــ الكتابة والفن في اعمال بول كلي .

المستقبل للغة العربية الفصحى

الأستاذ هنري فليش
(جامعة بيروت)

اهدتنا المطبعة الكاثوليكية ببيروت كتيبا قيما للاستاذ المستعرب هنري فليش Henri Fleisch بالفرنسية حول اللغة الفصحى واللغة العامية ، نقتبس منه مقدمته شاكرين للاستاذ الكريم دفاعه عن لغة الضاد التي هي المقوم الجوهري لوحدة الشعوب العربية فى الحقل الثقافي :

وقد أرفق سيادته هذا البحث بمذكرة حلل فيها اسئلة الاستفتاء :

قال سيادته :

ان الموقف العام الذي يتخذه العالم العربي الاسلامي حيال لهجات بلدانه يتضح كما يلي : فهذا العالم ليس بمطلع على الامر اطلاعا صحيحا اذ انه لا يعرف ما المقصود بلهجة وما المقصود بلغة عامة . كما يجهل الدور الذي اضطلعت به اللهجة واللغة العامة فى حياة العرب .

وعليه ، نرى صاحب المقال يعرض اولا مفاهيم علم اللغة العام حول هذين الوضعين من اللغة : اللهجة ، وهي الحالة الطبيعية للغة ما ، واللغة العامة التي هي امتداد ونمو لهجة فوق اللهجات الاخرى ، بفضل ظروف خاصة ، لتحل محل لغة علاقة وثقافة ، وكل ذلك معزز بمثل اربع من اللغات الاوربية الكبرى. ثم انه يبحث اثر اللهجة واللغة العامة فى ثلاثة اوضاع تاريخية كبرى من حياة العرب اللغوية .

وضع أول : الحالة اللغوية فى الجزيرة العربية، على أيام الجاهلية .

فنجد لغة عامة للشعر واللهجات .

وضع ثان : المشاكل اللغوية التي اعترضت العالم العربي الاسلامي ، مباشرة بعد الفتوحات العظيمة ، حتى منذ موت الخليفة عمر بن الخطاب (24هـ — 644م) . فنتحقق منذ هذا التاريخ فقدان الاعراب فى كلام المستعربين ، مما يشكل بداية اللغة العامية والضرورة الحيوية لمبادىء فى الصرف والنحو.

وضع ثالث : ارساء اللغة الادبية على القواعد بفضل جهود النحاة . ويفصح عن ذلك كتاب سيبويه (المتوفى سنة 177هـ) وهو تصنيف ينطوي على اهمية قصوى . فكل الادب العربي الاسلامي قد كتب فى هذه اللغة البيانية الخاضعة للقواعد ، والمثبتة ، ولكن مع بعض تنازلات توجب عليه مع الزمن ، ان يسلم بها اللسان العربي المتوسط . وكانت اللغة العامية وهي لغة حية ، تسير على سنتها الطبيعية : كانت تتطور . وما الوضع الحاضر سوى استمرار واتساع للوضع اللغوي الاول فى عهد الخلفاء : لغة كتابية تقتصر على قواعد كتاب سيبويه ولغة محكية عامية كثيرة التنوع . بعد قرون من تطور هذه اللغة الحية .

ولابد للعالم العربي الاسلامي الحاضر ، كي يرى بجلاء فى وضعه اللغوي ، من أن يعرف ما يلي : اولا ، انه يمكن العيش مع لغة كتابية للثقافة ولهجات متطورة ، ولنا مثل على ذلك من اللغة الالمانية. الا انه ينبغي له أن يسد نقصين خطيرين ، اولهما السعي ، على الاقل من اجل الاستعمال العام ، لايجاد وسيلة تتيح وضع علامة على الحروف الصوتية القصيرة فى طريقة الكتابة العربية ، وثانيهما تجديد مبادىء الصرف والنحو القديمة والمعقدة والمستكرهة ، ثم ان اللغة العربية الفصحى الحديثة متأخرة عن زمانها ثلاثة قرون من الواجب اللحاق بها، اجل ان هناك عملا قد تم . ولكن يقتضي هذه اللغة أن تتبع تطورا يكون كتطور جسم عضوي . ولا يمكن بلوغ الغرض الا بواسطة كتاب محدثين ، متشبعين من الاقدمين ، بواسطة كتاب حقيقيين ، واسعي الثقافة ، يتصورون عالمهم بلغة عربية فصحى صحيحة وحديثة . واخيرا ، ان المستقبل هو للغة العربية الفصحى الحديثة ، ذلك لان ما للغة الادبية من نفوذ بعيد المدى يقطع الطريق ، الآن والى امد طويل ، على كل محاولة ترمي الى اقامة لهجة ثقافة باللغة العامة . وليس بمجد ان تحتقر اللهجات التي هي من جهة اخرى ، مصدر تعاليم لغوية .

نتائج الاستفتاء

حول اللغة العربية

نتائج الاستفتاء

حول اللغة العربية

تلقى المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربي عن الاستفتاء الذي وجهه فى اواخر سنة 1966 حول اللغة العربية ردودا كثيرة من هيئات رسمية عروبية (1) واقليمية ، ومن عدد كبير من العلماء والاساتذة مجمعيين وجامعيين عرب وعجم ينتسبون الى احد عشر قطرا وينتمون الى 19 كلية مختلفة ومن عدة شخصيات علمية مستقلة

وان الامانة العامة للمكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربي اذ تشكر جميع الافاضل الذين اهتموا بالاجابة على الاسئلة وتشكر مختلف الصحف العربية التي عنيت بنشر الاستفتاء لتعبر لهم عن اعتزازها بمغزى الحفاوة الكبيرة التي استقبل بها والتي ان دلت على شيء فانما تدل على المكانة الرفيعة التي يتبوؤها المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الاوساط العلمية والثقافية العربية والاعجمية بفضل تقديرهم الكريم .

وان المكتب الدائم لتنسيق التعريب لمعتز وشكور بصفة خاصة للثقة الغالية التي أبداها بعضهم ممن يرونه اهلا للنجاح فى الاضطلاع بمهمة التخطيط والتوجيه والتنسيق لحركة التعريب فى العالم العربي ويرجو الله ان يكون عند حسن ظنهم .

وقبل ان نفضي اليهم ببيان مفصل لمختلف الاجوبة التي توصلنا بها على الاسئلة الخمسة الموضوعة نود أن نرسم لهم صورة اجمالية عن ردود الاستفتاء وعن الخلاصة التي نستخلصها منها وعن وجهة نظر المكتب الدائم لتنسيق التعريب فيما يخص بعض المشاكل والحلول المقترحة لها .

نظرة اجمالية على الاجوبة

المشاكل التي تعترض سير اللغة العربية وتحد من انتشارها فى العالم وحلول هذه المشاكل ومشاكل التدريس الجامعي باللغة العربية وحلول هذه المشاكل، هذه كلها مواضيع لها زيادة على جانبها العلمي والثقافي جانب اقتصادي وجانب مالي وجانب سياسي وجانب خلقي أو اجتماعي والذي يهمنا من هذه الجوانب كلها هو الجانب العلمي والثقافي الذي هو وحده يتصل بأغراض ومهمة المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربي ولذلك كان بودنا ان لا يغفل هذا الجانب فى بعض الاجوبة التي انحصرت اما فى الجانب السياسي واما فى الجانب الاقتصادي او المالي او الخلقي او الاجتماعي واما فى اكثر من جانب مع اغفال الجانب العلمي والثقافي . لكن من حسن الحظ ان الاجوبة المتعرضة للجانب العلمي

(1) نسبة الى « العروبة » ونعني مشتركة ما بين الدول العربية لان كلمة « عربية » لا تفيد هذا المعنى فان كل هيئة اقليمية فى دولة عربية هي هيئة عربية محلية خاصة لتلك الدولة وغير مشتركة بين الدول العربية اي غير « عروبية » .

والثقافي كانت كثيرة وجلها تضمنت تشخيصا موضوعيا للمشاكل ووصفا لحلول عملية ومعلومات قيمة سيستفيد منها المكتب الدائم كثيرا في اعماله .

وأول ما نستخلصه من اجوبة الاستفتاء انها رغما عن اختلافها الكبير بشأن المشاكل التي تحد من انتشار اللغة العربية في العالم وتعرقل التدريس الجامعي بها ورغما عن اختلافها في وصف الحلول فانها كادت تجمع على عدد من المشاكل قد ترددت في معظم الاجوبة على الاسئلة الخمسة سنوردها مع حلولها المقترحة فيما يلي :

المشاكل

1) عدم وجود مراجع علمية عربية كافية في مختلف العلوم للتدريس الجامعي

2) حركة التعريب في العالم العربي تسير سيرا بطيئا لا يوازي التطور السريع للعلوم والفنون ولا تنظمها خطة مرسومة وموقوتة الشيء الذي يجعل اللغة العربية تفتقر دائما الى الكثير من المصطلحات العلمية والفنية .

3) اختلاف المصطلحات التي تم تعريبها فيما بين الدول العربية .

4) صعوبة اللغة العربية من حيث القواعد والكتابة .

5) انعدام المناهج والوسائل الصالحة لتعليم اللغة العربية لابنائها وللاجانب .

6) عدم اهتمام ابناء العروبة بنشر لغتهم في الخارج وخاصة في الدول الاسلامية غير العربية .

الحلول المقترحة

1) حل المشكلة الاولى

تشجيع تعريب الكتب والمراجع العلمية الجامعية التي تختار على الصعيد العروبي من المؤلفات الاعجمية وتشجيع البحث والتاليف في مختلف العلوم باللغة العربية + اصدار معجمين عربيين لغوي وعلمي تعدهما الهيئات العلمية واللغوية في الوطن العربي »

ان المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي ليؤيد كل التأييد تعريب الكتب والمراجع العلمية الاعجمية اذ يرى فيه الوسيلة الوحيدة لتوفير المراجع باللغة العربية لطلاب الجامعات وعاملا قويا لتحقيق تعريب كامل للتدريس الجامعي ولذلك يهيب بكل دولة عربية أن تعتمد قدرا مناسبا من المال لهذا العمل الذي ينبغي ان تقوم به داخل كل دولة لجنة اقليمية بالتعاون مع المكتب الدائم لتنسيق التعريب من اجل تحقيق وحدة الاصطلاح العلمي العربي .

اما فيما يخص اصدار معجمين عربيين لغوي وعلمي فهذا مشروع يتضمنه التصميم العشاري الذي خطه المكتب الدائم ونشره بعنوان « منهاج لتنسيق التعريب في العالم العربي » وللامانة العامة للمكتب الدائم خطة علمية دقيقة واضحة لاعداد هذين المعجمين الذين يتوقف انجازهما على أن تفي جميع الدول العربية بالتزاماتها نحو المكتب الدائم فتمده بما تعهدت به من مال وخبراء وكذلك بتمويل مشاريع « التصميم العشاري » .

2) حل المشكلة الثانية

ايجاد لجنة جامعية من هيئة التدريس تشرف على ترجمة البحوث التي يضعها الاساتذة الى لغة عربية سهلة + اشتراك الجامعات العربية في ايجاد المصطلح العلمي الملائم + قبول بعض المصطلحات العلمية بالفاظها اللاتينية كما تقبلها جميع اللغات الحية وضمنها الروسية + الاقتصار على التعريب الحرفي لجميع المصطلحات + نشر معجم للمصطلحات العلمية والفنية الاعجمية مع جميع مقابلاتها العربية .

هذه كلها مقترحات وجيهة نتمنى أن يتاح لها أن تتحقق في مستقبل قريب باستثناء القول بالاقتصار على التعريب الحرفي لجميع المصطلحات فان هذا العمل خليق بأن يوسع شقة الخلاف الموجود في المصطلحات العربية بحيث تصير في العالم العربي لغات عربيات بعدد اللغات الاجنبية المنتشرة فيه فتكون مثلا للجمهورية العربية المتحدة وللعراق والاردن لغة عربية جميع مصطلحاتها الحديثة انجليزية اللفظ وتكون لسوريا ولبنان وتونس والجزائر والمغرب لغة عربية بعض مصطلحاتها الحديثة فرنسي اللفظ وبعضها الآخر اسباني اللفظ ، وهكذا تصبح اللغة العربية الام وقد تفرعت مثل اللاتينية الى لغات اقليمية مختلفة يتفاهم ابناؤها فيما بينهم بواسطة التراجمة لا قدر الله ، ولذلك يرى المكتب الدائم ان التعريب الحرفي ينبغي أن يقتصر على الالفاظ الدولية للمصطلحات العلمية مثل مصطلحات علوم النبات والحيوان المستعملة بالفاظها اللاتينية في جميع لغات

العالم ، اما بقية المصطلحات نفي اللغة العربية بفضل الاشتقاق والتوليد والتضمين مجال واسع لخلق الفاظها العربية .

وفيما يرجع لنشر معجم للمصطلحات العلمية الاعجمية مع جميع مقابلاته العربية هذا ايضا من المشاريع التي تدخل فى التصميم العشاري للمكتب وقد انجز منه حتى الآن الجزء الاول من « معجم الفقه والقانون » وهو الآن بسبيل اعداد معاجم فى الرياضيات وفى الفيزياء والكيمياء تضع امام اللفظين الفرنسي والانجليزي للمصطلح جميع مقابلاته العربية المستعملة او المقترحة من طرف مختلف البلاد العربية .

وجدير بالذكر هنا ان المركز الوطني للتعريب بالرباط سبق له ان نشر تحت اشراف المكتب الدائم لتنسيق التعريب معاجم علمية باللغات الانجليزية والفرنسية والعربية فى « الكيمياء » و «الرياضيات» « والفيزياء » لكنها لم تتضمن سوى مقابل عربي واحد لكل مصطلح علمي اعجمي .

بقي علينا ان نقول ان هذه المشاريع المقترحة كلها مع وجاهتها واهميتها البالغة لن يكون تحقيقها كفيلا بجعل حركة التعريب تساير تطور العلوم والفنون مادة وزمانا ، فان اعمال التعريب ما زالت متخلفة عن الركب تخلفا كبيرا لا يمكن تداركه بغير الوسائل الآلية السريعة وقد خطط المكتب طريقة تستخدم فيها الآلات المكنغرافية لهذا الغرض وهذه الطريقة هي التي كانت موضوع « التصميم العشاري » او « المنهاج لتنسيق التعريب فى العالم العربي » المشار اليه سابقا .

3) حل المشكلة الثالثة :

بناء الوحدة الثقافية العروبية بتوحيد المناهج والكتب الدراسية وايجاد مجمع عربي لغوي وعلمي موحد + توحيد المصطلحات العلمية بين البلدان العربية فى مؤتمرات علمية تعقد على الصعيد العروبي فى تعاون مع مجامع القاهرة ودمشق وبغداد وقيام المكتب الدائم لتنسيق التعريب بمهمة التوجيه والتعميم .

لاشك فى ان توحيد مناهج التعليم والكتب الدراسية فى الوطن العربي شيء كفيل بتحقيق الوحدة الثقافية العربية وبوضع حد لاختلاف الاصطلاح العلمي على الاخص وهو عمل لا يمكن ان يقوم به غير الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية .

اما بشأن توحيد المصطلحات العلمية بين البلدان العربية فى مؤتمرات عروبية فقد قام المكتب فى سنة 1964 بهذه المحاولة فى الجزائر بتعاون مع الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية حيث انعقد مؤتمر شاركت فيه جميع الدول العربية وكان المكتب الدائم قد وزع على الاختصاصيين العرب فى العلوم المعاجم التي اصدرها مع الملاحظات الواردة حولها وجاءت الوفود العربية مزودة بهذه الملاحظات وكادت اصول الوحدة تتركز بناء على مشاريع المكتب الدائم ولكن وقعت مجاذبات لا مجال لذكرها هنا .

4) حل المشكلة الرابعة :

تبسيط قواعد اللغة فى مؤتمر عام لعلماء اللغة+ عقد حلقات على نطاق الوطن العربي لبحث مسالة تجديد اللغة العربية تحت اشراف المكتب الدائم لتنسيق التعريب + ايجاد طريقة مطبعية عملية لشكل الكلمات .

من توصيات مؤتمر التعريب المنعقد بالرباط فى سنة 1961 والمنبثق عنه المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربي وضع « كتاب فى قواعد اللغة والنحو يراعى فيه أن يكون مبسطا واضحا سهل التناول وان يزود بفهارس دقيقة تمكن الباحث من العثور على ما يريد بأقل مشقة وان ترجع الهيئة التي سيناط بها تحقيق المشروع الى كتب النحو المتداولة القديم منها والحديث وأن توجه اهتمامها الى الصعوبات النحوية التي تعترض الكتاب اليوم - »

ومن توصيات مؤتمر التعريب ايضا فى موضوع تيسير الطباعة العربية « الانتفاع بالطريقة التي ابتكرها الاستاذ احمد الاخضر والتي هي احسن ما توصل اليه لحد الآن وتشجيع المطابع الخاصة على الانتفاع بها كذلك لتوفير النفقات والجهد والزمن » .

5) حل المشكلة الخامسة :

عناية الدول العربية بالكتاب المدرسي وبالمناهج المقررة وباسلوب التعليم + اصدار كتب دراسية موحدة بين الدول العربية من طرف لجان عروبية متخصصة فى التاليف والترجمة .

جاء كذلك ضمن توصيات مؤتمر التعريب فى موضوع الكتب الدراسية ما يلي :
« تبين المؤتمر من خلال تبادل الآراء ان معظم « الكتب الدراسية فى مادة اللغة العربية سواء اكانت فى

«النحو او فى المطالعة محدودة الموضوعات قليلة
« المعلومات متشابهة المادة . وتبين ان ذلك لا يرجع
« الى ضعف هذه الكتب وانما الى ضيق المجال
« الذهني الذي يعيش فيه التلميذ العربي ، وقلة
« الموضوعات التي يتكون منها عالمه الذي يعيش
« فيه مما يؤدي ضرورة الى قلة ما يستعمله من
« المفردات وما يحتاج للتعبير عنه من الافكار .

« وعلاجا لهذا فان المؤتمر يرى انه لابد من
« العمل على توسيع المجال الذهني والعاطفي للطفل
« العربي عن طريقة المطبوعات والادوات السمعية
« والبصرية .

« ويرى المؤتمر انه لابد من أن تهدف كتب
« المطالعة المدرسية الى تقوية روح الوحدة العربية،
« اما عن طريق الموضوعات التي تتكلم عن العالم
« العربي وبلاده ومفاخره واسس وحدته او عن
« طريق المختارات الادبية التي تمثل الانتاج الفكري
« فى شتى البلاد العربية » .

« ويوصي المؤتمر البلاد العربية بمواصلة
« البحوث فى موضوع تعليم اللغة العربية لغير العرب
« حتى تنتهي هذه البحوث الى نتائج ايجابية قابلة
« للتطبيق » .

ولتحديد مستوى الكتاب المدرسي العربي ومقارنته بمستوى الكتاب المدرسي الاوربي طلب المكتب الدائم لتنسيق التعريب من سفارات جميع الدول العربية بالرباط وسفارات فرنسا وانجلترا وايطاليا ان تزوده بكتب الحساب والمطالعة ودروس الاشياء المقررة رسميا للتعليم الابتدائي فى بلادها . كما وجه الى وزارات التربية فى مختلف الاقطار العربية مذكرة مفصلة وضع فيها اسس العمل لتنسيق جهود العرب من اجل اعداد الكتاب المدرسي تمهيدا لعقد ندوة يشارك فيها الخبراء العرب فى التربية والتعليم تتبلور خلالها وحدة المصطلح المدرسي وموازاته للكتاب العالمي فى السلك الابتدائي وتوحيد الكتاب العربي نحوى ومنهاجا ومصطلحا وقد قامت الجمهورية العربية المتحدة وحدها بتشكيل لجان جردت الكتب المدرسية المعربة ، كما قام المكتب الدائم بجرد الكتب الدراسية فى كافة اقطار العالم ووضع قوائم كاملة هي الآن جاهزة ولا تنتظر منذ ثلاث سنوات الا أن تمدنا الدول العربية بما التزمت به من خبراء لوضع المشروع الذي سيقدم للندوة (راجع اللسان العربي عدد 3 ص 276) .

6) حل المشكلة السادسة :

اهتمام الحكومات العربية وجامعة الدول العربية بفتح مراكز ثقافية ومعاهد لتعليم اللغة العربية للاجانب فى مختلف بلاد العالم وخاصة فى الاقطار الاسلامية غير العربية + العناية باعداد المتخصصين فى تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها وبتاليف الكتب ووضع البرامج والاشرطة المسجلة والافلام الصالحة لهذا التعليم + توسيع التبادل الثقافي والعلمي بين البلدان العربية والبلدان الاخرى .

نشر اللغة العربية فى مختلف اقطار العالم وخاصة فى البلاد الاسلامية غير العربية من المسائل التي يوليها المكتب الدائم لتنسيق التعريب اهتماما كبيرا .

فقد طلب المكتب الدائم من سفارات الدول الاجنبية بالرباط تزويده بمعلومات دقيقة عن مدى انتشار اللغة العربية فى اقطارها فتوصل منها باجوبة كثيرة ستعمل على الاستفادة منها ونشرها فى مذكرة خاصة بحول الله .

هذا ومن جهة اخرى فان السيد الامين العام للمكتب الدائم لتنسيق التعريب الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله قام فى سنة 1966 بجولة فى الباكستان وايران للعمل على مد شبكة نفوذ اللغة العربية كلغة للقرآن ولغة للمسلمين وللحضارة الاسلامية وقد وجد استجابة كبيرة والقى محاضرات فى الجامعات ومراكز البحوث الاسلامية واتصل بالمسؤولين لهذه الغاية وتبلورت نتائج هذه الجولة فى ضرورة العمل على تشكيل لجان ثقافية اقليمية فى كل قطر اسلامي على غرار الشعب الوطنية للتعريب المشكلة فى العالم العربي من أجل تركيز التبادل الثقافي واللغوي بين الشعوب الاسلامية العربية من خلال اللغة العربية .

وقام السيد الامين العام بجولة ثانية عام 1967 فى القاهرة والرياض واقطار الخليج العربي للتعريف بالتصميم العشاري الذي وضعه المكتب الدائم من اجل اصدار خمسة معاجم تعيد للغة العربية مكانتها التاريخية كلغة دولية للعلوم . كما قدم مذكرات الى بعض الدول العربية من اجل الاسهام فى تمويل هذه المشاريع فوجد تفهما كبيرا .

تلك خلاصة أهم المشاكل المثارة فى الاجوبة على اسئلة الاستفتاء مع حلولها المقترحة ووجهات نظر المكتب الدائم لتنسيق التعريب بشأنها .

وفيما يلي نتائج الاستفتاء مقسمة الى اربعة اقسام :

1) دائرة الاستفتاء
2) خلاصة الاجوبة
3) ندوة الاستفتاء
4) بحوث الاستفتاء .

دائرة الاستفتاء

اقطار الدائرة :

وردت الاجوبة على الاستفتاء من معاهد وهيئات وشخصيات مستقلة تنتمي الى الاقطار التالية :

- الجمهورية العربية المتحدة
- الجمهورية العربية السورية
- الجمهورية اللبنانية
- الجمهورية العراقية
- المملكة الهاشمية الاردنية
- دولة الكويت
- الجمهورية التونسية
- المملكة المغربية
- فرنسا
- هولندا
- الاتحاد السوفياتي

واجاب على اسئلة الاستفتاء بعض المؤسسات الثقافية التالية بصفة رسمية ووردت اجوبة بالاسماء الشخصية للمسؤولين على بقية المؤسسات او بأسماء اساتذتها او المنتمين اليها وهي :

أ) المعاهد العلمية والمؤسسات الثقافية

(1) مجمع اللغة العربية بالقاهرة (2) المجمع العلمي العراقي (3) الاتحاد العلمي العربي (4) كلية الطب بجامعة دمشق (5) كلية الطب بجامعة الاسكندرية (6) كلية الطب بجامعة عين شمس (7) كلية الصيدلة بجامعة القاهرة (8) كلية العلوم بجامعة عين شمس (9) كلية الهندسة بالقاهرة (10) كلية الزراعة بجامعة عين شمس (11) كلية التجارة بجامعة عين شمس (12) كلية الحقوق بالقاهرة (13) كلية التربية بجامعة دمشق (14) كلية التربية ببغداد (15) كلية التربية بجامعة عين شمس (16) كلية المعلمين بجامعة عين شمس (17) كلية البنات بجامعة عين شمس (18) جامعة بيروت (19) جامعة اسيوط (20) الجامعة التونسية (21) جامعة دولة الكويت (22) جامعة السربون بباريس (23) جامعة الدولة فى ليد بهولندا .

ب) الهيئات الرسمية العروبية والاقليمية

(1) الاتحاد البريدي العربي (2) وزارة البريد والبرق والهاتف بالكويت (3) وزارتا التربية العراقية (4) وزارة الثقافة والارشاد القومي بسورية (5) مستشفى دمشق (6) المكتبة العامة بعمان (7) المجلس الاعلى للقضاء بالرباط .

نتائج الاستفتاء

أ) خلاصة الاجوبة على السؤالين الاول والثاني

ان المشاكل التي تعترض سير اللغة العربية والتي تحد من انتشارها هي :

1) تخلف الدول العربية العلمي والحضاري
2) صعوبة اللغة العربية من حيث القواعد والكتابة
3) اهمال الدول العربية نشر اللغة فى الخارج وخاصة فى الدول الاسلامية غير العربية .
4) وجود لغات دارجة اقليمية مختلفة تضايق الفصحى
5) انعدام الطرق والوسائل الصالحة لتعليم اللغة العربية لابنائها وللاجانب
6) عدم وجود مراجع عربية كافية فى نواحي العلوم المختلفة
7) عدم تشجيع الابتكار العلمي والتاليف باللغة العربية فى مختلف فروع العلوم
8) عدم تحقيق الوحدة الثقافية بين الاقطار العربية
9) محاربة الدول الاستعمارية اللغة العربية لانها اصبحت ترتبط بمفاهيم الحرية

الحلول المقترحة :

1) الاهتمام بنهضة البلدان العربية علميا وثقافيا لجعلها فى مستوى البلدان المتقدمة .
2) تبسيط قواعد اللغة العربية فى مؤتمر عام لعلماء اللغة
3) اهتمام الحكومات العربية وجامعة الدول العربية بفتح مراكز ثقافية عربية ومعاهد

لتعليم اللغة العربية للاجانب فى مختلف بلاد العالم وخاصة فى الاقطار الاسلامية غير العربية + العناية باعداد المتخصصين فى تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها وبتأليف الكتب ووضع البرامج والاشرطة المسجلة والافلام الصالحة لهذا التعليم + توسيع التبادل الثقافي والعلمي بين البلدان العربية والبلدان الاخرى + نقل كل ما نتوسم فيه الجدة من فكرنا وادبنا الى اللغات الاجنبية

4) تشديد الرقابة على اجهزة الاعلام من اجل استعمال الفصحى دون العامية + تقريب الشقة بين الفصحى والعاميات

5) عناية الدول العربية بالكتاب المدرسي وبالمناهج المقررة وبأسلوب التعليم

6و7) تشجيع ترجمة جميع المراجع العلمية الجامعية الى اللغة العربية وتشجيع البحث والتأليف فى مختلف العلوم

8) بناء الوحدة الثقافية بتوحيد المناهج والكتب الدراسية وايجاد مجمع عربي لغوي وعلمي موحد + توحيد المصطلحات العلمية بين البلدان العربية + تنسيق جهود التعريب

9) اهتمام الدول العربية بصد التيارات الاستعمارية المضادة لتعليم اللغة العربية فى الدول الحديثة الاستقلال .

ب) خلاصة الاجوبة على السؤالين الثالث والرابع

— هل تصلح اللغة العربية للتدريس الجامعي ؟
— اذا كانت صالحة فما هي المشاكل التي تعترض الاساتذة وما هي الحلول فى نظركم؟

الجواب على السؤال الثالث :

اللغة العربية صالحة للتدريس الجامعي للعلوم الانسانية وهي صالحة كذلك لتدريس العلوم الحديثة لكن يلزم فى هذا التدريس الاستعانة بلغة اجنبية .

الجواب على السؤال الرابع :

المشاكل التي تعترض الاساتذة هي :

1) عدم وجود المراجع العلمية وكتب الدراسة باللغة العربية

2) نقص المصطلحات العلمية والفنية العربية

3 اختلاف المصطلحات بين الدول العربية

4) ضعف الاساتذة والطلاب الجامعيين فى اللغة العربية

5) تقصير الجامعات فى ميدان البحث العلمي

6) عدم تعاون الجامعات وحتى كليات الجامعة الواحدة على اختيار المناهج والمراجع والكتب الدراسية

الحلول المقترحة :

1) تكوين المكتبة العلمية بترجمة الكتب التي تختار للتدريس من المؤلفات الاجنبية + تشجيع حركة تعريب المراجع العلمية المختارة + عقد حلقات دراسية جامعة لمشكلة المعجم العربي يشترك فيها فقهاء اللغة واساتذة العلوم على مستوى الدول العربية + العمل على اصدار المجلة المتخصصة التي تحتاج اليها الجامعات ومراكز البحث الخ .

2) السرعة فى عمل تعريب المصطلحات بكيفية موازية لسرعة تطور العلم .

3) اصدار كتب دراسية جامعية موحدة بين الدول العربية + اشتراك الجامعات العربية فى ايجاد المصطلح العلمي الملائم .

4) ايجاد لجنة جامعية من هيئة التدريس تشرف على ترجمة البحوث التي يضعها الاساتذة الى لغة عربية سهلة ومتينة

5و6) تنسيق الجهود بين مختلف لجان الجامعات ونشر البحوث المترجمة لتعميم الفائدة

ت) خلاصة الاجوبة على السؤال الخامس

كيف للعالم العربي ان يتخلص من مشكلة المصطلح العلمي ؟

1) اختلاف المصطلحات ينبغي القضاء عليه بالاكثار من عقد المؤتمرات العلمية

2) ينبغي للمصطلحات ان يضعها المتخصصون من اعضاء المجامع العلمية كل حسب اختصاصه ثم تعرض على المجامع اللغوية

لاقرارها مـــع السرعة فى عمـل تعريب المصطلحـات

3) توحيد المصطلحات العربية تحت اشــراف الجامعة العربية وبمعاونة اعضــاء المجامع الثلاثة بالقاهرة ودمشق وبغداد مع تحديد مدلولها وتوضيح مفهومها العلمي .

4) تتبع الاساتذة ما تقره المجامع اللغوية مـن المصطلحات وتطبيقهم اياها فى تدريسهـم وتاليفهم .

5) قبول المصطلحات العلمية العالمية بالفاظهـا اللاتينية كما تقبلها جميع اللغات الحيـة وضمنها الروسيـة

6 الاقتصار على التعريب الحرفي للمصطلحات وتوفير الجهد على المجامع اللغوية

7) الاكثار من ترجمة امهـات الكتب العالمية + ايجاد لجان متخصصة للتاليف فى مختلـف الفروع باللغة العربية + انعقاد لجان دائمة تابعة لجامعة الدول العربية تضم اساتـذة الجامعات ورجال الصناعة من اجل توحيـد المصطلحات العلميـة .

8) ادخال الالفاظ العامية التي لا يوجد لها مقابل فى الفصحى مثل مصطلحات اهل الصنائع+ استغلال اللغات الاجنبية التي اخذت مـن العربية فى القرون الوسطى وبعدها الفاظـا ما زالت فيها حيـة الى الآن بعد ان انعدمت فى اللغة العربية + التنقيب فى مؤلفـات القرون الوسطى العربية عن الالفاظ المولدة التي تخلو منها معاجم اللغة + وضع كلمات جديدة عن طريق الاشتقاق + تضميـن مفردات قديمة معانـي جديدة .

9) قيام المكتب الدائم بمهمة التوجيه والتعميم .

10) نشر معجم للمصطلحات الفنية الاجنبية مـع جميع مقابلاته العربية

11) اصدار قاموس عربي علمي عصري تساهم فيه جميع الهيئات العلمية بالوطن العربـي

12) عقد حلقات على نطاق الوطن العربي لبحث مسالة تجديد اللغة العربية تحت اشـراف المكتب الدائم لتنسيق التعريب .

كانت اللغة العربية من مصادر البحث العلمي قديماً

فلماذا لا تكون مرجعاً اليوم ؟

الأستاذ محمد طه النمر

مديـر الادارة الثقافيـة
(جامعة الـدول العربيـة)

— العالم مناطق مختلفة . ففي آسيا وافريقيا وحيث توجد جماعات مسلمة او شعوب ذات صلة بالعرب وتاريخهم وثقافتهم ، يكون انتشار اللغة العربية اسهل . واما فى امريكا واوروبا ، فان المهمة بالغة الصعوبة ؛ لان لغات تلك الامم لا تمت الى العروبة بأدنى سبب . وهم يعتبرون اللغة العربية فى امريكا من اللغات العالمية الصعبة كالروسية والصينية .

وعلى كل فان تعقيد قواعد النحو العربي ، واشتقاقات الالفاظ الكثيرة الى جانب وفرة المفردات من اسباب صعوبة اللغة العربية على الاجنبي ، لاي شعب كان انتسابه ، هذا الى الدقة المطلوبة فى نطقها بحيث ربما تكون من هذه الجهة اوسع لغات العالم مخارج حروف وحركات . وهناك عامل ادبي تاريخي ، هو أن الامة العربية قد واجهت فى عصورها المتأخرة حالة من الضمور الثقافي والفكري ، فانطفأت شعلة الابداع ، وصار التجديد تقليد القديم ان لم يكن مسخا له وهكذا قل شأن العرب وشأن العربية، واصبحت اللغة لا تحمل للعالم ما كانت تغني به من حضارة زاهية وفكر متجدد ، وادب خلاق ولولا ان لغة الاسلام وقرآنه العظيم كانت اللغة العربية لاصبحت العربية اليوم بلهجاتها المختلفة كثيرة التباين والاختلاف فى شتى الاقاليم من الوطن العربي .

— اذا كان المقصود بهذا السؤال هو المشاكل التي تعترض انتشار اللغة العربية فى الاقطار الاجنبية، فانه لابد من ملاحظة صلة القطر وقربه وبعده ، من البلاد العربية وما بين لغته القومية واللغة العربية من تقارب واوجه ذلك التقارب .

وعلى كل فربما يكون تيسير تعلم اللغة العربية كتابة ونحوا من أهم ما يجب ان يكون فى الاعتبار عند وضع خطة تيسير انتشارها .

— نعم — تصلح . ودليلنا على هذا ، انها ربما كانت فى القرون الوسطى ، هي اللغة العالمية الاولى وقد ظلت حتى عصر متأخر ، مصدرا هاما من مصادر العلم والبحث العلمي فى اوربا .

— توحيد مصادر البحث والمراجع ثم :

الاتفاق على تسمية واحدة للفن او المادة العلمية فى جميع البلاد العربية ، بمعنى ان يكون للعرب فى اسرع وقت ممكن : مصطلح علمي واحد لكل فن من فنون المعرفة .

— الاجابة عن هذا السؤال ، وردت بصورة مقتضبة فى الرد السابق فلابد ان تكون هناك مصطلحات علمية واحدة فى جميع البلاد العربية ، وذلك لكي يضمن للكتاب العلمي العربي مدروسا كان ام لا التفهم المطلوب من قبل قارئه ثم سرعة انتشاره بين طالبيه ، وحتى لا يكون فى قطر او آخر مثله فى موضوعه مثل الكتاب المؤلف بلغة اخرى غير العربية .

تقاعس أبناء العربية هو المشكل

الدكتور عبد الحليم منتصر

امين عام الاتحاد العلمي العربي
استاذ بجامعة عين شمس

1 — ليست هناك مشكلة تعترض سير اللغة العربية وتحد من انتشارها فى العالم سوى تقاعس ابناء العربية عن النهوض بها ، والعمل على حسن اعداد الطلاب من ابناء الجيل الصاعد للاضطلاع بنشر اللغة العربية .

2 — انجع الطرق لانهاض اللغة العربية حسن تعليمها فى المدارس ، وانشاء جيل مقوم اللسان يجيد الفصحى قراءة وكتابة وتذوقا .

3 — نعم تصلح اللغة العربية للتدريس الجامعي ، وينبغي أن تكون لغة التدريس الجامعي فورا .

4 — ليست هناك من مشاكل تعترض الاساتذة للتدريس باللغة العربية ، سوى **ضعف القائمين بالتدريس فى اللغة العربية** ، وعدم الماهم الالمام الكافي بمنجزات العرب فى المجال العلمي خاصة . فهذه العلوم المختلفة التي تدرس فى الجامعات العربية باللغات الاجنبية ، كانت تدرس اصلا باللغة العربية ، وكانت منذ الف عام عربية خالصة ، كما كتبها ابن الهيثم وابن سينا والبيروني والزهراوي والخازن وغيرهم من مئات العلماء العرب الذين يقرنون الى اعاظم العلماء فى كل عصر وآن ، والذين كتبوا فى الرياضيات والفلك والهندسة والطب والزراعة بلغة عربية سليمة . والذين قال عنهم سارتون **«لولا اعمال العلماء العرب لاضطر علماء النهضة الاوروبية أن يبدأوا من حيث بدأ هؤلاء ولتأخر سير المدنية عدة قرون »**

5 — ليس المصطلح العلمي مشكلة بالنسبة للتدريس الجامعي والبحث العلمي ، فالعلم عبارة عن حقائق يمكن التعبير عنها بأية طريقة ، واذا لم يمكن ترجمة المصطلح الى العربية ففي مجال التعريب متسع للجميع . ومن واجب العلماء العرب المحدثين والمعاصرين ان يعملوا على التدريس باللغة العربية فورا . وقديما قالت العرب جو مطريا واسطرونوميا ومانيما طقي وما اشبه ونحن نقول الآن : ترمومتر ، وبارومتر ، والكترون ، ونيوترون وهكذا فهذه جميعا الفاظ ومصطلحات اعجمية دخلت العربية ، ولا ضير فى استعمالها . كما أن اسماء المواليد ، ينبغي أن تكتب باللغة العلمية المصطلح عليها الى جانب الاسماء المحلية . كذلك تعمل الهيئات المختصة على نشر معاجم علمية عربية موحدة تكون بين ايدي الدارسين فى العالم العربي كله . وقد نشر مجمع اللغة العربية ثماني مجموعات للمصطلحات العلمية ، كما نشر الاتحاد العلمي مجموعة كبيرة منها عرضت على المؤتمرات العلمية العربية المختلفة. ويعمل المجلس الاعلى للبحث العلمي على نشر معجم علمي عربي موحد .

وكذلك لا ينبغي أن نهمل اللغات الاجنبية لمتابعة المسائل العلمية بلغاتها الاصلية .

حتى علوم الذرة والالكترونات

تدرس باللغة العربية

مجمع اللغة العربية

(القاهــرة)

الواقع ان اللغة العربية انتشرت فى العالم مــن قبل وذيوعها فى بلاد المشرق وفى افريقيا تحت كنف الحضارة الاسلامية معــروف من قديــم الــى حــد أن هناك لغات من اصول غير سامية كالفارسيـــة والتركية أو الاردية امتد اليها كثير مــن الالفــاظ والتعبيرات العربية ويكفي ان نلاحظ ان الكتابــة العربية كانت هي ايضا الوسيلة التي استخدمتها هذه اللغــة .

أما فى الحاضر فان كانت هناك مشكلة فانهــا لا ترجع الــى طبيعة اللغــة وانما تدور بخاصــة حول وسائل تعليمها لان البيئة العربيــة فى البيــت والمدرسة لم تكن مستكملة تماما ومن هنــا كانــت صعوبات القــراءة والكتابة نحوا واملاء ، علــى ان نشر التعليم اليوم يواجه كثيرا من هذه المشكـــلات واصبحت اللغة الدارجة تقترب من فصحــى اليــوم اليسيرة السهلة قربا واضحــا .

* * *

السؤال حول صلاحية اللغة العربية للتعليــم الجامعي لا محل له فى عام 1966 حيث توجد جامعات عربية فى كثير من البلاد العربية تكاد تدرس علومهــا كلها باللغة العربية ، فالدراســات القانونيـــة والاجتماعية بوجه عام انما تدرس باللغة العربيـــة وكذلك الدراسات العلمية من طبيعة وهندسة ورياضة، بل يدرس فى جامعات الجمهورية العربية نظريــات الذرة والاليكترونات باللغة العربية ولم يبق الا بعض الدراسات الطبيـــة التي لم تستكمل وسائلها بعــد فى المكتبــة العربيــة .

* * *

والمشكلة الكبرىفى تدريس اية مادة باللغــة الوطنية هي ان تتوفر فيها المصادر التي يرجع اليهــا فى هذه اللغة نفسها ، فالدراسات الاسلاميــة مثــلا لا تكتمل دراستها الا باللغة العربية لان مصادرهــا جميعهاالاولى عربيةوالمستشرقونانفسهم تعلمواالعربية لكي يستطيعوا الرجوع الى هذه المصادر الاولــى والدراسات العلمية والانسانية الحديثــة ينبغــي أن تأخذ سبيلها الى العربية ترجمة أو تأليفا ويقدر مــا يطول العهد على هذه الدراســات فى بلد ما تتوفــر فيها مادة صالحة باللغة الوطنية ويمكن أن نلاحظ أن الطالب فى جامعــات الجمهوريــة العربيــة المتحدة يرجع أولا الى مصادر اللغة العربية فيما هو بصــدده ثم يحول بعدها الى مصادر اجنبية ، وفى الجمهورية العربية المتحدة جهود ترجع الى نحو قرن تقريبــا وتقوم على التأليف والترجمة فى العلوم الحديثة .

والتعليم الثانوي فى مصر لا يصادف اي صعوبة فى تدريس المواد الحديثة باللغة العربيــة .

وفى التعليم الجامعي مؤلفات ومترجمــــات عربية كثيرة وما بقي لابد أن يستكمل والجهود مبذولة فى سبيــل ذلك .

ولاشك فى أن المصطلح العلمي اساس للدراسة والبحث والتأليف فى اللغة العربية .

وهــــو دعامة لغــة العلمـــاء وقـــد بذلت فيــه جهــود كثيــرة منذ فجر هذا القــرن فأحييت مصطلحات قديمـــة واستحدثت مصطلحـات جديدة عن طريق الاشتقاق أو التعريب والعربية لغــة مرنة اشتقاقية وليست اقل طواعية من لغة اخــرى لاستحداث الفاظ جديدة وقد استجابت لهذا فى يسر طوال نصف القرن الماضي ، واول دليل على ذلك أن العلماء العرب يحاضرون ويؤلفــون باللغة العربية فى نواحي العلوم والثقافة المعاصرة .

ومشكلة المصطلحات ليست من المشاكل التي تقف عند نقطة معينة لان العلم يسير وتجد فيه مصطلحات من حين لآخر تبعا لنشاط حركات الكشف والبحث ويواجهها العلماء وانما كلما دعت الحالة الى ذلك .

ولعل الصعوبة التي نحس بها هي بعض الفوارق بين بعض المؤلفين فى البلاد العربية ولكن لا نزاع فى أن شقة الخلاف تضيق عاما بعد عام ؛ تبعا لنشر الكتاب العربي وللجهود التي تبذلها الهيئات والمجامع العلمية واللغوية .

وان بلدا يقوم التدريس فيه بالعربية منذ قرن مثلا لا يحس بهذه الصعوبة كما يحس به بلد آخر لم يعرب فيه التعليم الا منذ عهد قريب .

وعلى كل حال لا نزال فى حاجة الى الاكثار من المؤتمرات العلمية وتهيىء الفرصة للقاء العلماء كي يلتقوا على مصطلح يقرونه جميعا مع ملاحظة أن الخلاف فى المصطلحات بين المؤلفين ليس مقصورا على العربية وحدها بل نلاحظ ذلك فى اللغات الاوربية الحديثة ..

* *
*

تطور العربية رهن بتطوير الفكر العلمي عند العرب

ليس في العربية الآن ما يسد حاجة الباحث

الأستاذ عبد الرزاق محي الدين

رئيس المجمع العلمي العراقي (بغـداد)

قبل الاجابة على السؤال الاول أود ان استوضح ماذا يراد من كلمة « العالم » ؟ اهو العالم العربـي ام العالم جملـة ؟

فان يكن الثاني (وهو ما يقتضيه اطلاق كلمة «العالم») فالجواب عليه :

ان انتشار اي لغة انتشارا عالميا يتوقف علـى امور كثيرة ، يرتبط اهمها بمركز الامة العلمـي والحضاري ، وبمنزلتها الدولية ، وباستشعار امم العالم ضرورة تعلم لغتهـا للتعامل معها بفهم ما عندها ، والتفاهم معها ، اما للانتفاع بما لديها مـن علم او فن أو الاحتراس من خطرهـا وسطوتهـا .

وكون تعلم اللغة وتيسير انتشارها ــ ومنهـا العربية ــ صعبا او ميسرا يأتي فى المرحلة الثانيـة من الاسباب . فاللغة العربية يوم كانت لها دولة ذات شأن وتأثير فى العالم تعلمتها امم مختلفة ، وكتبـت وتحدثت بها شعوب بعيدة وقريبة ، ولم يحل بينهـا وبين ذلك صعوبتها وبعدها عنها ، هذا لمكان سطوتها وسمو دعوتها ، وتأثر الامم بدينهـا .

واذن ، فبسبيل انتشار العربية بين امم العالم ان تعود الامة الناطقة بها ذات شأن عالمي يغري الامم الاخرى بتعلمها ، او يضطرها الى تعلمها . وهذا فيما اتوقع واقع مقبل قريبا ان شاء الله .

واذا كان المقصود من كلمة « العالم » العالم العربي وهو ما اظنه مقصودا فى السؤال ومن اللغة العربية « الفصحى المعربة من لهجاتها » فأهم المشاكل فى نظري ثلاثـة :

1 ــ الاختلاف القائم بين لغة البيت والسوق والحديث الدارج من جهة وبين لغة الكتابة والخطابة من جهة اخرى . فما دام الحديث الدارج يجري بلهجة غير معربة ، وبمفردات يكثر فيها المحرف والهجيـن فسيظل الفرد العربي مواجها لصعوبة تعلم الفصحـى المعربة وشاعرا بثقل تعلمها .

ان اختلاف اللهجات الناشئة من ام واحدة امر تقتضيه طبيعة كل لغة تتسع او تتباعد اقطارهـا ، ويستحيل بذلك الغاء جملة الفوارق مهما بذل مـن جهد ، ولكن وحدة الكتاب المدرسي فى التعليم ووحدة وسائل الاعلام الاخرى ستمكن ــ دون شك ــ مـن تقارب اللهجات ، وتخفيف الفوارق بينها ، وستساعد بمرور الايام على ايلاف الفصحـى المعربة .

وبمحض المقارنة بين ما كان عليـه الفـرد العربي قبل خمسين عامـا وبيـن ما هو عليه الآن نشهد اللهجات العربية المختلفة وقد اخذت تلتقـي على كثير من المفردات والتعابير حتـى فى الاوسـاط العاميـة .

2 ــ كتابة العربية : وتبدو المشكلة فى ضبط حروف المفردة . ذلك ان القارىء المبتدىء والشادي لا يجد لحركة الحرف اداة مكتوبة ضمن الكلمـة المكتوبة بحيث ينطقها مضبوطة بتوجيه من الحركـة ــ كما هو الحال فى اللغات الاوربية ــ ولذلك فالقارىء مضطر ان يهتدي الى حركة غير مكتوبة ، فيتردد بين الحركات المختلفة للحرف .

والحل الضروري فى رايي ان يهتدي الى طريقة تكتب فيها الحركات ضمن حروف الكلمة وبذلـك

يزول كثير من غلط النطق ، وييسر حفظ المفردة بشكلها الصحيح .

انه بذلك قد تشوه صورة الخط العربي المألوف، ويباعد على وجه اليقين بيننا وبين المأثور من خطوطاتنا ومطبوعاتنا، الا ان علاج هذه المشكلة المستعصية يحتم علينا قبول ذلك ، ويفرض علينا التنازل عن بعض المزايا التي نجتنيها الآن من المحافظة على جمال الخط ومن الانتفاع بالآثار المخطوطة .

على انه يمكن اعادة طبع المطبوع قديما بالصورة الخطية الجديدة ، وبذلك نتجنب خسارة المأثور .

علينا أن نوازن بين امرين : التيسير لمشكلة قائمة تتصل باجيالنا المعاصرة والقادمة ، ومزية جمالية وآثارية لا يستشعرها الا المعاصرون . لقد اختلف شكل الخط العربي مرات متعددة عبر التاريخ ، ولابد ان يكون قد رافق كل تغيير فوات لبعض المزايا الجمالية والآثارية الا ان ذلك لم يوقف حركة التغيير حيث وجدت له ضرورة ، بل لم نستشعر انه حصل على اثرذلككثير اسى أو كبيرضجة بل لعلنا استشعرنا من الآثار ما يؤكد الارتياح للتغييرات التي حدثت بما استحدثت من صور جمالية جديدة .

3 — مشكلة الاعراب — حركة الآخر —

تبقى بعد هذا حركة الاعراب القائمة على آخر الكلمة فان الاهتداء اليها من العرب الخلص الاوائل امر يستدعي العجب ، ويعني فهما وطبعا خاصا ما تزال الحيرة تراود الباحثين بشأنه . وليس لدينا من وسيلة الآن للاهتداء الى ذلك الا تعلم « النحو العربي » ولكن تعلم النحو امر يتطلب جهدا شاقا وانصرافا جديا ربما يعادل تعلم جملة علوم .

وفى رايي أن تيسير ذلك يكون بالاعتماد على الاكثار من القراءة الصحيحة ، والدربة عليها مستعينين على ذلك بما تقدمت بشأن رسم الكتابة العربية ليستعان بحركة الآخر المكتوبة بهيئة حرف على النطق رفعا ونصبا وجرا . وبالدربة على النطق الصحيح عن طريق شكل الحرف الآخر .

اما التجارب التي استحدثت فى تيسير النحو بالغاء بعض ابوابه ، وبايجاز قسم منه فلم تكشف حتى الآن عن نجاح ، وبقي ما كتب الاقدمون ضرورة لازمة لمن يريد تعلم النحو العربي .

ان حدوث اللحن على السنة الناطقين العرب ليس شيئا جديدا تميز به هذا العصر ، بل ليس شيئا جديدا حتى على العصور الاسلامية الاولى ، ولست اتحاشى ان ازعم ان اللحن قائم قيام اللغة العربية ، لهذا لا اجد سبيلا لامكانية التخلص من اللحن .

ولست افسر الشذوذ والندور والقلة المأثورة عن العرب فى كتب النحو الا نوعا من الخروج على القواعد العامة ، نتيجة الجهل بها ، وعدم التأتي لكل الناطقين ان يلتزموا القاعدة العامة .

اريد ان اخرج من هذا الى ان ظاهرة اللحن ظاهرة طبيعية كان وسيظل الخلاص منها امرا مستحيلا على مجموع افراد الامة . وان التاريخ الذي حدد فيه ظهور اللحن كان تحديدا لانتشاره وكثرته لا لمجرد حدوثه .

4 — اللغة العربية من حيث الوفاء بالافكار وبالخواطر العليا صالحة للتدريس الجامعي من دون شك ، وهي قد كانت كذلك يوم ترجمت اليها علوم الاولين مما لم يكن لها عهد سابق به ، بل انها استطاعت بعد فترة ان تصبح الوعاء الوحيد للمعرفة والمصدر الذي رجعت اليه اللغات الاخرى .

والذين يخامرهم الشك فى صلاح اللغة العربية بصورتها القائمة للدراسة الجامعية يبررون شكهم بانقطاع العربية لفترة طويلة عن مواكبة النهضة العلمية المعاصرة ، وبنشوء افكار ومسميات لم تعرفها العربية من قبل ، ولم تأخذ لها مكانا فى مراجعها وكتبها .

الدراسة الجامعية تعني — فيما تعني — البحث والتتبع والرجوع الى المصادر والامهات **وليس فى العربية الآن ما يسد حاجة الاستاذ الباحث والطالب المعقب ولهذا يذهب من يذهب الى عدم صلاح اللغة العربية** بصورتها الحاضرة الى الدراسة الجامعية .

والاعتراف بهذا الواقع لابد منه ، وانكاره لا ينفع العربية ولا يقدمها او يجعل منها لغة تفي بمتطلبات العصر بما جد فيه من علوم وفنون .

ولكن الاعتراف بهذا الواقع شيء والرضا عنه والسكوت عليه شيء آخر .

انقيم على هذا الواقع ونقره ونسترسل معه الى ان تصبح لغتنا لغة سوق ومنزل ام نعمل على

تغيير هذا الواقــع ، وننتقل بلغتنا الى ان تكــون لغــة علــم ؟

ان عجز اللغة يعني عجز اهلها والناطقيـــن بها ان يبلغوا درجة الوفاء بالاغراض العلمية وبهــذا تلقى التبعة عليهم لا على اللغة . **ليست لغة الامــة الا الصورة التعبيرية لما يجول فى افكار ابنائها** ، ولما يدخل فى نطاق محصول المعرفة عندهم ، وليس بامكان اي لغة أن تكون شيئا غير هــذا ، وســواء اكانت بالعربية مرونــة وسعة ووفاء بالاغراض الجامعيــة ام لم يكن ، فان ما عليه حال ابنائها من العلم هو الذي يمكنها من الوفــاء او يقصر بها عن الوفــاء .

ورأيي فى المسالــة ما يلــي : ــ

أ) فى الانسانيــات :

فى الفترة المعاصرة وبعد ترجمة كثير من الآثار الانسانية الاجنبية، وقيام جامعات عربية كثيرة يدرس فيها اساتذة عرب تخصصوا فى علوم وفنـــون مختلفة ، وتدربوا على نقل الآراء والافكار من لغاتهــا الاصلية الى اللغة العربية احسب أن **تدريس العلوم الانسانية باللغة العربية امر ممكــن مــن الناحيــة** العلمية وامر واجب من الناحية القومية هذا مــع الاستمرار على الانتفاع باللغة الاجنبية والرجوع اليها كلمــا اقتضت ضرورة .

ب) فــي العلــوم :

أما فى العلوم البحتة فبمــا انه لم يكتب لهــا فى العربية كتب امهات ولم يترجــم فيها الى العربيــة منها قسط كاف يفي بالبحث العلمي **فان التدريس باللغة الاجنبية شيء لازم ، مع الحرص علــى تعريب العربية لها وتداخلها** ، بتاليف كتب ومترجمات توضع تحــت يد الطلاب وفى المكتبات تمهيــدا لاقامة مكتبة عربيــة فى هذه العلــوم .

مشكلــة المصطلــح :

وفيما يتصل بالمصطلح العلمي فان مشكلتـــه تأتي من ناحيتيــن :

أ) عدم كفاية المصطلحات العلمية الموجــودة الآن فى اللغة العربية لسد حاجات ما جد مــن آراء ومسميات . وسد هذه الحاجة ضروي لجعل العربية صالحة للتدريس فى الجامعات وبخاصــة فى العلوم . وسبيل ذلك نهضة جدية تشارك فيها المجامع العلمية والمجامع اللغوية فيعمد المتخصصون فى المجامـــع العلمية الى وضع المصطلحات كل بحسب اختصاصه وكما يراه انسب ، ثم تعرض على المجامع اللغويــة للاستئثار والمناقشة والتنسيق والانتهاء الى افضل المصطلحات واكثرهــا مطابقة واتساقا مع الصيــغ العربية ، ثم تعمم تلك المصطلحات على الدوائـــر العلمية والمعاهد والجامعات شيء من هذا يحــدث الآن ، لكن نشاطا اكبر وعملا اوسع لابد أن يعمل فى هذا البـــاب .

ب) اختلاف المصطلحات بين عالم وآخر وجامعة واخرى ، وعلم وسواه ، وقطر وقطر والامر الـــذي يحدث البلبلة فى المراد من هذه المعاني ، وهذه ظاهرة متوقعة فى هذه الفترة من نهضتنــا العلميــة ، اذ لا تستقر المصطلحات وتأخذ مكانها الا بعد فترة مــن الزمن ، وبعد تدافع بينها الى ان ياخذ كل مصطلــح مستقره فى كتب الباحثيــن . ولو نظرنا الى مصطلحات العلوم والفنــون التي نشــأت فى القــرن الثانـــي الهجري واوائل النهضة العربية لرأينا انها لم تاخــذ مكانها من الاستقرار والثبات الا فى القــرن الرابع .

كل ما نستطيع عمله الآن ان نختصر الوقــت غاية ما يمكن لان تأخذ المصطلحات العلمية مكانهــا من الاستقــرار .

اللغة العربية صالحة

ولكن المصطلح العلمي يتطلب التنسيق

الدكتور أنسور بكير

مديـــر المكتب الدائـــم للاتحاد البريدي العربي
(القاهـــرة)

تسلمنا من حضرة المدير المحترم الدكتور انـــوربكيـــر الخطاب الرقيق الآتـــــى :
« اننا والحق لنتدر لكم اعمالكم العظيمـــة فيسبيل تنسيق التعريب فى العالم العربي وما تبذلونه من جهد لحصر وجهات النظـــر العربية والاجنبية فىمختلف المشاكل التي تجابه جهازكم عند قيامه بدراسة المصطلحات والالفاظ والقضايا العربية ـــ كما نقـــدرلكم ما تستهدفونه من استفتائكم رجال العلم والمعرفة العرب والمختصين بقضاياه بغية الحصول على نتائجمؤسســة على دعامات سليمة قوية لربط ماضي العرب المجيد وانارة الطريق الى المستقبل الباسم .
وقد راينا الاسهام فى الاجابة علـــى الاسئلـــــةالخمس بما وسعنا الجهد وما تجمع لنا من خبـــرات نرجو ان تكون لها نتائج وآثار تنفع بها وطننا العربيالكريم ولغتنـــا القوية التليدة) .
هذا وقد عممنا كتاب سيادتكـــم علـــى ادارات الاتحاد للمشـــاركة والاســهـــام فى الاستفتـــاء والادلاء بما عندها من راي ومعلومات ـــ وسنبلغكم كل مـــا يـــرد الينـــا فور وصولـــه .

1) ـــ ان اهم المشاكل التي تعترض سيـــــر اللغة العربيـــــة هي :

1) اختـــلاف اللهجـــات .
2) وجود مصطلحات اجنبية مستعملة محليا تختلف فى كل قطر عن الآخر .
3) تعقيد بعض قواعد اللغة بما لا يتمشـــى مع مقتضيـــات العصـــر .
4) التردد امام استخدام كلمات اعجميـــــة للدلالة على مدلولات فنية جديدة على اللغة العربية .

2) ـــ وانجع الحلول لهذه المشكلات هي :

1) الدعاية الشعبية لتنقية اللهجات المحليـــة من المصطلحات الاجنبيـــة كلما امكن العثور علـــى مقابـــل عربـــي .
2) الدعاية فى النطاق التعليمي لاستعمـــال اللغة العربية السهلة بقدر الامكـــان .
3) تنقية قواعد اللغة التي تدرس فى المدارس من الاشكال اللغوية الصعبـــة وتركها للمتعمقيـــن فى الدراســات اللغويـــة .
4) ادخال الكلمات الاعجميـــة الضرورية ـــ كما حدث فى بدء الفتوحات العربية .

3) ـــ اللغة العربية صالحة بلا شك للتدريس الجامعـــي .

4) ـــ ان المشاكل التي تعتـــرض الاساتذة فى التدريس الجامعـــي تتبلور خاصة فى مشكلـــــة المصطلحات العلمية بالاضافة الى ميل بعض الفنيين الى استخدام اللغة الاجنبية التي تلقوا دراساتهم بها.

والحل فى العلاج لذلك هـــو :
تنمية الوعي العام الى ضرورة استخدام اللغـــة القومية واعتبارها على قدم المساواة مع اللغـــات العلميـــة الكبـــرى .

5) ـــ فاذا كان المصطلح العلمي يشكل فى نظر الكثيرين اهم مشكلة تعترض نمو اللغـــة العربيـــة

فالعلاج للتخلص من ذلك يكمن فى :

1) فتح باب الاجتهاد لكل مؤلف فى ان يستنبط اصطلاحا عربيا يجده صالحا للحلول محل الاصطلاح الاجنبي .

2) استخدام الكلمة الاجنبية ذاتها ما دامت تمثل مدلولا لا يمكن العثور على مصطلح عربي صالح للحلول محله .

3) تكليف كل مؤلف بأن يلحق بمؤلفه مجموعة المصطلحات الجديدة التي استخدمها سواء كانت عربية أم اجنبية مع ايراد تعريف مختصر لكل منها (وهذه هي الطريقة التي اتبعها الاتحاد البريدي العالمي فى دراساته الفنية) .

4) ارسال هذه المجموعات الى المكتب الدائم لتنسيق التعريب لنشرها فى العالم العربي على أوسع نطاق — وتقبل ما يبدو من ملاحظات أو انتقادات من كافة الاتجاهات .

5) نشر معجم يتضمن الترجمات الاجتهادية للمصطلحات الفنية الاجنبية حتى ولو بدا للمصطلح الواحد اكثر من ترجمة اجتهادية واحدة .

6) سرعة الحركة فى هذا المجال لمطاولة سرعة التطور العلمي والفني .

7) لمجمع اللغة العربية أن يقر بطريقته العلمية المصطلحات التي يرى ضمها نهائيا الى الرصيد الدائم للغة العربية .

ورد علينا من قسم اللغة العربية بجامعة ليدبهولندا جواب عن الاستفتاء أبدت فيه الجامعة وجهة نظرها فقالت :

1) ان المشاكل القائمة فى اللغة العربية هي صعوبة نقل الالفاظ الاوربية بالحروف العربية وعدم استساغة اللغة العربية للمصطلحات غير العربية خاصة فى الحقل العلمي وانعدام الالفاظ المركبة فى اللغة العربية .

2) اما حل مشكلة النقل المذكورة فهو — فى نظرها — أدخال الحروف اللاتينية فى اللغة العربية .

3) اللغة العربية صالحة للتعليم العالي والبحوث الجامعية فى حقل العلوم الانسانية اي ان المشاكل المشار اليها فى القسم الاول تعرقل هذه الدراسة وتلك البحوث فى ميدان العلوم والبحث .

4) الاساتذة الهولنديون يجهلون هذه الصعاب التي تعترض اللغة العربية ولا يمكنهم الاسهام فى حلها .

5) يجب ان تكرس المجامع العربية جهودها للاعداد السريع لمعجم علمي موحد بالنسبة لجميع الدول العربية ومن الاهمية بمكان أيضا احداث مسطرة مناسبة لنقل النصوص اللغوية .

ضرورة التعجيل بتعريب التعليم
في السلكين الابتدائي والثانوي
حتى تنشأ الأجيال الصاعدة
عربية اللسان والضمير

المجلس الأعلى للجامعات
(القاهـــرة)

تلقت الامانة العامة للمكتب الدائم خطابا مـــن المجلس الاعلى للجامعات بالقاهرة حول الاستفتـــاء ننشره شاكريـــن :

تحيـــة طيبـــة وبعـــد ،

فبالاشارة الى كتاب سيادتكم رقم 936 فى 24 اكتوبر سنة 1966 الى السيد الاستاذ الدكتور وزير التعليم العالي فى الجمهورية العربية المتحدة بشـــأن الاستفتاء الذي يجريه المكتب بخصوص مشاكل اللغة العربية وعوائق انتشارها ، والحاقا لكتاب جامعـــة عين شمس لسيادتكم بتاريخ 12—4—1967 والمبلغة صورته للمجلس ، اتشرف بالاحاطة ان جامعـــــة الاسكندرية افادت بكتابها رقـــم 1380 فى 26—4—1967 بوجهة نظرها ازاء هذا الاستفتاء وهو كمـــا يلـــي :

ان المشكلة التي تعترض اللغة العربية وتحـــول بينها وبين أن تتبوأ المكان الجدير بها تختلف بيـــن اقليم وآخر من اقاليم الوطن العربي ، ففي بعـــض هذه الاقاليم اخذت اللغة العربية مكانها فى مراحـــل التعليم المختلفة ووجوه النشاط العلمي وان كان هناك ثمة خلاف فى هذه الناحية فهو ينحصر فى بعض فروع الدراسات الجامعية ولكنه على اي حال لا يتناول قدرة اللغة العربية على معالجة المسائل العلمية اذ مـــن المتفق عليه انها تملك هذه القدرة .

وهناك من اقاليم الوطن العربي ما لم تمكن له الظروف السياسية التي فرضت عليه أن يضع اللغـــة العربية الموضع الذي يجب ان تتبواه فى مراحل التعليـــم المختلفة ، فبدت هذه المشكلة واضحة صارخة . وعندنا ان الخطوة الاولى فى معالجتها هو ان تحمل هـــــذه البلاد جاهدة على أن يصبح التعليم فى مرحلتيـــــه الابتدائية والثانوية كله باللغة العربية ، حتـــى تنشأ الاجيال الصاعدة عربية اللسان والضمير .

على أن البلاد العربية يجب ان تتعاون جميعـــــا تعاونا صادقا جادا فى امداد الطالب الجامعي بالمراجع الرئيسية مترجمة الى اللغة العربية ، وتنظيم متابعة النشاط العلمي متابعة دائبة مستمرة بحيث لا يشعـــر طالب البحث العربي انه فى عزلة علمية بسبب لغته العربية وحتى تصبح اللغة العربية لغة عالمية ، وان كان ذلك لا يعني اهمال اللغات الاجنبية أو ضعـــف العناية بها . فهي ولا ريب — اداة ضرورية ، وعنصر لابد منه من عناصر التكوين العلمي . ليس فى البـــلاد العربية فقط — ولكن كما مطبق فعلا فى بلاد العالم المختلفـــة .

أما المصطلحات العلمية فمجامع اللغة فى البلاد العربية تقوم بواجبها فى تعريبها ، والامل معقود على ان يكون بين هذه المجامع من الاتصال مـــا يوحـــد جهودها ويؤلف بينهـــا .

اللغة العربية لا تنقصها القوة الذاتية التي تجعل منها لغة عالمية

جامعة عين شمس (القاهــرة)

تلقينا من المراقبة العامة للبحوث والدراســات العليا بجامعة عين شمس خطابا رقيقا ارفقته باجابات كليات التجارة والتربية والزراعة والطب والعلــوم والهندسة عن استفتاء المكتب الدائــم وقــد ورد فى هذا الخطاب : « وجامعة عين شمس تهنىء المكتب الدائم لتنسيق التعريب على جهوده الفعالة والخلاقة فى سبيل تشخيص امراض اللغة العربية ومحاولــة علاجهــا ويسعد جامعة عين شمس دائما اذ تشارك فى الراي فيما يــرى المكتب الدائــم عرضه عليها » .

كليــة التجــارة

افادت كلية التجارة انه يقتضي الاجابــة على الاستفتاء الذي يجريه المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربي التمهيد للاسئلة الخمس : فذكرت ان الايضاح الذي سبق الاسئلة اشار الى تاريخ اللغــة العربية وسيادتها فى الاوســاط العلمية والثقافيــة وانتشارها بقدر ما سمحت وسائل التعارف بيــن الناس واشارت ضمنا الى التخلف الــذي لحقهــا فى ميادــن البحث والتطبيق فى الوقت الذي تفوقت فيه لغات اخرى كانت من قبل تقصر عن اللغة العربيــة والكلية تهدف من هذا الاحتياط فى افتتاحية اجابــة الاستفتاء الى الابانة عن حقائق هامة منها :

الحقيقــة الاولى :

ان التســاؤل فى حد ذاته قد يحمل على التــردد فى الحكم او التشكك فى الامر المطروح على بســـاط البحث وهذا ما نستبعده تماما ومن ثم فانهــا تحمل على التساؤل على انه يقصد به اثارة الامر لتوجيــه النظر وبعث الهمة الراكدة وتجميــع المفـــردات وتنسيقها للافادة بهــا .

وليس هذا كله ترددا ولا ارتيابا فى صلاحيــة اللغة العربية لحمل امانة التعليم فى كل وقت وفى كــل مستوى اذ الصحيح انها اصلح اللغات « هكذا كانت وهكذا ستظل » ويؤيد هذا النظر نص قرآني كريــم هو أول التنزيل فالآيات الاولى من ســورة العلق لا تسمح بمجرد التردد فى هذا الامر . الا اذا جهلنا كتاب الله وجهلنا امور الدين جملة .

فقوله تعالى : « اقرا باســم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرا وربك الاكرم الذي علــم بالقلم » موجهة الى النبي عليه الصلاة والسلام وبهذا التكوين صار قارئا عالما بغير صحيفة او قلم » .

ثم يلي ذلك مباشرة قوله تعالى : « الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم » وهاتان الآيتان للناس كافة ومن ثم كان القلم والكتاب والترصيد (او المشاهدة أو النظر) هم ادوات التعليم .

والخلاصة : هي أن تفوق اللغة العربية فى حمل امانة البحث العلمي والتعليم أمر مستقر .

وقد اصبح معلوما للاجانب الباحثين « فضلا عن العرب بعد الدراسات المتصلة فى القرن التاســع عشر وما انقضى من القرن العشرين أن مخطوطات العرب كما اخبرت بها اقلامهم من القرون الاولــى للهجرة وفى العصر الوسيط .. لا تزال فى مركز الصدارة والتفرد ومن هذا أن اللغــة العربية الوحيدة التــي تنفرد بحمل معاني القرآن الكريم ويستحال ترجمتــه الى لغة اخرى ولا يستثنى من هذا التعميم ســوى ما يقوم على التجربة وخصائص المواد والطاقات فهذه توقفت عند العرب فى القرون الاخيرة ومن ثم تخلفوا فى حضارة المادة والطاقة وحسب .

والحقيقة الثانية : ان اللغة كائن حي والمجتمع

كذلك كائن حي وبينهما ترابط وثيق لا محل للاضافة بينهما هنا . فاذا تخلف المجتمع تخلفت اللغة حتما .

واضافت الكلية بانه من العبث محاولة نفخ الروح الوثابة فى اللغة العربية ما بقي العرب فى ركودهم وترك مواردهم لشعوب لا تتكلم العربية وهكذا تبقى اللغة العربية بمفرداتها المعاصرة ، متناسبة مع موقع الامة العربية من جملة الامم ويجتمع على الامة التابعة فى شأن تخلف اللغة امران احدهما : الجهل بالتراث او بمعظمه والآخر الفتر فى الاضافات المستحدثة التي تصف الجديد من الصناعات والفنون والاوضاع الاجتماعية المناسبة لتقدم الحضارة والمدنية وتظل المراجع العلمية وهي ارقى ادوات التعلم بالقلم حافلة بالمصطلحات والمفردات التي صاغها أصلا غير العرب لتكون رموزا لكل جديد لا يحسن العرب ابداعه .

الحقيقة الثالثة : انه تأسيسا على ما تقدم يتعين القول برفض اليأس من اعادة اللغة العربية مكانتها من التفوق (لا مجرد الصلاحية) وكونها لغة هيئة وغيرها لغة تركيب .

الحقيقة الرابعة : ان عنصر الزمن جوهري : لان المطلوب هو عملية « بعث » لا مجرد اصلاح وتدارك ما فات — وكل حركة سطحية او عملية ستكون محدودة الاثر والسبب فى ابراز الحقيقة الرابعة .. هو التحذير من استعجال النتائج .. والتنبيه الى اهمية العمل الدائب ونفتا تجمع بين الشمول والمدى الطويل على نحو ما نشير الى بعضه فى الاجابة على كل سؤال بدوره .

وبالنسبة للسؤال الاول وهو عن المشاكل التي تعترض سير اللغة العربية والتي تحد من انتشارها بالسرعة فى العالم ، اجابت الكلية بالآتي :

أ — ضعف الايمان بصلاحية اللغة العربية عند فريق كبير من المثقفين من ابنائها ومنهم بعض قادة الفكر فى كثير من المجالات (كادوات الاعلام واجهزة ومراكز البحث والتعليم) . واذا فقدت اللغة ايمان اهلها بقدراتها كان لزاما ان ينصرف عنها غيرهم .. ومن ثم تراجعت اللغة العربية عن أن تكون لغة عالمية .

ب — تراكم الاثقال التي اطبقت على اللغة العربية فى عهود الضعف والتراجع ، من زمن الترك الى زمن التفكك والضياع الذي نزل بالمجتمع العربي مع احداث القرن التاسع عشر . ومن هذه الاثقال :

زحف اللغة العامية وتنوع لهجاتها فى البلاد العربية ثم كان الاحتلال الاجنبي فى اوائل القرن التاسع عشر. للبلاد العربية الهابطة الى مدارك التخلف بعد التفكك فجاءت اللغات الاجنبية واحتلت مراكز الصدارة فى الدواوين والمعاهد .. وارتاحت الجماهير الى العامية.. وانتشر وباء العامية حتى شمل البيوت ومن ثم المجتمعات فى معظم المستويات حتى الف المثقفون فى عصرنا استخدام العامية واصبحت عندهم لغة اصيلة .

ج — فداحة الجهد المطلوب بذله من العالم العربي المتخصص حين يحاول الحاق لغته بلغة قوم درس فى معاهدهم وعاشت هذه المعاهد فى بيئة علمية واجتماعية متنوقة من النواحي المادية والفنية على بيئة العرب .

واذ تثقل اعباء العالم العربي فى هذا الخصوص فانه يؤثر الدعة ويلتزم لغة القوم الذين اخذ عنهم ما اخذ من المعرفة ثم ان هذا العالم ينشر العلم الذي حصله باللغة الميسرة له وهي لغة اجنبية .

وبالنسبة للسؤال الثاني وهو انه اذا كانت توجد مشاكل تعترض سير اللغة فما هي انجع الحلول فى نظركم ؟

أ — يسترد المثقفون العرب .. ايمانهم باللغة العربية بالدراسة المبكرة والمتصلة فى الوقت ذاته وهذا امر يستلزم وضع المناهج المتصلة والموحدة فى البلاد العربية .

ب — تتراجع اللغة العامية عن المراكز غير الشرعية التي احتلتها باجراءات تملكها الدولة فى المحل الاول .

تشديد الرقابة على اجهزة الاعلام ومعاهد العلم فلا يؤذن باستخدام العامية فى الصحافة (وهذا يحدث من غير شك بمقدار) .

وكذلك استخدامها فى الجامعات والمدارس ونحوها .. ويتراجع استخدامها فى اجهزة الاعلام الاخرى تدريجيا (كالاذاعة بانواعها) .

بعد ذلك تبقى الاسواق والمصالح والمرافق الكبرى وهذه تلاع حصينة للعامية . ومن خير الوسائل لتوهين هذه القلاع .. العناية بالبيت العربي واهم دعائمه الام .

ومن ابسط ما يتعين تقريره هنا .. ضرورة

تعليم القرآن الكريم للبنين والبنات جميعا من المراحل المبكرة - مع المتابعة الى اعلى المستويات .

هذا الكتاب وحده هو الجامع للعرب على لسان واحد وهو المانع من تراجع اللغة الفصحى في المجتمع العربي - وفى هذه الاشارة بدورها ايجاز شديد - ولكن ما وراءها يتضح بالضرورة لكل مهتم بدراسة اللغة العربية .

السؤال الثالث وهو :
هل تصلح اللغة العربية للتدريس الجامعي ؟
وقد اجابت عليه الكلية بالآتي :

ليس فى اللغة اي تصور يحول بينها وبين الابانة الواضحة عن القصد او الدلالة الدقيقة بالحرف على معنى قائم فى الذهن - او صياغة الرمز الدال على شيء له وجود - ومن ثم يكون التعليم الجامعي بهذه اللغة واجبا - وهنا يحسن الاشارة الى تسميين رئيسيين من العلوم : احدهما مجموعة العلوم الانسانية وهذه تتفوق فيها اللغة العربية فى كل وقت حتى فى ازمنة التخلف فى الحضارة المادية وقسم آخر يتألف من الدراسات النظرية والتطبيقية للمواد والطاقات وخصائصها - والظاهرات الكونية - وهذه علوم تجمعية أو تراكمية ... يضاف اليها كثير من الحقائق العلمية فى كل جيل . والذي يضيف المعرفة هو الاقدر على تسميتها . **لذلك لا يكون صوابا قصر الدراسة فى الجامعات على اللغة العربية فى فروع ناشطة دائمة كالطب والهندسة والرياضيات والطبيعة والكيمياء وعلوم النبات والحيوان الخ.**

فى هذه الدراسات كلها تجب العناية بالتدريس باللغة العربية - ولكن ستبقى بعض اللغات الاجنبية فى منزلة اللغة المساعدة للاسباب السالف ذكرها فى المقدمة .

والسؤال الرابع يقول : اذا كانت اللغة العربية صالحة للتدريس والبحث الجامعي فما هي المشاكل التي تعترض الاساتذة وما هي الحلول فى نظركم ؟

واجابت الكلية على ذلك بقولها : ان اهم المشاكل التي تعترض الاستاذ الجامعي فى الجيل الحاضر (من زاوية هذا البحث الخاص ما يلي) :

أ — **تفوق المراجع الاجنبية بمادتها العلمية** والصياغة من حيث الاسلوب وملاءمة اللغة - ومن العسير أن نطالب الاستاذ الذي يخلص فى عمله أن يسقط من الحساب - جملة المراجع الاجنبية التي تتفق فى مستواها مع المستوى العلمي والفني للبيئة التي يعيش فيها المؤلف .

وحين يعتمد الاستاذ العربي على المرجع الاجنبي فانه يتأثر حتما بالاسلوب والمصطلح الذي استحدثه العلماء الاجانب -

وعن الاستاذ العربي يتلقى الطالب العربي -

ب — يزيد من تفاقم هذه المشكلة (وهي أصلا ليست هينة) تلك **القطيعة المذهلة بين الجامعات فى** البلد الواحد بل بين كليات الجامعة الواحدة وغني عن البيان ان التباعد اشد بين جامعات الاقاليم العربية فان وجد التعاون فهو محدود الاثر غير ملتزم بمنهاج وهدف ولا اهمية هذه المشكلة - تلاحظ مثلا أن كتابا معينا فى الاقتصاد او فى المحاسبة او فى الجراحة او فى البترول يقرأ فى عشرات الجامعات الاجنبية ويقرأ أيضا فى اقاليم كثيرة شرقا وغربا - **اما عندنا فى البلاد العربية فالمرجع محلي** - وهذه الحال تمنع من تسخير الموارد وتعبئة الكفايات العلمية لاخراج المراجع الجديدة بالمستويات العالمية - على أن تكون اساسا باللغة العربية مع الاستعانة بالمصطلح الاجنبي حيثما يتعين ذلك . وللتغلب على هذه الصعاب ، وسائل اهمها -

أ — العمل على اصدار المراجع العربية الكبرى التي تصلح للعديد من الكليات والجامعات فمثلا مادة (أصول الاقتصاد) تدرس فى كلية التجارة وفى كلية الحقوق - فى كل الجامعات - وتقرأ أيضا فى كليات العلوم السياسية وغيرها . ولو ان كتابا واحدا (أو عددا من الكتب) صدر عن مجموعة من الاساتذة لكان صالحا للعديد من الكليات والجامعات فى كثير من البلاد العربية .

ان مثل هذا التنظيم يفتح الباب امام الاجادة ثم التفوق فى الترجمة واختيار النقول وشرحها ثم التأليف - ويجعل ثمن الكتاب معقولا والجزاء الذي يعود على المؤلفين مناسبا للجهد الذي يبذلونه .

ب — تحتاج الجامعات وكذلك مراكز البحث ومشروعات الصناعة ودوائر الاعمال ، الى **المجلة المتخصصة** وهذه كبيرة النفقة - ولكنها اداة العصر - وهي فى يد الاستاذ كأجهزة الرصد - وترقب سير الاحداث وتعين على تصور الاتجاهات الصحيحة . وحين تكون المجلة العلمية العربية مقروءة فى البلاد العربية كلها او معظمها - فان التكلفة تهبط نسبيا مع الحرص على المستويات فى ميادين البحث العلمي ومع المتابعة ايضا .

وبخصوص **المجلة العلميــة** يتعين التنبيه الــى انها قد اصبحت مؤخرا من **ادق المؤشرات الدالة على مدى التقدم العلمي والمتابعة** .. وحين ننظر الى المجلة اليابانية مثلا .. (وتاريخها فى الصناعــات وفى البحث العلمي التالي للثورة الصناعية..هو تاريخ تريبب بالقياس الى البلاد القديمة) . نقول بأننا حين ننظر الى المجلة اليابانية نرى بوضوح علامات التقدم الشامل للفكــر والبحث ودقة التعبيــر .. ولا نزاع فى ان المجلــة فى غرب أوربا وفى الولايات المتحدة وكندا قد سبقت الى التفوق .. وفى هذا الخصوص تفصيلات تبعث علــى الاسى .. اذ ان هذه الادوات الاجنبية هــي الوسيلــة الوحيدة (للآن) امام الاستاذ العربي .. لمتابعة العلــم بموارد بلاده .. فضلا عن الدراســات الاخرى التــي تخص البلاد الاجنبية او تتناول العلوم والفنون بوجه عــــام .

السؤال الخامس : المصطلح العلمي يشكل فى نظر الكثيرين اهم مشكلة تعترض نمو اللغة العربية .. فكيف للعالم العربي أن يتخلص من هذه المشكلة ؟

الاجابة : هذا صحيح .. ولمواجهة هذا الاشكال الكبير .. وســائــل اهمها :

1 — اعادة النظر فى امكان الافادة ببعــــض الاجهزة العربية القائمة او الهيئات .. ولنأخذ مثلا من (مجمع اللغة العربية) ولنتساءل كم من اســاتــــذة الجامعات يتصل به أو ينتفع بالدراسات التي تجري فيه والمطبوعات التي تصدر عنه ؟

ثم نتساءل : كم من اساتذة الجامعات يتقدم الى لجان المجمع .. ما عندهم من تسميات اجتهادية .. او من آراء جديرة بالبحث للتمزيج والاقران او للاستبعاد ؟ وبالقياس على هذه الهيئات الموقرة .. لنا ان نتساءل عما اذا كانت الجامعات ومراكز البحث العلمي قــد افادت من الهيئات الكثيرة القائمة فى البلاد العربيــة ام الحــال غيــر ذلك !

ومن اكثر الهيئــات حاجة الى هذه الدراســة بالذات معهد المخطوطات العربية .. مع ان بعث هذه المخطوطات (ولــو تباعــا فى بطء) سيمــد المكتبة العربية بكثير من المصطلحات العلمية الدقيقة .. كمــا حدث بعد دراسة جانب من آثار ابن خلدون ، مثلا : أما المصطلحات المتصلة بالتجربة والتحليل وفلسفــة الطبيعية والفنون التطبيقية .. فان الركــود يخيــم عليها .. والتباعد بين المختصين قائم ..

2 — تنظيم العمل الجماعي فى داخل الجامعة الواحدة ، ثم جامعات الاقليم واخيرا فيمــا بيــن الجامعات ومراكز البحث العلمي والهيئات النظيــرة .. وذلك بعقد اجتماعات دورية تعرض فيها المشكلات وتبحث .. وتصدر بشأنها قرارات امــا بالاعتمــاد او بالاحالة الى جهــة اعلــى من حيث الاختصاص .

وفيما بين الاقاليم العربية يتعين عقد مؤتمرات دورية متباعدة كل سنة أو كل سنتين مثلا . وفى هذه المؤتمرات تنظر المصطلحات التي اقرتها هيئــــة اقليمية .. فان اجازها المؤتمــر اجيزت على مستوى البلاد العربية جملة ..

3 — توثيق الروابط بين هذه الهيئات المحلية فى الاقليم وتلك التي تجمع البلاد العربية من جهة .. وبين المراكــز العلميــة الاجنبية المشتغلة بدراسة اللغات الشرقية بوجه عام واللغة العربية بوجه خاص .

ومن هذا الاتصال خارج نطاق البلاد العربية .. يكون التمهيد لاخراج المصطلح العلمي العربي عــــن دائــرة البلاد العربية ..

ومن حيث أن هذه البلاد (فى حاضرها) لا تــزال متخلفة فى امور اشرنا اليها فى المقدمة .. فسيكون اثر هذا الاتصال بالعالم الخارجــي .. محدودا ولكنهــا بدايـــة .

وعن هذه الاجتماعات الدوريــة والمؤتمرات .. تصدر مطبوعات جديرة بالعناية التامة .

4 — اذا اعتبرنا هذه المطبوعات (المشار اليها فى البند السابق مباشرة) مسودات صالحــة فانهــا تكون نواة لمجلة المصطلحات العلمية العربية.. وللمعاجم المتخصصة ولدائرة المعارف المتخصصة ايضا .

وهذه كلها ادوات للبحث العلمي ، وفيــرة فى اللغات الاجنبية .. **نادرة عندنا .. لا بسبب عجز اللغة.. بل بسبب البطء فى الحركة والفرقة بين العرب ..**

كليــة التربيــة

كما افادت كلية التربيــة بمــا يلــي !

ان اللغة العربية لغة حية تستطيع التعبير عــن التطورات العلمية والتغييرات الاجتماعية فى شتــى مناحي الحياة نظرا لما فيها من اتساع فى الاشتقــاق وغنى فى الالفاظ ولكنها اليوم **تواجه ظروفا لا دخــل للغة العربية فيها تقف حائلا دون قيامها بهذه الوظيفة**

الاجتماعية الخطيرة ، وربما كانت مسؤولية المشتغلين بها والقائمين عليها اكبر من ان تصور ، فقد استطاعت ان تحمل الفكر الانساني جيلا بعد جيل فى صفاء وعمق . **فاللغة العربية لا تنقصها القوة الذاتية التي تجعل منها لغة عالمية** تتعدى حدود مناطقها من المحيط الى الخليج الى آفاق ابعد وبقاع أرحب ولكن اهل اللغة لم يحاولوا أن يحققوا لها ذاتيتها التي كانت. ولهذا ترى الكلية أن من المشكلات التي تعترض سير اللغة العربية وتحد من انتشارها مردود الى :

أ — **نقص فى الادوات والوسائل** مثل الكتب المؤلفة والاشرطة والتسجيلات التي تساعد فى تعلم هذه اللغة لغير الناطقين بها .

ب — عدم اهتمام الدول العربية مجتمعة بانشاء المعاهد والمؤسسات التي تقوم **بتعليم اللغة العربية فى البلاد الاجنبية** وخاصة البلاد التي يسمح تاريخها ودينها بانشاء مثل هذه المعاهد والمؤسسات.

جـ — عدم اهتمام الاذاعة ووسائل الاعلام فى تدريس هذه اللغة لاهل تلك البلاد .

د — الكتاب العربي والثقافة العربية لم تنل الاهتمام المطلوب والعناية اللازمة لنشرها فى الاسواق العالمية .

هـ — ان اللغة العربية لا تزال حتى اليوم وربما بصورة اشد هذه الايام تلقى تعنتا وتصادف حربا من الدول الاستعمارية أو ان اللغة العربية أصبحت ترتبط اليوم بمفاهيم الحرية لكل المجتمعات .

و — المحاولات لتذليل صعوبات هذه اللغة وتطويرها وجعلها لغة عالمية متطورة من ناحية طريقة الكتابة والقواعد لا تزال قليلة .

ز — المصطلحات العلمية وخاصة فى ميادين العلوم الطبيعية والبيولوجية والاجتماعية وميادين الفنون التطبيقية لا تزال قليلة ولا يزال كثير من الاساتذة فى دور العلم والثقافة يستعملون المصطلحات الاجنبية (لعدم وجود ما يقابلها باللغة العربية) . لكل ما تقدم تقترح الكلية حلا لكل المشكلات ووضع اللغة العربية فى مكانتها اللائقة بها بما يأتي :

أ — ان تزداد العناية **باعداد المتخصصين فى تعليم اللغة العربية** لغير الناطقين بها عن طريق انشاء المعاهد المتخصصة فى هذا المجال .

ب — تاليف لجان من المتخصصين فى تعليم اللغة العربية وفى تعليم اللغات الاجنبية الحديثة **لتاليف الكتب ووضع البرامج التعليمية والاشرطة والتسجيلات والافلام** وما الى ذلك .

جـ — انشاء المعاهد التي تقوم بتعليم اللغة العربية وتشجيع الاذاعة بتقديم البرامج لتعليم هذه اللغة باللغة الاجنبية وحث دور النشر على الاهتمام بتوزيع الكتاب العربي .

د — ان تهتم الدول العربية مجتمعة بفتح **مراكز للثقافة** والوقوف امام التيارات الاستعمارية المضادة لتعليم اللغة العربية فى الدول الحديثة والحديثة الاستقلال .

هـ — **ترجمة الدراسات والبحوث التي تهتم** باللغة العربية فى ميادين مختلفة الى اللغات الاجنبية لتكون فى متناول غير المتكلمين بالعربية ولتكون وسيلة تعارف للثقافة العربية المعاصرة وتجميع الدراسة النظرية والمحاولات العملية التي تمت لتيسير كتابة اللغة العربية وتعرض على لجنة لدراستها والوصول فيها الى قرارات نهائية كذلك يحتاج الامر الى عقد **مؤتمر للنحو العربي** لوضع قواعد تضبط نظام الجملة المعاصرة .

تجميع المصطلحات العلمية التي ترجمت من المؤلفات والمجلات والمجامع وغيرها عن طريق اللجان والمؤتمرات .

اما بالنسبة للتدريس فى الجامعات باللغة العربية فان ذلك لا يعجزها فهي كذلك بالفعل فى كثير من جامعات الامة العربية .

كما ينبغي أن تباح للاساتذة والطلبة القراءة فى ميادينها وفى الادب المعاصر وان تتوفر لهم الفرص للتعبير باللغة العربية .

كلية الزراعة :

وقد أفادت كلية الزراعة بالآتي :

أ — انتشرت اللغات الاجنبية فى معظم الدول التي عاشت لمدة طويلة تحت نير الاستعمار ولم تحرر معظم هذه الدول الا حديثا بعد الحركات التحررية الاخيرة .

ب — الحلول ستفرض نفسها لان الدول الصديقة والاسيوية والافريقية ولاسيما الحديثة التحرر منها تستعين بالجمهورية العربية المتحدة من مدرسين وفنيين ومستشارين وهؤلاء كفيلون بنشر اللغة .

جـ ــ تطلح اللغة العربية للتدريس الجامعي .

د ــ اهم المشاكل التي تعترض الاساتذة فى التدريس والبحث هي قلة المراجع العربية ويجب التوسع فى الترجمة والتعريب والتاليف . كما ينبغي العناية بتدريس اللغات الاجنبيةلاسيما لطلبة البحوث.

هـ ــ لابد من عقد لجان تضم مختلف المشتغلين بكل فرع من فروع العلم لتوحيد المصطلحات قبل الانطلاق فى طريق الترجمة والتعريب والتاليف .

كليـة الطب :

كما افادت كلية الطب بالآتي :

ا ــ وضع المصطلحات الطبية الكاملة للشيء الذي لم يتممه المجمع اللغوي .

ب ــ تاليف المراجع المناسبة لمرحلتي البكالوريوس وما بعده .

جـ ــ تكوين **مكتبة الخلاصات العلمية** للبحوث باللغة العربية .

د ــ تكوين المكتبة العلمية للترجمة للكتب التي تختار للتدريس من المؤلفات الاجنبية .

هـ ــ اللغة العربية تصلح للتدريس بالجامعة فى المواد ذات التطبيق العملي العام كالطب الشرعي والصحة العامة اما بقية المواد فترى الكلية تاجيل التدريس فيها باللغة العربية لحين توزيع ما تم من مصطلحات عربية على جميع اعضاء هيئة التدريس بالجامعات .

و ــ تشجيع حركة التعريب للكتب المنتقاة مع اختيار المراجعين الثقاة من رجال الجامعات .

كليـة العلـوم :

وافادت كلية العلوم بالآتي :

1) بأن عدم انتشار اللغة العربية بسرعة فى العالم كونها لغة غير عالمية ــ **عدم وجود مراجع عربية كافية** فى نواحي العلوم المختلفة .

2) فى خصوص انجع الحلول للمشاكل التي تعترض سير اللغة العربية يجب اهتمام الدول العربية بالتعليم والنهوض بالبحوث حتى اذا ما كانت نتائج البحوث لافتة لنظر العالم اضطر للاهتمام بلغة هذه البحوث .

3) اللغة العربية تصلح للتدريس الجامعي اذا ما توافرت المراجع وخاصة فى المراحل الاولى من التعليم الجامعي ثم تمتد الى غيرها من المراحل .

4) ان المشاكل التي تعترض الاساتذة فى تدريس اللغة العربية تكمن فى **عدم وجود المراجع والقواميس اللازمة** .

5) المصطلح العلمي يشكل فى نظر الكثيرين اهم مشكلة تعترض نمو اللغة العربية ، فكيف يتخلص العالم العربي من هذه المشكلة ؟

الجواب انه **لا مانع من ان ينكر الاستاذ المصطلح الاجنبي مع تعريبه** حتى يتمكن الطالب من الاطلاع على الكتب والمراجع الاجنبية .

كليـة المعلمين :

ويتلخص رد كلية المعلمين فى الآتي :

1 ــ ان اهم عامل يعوق سير اللغة العربية وانتشارها فى العالم هو **عدم وجود ارساليات تعليمية** للدول العربية فى دول العالم غير العربي وهذا راجع الى **ضعف المركز السياسي** الذي فرضه الاستعمار على الدول العربية .

2 ــ ونظرا لان الدول العربية قد تخلصت من السيادة الاجنبية فان انجح وسيلة لانتشار اللغة العربية فى العالم هو قيام الجامعة العربية بافتتاح ارساليات لتعليم اللغة هذا الى جانب السفارات والقنصليات العربية فى سائر بقاع العالم وتزويد هذه الارساليات بالاساتذة والمراجع .

3 ــ تصلح اللغة العربية للتدريس فى الجامعات

4 ــ والمشكلة التي تعترض التدريس باللغة العربية فى الجامعات يمكن التغلب عليها وذلك **بتعريب الكتب العلمية والمصطلحات** ومثل هذه المشكلة قد صادفت العرب فى العصر العباسي ولم يقفوا امامها بل تغلبوا عليها بالتعريب والاشتقاق .

5 ــ اما عن مشكلة المصطلح العلمي وكيف يمكن جعله عربيا ؟

فالملاحظة أن تعريب المصطلحات العلمية يحتاج الى دقة حتى يؤدي اللفظ العربي ما يقصد من المصطلح الاجنبي ، ويقوم الآن اساتذة الرياضة والعلوم الطبيعية وغيرها بترجمات اجتهادية ــ وقد تختلف هذه الترجمات من استاذ لاستاذ وقد يؤدي

هذا الى اختلاف فى المعنى . لذلك يجب **وضع نظـام شامل لتوحيد تعريب هذه المصطلحات** ، ولاشـك ان المجمع اللغوي يقوم بهذه المهمـة .

واوصت بقيام **هيئة تشرف على التعريـب** بعقد اجتماعات دورية تستعرض ما وصل اليـه الاساتذة والاختصاصيون . وبذلك يمكن التخلص من الخلط فى تعريب المصطلحات ومن **بطء عمل المجمـع اللغـوي** .

كليـة البنـات :

افادت كلية البنات بآراء السادة الاساتذة كما يأتـي :

ان عدم انتشار اللغة العربية فى العالـم والمشاكل التي تواجهها هـي **عـدم وضع طريقـة جديدة مبسطة لتدريس اللغة للاجانب** وعدم وجـود معاهد فى البلاد الاجنبية تتبع المراكز الثقافية ــ طريقة ترتيب الجملة بالوراثة .

وأما عن صلاحية اللغة العربيـة للتدريـس فى الجامعة فالكل اجاب على صلاحيتها ولكن البعـض تحفظ بقوله **انها تصلح للتدريس ولا تصلح للبحـث** لانها لغة شعوب هذه الدول .

لعدم وجود المراجع العلمية او القواميس وعدم توافر المراجع المترجمة والبعض اقترح ان يبقى المصطلـح باللغة اللاتينية والبعض ابدى أن تبقى اللغة الاجنبية كلغة مساعدة .

وعن المشكلات التي تعترض الاساتذة وكذلك نمو اللغة وانتشارها فى العالم فهي **مشكلة المعجم العلمي والمصطلحات** وايجاد مقررات علمية عربية للمصطلح العلمي ولا يمكن القول بأن اللغة العربية عاجزة عـن أن تساير التطور العلمي . فالتاريخ يحدث عمـا شهدته اللغة العربية على استيعاب كل العلـوم والثقافات فى حركة الترجمـة المشهورة التي عربت تراث العلوم والفكر ومنها الطب والهندسة والفلـك والرياضيات وبين ذلك من استقراء تراث علمـاء العرب فى عصر النهضة الانسانية الذين كتبوا مباحثهم ومؤلفاتهم بالعربية امثال : ابن الهيثم ، والخوارزمي ، والبيروني ، وابن سينا والكندي وابن رشد وابـن النفيس ، وابن البيطار .

والموضوع يحتاج الى **عقد حلقات دراسيـة جامعة لمشكلة المعجم العربي** يشترك فيها فقهاء اللغة واساتذة العلوم على مستوى الدول العربية لدراسة ابعاد المشكلة والنظر فى ايجاد حلول حاسمة لمسالـة المعاجم اللغويـة واشخاص العلماء .

كما ذكرت الدكتورة بنت الشاطىء بأنه سبـق أن دعت منظمة اليونسكو الى عقد **مؤتمر من الخبراء** تعرض عليه حركة تجديد اللغة العربية التي يجب ان تصلح للتعبير عن حاجات الحياة الحديثة وتصلـح للتعليم العالي . وكان ذلك عام 1951 وبعد خمسـة عشر عاما من ذلك المؤتمر اصبحنا نواجه المشكلـة ونرى أنه يجب عقد حلقات لدراسة هذه المشكلـة وبحثها على نطاق الوطن العربي افضل من بحثها فى مؤتمـر دولي **والمكتب الدائم لتنسيق التعـريب اهل لان يشرف على هذه الحلقات ومتابعة ما تنتهي اليه من مقترحات كيلا يكون مصيرها كمصير مقترحـات (مؤتمر توحيـد المصطلحات العلمية الـذي عقد فى الجزائر سنـة 1964)** .

تشجيع البحث العلمي

عامل جوهري في النهوض باللغة العربية

وكيل جامعة الرياض

(المملكة السعودية)

يسرني ان اشير بأنني بعد بحث الموضوع مع الكليات المختلفة وجدت انها ترى نشر لغة ما خارج وطنها لا يتم بطريقة قسرية او اصطناعية اذ لن يتعلم احد لغة غير لغته ما لم يشعر بحاجته اليها لاكتشاف المعارف العلمية الجديدة التي لا تتوفر فى لغته ولكي تصبح اللغة العربية لغة عامة وعالمية يجب ان تشجع الدول العربية البحث العلمي العربي والقائمين عليه ماديا ومعنويا لكي يبرز من الامة علماء نطاحل يقدمون للعلم وللعالم شيئا جديدا يهم العلماء الاجانب الاطلاع عليه .

واعتقاد البعض بأن صعوبة اللغة العربية هي العائق امام انتشارها فى العالم ، لا اساس له من الصحة ، فاللغة الالمانية واللغة الروسية على سبيل المثال اصعب منها ولكنها اكثر انتشارا لما يقدمه علماؤها من بحوث علمية تهم العالم .

اما عن تبسيط اللغة العربية فى موطنها وحذف شواذها وتسهيل كتابتها فلعله امر اهميته مقصورة على تعليم النشء العربي لغته بسرعة أكبر .

واما عن صلاحية اللغة العربية للتعليم الجامعي فهو امر لا مجال للتشكك فيه فهي فى الواقع لغة التدريس فى معظم كليات الجامعات العربية . وهي بطبيعتها طيعة قابلة للتكيف ، وحتى الكليات العلمية تدرس مواد كثيرة باللغة العربية مع الاستعانة بالمصطلحات العلمية الاجنبية .

وذكر المصطلح العلمي باللغة الاجنبية الى جانب اسمه باللغة العربية أمر ضروري وهام ليسهل على الطلاب العرب تفهم المصادر الاجنبية والواقع أننا لا نعتقد ان المصطلح العلمي هو أهم مشكلة تعترض نمو اللغة العربية ، اذ ان توحيد المصطلحات العلمية باللغة العربية امر قائم بالفعل وسوف يصبح أمرا ميسورا عندما تكثر الابحاث باللغة العربية وينشر العلماء العرب آراءهم فى المجلات والمؤتمرات العالمية .

جامعة أسيوط تقول :

العيب في الباحثين العرب لا في اللغة العربية

للدكتور عبد الوهاب البرلس
- وكيل الجامعة -

وصلنا من حضرة وكيل جامعة اسيوط الخطاب الآتي :

« اني اشكركم على خطابكم الخاص بالتعريب وارجو لكم وللمكتب كل توفيق . ويسرني ان ارفق خلاصة لرايي فى هذا الموضوع تاركا موضوع انتشار اللغة العربية نفسه لمن هو اقدر مني على بحث هذا الموضوع »

ج 3 — تصلح اللغة العربية قطعا للتعليم الجامعي بل هي اللغة المستعملة فى التعليم الجامعي فى الجمهورية العربية المتحدة وهناك المئات من المؤلفات والمراجع لطلاب جامعات الجمهورية باللغة العربية وضعها الاساتذة المصريون وتجيز لوائح الجامعات التعليم بلغة اخرى بعض المقررات حسبما يقرر مجلس الجامعة واللغة الاخرى التي تستعمل فى التعليم الجامعي فى بعض المجالات هي اللغة الانجليزية وتستعمل فقط فى الدراسات الطبية الا ان معظم الشرح العملي فى قاعات المرضى يجري ايضا باللغة العربية ولكن استعمال اللغة الانجليزية وبهذا الشكل المحدود سببه بعض صعوبات المصطلحات كما سياتي ذكره .

ج 4 — مشاكل استعمال اللغة العربية — فى بعض المجالات — للتدريس الجامعي :

يقع العيب فى ذلك علينا نحن الباحثين والاساتذة وليس على اللغة فلكي تستعمل اللغة فى التدريس وفى العلم يجب ان يكون هنالك رصيد من البحوث والمؤلفات منشور بهذه اللغة مما يدفع اهل العلم للبحث والاطلاع فى هذه المراجع ولن يتيسر للتعليم الطبي باللغة العربية ان يساير التقدم العلمي العالمي قبل ان تنتشر حركة التاليف باللغة العربية والترجمة والاختصار من اللغات العلمية العالمية — وخاصة الانجليزية الى اللغة العربية ثم اتقان الاساتذة انفسهم للغات الاجنبية حتى يقراوا ويترجموا ويؤلفوا ويحضروا المؤتمرات ويشاركوا مشاركة فعالة فى الشهرة العلمية العالمية .

ج 5 — لعل غيري اقدر على الخوض فى هذه المشكلة ولكني أرى انه اذا اخذ بالتوصية السابقة فانه يمكن خلال مرحلة الانتقال استعمال المصطلح اللاتيني المتعارف بجانب المصطلح العربي حتى لا يكون هناك خلاف علمي على المدلول .

وعلاوة على ذلك اعتقد ان مجمع اللغة العربية يبذل جهدا كبيرا فى التعريب ولعل الجهود توحد فى نطاق جامعة الدول العربية .

وجوب الاهتمام بتعريب جميع مظاهر الحياة العربية مع رفع مستوى الكتاب العلمي الى مصاف الانتاج التقني الانساني

جامعة الكويت

وصلتنا من جامعة الكويت الموقرة الاجوبة عن الاستفتاء والمجلة جاهزة للطبع فلم ندرجها فى ندوة الاستفتاء . وهاكم هذه الاجوبة :

1 — اللغة ، باعتبارها اهم مقومات الامة ، كانت هدفا يسعى المستعمرون للبلاد العربية الى النيل منه وتحطيمه . وقد نجح المستعمر الى حد كبير فى تحقيق هذا الغرض الخبيث فى بعض البلاد العربية. وبذلك خلف فى هذه البلاد جانبا كبيرا من المشاكل التى تعترض ازدهار اللغة وانتشارها .

2 — تضاؤل الايمان بثراء اللغة العربية لدى كثير من العرب ، وتصور هؤلاء ان العربية قاصرة عن اللحاق بركب الحضارة الحديثة وتطورها .

3 — العيوب الفنية فى طريقة كتابة احرف اللغة العربية ، وفى مدى تطابق نطق الكلمة مع الحروف المكتوبة ،، وحاجة الناطق الى تشكيل الكلمة المكتوبة

4 — عجز العرب حتى الآن على الاتفاق على اصلح طريقة لتدريس اللغة العربية وتوحيد هذه الطريقة فى البلاد العربية .

5 — صعوبة تفهم ابناء البلد العربي للغة التخاطب لدى ابناء بلد عربي آخر ، لتباين اللهجات المحلية وبعدها عن اللغة العربية السليمة .

6 — مشكلة المصطلح العلمي ، تبسيطه ، وتوحيده ، وتيسير نشره فى معاجم علمية ، والالتزام به عند التدريس بالمدارس والجامعات فى البلاد العربية .

ب — نرى قبل ان نسعى الى نشر اللغة العربية على الصعيد العالمي ، ان نبدأ بتدعيمها وازدهارها داخل البلاد العربية . ولتحقيق ذلك نقترح ما يلي :

1 — اعادة وضع احرف اللغة العربية يكتب الحرف الواحد باقل عدد ممكن من الاشكال .

2 — كتابة الكلمات حسب النطق بها .

3 — توحيد طريقة تدريس اللغة فى البلاد العربية .

4 — توحيد لغة التخاطب فى البلاد العربية، ومحاولة التقريب بين اللهجات العامية واللغة العربية الفصحى .

5 — تجنب التقعر فى اللغة وتوخي البساطة والسلاسة فى لغة التاليف والنشر ووسائل الاعلام .

6 — العمل على ان يكون التدريس فى الجامعات باللغة العربية .

7 — العناية بتعليم الامهات وتوعيتهن لدورهن الهام فى توجيه ابنائهن وتنفيرهم من تداول الكلمات غير العربية .

8 — نشر الوعي القومي فى البلاد العربية لابراز اهمية ازدهار اللغة فى حاضرنا ومستقبلنا .

ثانيا : للعمل على انتشار اللغة العربية خارج البلاد العربية نقترح ما يلي :

1 — تاليف كتب مبسطة ومختصرة لتعليم اللغة (على غرار كتب : Teach Yourself

تتناسب كل منها مع البلد الذي سينشر فيه الكتاب .

2 — اعادة كتابة المصحف الكريم بأحرف مبسطة ومطابقة لنطق الكلمات ، وتوزيع هذه المصاحف فى البلاد الاسلامية .

3 — انشاء مدارس عربية فى بعض البلاد الاسلامية والنامية .

4 — الاهتمام بلغة حوار الفيلم العربي سواء فى السينما او فى التلفزيون ، والعمل على سعة تصديره الى خارج البلاد العربية .

5 — ان تكون اللغة العربية هي لغة التراسل مع الخارج لدى الجهات الحكومية والهيئات والمؤسسات العامة والشركات .

6 — العمل على الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية لدى هيئة الامم والمحافل الدولية .

ج — نعم تصلح ، وكثير من المناهج العلمية تدرس الآن فى بعض الجامعات باللغة العربية .

د — فيما يلي نوجز المشاكل المذكورة ، ونسوق معها مقترحاتنا فى حلولها :

1 — مشكلة المصطلح العلمي ، وسوف نعود الى الكلام عنها عند الاجابة على السؤال الخامس من الاستفتاء .

2 — النقص الواضح فى المؤلفات والمراجع العلمية الحديثة ، وفى هذا الصدد نقترح ما يلي :

ا — ان تقوم الجامعة العربية بالتشجيع والاشراف على نشر المؤلفات العلمية الصالحة لتغطية المناهج التي يكون قد سبق توحيدها فى البلاد العربية .

ب — أن تسخو الدول فى تشجيع حركة تأليف المراجع العلمية وترجمتها وتعريبها .

3 — تنظيم نشر الابحاث العلمية ، ونقترح تركيز هذا النشر فى العالم العربي فى مجلة دورية واحدة لكل فرع من فروع العلم ، بحيث تتوخى الدقة فى فحص ما يقبل للنشر فى هذه الدوريات ، ارتفاعا بها الى مستوى الدوريات العالمية ذات السمعة الوطيدة ، وان يذيل كل بحث بخلاصة وافية مكتوبة بثلاث لغات حية غير العربية .

هـ — فى عصر النهضة الاسلامية عندما بهر الانتاج العلمي العربي انظار اوربا والعالم اجمع حتى كاد لألاؤه ان يحجب من ورائه الامجاد السياسية والاقتصادية التي حققها العرب فى هذا العصر ، اقترنت الكشوف العلمية العربية بوضع الكثير من المصطلحات العلمية التي كانت فى زمنها وما تلاه فى زمن النهضة الاوروبية المرجع الاول لعلماء أوروبا ، بل ان منهم من لم يكن يتصور ان لغة من اللغات اللاتينية يمكن ان تكون لغة عالمية تستطيع ان تضارع اللغة العربية فىتزويدهاللعالم بالمصطلحات التي يتطلبها كل كشف جديد .

ثم حلت النكسة ، ورزح العرب قرونا طوالا تحت اثقال التخلف الاقتصادي والسياسي، وتحت تأثير حاكم الاستعمار ، فكان التخلف العلمي نتيجة حتمية لمثل هذه الظروف . والتدهور الظاهري الذي تعانيه اللغة العربية حاليا فى ميدان العلم ومصطلحاته ليس الا اثرا مؤقتا مترتبا على ظروف النكسة ، المنصرمة .

فاللغة فى كل عصر هي مرآة صادقة تنعكس عليها ظروف الامة ،، انكماشا او انتشارا ، تخلفا او ازدهارا .

ومشكلة المصطلح العلمي الحديث يجب ان نوليها موفور اهتمامنا وعنايتنا . ونقترح بصددها ما يلي :

1 — تشكيل هيئة دائمة على مستوى الجامعة العربية تكون مقرراتها نافذة فى جميع الدول العربية .

2 — ان تعقد اللجنة مؤتمرا يضم رجال العلم واللغة للاتفاق على قواعد مبسطة فى تعريب المصطلحات العلمية . وفى هذا الصدد نقترح أن يكون منطوق المصطلح العلمي قريبا من منطوق المصطلح العالمي ، الا فى الحالات التي رسخ فيها مصطلح مبسط (مثل الذرة والنواة ...) وموحدا لدى جميع العرب ، وخاصة اذا كان يرجع الى اصل لغوي عربي واضح الصلة بمعنى المصطلح .

3 — ان تجمع اللجنة المصطلحات العلمية قديمها وحديثها ، وان تصنفها وتأخذ رأي المختصين فى تعريبها .

4 — ان تضع اللجنة معجما علميا مصورا شاملا للمصطلحات التي اتفق عليها من قبل المختصين ، وان يكون المعجم مبوبا ومفهرسا ، وان يوزع على نطاق واسع .

5 — ان تتابع اللجنة وضع ما يجد من مصطلحات ، وان تصدر بها نشرات دورية تمهيدا لضمها الى المعجم فى طبعاته الجديدة .

العناية بالمعلم والكتاب العربي وسيلة لإنهاض اللغة العربية

فتح معاهد في الخارج وسيلة لنشرها

الأستاذ محمود الجومرد

وزارة التربيـــة (بغـــداد)

1 — اعتقد بعد تجربة طويلة — بأن مشكلة اللغة العربية هي مشكلة وجود المعلم اللائق والكتاب المناسب ، ومهما قيل عن صعوبة اللغة وصعوبة درسها ، فان تلك الاقوال تصدر اعتباطا بدون دراسة وفهم لواقع اللغة العربية وخصائصها .

اما المشاكل التي تحد من انتشارها بسرعة في العالم فهي اهمال الدول العربية ومعها الجامعة العربية نشر اللغة وتجاهلها الاثر النفسي — السيكولوجي — في المتعلمين وبخاصة في الدول الاسلامية غير العربية .

2 — ان انجع الحلول لهذه المشكلة يمكن ان تلخص فيما يلي :

1) ضرورة العناية بمعلم اللغة العربية في دور المعلمين وكليات المعلمين في الدول العربية ، ومن الواجب ان نعد معلم المدرسة الابتدائية اعدادا خاصا ، لان بعض الدول العربية لا تهتم بهذا ، ويعتقد المسؤولون فيها بأن معلم المدرسة الابتدائية يصلح لكل شيء متجاهلين ان الذي لا يتذوق الادب ولا يطلع على حضارة العرب الفكرية والعلمية والادبية لا يصلح لغرس الذوق الادبي في نفوس الناشئة ولا يربي جيلا حضاريا يعتز بتراثه وبماضيه وحاضره . وحبذا لو تبنت الجامعة العربية هذه الفكرة والزمت الدول العربية باعداد معلم اللغة العربية اعدادا صحيحا كما تفعل الدول الحية .

2) الكتاب المدرسي هو الوسيلة للوصول الى الهدف ، فاذا كانت الوسيلة قديمة هزيلة معقدة ، ازدادت المشقة وطال الزمن وبعد الهدف وشتان بين عربة قديمة وطيارة حديثة تسابق الصوت مع راحة وامن وسلامة !!

لذلك تجب العناية الدائمة بالكتاب المدرسي ، وقد اغفلت بعض الدول العربية هذه الحقيقة مع الاسف الشديد !!

3) للبلاد العربية سفارات وقنصليات في شتى انحاء العالم ، وللجامعة العربية مكاتب موزعة في بعض البلدان ، والمفروض في الدول العربية والجامعة ان تنتبه الى الناحية — السيكولوجية — النفسية والى قيمة انتشار اللغة التي هي اداة التعبير والتفكير كوسيلة من وسائل الدعاية الناجحة. فلو قامت هذه السفارات بفتح (معاهد ثقافية) لتعليم اللغة العربية — وهذا ما نجده في السفارات الاجنبية في شتى عواصم الدول العربية — لاستطاعت أن تجلب عددا كبيرا من المثقفين الاجانب الى دراسة اللغة العربية ، ففي (بغداد) مثلا معاهد لتعليم اللغة الالمانية والفرنسية والانجليزية والروسية وكلها تابعة لسفارات دولها .

ونحن لا نطمع في نشر اللغة العربية في الدول الكبيرة ، لانها — في الوقت الحاضر لا تصلح لان تكون مصدرا للعيش والرزق كبقية اللغات الحية ، ولكننا نطمح في نشرها بين الطبقات المثقفة في العالم .

اما الدول الاسلامية غير العربية فلها علينا واجبات : اولهما ديني ، وثانيهما : حضاري .

اما الواجب الديني فان الدين الاسلامي يقترن باللغة العربية ولا يمكن التثقف ومعرفة شعائره وانظمته ما لم يدرس المسلم اللغة العربية . والدول الاسلامية غير العربية تفتقر كثيرا الى معرفة حقائق الدين الاسلامي عن طريق اللغة العربية ، وانا اعرف مثلا : ان تفسير القرآن في (نيجيريا) يكون باللغة الانجليزية ، وهذا البلد الذي يزيد عدد المسلمين فيه على (عشرة

ملايين لا يعرف من اللغة العربية شيئا ، ومثلــــه الباكستان وتركيا وايران والسنغال والصومال الخ.. فحرصا على الدين وعلى عـدم التلاعب بمقدساتــه أصبح من واجب الدول العربية والجامعة الاهتمــام بنشر اللغة العربيـــة .

وأما الواجب الحضاري فان نشر الدين الاسلامي وتعليم اللغة العربية يطلع المسلمين غير العرب على حضارة العرب والمسلمين ، وبذلك يزداد شوق ابناء هذه الشعوب الى اللغة والى الدين الاسلامي الذي جمع الشعوب والقبائل وصبهـا فى قالب انساني واحــد .

لذلك فان واجب الدول العربية والجامعة العربية الاكثار من فتح هذه (المعاهد الثقافية) فى الــدول الاسلامية خاصة ، شريطة أن تكون اهدافها علميــة بحتــا مخافــة ابتعاد الناس عنهــا اذا ما اختلطت بالسياسة وخرجت عن اغراضها !!

وقد قمت انـا وزميلي الاستاذ (سليم حكيـم) بتنظيم ثلاث كراسات لتعليم الخط العربي لغير العرب واتبعنا فى تنظيمها طريقة (الخط الهندسي) الذي اوجده (اخوان الصفا) واتفقنا مع شركة (نلسون) الانجليزية على طبعها وتوزيعها وستوزع لاول مرة فى (نيجريا) الشمالية قريبا ، وهكذا استطعنــا ان ندخل اللغــة العربية فى قوائم اللغات الحية التي توزع فى دول ما وراء البحــار .

3 — ان العقبة التي تجعل اللغة العربية غير صالحة — فى الوقت الحاضر — للتدريس الجامعي هي : الاستــاذ والكتــاب .

فجهل بعض الاساتذة باللغة العربية وبالتحدث بلغــة فصحى سليمــة بطلاقة ووضوح ، وصعوبة الترجمة بالنسبة لبعضهم ، وســوء طبــع الكتــب الجامعية وغلاء سعرها بسبب جهل عمال الطباعــة ورداءة المطابع فى البلاد العربية ، كل هذا يجعـــل اساتذة الجامعة يتجهون نحو الكتب الاجنبية ويجبرون طلابهم على دراستها وان كانوا ضعفاء فى اللغة التي يدرسون بهــا .

واذا كانت اللغة العربية صالحة للتدريس والبحث الجامعي ، ما هي المشاكل التي تعترض الاســاتــذة وما هي الحلول فى نظركم ؟

4 — ان الحل الوحيد للمشاكل التي تعترض الاساتذة فى تدريس التعليم الجامعي هو تأسيــس مطبعة كبيرة علمية على حساب الجامعة العربيـــة وتشترك فيها بقية الدول العربية ، لان الكتب الطبية والعلمية الدقيقة التي تصلح للتدريس فى هذا العصر لا يمكن ترجمتها وطبعها فى المطابع العربية الموجودة ، ولــو وجـــدت المطبعـــة الدقيقة لمــا رغب كثير مــن الاساتذة والطلاب فى استعمال اللغة الاجنبية !!

والجامعة العربية يجب ان تنتبه الى هــــذه المشكلة ؛ ولديها المال الكثير الذي يصرف فى امــور اخرى ، وحبذا لو اثرتم هذه الفكرة وكنتم انتم الدافع اليهــا .

5 — ان مشكلة المصطلحات العلمية الاجنبية واستعمال الغريب (الاعجمي) شغلت كل الباحثيـــن اللغويين منذ نشوء التدوين — عند العرب — فى اواخر القرن الثاني واوائل القرن الثالث الهجري مثــل : ابو عبيدة (المتوفى سنة 209 هـ) والاصمعي (المتوفى سنة 210هـ) وابو زيد الانصاري (المتوفى سنة 215هـ) وغيرهم من علماء اللغة .

واول غريب بحثوا فيه هو غريب القرآن الكريم، ففي القرآن كلمات غريبة من لغات عديدة :

1) السريانيــة : مثل : طه اليـم ، الطور ، الربانيــون .
2) الرومية : مثل : الصــراط ، القسطــاس ، الفردوس .
3) الحبشية : مثل : المشكاة ، كفليــن .
4) الحورانيــة : مثل : هيت لــك

فذهب بعضهم الى انها من لغــات العجــم ، وذهب البعض الآخر الى انها عربية بدليل قوله تعالى (انا انزلناه قرآنــا عربيا) .

وهناك أصح المجتهدين الذين يعول عليهم وهو أبو عبيدة (المتوفى سنة 209هـ) يقول : (والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعا ، وذلك أن هذه الحروف اصولها اعجمية كما يقول الفقهاء ، الا انها سقطت الى العرب فاعربتها بالسنتها وحولتهــا عن الفاظ العجم الى الفاظها فصارت عربية ، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب ، فمن قال انها عربية فهو صادق ومن قال اعجمية فهــو صادق) .

ونحن لو رجعنا الى آراء العلماء الذين تحدثوا فى الغريب والدخيل لذهبنا مذاهب شتــى ، ولكــن الاجتهاد مقبول فى الماضي والحاضــر .

ولعل خير من عالج هذا الموضوع هو اللغــوي

والنحوي الشهير (ابن جني) المتوفى سنة 392هـ في كتابه (الخصائص) فقد افرد له بابا خاصا اسماه : (باب : في ان ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب) يقول فيه : (هذا موضع شريف ، واكثر الناس يضعف عن احتماله لغموضه ولطفه ، والمنفعة به عامة والتساند اليه مقو ومجد ، وقد نص أبو عثمان عليه فقال : ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب !

وقال ابو علي : اذا قلت : طاب الخشكنان ، فهذا من كلام العرب لانك باعرابك اياه قد ادخلته في كلام العرب .

ويؤكد هذا عندك ان ما اعرب من اجناس الاعجمية قد اجرته العرب مجرى اصول كلامها ، الا تراهم يصرفون من العلم نحو : آجر وابريسم وفرند وفيروزج ، وجميع ما تدخله لام التعريف ؟؟)

ولم يكتف ابن جني بذلك بل ذكر في الجزء الثاني من كتابه (الخصائص) بابا خاصا اسماه : (باب في شجاعة العربية) ، ويقصد فيه ما يجري في الكلمات العربية من (الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والحمل على المعنى والتحريف) لتسهيل اللفظ واداء المعنى .

فالموضوع اذن ، مطروق ومبحوث ومدروس ، وفيه آراء عديدة ، لكن شجاعة اللغة العربية على حد قول ابن جني — تجيز لنا التساهل وعدم التزمت وتحميل العربية فوق طاقتها لاشتقاق كلمات لا تعبر عن المعنى العلمي الاصيل الدقيق الذي نريده !!

ونحن ، مثلا ، استعملنا كلمة (قانون) ويقول السيوطي : ان (ابن سيده) قال في كتابه (المحكم) : قانون كل شيء طريقه ومقايسه ، واراها (دخيلة) . فاذا تركنا كلمة (قانون) هذه الكلمة الدقيقة الدخيلة فأية كلمة عربية اصيلة نستعملها بدلا عنها ؟؟

لذلك فمن واجبنا في مثل هذه الظروف وهذا العصر أن نعتمد على (شجاعة العربية) التي اعترف بها اجدادنا الاوائل وفسحوا لنا المجال لزيادة ثورتها ، وعلينا ان ندخل (التلفون والتلفزيون والترنسزتر والمكروب ..)

كما ادخلنا (الدينار والدرهم والبستان والقميص والقنطرة ، والنرجس والكيمياء والجاموس والصك والجوهر والدستور ...) وغيرها في لغة العرب ، ولا نكلف أنفسنا ورجال المجامع اللغوية بالبحث الطويل العريض الذي قد يخرجنا عن مقاصدنا وغاياتنا ، وبذلك نحل مشكلنا ونسير مع السائرين !!

---

1) اخوان الصفا ، جمعية دينية سياسية فلسفيةنشأت في البصرة في القرن العاشر الميلادي ولها رسائل مشهورة باسم (رسائل اخوان الصفا) .
2) شركة توماس نلسون المحدودة: Thomas Nelson and Sons Ltd. Books for Overseas:
3) كتاب (المزهر) للسيوطي جـ 1 ص 268 .
4) المصدر نفسه .
5) كتاب (الخصائص) لابن جني جـ 1 ص 357
6) ابو عثمان : هو ابو عثمان المازني اللغوي النحوي الشهير المتوفى سنة 249هـ .
7) ابو علي : هو ابو علي الفارسي النحوي اللغوي، وهو استاذ ابن جني .
8) الخشكنان : دقيق الحنطة يعجن بالسمن ويبسط ويملأ بالسكر واللوز والفستق وماء الورد .
9) كتاب « الخصائص » جـ 2 ص 360 .
10) كتاب (المزهر) للسيوطي جـ 1 ص 278 .

قضية التعريب

يجب أن تسخر لها كل الطاقات العربية بجرأة وسرعة

وزارة البريد ووزارة التربية
- الكويت -

أولا — المشكلات التي تعترض سير اللغة العربية وتحد من انتشارها بسرعة في العالم

هناك مشكلات لاشك في ذلك ، ولكنها لا تنجم عن طبيعة اللغة العربية ولا عن طبيعة اهلها الناطقين بها والدليل على ذلك ان اللغة وقومها استطاعوا ان يقوموا بدورهم الكامل في دورة مهمة من دورات التاريخ الثقافي الحضاري في المحافظة على التراث الانساني بشتى مجالات المعرفة ودفع هذا التراث الى الامام خطوات واسعة بما اضافوه اليه من اعمال رائعة جديدة في العلوم والآداب جميعا والواقع ان هناك عوامل شتى بعد هذا الدور عرقلت تطور اللغة ودفعت الى الجمود الفكري كان من اهمها في هذا السبيل التخلف الاقتصادي والتخلف السياسي، في وقت اتيح فيه للمغرب ان يتحرك وان ينمو ويتقدم سياسيا واقتصاديا مستعينا في ذلك بما اخذه من نور المعرفة التي وجدها في اللغة العربية ، والفكر العربي وفي نفس الوقت عمد الغرب الى اخذ كل جذوة عربية يمكن ان تلوح والى قتل كل بادرة تهم بالخروج والانطلاق . فقد استطاع الغرب نظرا لتفوقه الاقتصادي ان ينفق عن سعة على نشر لغاته وثقافته بأعداد الهيئات والمجامع وانشاء دور النشر والمطابع الكبيرة وتشجيع المستشرقين والمبشرين وتكريس جهود العلماء والادباء والمجددين وبعث لغاتهم على الانطلاق على نسق مخترعاتهم ومنتجاتهم التي غزت الاسواق العالمية وانتشرت انتشارا عظيما في شتى البقاع . فشكلت بذلك تيارا معاكسا للغة العربية حتى أن كثيرا من البيوت والمؤسسات التجارية العربية لا تزال تستخدم اللغات الاجنبية في معاملاتها ومراسلاتها ، كما استطاع الغرب نظرا لتفوقه السياسي وسلطانه الاستعماري أن يفتت الفكر العربي المنطلق من اللغة العربية حين فتت العالم العربي وقسمه الى دول ودويلات واقام الحواجز المصطنعة بينها وشجع على تعميق اللهجات المحلية وفرض لغاته الاجنبية وحين قتل الحريات بما فيها الحرية الشخصية وحرية الفكر والتعبير والابتكار نفث سمومه الفكرية وشكك في القيم اللغوية والثقافية العربية وزين للعرب قيما اخرى غريبة عنهم مدسوسة عليهم أو دخيلة وهكذا انعزل الفكر من الحياة وانفصل التراث القديم عن الواقع الجديد المتطور وطغت العامية على الفصحى فعجزت الاخيرة الى حين عن اداء وظيفتها الحيوية كاملة حتى برزت النهضة العربية الحديثة عاملة على ازالة اسباب الجمود والتخلف في المجالات المختلفة وفي مقدمتها اللغة والاقتصاد والسياسة .

ثانيا — وسائل عملية لحل هذه المشكلات :

وليس من شك في أن دفع هذه النهضة الى الامام بكل ما اوتيت هذه الامة من قوى وجهود وامكانات وامجاد وكنوز فكرية هو السبيل الى نشر اللغة العربية وفرض سلطانها وتمهيد سبيلها ، ولعل الامة الآن عرفت طريقها .

ومن خير ما يعاون في هذا السبيل :

1) ان تتضاعف الجهود التي تعمل على تقوية نفوذ الفصحى بحيث تدفع عن طريقها اللهجات العامية وذلك عن طريق اجهزة الاعلام المختلفة في العالم العربي وعن طريق المؤلفين ومؤلفاتهم التي يجب ان تلتزم باللغة الفصيحة وخاصة في مجالات التأليف المسرحي والتمثيلي والقصصي .

2) ان تبذل السفارات العربية في العالم الخارجي جهودا اكبر في توسيع دائرة نشر اللغة العربية عن طريق المراكز الثقافية والمدارس التعليمية

والمطبوعات والافلام العربية التي ينبغي ان تحمل معها الحقائق التاريخية والواقعية فى الماضي والحاضر العربي للاجانب .

2) ان تصر الدول العربية مجتمعة على ان تكون اللغة العربية من بين اللغات التي تدور بها المناقشات وتصدر المطبوعات فى المحافل والمؤتمرات والهيئات الدولية التي تكون الدول العربية او بعضها اعضاء فيها .

4) ان تقوم هيئة عربية كبرى بنشر الجهود اللغوية التي تبذلها المجامع العربية والهيئات والافراد فى التعريب والبحث اللغوي على اوسع نطاق وفى ارحب مجال عربي وغير عربي مع تشجيع الباحثين فى فروع اللغة ومجالاتها من افراد وهيئات.

5) ان تبذل جهود اكبر فى سبيل تطويع الطرق التعليمية فى اللغة والمناهج التربوية الحديثة وان يلتزم المؤلف العربي والمدرس العربي فى الكتاب وفى الفصل باللغة الفصحى مع تسهيلها وتقريبها من مدارك الناشئة .

6) ان تشتد العناية بالمعلم العربي فى كل المواد من الناحية اللغوية سواء منه من يحتاج اليه العالم العربي ومن يحتاج اليه العالم الخارجي الذي يجب أن نلبي حاجته وطلبه فى سرعة وتيسير .

7) ان يتضاعف العمل على نشر الكتاب العربي فى فروع المعرفة المختلفة وتبذل فى ذلك شتى الوسائل ومختلف الجهود .

8) ان تسخر جهود علمية وفنية فى سبيل نشر اللغة وتعليمها لغير العرب عن طريق الاسطوانات والحاكي على هيئة دروس مشروحة باللغات الحية الاخرى .

9) ان يتسع نشاط الدول العربية وجامعة هذه الدول مع الدول الاخرى وخاصة الدول الاسلامية بعقد المعاهدات الثقافية المختلفة التي تمكن الشعوب الاسلامية من تعلم اللغة العربية لغة القرآن والتراث الاسلامي الذي يقدسونه .

10) ان تتخذ الجامعة العربية ما ترى من وسائل لتجعل اللغة العربية لغة ملتزمة فى معاملات ومراسلات جميع المؤسسات الاقتصادية والتجارية التي لها فروع فى البلاد العربية والاسلامية بجانب اللغة الاجنبية التي تعتمدها تلك المؤسسات .

11) ان تعمل الجامعة العربية بما لها من نفوذ لدى الجامعات والمعاهد العربية التي تتصدى لتخريج المتخصصين فى اللغة العربية وآدابها كي تعيد النظر فى مناهجها وتقاليدها وان تكون حريصة على تخريج حراس للغة العربية مزودين بالعلم العميق والمعرفة الواسعة والشخصية المؤمنة بتراثها ورسالتها كما تحرص على تخريج المهندس والطبيب .

ثالثا — مشكلة المصطلح العلمي التي تعترض نمو اللغة

منذ مشرق النهضة العلمية فى العالم العربي اتجهت الاقطار الى الغرب لتفوقه فى مجالات العلوم الحديثة فاوفدت البعثات التي عادت الينا ومعها ما حصلته فى هذه العلوم على ايدي غير المتخصصين فى اللغة العربية ونجم عن ذلك ان امتلأت هذه المؤلفات بالمصطلحات الاجنبية وحينما بدات جهود المجامع اللغوية وجهود الافراد تتجه الى تعريب المصطلحات العلمية سارت سيرا بطيئا لم يستطع اللحاق بحركة الترجمة ولا بالتيار الشديد والسيل العارم من المصطلحات العلمية الجديدة .

واذا كنا حريصين على استقلال الشخصية العلمية العربية وخاصة فى ميداني التاليف والتعليم العلمي فى مختلف المراحل التعليمية فاننا نستطيع ان نستفيد استفادة كبيرة من تراثنا اللغوي الضخم وكنوزه الدفينة ومع احترامنا لجهود المجامع اللغوية يجب ان نحث الخطى ونغذ السير حتى تستطيع حركة تعريب المصطلح ان تواكب حركة التقدم العلمي وترجمة العلوم الى العربية مع الاهتمام بالجهود الفردية المتمكنة وتشجيعها بكل وسيلة ثم نشر نتائج هذه الجهود نشرا واسعا ، على ان تلتزم كل الهيئات المسؤولة عن الاعلام والتربية والتاليف والاعتناء بذلك .

رابعا — صلاحية اللغة العربية للتدريس الجامعي

اعتمدت العلوم الانسانية على هذه اللغة

اعتمادا كبيرا فى تدريسها وان كانت هناك طائفة من المصطلحات لا تزال فى حاجة الى تعريب فى هذا الحقل والمشكلة الحق تكمن فى العلوم الطبيعية الحديثة وهي التي تحتاج الى جهود كبيرة لتعريب مصطلحاتها المتدفقة فى العلم كل يوم ، ولقد بذلت جهود فى هذا الميدان تستحق التقدير كما أن بعض الجامعات العربية تقوم بتدريس طائفة من هذه العلوم الطبيعية باللغة العربية .

فلغتنا العربية غنية بمرادها واسعة الصدر بوسائل اشتقاقها وقد سبقت جهود طيبة فى تعريب المصطلحات وفى الترجمة والتاليف وكذلك فى تدريس بعض العلوم باللغة العربية حفاظا على الشخصية العلمية العربية واستقلالها وليس امامنا سوى تعبئة القوى البشرية فرديا وجماعيا وتسخير الامكانات الفنية والمادية والبذل فى سخاء والتشجيع القوي مستعينين فى هذا السبيل بما اشرنا اليه ويمكننا أن نسهم ببعض نماذج من المقترحات العلمية التي نرى أننا نحقق بها بعض الثمرات المرجوة :

1) ان تعمد الجهات المعتمدة والمسؤولة عن التعريب الى نشر انتاجها دوريا قبل أن تودعها صفحات المؤلفات والمعاجم وان تتولى النشر اجهزة الاعلام والدعاية .

2) أن تتسم اعمال التعريب والاقتباس ووضع الاسماء والمصطلحات بالجراة والسرعة لتكون على المستوى العلمي الضخم الذي بلغه العالم فى وقتنا الحاضر .

3) أن تدعم الجماعات التي تقوم بأداء رسالة الترجمة والتعريب بعناصر من الشباب الواعي المثقف الذي يؤمن بلغته وتراثها كما يؤمن بضرورة المواكبة لركب الامم المتقدمة فى العلم والفكر وذلك يجنب الاعمال اللغوية كثيرا من التعثر والتردد والتخوف من المجهول .

هذا ونامل ان نكون باسهامنا فى هذا الاستفتاء قد قمنا ببعض ما يجب علينا نحو لغتنا وتراثنا .

اللغة العربية أسمى اللغات وأكملها

ولكن ضعفها في عدم نقل المراجع العلمية إليها .

الأستاذ روكس بن زائد العزيزي

عمـــان (الاردن)

لقد اصبح عصرنا يتطلب منا النظر فى كـــل شىء ، على ضوء التطورات التـي شملت الحياة ، اصولا وفروعـا .

ولعل لغتنا الشريفة ، التي قدمت للعالم خيـر ما قدمته لغة ، من أولى امورنا بالاهتمام . من اجـل هذا اتقدم للاجابة على هذه الاسئلة بما هداني الله اليه ، واملته علي الخبرة الطويلة ، فى خدمة هــذه اللغة التي شرف الله ذكرها فاقول :

1) اعتقد أن اهم المشاكل التي تعترض سير اللغة العربية ، وتحد من انتشارها بسرعة فى العالم تتلخص فى ما يلـي :

أ ـــ فى خطنا العربي الذي دعاه ـــ قبل اليوم ـــ البيروني « آفة » لتشابه حروفه ، ولاضطرارنـا أن نستخدم لكل حـرف ثلاث صور ، ولكونه عاجزا عن تأدية جميع ما ننطق به من أصوات . حتـى اصبـح اكثر ابناء العروبة عاجزين عن النطـق الصحيـح بلغتهم .

ب ـــ فى النحو العربي ، الذي اخرج قواعد لغتنا عن خدمة اللغة وحول القواعد الى منطق وفلسفة ، واحيانا الى محاكات بيزنطية ، حتى شاع قولهـم « اوهي من حجة نحوي » .

جـ ـــ فى المعاجم محتوى وترتيبـا .

د ـــ فى معلمي اللغة العربية .

هـ ـــ فى كتب التدريس المرتجلة .

و ـــ فى المناهج التي لما تصل الى درجة النضـج بعـد .

ز ـــ فى اسلوب تعليمنا لهذه اللغة ، الذي لـم يتطور .

2) أما المشاكل التي تعترض سير اللغـة العربية ، فانجع الحلول فى نظرنا هي :

ان خطنا العربي فيه صعوبات ، لاننا لم نضعه ـــ اصلا ـــ من عند انفسنا ، بل هو متطور عن الخط النبطي ، الذي كان شائعا فى الجهة الشمالية مـن الجزيرة العربية ، وليس هو متطورا عن الخط الكوفي كما يظن بعض الباحثين . لان الخط الكوفي اصـلا كان خاليا من احرف العلـة .

وقد كان لسان هؤلاء النبط الذين اخذنا خطنا عنهم ، قريبا من العربية ، ان لم يكن عربيا مشوبـا بالعجمة ، وهؤلاء النبط ليسوا نبط العراق والبطائح والنبط اقتبسوا حروفهم من الارميين ، والارميـون اقتبسوا خطهم من الفينيقيين ،

وقد اتخذ اجدادنا حروف اولئك القوم وكتابتهم، على الترتيب الذي كان مستعملا عند اولئك الاقوام ، ثم زادوا احرفا لم تكن موجودة فيما اقتبسوا .

أما الخط المسند الذي كان شائعـا فى اليمن ، فليس له اثر فى خطنا العربي ، فقد كانت حروفـه تكتب منفصلة ، غير مرتبطة ، وكانوا يمنعون العامة عن تعلم كتابته ، ولم يكن احد يجرؤ على استعمـال الخط المسند دون اجازة ، فلما جاء الاسلام ، لم يكن فى اليمن نفسها من يعرف قراءة الخـط المسنـد او كتابته ، ولعل اسلوبهم كان صوتيا .

على اي حال ، فان العرب ، لم يقيدوا كـل الحروف التي كانوا ينطقون بها يومذاك ، ولا صوروا الحركات المختلفة ، فكانوا يصورون الحروف التـي لا صورة لها عند النبط ، وعند الارميين وعند الفينقيين بحروف تقاربها صوتا، وصنعوا مثل ذلك فى الحركات، معتمدين على التلقين والرواية والسماع ، فضاع من

اللفظ العربي الصحيح ، شيء كثير . ولاسيما من لفظ اولئك الذين ما كان يتاح لهم أن يتلقوا النطق بالحروف من الراسخين في العلم . بل عن اناس لم تخلق حناجرهم وحلوقهم للاصوات العربية ، خاصة والسامية عامة . او الجامعة بين الحروف السامية واليافثية او السامية والحامية ، معا .

* * *

وعجز حروفنا عن تصوير لهجاتنا تماما ، افقد لغتنا كثيرا من محاسنها . وعجز ابناؤنا عن النطق ببعض الاحرف الافرنجية ، التي كانت بدون شك موجودة في لغة اسلافنا !..

فليس في حروفنا ما يصور هذه الاحرف الفرنسية : (E. G. J. O. P. U. V.)

وليس هنالك ما يصور الالف المفخمة في اسم الجلالة (الله) و (الصلاة) ، فهذا الذي نسميه الاشمام، يجب ان يكون له علامة في الخط تشير اليه .

* * *

وليس من رأيي أن نهجر الخط العربي متجهين الى الحرف اللاتيني ، لما في ذلك من محاذير ، اقلها :

1) اننا نتخلى عن مظاهر عزة قومية . ما زال يتر لنا بها الفرس ، وغيرهم من الامم التي تستعمل خطنا ، حتى المورو في الفلبين ، ومع كل ما في خطنا من صعوبات ، لم يحاول هؤلاء الاقوام تركه ، فهل نكون نحن اقل منهم اعتزازا بتراثنا ؟

صحيح أن الترك العثمانيين هجروا خطنا ، لكن ذلك له اسباب سياسية — في اعتقادي — اكثر من كونه هربا من صعوبة الخط العربي ومشاكله .

2) ان التخلي عن خطنا ، يقطع صلتنا بتراثنا القديم !..

3) ان اهمال خطنا العربي يقضي على اللهجة العربية الصحيحة وهي مزية من مزايا هذه اللغة الموسيقية الشعرية .

فمن اجل التخلص من مشاكل خطنا ، ارى أن نكتب خطنا مضبوطا بالحركات ، وضوابط القراءة ، لان اهمالنا تلك الامور يجعل خطنا شبيها بالاختزال، ويفرض على الذي يريد أن يقرأ خطنا العربي ، ان يفهم قبل أن يقرأ ، مع ان المفروض في كل لغة ، ان يقرأ الناس ليفهموا . وهنا لابد لي من ايراد طرفة تروى عن المرحوم (ابراهيم اليازجي) ، يقال : « ان المطران طلب من ابراهيم أن يقرأ فصلا من الانجيل في الكنيسة ، — ومن المعلوم أن اليازجي هو الذي نقح للكاثوليك ترجمة الكتاب المقدس — فاعتذر ابراهيم قائلا : « اتريد ان تفضحني ، ليقول الناس ان اليازجي لا يعرف القراءة ؟ لماذا لم تخبرني قبل هذه اللحظة ، لاستعد لما تريدني أن اقرأ ؟ !! ..

* * *

فاذا كان اليازجي يقول هذا القول ، فماذا نتوقع من ابنائنا ، ومن الاجانب الذين يرغبون في تعلم لغتنا ؟

فعلاجا لهذا ارى ان لا تكتب ، ولا تطبع كلمة ، بلا ضبط تام . الا نرى ان الاجانب اذا كتبوا لم يهملوا من خطهم حركة ، ولا اشارة تشعر بالمعنى الذي اليه يقصدون ؟ ..

ب — انتهينا من مشكلة الخط وعلاجها ، ونتقدم الآن الى مشكلة النحو ، وهذه المشكلة ، لا تقل تعقيدا عن مشكلة الخط ، ولعلها تفوقها ، فلقد عقد النحويون نحونا تعقيدا جعله يفقد اللغة جمالها وسحرها ، ويقف عقبة في سبيل انتشارها ، فاذا كان الكسائي يقول :

« أموت وفي نفسي شيء من حتى !...» فماذا ننتظر نحن الذين تقضي علينا زمننا المسرع في كل شيء، أن ننصرف عن بذل اعمارنا في سبيل تحصيل نحونا .

وقد جاء في كتاب الرد على النحاة ما نصه :

« اني رايت النحويين قد وضعوا صناعة النحو لتحفظ كلام العرب من اللحن ، وصيانته من التغيير ، فبلغوا من ذلك الغاية التي أموا ، وانتهوا الى المطلوب الذي ابتغوا ، الا انهم التزموا ما لا يلزمهم ، وتجاوزوا فيها القدر الكافي فيما ارادوه منها ، فتوعرت مسالكها ، ووهنت معانيها ، وانحطت عن رتبة الاقناع حجتها ! » .

وجاء في كتاب الحيوان للجاحظ : « وقد غالى بعض النحاة في تعقيد صناعة النحو ، وزاد غموضها، لاسباب خاصة » .

وذكر الجاحظ ، انه سأل الاخفش قائلا : « انت اعلم الناس بالنحو ، فلم لا تجعل كتبك مفهومة ، وما بالنا نفهم بعضها ، ولا نفهم اكثرها ، وما لك تقدم بعض العويص ، وتؤخر بعض المفهوم ؟ » .

فكان جواب الاخفش : « انا رجل ، لم اضع هذه لله ، وليست هي من كتب الدين ، ولو وضعتها هذا الوضع الذي تدعوني اليه ، لقلت حاجات الناس فيها . وانما كسبت فى هذا التدبير ، اذ كنت الى التكسب قد ذهبت » .

ويرى الاستاذ رشاد دارغوث ، ان علماء النحو الاجانب عقدوا النحو هذا التعقيد للنيل من اللغة العربية التي هي عامل مهم فى القومية ! ..

وانا ارى بتحفظ شديد ، ان الاجانب قد عقدوا النحو هذا التعقيد ليتنعوا العرب ان تعاظمهم على الاجانب ليس فى محله ، ما داموا عاجزين عن فهم لغتهم !

* * *

فلقد اصبح من الواجب علينا ان نواجه مشكلة النحو بجراة ، فنجعل للقرآن الكريم نحوا خاصا به ، ونحذف من النحو هذه الامور :

ا — نحذف باب الممنوع من الصرف **اطلاقا** ، لانه ورد فى القرآن الكريم تنوين الممنوع من الصرف : « انا اعتدنا للكافرين **سلاسلا** ، واغلالا وسعيرا

« سورة الدهر ، الآية الرابعة » .

ب — نلغي باب الاشتغال الغاء تاما او على الاقل نكتفي بالمشغول عنه الواجب رفعه ، والمشغول عنه الواجب نصبه .

ج — نلغي بـاب التنازع .

د — نهمل الاعراب المحلي والاعراب التقديري.

هـ — نلغي نون النسوة ونخاطب الذكور والاناث خطابا واحدا .

و — نجعل الوقف كله بالسكون ، فقد ذكر ابن جني فى الجزء الاول من كتابه الخصائص ، ان العرب وقفوا على المنصوب بالسكون فقالوا :

« رأيت فرح ، ورأيت زيد ! »

ز — استعمال العدد من المذكر ومع المؤنث بلفظ واحد ، فماذا يضرنا لو قلنا « ثلاثة رجال ، وثلاثة نساء ، واربعة عشر رجلا ، واربعة عشر امراة » وتخلصنا من هذه المشكلة التي كان الغرض الاساسي منها تعظيم الرجال او الذكور ، وتفضيلهم على الاناث ، لان هذه التاء — فى رايي — هي تاء تعظيم لا تاء تأنيث . وما دمنا قد استعملنا تاء التعظيم للمذكر وللمؤنث على حد سواء فى غير هذا المقام ، كقولنا :

« رجل علامة ، وامراة علامة ، ورجل رحالة ، وامراة رحالة .» فما الذي يمنعنا من استعمالها فى العدد تحاشيا للصعوبة والتعقيد ؟ مع ابقاء تاء التأنيث فى (1 و 2) والعد الترتيبي .

س — اما مشكلة عين الفعل المضارع ، فأرى ان يصار الى حلها ما دام العرب قد اجازوا فى الذي ماضيه مفتوح العين ، وليس ثانية ولا ثالثة من حروف اللين او الحلق ، اجازوا فيه الكسر والضم ، فلماذا لا نصنع صنيعهم ؟

فلقد قالوا : « ضرب يضرب ويضرب ، شكر يشكر ويشكر ، ونفر ينفر وينفر ، وشتم يشتم ويشتم. (بكسر عين الكلمة وضمها) .

ط — ثم ارى ان نثبت على وجه واحد من الاعراب ، فلا نقول ان هذه الجملة تحتمل ستة اوجه من الاعراب (بسم الله الرحمن الرحيم) وهذه تحتمل اربعة اوجه من الاعراب (نعم الرجل علي) .

لقد اضحى من واجبنا ان نغربل قواعدنا ، قبل ان تجيء الكارثة ، وهي اعراض ابنائنا عن لغتنا اعراضا كليا ! لا سمح الله .

* * *

ح — اما مشكلة المعجم العربي ، فلا تقل عما ذكرنا من مشاكل الخط ، والنحو . فعلى الرغم مما فى طريقة معاجمنا من المنافع ، واهمها : — الفائدة التعليمية ، لان الاصل الواحد ، يمكن الذي يريد تعلم العربية ، من معرفة جميع الالفاظ التي هي من اصل واحد ، الامل الذي لا وجود له فى اللغة اللاتينية !..

لكن هذه الفائدة تموت اذا علمنا ان معجمنا مغلق دون المبتدئين حتى ان بعض العلماء احيانا يعجزون عن استخراج كلمة فى معجم مثل اللسان مثلا، او صحاح الجوهري . كما حصل مع المستشرق الكبير ، المرحوم نلينو فى المجمع العلمي المصري ، يوم اعترض على اقتراح تقدم به المرحوم الاب انستاس

ماري الكرملي ، بجعل احرف الكلمة كلهـا اصولا ، والتنبيه على الاصل فى نهاية البحث . فقال الاستـاذ (نلينو) : « ان هذا كفـر بعبقرية السلف!» فطلب منه الاب الكرملي ، ان يدله على هذه الكلمات فى لسان العرب (تترى ، متة ، فعجز !)

ونحن اذا اردنـا ان نبحث عن اسم (معاوية) وجب علينا ان نبحث عن فعل (عوى) لنجد ضالتنا !

هذا فضلا عن أن معاجمنا المطولة لا تفيدنا فى البحث عما جد فى اللغة من اصطلاحـات عصرية ، فضلا عن خلوها من الاصطلاحات العلمية والفنية .

ان معجمنا لا يساعدنا على تقدير قيمة الوقت ، فصار من اللازم علينا ان نرتب معاجمنا على اسـاس ان الاحرف فى الكلمة كلها أصول ، وننبه على الجذر فى نهاية البحث . كما أنه يجب علينا خدمـة للغة ان نحذف الكلمات المهجورة من المعاجم التي يفـرض تداولهـا فى المدارس .

وقد آن لنا أن نضع قاموسا استقصائيا يتتبـع الكلمات من الناحية التاريخية ، ومن هنا يتحتم علينـا أن نضع معاجم فى لهجاتنا العامية لتكون عونا لنـا فى وضع المعجم الاستقصائي هذا !

* * *

د ـ هناك نكبة لا تقل عما تقدم ، وهي نكبـة اللغة العربية فى معلم اللغة العربية فى الصفـوف الابتدائية ، واحيانا فى الصفوف الثانوية ، فقد يكـون المعلم قليل المحصول من اللغة ، ولجأ الى التعليم على أنه وسيلة ارتزاق ـ وما اكثرهم ـ فهذا يقتل اللغة العربية قتلا ويئدها فى نفوس ابنائنا وأدا ، لانه يغرس فى نفوسهم روح الكراهية لها ، ويجعلهم يتصورون أن لغتنا طلسم مغلق ! فيصل الطالب الى الجامعة وهو ناقم على لغته !

اذكر أني سمعت معلما فى كلية ، يقول للطلاب:

« قاتلكم الله ، وقاتل « أحرنجم » ـ وهو يعني اللغة العربية ـ معكم ، أنـا عارف ماذا يمكـن ان تفيدكم احرنجم فى الحياة ! ؟

فاذا نكب الطلاب بمن لا يكتفي بان يكون جاهلا ، بل يزرع العداء فى نفوس الاجيال الناشئة نحو لغتهم، فقد تمت النكبـة !

فاذا قتلت اللغة العربية فى الصفوف الابتدائية والصفوف المتوسطة والصفوف الثانوية ، فمعنـى هذا ان الجامعة لا تستطيع أن تقوم ذلك الاعوجاج !

أما كتب تدريس العربية ، فحسبنا ان نطلـع منها على ما ينشر وفقا لمناهج بعض وزارات التعليم، وباشرافها ، لنرى الارتجـال ، والاخطاء الكثيرة ، والتصحيف المخيف .

* * *

لقد اقفلت بعض وزاراتنا العربية باب المنافسة، واغلقت باب الاجتهاد والابتكار . فاذا كان التأميـم جائزا فى كل ناحية فى الحياة ، فما اعتقد انه يجـوز لنا أن نؤمم العقول ونجمد الافكار ، ونحارب الابتكار مهما تكن الحجة التي نستند اليها تبريرا لما نفعل !

ان الحجة التي يتذرعون بها ، انهم يريـدون توحيد الثقافة . فتوحيد الثقافة يمكن ان يتـم باتفـاق البلاد العربية ، بحيث تختار لجانا محايدة تدرس كل ما يقدم اليها من كتب ، وتوحي باستعمال خير الكتب، من غير تقيد بالاقليمية .

فقد يستفيد بلد تعوزه الخبرات بخبرات بلـد متقدم ، وقد نستفيد بخبرة معلم أو كاتب بسيط بمـا لا نجده عند غيره ، فلماذا تحصر جهودنا فى موظفي الحكومات وحدهم ؟

ولهذه المناسبة ارى من واجبي ان انتقد بشدة فكرة تأميم الكتاب المدرسي والوقوف وراء الكتـاب المؤمم وفرضه بسلطة القانون ، ومطاردة المدرسـة او المعلـم الذي يشذ عنه وكأنهما يهربان المخدرات ؟ ان فى ذلك تأميما للعقل ، وتجميدا للمواهب !

* * *

و ـ والمناهج المقررة ـ ان فى المناهج المقررة ، فى كثير من بلادنا العربية حشوا لا علاقة له بالحياة ، وهذه بعض رواسب الاستعمار ، وهو يقتل فى ابنائنا رغبتهم فى مواصلة الدرس ، ويميت فيهم حب المطالعة، التي هي السبيل الصحيح الى الثقافة الحق !

فلقد اصبحت المناهج والمدارس فى كثير مـن البلاد العربية لا تهتم الا بالعلامـة وبالامتحـان ، وبالشهادة ، وصار ابناؤنا تبعا لذلك لا يهمهـم الا الحصول على الشهادة ، فيضعونها فى اطار مزخرف ثمين ، ويعلقونها فى غرفة الاستقبال ، أو فى مكاتبهم وكفى الله المؤمنين القتـال !

* * *

ز — واسلوب التعليم فى بعض البلاد العربية ما زال عتيقا ومنفرا ، فكل فرع من اللغة العربيـــة يدرس على انفـــراد ، وهذا يجعل موضوع اللغـة العربية كالجسم المصاب بمرض (التفيف) كل عضلة وحدها سليمة ، وكل خلية سليمـــة ، ولكن هـــذه العضلات والخلاياوالاعصاب، لا تأتمر بأوامر الدماغ، فالجسم سليم شكلا ، لا خير فيه ولا صحة له فعلا !.

* * *

3) اما هل تصلح اللغة العربية للتدريـــس الجامعـي فعلـى الرغم من شهادة المستشـــرق مانداليك القائـــل :

« ان اللغة العربية هي اللغة الخالدة ، او هي احق اللغات بالحياة والبقاء ! » وعلى الرغم مـــن شهادة الاب انستاس ماري الكرملي المعززة بكتابه الخالد ، (نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها) انها اعظم اللغات واسمى اللغات واكملها ، وانها قادرة على أن تعبر عن نفسها فى كل علم وفى كل فن ، لمـا ركب فيها من الاشتقاق ، والابدال ، والتصعيـــد ، والتوليد ، والقياس ، والنحت والالحاق !

وعلى الرغم من غنى لغتنا الذي لا يكاد يدانيه غنى ، فى النواحي العاطفية والانسانيـــة والفقهية ، فانها فقيرة الى حد مخيف من الناحية التقنية ، وليس هذا عيبا فى طبيعة اللغة يدعونا الى الخجل ، انــه عيب الظروف التي فرضت على هذه اللغة وعلـــى اهلها نومة الخمول اجيالا ، جعل اللغات الحية تتقدم، ولغتنا تجمد ، وليس فى مكنتها ان تعوض عن نومتها التي استمرت نحوا من ثمانية قرون ، فى سنيـــن معدودات مهمـا بـذل اهلها مجتمعين من جهود فى الترجمـــة !

* * *

اجل ان هذا ليس عيبها ، بل هو عيب لاضطراب الاوضاع فى البلاد العربية واللغة صورة لحالة ابنائها الاجتماعية والدولية ، فلما كنا اصحاب سيادة عالمية ، كان الناس يتعلمون لغتنا ، ولا ينظرون الى الصعوبات بل المشقات التي يلاقونها فى هذا السبيل .

ودليلنا على ذلك ان القبـط يوم خضعـــوا لحكمنا ، كتبوا كتبهم بالعربية ، ليفهمـوا قومهـم . والكهنة فى اسبانيا كتبوا كتبهم بحـروف عربيـــة ، واصبحوا كلهم يتكلمون العربية !..

أما اليوم ، فنحن ما زلنـا نكافح الاستعمار ، ونحن فى حاجة الى العالم ، وليس عندنا — فى الوقت الحاضر — ما نفرض به سيادتنا على الدنيا ، ليجـد الناس انهم فى حاجة الى تعلم لغتنا ! .. فاللغة صورة لمكانة اهلها فى الدنيا ! ..

مع هذا فقد جربت الجامعة السورية تجربتهـا الداشنة ، بتعليم الطب باللغة العربية ، واستطاعت ان تجد فى اللغة العربية اصطلاحات كثيرة لان العرب قدموا للدنيا فى الطب وفى سائر العلوم فى القـرون الوسطى خدمات برهنت على أنه لولا العرب لتأخرت نهضـة أوروبـا اجيالا !

لان اللغة العربية كانت المصدر الرئيسي الذي اعتمدت عليه أوروبا فى القرن السابع عشر ، وكان الذي يريد أن ينهل العلم والمعرفة ، لا مندوحة لــه عن معرفة اللغة العربية ، لكن اقتصار الطبيب علـى اللغـة العربيـــة وحدها يجعله فى عزلـة عن تطور العلم !

ومهما تكن لغتنا غنية وصالحـة للتدريس فى الجامعة ، فان هذا لا يغنينا عن اتقان لغة اجنبيـة على الاقل مع لغتنا العربية .

والبرهان على ان لغة واحدة لا تكفي فى عصرنا الحاضر ، ان الذي يرغب فى الحصول على الدكتوراه فى اي علم من العلوم فى بريطانيا وفى امريكا ، **يجـب عليه ان يتقن الى جانب لغته الام لغتين من اللغـات الحية** . فالذي يريد أن يواكب سير العلم ، لا تكفيـه لغة واحدة لمتابعة خط اختصاصه ، لا اقول هـذه بالنسبة الى اللغة العربية وحدها ، لكنه بالنسبـة الى أيـة لغة فى الدنيا اطلاقا .

* * *

ان المراجع العلمية من كتب ومجلات لم تنقل الى اللغة العربية ، فاذا كنا نرضى للعالـم العربـي ، ولجامعاته ان تعتمد علـى ما ينشر فى اللغة العربية وحدها ، نكون قد فرضنا على امتنا **التوقعة والعزلة** المجدة . لان **عناصر البحث العلمي مفقودة أو هـي كالمفقـودة فى بلادنـا** ، فليس هنالـك مجلات ذات اختصاص ، يكتب فيها جماعة من الحجج فى كـل موضوع يتصدون لــه .

وتدريس العلوم يحتاج الى مصادر كثيرة فى كل منحى ، فى اللغة التي يدرس فيها العلم ، لان الاقتصار على محاضرات الاستاذ ، لا يعني فى رأيي سـوى تجميد الملكـات فى حيـز ضيق !

وان الذي يطلع على الكتب المؤلفة في البــــلاد العربية يتولاه الذهول لما يرى بينها من الفروق . حتى الكتب التي يسلخها بعض المؤلفين سلخا ، تشـــوه تشويها يفوت المنفعة منهــا .

* * *

يجب علينا ان نقر **بأن لغتنا في كثير من النواحـــي عاجزة عن متابعة العصر ، لاننا نحن ما زلنا نعيش في عقلية قبليــة** ، يدل على ذلك ما عندنا من قوانين مزدوجة ؛ فللحضر قانون ولابناء الباديــة قانون . ولغتنا في الناحية التقنية (التكنولوجية) خالية تماما من اصطلاحات هذه العلوم التي اصبحت تفرض نفسها على الحياة العصرية ؛ لابد لنا مــن دراستهــا في الجامعات الاجنبية ؛ ولدراستها في الجامعات الاجنبية، لابد لنا من اتقان لغة اجنبية اتقانا تاما .

وقول من يقول ان في استطاعتنا ان ننقل العلوم الى لغتنا ، يكاد يكون حلما من الاحلام ، التي ليس لها ابن سيرين يعبرها . لان تقـدم العالم السريــع لا يسمح لنا بذلك ، حتــى ولو وتفنــا جهودنا كلهــا على هذا الغرض . اجــل حتــى ولو لــم نفكــر في مشاكلنا السياسية ، ولا في امورنا الاقتصاديــة ، ولا قضايانا الاجتماعية ، فان البهر يتولانا ونحن نحاول تلك المحاولة التي ستحظــى بالفشل !

لكن مع كل هذه العراقيــل والمثبطات ، فــلا أرى أن نعود قانعين بالهزيمة ، فلتلق المحاضـــرات باللغة العربية مع الاعتماد على المصادر والمراجــع الاجنبية بلغاتها الاصلية اقول هذا ، لان رجال العلم عندنا في كل مطلب ، جل اعتمادهم على المراجــع والمصادر الاجنبية ، وليس في ذلك من عار . بل العــار في عدم المضي في هذا السبيل المفيد ، الى ان نتخطى طور الاستعانة ، ونعتمد على نفوسنا !

4) ان اهم المشاكل التي تعترض الاساتــــذة الجامعيين في التدريس والبحث ناجمة عن عدم توافر المراجع في اللغة العربية ، وفي أن اكثر الاساتـــذة درسوا دروسهم في بلاد اجنبية ، واللغة العربيــة لا تطاوعهم طواعية كافية ، لانهم يفكرون في اللغة التي تلقوا علومهم فيها . وهذا يجعل اساليب الاساتـذة متوعرة ، لعدم وضوح الفكرة في نفوسهم ! فيظــن السامع ان التعقيد جاء من طبيعة العلم ، وهو في الواقع ناجم عن عجز الاستاذ وقصوره عن ايصــال افكاره الى السامعين ، بلغة عربيــة سليمــة ، لان دراسته لهذه اللغة ، كانت اصلا مهزولة الاســاس مهلهلة الجوانب . وزادت هزالا وهلهلة يوم تلقى علومه في جامعات اجنبية . فتلافيا لهذا الخلل يجب أن يفرض على الاساتذة في الجامعات اتقان اللغة العربية اتقانا لا يقل عن اتقانهم اللغة التي تلقوا دروسهم الجامعية بهــا .

* * *

اذكــر اني سمعت محاضرة في احدى الجامعات باللغة العربية ، لدكتور انهى علومه في بلاد اجنبية ، فشعرت مع خيبة الامل ، باشفاق وحزن على الرجل، لانه كان عاجزا عن ايضاح افكاره باللغة العربية !

ولما وجهت اليه الاسئلة باللغة العربية ارتـج عليه ، فكنت أشعر بالحزن العميق من اجل موقفه هـــذا !...

يقينا ، انه لم ينل شهادة الدكتوراه الا بعد ان برهن على أنه يستحقها ، لكن جهله باللغة العربية ، جعله عاجزا عن ايضاح افكاره على الرغم من انه كان يستعمل الاصطلاحات كلها كما وردت باللغة الاجنبية.

* * *

5) الواقع ان خوفنا من اقتباس المصطلحات العلمية بلفظها اصبح عندنا عقدة ، لاننا نخاف علــى سلامة اللغة . وعلى اللغة نفسها ، مع انه ثبت لنا ان القرآن الكريم حفظ هذه اللغة ، لا بل خلدها ، فقـد انتصرت على كل المحاولات التي دبرت لها في القديم ، وفي الحديث . ولا خوف عليها من المصطلحات العلمية، لان اللغة الحية ، كالمعدة السليمة ، يمكنها أن تهضم اي طعام وتنتفع به ، ما لم يكــن هذا الطعام سما . وقد استعمل اجدادنا وهم في المع ادوار مجدهـــم مصطلحات علمية كثيرة فزادت ثروة اللغة ولم تضرها لا قليلا ، ولا كثيرا . فأصبحت مع الزمن عربية تسير على القياس العربي ، وتطاوعه .

فهذه كلمة فلسفة ليست عربية فلما اخذناهــا وانتفعنا بها وحرفناها ، فقلنا تفلسف ، وفلسف الامور الى غير ذلك . فلنقتبس المصطلحات العلمية بلفظهــا ونضع بازائها ترجمات لها ، لان اقتبــاس تلـــك المصطلحات يجعل الامر سهلا علينــا ، ويدمجنــا في العالم فقد كفانا ما فرض علينا العالم من عزلة ومــا فرضنا على انفسنــا من اعتزال لا خير لنا فيه !..

حقا اني اوثر كلمة (جيولوجيا) على ما فيها من ثقل على ان اقول (علم الهلك) لاني اذا قلت (جيولوجيا) فهم العالم كله ما اريد ، اما اذا قلت (علم الهلك) فلا يفهمها احد .

لقد اصبح من واجب الواجبات على مجامعنا العلمية ان تتخطى الخلافات المحلية ، وان تؤلف لجنة توحد ما تتفق عليه المجامع العلمية من اصطلاحات. ليعرف العربي فى اي قطر من الاقطار ، انه يستعمل اصطلاحا يفهمه اخوه العربي — على الاقل — فى اية بقعة من دنيا العروبة !

فلو فرضنا ، اننا اقررنا اصطلاحات عربية خاصة باللغة العربية ، فلا اقل من ان تكون مقبولة من العرب كلهم ، وعند كل العرب .

اما ونحن نسير فى هذه المتاهة العمياء ، التي تجعل كلا منا يغني على ليلاه ، راضيا بما عنده . فتلك نكبة للغة العربية ، ما بعدها نكبة . لان قيمة المصطلح العلمي هي فى تحديد مدلوله ، وليست قيمته كامنة فى معناه !

فنحن عندما نصطلح على ان ورقة النقد الفلانية تعدل قيمتها كذا ذهبا ، يمسي اصطلاحنا هذا قيمة اعتبارية لها ، على الرغم من ان قيمتها الحقيقية لا تساوي واحدا على الف من قيمتها الاعتبارية التي فرضناها لها ، وارتضيناها بها .

ويطلب من هذه اللجنة ان توحد اسلوب الاشتقاق والتسمية ، وتثبت القواعد العامة لذلك .

ويطالب منها ان تصدر وضيعة نشره دورية فى كل ما تضع ، وما يجد من المصطلحات العلمية ، وتلزم بهذه المصطلحات البلاد العربية ، هذا اذا كنا نريد — ولا شك فى كوننا نريد — ان نخدم اللغة العربية والقومية العربية ، ونسهل نمو اللغة ونيسر انتشارها بسرعة .

كما يطلب من هذه اللجنة **انتسعى لدى وزارات المعارف والجامعات والصحف والمجلات ان تضع فى الاستعمال كل ما تقرره المجامع العلمية** ، والا فان الجهود والاموال التي تبذل تذهب هدرا . وتظل تلك الاماني الخيرة احلاما طوباوية لا يمكن تحقيقها .

* * *

خلاصة ما اريد أن اقول :

1 — ان خطنا العربي كما قال البيروني فى مقدمة كتابه (الصيدنة) آفة يحتاج الى اصلاح ، واول وسائل اصلاحه ان نكتب كل كلمة مضبوطة بالشكل التام . وان نستعمل فى صحفنا ومجلاتنا وفى كتب التعليم عندنا وفى رسائلنا الخاصة الشكل الكامل . وعلامات الترقيم . واذا استطعنا ان نقتصر فى حروفنا على صورة واحدة من صوره الثلاث فنكون قد اقتصدنا فى الوقت وفى النفقات ستة وستين من الوقت والمال الذي نبذله الآن .

2 — ان قواعدنا فى حاجة الى غربلة وحذف ابواب كاملة ، وتقسيم هذه القواعد الى :

أ) قواعد خاصة بالقرآن الكريم ولاصحاب الاختصاص .

ب) قواعد لطلاب المدارس الابتدائية على شرط ان تكون موضوعة بشكل دائري لا على اسلوب التشتيت الذي يخرج الطالب من القواعد وهو لا يفهم منها لا قليلا ولا كثيرا .

ج) قواعد لطلاب المدارس الثانوية توسع فيها دائرة ما درسوه فى المدارس الابتدائية توسيعا .

د) قواعد لطلاب الادب فى الجامعات توسع فيه الدائرة ليظل الطالب على صلة بما مر عليه فى شتى الدراسات السابقة .

* * *

3 — ان يؤلف لنا قاموسان :

أ) قاموس للمدارس تعبر فيه كل الاحرف اصولا، يصور احسن تصوير ويطبع احسن طباعة .

ب) **وقاموس جامع تعتبر فيه كل الاحرف اصولا يشتمل على الاصطلاحات العلمية والفنية ويصور ادق تصوير ويطبع احسن طباعة ، وتنحى منه الكلمات المهجورة بحيث توضع فى قاموس خاص يرجع اليه العلماء كما يرجع الباحثون الى دور الآثار .**

4 — **الاهتمام بمعلم اللغة العربية اهتماما يجعله** يعشق هذه اللغة ليستطيع ان ينقل هيامه باللغة الى طلابه . فنمنحه الراتب الذي يشعره بالكرامة والاعتزاز ! ..

5 — تجديد المناهج والكتب المقررة ، **والحيلولة دون تأميم الكتب لانه تأميم للعقل وتجميد للفكر !**

6 — استعمال اللغة العربية فى التعليم الجامعي ، على شرط أن يكون الطالب الثانوي والجامعي متقنا لغة اجنبية حية مع لغته العربية — على الاقل — ليتمكن من الرجوع الى المصادر الاجنبية، وليتمكن من مواكبة سير العالم وتطوره .

7) استعمال المصادر العلمية بلفظها الاصلي مع ترجمتها الى العربية .

8) توحيد المصطلحات العلمية فى البلاد العربية وتعميمها بوساطة لجنة تنتخب من المجامع العلمية كافة .

9 — تبادل اساتذة اللغة العربية بين البلاد العربية .

10 — تعزيز المكتبة العربية بكتب مترجمة صحيحة ، وكتب بعثت من التراث القديم مبسطة تبسيطا يجعلها سائغة لمن يريد المطالعة .

11 — الاستعانة بكل ذي خبرة من خارج الجهاز الحكومي ، لانه ليس من المفروض ان اجهزة الحكومة قد ضمت كل نابه فى علمه وفى فنه .

اشهر دعائم هذه الآراء .

1 — القرآن الكريم

2 — نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها — للاب انستاس ماري الكرملي

3 — الكتابة العربية المنقحة — للاب انستاس ماري الكرملي

4 — الفهرست — لابن النديم

5 — وفيات الاعيان — لابن خلكان

6 — صلاح اللغة العربية لدراسة العلوم الجامعية والبحث العلمي — فاضل الطائي

7 — آراء فى اللغة العربية — لرشيد عامر السامرائي

8 — فلسفة اللغة العربية وتطورها — لجبر ضومط

9 — كتاب الصيدنة — للبيروني

10 — مقدمة ابن خلدون . — ابن خلدون

11 — حضارة العرب — لغوستاف لوبون — ترجمة المرحوم عادل زعيتر .

12 — المزهر فى علوم اللغة — لجلال الدين السيوطي ج 1 .

13 — كتاب الحيوان — للجاحظ ج 1

14 — المستشرقون — لعفيفي

15 — كتاب تاريخ آداب اللغة العربية — للمرحوم الرافعي

16— مقدمة الالياذة — المرحوم سليمان البستاني

17 — الرد على النحاة — تحقيق شوقي ضيف .

18 -- معجم عطية .

إتحاد الجامعات كفيل بدعم

وحدة المصطلح العلمي العربي

الأستاذ عبد الرحمن بشناق

(الاردن)

1) ان صعوبة اللغة بحد ذاتها والحروف التي نكتب بها من اهم المشاكل التي تعترض سير اللغة العربية .

اللغة — سامية صعبة على ابناء اللغات اللاسامية من حيث **الاصوات والصرف والنحو** وهي منعزلة عن واقع الحياة ، حيث تسود العامية في اشكالها المختلفة . فلا يدري الاجنبي هل يتعلم الفصحى ام العامية ، وبايهما يبدأ واية لهجة عامية يتعلم .

— روح المحافظة المحيطة باللغة الفصحى والتي تقاوم دخول المصطلحات والعبارات الاجنبية التي لا غنى عنها للغة العصرية .

الحروف — اشكال الحروف جديدة على الاجانب بخلاف حروف اللغات الاوروبية والامريكية .

— ثم انعدام صور حرفية لاصوات الضم والفتح والكسر يجعل تحكم الانسان في اللغة صعبا ، ويلاحظ ان كثرة المتعلمين العرب لا يجيدون لغتهم .

2) — بينما لا نستطيع تغيير طبيعة اللغة العربية الفصحى نستطيع تبسيط طرق تعليمها بحيث تنتشر معرفتها بين نسبة عالية من السكان في كل قطر . ومتى انتشرت معرفة اللغة الفصحى وزاد استعمالها بدون اخطاء اساسية في المدارس والصحف والاذاعة ، فانها ستتخلص بالتدريج من ركودها اي من التصلب او التحجر الناتج عن قلة الاستعمال في الامور اليومية وتصبح لينة سهلة وحية بالمعنى الصحيح ، اي تصبح لغة الكلام والعاطفة والعلم .

ويجدر في الوقت ذاته قيام هيئات علمية غير متفرعة في كل قطر لترعى المصطلحات والعبارات الجديدة في ذلك القطر ، وتكون على صلة متينة بالهيئات المماثلة لها في الاقطار العربية الاخرى ، لئلا تستعمل عدة عبارات عربية متشابهة المعنى للتعبير عن مدلول جديد واحد .

3) — لاشك ان اللغة العربية تصلح للتدريس الجامعي بالنسبة لعدد كبير من مواد التدريس . وتصلح ايضا لتدريس الطب والعلوم الرياضية وغيرها بشرط الاستعانة بلغة اجنبية . اي يجب على الطالب الجامعي العربي ان يجيد لغة اجنبية ليظل على صلة بما يتجدد من معلومات واكتشافات كل يوم ، ولكنه في الوقت ذاته سيستفيد من محاضرات اساتذته فائدة اعمق اذا كانت باللغة العربية ، تتخللها عبارات ومصطلحات اجنبية مما لا يوجد له ترجمة مقبولة في اللغة العربية .

4) — من المشاكل التي تعترض اساتذة الجامعة انهم في الغالب تلقوا علومهم في جامعات اجنبية وبلغات اجنبية ، ولذلك يصعب عليهم أن يحاضروا باللغة العربية وان يصوغوا الترجمة العربية الصحيحة لما تعلموه .

ومن المشاكل ايضا ، ضعف الطلاب الجامعيين في اللغة العربية ، وهذا الضعف ناجم عن الاساليب العقيمة في تعليم اللغة العربية في معظم المدارس العربية ، اذ يتلقى طالب المدرسة الابتدائية والثانوية معظم علومه باللغة العربية ، ويدرس بالاضافة الى ذلك دروس اللغة والادب كل يوم ، ولكن نسبة ضئيلة من المتعلمين تصل الى مستوى السيطرة التامة على اللغة او المقدرة على قراءتها وكتابتها دون الوقوع في اخطاء جوهرية .

اذن فالحل هو فى **تبسيط تعليم اللغة العربية** ، وفى نشر التعليم بين ابناء العروبة لتصبح اللغة الفصحى تراثا مشتركا بين الجميع ، لا ثروة محصورة فى افراد قلائل . وبهذا تلين اللغة وتتقبل المصطلحات الجديدة وتقرب من الحياة اليومية ، وتصبح صالحة لتدريس كل العلوم فى الجامعات .

وفى الجامعات نفسها ينبغي وجود لجنة من هيئة التدريس تشرف على ترجمة البحوث التي يضعها الاساتذة الى لغة عربية سهلة متينة ، كما ينبغي الاتصال والتعاون بين لجان الجامعات المختلفة ونشر البحوث المترجمة لتعميم الفائدة وتنسيق الجهود .

5) — المصطلح العلمي ليس اهم مشكلة تعترض نمو اللغة العربية ، لكنه مشكلة . والحل فى نظري هو قبول المصطلحات العالمية كما تقبلها جميع اللغات الحية . وليس من الحكمة التمسك بنقاوة اللغة العربية من كل شائبة اجنبية اذ كان ذلك التمسك سينتهي باللغة الفصحى الى الجمود والانعزال عن تيارات الحياة المعاصرة .

الاتصال بحلقات التطور العلمي العالمي يستلزم إتقان لغة أجنبية بجانب اللغة العربية

الدكتور منذر الدقاق

رئيس شعبة الامراض الداخلية فى مستشفى دمشق
وعضو المجمع الامريكي لامراض جهاز الهضم

عندما نناقش مبدأ اختيار اللغة المفضلة فى تدريس العلوم فى بلادنا العربية فاننا نرغب ونسعى وراء ادراك كافة اوجه التطور العلمي العديدة التي تعم العالم والتي تعود علينا بالخير والمجد .

وفى هذه المرحلة التاريخية الحاسمة من علاقات البشرية — وقد امتازت بسرعة التبادل العلمي واشتداد الاحتكاك الاجتماعي نتيجة تطور وسائل النقل فى العالم — يجب أن لا نتردد فى الاعتراف بأن لغتنا العربية هي اكثر بطئا من اللغات العلمية العالمية فى نقل اشكال هذا التطور العلمي فى ارجاء المعمور .

فاللغة صلة الوصل فى نشر العلم

وقد تعددت المؤتمرات العلمية فى شتى الاختصاصات فى السنين العشر الاخيرة وكانت اللغة الانكليزية فى جل هذه المؤتمرات هي صلة الوصل الاولى بين مختلف العلماء من مختلف البلدان وتأتي بعدها الافرنسية ثم الاسبانية فالالمانية الخ ..

وتبادل اشكال التطور بين مختلف شعوب الارض يتم بشكل سريع اذا ما جمعت لغة عالمية واحدة وسائل التعبير لدى رجال العلم واللغة العملية التي تسيطر على وسائل التعبير لدى العلماء فى العالم هي الانكليزية فى الوقت الحاضر .

هذا هو واقع اساسي لا يمكن تجاهله او تناسيه فالذي يشترك فى المؤتمرات العلمية العالمية يدرك تماما ان للغة الانكليزية النصيب الاوفر والاول فى المناقشات العلمية كانت اساسية ام فرعية .

واذا ما اردنا دراسة الانتاج العلمي باشكاله فى العالم وجدنا ان جله يظهر بلغة انكليزية فى كثير من البلدان المتعصبة لقوميتها وبلادها كالهند واليابان ، والسبب فى ذلك ان اللغة الانكليزية تسمح فى عصرنا الحاضر بنشر وتعميم التطورات العلمية فى ارجاء المعمور كلها .

ان قوميتنا العربية تقضي بالتطور السريع والتقدم الدائم وليس من واسطة علمية عملية تسمح لنا بتحقيق هذه الامنية فى العصر الحاضر ، اذ انه فضلا عن عدم وجود انتاج علمي اساسي فى العلوم لدى العرب فان علماء العالم قل ان يدركوا التطورات العلمية لبلد ما ان لم يتوفر لهم التعرف اليها بواسطة المجلات العلمية العديدة ..

الكتب العلمية

وفى شتى العلوم ، وخاصة فى الطب ، فان الكتب التي تطبع فى اللغات الاقليمية المحلية قليل وهذا ما يخفف من عدد الطبعات التي تحمل فى تكرارها اشكال التطور والتجدد على مر الزمن ولهذا تتباين الكتب العلمية مع عجلة التطور وتبقى متخلفة عن اللحاق بالركب العالمي .. ومن المنطق أن لا تستطيع هذه الكتب العلمية الصادرة بلغة اقليمية تجديد طبعها فى كل عام لان استهلاكها محدود طالما أن عالمها صغير فضلا عن ان اكثر هذه الكتب العلمية (وعلى الاخص فى بلادنا العربية) مترجمة .. وطالما ان الابداع الشخصي فى الانتاج العلمي محدود ..

الوجه الخاص لعالمنا العلمي ..

واذا احببنا ان نتجرد عن عواطفنا وان نواجه الواقع المؤلم فلابد لنا ان نذكر ان عالمنا العلمي

محدود وان وسائل الابتكار العلمي لا تعرف التشجيع ان وجدت ، لاننا لا نحسن تقديرها اولا ولان خلقنا وخلقنا لميتعودا بعدعلى دفع العالم المبدع الى الامام بل ما زلنا نعمل على وضع العثرات كافة فى وجهه تحول دون كل ما يقدم لنا - نسخر منه حين يحترمه العالم ونسعى وراء ابعاده لقتل ابداعه .

تلك ظاهرة هامة جدا فى حياتنا العلمية يشعر بها العلماء فى بلادنا العربية .. ولهذا وجدنا ان عددا كبيرا منهم قد لجأالى بلاداجنبية ليتابع ابحاثه ودراسته بعد ان لقي الترحيب والتكريم وقد نبذه وطنه وحاربه.

ولا ادل على ذلك من ان طبيبا عربيا قد الف كتابا علميا تعرض لكثير من النقد والتقريظ .. وان السلطات العلمية والثقافية فى جل البلاد العربية قد طلبت هذا الكتاب وعممته على مكاتبها باستثناء وطن الكاتب الذي تجاهل الكتاب كل التجاهل رغم تقديمه الكتاب عدة مرات للبحث والدراسة .

اننا فى الوقت الذي نرجو فيه ان تتطور عاداتنا وتسمو اخلاقنا ونبش لكل نشاط علمي فعال ، لابد أن نتساءل هل من الاجدى ان نقدم انتاجنا العلمي باللغة العربية ام بلغة اجنبية ؟

كيف يتم التعريف بالانتاج العلمي ؟

اظن انه من الضروري ان نعرف العالم بانتاجنا بواسطة اقصر الطرق ، واستعمال اللغة العربية فى هذا الانتاج يؤخر كثيرا فى هذا التعريف وسيبقى العالم بعيدا عن ادراك اي تطور يمكن ان نقدمه فى حقل العلم طالما انه لم يطلع عليه ، ولهذا لابد من اللجوء الى وسيلة تسمح للعالم العلمي ان يقرأ انتاجنا بلغات يستعملها غالبا ، **ولنا فى اليابان البلد الآسيوي الذي تضارع حضارته ومدنيته البلدان الاوروبية كافة خير مثال ، اذ انه بالاضافة الى** استخدامه اللغة اليابانية فى بلاده فى نشر معارفه ومخترعاته وانتاجه العلمي ، نرى انه يسخر اللغة الانكليزية فى كل المجالات لتعريف العالم بتطوره العظيم وقد تم له ذلك بوضوح فى السنين العشر الاخيرة واعتقد انه لو اكتفى باستعمال اللغة اليابانية فى شرح انتاجه وكشوفه لبقي بعيدا جدا عن العالم ولما حظي بهذا الاجلال العظيم الذي يكنه العلماء فى هذا العصر للتقدم الفني الهائل والتطور العلمي العجيب اللذين قدمتهما اليابان الى مدنيتنا الحاضرة ، ويكفي ان تعرف ان نصف الاجهزة **الالكترونية** التي تستعملها الولايات المتحدة الامريكية فى مستشفياتها العلمية هي اجهزة من **صنع ياباني ،** وعلى الرغم من وجود عالم طبي وعلمي قائم بذاته فى بلاد الشمس فان الاطباء والعلماء يستخدمون اللغة الانكليزية فى شرح وتدريس الاشكال العالية من انتاجهم العلمي لانهم يؤمنون بأن هذه اللغة تكفل سرعة الاتصال مع العالم الخارجي وسهولة النشر فى الحلقات العلمية العالمية .

ان القومية السليمة هي التي تقضي بالتطور والوطنية الصحيحة هي التي تساعد على اظهار وتوسيع وتطوير كل انتاج علمي لا خنقه وقتله لاعتبارات ذاتية زائلة .. وهذا ما يوضح لنا انسجام شعب كالشعب الياباني مع هذا الواقع العلمي متخطيا كثيرا قيود القومية وشروط الوطنية الضيقة ... فاستعمل اللغة اليابانية فى بلده فى حدود لا تؤذي تطوره وابداعه ... ومن الضروري للبلاد العربية ان تعود الى نفس الطريقة فلا تكتفي **باستعمال اللغة العربية فى مجال نشاطاتها العلمية بل تجعل لاحدى اللغات الاجنبية المكان الاول الى جانب اللغة العربية** وهذه هي الطريقة الوحيدة التي لا تخفى عن العالم ما نحمله من تطور وابداع فى حقل العلم ، وحتى يستقر لنا عالم علمي لانفسنا لابد لنا أن نرتبط بهذه القيود .

الشكل المفضل لتدريس العلوم

ولسنا ندعو الى تدريس العلوم باللغة الاجنبية الا انه من الضروري على الاقل ان يتم تدريس النصف **تقريبا باللغة الاجنبية** والنصف **الآخر** باللغة العربية وهو ما يسمح للطلاب بعدم الابتعاد عن المجرى العلمي السائر فى العالم طالما ان اللغة العربية لا تحمل اليه تطورات العلم فى كافة اشكالها وفى اوقاتها اللازمة .. اما اللجوء الى الترجمة فهذا حل وسط ضعيف له محذوران : المحذور الاول انه يصعب على التراجمة فى اكثر الاحيان ملاحقة تواتر التطور بشكل متناسب ، والمحذور الثاني ان الترجمة تضعف فى كثير من الاحيان النص الاصلي ان لم تشوهه على نحو ما نرى فى كثير من الكتب العلمية العربية المتداولة ، ولست ارى اهمية لاختيار التعابير الطبية الصحيحة باللغة العربية لانني مقتنع بان هذا ممكن وان هذا لا يحول دون الترجمة وبالتالي دون التدريس باللغة العربية .

دور اللغة فى انتشار المعرفة العلمية

وكأوضح مثال على دور اللغة ونوعية اللغة فى نشر العلم والمعرفة هو ما اكتسبه كاتب هذه الاسطر من خبرة فى الموضوع .. فلقد اعتاد تسجيل ودراسة الحوادث العلمية التي يصادفها فى ممارسة الطب منذ اكثر من عشر سنوات ، وهي صفة ملازمة لكثير من اطباء المستشفيات فى العالم .. وتقدم هذه الدراسات فى مواضيع وابحاث ومحاضرات فى الندوات والمؤتمرات والمجلات الطبية فى الشرق الاوسط واوربا والولايات المتحدة باللغة العربية والافرنسية والانكليزية وتطبع هذه الدراسات وتنشر باحدى هذه اللغات الثلاث ..

ومن تقاليد الاوساط العلمية فى العالم ان تطلب نسخة من الابحاث الطبية المنشورة التي تجد فيها اهمية خاصة .. ولهذا فهو يتعلق دائما بطاقات خاصة من دول عديدة فى العالم تطلب فيها نسخة من البحث المنشور ومن الطريف جدا ان يذكر انه لم يتلق اي طلب لاي بحث تم نشره باللغة العربية وانه تلقى ما لا ينقص عن خمس طلبات لكل بحث نشر باللغة الافرنسية فى حين يتلقى عشرات الطلبات واحيانا المئات منها لكل بحث نشر باللغة الانكليزية وهذه الطلبات تصدر عن بلاد عديدة تقع فى القارات الخمس من استراليا الى اقاصي امريكا الجنوبية مارة بآسيا وافريقيا واوروبا .. ومن بلاد لا تتكلم احيانا الانكليزية وقل أن تستعملها فى حياتها الخاصة .

ان هذا الواقع الذي نعيش فيه والذي نشعر به كل يوم يبرهن تماما على ان استعمال اللغة الانكليزية فى الدراسات العلمية فى وقتنا الحاضر اجدى بكثير من استعمال اية لغة اخرى لانها الواسطة التي تنقل الى العالم بعض النشاط المتواضع فى المجال الطبي العلمي الخاص ببلدنا العربي وهو ما لم يكن متوفرا فى السابق ، ولو اكتفينا باستعمال اللغة العربية فقط فى التدريس ونشر المعرفة العلمية لما تم هذا التعريف بنشاطنا العلمي على صعيد عالمي واسع .

خاتمة ونتيجة

هذا هو الواقع الاجتماعي لمشكلة علمية اساسية تصادفنا طوال مراحل تطورنا ومن الضروري أن نجد لها حلا واضحا يتناسب مع حاجياتنا ويحافظ على قوميتنا..ولسنا ندعو البتة الى طرح اللغة العربية جانبا وتبني لغة اجنبية فى تدريس العلوم فى جامعاتنا ومعاهدنا .. الا اننا ندعو الى الضرورة القصوى لاشراك **لغة اجنبية — ونفضل اللغة الانكليزية فى** الوقت الحاضر — فى تدريس العلوم ، فيعمد الاساتذة الى انتقاء ما لا يقل عن مادتين من اصل البرنامج تتغيران بتغير العام ، تدرسان باللغة الاجنبية ويسأل الطالب عنها فى آخر العام وهو بهذا الاسلوب مضطر الى اتقان **الدراسة باللغة الانكليزية الى جانب متابعته للعلوم فى اللغة العربية** فيكون قد حظي بمعرفتين وهذا اول الطريق للاتصال بحلقات التطور العلمي فى العالم .

اللغة العربية طاقات خلاقة

ولكن تنقصنا وسائل التنسيق

للدكتور احمد شوكت الشطي

كليـة الطب (مخبـر الجنيـن)
جـامعـة دمشـق

1 — ان أهم المشاكل التي تعترض سير اللغة العربية والتي تحد من انتشارها بسرعة فى العالم هي: عدم استكمال وسائل التنسيق فى التنظيم .

2 — فان انجع الحلول فى نظرنا هو العمل المنظم المستمر المشفوع بحسن النية والاخلاص للعروبة واللغة العربية والاقتناع التام بطاقاتها على استيعاب المصطلحات التي أوجدها التطور العلمي الحديث وتقدمه المذهل فى شتى الميادين .

3 — ان صلاحية اللغة العربية للتدريس الجامعي لا يشك فيه من اطلع على اللغة العربية وعرف مدى مرونتها ولا يقول بخلاف ذلك الا جاهل بالعربية تنقصه الجراة فى محاولة التجربة ، فاذا ما جرب باذلا بعض الجهد اقتنع بصلاحية هذه اللغة حتى فى العلوم الحديثة مثل علوم الذرة والفضاء وما الى ذلك من علوم غير معروفة فى السابق .

4و5 — ان اللغة العربية الصالحة فى ذاتها للتدريس والبحث الجامعي تتطلب التوفر على المصطلح العلمي بوضع معاجم تشرف عليها لجان محدودة وبدعوة المؤلفين الى استعمال الكلمات المدونة فيها ، كما هي حتى ولو كان لديهم افضل منها ، على أن يبين المؤلف فى آخر كتابه او فى هوامشه نقده والكلمة المفضلة لديه لتنظر فيها لجنة المعجم فتقرها اذا اقتنعت بها فى الطبعة الجديدة ، ويقضي ذلك بأن يطبع المعجم لا اقل من مرة كل ثلاث سنوات .

ويحسن ان توضع المعاجم بالتدريج فيبدأ بوضع معجم فى المصطلحات الطبية وآخر فى المصطلحات الزراعية ، وثالث فى المصطلحات العسكرية .

مستقبل العربية كلغة عالمية رهن بمستقبل العرب

للدكتور: عبد السلام العجيلي
(دمشق)

1 — ان تحديد انتشار اللغة العربية فى العالم ليس ناجما عن مشاكل متعلقة باللغة نفسها ، بل عن اسباب متعلقة بالامة العربية ومنزلتها بين امم العالم ومستواها الحضاري فى العالم المعاصر . ليس ادل على هذا من ان اللغة العربية انتشرت بسرعة فائقة بعد ظهور الاسلام ونهضة العرب الحضارية التي تلت خروجهم من جزيرتهم . لم تقف امام انتشار اللغة حينئذ اية مشكلة من المشاكل التي تثار الآن كتعقيد النحو والصرف وعسر الكتابة وصعوبة مخارج الحروف .

فتخلف العرب الحضاري هو المسؤول عن الحد من انتشار اللغة العربية بين الامم التي ليست هذه اللغة لغتها . وحين لا يكون عند العرب ما يغري الشعوب الاخرى بالتماسه من منابعه ، من معطيات ثقافية وفنية اصيلة ، وحين لا يغزو العرب امم العالم لا بقوتهم ولا بعلمهم ، تبقى لغة العرب لغة ثانوية لا يتكلف احد جهدا فى تعلمها غير ذوي الفضول ومحبي الغرائب ، مهما كانت اللغة من اليسر أو قرب التناول .

2 — مما اسلفت يتبين ان ليست هناك مشكلة رئيسية ليكون حل لها . ومستقبل اللغة العربية كلغة عالمية رهن بمستقبل اهلها الناطقين بها .

ولا شك أن هناك مشاكل هامشية نستطيع ان نسميها صعوبات لا تخلو من مثلها اية لغة سواء كانت واسعة الانتشار او قليلته . ومعالجة هذه الصعوبات تيسر تناول اللغة وتعلمها ، ولكنها لا تعطيها القدرة على فرض نفسها كلغة عالمية .

3 — فى رأيي ان كل لغة يتكلم بها الناس ويكتبونها تصلح للتدريس الجامعي . واللغة العربية أصلح من كثير غيرها من اللغات لكثرة مفرداتها ولدقة الفروق بين معاني المفردات المتقاربة منها ، ولمرونة التركيب فيها ، ولماضيها الحضاري . ولانها كذلك لغة جماعة كبيرة من الناس لهم تراثهم الجليل فى التاريخ وللاوطان التي يسكنونها قيمة فى حاضر العالم ومنزلة كبيرة منتظرة فى مستقبله .

4 — العلم العصري سواء كان تدريسا فى الجامعة او بحثا علميا هو علم غربي البيئة والاصول اجنبي على اللغة العربية ، قد تلقاه الاساتذة والبحاث باللغات الاجنبية فى الغالبية العظمى من الحالات .

والمشاكل التي تعترض الاساتذة الجامعيين فى تعليم العلم والبحث فى اللغة العربية مشاكل على نوعين : النوع الاول مشاكل نفسية مصدرها الفة الاساتذة للغة الاجنبية فى تفكيرهم العلمي واقتران المعطيات العلمية فى اذهانهم بالتعبير الاجنبي الذي درسوه فيه ، أيا كانت اللغة الاجنبية تلك افرنسية او انكليزية او المانية او روسية . هذا الاقتران وتلك الالفة يؤسسان فى نفس الاستاذ الجامعي اقتناعا بعجز اللغة العربية التي تلقى ثقافته العلمية بغيرها ، عن أن تكون وعاء متسعا للمعارف التكنيكية او البحث العلمي .

وهذه المشاكل النفسية تحتاج فى حلها الى ايمان الاساتذة الجامعيين والبحاث بأمتهم وبلغتها وبمستقبلها وطبيعي أن الايمان بالامة لا يحدث فى يوم وليلة ، فهو نتيجة للتربية الوطنية الصحيحة . وكذلك الحال فى الايمان باللغة فهو لا يكون بأمر أو قرار رسمي ، بل لابد للاستاذ الجامعي من أن يكون قوي

الاطـــلاع علـى لغتـــه الام متـذوقـــــا إقيمتها التاريخية المتمثلة فى تراثها المتوارث طـوال اربعة عشر قرنا . اما الايمان بمستقبل الامة فهـــو نتيجة ملازمة لمعايشة الاستاذ الجامعي لواقع الشعب الذي هو احد افراده بالاطلاع على مشاكله وحاجاته والتعرف على امكانياته الكامنة وطاقاتـــه المحدودة . فالاستاذ الجامعي فى العالم العربي المعاصر يجب أن لا يكون فى عزلة . انه ؛ لكي يقوم بما عليه أن يقوم به؛ يجب ان يكون رائدا وطليعة فى بناء الإجيال الجديـدة التي تفتقدهـــا امته بين الامم ، اعنـــي بها الاجيـــال العلميـــة .

النوع الثاني من المشاكل التي تعترض الاساتذة الجامعيين فى هذا المجال مشاكل واتعية مصدرهـــا اللغة العربية نفسها . فنحن نعرف ونعترف بأن لغتنا لم تصبح بعد لغة علمية متكاملة وان قصور اللغـــة العربية فى هذا المجال يعود الـــى اسباب تاريخيـــة وانسانية خارجة عن ارادتنا نحن ، وعلينا نحـــن بارادتنا وتصميمنا ان نمحو هذا القصور ونعطيهـــا الصفة التي تنقصها لتصبح مثل غيرها لغة صالحة لتدريس العلوم والبحث فيها . وهـــذا امر لا يمكن ان يحدث فى يوم وليلة ؛ او أن يقوم به فرد أو افـــراد قلائل . على كل مدرس وباحث ان يأتي بما يقدر عليه فى مجاله ، مستعينا بجهود زملائه ، مساهما بقسطه من الجهد والابتكار ، حتـــى يتأتـــى للغة العربيـــة أن تصبح اداة وافية فى ميدان العلـــم مثلها هـــي فى ميادين الفكر والادب ومثل كل لغة عالية يثق اهلهـــا بذاتهم ويحترمون انفسهم .

5 ــ المصطلح العلمي قد يكون اسمـا او فعلا. وهو فى هذه الحالة كلمة مكونة مـــن جذر بسيط او عدة جذور مركبة ترجع فى اصولها الـــى اللاتينيـــة او الاغريقية فى غالب الاحيان . ويلحـــق بهذا الجذر أو تلك الجذور اضافات وحيدة أو متعددة مما يخلق منها كلمات جديدة تخضع فى تكوينهـــا الى اصول الصـــرف والاشتقاق فى اللغات العربية . وقد يكون المصطلـــح العلمي صيغة رياضية او كيميائية معبرا عنها بالارقام والحروف اللاتينية واليونانية ، او كلمات مختزعـــة مختصرة لجملة مصطلحات علمية ممثلة باوائـــــل حروف جذور تلـــك المصطلحات .

وطبيعي ان لا يكون هنا اندماج هذا المصطلـــح العلمي باللغة العربية الفصيحة ذات الاصول الثابتـــة فى التكوين والاشتقاق ، ذات الاوزان المحدودة لصيغ الاسماء والافعال ، وذات مخارج الحروف المعروفـــة والمحددة . غير أن العقبات التي تحول دون هـــذا الاندماج ليست عقبات لا تذلل ، كما ان اللغة العربية ليست الوحيدة التي اعترضتها هذه العقبـــــات فذللتها .

اولى العقبات وابسطها معالجة هو عدم احتواء الكتابة العربية حروفا معينة ؛ وبصورة خاصة بعـــض الحروف الصوتية ؛ موجودة فى اللغات الغربية مثل حرف V و P و G . وقد عولجت هذه العقبة معالجة معقولة باجراء تعديلات فى التنقيـــط على الحروف العربية المقاربة فى مخرج اللفظ للحروف المفتقدة . ولكن هذه المعالجة لم تدخل فى دور التعميم الشامل ، وهذا قصـــور يمكن تلافيه ويجب تلافيه .

وثمة عقبة اخرى هي التي تتعلق بتعريـــــب المصطلح الاجنبي . وقد لعب التحرج والتصلـــب دورهما فى تضخيم هذه اللغة حين أصر بعض المعنيين باللغة العلمية على تعريب كل مصطلح ورفض ما لم يتوافق وزنه وتركيبه مع اوزان الصيغ فى اللغة العربية وتركيب الكلمات فيها . ولاشك بأن التنقيب عن كلمات عربية مهملة ومنسية كان العرب القدمـــاء قـــد استعملوها فى ما يقابل مسمياتهـــا العلميـــة اليوم ، كبعض مصطلحات التشريح والفلـــك وعلم النبات ؛ عمل جليل يغني لغتنا العلمية بمفردات كثيرة نحن فى حاجة اليها . الا ان الطوفان المستمر من المصطلحات العلمية الجديدة يجعل الاصرار على اكتشاف كلمـــة قديمة لكل مصطلح جديد ؛ او تعريب هذا المصطلح الجديد بكلمة عربية فصيحة ؛ ثم فرض هذه الكلمـــة على الاوساط العلمية العربية المتباعدة والمنقطـــع بعضها عن بعض ؛ امرا مستحيلا ويضطر العلميين العرب الى قبول المصطلح الاجنبي بأقل ما يمكن من التعديل فى لفظه . لقد ترجمت بعض المدارس مثـــلا كلمة هرمون بكلمة « حاثـــة » ، ونيتاميـــن بكلمـــة « حيامين » ، الا ان الايام واقلام الكتاب اثبتـــت المصطلحيـــن العلميين كما وردا فى شكلهما الاجنبي ، ولم يحل ذلك دون اندماجهما باللغة العربية العلمية أو ان يصبحا كلمتين شائعتين على السنة العامة من النـــــاس .

ويبدو ان الاشتقاق فى المصطلح العلمي وتطويعه لاصول الاشتقاق فى اللغة العربية هو اشد العقبات بروزا . فاللغات العربية تقبل كلمات مؤلفة من عـــدد من الحروف يفوق العشرة او العشرين ، مركبة مـــن

جذور متعددة ، مضافا اليها زوائد كثيرة . اما اللغة العربية فان تحملها للكلمات الكثيرة الحروف عسير ، ولذا يلجأ المعربون الى الكلمات المتعددة للتعبير عن المصطلح العلمي الواحد . فنقول فرط التحسس كترجمة Hypersensibilité الا ان هذا يخلق لنا متاعب يصعب التغلب عليها فى الاشتقاق الوصفي او الفعلي لمصطلحات مثل هذه . نستطيع أن نقول اكسدة لفعل Oxydation المشتق من اكسد ؛ ونصرف فعل هذا المصدر بطريقة صحيحة . ولكن المسألة تتعقد حين نريد ترجمة Reoxydation و Désoxydation وتصريف الفعل المناسب لكل منهما . عدا ما هو اكثر تعقيدا من هذين مما تدخل فيه الزوائد اللاتينية واليونانية مثل Ere, ana, dis, Extra-intra ما كان منها بسيطا او مركبا . ويبدو ان الحل فى هذه الحالة وامثالها هو قبول المصطلح العلمي على حاله او بقليل من التعديل وترويض اللغة على الوان من الاشتقاق مرنة وان لم تتساهل فيها الكتب القديمة او الآذان المتصلبة .

غير أن كل هذه العقبات : على جدتها ؛ لا تقف أمام الارادة الصحيحة التي تقتضيها الحاجة الماسة الى فرض اللغة العربية كلغة علمية عن طريق تدريس العلوم الحديثة لابنائها بها وتوسيع مفرداتها بقبول المصطلحات العلمية الجديدة فى مفرداتها . ولا يخفى علينا ان لغات كثيرة اشد عسرا فى قواعدها وفى طريقة كتابتها من لغتنا قد طوعت للعلم (مثل اليابانية والعبرية) فلم تقف دون تفوق ابنائها فى العلوم النظرية او التطبيقية . واذا كان ثمة حائل صحيح دون ان تصبح اللغة العربية لغة علمية ثم لغة عالمية فهو ليس فى اللغة نفسها بل هو فى تصور الهمة وضعف الثقة بالنفس .

يوجه المكتب الدائم هذا النداء الى جميع رجال الاختصاص فى العلوم واللغة العرب :

فى اطار المعجم العلمي العام الذي سيصدره المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربي بناء على منهاجه العشاري ، نرجو من سيادتكم موافاتنا فى اقرب وقت ممكن بما يعن لكم من مصطلحات تقترحونها فى مادة اختصاصكم او ملاحظات على مصطلحات غير موفقة فى نظر سيادتكم او ما عثرتم عليه اثناء بحثكم من مصطلحات عربية قديمة تعبر عن مفاهيم علمية جديدة وغير خاف عنكم ان الجامعة العربية قد بعثت بمذكرة خاصة الى جميع وزراء الخارجية العرب تطلب منهم فيها المساهمة فى اعداد هذا المعجم ماديا وادبيا .

وان المكتب قد قرر ان يكون معجمه وافيا بجميع المصطلحات المستوعبة لقابلية الحياة لذلك يرى من الضروري الاتصال بجميع الهيئات العلمية واللغوية وبكافة الافراد العلميين .

عالمية اللغة العربية

رهن بقوة العرب في الحقل الدولي

الازدواجية إلغاء هي دعم للتوازي العلمي

الأستاذ فؤاد الشايب

(دمشق)

تعترض سير اللغة العربية ، وتحد من انتشارها ثلاثة حوائل ، يؤلف كل منها قضية قائمة بذاتها ، ومترابطا بعضها ببعض ، فى الوقت نفسه .

اولا — الحرف العربي :

ان رسم الحرف العربي وان يكن يؤلف حائلا جديا ؛ دون بلوغ اللغة العربية مستوياتها العالمية ، وجماهيرها الواسعة ، فان قضيته ليست بالمعضلة التي يمكن ان نجد لها حلولا سريعة تافهة كأن نعدل عن الحرف العربي ، الى الحرف اللاتيني ، كما فعلت (تركية اتاتورك) ، او كما يقترح بعض المتحذلقة العرب ، ممن يظنون انهم قد وجدوا الثغرة من جانب الحرف ، للعبث بالتراث العربي ، بدءا من الالف حتى الياء وللترك ولسواهم ان (يلتنوا) حروفهم فهم ليسوا شيئا من تراثنا .

وقد كتب كثيرون فى استحالة (تلتين) الحرف العربي من جهة ، وعدم جدواه من جهة ثانية ، بقطع النظر عن القضية القومية بالذات ، ولست انوي هنا أن اكرر ما قيل وحسبي القول أن الدعوة اللاتينية ، هي تزوير لطرح القضية ، وقد بادت الدعوة ، كما باد سواها من الدعوات الشعوبية والاستعمارية المعادية لحقيقة الوجود العربي .

ثانيا — سلطان الدولة :

ان القيمة السياسية لسلطان الدولة ، قضية قومية عربية تعكس ظلالها على واقعنا الثقافي ، ومنذ اقدم الازمنة ، اقترنت امجاد اللغات بامجاد دولها وانطفأت لغات ولهجات بانطفاء الجماعات التي قامت عليها ونطقت بها ، ونحن ادرى الاقوام كيف دانت للغتنا العربية شعوب الروم والفرس ، فكتب فحولهم بالعربية وخلدوا بها فى تاريخ الفكر العربي فى ظلال مجد الدولة وقوة السلطان واليوم لا يخفى على احد كيف انتشرت الفرنسية والانكليزية بين الملايين فى افريقيا وآسيا ، واللغة الروسية بين الملايين فى اوربا الوسطى والشرقية.

وعندما تكون اللغة العربية لغة الدولة العربية الكبرى ذات مئة المليون — نستطيع ان نتصور الكثير والقليل عن مدى ازدهار اللغة وراء سيادة الدولة — وعالميتها .

ثالثا — المستوى الثقافي :

تؤلف قضية المستوى الثقافي فى مجتمعنا العربي ، مشكلة اساسية ، اقل القول فيها انها هي التي تقرر مسيرة اللغة ، ومصيرها معا فالمجتمعات التي لا يؤلف فيها جمهورها وعيا ثقافيا معينا ، تتضاءل فيها الحاجة الى لغة غنية معاصرة لحاجات الانسان ، وينحدر فيها الانتاج الفكري الى مستوى التفاهات ، ويساوم عليه مع خسيس البضاعات ، وفى هذه المجتمعات لا كرامة لمفكر ؛ ولا رزق ايضا ، وتنعدم الحاجة الى اللغة ؛ بانعدام الحافز الى التقدم ، والحاجة الى المعاصرة فاللغة القابعة فى عقر دارها ، هي قرينة الفكر الضامر فى أطماره، وطبيعي أن اللغة التي لا تبارح دائرتها الصغيرة ، لا تستطيع ان تخطو فى العالم الخارجي، خطوات كثيرة او قليلة .

ان معضلة اللغة فى هذه المجتمعات لا يمكن ان تطرح منفصلة عن مادتها الغذائية ، فاللغة لسان الحياة والحاجة ورباط بينهما معا ، فاذا كانت

الحياة تافهة والحاجة مقصورة على البدائيات ، انعدم الشعور بضرورة تعزيز الرباط بين الحياة والمجتمع ، وتصبح عشرات الكلمات كافية للتداول بديلا عن الالوف .

ففي معالجة مشكلات هذا المستوى الثقافي المتدني ، لا يطرح السؤال : هل اللغة العربية متخلفة عن الركب العصري ؟ بل السؤال : هل اهل اللغة انفسهم هم المتخلفون ، فالمعضلة ، وحلولها ليست في اللغة بل في القوم الذين يتداولونها ، انها قضية (اجتماعية ثقافية) في المقام الاول ويجب أن نعالجها ليس على اساس انها تركيب حروف ، بل **تكييف شروط اجتماعية انسانية** ، في مكان ما وزمان ما .

وعلى هذا فان معالجة مشكلة اللغة العربية ، ليست بالحصر معالجة اكاديمية ينصرف اليها العلماء والاختصاصيون ، فنحتوا الالفاظ ، وناجروا اشكال الحروف ، وان تكن الاكاديمية هنا عملية تقنية ، لابد منها في مرحلة الصياغة والتنظيم والتنسيق .

فاذا قلنا مثلا ان انفتاح الحياة الاجتماعية على حاجات العصر ، وفروض التقدم وتيارات الفكر العالمي ، وان تشجيع الروح العلمية ، وتكريم اهل العلم ، وتيسير نشر الثقافة العامة ، من اسباب اعداد المجتمع وتأهيله لتداول لغة غنية متوسعة ، نقول ايضا ان البدء من القاعدة في مكافحة الامية ، — على مستوى القراءة ، وعلى مستوى التفكير ايضا — سبب رئيسي ايضا من اسباب تكوين الوعي الاجتماعي الثقافي الذي يستطيع أن يحتضن العلماء والمثقفين ، وينهض بهم ، ويحتمل على صعيده وجودهم .. ليعيشوا قادة معه ، لا عالة عليه .

فالقضية هنا حلقات مترابطة من تعليم الامي ، الى تجهيز العالم الاكاديمي ، الى فتح قابلية الجماهير لبذور الوعي الثقافي ، ولرفض شروط الحياة المتخلفة .

اما جوابي عن الاسئلة الثلاثة الاخيرة فخلاصته فيما يلي :

يبدو ان لا خلاف بين الباحثين المعنيين بالموضوع — وقد استفتت مجلة (المعرفة) في دمشق عددا منهم — حول حقيقتين اساسيتين ، تتفرع عنهما تفاصيل كثيرة :

الاولى ان اللغة العربية صالحة للتدريس العلمي الجامعي ، ويجب أن تستمر العناية بها لتصبح اكثر صلاحا في المستقبل .

والثانية ان لا غنى للمتعلمين وطالبي المزيد من العلم ، عن التثقف بلغة عالمية اساسية يتابعون بها ثقافتهم التي تؤهلهم لمعاصرة كل مستطرف مستحدث ، وليس ذلك من اجل اغناء ثقافتهم مسلكيا وفكريا فحسب ، بل من اجل دفع اللغة العربية عن طريق اهلها من العلماء ، لتسير ابدا على الخط الموازي للتقدم العلمي في العالم .

ففي مدى الحقيقة الاولى أؤكد أن اللغة العربية التي استوعبت في عصرها الذهبي علوم الاولين والآخرين ، غير عاجزة عن مثل هذا في عصرنا الراهن، ما استطاع اهلها الى ذلك سبيلا ، ولا ضير عليها من الانفتاح الكبير ولا خطر ، الا من طرفي التحذلق ، والتزمت على السواء .

وان هي صلحت الآن ، للتدريس العلمي ، واستيعاب العلوم الانسانية المختلفة ، فيجب أن يستمر هذا الصلاح بمجهود عربي مشترك تنهض له مؤسسات علمية وعلماء وادباء ورجال تفرغ واختصاص ، وفي مواضيع العلوم المادية الاكثر امتناعا على اللغة كعلوم الطب والهندسة ، والكيمياء وسواها .

فلا يكفي ان تكون كلية الطب في دمشق — مثلا — قد عمدت الى تدريس الطب بالعربية منذ اربعين عاما . اذ يجب ان تتفاهم الجامعات العربية اينما كانت وتتعاون فيما بينها على تنفيذ منهج مقرر في تدريس العلوم ، بلغة علمية لا تترك مصطلحاتها لاختيار الاذواق الخاصة والاقاليم المحلية ، والمجهودات الفردية ، بل أن تنهض لها مؤسسة عربية كبرى ، تشرف على تنظيم اشتراك الجامعات العربية كلها في ايجاد المصطلح العلمي الملائم وفي استعماله معا .

وقد وضع صيغة اقتراح مماثل منذ عام 1945 — العلامة الاستاذ مصطفى الشهابي ، رئيس المجمع العلمي العربي ، بدمشق ، فطالب بتآزر مجمع اللغة العربية في القاهرة مع جامعة الدول العربية بالاضافة الى اسهام رهط من العلماء والادباء المتفرغين للمهمة الثقافية القومية ، فيتألف من هذه الجهات تنظيم يشبه (لجنة عليا) ذات صلاحيات وطاقات مادية كافية ، تشرف على اخراج (معجم للمصطلحات العلمية) ، يطبع ويوزع بمساعدة

الحكومات العربية وتهيأ له اسباب الانتشار الواسع ويتجدد بين الحين والحين ، بالاضافات والتعديلات ، شأنه شأن أي عمل انسيكلوبيدي ، ويكون مرجعا يقتضي الالتزام به ، دون ان يغلق الباب امام نقده وتعديله .

وفى مدى الحقيقة الثانية فثمة اجماع ايضا على ضرورة اعداد الطالب العربي فى مرحلتي التدريس الاعدادية ، والجامعية ، اعدادا لائقا لتلقي العلوم باحدى اللغات العالمية الانتشار ، وان هذا الاعداد الثقافي للطالب العربي ، يجب ان يتوازى مع خط تدريس العلوم باللغة العربية ، ليتبادل الخطان باستمرار شرارات الاشتعال ، حتى يأتي اليوم الذي تصبح فيه اللغة العربية ، لغة علمية واسعة لا تنازع فى صلاحها ، تستطيع ان تأخذ كما تستطيع ان تعطي انما يجيء هذا الامر بالتدريج ، وبالتطور الذي ينمي اللغة ، وينمي طاقات المجتمع المتخلف معا. ولا فضل ابدا بين اللغة والمجتمع فى محاولات العلماء والمصلحين ، ساسة وقادة الفكر ورجال علم .

واما ملاحظاتي الخاصة حول ما اوجزت من آراء الباحثين ، فجماعها :

اولا : يجب الشروع على الفور فى انشاء مجلات علمية اختصاصية ، باللغة العربية ، تدعم (الكتاب الجامعي) ، و(معجم المصطلحات) ايضا وتجعل معاصرة العلم شأنا يوميا من شؤون الكثرة من المتعلمين ، ولعل هذه الهيئة العليا المنوط بها امر اللغة العلمية — لجنة ام مجلسا — تصلح أن تقوم بنفسها ، او توصي الحكومات لاصدار هذه المجلات العلمية الميسرة امام جمهور المثقفين والمتعلمين بأدنى الاسعار ، ان الافراد والهيئات الخاصة كما هو معلوم لدينا عاجزون عن القيام بمثل هذه الاعمال النشرية ، ذات التكاليف الكبيرة ، والجمهور المحدود وسهم الدولة العربية فى هذا المشروع سهم رئيسي كلي .

ثانيا — يجب أن تكثر وتتعدد فى نطاق الوطن العربي والمهاجر ، والاوطان الآسيوية الافريقية التي تعنى باللغة العربية وتحتفي بها ، مكاتب الجامعة العربية لتنسيق التعريب ، أو مراسلون فى بعض الامكنة يحلون محل المكاتب ، على ان يكون التراسل بين هذه المكاتب مستمرا وفعالا ، بالمراسلة أو بطريق عقد المؤتمرات وايفاد الوفود هيئات وافرادا حتى تصبح هذه المكاتب وسائل فعالة لنقل تيارات التعريب والتنسيق الى الجهاز الاعلى المركزي ، المفروض انه هو الذي يعد العدة لوضع معجم المصطلحات ، فاذا تواصل مكتب تنسيق فى الرباط ، مع آخر فى دكار ، وآخر فى سان باولو ، وآخر فى دمشق ، مثلا للتفاهم حول وضع مصطلح ، وتم الاتفاق بأي سبب من اسباب تبادل الراي ، كان من ذلك حصاد ثمين يوضع امام اللجنة العليا الناظمة ، واذا حصل خلاف رفع الامر الى المرجع اياه ، ليتوافر عليه باحثون ورجال اختصاص ، للحكم المرجح .

ثالثا — يجب اشراك الادباء جنبا الى جنب مع العلماء وفقهاء اللغة وعلماء الاجتماع واصحاب الخبرات ، فى تقرير المصطلح العلمي ، على نطاق الوحدات الصغيرة ، والوحدة الرئيسية العليا ، اذ من المفروغ منه ان ادباء كل امة ، قصاصين ، وشعراء ونقادا ، وباحثين اجتماعيين ، وصحافيين ، قد اسهموا اسهاما رائعا بوعي منهم ، او بلا وعي ، وهم يمارسون تجاربهم الفنية بلغة قومهم فى تطوير اللغة وتيسيرها وتطعيمها ، ومنحها تلك الطواعية، والعفوية والليونة فى استعمال الالفاظ والمصطلحات ، انما الاديب الحق ، من احب لغته وفهمها ، وجبل ترابها بتراب ذاته ، وابدع بها غاية ما فى طاقة اللغة من ابداع ، ولهذا يجب ان تكون آثار الادباء مراجع لدرس تطور اللغة واستعمال مصطلحاتها وتداولها .

رابعا — واخيرا فلي كلمة انهيها بكثير من الصراحة لاقول ان المنظمات الرئيسية والفرعية ، على نطاق الحكومات ، والجامعة العربية ، ومكاتب التنسيق ، وسواها ، ومن يوكل اليهم شأن من شؤون اللغة افرادا وهيئات ، يجب ان تخلو من احد اثنين من حاشري انفسهم فى معركة تطوير اللغة وهما : المتحذلق والمتزمت :

فالمتظرف بالثقافة ، المغرور بها ، الذي بلغ به العلم حد اقتلاع جذوره من مجتمعه وبيئته — واقل اوصافه أنه متحذلق — قد يزعم ان العلم لغة انسانية عالمية ، لا وطن لها ولا ضرورة لاحاطتها باطار قومي ، لان العلم لاسرته الشاملة ولانسانيته المطلقة، واقل ما نجابه به هذا الدعي المتحذلق ، هو التأكيد بأن تطور العلم ، وما احرزه من توسع وتعمق انما بلغ ما بلغه بمشاركة جميع الاقوام ، قديمها وحديثها، وبلغاتها نفسها ، وكانت التي تعطي العلم تعطي لغتها معه ، وقد أعطى العرب ، نجوما تسبح فى

الافلاك اسماء لا يزال العالم حتى اليوم ينطق بها ، وسيظل ينطق الى الابد ، دون ضير ولا غضاضة .

اما من يجهل او يتجاهل لغة قومه ، ليتقن لغة اجنبية ، يتذرع بها في ما يسميه ولاءه لانسانية العلم ، ضد لغته وقومه ، فلا اقل من القول بانه انسان ناقص العلم والانسانية معا .

اما المتزمت الذي يطيب له ان يسخر من العقل والعصر والناس ، ليزعم ان ما من مصطلح علمي ، الا ويوجد لفظه المناسب بالعربية ، او انه بالاصل عربي قح .. لانه منقول عن كذا ، ومحرف عن كذا — هذا المتزمت يجب ان يكون احد اثنين : اما جاهلا لا يحق له الانتساب الى العلم ، وحسبه منه التقعر والدعوة والحمية الباطلة ، او متواطئا على حشر اللغة العربية في نطاق حديدي ، لا تتعداه الى العالم الخارجي الا راسفة في اغلال ثقيلة قاتلة ، **والمبيت للغة شرا هو من اراد ان يفقر مضمونها اللغوي والثقافي ، لكي تموت موتا تلقائيا بسوء التغذية** . وان تكن سياسته اللغوية متصورة على المصلحين ، **فهو قاتل حق يريد به باطلا .**

حتى في احسن حالات الظن به **والاشفاق عليه،** فهو ليس اكثر من زوج مسكين يقتل زوجه حبا بها وغيرة عليها..

واخيرا لقد آن اوان العمل ، بعد ان تجمع حول المسألة راي عام مثقف على نطاق عربي ، يطالب بانشاء مؤسسة عليا ، في مركزها وفروعها ، في مكاتبها ومراسليها ، لتنشيط حركة التعريب وتنسيقها ، وضبطها والتأليف فيها وآن للدول العربية ان تدرك خطورة هذه الدعوة لتعزيز رابطة الروابط القومية فيما بينها ، وتأكيد عزمها على الخروج فعلا من نطاق المجتمعات المتخلفة .

اللغة ليست كائنا مستقلا بذاته ...

ولكن أداة طيعة في أيدي أبنائها وتقدمها منوط بتقدمهم

الدكتور سليمان قطاية

حلب (سوريا)

ان انتشار لغة ما ، فى اعتقادي ، يتعلـق بانتشار حضارة الامة التي تتكلم تلك اللغة ، وعلاقتها وتأثيرها على بقيـة حضارات الامـم .

فمنذ انتشرت الحضارة العربية عمت لغتهـا جزءا كبيرا من العالم القديم وتعلمهـا وكتب بهـا الاعاجم من كل جنس ولون . ولكن عندما جـاءت عصور الانحطاط وتراجعت الحضارة انحطت اللغـة معها ودالـت دولتهـا .

تلك هي حال اللغات الاوربية **فانتشارها جزء لا يتجزأ من انتشار وتفوق الحضارة** الاوروبية واليـوم نجد أمامنا مثلا واضحا لهذا : فالحضارة الاميريكية تطغى على الحضارة الفرنسيـة فنلمس تراجعـا لهذه امام تلك ، وما كتاب ايتيابل « هل تتكلـم **الانكلوفرنسية** » سوى مثل واضح على ذلك !

وعلى العكس عندما قام مصطفى كمال اتاتورك بكتابة اللغة التركية بالاحرف اللاتينية بغية تسهيـل دراستها للاجانب ونشرها على نطاق واسع ، لـم يصل الى هدفه لان الامة التي تتعلم التركيـة امـة مستضعفة متخلفـة .

وعندما ستصل الامة العربية الى درجة التفوق فى التقدم العلمي والفكري فلسوف نرى الاجانـب يقبلون على تعلمها والاخذ عنها كما فعلوا فى السابـق مهما كانت صعوبـة اللغة وتعقيدها .

ولا أريد من قولي هذا ان التقدم الحضاري هو السبب الوحيد لانتشار اللغات ، بل ثمـة اسبـاب اخرى لا تقل اهمية كالعلاقات السياسية والاقتصادية والجغرافية وصعوبة اللغة نفسها وقابليتها التعليميـة فرغم تقدم اليابان والصين ، فلا تزال لغة تلك البـلاد قليلة الانتشار ومن اسباب عدم انتشارها صعوبـة تعلمهـا .

فانتشار اللغة العربية على نطاق عالمي واسع، اذن تتعلق مباشرة بمدى تقدم ابنائها فى ميادين العلوم والفنون ومدى علاقاتهم بالامم الاخرى .

ولكن ثمة عوائق تقف فى وجه الاجنبي الـذي يود صادقـا تعلم اللغة العربية ، منها :

1 — وجود لغة فصحى ، ولغـات دارجة ، تجعل الاجنبي فى حيرة لاختيار الفصحى أم الدارجة ، فاذا درس الاولى اصبح حبيس جـدران المعاهـد ، وصديقا مجدا للمتعلمين والمثقفين العرب ، وان درس الثانية بعد عن مصادر اللغة من كتب ومخطوطات .

2 — وحتـى لو درس الفصحى فهو يـدرس اللغة القديمة لغة القرآن والمعلقات (وهذا ما يفعله طلاب معهد اللغات الشرقيـة فى باريس) وهي غيـر اللغة الفصحـى الحديثـة .

3 — مشكلة الخط العربي وعدم ضبطه ضبطا رقيقـا من حيث اللفظ والاحرف الصوتية والتشكيل والحركات والاملاء ، وكثرة انواع الخطوط العربيـة أما صلاحية اللغة العربية للتدريس الجامعي فهـي حقيقةلا جدالفيها،والاسباب التيتدعو البعضالىالقول بعدم صلاحيتها : هي اما عدم الايمان باللغة العربيـة لجهلها وتأثير التغلغل الفكري الاستعمـاري فيـه . أو لاسباب اخرى هي الرغبـة فى السرعة بنشـر التعليم العالي وتأسيسه وسهولة تأمين الاطـارات التقنية والكتب العلمية واعتقد ان هذه الاسباب هي التي دعت بعض الدول كتونس الى تدريس الطـب بالفرنسيـة ، وهي التي تدعو اللجنة المشرفة علـى تأسيس كلية الطب فى حلب الى الاعتماد على اللغـة الانكليزيـة فى التدريـس .

وعلى كل حال فلا يمكن لنا أن نقول بعـدم صلاحية اللغة العربية كلغة لان الحركة التي قامـت

بها جامعة دمشق منذ عام 1919 حتـى اليوم ، ورغم عجزها عن الوصول الى المستوى المطلوب ، فانهـا تجربة ناطقـة .

واذا لـم نصل الى ما يريده لها ابناء العروبة فالسبب هو ان دمشق وحدها لا تستطيع ان تتحمل عبئـا ثقيـلا كهذا .

ولا اعتقد ان اللغة العربية اضعف من اللغـة الفنلدية او الفلامنكية او العبرية فى مسايرة العلـوم الحديثـة وخدمتهـا ؛ فاللغـة ليسـت كائنـا مستقـلا بذاتـه بـل هـي اداة طيعـة فى ايـدي ابنائـها ومـدى تقدمهـا يتعلـق بمـدى ايمانهم بها واخلاصهم فى العمل على رفعـة شأنها . اما الصعاب التي تعترض طريـق الاساتذة فهي فى اعتقادي عائدة اما الى عدم كفاءة المتقدم على الترجمة او البحث عن المصطلحات الدقيقة . فيقع فى اخطـاء تجبر الاساتذة الآخرين على ايجاد مصطلحات اخرى، ثم تعمل الانانية والفردية عملها فاذا بنا فى كلية واحدة امام عدة اساتذة كل منهم يطلق اسما مختلفـا لمسمـى واحـد !

أو ان الدافع القومي المحلي يعمل عمله وهذا ما حدث مثلا اثناء الوحدة بين سوريا ومصر عندمـا اجتمع الفريقان لتوحيد المصطلحات العسكرية .

واما ان الخلاف السياسي المستحكم بيـن الدول العربية يمنع تبادل الآراء عن طريق النشـرات والزيارات والمؤتمرات ، وخاصة يمنع تطبيق المقررات التي يتخذها العلماء والاساتذة بشان اللغة العربيـة وتقدمها وثمة فريق من العلماء يغار على لغته لدرجة انه لا يقبل اية كلمة لم ترد على لسـان العـرب فى الجاهلية او فى العصر الوسيط ويفضل الكلمة الثقيلة المستحيلة الشيوع على الكلمة الغريبة السهلة التـي دخلت اللغة وانتشرت علـى الالسن .

ورايي ان حل هذه المشكلات والعمل علـى انتشار اللغة العربية يتلخص فى النقاط التالية :

1 — تاليف لجان خاصة من كل بلد عربي وكل فرع علمي لاصدار معجم فى هذا الفرع ، شريطة ان يسحق كل عضو فى نفسه كل شعـور اناني فردي أو شعـور قومـي او عقليـة قديمـة متحجـرة ؛ واضعين نصب اعينهم خدمة اللغة العربية وابنائها متطلعين الى لغة المستقبل **(اي لغة وسطى ما بين الفصحى والعامية)** لغة مرنة سهلة ذات اصطلاحـات وتراكيب تنزلق بسهولة فى اللغة العلمية الجامعيـة اليومية ولو اضطررنا الى اخذ بعض الكلمـات الاجنبية كما هي كقولنا « ريافت » بدلا من داء السكري لا ان يتطلعوا الى الماضي فقط ليفرضوا على ابنـاء المستقبل لغة قاسية متحجرة لم يعد فى استطاعتهـا ملاءمة العصر ومتطلباته الحاسمة السريعة الدقيقة .

2 — ان تطبق الدول العربية كلهـا هـذه المصطلحات فى مدارسها ومعاهدها بكل جدية واخلاص

3 — القيام بدراسات لغوية لتبسيط قواعـد النحو والصرف وتقريبها من قواعد اللغات الاجنبيـة كل لوحدها على غرار طرائق معهـد غوته بالنسبـة للغة الالمانيـة .

4 — تاسيس معاهد لتدريس اللغة العربيـة وآدابها فى كل عاصمة اجنبية حيث تتوفر الامكانيـات اللازمـة .

وان صعب تحقيق الامر عن طريق الحكومـات فلا باس من ان تقوم بهذه الجهود المجامع اللغويـة او الجامعات العلمية او حتى بعض الافراد المؤمنيـن بلغتهم وامكانياتها عن طريـق الدعـوات الفردية ، والاجتماعات الدورية ، وهذا اضعف الايمـان .

اللغة العربية صالحة

شريطة تمكن الأستاذ الجامعي بالإضافة إلى لغة أجنبية

الأستاذ فاخر عاقل

(جامعة دمشق)

1 — انتشار لغة ما متصل باهمية المتكلمين بها واهمية البحوث العلمية التي تنشر بهذه اللغة ؛ ومن هنا نرى ان تزايد اهتمام الناس عامة والغربيين خاصة باللغة العربية انما بدأ بتزايد اهمية المركز الذي يحتله العرب فى عالم اليوم . على أن للغة العربية امتيازا خاصا وهو كونها لغة القرآن الكريم مما يجعل لها اهمية خاصة فى نظر المسلمين فى كافة انحاء المعمورة . لكن اهل الضاد لم يجدوا حتى الآن فى ايجاد الطرق والوسائل المثلى فى تعليم اللغة العربية لابنائها صغارا وكبارا ، بله الاجانب وغير العرب . هذا من جهة ؛ ومن جهة اخرى فان النهضة العربية ما زالت طرية العود والبحوث العلمية الاصيلة المنشورة باللغة العربية مفتقدة مما يجعل المهتمين بالعلوم والبحوث العلمية غير حريصين على تعلم لغتنا وتفهمها .

2 — عندي أن من واجب المربين والمعلمين العرب أن يجدوا فى البحث عن انجع الطرق وخير الوسائل لتعليم اللغة العربية لابنائها — الصغار منهم والكبار — أولا وللاجانب ثانيا . ولقد حاولت من جهتي أن استخلص المفردات الاساسية للغة القراءة العربية) وحسبت معامل الترابط بين القائمة التي استحصلت عليها والقائمة التي استحصل عليها (موشي بريل) من الجامعة العبرية ولكن عملي توقف لان وسائلي وامكاناتي لا تسمح لي بمتابعة البحث .

وفى رايي أن من واجب الدائرة الثقافية فى جامعة الدول العربية أن تعمل على توجيه مثل هذه البحوث وان تتدبر لها المال والاختصاصيين اللازمين .

3 — اللغة العربية صالحة حتما للتدريس الجامعي ولنا فى جامعة دمشق بالذات خبرة طويلة فى هذا الصدد بداها زملاؤنا فى كلية الطب وتابعناها نحن فى كليات العلوم والاداب والتربية وسواها . ولكن الامر ليس سهلا ولا ميسورا بل لابد له من جهد وعناء وتنظيم على النحو الذي سأشرحه فى جوابي التالي .

4 — لابد للاستاذ الجامعي العربي من اتقان لغته العربية اتقانا تاما وكذلك لابد له من اتقان لغة اجنبية حية يستطيع بواسطتها ان يداوم على الاتصال بما يجري فى العالم فى حقل اختصاصه . وكذلك لابد للاستاذ الجامعي من الاطلاع الدقيق على تراثه العربي فيما يخص اختصاصه ؛ ذلك بان لغتنا القديمة طافحة بكثير من المصطلحات العلمية التي نجد وراءها الآن وجهلنا بها هو الذي يدفعنا الى الاعتقاد بعدم وجودها .

ولاشك فى أن أهم المشاكل التي تعترض الاستاذ الجامعي فى تدريسه هو المصطلح العلمي اولا وكيفية التعبير عن الافكار العلمية ثانيا . وعندي أن اللغة العربية قادرة على النهوض بالمهتمين شريطة تمكن الاستاذ الجامعي من لغته القومية اولا ولغة اجنبية ما ، ثانيا واختصاصه ثالثا . على أن هذا جميعه لا يعفيه من الجهد المتواصل والعمل الدائب فى الاطلاع على تراثه القومي وتعامله مع لغته نحتا واشتقاقا وتصعيدا بحيث يتمكن من ايجاد المصطلح الملائم والتعبير المناسب .

5 — مشكلة المصطلح العلمي مشكلة عويصة حقا ولكن تضافر الجهود واجتماع الاختصاصيين وتواصل اهل الراي كفيل بتذليلها جميعا . لقد آن الاوان لكي نقلب مجامعنا اللغوية الى مجامع علمية وان يجتمع اهل الاختصاص فى كل حقل اجتماعات دورية منظمة بحيث يستطيعون التذاكر فى مشكلاتهم والنظر فى ايجاد حلول لها

واقتراح المصطلحات العلمية اللازمة وتبنيها على نطاق عربي شامل . فاذا ما تم ذلك عمد اهل الاختصاص الذين يجب ان تتوفر فيهم شروط اتقان اللغة العربية واللغات الاجنبية ومادة الاختصاص ، عمدوا الى اقتراح المصطلحات المشتقة او المنحوتة أو المكتشفة من تراثنا أو المتبناة من اللغات الاجنبية وعمموا استعمالها فى جميع مناشط العلم والبحث والتعليم وبذلك يتوصلون رويدا الى المصطلحات اللازمة لهم .

ولعل من الاقتراحات المفيدة مطالبة كل مؤلف عربي فى مادة علمية ان يثبت فى آخر كتابه او بحثه قائمة بالمصطلحات التي استعملها او اقترحها مع مقابلاتها الاجنبية على الاقل اثبات المقابل الاجنبي امام المصطلح العربي المقترح على ان يكون ذلك تمهيدا للتنسيق فيما بعد فى اجتماعات الاختصاصيين التي سبق أن اقترحها .

وهنا احب ان الاحظ من واجب المدرسة العربية فى جميع مراحلها — ابتدائية واعدادية وثانوية وجامعية — ان تعنى **عناية كافية بتعليم اللغة العربية من جهة ولغة اجنبية من جهة أخرى** بحيث يستطيع الطالب الجامعي فيما بعد المشاركة فى مهمة ايجاد المصطلحات العلمية وتسهيل تعليم العلوم المختلفة بلغتنا .

هذا ولا انسى ان اشير الى امر على جانب كبير من الخطورة الا وهو ضرورة تواصل اهل الاختصاص الواحد فيما بينهم ، فنحن فى سورية مثلا قد نعرف ما يجري فى مصر ولبنان من بحوث ونطلع على ما يصدر من كتب ومنشورات ولكننا نجهل تماما ما يجري فى قطر مجاور كالعراق وذلك لان الكتاب العراقي لا يصل سورية ولا يباع فيها فما بالك بالكتاب المغربي أو التونسي او الليبي ، ولذلك كان من الاهمية بمكان عظيم أن تستحدث الوسائل اللازمة لمثل هذا التواصل الضروري وبقطع النظر عن الوسائل التجارية العادية وما تشترطه من ربح أو رواج.

للنهوض باللغة العربية يجب

1) توثيق الروابط بين العرب
2) الاتصال برجل الشارع
3) تضييق الشقة بين العامية والفصحى

الدكتور عبد الكريم الأشتر

كليـــة الآداب (دمشـــق)

تلقيت كتابكم ، واحمد لكم انكم اعرتم قضايـــا اللغة العربية فى عصرنا هذا الاهتمام الواسـع ، حتى يجعل منها آلة مرنة للفكر العربي الحديث ، قـــادرة على ان تستجيب لحاجات العصر المادية والفكرية وان تسعها فى يسر وغنـــى . واعتقد ان الاسئلة الخمسة التي طرحتموها فى كتابكم يتصل بعضها ببعض ويتفرع بعضها عن بعض ؛ فان ما تعانيه لغتنا خـــارج الجامعة ، من نقص فى التعبير عن حياتنا الماديـــة والفكرية ، وفى تطويرها ، هو ما تعانيــه داخـــل الجامعة ، وان اتسع المدى هناك وضاق هنا . فاذا صلحت اللغة للحياة خارج الجامعة صلحت داخلها . ثم ان ايجـــاد المصطلـــح العلمي المناسب للكشوف الحضارية الجديدة ، فى ميادينها الانسانيـــة كلهـــا ، ينبغي ان نجد له الحل داخل الجامعة وخارجها على الســواء ، فانه من المتعذر ان تنقطع الجامعة عـــن الحياة الجارية من حولها ، خشية ان تعزلها الحياة ــ وهي الاقوى ؛ لانها المـــورد والمصدر ــ وتتنكر لها ، وتلغي رسالتها الرامية الى توثيق صلتها بحيـــاة المجتمع المتخلف ، لتطويره تطويرا ناجزا فى ميادين الحياة كلهـــا .

* * *

ولعل « أهم المشكلات التي تعترض سير اللغة العربية ، وتحد من انتشارها بسرعة فى العالـــم » تكمن فى انها ، قبل كل شيء ، لغة محليـــة ، لانهـــا لغة متخلفة عن ركب الحضارة فى هذا العصر ، بعيدة عن منابع التاثير فى سياسة العالم واقتصاده وفكره وروحه . على انني لا اجهل ان تخلف لغتنا بـــدوره يقصر بنا عن مجاراة هذا الركب والتأثير فى مسيرته الكبرى ، فتلك حلقة التاثير والتأثر التي كتب علينا أن نكسر احد اطرافها حتى ننفذ من الطوق . على انني اعتقد ، مع ذلك ، ان نمو تدراتنا المادية على اي وجه، حتى نتمكن من التاثير فى حياة العصر السياسيـــة والاقتصادية والفكرية ، يعين لغتنا على أن تنهـــض وتنتشر وتفرض نفسها على الناس، على نحو من الانحاء

ولكن هذا لا يعني اننا نصل بذلك الى حـــل مشكلات اللغة ، وتذليـــل العقبات التي تعتـــرض سيرها ، وتحد من انتشارها ، فستظل لغتنا عاجزة عن ان تكون احدى لغات حضارة العصر ما لم نمهد لها سبل الاصلاح من الداخل ، حتى تمرن وتسهـــل وتغني بمعارف العصر ، فتقوى على أن تخاطـــب الانسان المعاصر من اي جنس ، فى اي شأن مـــن شؤون الحياة ، خطابا سهلا دقيقا ميسرا غنيا .

* * *

1 ــ ان صعوبة قواعد العربيـــة ، فى رأينا ، نحوا وصرفا واملاء ، وتعقدها واشتباكها عقبـــة اساسيـــة اولى لا تنكر ابدا ؛ وان تغافلت عنها فئـــة دفنت رأسـها فى رمال العصور ، ووقفت لكل حركـــة اصلاحية فيها بالتسفيه حينـــا ، والتنقيص حينـــا ، والكيد والتجريح والشغب احيانا كثيرة . فهـــؤلاء يفوتون علينا ــ دون أن يشعروا ــ فرص اللحـــاق بالقطار فى اسرع وقت ، بحجة الحفاظ على كيـــان اللغة وكيان الفكر العربي وتماسكه واصالته مـــن خلالها ؛ كأن كل من دعا الى الاصلاح متهم مسبقـــا بالتفريط فى تراثه الحضاري وقيمه العظيمة . على ان هذا الاصلاح ينبغي أن تتولاه حقا ايد موثوقة جريئة عالمة حريصة على ملامح وجودنا التاريخي واصالته، وعلى متانة روابطها الفكرية والروحيـــة بتراثنـــا العظيم ، فى مناحي حياتنا كلها . **ولعل اخطر مـــا**

يعطل هذا الاصلاح هو جمود ابرز علماء العرب المعاصرين بلغتهم وتراثها ، وعجزهم عن فهم المرحلة التاريخية الصعبة التي تجتازها امتهم ، وفهم ثقافتها الحديثة ، لانقطاعهم عن حياة العصر وعن منابعها الجارية بعيدا عنهم، فهم يحسبون — لضآلة الساحة التي يطلون عليها من نوافذها الضيقة — اننا نضطرب في قلب الحياة ، ونحن في حقيقة الامر ، انما نجول على حواشيها المظلمة ، ونقوم — على مسرحها الكبير — بدور الجوقة لا غير .

وقد اصطفينا مجموعات من العلماء في مجامعنا العلمية ليقوموا بتمحيص حركات الاصلاح وتغذيتها وتوجيهها من ناحية ، وليسهروا على حركات التعريب والاشتقاق والتوليد ويقوموها ويشقوا لها السبل الصحيحة من ناحية اخرى ، ولكنهم ، لاسباب كثيرة، وتفنوا من ذلك عند حد .

2 — ان حركة التعريب والاشتقاق والتوليد هذه تعنى بتذليل العقبة الاساسية الثانية ، وهي نقص المصطلح العلمي والفني الحديث في لغتنا ، وتنشيطها يعني تنشيط المؤسسات العلمية والفكرية، على اختلافها ، في انحاء الوطن العربي كله ، لتكوين جيل من العلماء متفتح على حضارة العصر وثقافاته النامية من ناحية ، وقادر على البحث والتنقيب في تراثنا القديم كله ادبا ولغة وتاريخا وفلسفة وفقها وعلوما ومعجمات من ناحية اخرى ، حتى تحيي الصالح مما يفي بهذا المصطلح ، او يعوض عنه تعويضا دقيقا حيا ، او نشتق له من اصول لغتنا وموادها ، او نصوغ له في آخر الامر صيغة نرضاها ويطمئن اليها نظام اللغة الصوتي الذي تخضع له في تصريفها . وينبغي الا نقطع صلتنا بالناس في الوصول الى هذا المصطلح والا نتجاهل الحياة الجارية من حولنا ، وان نرعى لها منطقيا فلا نقسرها على قبول ما لا تقبله او ما تجاوزته منذ زمن . ثم ينبغي ، من ناحية اخرى ، ان نفيد من الجهود الفردية المبذولة ، عن طريق الصحافة والكتاب والمحاضرة ووسائل الاعلام المختلفة . ثم أن يجرى التنسيق — على مستوى الوطن العربي — بين هذه الاطراف كلها ، وتعمم نتائجه تعميما سريعا تقويه حركة تبادل ثقافي نشيطة بين اقطار الوطن العربي في المشرق والمغرب.

ولعل من المؤلم ان نعجز اليوم ، ولنا مجامعنا وجامعاتنا ومعاهدنا ومؤسساتنا الفكرية الكثيرة ووسائل اعلامنا الحديثة النمية ، عن تحقيق ما حققه افراد الرواد الذين عاشوا في مطلع النهضة الحديثة ، في القرن التاسع عشر (**امثال الطهطاوي والشدياق** والبستاني وغيرهم) ، من السعي في خلق اللغة الحديثة الدمثة السهلة الغنية بمصطلحات العلم والثقافة المختلفة ، حتى لكأننا ينقصنا ايمانهم بأمتهم وانفسهم وتراثهم وقدرتهم على البقاء والنمو والتجدد ومواجهة حضارة العصر ، من اوسع الابواب

وتتصل بقضية خلق المصطلح الحضاري الحديث في لغتنا مسألتان :

الاولى : **مسألة توثيق الروابط بين اقطار الوطن العربي في المشرق والمغرب** . فان هذا بالغ الاهمية في الوصول الى المصطلح المناسب وفي شيوعه واغنائه وتطويره ، على ان ينهض المكتب الدائم لتنسيق التعريب بمهمة التوجيه والتعميم . ولعل هذا الاتصال الفكري وتعميقه وتوثيق اسبابه أجدى علينا ، آخر الامر ، من دعاوي السياسة ومفارقاتها الكثيرة . ونحن في المشرق ينبغي الا نماري في اننا نكاد نجهل تراث المغرب العربي الفكري والعلمي والادبي ، في القديم والحديث .

فلعل رعايتنا لهذا التراث العظيم في المغرب يزيد من قدرتنا على الاشتقاق والتوليد واختيار المصطلح المناسب لنا جميعا .

والثانية : **اتصال رجل اللغة فينا بالشارع** ، والكف عن احتقاره اياه ، وعن عده بيئة منحرفة عن قواعد اللياقة اللغوية . فهذا الاتصال ييسر لنا أن نفهم الحياة من حولنا ونقبلها ونأخذ منها ونعطيها ، فانه ينبغي الا ننسى ، في اي حال ، **أن الشارع اقرب الى الحياة منا** ، واننا انما نعمل على اغناء حياته وتطويرها . ولن يتيسر لنا ذلك دون أن نتصل به ونقدره قدره ، وسنجد أننا نلتقى فيه كنوزا من المعربات الجارية السهلة تغنينا عن نحت مصطلحات جديدة قد لا يكتب لها النصر في معركة الحياة في الشارع من بعد ، وهي المعركة الوحيدة الحاسمة في حياة هذا المصطلح .

ثم ان هذا الاتصال يجعلنا اقدر على اختيار المصطلح المناسب ، وعلى اشتقاقه وتوليده وصياغته، فلا يرفضه الشارع من بعد .

3 — وقد يعودنا هذا ، بالتالي ، على **تضييق الشقة بين العامية والفصحى** — وهي العقبة الاساسية الثالثة — حتى نصل الى اللغة الوسطى التي تحفظ قدرة الفصحى وغناها واسلوبها الاصيل فى التركيب والصياغة ، وتصل فى الوقت نفسه الى البساطة والسهولة اللتين نتوخاهما للغتنا . وبهذا يتيسر لنا امتلاك الشارع من بعد ، وتوجيهه ، والافادة من طاقاته الكبيرة .

* * *

هذه هي ، فى رأيي ، اهم العقبات التي تعوق اللغة العربية عن أن تسع الحياة الحديثة وتغني بها ، ويزداد اثرها فى الناس ، ويمتد انتشارها فى العالم ، ويصلح بها التعليم فى الجامعة وخارجها . فاذا ذللت هذه العقبات — وتلك طريق ينبغي الا يثنينا طولها ومشاقها عن النكوص عنها — وتهيأ لنا — فى الوقت نفسه — أن ندعم موقفنامن سياسة العالم واقتصاده، كان لنا ما نرجوه من بعد الاثر وحسن الصنيع فى الحضارة الانسانية عن طريق هذه اللغة التي دعت تراث البشرية فى حقبة طويلة من الزمان ، دون ان تضيق به أو تعجز عنه .

الضعف في العرب لا في العربية

اللواء الركن محمود شيت خطاب

عضو المجمع العلمي العراقي
وعضو اللجنة المجمعية بالرباط

1 — لا اعتقد ان هناك مشاكل واقعية تعترض سير اللغة العربية وتحد من انتشارها بسرعة فى خارج البلاد العربية .

وحين كان العرب اقوياء يسيطرون على العالم، كانت العربية تسير شرقا وغربا بقوة واندفاع ، وكان من مفاخر اكبر مثقفي الغرب — ومنهم احد البابوات — انهم درسوا فى معاهد العرب ، واتقنوا اللغة العربية.

ولما تقدم الاستعمار بقواته العسكرية الى البلاد العربية ، تقدمت معه قوات اشد خطرا من قواته العسكرية ، تلك القوات هي ثقافة الغرب التي زعمت ولا تزال تزعم ؛ ان العربية ليست صالحة للثقافة العصرية ؛ وانها متخلفة عن اللغات الحية الاخرى !!!

واذا كان من حق المستعمرين ان يشككوا فى العربية ، فما عذر (المستغربين) (1) فى متابعة المستعمرين بهذا التشكيك ؟

ان العربية قادت الفكر العالمي قرونا طويلة ، وهي قادرة على ان تقوم بهذا الدور اليوم وغدا ، ولكن العلة الكبرى فى نفوس العرب الذين انهارت معنوياتهم وضعفت قوتهم ؛ فصدقوا مزاعم المستعمرين دون مبرر .

2 — بعد ان نال العرب حريتهم وطردوا الاستعمار العسكري والاستعمار الاقتصادي والاستعمار السياسي ، بقيت آثار الاستعمار الفكري فى عقولهم وفى نفوسهم ايضا .

ان الاستعمار الفكري هو اخطر انواع الاستعمار على الاطلاق ، وكان من المؤمل ان يبذل قادة الفكر العربي بعد الاستقلال جهودهم المشرفة لطرد الاستعمار الفكري من عقول وقلوب العرب معا، ولكن خاب ظن العرب حين رأوا بعض قادة الفكر العربي يرددون ما كان يردده المبشرون والمستشرقون عن العربية ، وما هكذا تورد يا سعد الابل

ان مفردات العربية اضعاف مفردات اية لغة حية ؛ والعربية قوية رصينة متينة بحمد الله ، ويكفيها فخرا انها لغة القرآن الكريم - افتعجز بعد ذلك ان تكون لغة العلوم والآداب والفنون ؟ !

يا لسخرية الاقدار —

ان الضعف ليس فى اللغة العربية ، ولكن فى نفوس العرب الذين استسلموا دون قيد او شرط للثقافة الغربية باللغات الغربية ، كما ان جهل العرب بلغتهم — ودعنا من بعض الاسماء العربية اللامعة التي تؤمن بتخلف اللغة العربية لانها تجهل هذه اللغة وقابلياتها الفذة — فما علينا الا ان نقلب صفحات المعاجم العربية لننهل منها المصطلحات التي لا ينضب معينها .

3 — اللغة العربية تصلح للتدريس فى الجامعات بأنواعها المختلفة .

---

1) المستغربون : جمع مستغرب ؛ تقابل مستشرق؛ وهو العربي او المسلم الذي يردد مزاعم المستشرق على غير هدى وبصيرة ، وقد وضعنا هذه الكلمة لتؤدي هذا المعنى .

لقد أتــى على العرب حين من الدهر ، صدقوا خلاله أن العربية لا تصلح للتدريس فى المــدارس الابتدائيــة والمتوسطــة والاعداديــة .

ولكن اللغة العربية استحوذت اليوم علــى التدريس فى هذه المدارس بكفاية نــادرة ، فكذبــت بذلك عمليا مزاعم المبشريــن والمستشرقيــن ومــن لف لفهم من المستغربيــن .

واليوم تستحوذ العربية علــى التدريـــس فى الجامعات ايضا ــ حتــى جامعات الطب والهندسة فى قسم من الدول العربيــة ..

المهم العمل على توحيد المصطلحات العلميــة ، حتــى لا يذهب قسم من الجامعات العربية مشرقا ، ويذهب قسم آخــر مغربــا .

وهنا يأتي دور الجامعة العربية ، التي يجب أن تكــون اكثر نشاطا وفعالية ، فتوحد المصطلحــات العلمية باشرافها ومعاونة اعضاء المجامع العربية : مجمع اللغة العربية فى القاهرة ، والمجمع العلمــي العربي فى دمشق ، والمجمع العلمي فى بغــداد .

ولاضرب على ذلك مثلا بالمصطلحات العسكرية العربية ، فقد كان الجيش العراقي قبل سنة 1920م يستعمل المصطلحات العسكرية التركية والانكليزية ، اما اليوم ، فليس هناك كلمة واحدة اجنبية فى الجيش العراقــي .

ومن المعروف ، ان المصطلحات العسكرية هي مصطلحات علمية ، لا تقل شأنا اذا لم تكــن اخطــر شأنا من المصطلحات العلميــة الاخــرى .

والمهم هو توحيد هذه المصطلحات فى الجيوش العربية ، وقد بدأ العمل من اجل ذلك ، وسيتـــم ذلك قريبا باذن الله ، وأول الغيث قطر ثم ينهمر .

4 ــ لا مشاكل مطلقا تعترض اساتـــذة الجامعات اذا اصبحوا اكثر حرصا وعلما مما هــم عليــه الآن ، واعادوا ثقتهم الكاملة بلغة القــرآن الكريــم وبأنفسهم ايضــا .

المهم أن يتابع الاساتذة المصطلحات العلميــة التي تقرها المجامع اللغوية والعلمية ويعملوا بأمانــة واخلاص وقوة فى مجال تطبيقها فى تدريسهم وبحوثهم ومؤلفاتهم .

5 ــ الذين يظنون أن المصطلح العلمي يشكل أهم مشكلة فى العربية ، مخطئون كــل الخطــأ ، أو جهلاء كل الجهل ، او عملاء كل العمالة ..

كيف استطاع اجدادنــا من قبل ، نقل العلــوم والفلسفة والقانــون الى العربية ؟

كيف ــ اذن ــ يمكن أن نتهم العربيــة اليــوم بالتقصيــر ؟

التقصير فى نفوسنا نحن العرب ، لا فى العربية.

ان العرب اليوم مدعــوون ان يثبتوا وجودهم ، ويطردوا الاستعمار الفكري من عقولهم وقلوبهم معا ، والا فانهم لم يصنعوا شيئا بطرد الاستعمار العسكري والاقتصادي والسياسي من بلادهم اكثر من اخــراج الاستعمار البغيض من الباب وادخاله من باب آخــر اوسع واشــد خطــرا .

لقد قرأت مؤخــرا ان مستشرقا من الاتحــاد السوفياتي صنف معجما عن : اللغة العربية فى اللغة الروسيــة ..

فاذا كانت العربية قد اثرت هذا التأثير الحاكم فى اللغة الروسية ، والعربية لم تكن بتجانس شديد مع اللغة الروسية كما كانت مع كثير من اللغــات الحية الاخرى ، فما هو مبلغ تأثير هذه اللغة السامية المباركة فى اللغات التي كانت بتجانس شديد معها ؟؟

مرة ثانية او ثالثة ، ان الضعف ليس فى اللغــة العربية ، ولكن الضعف فى نفوسنا نحن العرب مــع الاسف الشديــد ...

يجب الا ندافع عن العربية ــ كما يدعي بعــض الانهزاميين من العرب ــ لان العربية اقوى مــن ان يــدافع عنهــا احــد ..

يجب أن نهاجم بهــا بعد أن نعيد الثقة بهــا وبنفوسنــا ، وحينذاك سنجدها اعظم اللغات واقواها واجدرهــا بالحيــاة والبقــاء .

فعالية اللغة العربية في الحقل العلمي
ولكن لابد من لغة حية ثانية في البحث الجامعي

للدكتور فاضل الطائي - بغداد -

سأقتصر فى هذا البحث على صلاح اللغة العربية فى دراسة العلوم الاساسية والعلوم التقنية (التكنولوجيا) وعلى البحوث التي تتعلق بهذين النوعين من العلم . وسوف لا اتطرق الى الآداب والمواضيع الانسانية ، اذ يختلف الامر فى المواضيع الاخيرة عن المواضيع العلمية الحديثة ، فالمصادر العربية فى الآداب والمواضيع الانسانية أكثر منها فى العلوم الاساسية والعلوم التطبيقية ، كما ان اهتمام العالم الحديث بالعلم بنوعيه أكثر منه فى الموضوعات الانسانية والآداب ، ويتضح ذلك من المجلات العلمية الدورية التي تنشر باعداد كبيرة جدا لكل فرع من فروع العلم ، اضافة الى ما ينشر من ملخصات فى مختلف اللغات ، فعدد المجلات العلمية البارزة فى علم الكيمياء والتي تصدر كل شهر لا يقل عن اربعمائة مجلة ، ولا بأقل منه فى علم الفيزياء وكذا العلوم الهندسية وربما كان عدد المجلات فى الفروع العلمية الاخرى متاربا لما هو فى الكيمياء ، ويعزى الامر الى ما نال العلم من اهتمام كثير من لدن الامم المتحضرة ، ونظرا لما له من علاقة وثيقة فى رفع المستوى المعاشي وزيادة الدخل القومي وتيسير سبل الحياة فى العالم . بل ليس فى وسع امة ان تعيش عيشة محترمة وتضمن استقلالها وتصون كرامتها ما لم تتضلع بالعلم ، العلم بنوعيه الاساسي والتقني ، وربما كان النوع الثاني من العلم وما يتصل به من الامور الفنية فى التصنيع والزراعة اجدى وانفع من النوع الاول فى النهضة المادية للامة ورفع مستواها المعاشي ، سيما فى الامم المتطورة التي تشق طريقها نحو الحضارة الحديثة .

ولقد فطنت اليابان الي منافع هذا النوع من العلم وتاثيره الكبير فى رفع الحياة المعاشية لسواد شعبها فاعارته اهتماما يليق بما له من فوائد جمة ورعته رعاية يستحقها فأرسلت بعوثها الى الامم التي برزت فى العلوم التطبيقية كالدول الاوربية والولايات المتحدة الامريكية آنذاك لدراسة هذا النوع من العلم ، كما اوفدت القليل من بعوثها لدراسة العلوم الاساسية. ولما عادت بعوثها بدات بصنع الآلات الزراعية الحديثة وبناء المعامل التي تستخدم مواردها الطبيعية ولم يكن التصنيع والبناء بجديدين بل نقلت ما هو معروف فى اوربا وامريكا الى بلدها وافادت منه فائدة كبيرة فى الحفاظ على دخلها القومي اولا ثم استغلال الايدي العاملة استغلالا يضمن رفع مستواهم الاقتصادي والاجتماعي ، كما صيرت من خاماتها الطبيعية موارد تجارية تدر عليها الربح الكثير ، وخلاصة القول بأن اليابان قد اعتمدت فى ابان نهضتها على التقليد والنقل لما كان موجودا فى الامم التي سبقتها فى المضمار الحضاري المادي . وعندما اطمأنت الى مستوى شعبها المعاشي ودخلها القومي تبنت الاهتمام بالنوع الثاني من العلم ، فتعاون علماؤها من النوعين وانطلقت الى العالم بنهضة قويمة وفى فترة قصيرة جدا كانت موضع دهشة الامم الاخرى واعجابها . كما أنها اسهمت فى تطور العلوم اسهاما فعالا فأضافت الى العلم معرفة جديدة لا تقصر عما تضيفه اي أمة متقدمة فى العالم ، ولعل فى نهضة اليابان مثالا نقتدي به فى نهضة الشعب العربي ، ولا أود فى هذا المجال ان انتقص حق العلم الاساسي وبحثه ولكن فائدته فى الدول المتقدمة أكثر منها فى الدول المتطورة فالخبرة العلمية التي يضيفها العلم الاساسي قد تكون ذات فائدة عملية آنية أو تاتي بفائدة فى المستقبل القريب او البعيد أو قد لا تأتي بفائدة عملية على الاطلاق . اما النوع الآخر من العلم

فيعنى فى البحث الذي تكون فائدته العملية مضمونة واكيدة حيث يعمل على حل المشاكل التي تعترض تقدم الزراعة والصناعة ويزيد من نفعهما ويتولى الموارد الطبيعية المتوافرة فى البلد ويستغلها استغلالا صحيحا من شأنه أن يجعل بتطور الامة ويضمن لها مستوى لائقا ودخلا قوميا محترما . ولعل بوادر النهضة الصناعية والزراعية قد لاحت فى افق الدول العربية المتحررة بل وبان ثمارها فى الجمهورية العربية المتحدة نظرا لما سارت عليه من تخطيط علمي مضبوط يوازن بين نوعي العلم على ضوء المرحلة التي تمر بها الدولة . وقد بدات هذه الدول فى اضافة المعرفة العلمية الاصيلة الى العلم واسهمت فى السير فى موكبه . وهكذا يتطور العلم وينمو بتكاثف العلماء وتضافر جهودهم فى مختلف شعوب العالم .

يوضح لنا التاريخ بأن العلم قد كتب بلغات عديدة على مر العصور وتوالت تلك اللغات على الصدارة وفقا لما اسهم اهلها فى التقدم العلمي والحضاري ، او على حد تعبيرنا اليوم من ان اللغات قد تعاقبت فى كون الواحدة منها (لغة حية) حسبما كان اهلها . فاللغة تحيا بأهلها وليس بتركيبها وتحظى بالصدارة عندما يكون اهلها قد سبقوا العالم فى التطور الحضاري ولعل حاضرنا يدل على وجود لغات حية هي ابعد ما تكون عن الحياة من حيث تركيبها ، كما وجدت فى الزمان القديم امثال لما ذكرت. فتأريخ العلم قديم ، وقديم جدا ، بل ويكاد تأريخ العلم أن يكون وليد ظهور الانسان على البسيطة ، وهناك ادلة مادية واضحة لا يتطرق اليها الشك على ازدهار العلوم فى مصر وما بين النهرين والصين يرجع عهدها الى نحو من أربعة آلاف عام قبل الميلاد كالاهرام والتخطيط وادوات الخزف والزجاج والمعادن فى مصر. وتعدين الذهب وبناء بابل ونينوي والحضر وغيرها فى العراق (بين النهرين) وآثار الخزف الملون والذهب والاتقان الهندسي فى الصين . وقد كتبت المعرفة العلمية بتلك اللغات القديمة كاللغة الصينية واللغة المسمارية ، ولا زالت الكتب العلمية الحديثة تثني على جهود اليونان فى بدء العلم الحديث والمنطق العلمي ، وكان لزاما على من اراد ارتشاف العلم والتحلي به ان يتعلم اللغة اليونانية بل ويجيدها . وفى منتصف القرن السابع للميلاد — على وجه التقريب — دخل العرب بلاد مصر فوجدوا كتبا عديدة فى مختلف شؤون المعرفة قد كتبت باللغة اليونانية فانكبوا على ترجمتها الى اللغة العربية ليكون العلم بمتناول من يحسن اللغة العربية دون الرجوع الى اللغة اليونانية كما ان بعملهم هذا قد أضافوا جزءا محترما من العلم الى المكتبة العربية . ولم ينصرم القرن السابع للميلاد حتى ظهر العدد الكبير من الكتب المترجمة ، واستمرت حركة الترجمة والنشر والتأليف وازداد نشاطها فى بغداد طوال القرنين السابع والثامن فانجبت عاصمة الرشيد يومئذ عددا كبيرا من قادة الفكر والمعرفة الذين استوعبوا بتفهم عميق ما قدمه اليونان من اضافة الى العلم واضفوا طرائق جديدة فى المعرفة العلمية واسلوب البحث العلمي وبذلك قد اسهم العرب فى الحفاظ على التراث اليوناني فى تطور الاساليب المتبعة للوقوف على الحقائق العلمية والتثبت منها عن طريق اجراء التجارب العملية المضبوطة . اذ لابد لمن يطلع على التراث اليوناني وما اسهم به فلاسفتهم العظام أمثال سقراط وافلاطون وارسطو وغيرهم أن يدرك اسلوبهم فى البحث والتتبع ويلمس اعتمادهم الكبير على التأمل الفكري والاستنباط المنطقي المحض فى الوصول الى الحقائق بل ولا يفوت المطلع اهتمامهم الوافر فى الناحية الفكرية وعنايتهم الضئيلة بالتجارب العملية ؛ فلقد انف فلاسفة اليونان من استعمال اليد والحواس الاخرى وبالتالي من اجراء التجارب العملية، بل وشككوا بالحواس نفسها وبكل ما يصل من المعرفة عن طريقها . وقد اجحف بحق العرب من قال انهم نقلوا التراث اليوناني بعد الحفاظ عليه الى اوربا فحسب ؛ وقد انكر كثيرا من الحقائق من كتب بأن العرب جسر عبرت عليه المعرفة اليونانية الى العالم واكتفى بهذا وحده .

والحقيقة ان العرب قد حافظوا على التراث اليوناني من الضياع واعتمدوا عليه واضافوا اليه الشيء الكثير من المعرفة بل وطوروا اسلوب البحث والوصول الى الحقيقة . وادرك ذلك عدد غير قليل من العلماء الاعاجم وبعض المؤرخين المنصفين امثال سارتون ، وكراوس وهوليارد وسرتلو وغيرهم ، وأوضحوا للعالم دور العرب فى تسيير الركب العلمي وابانوا النتاج العلمي الاصيل الذي اضافه العرب الى النتاج اليوناني . فالعلم سلسلة تتألف من حلقات عديدة يرتبط بعضها بالبعض الآخر بأواصر قوية متراصة ويشد بعضها البعض ؛ ولم تكن هذه السلسلة وقفا على امة واحدة او شعب واحد بل ان العلم أممي فى طبيعته ، ولكل أمة اسهمت فى تطور المعرفة العلمية عدد من حلقات تلك السلسلة الطويلة ، ولا تطول السلسلة الا بازدياد حلقاتها المترابطة ، كذلك شأن العلم والمعرفة العلمية فلولا

وجود التراث اليوناني لابتدأ العرب بما بدأ اليونان ولتأخر الركب العلمي وقصرت السلسلة ؛ ولولا العرب في حفاظهم على التراث اليوناني واضافتهم الى المعرفة اليونانية وتطويرها لبدأت اوربا بما بدأ به اليونان وعليهم كذلك اضافة ما اضاف العرب الى السلسلة العلمية . وقد صدق من قال لولا العرب لتأخر العلم في أوربا قرونا . اذ ان اوربا قد افادت مما قدمه العرب من التراث اليوناني بجانب ما قدمه العرب انفسهم من معرفة علمية اصيلة . وقد ترجم الغربيون جزءا كبيرا من الكتب العربية الى اللغات الاوربية سيما العلمية منها ؛ ولا اكون مبالغا أن قلت ان لجابر ابن حيان ما لا يقل عن خمسين كتابا في اللغات الاوربية الحديثة كاللغات الالمانية والفرنسية والانكليزية بل وقام بعض المستشرقين بنقل مؤلفات جابر بن حيان وغيره من اعلام العرب الى اللغة العربية ثانية بعد أن فقدت النسخ الاصلية . ولابد لمن اطلع على كتاب المناظر لابن الهيثم او كتاب الخواص الكبير لجابر بن حيان او كتاب تصعيد العطور للكندي ان يحكم بان الاسلوب التجريبي العلمي في البحث يختلف اختلافا بينا عما اتبعه فلاسفة اليونان . فالتجارب العلمية العملية التي قام بها جابر بن حيان في تحضير بعض المواد — لاول مرة — والتي لا زال الكثير منها يستعمل في المختبرات الحديثة يدل دلالة واضحة على تقن علمي عال وضبط لنسب ومقادير المواد التي استخدمها في تجاربه العلمية ووصف من الصعوبة بمكان ان يصاغ بأحسن منه ؛ ولا يقل الكندي في نهجه التجريبي عن ابن حيان في تحديد الفرق بين حمام الماء الساخن وحمام البخار وباسلوب علمي سليم ولغة سلسة واضحة ناهيك بما اتى به من ابداع في صنعهما واختيار مكان استعمالهما ؛ ومن يقرا رسالة في الفلسفة — واخص بالذات — تفسيره لظاهرتي المد والجزر ادرك المرتبة العلمية التي وصل اليها الكندي . وقد برز الحسن بن الهيثم في مختلف فروع المعرفة سيما علم الضوء وبز من تقدمه وعقمت الدنيا بل وعجزت عن ان تنجب مثله من بعده بقرون عديدة . فقد وصل ابن الهيثم الذروة في اواخر القرن العاشر للميلاد ولم يتقدم علم الفيزياء (الطبيعة) عما تم على يده الا في ابان النهضة الاوربية الحديثة . وساكتفي بابراز مخطط لتشريح العين قد وضعه بن الهيثم قبل عشرة قرون ليقف القارىء على قطرة من بحره . وهكذا اسهم علماء العرب في سير الركب العلمي العالمي واضافوا عددا كبيرا من الحلقات في سلسلة العلم وشاركوا في بناء صرح الحضارة قرونا عديدة واضحت اللغة العربية لغة العلم ورجاله ولعلها كانت المصدر الرئيسي الذي اعتمدت عليه اوربا في نهضتها في القرن السابع عشر حيث ترجمت الكتب العربية الى اللغات الاوربية وكان على من يستقي العلم من منبعه ان يجيد اللغة العربية وبذلك اصبحت العربية آنذاك احدى اللغات العلمية . بل وفي الطليعة وبقي حالها كذلك مدة طويلة حتى توالت الاحداث المريرة على البلاد العربية وافل نجم العرب العلمي فكانت فترة الظلام الحالك فترة الاستعمار وذيوله من جهل وبؤس وفقر وانشقاق ؛ وقد حاول المستعمرون بل وأوغلوا في قطع الصلة بين حاضر الامة العربية وماضيها ليتمكنوا من هد ما تبقى من تراث العرب بمعول الحضارة المصطنعة التي صيغت وحيكت لنا ، وساعدهم في عملهم هذا بعض الشعوبيين الذين نقموا على العرب وحاولوا ارجاع التراث العربي الى اي شعب كان باستثناء الشعب العربي ؛ وعندما افاق العرب في مطلع القرن العشرين لم يجدوا امامهم من تراثهم شيئا بل كان على من يريد التعرف على التراث العربي ان يجيد لغة اوربية كالالمانية او الانكليزية او الفرنسية، وقد نقل بعض المستشرقين العلوم العربية الى لغتها ثانية ولا يزال الجزء الاكبر من التراث العربي في اللغات الاجنبية لم ينقل الى لغته الاصلية بعد . وليس في وسعنا ترجمة تراثنا ما لم نتقن احدى اللغات التي نقل اليها . اما من الناحية العلمية فقد وجد العرب انفسهم متخلفين عن الركب العلمي بمراحل عديدة وعلينا ان نسعى سعيا حثيثا بالركب وذلك عن طريق الدراسة في الجامعات والمعاهد التقنية (التكنولوجية) الغربية واصبح لزاما على من اراد العلم الاساسي او التقني ان يجيد لغة حية على الاقل . وهنا يقف المرء في حيرة من أمره ، أيصرف جهوده في الانكباب على العلم والبحث باحدى اللغات الاجنبية الحية ليقلص الفجوة العلمية بيننا وبين الغرب ، ام ينصرف الى الترجمة ونقل العلم الى اللغة العربية وفي ذلك خسارة لبعض الجهود اضافة الى تعذر الامر . فموقف العرب اليوم يختلف عما كان عليه في القرن السابع للميلاد كما ويختلف التراث اليوناني عن العلوم الحاضرة . فعندما بدأ العرب بترجمة التراث اليوناني كان هذا التراث ثابتا ومستقرا اذ انطفأت جذوة العلم والحضارة اليونانية قبل القرن السابع بقرون ولم يبق لهم من مأثرة علمية سوى ما سجل في الكتب القديمة ، كثيرة العدد كانت ام قليلة، والمهم في الامر ان العدد محدود وثابت.

لذا كان بامكان العرب نقل التراث اليوناني الى اللغة العربية — اللغة العلمية آنذاك — فى مدة قرنين عندما نشطت حركة الترجمة والتأليف عندهم . أما فى الوقت الحاضر فان العلم بنوعيه يسير بسرعة خاطفة وبتعجيل متزايد يوما بعد يوم بحيث يتعذر نقله من لغة الى اخرى ، ولست بمبالغ فى القول ان اشرت الى تعذر نقل العلم الى اللغة العربية حتى ولو جند المعنيون فى العلم من العرب جميعا لهذه المهمة ويصدق القول على الشعوب المساهمة مساهمة فعالة فى البحث العلمي وتطويره ، فبالرغم من نقل بعض المعرفة العلمية عن طريق ترجمة مجلة علمية أو مستخلص علمي من بين مئات المجلات العلمية من لغة حية — فى الوقت — الى اخرى مماثلة نجد أن من متطلبات الدراسة العلمية العالية فى أمة متقدمة أن يحسن الطالب لغة واحدة على الاقل بل ولغتين على الاكثر الى جانب لغته الحية ، وعلى سبيل المثال ان من يريد الحصول على درجة الدكتوراه فى علم من العلوم فى انكلترة او الولايات المتحدة عليه ان يحسن تتبع العلم بلغتين حيتين غير لغته الانكليزية وفى اغلب الاحيان تكون هاتان اللغتان هما اللغة الالمانية بالدرجة الاولى واحدى اللغتين: الروسية أو الفرنسية بالدرجة الثانية ، وهكذا شأن طلاب العلوم والباحثين فى العلم من الامم المتقدمة الاخرى . اذ ليس فى وسع من يشتغل فى البحوث العلمية المستجدة ان يعتمد على لغة حية واحدة بل عليه ان يتتبع ما كتب فى حقل اختصاصه فى المجلات العديدة فى اللغات الحية الاخرى ليتمكن من مسايرة الركب العلمي دون أن ينتظر حتى تصدر ترجمة الابحاث وتنقل الى لغته . هذا ان ترجمت تلك المجلة بالذات من بين مئات المجلات الاخرى التي لا تنقل الى لغته . وهذا شأن العلم ورجاله فى الامم المتقدمة فكيف اذن حال طلاب العلم ورجاله فى البلاد العربية ، وهل باستطاعتنا أن ننقل ما يستجد من العلم الى اللغة العربية أم يجب علينا اختيار الكتب التي تتضمن معلومات اساسية قد ذكرت فى المجلات الدورية العلمية وثبت صلاحها قبل نشرها فى الكتب بمدة غير وجيزة .

يتطلب تدريس العلوم والبحث العلمي — فى لغة ما — توافر العناصر الاساسية الآتية : —

1) الافراد العلميون : ان عدد الافراد العلميين فى البلاد العربية ليس بقليل اذا ما قورن الحال بكثير من الامم التي شقت طريقها حديثا فى مضمار العلوم الاساسية والتطبيقية ، وفى وسع علماء العرب القيام بالبحث العلمي الاصيل والاسهام فى الاضافة الى المعرفة العالمية ، ولقد ابلى بعضهم بلاء حسنا فى هذا المضمار ، بل برز قسم كبير منهم فى مراحلهم الدراسية العالية فى الجامعات والمعاهد الغربية عندما توافرت لديهم وسائل البحث العلمي الاخرى كما ان عدد ما نشر من بحوث علمية أصيلة فى البلاد العربية لا يستهان به وفى مختلف شؤون المعرفة . وقد اثبت بعضهم جدارة عالية وكفاءة مرموقة فى التعليم العالي والاشراف على البحوث العلمية . الا ان جهودهم ليست منسقة بشكل يضمن افادة البلد منها الى حد كبير ، وسأتولى شرح ذلك فى مجال آخر .

2) المختبرات والاجهزة العلمية : يحتاج البحث العلمي الى مختبرات مجهزة باحدث الاجهزة والآلات لتعين الباحث فى عمله ، فالاجهزة العلمية الحديثة ضرورة من ضرورات البحوث الاصيلة وتحتاج الى تبديل مستمر وفقا لتقدم العلوم التقنية فى تصميم الاجهزة . فبعد ان كان الباحث يصرف الايام الطوال فى التحاليل وتعيين البناء الجزيئي لمركب ما أصبح بمقدور الاجهزة الحديثة القيام بالعمل نفسه خلال ساعات معدودات وبعمل ذاتي تغني الباحث عن صرف وقته فى مراقبتها وتشغيلها يدويا . ولا تنحصر فائدة الاجهزة فى علم الكيمياء فحسب بل تتعداه الى العلوم التجريبية الاخرى . اما اذا كان استبدال الاجهزة الدقيقة بأخرى حديثة بطيئا فلابد ان يؤثر ذلك فى سير البحث وتباطؤ سرعته وضياع الكثير من وقت الباحث وجهده .

3) المكتبة العلمية : يحتاج الفرد فى بحوثه العلمية الى مكتبة تضم امهات الكتب التي تزخر بالمعلومات التي ثبت صلاحها ، وتحتوي على جميع المجلات العلمية الدورية والمستخلصات العلمية فى حقل اختصاصه وعليه ان يجيد لغتين حيتين على الاقل ليتمكن من معرفة ما استجد من الابحاث فى العالم . ولابد للمكتبة العلمية ان يتوافر فيها الاشخاص المعنيون بشؤونها كالمستخلصين والطباعين والمترجمين والمصورين ليعينوا الباحث فى عمله ويوفروا له ما ينشر دوريا فى فرعه العلمي فى مختلف المجلات العلمية العالمية ليتمكن من الرجوع اليها بسرعة وسهولة اذ ليس فى مقدور اي باحث ان يتمكن من الوقوف بنفسه على ما ينشر دوريا فى العالم وذلك للاعداد الهائلة من المجلات الدورية فى كل حقل

من حقول العلم ، وبلغات مختلفة .

ويؤسفني ان اقول — رغم مرارة الحقيقة — ان جميع المصادر الرئيسية في العلوم من كتب ومجلدات لم تنتقل الى اللغة العربية بعد ، وربما نقل النزر الضئيل جدا الى لغتنا . فاذا ما جعلنا الباحث العربي يعتمد على ما يكتب من العلوم باللغة العربية نكون قد حددنا معرفته وضيقنا افقه العلمي ، وهذا ما لا نرتضيه لجيلنا بل من الافضل ان نعلمه لغة اجنبية حية ليتسنى له متابعة المراجع العديدة اولا ثم لتكون له المقدرة على متابعة دراسته العليا وبحوثه خارج البلاد العربية . اضافة الى انعدام وجود المجلات العلمية الدورية والمستخلصات باللغة العربية ، ففي كل بلد من البلدان المتقدمة تصدر هذه المجلات باعداد كبيرة جدا وتشمل جميع فروع العلم وتضم ما استجد من البحوث العلمية للفترة الزمنية المحصورة بين العدد الاخير من المجلة والعدد الذي يسبقه وبذلك يكون الباحث العلمي على صلة وثيقة بما يستجد من البحث العلمي في فرع اختصاصه . ولكي يضمن البلد المتقدم ويهيىء طلابه وعلماؤه جميع ما نشر من العلم في لغات غير لغته نرى الاهتمام بالمجلات المستخلصة التي تضم خلاصات لجميع ما نشر في العالم حيث يقوم عدد كبير ممن يعنون بالعلم على ترجمة وتلخيص البحوث الى لغة البلد نفسها وقد بدت في الآونة الاخيرة حركة ترجمة واسعة النطاق لا تقتصر على المستخلصات فحسب بل تتعداه الى عدد من المجلات العلمية البارزة حيث تترجم المجلات من اللغة الروسية الى الانكليزية والالمانية ، ومن اللغة الانكليزية الى الروسية والالمانية . وارى من الضروري ان تقوم البلاد العربية بترجمة المستخلصات العالمية الى اللغة العربية ولعل بوادر هذه العملية الحميدة قد لاحت في الجمهورية العربية المتحدة ويتولاها مركز الوثائق العلمية .

يتضح مما تقدم بأن عناصر البحث العلمي ليست متوافرة في اللغة العربية سيما الثالث منها والذي هو عماد البحث ومعتمد الباحث ، **ولا يقوم بحث علمي دون وجود المجلات العلمية الآنفة الذكر ، وهنا نتساءل عما اذا كان باستطاعة الباحث ان يعتمد على اللغة العربية وحدها .**

لابد لطالب العلم ان يجيد احدى اللغات الاجنبية الحية على الاقل ليتسنى له النمو العلمي في حقل اختصاصه والاسهام في نقل الكتب العلمية الرئيسية الى اللغة العربية ليمهد للقارىء العربي الاطلاع على المعلومات العلمية الثابتة .

يحتاج تدريس العلوم في لغة ما الى مصادر عديدة متوافرة في كل حقل من حقول العلم باللغة نفسها ، ليعتمد الطالب الجامعي في الحصول على العلم من مصادره اضافة الى ما يتلقى من محاضرات ، اذ ان الاقتصار على المحاضرة فحسب يؤول الى هبوط في المستوى العلمي وتحديد لمعرفة الطالب هذا ان كانت المحاضرات شاملة وكاملة . وهنا نتساءل عن عدد الكتب العلمية الرئيسية المتوافرة في اللغة العربية وهل باستطاعتنا ان نعتمد عليها في التدريس الجامعي ، وهل انها مستوفاة لشروط الترجمة والتاليف ، وهل باستطاعة الطالب الجامعي في العراق ان يفهم المصطلحات التي وضعت في سوريا مثلا . بل اعود الى المرحلة التي تسبق المرحلة الجامعية ودعنا نقرأ ماكتب في العلم للمرحلة الثانوية (الاعدادية) في كل من البلدان العربية ونستعرض المصطلحات العلمية التي اوردتها تلك الكتب لما يقابل مصطلحا ودعنا نقرأ ما كتب في العلم للمرحلة الثانية (الاعدادية) الامر ويتجلى التباين بين مدلول المصطلحات في كل قطر من الاقطار العربية .

ان هذا لا يعني ان نيأس من التثبت وتهيئة الظروف الملائمة لتدريس العلوم باللغة العربية ، بل علينا ان نعمل على تحقيق هذه الامكانية ونسعى سعيا جديا لوضعها موضع التنفيذ دون أن تضر بالمستوى العلمي في الجامعات العربية ، ولا ارى مانعا من اعتماد الطلبة الجامعيين على المصادر العلمية بلغة اوربية في الوقت الحاضر رغم القاء المحاضرات باللغة العربية لنطمئن الى ان الطالب قد حظي بقسط من اللغة الاوربية يمكنه من متابعة مصادر العلم في تلك اللغة دون عناء . وارى أن نبدأ بتعريب العلم على خطوات متسلسلة ومنطقية تضمن تفهم المصطلحات العلمية في جميع الاقطار العربية وتحقق المستوى العلمي الذي نهدف الى تحقيقه . وربما كان في الطريقة التي سأوردها ما يعين على تحقيق الغرض :

1) المسح العلمي للمؤلفات العربية القديمة : لقد الف العرب في عهد ازدهارهم كتبا عديدة اضافة الى ما نقلوه من التراث اليوناني الى اللغة العربية ، وان هذه الكتب اكانت تأليفا أم ترجمة قد كتبت بلغة عربية أصيلة واحتوت على عدد كبير من المصطلحات

العلمية ، وربما كانت اللغة العربية من اغنى اللغات بالمصطلحات العلمية التي حددت مدلولاتها وحصرت فى معان معينة وربما وجد الاوروبيون فى ابان نهضتهم العناء الكبير فى نقل المصطلحات العربية الى لغاتهم اضافة الى ما نقل منها الى لغتهم بلفظه العربي ولابد لمن اطلع على الكتب العلمية الاجنبية أن يلمس بعض الكلمات العربية العلمية فى تلك الكتب . اضافة الى أن العرب قد وضعوا اسماء ومصطلحات لكل ما شاهدوه فى الطبيعة فى شتى الامصار الواسعة التي مكثوا فيها او نقلوا الحضارة اليها . وبوسعنا الاعتماد على تلك المصطلحات وابرازها فى الكتب العربية فى الوقت الحاضر الا ان هذا المسح يحتاج الى تعاون بين رجال العلم والمؤرخين ، فرجال العلم من العرب فى يومنا هذا منهمكون فى اعمالهم العلمية وبحوثهم وجل اعتمادهم على المصادر الاجنبية فحسب ، وهذا ما يتطلبه البحث العلمي . وربما كان عدد المعنيين بالكتب العلمية القديمة قليلا جدا بل قد لا يتجاوز عدد اصابع اليدين وابلى بعضهم بلاء حسنا فى هذا المضمار ولعل الدكتور مصطفى نظيف فى المقدمة لهؤلاء الرواد فلقد تمكن من ابراز العالم العربي الحسن بن الهيثم على حقيقته واعطاه المكان اللائق به نظرا لكونه رجل علم يفهم ما يكتبه علماء العرب فى العلم سيما فى حقل اختصاصه ، ولو قرأ ابن الهيثم شخص بعيد عن العلم والفيزياء لفاتته اشياء كثيرة وهذا امر طبيعي فاللغوي المحقق والمؤرخ لا يستطيع فهم الحقائق العلمية فى كنوز التراث العربي ومقارنته مع المصادر العلمية الحديثة ، وربما كان ما اوردت السبب فى تحقيق عدد كبير من المخطوطات اللغوية والادبية والمواضيع الانسانية واغفال تحقيق التراث العلمي العربي . وارى أن يعنى رجال التاريخ واللغة العربية فى اعداد المصادر العلمية العربية القديمة ليكون فى استطاعة المعنيين بالعلم من ابناء هذه الامة الرجوع الى تراثهم العلمي والعناية به والافادة منه وتعيين المصطلحات العلمية التي وضعها العرب فى مختلف صنوف العلم واستعمالها فى الترجمة والتاليف بعد تعميمها على البلاد العربية كلها وتثبيتها فى معجمات خاصة بها . وهكذا نتمكن من الحصول على عدد غير قليل مما استعمله العلماء العرب فى الماضي من مصطلحات علمية لنبعثها ثانية فى مؤلفاتنا العربية أما فى المواضيع الانسانية والادبية فلا نحتاج الى تعريب كثير نظرا لكثرة ما وضعه العرب من مصطلحات فى هذا الباب اولا ، ولنزارة عدد ما استحدث من المصطلحات حديثا . اقول بأن التراث العربي غني بالمصطلحات العلمية والانسانية ، التي عرفت قبل ازدهارهم وخلال فترة نهضتهم قبل قرون وباستطاعتنا الاعتماد عليها فى تأليف الكتب الحديثة فى اللغة العربية . الا ان العرب — بعد سباتهم خلال القرون الماضية وقيام النهضة الاوروبية الحديثة وازدهار العلوم والتقن خلال القرون الثلاثة المنصرمة — لا يملكون المصطلحات التي اتت بها الحضارة الاوربية الحديثة وازديادها يوما بعد يوم وبسرعة كبيرة ، لذا كان لزاما علينا أن نعني بترجمة المصطلحات العلمية الحديثة او تعريبها ، وبسرعة تتناسب وسرعة ما يستجد منها فى الوقت الحاضر .

2) العمل على كتابة المعاجم العربية للمصطلحات العلمية الحديثة : يتطلب هذا الامر الى مسح علمي فى الكتب العلمية الحديثة التي كتبت بلغات حية فى كل فروع العلم وكذا التقن (التقنلوجيا) ويقع العبء فى هذا على عاتق المجامع العلمية واللغوية ونشاطها فى العمل ، اذ عليها ان تتعاون مع المؤلفين والمترجمين من رجال العلم العرب وتضع المصطلحات بالسرعة الممكنة ، كما عليها أن تؤلف لجنة تضم ممثلين من جميع المجامع العلمية فى البلاد العربية لتوحيد هذه المصطلحات ونشرها فى كافة الامصار العربية . ومن الافضل ان يختار مصطلح واحد — لا اكثر — لما يقابله فى اللغة الحية . اذ ليس من الاهمية بمكان المفهوم اللغوي للمصطلح بل ان تحديد مدلوله ومعناه اكثر اهمية ، وان اللغات الاجنبية الحية مليئة بالمصطلحات والتسميات التي حددت معانيها العلمية بالدرجة الاولى رغم ان مدلولها اللغوي يختلف عما هو الواقع . وعلى سبيل المثال ان لفظة (اوكسجين) تشير الى عنصر من العناصر المعروفة ومعناها اللغوي ، هو (مولد الحموضة) والحقيقة أن عنصر الاوكسجين ليس بمولد الحموضة وذلك لوجود عدد كبير من الحوامض التي يخلو تركيبها من عنصر الاوكسجين ، ولم يستبدل اسم العنصر باسم آخر بل ان الاسم استعمل واخذ مدلوله العلمي رغم اختلاف مدلوله اللغوي . وكذلك الحال فى عنصر (الهيدروجين) حيث يعني الاسم لغويا (مولد الماء) والحقيقة انه مولد الحموضة حيث يدخل فى تركيب جميع الحوامض . ولا اعني بهذا اهمال الجانب اللغوي فى ترجمتنا أو تاليفنا بل اقول بأن لا يطول الجدل كثيرا ويمضي الزمن عجالا ونحن بصدد وضع مصطلح واحد يختلف فيه اللغويون فقهها .

3) توحيد طريقة الاشتقاق والتسمية : لقد وجدت بعض المعجمات التي الفت مؤخرا فى بعض

البلدان العربية قد اتبعت طرائق مختلفة في اشتقاق المصطلحات وعلى سبيل المثال ان حامض الكاربونيك قد سمي بهذا الاسم نفسه تارة واطلق عليه حامض الفحم مرة اخرى . وهنا لابد من القول بأن الكاربون غير الفحم فعندما يريد المرء ان يشتري فحما او يستعمل الكلمة في الامور اليومية العادية للدلالة على الفحم يقول Coal وعندما يريد الدلالة على الماس فيستعمل كلمة Diamond لا كلمة كاربون . اما اذا كان الكلام في موضع الكيمياء او اي علم آخر فتطلق كلمة (الكاربون) للعنصر نفسه حيث يستوى فيه الفحم والماس لانهما صورتان لعنصر الكاربون . كما استعمل بعضهم اسم(الكلوردريك) بدلا من (الهيدروكلوريك) للدلالة على مركب واحد . وهناك بعض الطرائق المثبتة التي اذا التزمنا بها حالت دون وقوعنا في خطأ من هذا القبيل . فاذا ما اتبعنا طريقة الاشتقاق في تسمية الاحماض فلا مجال لذكر كلمة (الكلوردريك) . ومن البساطة بمكان شرح هذه القاعدة في التسمية .

تقسم الاحماض الى نوعين من حيث احتواؤها وعدمه لعنصر الاوكسجين ، فتكون تسمية الاحماض التي تحتوي على الاوكسجين بذكر اسم اللافلز مشفوعا باضافة (يك) فاذا ما احتوى الحامض على عنصر الكبريت يكون اسمه (حمض الكبريتيك « كبريت .. يك » ، واذا كان اللافلز في حمض ما هو عنصر الكاربون كان اسمه حمض الكاربونيك (كاربون يك) ، واذا احتوى على عنصر الفسفور دعي (بحمض الفوسفوريك) .

اما النوع الآخر من الاحماض فيتألف من عنصري الهيدروجين واللافلز فحسب ولا يحتوي هذا النوع من الاحماض على عنصر الاوكسجين كما هي الحال في النوع الاول . وتكون تسمية هذه الاحماض بذكر لفظة ـــ هيدرو ـــ للدلالة على الهيدروجين ثم اسم اللافلز مشفوعا بلفظة ـــ يك ـــ ؛ فاذا كان اللافلز هو الكلور . يكون اسم الحمض كالآتي :

(هيدرو ـــ كلور ـــ يك) (هيدروكلوريك) ؛
اما اذا كان اللافلز هو الكبريت يكون اسم الحمض في هذه الحالة ـــ (هيدرو ـــ كبريت ـــ يك) هيدروكبريتيك . نلاحظ من هذه التسمية كلمة عربية وهي الكبريت ؛ اذ ان هذا العنصر(اللافلز) كان معروفا عند العرب لوجوده حرا في الطبيعة فاستعضنا عن الكلمة اللاتينية بكلمة عربية في تسمية الحمض ، اما عنصر الكلور فلم يكن مكتشفا عند العرب ، فأدخلنا الكلمة نفسها في تسمية حمض الهيروكلوريك .

وهناك قواعد عامة في تسمية الاملاح والتلويات لا يمكن ان يكون للملح او للقلي اسمان اذا ما اتبعت تلك القواعد العامة ، والتزمنا بها . وكذلك الحال في كثير من العمليات الكيماوية ، والمهم في الامر تثبيت القواعد العامة وطرائق الاشتقاق ووضع التسميات وتعميمها في جميع البلدان العربية بعد اقرارها .

4) اصدار نشرة دورية للمصطلحات العلمية:
من الضروري ان تعمل المجامع اللغوية والعلمية ، على نشر ما يتفق عليه من المصطلحات العلمية عن طريق اللجنة المشتركة التي اشرت اليها آنفا دوريا في مجلة تؤازرها جميع البلدان العربية ويلتزم بها المعنيون باللغة والعلم . وبذلك يكون العمل اكثر نفعا واعلم شيوعا حيث على المعنيين بشؤون هذه المجلة أن يعملوا بجد ونشاط ليتمكنوا من ملء صحائف المجلة في اوقاتها المعينة دون تقاعس او تلكؤ ، وتكون المجلة مرجعا للمؤلفين والمترجمين من العرب اضافة الى انها جزء من المعجم الكبير .

فاذا ما تم توحيد المصطلحات في البلاد العربية كلها جاء التأليف ايسر واعم ، وكانت الترجمة مفهومة في كل امصار العرب . ويزول التباين الاقليمي في عرض المواضيع العلمية واستعمال المصطلحات .

وختاما اقول بأن على الطالب الجامعي العربي الذي يدرس العلوم ان يجيد لغة حية على الاقل ليتمكن من استقاء العلم من مصادره الكثيرة في تلك اللغة الحية اذ ليس بامكانه أن يركن الى ما نشر من العلم في اللغة العربية لضآلة ما نشر ؛ وعلينا انْ نسعى حثيثا ونجد في العمل على اللحاق بالركب العالمي ؛ واذا ما تمكن طالب العلم من مراجعة المصادر العلمية بلغة حية بيسر وسهولة ؛ واستطاع ان يعبر عما يريد بتلك اللغة دون عناء كثير فلا بأس من تدريس العلوم باللغة العربية . وقد اخطأ البعض ممن اراد تدريس العلم باللغة العربية واعتمد عليها فحسب ، او طلب الى طلابه مراجعة المصادر باحدى اللغات الحية دون التثبت من مقدرتهم في تلك اللغة والتأكد من استيعاب ما يقراون من العلم باللغة نفسها . وختاما اقول علينا ان نعلم طلبة

العلوم لغة اجنبية حية تعليما صحيحا ، فاذا ما اطمأننا الى مقدرتهم فيها وتمكنهم منها ، وجب ان ندرس العلم باللغة العربية ، ويكون هذا التدريس افضل بعد ان يتم توحيد المصطلحات العلمية في جميع البلاد العربية .

المصادر :

1 — رسائل الكندي الفلسفية — تحقيق عبد الهادي ابو ريدة — دار الفكر العربي 1950 ص 110 — 131 .

2 — كتاب الخواص (مخطوط) — جابر بن حيان الازدي — مكتبة مديرية الآثار العامة العراقية.

3 — An Introduction to the History of Science. George Sarton. Vol. I, p. 520.

4 — Discovery. Vol. 18, N° 6, 1956.

5 — كتاب تصعيد العطور الكندي Karl Garbers Leibzig Publisher Dentsche Inorgenlandlische Gesellschaft, 1948.

6 — كتاب المناظر لابن الهيثم : الفصل الخامس من المقالة الاولى .

اللغة العربية مرآة ينعكس عليها تخلف العرب
ينبغي ان لا يكتفى بها وحدها

الدكتور محمد فاضل الجمالي ـ الجامعة التونسية
(رئيس الحكومة العراقية سابقا)

1 ـ ان المشاكل التي تعترض سير اللغة العربية هي مشاكل التخلف فى الحياة على اختلاف مناحيها . فما دامت مشاكل التخلف قائمة فللغة نصيبها من هذا التخلف . اذ ما اللغة سوى مرآة تنعكس فيها حياة الامة بكاملها ما ظهر منها وما بطن .

ففي النواحي النفسية يظهر تخلف الامة فى الفردية المفرطة وقلة الارتباط والاتصال بين المفكرين والباحثين . وفى الشعور بالضعة امام الاساتذة الاجانب والاتكال عليهم والاعتزاز بتقليدهم والتفاخر باستعمال لغتهم مع شيء من التهاون وعدم الاكتراث بلغتنا العربية . يقابل **الشعور بالضعة هذا عند البعض شعور بالغرور والازدراء باللغة الاجنبية** ومن يستعملها عند البعض الآخر ممن يعتقدون بأن ما ورثناه من تراث ثقافي يغني عن كل ما جاء به الغرب من اباطيل . اذن فلتجمد لغتنا ولننكمش على انفسنا .

وفى النواحي السياسية يظهر التخلف فى كون العرب مشغولين بقتل بعضهم بعضا . ولا يزال الجرح الذي احدثته نكبة فلسطين يستنزف دماء العرب . أما التراشق والتهاتر بين الحكومات العربية فقد اصبح من الامور المحزنة المألوفة . هذا وان بعض البلاد العربية تحن الى الطمانينة والاستقرار فهي عرضة للانقلابات العسكرية المتكررة . ان ظروفا قاسية كهذه تعيشها الامة العربية لا تسمح بالتفرغ الى الامور الجوهرية فى حياة الامة ومنها الاهتمام بمشكلة اللغة العربية . اضف الى هذا كله دعايات اجنبية مغرضة يقوم بها بعض الاجانب من اعداء العروبة والاسلام ممن يدعون الى نشر اللغة العامية كما يحاولون اظهار العربية الفصحى بمظهر اللغة العسيرة المنال غير الملائمة للحياة الجديدة اي انها من اللغات المتحجرة التي يجب ان يترك امرها للباحثين فى شؤون اللغات القديمة الميتة .

وفى النواحي المادية يظهر التخلف فى عدم استطاعة معظم الدول العربية توفير المال الكافي لنشر الثقافة بين الجماهير وتأسيس المطابع الكافية التي تطبع الكتب الراقية وفتح المكتبات الكثيرة وتزويد الشعب بالمادة الغذائية لارواحهم وافكارهم وعواطفهم باللغة العربية الفصحى المبسطة .

وفى النواحي الثقافية يظهر التخلف فى عدم تعمقنا فى درس حضارتنا وعدم معرفة لغتنا وما تحويه من كنوز فكرية وادبية وعدم تذوقنا بجمال البيان العربي.

وفى النواحي الفكرية والروحية يظهر التخلف فى عدم اتفاقنا على فلسفة قومية واضحة تجمع الشمل وتسير بنا نحو الاهداف الانسانية العليا فلسفة مؤسسة على الايمان بالله والاخذ بأساليب العلم والديمقراطية فى الحياة . فبعضنا يدعو الى العلمانية والبعض يقلد هذه العقائدية الغربية أو تلك تقليدا سطحيا . فما لم تكن لنا جذور ثابتة فى تربة أوطاننا وحضارتنا وايماننا فسنبقى كريشة فى مهب الريح ومن كان هذا شأنه فقد لا يهمه ان تكلم بالعربية او بغيرها من اللغات .

أما انتشار اللغة العربية فى العالم فيتطلب من الشعوب العربية ودولها ان تسلك **سلوكا ايجابيا جذابا فى معاملة الشعوب غير العربية** مع كثرة الاتصال بها وتأسيس العلاقات الطيبة معها . اما الشوفينية القومية وأما سياسة العنف والاستعلاء فانها مما تنفر الشعوب الاخرى من العروبة والاسلام. ثم ان على الدول العربية والاسلامية ان تبذل بسخاء فى سبيل نشر العربية وتسهيل تدريسها وتيسير

الكتب والوسائل اللازمة لها ولنا فى فرنسا احسن مثال وقدوة من حيث بذلها بسخاء من اجل نشر لغتها وثقافتها فى الخارج .

2 — يتضح مما قلناه ان كل ما نقوم به فى سبيل القضاء على التخلف فيه خدمة غير مباشرة للغة العربية اما الحلول المباشرة فانجعها فى رأيي **اجتماع اولي الفكر واصحاب الاختصاصات العلمية المنوعة فى مؤتمرات** وندوات تعالج فيها قضايا اللغة والمصطلحات فى كل من الاختصاصات ، ونحن نفضل ان تكون الحركة الاصلاحية فى اللغة حركة صاعدة اي ان تصعد من ذوي الفكر والخبرة انفسهم وتنشأ عنهم اكثر منها نازلة من مراجع حكومية عليا تفرض المصطلحات وتمليها املاء على من سيستعملونها . وهذا يتطلب بالطبع جوا من الاستقرار السياسي المؤسس على الروح الدمقراطي مع الحرية الكافية بالحركة والاتصال بين رجال العلم والفكر والادب وايجاد منظمات ثقافية حرة تربط بين ابناء البلاد العربية . وهذا بدوره يتطلب جوا من الصفاء والتفاهم على الاهداف والمعتقدات بين البلاد العربية ، وهذا يتطلب الاسراع بتنقية الجو العربي واحلال الصراحة محل المجاملة والاخاء محل الجفاء .

3 — انه لما يحز فى النفس ويجرح الكرامة القومية ان يوجه الى اي عربي سؤال بهذه الصيغة . وكان الاجدر ان يكون السؤال « هل يصلح العرب للبقاء فى هذا العصر أم هم اجدر بالفناء ؟ » ترى هل سأل الصهيونيون انفسهم ان كانت اللغة العبرية تصلح للتعليم الجامعي يوم اسسوا الجامعة العبرية فى القدس وبداوا التدريس بالعبرية فيها ؟ وهل سأل البلغار او اليونان او اليابانيون انفسهم مثل هذا السؤال يوم اسسوا جامعاتهم التي بدات تدرس فى لغاتهم ؟ لا شك فى انهم لم يسألوا انفسهم مثل هذا السؤال بل انهم بداوا بالترجمة والنقل والتأليف واتفقوا على اسلوب وضع المصطلحات . اذن فالسؤال غير وارد مبدئيا .

أما فيما يتعلق باللغة العربية فأستطيع الجواب بكل تأكيد بأن فى وسعها ان تصبح ادق لغة علمية الى جانب كونها لغة روحية وفلسفية وادبية من الطراز الارفع .

مشكلتنا فى العالم العربي اليوم هي ان البعض منا يفهم ان التدريس بالعربية فى المستوى الجامعي معناه الاكتفاء بها وحدها وعدم اتقان لغة اجنبية واحدة او اكثر للاستفادة من المراجع العلمية وهذا خطأ فاحش . وقعت فيه بعض المعاهد العلمية فى المشرق العربي فخرجت طلابا اشباه مثقفين يحملون الشهادات العالية . يقابل هذا التطرف معاهد عربية اخرى منيت بالخوف والحذر مما حل بالمشرق العربي فهي تتجنب العربية ويتجنب بعض الاساتذة العرب فيها من استعمال لغتهم القومية فى التدريس **ان المتخوفين من استعمال اللغة العربية فى التدريس الجامعي يخطئون مثل ما يخطىء اولئك الذين يكتفون باللغة العربية وحدها للتعليم الجامعي** فانهم جميعا يؤخرون سير التعريب ونمو اللغة العربية .

وفى الحقيقة ان اية دراسة جامعية شاملة تتطلب معرفة لغة اجنبية حية واحدة على الاقل الى جانب اللغة الام . ومعرفة الطالب لهذه اللغة يجب ان تكون بدرجة الاتقان بحيث يستطيع أن يقرأ ويكتب ويعرب عن فكرة فيها بطلاقة ودقة ، اذا تحقق ذلك فما الذي يمنع الاستاذ العربي من أن يدرس فى الجامعة بلغته القومية مستعينا بما يحتاج اليه من المصادر والمراجع باللغة الاجنبية ؟ وهل اللغة العربية عاجزة عن التعبير عن المفاهيم فى اي من العلوم الانسانية كالدين والفلسفة والقانون والتاريخ والجغرافية والاجتماع والنفس والتربية والتعليم والادب العربي ؟ وهل اللغة العربية عاجزة عن التعبير عن مفاهيم الرياضيات كالحساب والهندسة والجبر ؟ وهلا يمكن تدريس العلوم الاخرى ايضا وشرحها باللغة العربية حتى يحين انجاز المصطلحات فى العلوم الطبيعية والتقنية ؟ لا شك فى ان معرفة المصطلحات العلمية بصيغتها الدولية ضروري حتى ولو كان الاستاذ يحسن العربية ويستعمل المصطلحات العربية . اما اذا كان الاستاذ اجنبيا فلا ضير فى أن يدرس بلغته الاجنبية فنحن فى حاجة الى الاساتذة الاجانب فى هذه المرحلة من نهضتنا .

هذا وان معرفة اللغة الاجنبية والدرس فيها من الامور المتعارفة لدى كل الامم الحية الراقية اليوم . فالافرنسي يقرأ ما انتجه زميله الامريكي أو الالماني او الانكليزي ، والانكليزي يقرأ ما انتجه زميله الافرنسي او الالماني او الروسي . **وأن الاتصال الثقافي بين الامم والشعوب يتطلب اتقان لغة اجنبية ولكن ذلك يجب ان يكون الى جانب اللغة القومية ومغذيا لها وليس على حساب اللغة القومية ومحلها .**

نحن مقتنعون ومؤمنون **بامكانية اللغة العربية أن تستوعب كل العلوم والفنون الحديثة** وان تهضم كل ما يستجد من افكار ومخترعات، ولذلك فليس

السؤال عن صلاح العربية للتدريس الجامعي بذي موضوع .

4 — ان المشاكل التي تعترض اللغة العربية فى التدريس الجامعي تتلخص فى نظرنا فى « شدة الحذر » أو « الجهل بالعربية » أو « الشعور بالتبعية الثقافية » لجهة اجنبية لدى بعض العرب الذين لا يستعملون لغتهم القومية فى التدريس .

لقد اختبرت التدريس فى مختلف المستويات التعليمية منذ نحو من خمسين سنة . ويوم بدات ادرس التربية وعلم النفس فى دار المعلمين الابتدائية فى بغداد قبل اربعين سنة لم اجد صعوبة كبرى فى نقل المصطلحات من الانكليزية الى العربية ويوم بدات ادرس التربية وعلم النفس والفلسفة الاخلاقية فى دار المعلمين العالية قبل ثلاثين عاما لم اجد صعوبة كبرى فى نقل المصطلحات التربوية والفلسفية الى العربية . فما نحتاجه فى عالمنا العربي هو ان ينشأ بيننا اساتذة فى المعاهد العالية يغارون على لغتهم العربية ويعتزون بها ذلك الى جانب بروزهم فى المادة العلمية . ولا يعني ذلك كما اسلفت تساهلهم فى الرجوع الى المصادر العلمية باللغات الاجنبية وحمل الطلاب على درسها واستيعابها الى جانب استعمالهم اللغة العربية .

5 — المصطلح العلمي يشكل فى نظر الكثيرين اهم مشكلة تعترض نمو اللغة العربية فكيف للعالم العربي ان يتخلص من هذه المشكلة ؟

لقد اشرنا فى جوابنا على السؤال الثاني باننا نفضل الطريقة الصاعدة فى اقرار المصطلحات العلمية أي أن يقوم الاساتذة ذوو الاختصاص انفسهم بوضع ما يحتاجون اليه من مصطلحات . أما طريقة ذلك فهي أن يبدأ الاستاذ المختص بالتحري عن اللفظ الذي يحتاج اليه فى المصادر قديمهاوحديثها شرقيها وغربيها. فان لم يجد المصطلح المطلوب فليقترح هو ما يراه من مصطلح ويتصل بزملاء له يدرسون المادة ذاتها فيتفق معهم على الكلمة المفضلة للمعنى المطلوب وهذه هي المرحلة الابتدائية الاولى .

اما المرحلة الثانية فهي أن ينتظم اصحاب الاختصاصات فى كل بلد عربي فى منظمات تجتمع دوريا وتتفق فيما بينها على المصطلحات المفضلة فى ذلك البلد العربي ، وتستعمل هذه المصطلحات عند وضع الكتب المدرسية الجديدة .

والمرحلة الثالثة هي أن يجتمع ممثلون عن البلاد العربية المختلفة فى شتى الاختصاصات فى مؤتمرات دورية ليتفقوا على قدر المستطاع على توحيد المصطلحات بين البلاد العربية .

هذا ولا يجوز ان يكون اختلاف الراي حول المصطلحات عائقا للسير فى عملية التعريب فعجلة التعريب يجب أن تسير والزمن كفيل ببقاء الاصلح من المصطلحات .

والمهم فى نظرنا هو الاعتزاز بلغتنا وادراك أنها عنوان شخصيتنا القومية وكرامتنا الانسانية لانها تحوي وتحمل ارواحنا وافكارنا وعواطفنا .

والله على ما نقول شهيد

ضرورة تحقيق التفاعل

بين الفكر العربي والفكر الأوربي

مع توحيد المصطلح العلمي وإعادة النظر في المعجم العربي

الدكتور صفاء خلوصي

كليـة التـربيـة (بغـداد)

1 — اللغة رهينة بالاوضاع السياسية ، فمتى كانت الامة قوية عظيمة متحدة زاد الاقبال على لغتها وادبها فالمشكلة الاولى مشكلة سياسية ، اما المشكلة الثانية فتتعلق بعدم الدعاية للغتنا ، ففي فترة قصيرة استطاع اليهود احياء اللغة العبرية ، الميتة وبعثها من جديد ، فأخذت تنافس لغتنا التي ازدهرت عبر عصور طوال سحيقة ، وذلك فى الكليات والجامعات الاوروبية والاميريكية التي تقوم بتدريس اللغات الشرقية وفى مراكز تدريس الادب المقارن فى شتى ارجاء العالم ، ولقد كان بامكاننا ان نفتتح مدارس لتدريس العربية فى مختلف بقاع الدنيا لنشر الثقافة العربية على نحو مايفعل المجلس الثقافي البريطاني British Council والمؤسسات الثقافية الفرنسية والروسية مثلا ، وقدمرت فترة كانت فيها الباكستان تفكر فى جعل اللغة العربية لغة البلاد الرسمية لانها لغة الدين الاسلامي الذي قامت على اساسه دولتهم ، فلم نحرك ساكنا ولم نقدم يد المعونة والتشجيع فافلتت الفرصة من ايدينا.

اما الحروف العربية فليست بمشكلة على ما يزعم كثير من المتنطعين المتمسكين بالقشور ، بل انني اعتقد ان الحروف العربية يجب ان تكون سببا مهما من اسباب انتشار اللغة العربية ، وذلك لجمالها وفرط اعجاب الاوربيين بها وكونها ضربا من ضروب الاختزال الذي يقبل على تعلمه الكثيرون فى بلاد الغرب .

ان الدعاية الادبية هي وحدها التي تنقصنا .
اما مؤسساتنا الثقافية فى الخارج فهي ككثير من سفاراتنا العربية مع الاسف ضعيفة فى تمثيلها للبلاد العربية سياسيا وثقافيا على حد سواء ، وقد آن للجامعة العربية ان تعيد النظر فى هذا الامر ، فليت هذه النفقات الطائلة التي تبذلها الدول العربية من العملات الاجنبية الصعبة وغير الصعبة تنفق على سفارة ثقافية عربية نشيطة واحدة فى اوربا واخرى فى امريكا على ان تؤلف من عناصر كفأة لا تعين على اسس غير اسس الجدارة والاستحقاق .

2 — اما فى خصوص المشكلات التي تعترض سير اللغة العربية فاني اعتقد انني اجبت فى السؤال الاول على جانب من هذا السؤال ، ولكنني اضيف هنا الى ما ذكرت ان من جملة المشكلات التي تعترض سير العربية هي **مشكلة تعقيد «النحو العربي»** الذي يثبط عزيمة الكثيرين من المبتدئين — ولا سيما الاوربيين — الذين يحاولون تعلم العربية ، وقد تمت شخصيا بوضع طريقة جديدة لحل هذه المعضلة فى ما اسميته « **بالنحو المنطقي** » الذي نشرت خلاصة خطوطه العريضة فى مجلة الاستاذ التي تصدرها كلية التربية بجامعة بغداد ، وبوسعي ان أضع كتبا جديدة فى النحو العربي على الاسس المذكورة فى المقال، لنشرها فى العالم اجمع ، لتكون فى متناول العرب وغير العرب ممن يرومون ان يمرنوا شفاههم على موسيقى اللغة العربية الساحرة ، وبامكاننا ان نترجم كتب النحو المنطقي هذه الى شتى لغات العالم لكيلا تبقى حجة لاولئك الذين يقولون بأنهم يحجمون عن تعلم العربية لصعوبة قواعد لغتها .

3 — ان اللغة العربية صالحة للتدريس الجامعي ، وقد مارست التدريس بها لربع قرن فى جامعة لندن وييل وبغداد فلم اجد مصاعب ذات بال تعترض سبيلي ، ولم اجد فكرة عبرت عنها بلغة اجنبية وعجزت العربية عن التعبير بها بنفس المرونة والقوة فاللغة العربية مطواعة دقيقة وهي فى نظري

لا تقل دقة عن الفرنسية ، اللغة التي يعتبرها فريق من العلماء ادق واضبط لغة فى الدنيا ، كل ما فى الامر وجوب **اعادة النظر فى معاجمنا وقواميسنا** وكتابتها باسلوب عصري جديد واستكمال نواقصها واخراجها من قالبها الكلاسيكي الذي لم تعد له ضرورة بعد أن انتقلت اللغة العربية من لغة الشعر البحت الى لغة تجمع بين الشعر والنثر معا ، فلا لزوم لجعل القواميس على طريقة القوافي التي لا تنفع غير الشعراء وتعقد الامور بلا طائل .

4 — ان العربية صالحة للتدريس والبحث الجامعي كما قلت ، اما المشكلات التي تعترض الاساتذه فأهمها مشكلة عدم **لحاق المترجمين بنقل الكتب الاوربية الحديثة الى العربية فى حينها** ليحدث تفاعل آني بين الفكر العربي والاوربي وليعطي نشاطا جديدا ، ثم ان الاهتمام **باصدار معاجم للمصطلحات العلمية متفق عليها فى جميع البلاد العربية** يكاد يكون معدوما او فى حكم المعدوم ، والى ذلك فان الكتب الجامعية العربية ليست بنفس الوفرة كالكتب الجامعية الاوربية ، حتى فى مواد الادب العربي والتاريخ الاسلامي . صحيح أن المصادر كثيرة فى هاتين المادتين ، ولكن المؤلفات الجامعية العصرية قليلة او نادرة . خذ مثلا على ذلك « تاريخ الادب العباسي » المادة التي أقوم بتدريسها فى جامعة بغداد ، فليس هناك كتاب واحد بمستوى جامعي يعتمد عليه فى هذا الموضوع . لماذا يهمل المؤلفون حتى موضوعات تراثهم القومي ؟ هذا ما لا يمكنني فهمه ! ولقد تمت مؤخرا بترجمة الفصول التي كتبها البروفسور نكلسن فى تاريخ الادب العباسي سدا لجانب من هذا الفراغ ، مع الشروع بتاليف كتاب جديد فى الموضوع ؛ ولكن القضية كان ينبغي أن تبدأ قبل هذا بعهد طويل ، فأنت واجد فى تاريخ الادب الانكليزي مثلا عشرات الكتب ، فلا تتولاك الحيرة فى البحث عن كتاب فى الموضوع قدر ما تتولاك الحيرة فى المفاضلة بين عشرات الكتب هذه ، رغم أن تاريخ الادب العربي اقدم من تاريخ الادب الانكليزي بما لا يقل عن عشرة قرون .

5 — ان المصطلح العلمي يشكل فى نظر الكثيرين اهم مشكلة تعترض نمو اللغة العربية ، ويمكن التخلص من هذه المشكلة بتشكيل لجان دائمة لوضع المصطلحات وجمعها فى معاجم وقواميس واحياء بعض المعاجم التي وضعت فى بعض الاقطار العربية ولم يقيض لها الانتشار ، فمثلا هناك « المعجم العسكري » الذي وضعه المرحوم عبد المسيح وزير (وطبع طبعة محدودة) بعد وفاته ، وقد جمع بين دفتيه ما ينوف على الـ 12 000 كلمة وعمل فيه من سنة 1922 الى سنة 1942 ، ومع ذلك فهو مجهول عند الكثيرين من المعنيين بالمصطلحات وتعريبها .

وبوسعنا ان ننقل المصطلحات الاجنبية باحدى طريقتين : اما بترجمتها ، اي نقل معناها ، او بتعريبها اي نقلها لفظا ومعنى ؛ بعد تحويرها اذا اقتضى الامر — حسب مزاج لغتنا ، ولسنا بدعا بين الامم فى هذا الشأن ، فقد فعل الاوربيون الشىء ذاته فى القرون الوسطى يوم كانت العربية هي السائدة كلغة للعالم المتمدن يومذاك ؛ اذ ترجموا مثلا كلمة « جيب » العربية فى المثلثات الى كلمة Sine المشتقة من لفظة Sinus اللاتينية التي تعني « الجيب » ، ولكنهم اخذوا لفظة « الجبر » حرفيا فقالوا Algebra ، وفعل نفس الشىء اجدادنا يوم نقلوا التراث اليوناني الى العربية ، فقالوا : « الارثماطيقي » (الحساب) وجيومطريا (الهندسة) وقاطاغورياس Kategoria (وكانوا يترجمونها احيانا بالقياس) وأنالوطيقا (البرهان) وارطوريقا (الخطابة) وما الى ذلك مما هو مذكور فى المظان العربية القديمة .

النهوض بالعربية يتطلب :

تنمية المجتمع
محاربة الإقليمية
توحيد الفكر العربي

الأستاذ علي حمد الغانم
- الكويت .

اعتقد فيما يخص السؤال الاول بأن حضارة الامم لها التأثير الاول على انتشار اللغة ، لان الامم المتقدمة تنشر ثقافتها وعلومها على سائر الامم المتخلفة ونتيجة لهذا انتشرت لغة الامم المتقدمة وهذا ما نلاحظه فى عصرنا هذا ، من هذا نستنتج ان الامة العربية بالرغم من ماضيها المجيد وما حواه هذا الماضي من تقدم فى جميع الميادين ، الا ان **حاضر الامة العربية لا يسر لان التخلف الاجتماعي والتجزئة الاقليمية** التي أوجدها الاستعمار الغربي كان من العوامل الاساسية فى هدم مستقبل هذه الامة وبالتالي فان تكريس هذين العاملين وخلق ثقافات اقليمية وايجاد تناقضات مصطنعة بينها يضعف اللغة العربية ويحد من انتشارها فى العالم ، هذا علاوة على عدم وجود جهاز عربي ضخم يأخذ على عاتقه تحت الظروف الحالية نشر اللغة العربية فى البلدان التي ترتبط معنا برابطة الدين حيث ان القرآن مكتوب باللغة العربية فان الدول الاسلامية فى آسيا وافريقيا لابد ان تقبل على فهم اللغة العربية اذا وجد هذا الجهاز .

وبالنسبة للسؤال الثاني وهو أنجع الحلول للتغلب على المشاكل التي تعترض اللغة العربية فانني أرى أن تنمية المجتمع العربي ومحاربة التجزئة والاقليمية وتحقيق الوحدة العربية الشاملة وتحقيق التكامل الاقتصادي فى هذه الامة نتيجة لما تملكه من ثروات طائلة مبعثرة هنا وهناك يستغلها الاجنبي الدخيل ابشع استغلال نتيجة للضعف الذي نشعر به، اقول تحقيق هذا كله سوف يوجد انطلاقة جديدة للحضارة العربية التي سوف يكون من نتائجها امتداد اللغة العربية الى اجزاء اخرى من العالم .

اما بالنسبة للسؤال الثالث فان اللغة العربية تصلح للتدريس الجامعي بالنسبة لنا كعرب وانا شخصيا اكملت دراستي الجامعية باللغة العربية وليس هناك ما أشعر به من نقص فى التعليم سوى حاجتي الى بعض اللغات الحية لمتابعة كل جديد فى العلم ويسهل اتصالي مع اهل الفكر فى الدول الاخرى .

واما بخصوص السؤال الرابع حول المشاكل التي تعترض الاساتذة الذين يستعملون اللغة العربية فى التدريس الجامعي فانني لم الاحظ اثناء دراستي الجامعية ان هناك مشاكل تعترض الاساتذة الجامعيين اثناء التدريس سوى بعض العقبات البسيطة الناشئة عن بعض التعبيرات .

اما السؤال الخامس والخاص بالمصطلح العلمي فلاشك انه يكون مشكلة تعترض نمو اللغة العربية الا أن كون اللغة العربية غنية بمعانيها وكلماتها فان مهمة المجامع العلمية هي تذليل هذه المشكلة ولا شك أن كثيرا من المصطلحات العلمية قد تم تعريبها واصبحت سهلة المعنى بالنسبة للطالب .

العربية لغة حضارة مرنة

بتجربة ضخمة أبرزت صلاحيتها ... ولكننا ما زلنا في حاجة إلى لغة أجنبية

للأستاذ عبد العزيز حسين
- الكويت -

1 و 2 — من اهم المشكلات التي يعانيها متعلم العربية مشكلة الكتابة ومشكلة الاعراب . فلقد بدات العربية رموزا غير منقوطة وغير مشكلة ، تقرأ بالمقارنة والاستنتاج في كثير من حروفها المتشابهة حسب مواقعها من الكلمة او الجملة ، ثم تطورت بالنقط التي اصبحت اجزاء من الحروف لا غنى عنها . على ما في النقط من تعويق لسرعة الكتابة . وبقي الشكل الذي يحتاج الى معاناة غير يسيرة لازما لضبط الكلمات ولتجنيب المتعلم الوقوع في الاخطاء اللغوية .

ورغم ان من مميزات لغتنا اقتصارها على حروف علة ثلاثة ؛ فانها لا تستعمل الا في المد الطويل ، وفيما عدا ذلك فان الكلمات العربية مقصورة على الحروف الصامتة التي تجعل القراءة عملية غير ميسرة ، وتجعل لكل كلمة احتمالات نطق متعددة ، لذا فان استعمال الشكل كثيرا ما يكون ضرورة للمتعلم حتى يستطيع النطق بالكلمات حسب المقصود منها ، ولكن استعمال الشكل في الكتابة في الوقت ذاته اجراء يقتضي تمهلا شديدا في الكتابة لا يتفق مع مستلزمات السرعة المطلوبة فيها .

وقد استبقت اللغة العربية اعراب اواخر الكلمات حسب مواقعها من الجمل مما يقتضي تفهما دقيقا لقواعد اللغة ودراسة للنحو والصرف ليست باليسيرة .

وحيث ان المعاني تتغير حسب الاعراب فان الشكل المضبوط ضرورة للنطق الصحيح والفهم الصحيح لمتعلم العربية الجديد .

واعراب اواخر الكلمات قد استغنت عنه او عن جله كل اللغات فيما نعلم ، واللغة العربية ذاتها استغنت عنه في حالة الوقف ، كما ان جميع اللهجات العامية العربية لم تعد تنتهجه ، مما يدل على انه قد آن الاوان لدراسة امكانية اعادة النظر لمحاولة تخفيف هذا العبء الكبير على متعلم العربية .

ان أمام المهتمين بنشر اللغة العربية ان يجدوا حلولا تسهل لمتعلمها ان يكتب كتابة صحيحة وينطق نطقا صحيحا دون تلك المعاناة الشاقة التي نجدها اليوم في استعمال الشكل في الكتابة وفي الدراسة المضنية للنحو والصرف ، وهما علمان يقتضي اتقانهما بذل جهد كبير يمكن انفاقه فيماهو أجدى على المتعلم.

هذا الى ان المتعلم العربي يقاسي نوعا من ازدواجية اللغة طرا بالاختلاف بين العامية والفصحى، ورغم علمنا ان هذا الاختلاف ستخف وطاته بانتشار التعليم حيث ثبت ان العربي المتعلم ينطق لغة اقرب الى الفصحى من الامي ، فاننا لاحظنا أن هناك اختصارا وحذفا اجمع عليهما المتعلمون والمثقفون في تخاطبهم بالعامية المتميزة عن عامية غير المتعلمين ، وهذا يسهل علينا دراسة عملية التطور الطبيعية للغة اذ نعرف من اتجاه المثقفين العرب في النطق ما هو خليق بان يدرس أمر حذفه او تخفيفه من قواعد اللغة التي تعوق عملية التعليم ، وتكون هذه الدراسة سبيلا الى مزيد من تقريب هذه العامية المتميزة الى العربية الفصحى .

وسواء كانت الحلول التي ندرسها لتسهيل تعليم العربية هي في ادماج الشكل في صلب الكلمة بصورة ما ، او في ايجاد قواعد أخرى لتيسير الكتابة والقراءة او تبسيط النحو والصرف ، أو في دراسة التطور الطبيعي للغة وما يستدعيه هذا التطور من

اختصار وتبسيط او غير ذلك من الامور ، فان من الزم اللازم الا يقودنا هذا التغيير الى التفكير فى استعمال الحروف اللاتينية كما فعل اتاتورك فى تركيا ، او ادخال تغيير يقضي على صلتنا بتراثنا العظيم ويفصلنا عن ثروتنا العلمية الضخمة .

ان الحلول التي نرجوها نأمل ان تقترن فى اذهان المفكرين فيها بضرورة استمرار الصلة بين ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا بحيث لا يكون فى تطور الكتابة قطع لصلتنا بذلك الماضي وبحيث يستطيع المتعلم العربي ان يعود لذلك التراث لينهل منه متى اراد .

3 و 4 و 5 — لقد بدأ معظم التعليم الجامعي فى الوطن العربي فى ظل حاكم دخيل ، كما ان هذا التعليم بمفهومه الجديد دخل البلاد العربية وهي فى غير مكانها المناسب من التقدم العلمي واستعملت اللغات الاجنبية وسيلة للتعليم لانها لغات الحكام ، ولانها لغات الحضارة الجديدة القادمة من الغرب .

ولسنا بصدد الحديث عن قرون الظلام التي عاشتها الامة العربية تحت مختلف السيطرات الاجنبية ولا عن التخلف الذي تاسيناه واسبابه ، بعد عصور شهدت للعرب علما وفنا وادبا تعتبر من الاسس الاولى لقيام حضارة الغرب التي نحاول اللحاق بها بكل طاقاتنا الحالية ، ولكننا نحب ان نشير الى ان مبدأ التشكيك فى صلاحية اللغة العربية لتدريس الجامعي من المخلفات التي تركها لنا التخلف والسيطرة الاجنبية ، حتى اصبح هذا الشك شبه يقين عند بعض المثقفين العرب .

لقد اقنع الغرب الكثيرين منا فى يوم من الايام ان البلاد العربية لا تصلح للصناعة ولكنها تصلح لانتاج المواد الاولية التي يصنعها الغرب ثم يعيد تصديرها الينا .

اللغة العربية فى نظرنا لغة صالحة كل الصلاحية للتدريس الجامعي ، لانها لغة حضارة ، مرت بتجربة ضخمة عندما تصدت للتعبير عن كل خلجات الانسان بأعمق ما تتصدى له لغة من اللغات ولانها استوعبت علوم العرب فى أوج نهضتهم ، ولانها هضمت الانتاج الفكري لحضارات اخرى وعبرت عنها فلم تعجز عن التعبير .

وعندما اشتغل علماء العرب بالطب والفلك والرياضة والجبر والهندسة ، وعندما كتبوا فى المنطق والفلسفة وعندما بحثوا فى الموسيقى والفنون الاخرى المختلفة ، لم تقف العربية عاجزة دون ان يفوقوا فى ذلك ، ودون ان يدونوا اسفارا كان الغرب فى بدء يقظته سريعا الى الافادة مما فيها من كنوز ومن معرفة ، وما زال الكثير الباقي منها شاهدا على قدرة اللغة العربية على غزو كل جديد والتكيف للظروف الحضارية المتطورة .

ان اولئك البحاث والعلماء العرب لم يقفوا من العربية باعتبارها كيانا جامدا ينبذ كل جديد . لقد علموا ان الاشتقاق فى العربية ميزة كبرى تعطيها مرونة تتسع معها لمزيد من المقدرة على التعبير عن كثير مما لم تنص عليه القواميس فى لغة العرب ، وان التعريب قد استعمله العرب الاوائل كما استعمله القرآن الكريم . وان اللغة العربية ليست من ضيق الصدر بحيث تأبى ان تزيد غنى وثروة بما تهضمه من مفردات لا تغير من اصالتها ولا تحيلها الى لغة اخرى لا تمت الى لغة الاجداد الا بصلة واهية.

اننا فى دراسة استعمال اللغة العربية اداة للتدريس فى جامعاتنا نضيع بين التزمت المفرط الذي يأبى ادراك الضرورة القاهرة التي نواجهها لتقبل كثير مما تجمع امام جامعاتنا من المصطلحات العلمية الحديثة والذي يأبى الا ارجاع كل مصطلح مهما بلغ شيوعه الى اصل قديم نصا وروحا ، وبين التساهل المفرط الذي يجعل من لغتنا لغة شوهاء بما يقحمه فيها من مصطلحات وتعبيرات ، غير مدرك امكانيات لغتنا الواسعة وما يمكن ان تسهم به فى هذا المجال.

وعدم اتفاقنا على استعمال اللغة العربية فى جامعاتنا من جهة ، ثم اختلافنا من جهة اخرى على الاسلوب الذي يجب اتباعه فى الترجمة والتعريب والتوليد ، انتج مجهودات مبعثرة غير منسقة للمصطلحات العلمية التي تستعمل فى الجامعات العربية ، واستحدث اكثر من اسم واحد للمصطلح الواحد مما سيضاعف متاعبنا مستقبلا ، اذ اننا سوف نعمل على توحيد المصطلحات العربية الى جانب تعريب المصطلحات الاجنبية .

وهنا تجدر الاشارة الى واجبات المجامع العلمية العربية فى هذا الميدان الهام ، والى الآمال المعلقة على المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربي .

ان اتفاق جامعاتنا على استعمال مصطلح

واحد سواء كان عربيا او معربا او مولدا او مترجما يخطو بنا خطوة هامة نحو توحيد ادراك المعارف فى المجالات العلمية فى الوطن العربي .

هذا وان دعوتنا لاستعمال اللغة العربية اداة للتدريس فى الجامعات يجب ان تكون **مقرونة باهتمامنا بتحديد مدلولات المصطلحات العلمية وتوضيح مفهومها العلمي** ؛ والاتفاق على اسلوب موحد للعمل العربي بالنسبة لما طرأ على العربية من هذه المصطلحات ثم بالنسبة لما سيجد عليها منها فى المستقبل ...

ودعوتنا هذه يجب ان لا تكون دعوة تعصب تغشى عيوننا عن كثير من الحقائق الواضحة ، فان من أول ما يجب ان ندركه أننا ما زلنا متخلفين فى ميادين العلم التطبيقي وأننا يعوزنا الطويل من الوقت والكثير من الجهد حتى نلحق بالمتقدمين علينا ، وان جل المراجع العلمية قد كتبت بلغات اجنبية ، ومن ثم لابد للمعلم ولطالب العلم من ان يكون قادرا على الاطلاع على تلك المراجع ، وعلينا ان نعنى بأن **تكون لغة اجنبية واحدة على الاقل سبيلا لطلاب العلم العرب الى المراجع الفنية بالمادة العلمية** ، ولذا فانه يلزم ان يواكب اهتمامنا بجعل اللغة العربية اداة التدريس فى جامعاتنا ، **اهتمامنا باتقان لغة اجنبية** حية او اكثر ، واهتمامنا **بترجمة المراجع العلمية القيمة** الى لغتنا العربية .

عدم التناسق بين العرب

مثار ضعفهم وخاصة في اللغة

الدكتور محمد سعيد يوسف

كليـــة الهندسة (القاهـــرة)

1) ان اهم المشاكل التي تعتـرض سيـــر اللغة العربية وانتشارها هو عدم الترابط والتناسق بين البلاد العربية المختلفة مما يضعف قوة العرب فى المجالات المختلفة التي منها اللغة .

2) وعلى ذلـك فانني ارى تنسيق الجهود فى البلاد العربية بحيث تظهر الامة العربية امة واحدة لها قوتها مما يجبر باقي الدول على احترام كلمتهـا — ومن مظاهر الاتحاد تنسيق المصطلحات المختلفـة فى شتى المجـالات عن طريق تبادل الراي بعقـــد اجتماعات فى البلاد العربية المختلفة او بتبادل الافكار والخبـرات وعدم الالتجاء الى الخبرات من الامـم الاجنبية الا فى اضيق الحـدود .

3) ما من شك فى ان اسهل السبل فى التدريس هو أن يكون بلغة الدارس والمـدرس خصوصا اذا ما كانت مفردات الدرس جميعهـا بنفـس اللغة وفى يقيني ان اللغة العربية صالحة كل الصلاحية للتدريس بها طالما توفرت جميع المصطلحات العلمية امـام الجميع .

4) يشمل الرد على السؤال الرابع ما سبق ذكره فى الرد على الاسئلة السابقة من حيث الحيـرة التي يواجهها القائمون على التدريس من عدم وجود مجمع عربي خاص بالاصطلاحات العلميـة يكـون موحدا فى جميع البلاد العربية .

5) لقد سبق القول انه من الضرورى لضمان انتشار اللغة العربية فى العالم ان تنشر أولا فى البلاد العربية نفسها خصوصا فى المجالات العلمية .

ولحسن الحظ زاد الوعـي القومي فى البـلاد العربية بحيث يمكن ان تجتمـع المجالات العلميـة المختلفة فى صعيد واحد فهناك المؤتمرات العربيـة للمهندسين والاطبـاء والمحامين وغيرهم فمن الممكن ان يطلب من هذه الهيئات العمل على ايجـــاد المصطلحات العلمية الموحدة بحيث تعمم فى البـــلاد العربية المختلفة سواء فى الدوائر الحكومية او الاهلية.

هذا واود أن اذكر انه قد سبق مثلا لمعهـــد ابحاث البناء بالجمهورية العربية المتحـدة ان قـام بتعريب المصطلحات العلمية فى مواد هندسية متعددة منها ميكانيكا التربة والخرسانة وهـي الآن تحـت المراجعة بمعرفة لجان شكلتها وزارة الاسكـــان بالجمهورية العربية المتحدة .

وحدة العربية كامنة في تماسك العرب

الدكتور محمد عبد الرحمان مرحبا

(جامعة بيروت)

1) ان اهم المشاكل التي تعترض سير اللغة العربية فى نظري والتي تحد من سيرها وانتشارها فى العالم بسرعة انما هي ضعف العالم العربي وتفككه وعدم وحدته فى دولة واحدة فلو كان العالم العربي موحدا لانتشرت اللغة العربية بسرعة البرق فالوحدة تقتضي القوة والقوة كفيلة بنشر اللغة مهما كانت صعبة ، ان صعوبة اللغة الروسية لم تحل دون انتشارها فى هذه الايام وما ذلك الا لان روسيا اصبحت دولة قوية وكذلك صعوبة اللغة الالمانية لم تحل دون انتشارها فى عهد هتلر ، وما ذلك الا لان المانيا كانت فى ذلك العهد فى ذروة قوتها ، كانت بالطبع دولة موحدة قوية الشكيمة ؛ فأصبحت لغتها فى الحال لغة حضارة وكذلك لم تحل صعوبة اللغة العربية دون انتشارها الهائل فى صدر الاسلام ، فصعوبة اللغة وسهولتها لا علاقة لها اصلا بانتشارها فى الآفاق ، بل ان هذا الانتشار رهن بالقوة .

2) فالجواب على السؤال الثاني ناتج عن الجواب عن السؤال الاول اذ انجع الحلول لنشر اللغة العربية والقضاء على المشاكل التي تعترض ذلك ، يكمن فى توحيدها وتقويتها ، وما لم تصبح الامة العربية قوية فلا امل فى انتشار لغتنا .

3) ان اللغة العربية تصلح للتدريس الجامعي في الدراسات الانشائية فقط واما الدراسات الطبيعية من كيمياء وفيزياء وميكانيك و... فتقوم فى وجهها عقبات وعقبات .

4) ان اهم مشكلة تعترض التدريس الجامعي للعلوم الطبيعية هي ايجاد المصطلح الدقيق ، والذي ييسر ايجاد المصطلحات الدقيقة فى اللغات الاوربية ما فيها من تركيب مزجي ؛ فاللغة العربية فقيرة فى التركيب المزجي ؛ واما اللغات الاوربية فقابليتها لهذا النوع فى التركيب قوية جدا وذلك بتركيب الكلمة من جذور يونانية ولاتينية ، وقد اقترحت فى مناسبة سابقة ان يسد هذا النقص بالرجوع الى ما يسمى باللغات السامية التي ترتبط فيما بينها فى وجوه التعبير ارتباط ما يسمى باللغات الآرية فكما ان الفرنسية والانكليزية و... رجعت الى لغتها من الاسرة الآرية وهي اللاتينية واليونانية واقتطعت منها جذور مصطلحاتها وركبتها معا تركيبا مزجيا فما الذي يمنعنا من ان نعمل ذلك فى اللغات السامية ، فنقتطع منها بعض الجذور — بحكم تشابهها فى وجوه التعبير والكتابة ثم تركب من هذه الجذور الكلمات والمصطلحات العلمية كما هو الحال فى اسرة اللغات الآرية ؛ ان الفرنسية لم تنحصر فى ذاتها ولم ترد التعبير عن كل شيء فى نطاق لغتها ، فما بالنا نحن العرب نريد ان نحصر تعابيرنا ومصطلحاتنا فى العربية وحدها ؟ لنرجع الى اللغات الشعبية بالعربية ولننظر ما اذا كان يمكن ان نفعل منها ما فعلت الفرنسية باللاتينية واليونانية .

5) الجواب عن هذا السؤال موجود فى تضاعيف الجواب السابق ويضاف الى ما تقدم انه لا مانع من استعمال بعض المصطلحات الفرنجية نفسها فكما قال اسلافنا فلسفة وهي كلمة غير عربية ، فلا مانع ان نستعمل كلمة بسترة pasteurisation ومكننة mécanisation فى الحالات التي تعجز فيها عن تطبيق الحال السابق .

وجوب إعداد المراجع العلمية بالعربية في المستوى الجامعي

الدكتور احمد محمد حسين

رئيس قسم الصيدلانيات
كلية الصيدلة (جامعة القاهرة)

1 — اهم المشاكل التي تحد من سرعة انتشار اللغة العربية فى العالم هي :

اولا : صعوبة قواعد اللغة العربية وكثرة مفرداتها .

ثانيا : عدم توافر المراجع العلمية واللغوية فى جميع الفروع وبلغات اجنبية على المستوى العالمي للشعوب التي ترغب فى دراسة لغتنا العربية.

2 — الحلول التي نراها تعمل على نشر اللغة العربية هي الاكثار من تأليف **المراجع العلمية على المستويات العليا** مع وجود تذييل فى كل مرجع يشمل ترجمة المصطلحات الصعبة الى اللغات المختلفة . وكذلك الاهتمام بتزويد مكتبات السفارات العربية فى الخارج بهذه المراجع حتى تكون متوافرة لما يرغب فى الاطلاع . وكذلك الاكثار من **المجلات العلمية** العربية التي تنشر اهم واحدث البحوث العربية فى الخارج وتنظيم اعطاء دروس فى اللغة العربية فى السفارات العربية وكذلك عرض افلام عن الحضارات العربية وعن اهم الكشوف العربية مع وجود ترجمة مكتوبة مصاحبة لهذه الافلام وعرضها فى الدول الاجنبية .

3 — اللغة العربية تصلح للتدريس فى الجامعات حاليا فى الاقسام التي لا تستدعي الدراسة فيها وجود **مراجع ومجلات اجنبية بكثرة** وذلك مثل اقسام اللغات الشرقية وكذلك فى الاقسام التي تمر فيها بالفعل ترجمة عدد موفور من المراجع العالمية مع وجود **مؤلفات عربية** فى متناول الطالب حتى لا نعوق الطالب على الاطلاع على التقدم العلمي العالمي.

4 — والحل فى نظرنا **الاكثار من الترجمة** والاهتمام بها لامهات الكتب العالمية. مع وجود لجان متخصصة للتأليف فى الفروع المختلفة باللغة العربية وتشجيعها ماديا وادبيا .

5 — العمل على عقد اللجان الدائمة التابعة لجامعة الدول العربية تضم اساتذة الجامعات ورجال الصناعة وذلك لتوحيد **المصطلحات العلمية** فى جميع الدول العربية ومن ثم وضع قوانين عربية اجنبية تضم اهم المصطلحات وترجمتها ، مع عقد مؤتمرات سنوية بين رجال الجامعات للموافقة على هذه المصطلحات وابداء الراي .

انتشار اللغة رهن بمدى إسهامها في الواقع الحضاري

الاستاذ زكي نجيب محمود
ـ القاهرة ـ

1 ـ اللغة هي نفسها الفكر ، وبمقدار ما يتسع الفكر عند الانسان يكون اتساع حصيلته اللغوية، اذ لا وجود لفكرة بغير لفظ يحملها ، كما انه ينبغي الا يكون وجود للفظ اجوف ، بغير فكرة يشير اليها ؛ وان صاحب اللغة كلما صادفته ـ في غير لغته ـ فكرة جديدة واراد نقلها الى لغته دون ان يجد لها في هذه اللغة لفظا يكافئها ، اخطر الى خلق لفظ جديد في لغتـه ـ اما اشتقاقا او تقريبا ـ ليقابل به تلك الفكـرة الجديدة .

فاذا بدانا من هذه النقطة الواضحة ، وهي ان اللغة والفكر جانبان لموقف واحد ـ فلا لغة بغير فكر ولا فكر بغير لغة ـ انفتح امامنا طريق الاجابة عن السؤال المذكور .

فاهم المشاكل التي تعترض سير اللغة العربية؛ هي اولا ـ ان **ليس لدى ابنائها اليوم فكر جديد** تقدمه الى سائر اجزاء العالم ، بحيث يضطر الدارسون والمثقفون في ارجاء العالم اضطرارا الى الاقبال على لغتنا التماسا لفكرنا الجديد ، الا فلنعلم ان الدارسين والمثقفين ـ عند غيرناعلىالسواء ـهم صيادو افكار قبل كل شيء ، فاذا عرف العالم ان في لغتنا الجديدة فكرا جديدا ، اقبل الدارسون والمثقفون على لغتنا ابتغاء ما فيها من فكر جديد فلماذا اضطر العالم الاوروبي في العصور الوسطى ـ ايام ازدهار الفكر العربي ـ الى تعلم اللغة العربية والترجمة عنها ؟ الانهم كانوا يترنمون بانغامها من حيث هي الفاظ ذات جرس وايقاع ؟ ام كان ذلك لانهم علموا انها مطوية على ثقافة جديدة وفكر جديد ؟ فدرسوها وترجموها لينتفعوا بما جاءت تحمله من مضمون خصب غزير .

ان معظم جهدنا اليوم بازاء تطوير اللغة العربية منصرف الى متابعة ما يتقدم به العالم الخارجي من علوم وفنون وآداب ، فكلما جاءنا من هناك جديد ، ولم نجد له لفظا عندنا يساويه ؛ التمسنا سبيلا الى نقله على اية صورة من الصور التي نتفق عليها ، واذا كان هذا هوموقفنا الفكرى ؛ فما الذى يدفع الدارس او المثقف في بلد اجنبي الى دراسة لغتنا ؟ لماذا يتعلمها وهو يدري ان مدى جهدنا هو ان نلحق به ؟

اعود لاؤكد انه **لا انتشار للغة الا بمقدار غزارة الاضافة الفكرية** التي تضيفها ، فالى ان يعلن فكرنا الجديد عن نفسه في ارجاء العالم ، علينا أن ننقل الى ذلك العالم كل ما نتوسم فيه الجدة من فكرنا وادبنا ؛ لعل هذا القليل الذي ننقله يكون فاتحة للكثير الذي ننتجه فينقله الناقلون عنا ؛ كما نقلوا عنا بالامس ؛ وكما ننقل نحن عنهم اليوم .

2 ـ اعتقد ان الاجابة عن هذا السؤال متضمنة في الاجابة عن السؤال الاول ، ومع ذلك فاني اضيف هنا ضرورة التيسير في **قواعد اللغة** العربية تيسيرا يزيل عنها التعقيد دون أن يمس جوهرها وخصائصها ، كما اضيف ضرورة التيسير في الاشتقاق وفي التعريب فنجيز كثيرا مما لا نجيزه اليوم ، فضلا عن ضرورة تقريب الشقة بين الفصحى والعاميات (لان العامية تختلف باختلاف الاقطار) حتى يزول الازدواج ، فتزول الحيرة التي تعترض الدارس من غير ابناء اللغة .

3 ـ اللغة العربية تصلح للتعليم الجامعي كل الصلاحية ، واحب في هذا الصدد أن اذكر النقاط الآتية :

أ) كانت « كل » المواد الدراسية — فى المدارس المصرية — الى اوائل هذا القرن ، تدرس باللغة الانجليزية ، ثم عرب بعضها فتيسر تدريسها بالعربية ، ولم يعرب بعضها الآخر — وخصوصا فى مجال العلوم — فظل حتى اليوم يدرس باللغة الانجليزية ، واحسب ان لو بقي الحال على ما كان عليه فى اوائل القرن ، لظن المعترضون على التعريب بأن تدريس التاريخ والجغرافيا والرياضة وعلم النبات وعلم الحيوان والفلسفة والجيولوجيا وغير ذلك من العلوم التي عربت ، أمر متعذر ، كما يظنون اليوم أن العلوم الباقية بغير تعريب تستعصي على التعريب .

ب) لابد من التفرقة بين هدفين من اهداف التعليم الجامعي ، اولهما تخريج المهنيين الذين يزاولون مهنتهم فى الحياة العامة ، من طب وهندسة وتعليم الخ... وثانيهما تخريج العلماء الذين تقع عليهم تبعة البحث العلمي سواء كان ذلك فى مناصب الاستاذية بالجامعات ذاتها ، او فى مراكز البحوث العلمية المتخصصة .

فأما الاولون فهم لا يطلب منهم — بالدرجة الاولى — أن يتابعوا تيارات البحوث العلمية فى الخارج ، بلغاتها الاجنبية ، ويكفيهم ان يتابعوا البحوث الجديدة فيما ينشره مواطنوهم العلماء فى الدوريات والمؤلفات العربية ، وأما الآخرون فهم الذين يلزمهم بالضرورة تعلم اللغات الاجنبية ليسهموا فى حركة البحث العلمي فى أرجاء العالم .

ومعنى هذه التفرقة التي قدمناها أنه بينما لا تضطرنا الضرورة لتعليم الالوف من ابنائها الجامعيين بلغة غير لغتهم ، فانه فى الوقت نفسه شرط ضروري لطلاب الدراسات العليا — ما بعد الدرجة الجامعية — أن يتابعوا دراساتهم مستعينين باللغات الاجنبية .

4 — ان اهم مشكلة تعترض الاساتذة فى التدريس الجامعي هي مشكلة المصطلحات العلمية ، اذ لابد من تعريب تلك المصطلحات ، أو ترجمتها (أعني بالترجمة ايجاد لفظ عربي مقابل للفظ الاجنبي ، وأعني بالتعريب ايجاد صياغة عربية للكلمة الافرنجية ذاتها) .

لكن ينبغي أن يكون هنالك اتفاق بين العلماء العرب على المصطلحات الجديدة فى صورتها العربية ، حتى لا تحدث بلبلة للدارسين .

وقد يعترض احيانا بأن المصطلحات العلمية عالمية بحكم طريقة بنائها اللغوي ، اذ هي تبني من مقاطع لاتينية تحمل المعنى ، ولا يشق على أي عالم مهما كانت لغته أن يألفها لفظا ومعنى ، وهنا نقول أنه فى أمثال هذه الحالات نلجأ الى التعريب لا الى الترجمة ، بل وقد نلجأ الى الابقاء على بعض الصيغ العلمية والمعادلات الرياضية المشهورة فى العلوم فى صورتها الافرنجية نفسها .

ولا يجوز على أي حال لاية مشكلة ان تعوق نقل العلوم الى العربية ، لما فى ذلك من اثراء للغة ومن نهوض بالحركة الفكرية بمعناها الواسع العريض .

انتشار اللغة العربية

متوقف على نمونا الحضاري

الأستاذ كمال حمدي

(القاهرة)

1) ان مشكلة اللغة العربية هي **انعكاس مباشر للمشكلات الحضارية** التي يعيشها المجتمع العربي في المرحلة الآتية ، والطريق للنفاذ من تلك الازمة الحضارية واذا اردنا ان نحصر تلك المشكلات في اطار اللغة فقط نجد انها تتلخص في :

اولا — تعدد اللهجات المحلية في الاقطار العربية والمشكلة هنا لا تنحصر في اشكال « ثنائية اللغة » ولكن اذا دققنا النظر في المسألة وجدنا ان اللهجات المحلية — مثلت في طور الانهيار الحضاري للمجتمع العربي — الجزء الحي من اللغة القادر على المعايشة اليومية للتاريخ ، والقادر على التطور والاختصاص ، واذا ادركنا ان المجتمع العربي تعرض لغزو حضاري من لغات مختلفة — وان كانت مشتركة الاصل — نجد ان هذا الجزء الحي من اللغة المتطور المختص ، يتباين ويختلف ، نتيجة لذلك ويشكل ازمة لغوية حادة ، نعاني منها في المرحلة الحاضرة .

ثانيا : ان انتشار اية لغة في العالم متواز مع درجة حضارة الشعوب المتكلمة بها ، ومدى تفاعلها واثرائها للموقف الحضاري العام .. لذا **فانتشار اللغة العربية متوقف على مدى نمونا الحضاري** ، واصالتنا التي يمكن من خلالها اضافة ابعاد جديدة أصيلة للموقف الحضاري العام ، وهذا ما نلاحظ بداية تفتحه الآن .

ثالثا : لا نغفل بداهة — مشكلة قواعد اللغة العربية ذاتها من نحو وصرف .. الخ، وهذا يعود بالدرجة الاولى ، الى علماء اللغة الذين نطالبهم بالعمل على تطوير اللغة وتبسيطها للضرورة القصوى التي تتطلبها تلك المرحلة من اتخاذها للاسلوب العلمي الدقيق .

2) من خلال عرضي للمشاكل التي تعترض سير اللغة العربية أجد ان اهم الحلول تتبلور في النهاية فيما يلي :

أ — العمل من اجل وحدة عربية اكثر نشاطا وفاعلية وخصوبة وشمولا .

ب — في أن تكون ابحاث المفكرين العرب هادفة الى خلق ثقافة علمية اكثر اصالة وتجددا .. والالتزام الكامل باللغة العربية مع العمل على تطويرها واثرائها بالمفردات العلمية وتطويع اسلوبها للبحث العلمي الدقيق

ت — يمكن الادلاء باقتراح عقد مؤتمر عام لعلماء اللغة لمناقشة اهم الابحاث المقدسة لتبسيط اللغة العربية ، تتبعه مؤتمرات اخرى للمفكرين والمثقفين العرب من اجل مناقشة اهم المشاكل التي تعترض سير اللغة العربية في الفترة المعاصرة .

3) لقد حققت اللغة العربية في مجال « الدراسات الانسانية » تقدما فعالا ، وان كانت ما زالت في حاجة ماسة للتدعيم في مجال الدراسات العلمية الفنية ... فاللغة العربية ما زالت متعثرة في ذلك المجال .

4) أ ـ ما زالت مفردات اللغة العربية فى حاجة ماسة الى قاموس علمي عصري يحدد معانيها بدقة .

ب ـ حركة الترجمة فى الوطن العربي ما زالت قاصرة مشتتة ، لا تخضع الى تخطيط علمي مدروس مما ادى الى اتخاذ الكثير الترجمة حرفة مثمرة .. يتعرضون لترجمةامهات الكتبالعلمية بترجمات رديئة، ينشأ عنها تعدد الترجمة للمصطلح العلمي الواحد الى التحريف نتيجة لسوء الفهم وهبوط المحصول اللغوي للمترجم ، والغرابة ..

5) من الضروري أن نضع حدا لفوضى استخدام المصطلحات وترجمتها والاختلاف على معانيها ؛ وكل المشاكل التي اضافت تطور اللغة العربية وصلاحيتها ... عقبات كبيرة قد نتجت عن اهمالنا للمصطلح العربي المناسب ، كل الصعوبات التي ظهرت فى سبيل قيام لغة عربية حية قد نتجت عن اهمالنا لتنظيم لغة الكتابة العلمية .

وقد ظهرت لا شك ـ محاولات عديدة لتذليل تلك العقبة ؛ ولكنها محاولات مشتتة فى اطار الوطن العربي ؛ وهي بهذا تزيد من قوة الاختلاف ، لذا اطالب بالاسراع باصدار قاموس لمفردات اللغة العربية علمي عصري ، يحدد معانيها بدقة علمية ؛ تساهم فيه جميع الهيئات العلمية بالوطن العربي كافة .. من اجل ايجاد مصطلحات عربية علمية متفق عليها ؛ وان نجد العبارات العلمية السلسة الواضحة للمعاني والموضوعات والاشياء والافكار .. كذلك يهم ان نجد مقابلا عربيا لكل المفردات التي تجول فى اذهاننا باللغات الاوربية

الوحدة العربية

نقطة انطلاق لتوحيد المصطلح العربي

الأستاذ محمد العربي الخطابي

(الرباط)

أولا : تعترض سير اللغة العربية مشاكل جوهرية منها :

أ) تختلف الاقطار العربية ، اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ، واللغة تتأثر حتما بتخلف الامة وتزدهر وتترعرع بتقدم الجماعة التي تتكلم بها .

الم تكن اللغة اليابانية واللغة الروسية متخالفتين منذ نحو مائة عام ، وكانتا قاصرتين الى حد كبير عن التعبير العلمي والتقني الذي ظهر مع الحضارة الصناعية ؟

ولنا امثلة من التاريخ ايضا : فاللغة العربية التي كانت لغة الشعر والتعبير المجرد فى الجاهلية والصدر الاول من الاسلام استطاعت ان تطفر طفرة كبيرة ، بسبب الفتوحات والثورة والاحتكاك ، فما لبث أن انفتحت امامها آفاق التقدم والرقي فأصبحت لغة العلم والفلسفة والادب والدواوين (الادارة) .

وبمقارنة ذكية يتضح لنا ما حققته اللغة العربية ، كذلك من تقدم ملموس فى مدة مائة عام فى مطلع النهضة العربية الحديثة .

ب) تقاعس الحكومات العربية او عجزها عن بناء الوحدة الثقافية التي هي فى نظري اس الوحدة السياسية والاقتصادية بين اقطار العرب . وقد بقي دستور الوحدة الثقافية العربية الذي وقعه وزراء التعليم فى بغداد منذ سنوات قليلة حبرا على ورق .

وما لم تصبح هذه الوحدة الثقافية العربية **حقيقة قائمة فسوف يبقى الكلام** عن توحيد المصطلحات العلمية ووضع المعاجم والمؤسسات والكتب الدراسية على نحو منسق ، سوف يبقى الكلام عن ذلك ضربا من العبث .

ج) الاستعمار الفكري الاوربي الذي كان من العوامل التي اضعفت الثقة باللغة العربية وعممت الجهل بها بين المتعلمين فى عدد من الاقطار العربية . وقد ضرب الاستعمار الفرنسي الرقم القياسي فى ذلك باضطهاد لغة الضاد فى تونس والجزائر والمغرب وانشائه طبقة متعلمة منفصلة عن جذورها جاهلة بلغة قومها وبحضارتهم .

هذه هي المشاكل الجوهرية ، فى نظري ، أما تبسيط النحو العربي ، وتوليد المصطلحات ووضع المعاجم الضرورية فكلها مشاكل ثانوية متفرعة عن تلك ومرتبطة بها .

ثانيا :

الحلول الناجعة ، كما اراها ، هي :

أ) بناء الوحدة الثقافية العربية باسرع ما يمكن ومعنى الوحدة هو :

— مناهج دراسية واحدة .
— كتب دراسية واحدة .
— مجمع لغوي وعلمي عربي واحد ، وجهود متناسقة ومتآلفة ، ماديا وعلميا ، لوضع المعاجم واقرار المصطلحات والالفاظ الجديدة .

ب) العناية الكبرى بالبحوث العلمية اللغوية وغيرها فى الجامعات خاصة .

ج) ايجاد اساتذة جامعيين ، على مستوى عربي مؤهلين للتدريس والبحث باللغة العربية فى جميع الكليات ، وذلك طبق منهاج مخطط تتفق عليه كل الاقطار العربية .

ثالثا :

لاشك ان اللغة العربية تصلح للتدريس والبحث الجامعي ، لانها لو لم تكن كذلك لما استحقت ان تحمل اسم لغة ، ولما كانت قادرة ان تنتقل عبر قرون عديدة ثقافة علمية وادبية وفلسفية تعد من المع الثقافات العالمية المعروفة ولما استطاعت كذلك

ان تقف فى وجه استعمار غربي قوي تسلط على البلاد العربية اجيالا وحاول القضاء على لغة العرب .

نعم ، ينقصها فى الوقت الحاضر ، عديد من الالفاظ والمصطلحات العلمية والتقنية التي ولدت مع حضارة العصر ، وهذا ليس عيبا فى اللغة العربية بل هو نقص فى ابنائها وقصور وتخلف فى شعوبها وليس من المستحيل ولا من الصعب تداركه .

رابعا :

من المشاكل التي تعترض الاساتذة الجامعيين :

أ) نقص كتب الدراسة والمراجع والمعاجم ، وخاصة فى الكليات العلمية .

ب) تقصير الجامعات نفسها فى ميدان البحث العلمي الذي لا يتصور ان تستغني عنه جامعة عصرية .

وما زلنا نشاهدفى المغرب ، مثلا ، مسؤولين ، يؤمنون ان الجامعة ما هي الا مؤسسة غايتها تكوين الاطارات ، اي تكوين الموظفين واصحاب المهن الحرة .

ولا يخفى ان تشجيع البحوث فى الجامعات عامل جوهري فى ايجاد المراجع والكتب الدراسية وفى توليد المصطلحات وتعميمها بين الطلاب الجامعيين .

لقد دلت التجربة على ان العلماء الباحثين حينما يؤلفون كتابا او مرجعا علميا لا يعوزهم استنباط المصطلحات أو توليدها او تعريبها وهم فى ذلك لا ينتظرون ما ستعمله المجامع اللغوية ، بل يعتمدون على علمهم وخبرتهم ومعرفتهم بلغتهم مع لغة اجنبية او اكثر . والآلة على ذلك موفورة لذا فان تشجيع الباحثين والمؤلفين الجامعيين عمل هام من شأنه ان يساعد على اثراء اللغة العربية بما هي فى حاجة اليه من الفاظ ومصطلحات ومراجع وادوات علمية وتقنية .

خامسا :

من الخطأ الظن بأن المجامع اللغوية هي وحدها المسؤولة عن استنباط المصطلحات وتوليد الالفاظ الجديدة . ان الجهود الفردية وجهود ارباب المهن المختلفة ضرورية فى هذا الباب . فالعالم الذي يبحث ويؤلف ويترجم ، والخبير الذي يعمل فى مكتبه او معمله والصناع الذين يشغلون فى المصانع ، والرياضيون ورجال الفن كلهم يشاركون ، فى ميدان اختصاصهم ، فى ايجاد الالفاظ والمصطلحات التي تدعو اليها الحاجة . ومهمة المجامع اللغوية ، فضلا عن التوليد والابتكار ، هي الجمع والتنسيق وتبني الالفاظ الصالحة المبتكرة وتصنيفها فى معاجم وقواميس .

وليس بخاف على احد ان معظم الالفاظ التي تستحدث يوميا فى اللغات المتقدمة باوربا وامريكا تجري على الالسنة وفى الصحف السيارة حينما يبتكرها ذوو الاختصاص فى المصنع او المختبر او النادي او المسرح او المرسم .

نعم ، المشكلة ، هي توحيد المصطلحات ولاجل ذلك وجد المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربي ، وعمله فى هذا الباب نافع جدا ، والمنهاج الذي أعده لجعل المصطلحات العربية موازية ومساوية للمصطلحات الغربية الحديثة منهاج صالح جدا والمهم هو ان يسند عمل المكتب ، ماديا وعلميا (وسياسيا أيضا) حتى يؤدي واجبه فى احسن الظروف والاحوال وحتى لا يعوقه عائق ، وهذا الاسناد حتمي ومستعجل لان عجلة التقدم لا تنتظرنا . وقد عرض المكتب الدائم حاجته ووسائله وبنى تقديراته على اسس علمية وتقنية ، وحدد زمن الانجاز ، وهو زمن ليس بطويل (عشر سنوات) اذا قسناه بمدة التخلف الفكري والاجتماعي التي عاشتها اقطارنا .

نماء اللغة العربية وانتشارها

كامنان في القضاء على تخلف العرب في الحقل العلمي

الأستاذ عبد الواحد العلوي

المجلس الاعلـى للقضـاء (الرباط)

اللغة العربية هي في الحقيقة لغة المسلمين جميعا بل يجب ان يسري اثرها الى البشرية جمعاء لان مبادىء العقيدة الاسلامية في اصلها وفروعها موجهة الى الناس كافة ودانت بها أمم في مختلف القارات وكان لها الفضل على الانسانية كلها في محيط الحياة الفردية والجماعية ادبيا واجتماعيا واقتصاديا وسياسيا ، عقيدة لا يمكن ادراك حقائقها والوقوف على اسرارها للحكم لها أو عليها الا باللغة التي نزلت بها ، الشرقي والمستشرق والغربي والمستغرب كلهم في ذلك سواء ، أما عن التعبير بها عن كل كائن فلقد وقعت التجربة فما عجزت عن التعبير عن كل ما جد وحدث في عنفوان سلطان اهلها وعزة المتكلمين بها عبرت عن مدارك العلماء ومقاصد الدهماء فما وهنت ولا ضعفت ولا قصرت عن بلورة ما جد من العلوم بعد الفتح الاسلامي بمصطلحات علمية وفنية وآلية في ميدان القانون والادب والتاريخ والجغرافية والفلسفة وعلم الكلام والطب وسائر الصناعات وتدبير شؤون الاموال عامة والتنظيمات الحربية والتصميمات الهندسية وغير ذلك بفضل اهلها والمنتمين اليها من غير العرب وهم الكثير فلم تكن مشاكل التعريب عندهم بالامس بأسهل منها عندنا اليوم ولاكنها القوة والسلطان في ذلك الزمان والتخلف والضعف في هذا الاوان اذ اللغة صفة من صفات أهلها والمتكلمين بها تقوى وتعز بعزهم وتذل وتضعف بضعفهم ، فمما لا ريب فيه انه لا يمكن لاهل اللغة العربية أن يرجعوا اليها سلطانها وقوتها الا باسترجاعهم لقوتهم وبوحدة النظر لمعالجة مختلف القضايا مع التكتل ضد كل فكرة تقف امام هذه الوحدة

ولا يزال المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي يسعى جاهدا للوصول الى هذه الغاية بما يقوم به من مجهود جبار .

فمما لا ريب فيه ان اللغة وآدابها وسعة صدرها لكل ما يحدث ويجد من فنون وعلوم وصناعات آلية وغيرها يشكل احد المقومات التي يبني عليها الشعب وحدته وان كل شعب اصيب بمرض التخلف وتوقفت لغته عن النمو ومسايرة التقدم الحضاري والعمراني قد حيل بينه وبين تقاليده وفقد خصائصه ومميزاته .

لذا كانت اللغة العربية بالنسبة للجاحدين والجامدين عرضة لمعاول الهدم والافساد سلبا وايجابا من عدة نواح ولاسباب مختلفة تتجدد بمرور الزمان بعد ان فقد المسلمون ولا اقول العرب عزهم وسلطانهم في العالم ، لقد اسيىء الى اللغة العربية من طرف اهلها والمتكلمين بها ومن طرف من كان يظن عن حسن نية أن احياءها احياء للعنصرية السلالية غفلة منه عن ان اللغة العربية لغة المسلمين جميعا لكونها لغة القرآن ثم من طرف الاستعمار الذي يعلم ان حياته منوطة بموت اهلها ، فالسبب الذي يعوق سير اللغة العربية ويحد من سرعة انتشارها في العالم في الوقت الحاضر هواننا لمنتمكن بعد من تكوين الجيل الصاعد تكوينا صحيحا يجعله اهلا للسير في طليعة الركب العالمي يسانده عز الامة وسلطانها فاننا ما زلنا لم نتمكن من القضاء على رواسب الاستعمار والتخلف الفكري والاقتصادي والسياسي والاجتماعي ولم نستطع لحد الآن التخلص مما غرسه اعداء اللغة العربية بل اعداء الاسلام . فالقرآن لا يدرك سره وتعرف مقاصده الا بمعرفة اللغة العربية والتمكن من اسلوبها والتضلع في علومها فمتى استطاعت العربية السير في طليعة ركب التقدم في كل ميادين العلم وامكنها تكوين الاطر الصحيحة في اللغة العربية وعلومها واساليبها واسرارها تساند هذه الاطر في كل المراحل قوة المال ، وامكنها أن تصلح حالها وان تضع الاسماء لمسمياتها حين اختراعها

أو تقتبس الفاظا غير عربية بعد صقلها وجعلها ملائمة للنطق العربي السليم في الميدان الآلي والصناعي خاصة فتنمو اللغة وتزدهر وتنتشر بين جميع الاوساط العلمية في العالم ، على غرار سلفنا الذي وضع المصطلح لكل ما جد آنذاك من علوم وفنون ، فالمشكل كامن في الاختلاف والتخلف ونقصان التكوين الفكري والعلمي وعدم توحيد المجهود ، ومن حسن الحظ أن الشعوب العربية ادركت ان نماء اللغة العربية ومسايرتها الركب الحضاريّ منوط بنمائها وان هذا النمو ضمان لسعادتها ومثار ازدهار لعلومها وقوة لميزاتها ، فاذا حصلنا على قوة المال ووحدة العمل أمكننا ان نربط الحاضر بالماضي ونضع المعالم للمستقبل الزاهر وان نقوم بنفس الدور الذي قام به السلف وهم في اوج عزهم فابتدعوا اساليب شتى فكان لكل معنى مصطلحه الخاص ووضعت اسماء لمسميات لم تعرفها اللغة العربية من قبل ، فلن تستطيع اللغة العربية استرجاع مجدها الا بالوسائل التي نهجها السلف في الخلق والابداع بالاضافة الى وحدة الفكر ووحدة الاتجاه .

ان داء العمل الفردي أو الاقليمي وعدم التكوين الصحيح الشامل العام وعائق الضعف والاختلاف كل تلك عراقيل يجب ان نستأصلها للكرع من ينابيع تراثنا الفياضة ولغتنا الثرية بمعاجمها ووفرة مفرداتها ومطاوعتها في التصعيد والتوليد والاشتقاق والتجوز والابدال والقياس .

وقد منيت اللغة العربية رغم ثرائها باختلاف خطير قبل ظهور الاسلام ونزول القرآن ، وقبل تغلب لغة قريش على سائر اللغات واللهجات . لذا يجب العمل الآن على تقوية وسائل التوحيد ، توحيد المصطلح العلمي أو التقني عن طريق ما امتازت به اللغة العربية من سعة ووفرة مادة ولا ارى وسيلة احسن لتحقيق هذه الوحدة من احداث هيئة علمية مركبة من اختصاصيين في شتى الشعب العلمية تكون مهمتها اصدار دائرة معارف في اللغة تنشر تباعا في مجلة « اللسان العربي » ليتكون منه « معجم اللغة العربية الموحد الجديد » المستمد من الابداع العربي الجديد وكذلك من المعاجم القديمة التي وقفت عن السير بوقوف اهلها وجمدت جمود انصارها بما اصابهم من ضعف . يجب ان يتم انجاز لهذا المعجم تحت رعاية جميع الامم المعنيةبالامر ومن طرف اختصاصيين منقطعين لهذه الرسالة وعن طريق سلم على راسه هيئة عليا يرفع اليها محصول الهيئات الفرعية لتصادق عليه .

واللغة العربية لم تفقد في اي وقت من الاوقات صلاحيتها للتدريس الجامعي ، فالاساتذة الجامعيون في العصر الحاضر يدرسون علوما حديثة باللغة العربية ويتقنون دراستها بحثا وتبيانا ويبذلون مجهودا ليس باليسير لتذليل عقبة العثور على المصطلح العلمي والتقني العربي يضاف الى هذا مجهود المجامع العلمية في العالم العربي ، هذه البادرة يعوزها توحيد المصطلح في كل الميادين وهو نقص لا يزول الا عندما يبرز للوجود « المعجم المسلسل الموحد » ان شاء الله. فالمشكل الحقيقي انما هو في عدم وحدة المصطلح لا في كون اللغة العربية صالحة للتدريس أو غير صالحة لان صلاحيتها للتدريس الجامعي شيء واقعي.

اللغة العربية صالحة للتدريس الجامعي

ولكن بطء التعريب عرقلة

الاستاذ كيفور ميناجيان
(موسكو)

ج 1 — هناك عدة اسباب من وجهة نظري

أ) تأخر البلدان التي تستخدم اللغة العربية فى العلوم والفنون والهندسة . فاذا ما حملت هذه البلدان مشعل الحضارة والعلوم ، أمكنها أن تحتم على البلدان الاخرى ان تتعلم اللغة العربية لتقتبس ما طاب لها او احتاجت اليه من علوم او فنون تنشر باللغة العربية .

ب) ضيق مجال التبادل الثقافي بين البلدان العربية والبلدان الاخرى .

ج) ضعف الدعاية التي تقام للغة العربية فى البلدان الاخرى .

د) قلة عدد الجمعيات اللغوية فى البلدان العربية .

هـ) انني من أنصار الاحرف العربية ولكنني اعتقد انها من اسباب عدم انتشار اللغة بين البلدان الاخرى . لان الاكثرية الساحقة ممن لا يعرفون اللغة ، يعبرون عن دهشتهم وخوفهم من الاحرف ويعتقدونها احرفا هيروغليفية صعبة الكتابة والقراءة .

و) بعض الصعوبات فى اللغة من حيث القراءة والكتابة والقواعد .

ز) ينقص اللغة العربية بعض النظريات والقواعد اللغوية الموجودة فى اللغات الاخرى ليجعلها اكثر مرونة ، وتتنافس مع اللغات الاخرى .

ح) **ليست المصطلحات العربية موحدة فى كل البلدان العربية .**

فكل بلد يستخدم المصطلح الذي يروقه او يعتبره أصح .

ط) لا توجد لغة عربية سهلة وموحدة يفهمها الشعب فى كل البلدان العربية . فكل بلد عربي له لغته العامية الخاصة به. ومن يدرس اللغة الفصحى لا يفقه شيئا من حديث الشعب .

ك) **عدم احترام الاختصاصيين الاجانب فى** مجال اللغة ، بالصورة اللائقة .

ج 2 — فى نظري انجع الحلول لازالة المشاكل التي تعترض سير اللغة العربية هي التالية :

أ) الاهتمام بنهضة البلدان العربية نهضة علمية وفنية وثقافية لتكون فى مستوى البلدان المتقدمة فى العالم .

ب) يجب توسيع التبادل الثقافي والعلمي بين البلدان العربية والبلدان الاخرى .

ج) يجب تقوية الدعاية واجهزتها من اجل نشر اللغة العربية ، وهنا اعتقد انه من الضروري تأسيس صندوق خاص للقيام بالدعاية . واهم الطرق فى رايي هو فتح مراكز ثقافية فى البلدان الاخرى (غير العربية) فيها فصول خاصة لتدريس اللغة العربية بالمجان ؛ وغير ذلك من وسائل الجذب . وكذلك اجراء مسابقات فى اللغة العربية على مختلف المستويات تكون الجوائز بعثات دراسية فى أي بلد من البلدان العربية او غير ذلك من الوسائل ، تجعل المواطنين الاجانب يهتمون باللغة العربية وينجذبون اليها وربما كان من الملائم فتح جامعة عربية متحدة يدرس فيها الاجانب اللغة العربية مجانا ، بعد النجاح فى المسابقات اللغوية .

د) توحيد المصطلحات العلمية والفنية والهندسية وغيرها بين البلدان العربية وتنفيذ هذا التوحيد بصورة الزامية وليس اختيارية .

هـ) توسيع العلاقات وزيادة الجوائز والمنح وغير ذلك من وسائل التشجيع فى مجال تطوير اللغة ، وبصورة خاصة للعلماء والاختصاصيين الاجانب الذين يقومون بدور ما فى نشر ودراسة اللغة العربية .

و) توحيد المصطلحات العلمية والفنية والهندسية وغيرها فى كل البلدان لتكون هناك لغة عربية موحدة مائة فى المائة .

ز) تكوين لغة عامية موحدة يفهمها كل مواطن عربي فى البلدان العربية جمعاء .

ن) اجراء **اصلاح فى اللغة العربية لتتمشى مع متطلبات العصر** ، وادخال التغييرات والتجديدات الضرورية فيها .

ح) **اقامة علاقات وثقى مع العلماء** واللغويين والاختصاصيين الاجانب المهتمين باللغة العربية ودراستها وتدريسها وتقديم المساعدات التي يحتاجون اليها و(احترامهم) . اقول احترامهم لانني اصطدمت بهذه المشكلة اذ انني كتبت رسالة وبعثت بها الى معهد التعريب والترجمة التابع لجامعة الرباط اطلب فيها مجموعة المصطلحات التي اقرها المعهد لدراستها وادخالها فى معاجمي التي اصدرها فى الاتحاد السوفييتي للغة الروسية والعربية . ولكن للاسف (مع ان الرسالة مبعوثة بالطائرة ومسجلة) لم استلم اي جواب . وحدث نفس الشيء مع المجمع العلمي السوري .

ط) جذب اكبر عدد ممكن من المستعربين الاجانب للاشتراك فى كل التدابير التي تتخذ فى مجال اللغة العربية ونشرها وتطويرها .

ج 3 — نعم ، تصلح اللغة العربية للتدريس فى الجامعات بدون اي شك .

ج 4 — المشاكل التي تعترض الاساتذة اثناء التدريس باللغة العربية ، هي فيما يلي :

أ) نقص المصطلحات العلمية والفنية والهندسية وغيرها فى المعاجم والمراجع .

ب) نقص فى المعاجم والمراجع اللغوية والعلمية والفنية والهندسية .

ج) مرة اخرى اقول عدم وجود وحدة فى المصطلحات المذكورة بين البلدان العربية .

د) يتطور العلم بسرعة عجيبة ، ويجب علينا أن نتمشى مع هذه السرعة . لكن النتيجة عكس ذلك فى مسألة تعريب المصطلحات . اذ ارى ان **المصطلح الجديد يجري تعريبه ويدخل فى اللغة متأخرا جدا** . وحتى تعريبه واقراره بصورة صحيحة من قبل مؤسسة لغوية (نفرض مثلا مجمع اللغة العربية) يقوم كل مؤلف او استاذ بتعريب المصطلح كما يروق له ، وهو مضطر الى ذلك لانه يحتاج الى هذا المصطلح فى مؤلفاته او فى الترجمة او فى القاء المحاضرات . فتكون النتيجة مؤسفة ، اذ نرى امامنا مجموعة ضخمة من المصطلحات المختلفة قد ظهرت قبل اقرار المصطلح الصحيح ، اكثرها خطأ ؛ ولكنها تتسرب فى اللغة وتشوهها . لذلك يجب تعريب المصطلحات بسرعة فائقة ونشرها ، وادخالها فى اللغة بصورة جبرية وليس اختيارية لكيلا تعطي المجال لكل انسان ان يخترع ويبتكر كما طاب له .

د) نرى ان **الكتب الدراسية فى كل بلد عربي تختلف عن كتب البلد الآخر** . وهذا أمر سيء ويلحق الضرر من حيث نشر اللغة العربية ، ويجعلها صعبة التدريس فى الجامعة . لذلك من الضروري اصدار كتب دراسية ابتداء من السنة الاولى حتى آخر سنة فى الجامعة تكون **موحدة** لكل البلدان العربية.

هـ) اذا صعب ايجاد مكافيء لمصطلح جديد فى اللغة العربية ، فلا يجب ان نخاف من **ادخال المصطلح الاجنبي** بحيث يتفق والاوزان العربية اثناء تعريبه .

ج 5 — نعم ان المصطلح العلمي يشكل اهم مشكلة تعترض نمو اللغة العربية . وفى رايي يمكن التخلص منها بالطرق التالية :

أ)) تكوين مؤسسة موحدة لكافة البلدان العربية للتعريب واقرار المصطلحات يشترك فيها اعضاء من علماء اللغة والعلم من كل البلدان العربية ، وان يكون التصويت على اقرار المصطلحات المختلف عليها وفق نظام يراعي التساوي بين جميع البلدان ، اي أن يكون لكل بلد عدد متساو من الاعضاء .

ب) عند تعريب مصطلح واقراره ، يجب دراسة نفس المصطلح فى عدة لغات منتشرة ومتطورة، وليس فقط فى لغة واحدة كما يجري فى الكثير من الاحوال .

ج) استعارة المصطلحات من كل اللغات الاجنبية بعد اختيار الاصلح منها من حيث السمع

والنطق والانسجام مع اللغة العربية وبهذا تدخل مصطلحات من كل اللغات المتطورة وليس فقط الانجليزية كما يجري الآن ، وفى بعض الاحوال النادرة الفرنسية .

د) تكوين مؤسسة لكافة البلدان العربية لنشر المعاجم الضرورية بسرعة وبكثرة بحيث تشرف على مراجعة المعاجم هذه المؤسسة الموحدة لتعريب واقرار المصطلحات تشرف عليها الاجهزة الحكومية .

هـ) تكوين هيئة مراقبة حكومية موحدة لتشرف على مراجعة كل المعاجم والمؤلفات العلمية والفنية والهندسية وغيرها وتوحد كل المصطلحات المستعملة .

و) **اشراك اكبر عدد ممكن من المستعربين** الاجانب والاختصاصيين فى المصطلحات العلمية والفنية والهندسية ، فى عملية تعريب المصطلحات .

واعتقد ان هذا الامر ضروري من الناحية العلمية اذ ان كل مستعرب فى كل بلد اجنبي له وجهة نظر ذات طابع خاص ، ويفهم المصطلح بطريقة قد تختلف عند المستعرب فى اي بلد اجنبي آخر . وهذا الواقع فى رايي مهم ، وقد يفيد المهتمين والعاملين فى هذا الحقل من رجال اللغة ويعطيهم مواد فريدة فى نوعها .

وهناك اسباب وطرائق عديدة يمكن سردها ولكنني اعتقد ان المجال ضيق . كما يجب الاشارة الى ان هذا الموضوع موضوع بحث علمي يحتاج الى وقت ودراسة عميقة لم استعد لها . لذلك اكتب هذه الصفحات بسرعة لكي ابعثها الى المكتب الدائم للتعريب ، لاكون قد ساهمت فى هذا الاستفتاء ، وقدمت رايي كمستعرب اجنبي .

تشجيع التأليف في البحث الجامعي

هو الطريق المثلى للنهوض باللغة العربية في الحقل العلمي

الدكتور عمر الجارم

رئيس قسم الامراض العصبية والنفسية
كليـة الطب (جامعة الاسكندرية)

1 — اهم المشاكل التي تعترض سير اللغة العربية والتي تحد من انتشارها بسرعة فى العالم هي عزوف ابناء العروبة عن لغتهم (ام اللغات) .

2 — ان انجع الحلول هو تشجيع العلماء والاساتذة على التاليف **باللغة العربية فى فروع العلم المختلفة** .

3 — ان التعليم الجامعي لا يصلح الا باللغة العربية فنحن فى كلية الطب حيث التدريس بالانجليزية، احيانا يجد الاستاذ صعوبة فى التعبير بدقة عما يريد وكثيرا ما يجد الطالب صعوبة فى فهم ما يراد منه .

4 — الحل هو الاكثار من تاليف الكتب الجامعية باللغة العربية والاكثار من ترجمة المراجع من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية .

5 — المصطلح العلمي يمكن ترجمته الى اللغة العربية واذا استحال ذلك يمكن استعماله بلغته الاجنبية .

أصداء الاستفتاء في المغرب

كان المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربي قد ارسل لطائفة من الكتاب والعلماء والمفكرين فى نطاق دراسة مشاكل العربية واوضاعها جملة اسئلة تدور حول مستقبل اللغة وطريق النهوض بها وغير ذلك . وسيقيم فى الآونة الاخيرة معارض للكتاب القانوني والفقهي ، والعسكري ، والاقتصادي والعلمي فى كثير من مدن المغرب . كما سبق لمجلة « المعرفة » السورية ان قامت بالقاء عدة اسئلة على الاختصاصيين ومدرسي العلوم بالجامعات فى العالم العربي ، وقد نشرت فى بعض اعدادها اجوبة اولئك المختصين مما ساعد كثيرا على جس النبض فى سير تدريس العلوم بلغة الضاد فى البلاد العربية وتبيان مستقبل الدراسات العلمية العالية فى الجامعات .

وتقوم «العلم» الآن بالقاء بعض الاسئلة ولو فى نطاق ضيق ومحدود على بعض الاساتذة الذين اقاموا على كاهلهم فى فترات عصيبة مهمة تعليم العلوم بالعربية فى المدارس الحرة . والفترة التي شهدت قيام هذه الرسالة الكبيرة انطلقت من لا شيء ، وكان الاساتذة انفسهم يقدمون خطوة ويؤخرون اخرى . فالمراجع معدومة ، والرجال متكونون بلغة فرنسية محض كانت معركة جد شاقة كلفت الجهود المضنية الى ان استطاع التعليم العلمي العربي فى المدارس الحرة فى النهاية أن يتحسس طريقه ويقف على رجليه فوق ارض ثابتة .

ولندخل فى اجوبة بعض الاساتذة الذين وافونا بها لنعرف الحقيقة منذ البدء :

فالاسئلة التي وجهناها لهم اربعة كالآتي :

1) قمتم بتدريس العلوم والرياضيات بالعربية فى المدارس الحرة ، كيف كانت تجربة تدريس المواد العلمية لاول مرة بالنسبة لكم وللمدارس المغربية باللغة العربية ؟

2) هل اتت التجربة بنتيجة ايجابية ، واستطاع المتخرجون من تلك المدارس ان يتابعوا دراستهم العلمية عند ما انتقلوا الى مدارس متخصصة سواء فى المغرب أو الخارج ؟

3) بعد تعريب التعليم ازدادت فرص تلقين العلوم بالعربية خصوصا وان الافواج التي تلقت العلوم باللغتين على وشك التخرج وكذلك تعريب بعض الكتب والمصطلحات العلمية وغيرها ، فهل ستلعب هذه المقدمات دورا فعالا فى ارساء تعليم علمي عربي بالبلاد ؟

4) مارستم تعليم العلوم بالعربية وانتم مطلعون ولا شك على مشاكله . هل تحددون المشاكل والصعوبات التي تحول دون اتمام هذه الرسالة ؟

تلاميذنا المكونون بالعربية يضاهون أو يتفوقون على تلاميذ التعليم المكونين بالفرنسية

الاستاذ ادريس عمور
عميد المدرسة العليا للمهندسين

— 1 —

* لقد مارست خلال عدة سنين ، او على الاصح خلال اكثر من عشر سنوات ، تعليم الفيزياء والكيمياء والرياضيات باللغة العربية ، ورغم كوني لست متبحرا فى هذه اللغة ولم اكن متضلعا فيها ، فقد قمت باعطاء دروسي الاولى فى الرياضيات بالعربية حوالي — 1950

— 1951 — وربما قبل هذا التاريخ وذلك بمؤسسة لحلو بالدار البيضاء . ولولا مثابرتي وصمودي ، ولولا ايمان مدير المؤسسة المذكورة فى نجاحي فى هذه المهمة لكنت عجزت عن القيام بها بعد اسبوع من التدريس : نعم ، لقد كان يبدو لي اذ ذاك من قبيل المحال من الناحية العلمية ان أبلغ لعقول تلامذتي فكرتي العلمية باللغة العربية ، حتى أدى بي الحال الى تقديم استقالتي ، غير أن المدير رفضها رفضا تاما وصار يشجعني ويقوي عزيمتي . فأصبحت بمحض ارادتي واجتهادي اقوم بتعريب مادة الرياضيات اولا ثم الفيزياء وبعد ذلك مادة الكيمياء . ولم تكن اذ ذاك رهن اشارتي أية مراجع فى العلوم بالعربية ، مما جعلني اعتمد على الارتجال فقط . وكانت النتيجة ان شعرت بهذه الظاهرة : فبدلا من ان يظهر التلاميذ نوعا من الضجر ويعسر عليهم الامر من عدم استطاعتي التعبير بطلاقة اللسان وايجاد الالفاظ العلمية بسهولة . فقد اندمجوا معي فى هذه المحاولة واصبحوا بدورهم يبحثون معي عن المصطلحات التي تؤدي المعنى بدقة . ولم يكن ليتسنى ايجاد اللفظ قبل معرفة ما كان يرمي اليه ، وهذا البحث الاجماعي عن المصطلح المناسب كان عاملا مهما حمل التلاميذ على الاجتهاد فى فهم الدرس النظري والتمارين التطبيقية فهما جيدا .

وقد قمنا بالبحث عن المصطلحات ، وهكذا فبعد مضي شهر ونصف من الحيرة والتردد ، اصبح فى استطاعتي — رغم كوني لم أكن احسن اللغة العربية كما ذكرت آنفا — أن أقوم بتدريس ما كان يبدو لي ذلك من قبيل المحال واعني بذلك مواد العلوم بالعربية.

وطبعا ، خلال السنة التالية كنت ادرس باللغة العربية بنفس السهولة التي كانت تخولني اياها اللغة الفرنسية ، اقول كنت ادرس باللغة العربية كلا من مواد الرياضيات والفيزياء والكيمياء واخيرا البرامج المقررة فى العلوم للسنوات الاولى من التعليم الثانوي .

ولما تمت : بمدارس محمد الخامس بالرباط صحبة صديقي الاستاذ الحسين البكاري ، بانشاء السنة الثانية من الطور الثانوي الثاني ثم فتح قسم الباكلوريا العصرية الاولى 1953 — 1954 ، لم نجد اية صعوبة ، لان المصطلحات الاساسية كانت هي هي ، ولم تكن لتتغير ، وبهذه الطريقة استطعنا أن نزيل من عقلية التلاميذ المعربين كل مركب نقص وذلك بتلقينهم — باللغة العربية طبعا — نفس البرامج المقررة فى الفيزياء والكيمياء والرياضيات ، بالمعاهد الثانوية (الفرنسية) .

وبعد الاستقلال ، اصبح من الممكن ان نحدث بثانوية مولاي يوسف بالرباط اول قسم معرب لتحضير الباكالوريا الثانية فى الرياضيات ، ثم حوالى سنة 1961 اولى سنة تحضيرية عليا معربة فى الرياضيات والفيزياء والكيمياء بالمدرسة المحمدية للمهندسين .

لقد واجهتنا فى هذه المرحلة العليا من تعريب المواد العلمية مشاكل عويصة ناتجة عن عدم وجود المراجع الضرورية ، الامر الذي جعلنا نلجأ الى استعمال الحروف اللاتينية للتعبير عن الرموز فى الكيمياء والفيزياء والرياضيات .

وسأتكلم بعد حين عن هذه الصعوبات .

— 2 —

* لقد كانت لهذه التجربة طبعا نتائج ايجابية فليس المغاربة من ذوي الذاكرة المحدودة : تذكروا السنتين التجريبيتين 1952 ، 1953 وما بعد سنة 1953 : فبفضل تعريب المواد العلمية فى الطور الثانوي بالمدارس الحرة استطعنا سواء بالرباط ، او سلا ، ،او الدار البيضاء او فاس الخ.. ان نخلق نوعا من النشاط فى نفوس مجموعة من الشباب كانوا يظنون مستقبلهم مغلقا عليهم وان انس فلن انسى عزة النفس التي كنت أقرأها على وجوه تلامذتي عندما كانوا يمثلون امامي قائلين : « لقد انجزنا المشكلة الحسابية المطروحة على تلاميذ ثانوية مولاي يوسف ولقد حللناها باللغة العربية لرفاقنا ..الخ.»

وما اكثر ما واجهناه فى طريقنا من عناد وتشكيك ! ورغم ذلك فان اقبال التلاميذ ونشاطهم بلغ شأوا كبيرا حوالي سنة 1954 — 1955 الى درجة ان كاد الامر يدفع بنا الى اخفاء برامجنا لكون المسؤولين عن التعليم آنذاك كانوا يتخوفون من مزاحمة تعليم غير رسمي وان كان لا فرق تماما بين مستواه ومستوى التعليم الرسمي ، ويلقن باللغة العربية !

وحوالي سنة 1955 ، حصلنا على الفوج الاول من الحاملين لشهادة الباكالوريا ، غير الرسميين ، وان شئت فقل (المكونين فى الخفاء) (لانه كان على المدارس الحرة فى ذلك العهد الا يتعدى تعليمها السنة الثالثة من الطور الثانوي) ، وقد قام الاساتذة الشرقاوي، وابو بكر ، والبكاري وغيرهم ببعض

الاتصالات مع الاقطار الشقيقة فى الشرق . وهكـذا فقد استطعنا الحصول على المصادقة والاعتـراف بباكلوريا برزت من الخفاء . هذا ومن بين ذلك الفوج ، فقد دخل للمغرب عدد كبير من الطلبة وهم يمارسون الآن مهمة التدريس بمعاهدنا .

وبعد سنة 1956 ، استطاع طلبتنا الحاملـون للباكالوريا الثانية فى الرياضيات الذهاب الى الخارج علانية هذه المرة سواء لمصر او الشام .

كمـا سافـر آخرون الى اوربـا حيث تلقـوا تكوينا لغويـا فى الفرنسيـة او الالمانية ، مكنهـم من متابعة دراستهم هناك بسهولة وقد رجعـوا وهم يحملون شهادة الليسانس فى العلوم او درجة مهندس.

— 3 —

✻ نعم ، وبدون ادنى شك ! لقد عرفنا فى الوقت الذي لم يكن لدينا الوسائل سوى ايماننا وارادتنا .

سبق لي ان اشرت الى ذلك حيث كنا نقـوم بمفردنا بايجاد المصطلحات الضروريـة ، اما الآن ، فتوجد رهن اشارتنا لهذه الغاية قواميس مختصة ؛ وكذلك طريقة منهجية للتعريب ، واكثر مـن ذلك ، يمكن لنا الآن تنسيق التعريب بين سائر الاقطـار العربيـة .

وفى نظري ، فالتعريب فى حد ذاته غير صعب ، فليس هناك الا مشكل ، ومشكل واحد : من يا تـرى سيقوم بالتعريب ؟ ومتى سنتوفر على جميع الاطـر التعليمية القادرة على تدريس جميع المواد العلميـة ليسهل تعريبها ؟

منذ لحظة ، كنت اصرخ صرخة المنتصر : لقـد استطعنا ان نعرب فى الوقت الذي لم نكـن نتوفـر فيه على الوسائل الضرورية : ولكن كان الامر اذ ذاك يتعلق بمئات او بآلاف من التلاميذ ، اما الآن ؛ فقـد اصبح يتعلق بعشرات الآلاف او بمئات الآلاف مـن التلاميـذ .

وعليه ، فتعريب التعليم الآن امر سهل من حيث المبدأ اما من حيث التطبيق ؛ فقد يكاد يكون من قبيل المستحيل ، وذلك اذا نحن اخذنا بعين الاعتبـار تلة الاطر الضروريـة .

ثم هناك فى نظري سبب آخر اكثر خطورة وهو انعدام النشاط وانعدام الثقة فى الوصول الى هـذا الهدف ، وعليه فاذا ما انتم استطعتم ان تخلقـوا النشاط وقوة العزيمة كما كان الامر عليه سنة 1953، فانكم لا محالة ستتمكنون فى اقرب الآجال من تعريب تعليمنا العلمـي .

— 4 —

✻ لقد اشرت فيما سبق الى بعض الصعوبات التي منها مـا هو جسيم ، وهي :

1) الرجال الضروريون لهذا التعريب .
2) النشاط والايمان والثقة بالتعريب

وهناك صعوبات اخرى على الصعيد التقنـي ينبغي التغلب عليها ، وابادر بالقول الى ان الحلول التي انادي بها للتغلب على هذه الصعوبات ، هـي حلول املتها علي التجارب : فاذا اردنا القيام بعمـل ناجع ومفيد ، ينبغي ان نتجنب فى ميدان تعريـب العلوم كل التعصبات والانفعالات القومية او اللغوية او غيرها ، فعلينا الا ننسى ان العلوم عالمية يسهـم فيها جميع اقطار المعمور ، فاذا كنا فى حاجـة الى ان نتعرف الى ما وصلت اليه الاقطار الاخرى فى هـذا المضمار، علينا ان نعمل ايضا على ان يتمكنوا بدورهم من التعرف على ما نقوم به نحن الاقطار العربية فى هذا الميدان . ففي الحقل العلمي اذا ، لا توجد بروج عاجية يستحيل الوصول اليها ، وان اكبـر ضرر فى نظري يمكن ان يلحق العرب المختصين فى العلوم ، هو ان يضعوا انفسهم داخل دائرة لا يمكن تجاوزهـا

والحل كما ذكرت ذلك آنفا : هو استعمـال الحروف اللاتينية فى كتب الصيغ المتعلقة بالفيزيـاء والكيمياء والرياضيات ، ابتداء من السنة الثالثة مـن الطور الثانوي ، وكفـى !

وهنا احكـي حكايتين اشرح بهما هذا المبـدأ الاساسـي او ما اعتبره مبدأ اساسيـا :

كنت اقوم بتدريس مادة الرياضيات بقسـم الباكلوريا الثانية المعربة فى الرياضيات بثانوية مولاي يوسف وكانت الدروس مفهومة جدا من طرف التلاميذ، غير اني كنت اشعر ان هؤلاء كانوا يغارون شيئا ما من اصدقائهم بقسم الباكلوريا الثانية فى الرياضيـات باللغة الفرنسية ، وذلك لان الاولين كانوا محصورين فى دائرة الدروس التي كنت القنهم اياها ، امـا الآخرون ، فكانوا يتوفرون على عدة مصادر مهمة ، وبالاخص على مؤلفات تحتوي على مشاكل حسابية وتطبيقات منجزة باللغة الفرنسية طبعا .

واذ ذاك ، تمت بالتجربة الآتية : اخـذت مطبوعات الرموز ومطبوعات الرموز وحدها فقـط وادخلت عليها الحروف اللاتينيـة وبدلا من ان اكتب :

ا س2 + ب س + ج = 0

كتبت $a x2 + b x + C = O$

وبعد مضي شهر واحد ، اصبح تلامذتي يتوفرون على مطبوعات الرموز ، لاسيما وان هذه الرموز تجعل الطالب يساير الدروس مسايرة سحرية وبغاية السهولة .

اما الحكاية الثانية ، فهي كما يلي :

حتى سنتي 1957 — 1958 ، لم يكن أحد يؤمن بصفة معقولة فى تعريب قسم الباكالوريا الثانية فى الرياضيات . وبعد جهود جبارة استطعنا ان نحصل على الموافقة لانشاء هذا القسم .

ولما شعرت ان تلامذتي تعودوا جيدا على استعمال الحروف اللاتينية فى كتابة الصيغ ، طلبت — وحظي طلبي بالقبول — أن يجتازوا نفس الامتحانات المخصصة لزملائهم المسجلين بالاقسام الفرنسية ؛ وان يقوم بتصحيح الاختبارات اساتذة فرنسيون ؛ وقد شارك فى هذه الامتحانات 26 طالبا معربا نجح منهم 14 او 16 (لا اتذكر بالضبط) .

وخلاصة القول :

ليس هناك مشكل لتعريب التعليم خصوصا فى الظروف الحالية :

فتكوين الرجال وتقوية العزائم والجو الضروري واستعمال الطرق الناجعة والعمل على نسيان الانفعالات ؛ تلك هي فى نظري المتواضع ، الشروط الضرورية للوصول الى تعريب صحيح يناسب العصر العلمي الذي هو عصرنا وذلك سواء فى التعليم الثانوي او العالي .

انطلاق رائع للتعليم العلمي العربي يجب أن يعزز بفتح معاهد التخصص أمام المكونين بالعربية

الاستاذ العربي حصار
صيدلي ومدرس العلوم

※ فيما يتعلق بالسؤال الاول على تجربة تدريس المواد العلمية بالعربية لاول مرة بالنسبة لي فقد كانت تقريبا بطريقة الصدفة اذ فى سنة 1950 تأسست ثانوية النهضة بسلا وكانت فى حاجة اكيدة لاساتذة فى تدريس العلوم بالعربية وبديهي أن الواجب كان يدعو اذ ذاك للتلبية والمشاركة فى ارساء دعائم النهضة العلمية بالبلاد . ولبيت النداء ، وكانت مهمة صعبة وشاقة لانني تلقيت تكويني العلمي بلغة اجنبية فى مدرسة فرنسية محضة لان اللغة العربية تعتبر حينذاك لغة اجنبية . واستطعت تلبية لرغبة الاستاذ ابي بكر القادري ان اضع امكانياتي فى سبيل وضع اللبنات الاولى دون ان انسى انني لم اكن مهيأ للمهمة. وتتبع الصعوبات التي واجهتني اذ ذاك فى عدم وجود مراجع مدرسية علمية بالعربية سواء فى الطبيعيات أو الكيمياء والفيزياء . واضطررت انا والاخوان الاساتذة عمور ، والبكاري والطيب بن عمر ان نعكف على ترجمة الكتب الفرنسية . وكانت تجربة انطلقنا فيها من الصفر وسارت رويدا رويدا الى ما بعد الاستقلال ، وخرجنا من التجربة بنتيجة سارة استطعنا فيها لا اقول الانتصار وانما قهر الصعوبات العديدة . وأؤكد بهذه المناسبة انني خرجت وانا ملم باللغة العربية بفضل العكوف والتدريس .

اما بالنسبة للمدارس العربية فقد كانت التجربة طبيعية ، وانما الشيء الذي وقف حائلا دون جدية وفعالية الدروس هو انعدام وسائل الايضاح ، وهذه المسألة تغلبنا عليها بوسائلنا الخاصة ، فمن جانبي كنت ازود جهتي بالمواد الكيماوية وكان الآخرون من جهتهم يضعون وسائلهم تحت تصرف اقسامهم وهكذا ...

ورغم كل ما ذكرت فقد علقنا آمالا كبيرة على انتصار التعليم العربي العلمي متى استقلت البلاد . وللتدليل على مدى تلك الآمال فقد كنا نحث الطلبة على التوجه الى الشرق وبالاخص سوريا لانها قريبة الينا من حيث التكوين العلمي .

※ وعن السؤال الثاني حول نتيجة التجربة والانتقال الى متابعة العلوم فى مدارس متخصصة بالمغرب والخارج أجاب الاستاذ العربي حصار على أنه يعتبر النتيجة ايجابية الى حد . فقد استطاع فعلا كثير من المتخرجين بالعربية ان يتابعوا دراستهم العلمية فى الخارج سواء فى الشرق كبعض المهندسين وهناك دكتور فى الكيمياء على وشك انهاء دراسته وعدة طلبة يتابعون تعليمهم العالي فى الفلاحة بالولايات المتحدة وطالبان يدرسان الآن فى الجزائر احدهما فى كلية الطب والآخر فى كلية الصيدلة فترة تدريب

استغرقت شهرين كنت اراقبه اثناءها عن كثب واستطاع ان يقطع شوطا مهما في تدريبه) . وهناك آخرون غابوا عن ذاكرتي .

والمهم أن يتفهم المسؤولون فى هذا المضمار مدى خطورة عدم قبول بعض الطلبة المتكونين عربيا فى كلية الطب . ان الضرورة تقتضي فتح الباب امام من يريد منهم الانتساب الى هذه الكلية واعود لاؤكد على نقطة هامة وهي تخصيص بعض المدارس بالتجهيزات العلمية التي يحتاج اليها الطلبة . وافراد شعبة متخصصة مزودة بكل الامكانيات المتاحة حتى يتم تكوين نخبة تضطلع بالمهمة وتسيز بها الى مبتغاها . أما اذا ظلت الحالة على ما هي عليه فلا شك أننا سوف لا نخرج مثقفينا وانما انصاف مثقفين !

وهناك قصر نظر فى بعض الاحكام السريعة التي تطلق على نتائج الباكالوريا العلمية بالعربية ، وهي غالبا ما توصف بأنها ضعيفة المستوى ، وهو طبعا حكم خاطىء لان المواد التي تجرى فيها الامتحانات واحدة ما عدا ان واحدة تقع بالعربية والاخرى بالفرنسية . وهذه مسألة لغة لا دخل فيها للحكم على المستوى .. وقد عالجنا هذه المشكلة باعطاء المصطلحات اثناء الدرس باللغتين ما دام الطلبة سيضطرون استقبالا الى متابعة دراستهم بلغة اجنبية .

※ ثم اجاب الاستاذ حصار عن السؤال الثالث وهو اتاحة الفرص أمام تلقين العلوم العربية بعد تعريب التعليم ، فقال بان الفرص فعلا ازدادت بكيفية واسعة وربما ايضا بشكل فوضوي ! ذلك انه لزاما ان تنفرد فى الجهاز المدرسي شعب علمية تكون فى المستوى ، متينة ومتخصصة . وستعود الافواج التي تدرس بالخارج وقد وجدت الميدان ممهدا ومتيسرا بعض الشيء ، فيستفيد منهم التلاميذ . وتكون مناسبة ثمينة لان يلعبوا دورهم المعلق عليهم وهو دور مهم وفاصل حيث سيقفز التعليم العلمي خطوات واسعة الى الامام .

ثم اعطى الاستاذ حصار بعض الامثلة عن المتقدمين للمدرسة العليا للاساتذة وتأسف لهبوط المستوى ، كما انه اطلع على تصحيح بعض المواد لمباراة الدخول للمدرسة فهالته مختلف الاجوبة ، والمستويات ومرد ذلك الى التكوين الضعيف الذي يعطى للطلبة وهو لا يبشر بخير فى المستقبل . والذين يتخرجون لا ينهض مستواهم الى الدرجة المطلوبة .

وفيما يخص وضع الكتب العلمية بالعربية فقد تم تأليف واخراج كتب علمية فى الرياضيات على الاخص وبعض الكتب فى الفيزياء والكيمياء والطبيعيات للطور الاول من الثانوي . ولا زالت الشعب العلمية تحتاج اشد الاحتياج الى هذه الكتب . وافتح هنا توسين — يقول الاستاذ حصار — لاعطي مثالا عن المفتشين الفرنسيين الذين كانوا يضعون كتبا علمية خاصة بالبلاد رغم ان الكتب الفرنسية موجودة بكثرة ويتم توزيعها على التلاميذ بالمجان . وقد وضعت كتب عربية وفق البرامج المغربية ولكن لم تنتبه الوزارة لهذا العمل رغم ما تتوفر عليه من الامكانيات .

اما اقتراحي لوضع الكتب فانا الح على وضعها بطريقة علمية منظمة تتوخى الفائدة والصالح العام ، وليس بطرق فوضوية مرتجلة كما وقع بالنسبة للطور الاول من الثانوي . ولا احتاج الى القول بأن المسألة فى الاخير تؤول على انها مسألة تجارية .. وهنا ولا شك تبرز مهمة مكتب التعريب .

— 4 —

※ اما عن السؤال الاخير الخاص بمشاكل تعليم العلوم بالعربية فهي كثيرة كما قال الاستاذ العربي حصار : احدهما فى عدم وجود الكتب الملائمة والصالحة من جهة وفى عدم توحيد المصطلح العلمي فى المغرب وخارج المغرب رغم ان مكتب التعريب يبذل جهودا كبيرة ولكنها تسير ببطء . فتوحيد المصطلحات العلمية من الاهمية بمكان وتظهر ضرورته كلما تعددت المصطلحات وبات عسيرا على الانسان ان يحصر مصطلحا فى معنى بعينه . وهذا التعدد والاختلاف بين البلد والآخر عاق فى بعض الاحيان مهمة الاتفاق على قاعدة محددة . وهذا هو الشيء الخطير امام تقدم العلوم فى عالمنا العربي .

وختم الاستاذ حصار جوابه بقوله : يعيب كثير من الناس علينا اننا متعصبون للغة العربية ، والحقيقة اننا متعصبون لان العربية لغتنا ، ورغم ما قيل فيها ستبقى اللغة الحية لانها سايرت وتساير مسيرة العصور المتقدمة . ونقطة الضعف هنا ان يقوم العرب بواجبهم كاملا وعلى احسن حال . وسيظهر الزمن انها لغة صالحة وستبقى صالحة . حقيقة ان العربية ربما اصابها فتور او حصر الا ان الانسان مهما توانى فانه سينهض من كبوته ويستمر فى السير الى الغاية المتوخاة .

الكتب العربيــة فى العلــوم أقــل مستوى مــن الكتــب العلميــة العــربيــة

الاستــاذ احمــد الاخضــر
جامعــة محمــد الخــامس (الرباط)

ونشرت جريدة «العلم» بحثا للاستاذ احمد الاخضر فى نطاق الاستفتاء جاء فيه :

انه من السهل البسيط جدا تلقين العلوم بالعربية وبمصطلحات عربية فصيحة فى مستوى اية لغة راقية . ولكن دون اغفال الاساس وهو تهييء العدة اي الادوات الفنية التقنية لتدريس العلوم فى نفس المستوى واكرر والح على هذه العبارة « وهي فى نفس المستوى » .

تعليم بــلا مراجــع ـ يعتبــر ناقصــا

ثم اجاب الاستاذ احمد الاخضر عن السؤال الثالث حول ازدياد فرص تلقين العلوم بالعربية وتدريسها بالعربية بأن هذا امر طبيعي لكن بشروط :

1) التخصص وهو ان يتخصص كل مغربي فى فرع من العلوم يعني ان يتقن تخصصه ثم بعد ذلك ان يفرغ معلوماته فى لغته العربية . وبذلك نتوفر على المراجع العلمية التي تعوزنا . ومن المعلوم ان الكتاب المدرسي محدود القائمة فتلاميذ المدارس الحرة الذين يتعلمون الرياضيات والفيزياء والكيمياء والطبيعيات بالعربية يفتقرون اولا الى كتاب علمي مدرسي فى هذه المواد . واذا كان هناك كتاب فى هذه العلوم فانه منخفض المستوى بالنسبة الى الكتب العلمية الاجنبية . وثانيا ، ليست هناك فرصة البتة للتلاميذ لتوسيع او تركيز تلك المعلومات التي يتلقون مبادئها فى القسم واعني المجلات والكتب والدوريات العلمية المبسطة فى العربية .

ولابد فى هذا المجال من القيام بعبء تاليف الكتب المتوالية فى اللغة العربية لان تعليما بدون مراجع يعتبر ناقصا . واذا نحن استنجدنا بالبلاد العربية فسنجد ان حصيلتها فى هذا الميدان هزيلة لان الكتاب المدرسي العربي متخلف عن الكتاب الاوربي بما يتعدى 60٪ واذن فمن اللازم والاكيد اعادة النظر فى تاليف الكتب المدرسية وتاليفها يجب ان يراعي بدوره المستوى الذي عليه الكتب فى البلاد الاوربية .

2) عدم توفر المراجع ، فنحن فقيرون جدا فى هذا المجال مع أنها اساسية فما العمل اذن ؟ يجب القيام بعملين فورا :

— تاليف مراجع من طرف المختصين كأن يؤلف كل متخصص فى شعبته . فكيف سيكون هذا التاليف او الوضع بدوره ؟ من المعلوم ان المراجع تنقسم الى قسمين رئيسيين : (1) قسم توضيحي ، مروج للعلوم (2) وقسم البحث المتخصص . ويمكن فيما يخص القسم الاول اعني القسم التوضيحي ان يضطلع به اي كان ، لكن بالنسبة للقسم الثاني اي التخصص ، فالامر صعب لانه ميدان عميق . وهنا يبرز دور الترجمة ومن المهم جدا ان يشجع التاليف والترجمة والنشر .

ثم نفي الاستاذ الاخضر بعد ذلك الراي القائل بأن تقدم البلاد فى الميادين الاقتصادية والاجتماعية كفيل بتقدم التعليم كأن التعليم نتيجة للتقدم الاقتصادي والاجتماعي بينما يقول الاستاذ الاخضر الحقيقة أن التعليم هو محرك التقدم الاقتصادي والاجتماعي وهو الاساس الذي يبنى عليه اي تقدم كيفما كان نوعه . وسأضرب مثالا : هناك امم عربية غنية تجلب الاختصاصيين والعلماء الاجانب والفنيين لاطلاق الصواريخ ، لماذا ؟ الانهم اكثر ذكاء من العرب؟ لا لانهم فقط متخصصون اكثر من التخصص فى مستوى اعلى .

نحن طبعا متخلفون وهذا معناه اننا يجب تدارك هذا التخلف ، والتخلف يقدر بالنسبة للاشيء اي بلا مقياس ؛ وهذا المقياس هو المستوى الذي توجد عليه الامم الراقية . الا ان الامم الراقية تتقدم بسرعة مذهلة لا يمكن بتاتا ولو مواكبتها ، فلو اردنا تمثيل ذلك فسنقول : ان الدول الراقية تتقدم بسرعة نسميها (س) فلتدارك تخلفنا يجب ان نتقدم بسرعة (س) بمعامل 2 او 3 أو 4 ولكن تقدمنا حسب ما هو عليه التعليم اليوم يسير بسرعة س مقسومة على اثنين ، اذن فلن نتدارك ذلك التخلف ما لم نعمل حينا وبدون تردد على رفع مستوى التعليم .

ثم اجاب عن السؤال الرابع وهو تحديد المشاكل والصعوبات التي تحول دون اتمام تعليم العلوم فقال: بصفة عامة تقف امام تقدم اللغة العربية ثلاث مراتيل :

الاولى : مشكلة اصلاح حروف الطباعة بالعربية ، وهذه المشكلة حلت عندنا فى المغرب

بالمشروع المغربي المعروف الذي تبنته الحكومة واصبح فى يدها من حيث الاستغلال .

الثانية : مشكلة المصطلحات العلمية والتقنية ، وفيما يرجع لهذه النقطة ما زال العالم العربي يتخبط فى مسالكها .

اما مشكل المصطلح العلمي فى العالم العربي فانه اتى اولا : من عدم التوحيد ، وعدم التوحيد يأتي من عدم التمسك بالفصحى ، وللتدليل على ذلك هذا المثال: فقد وضع باحث لغوي عربي للفظة الفرنسية La voix لفظة « حس » شارحا بأن لفظة « حس » شائعة فى بلاده وتعني صوت الحلق ، وهو ما يقابل عندنا فى عاميتنا لفظة « حلق » عندما نقول مثلا : سمعت حلقه ، والكلمة موجودة عند الجاحظ حيث قال : « ان الصقالبة لهم حلق جميلة فى الغناء » فالحلق اذن عندنا وهي فصيحة ولكن مع ذلك استعملت لفظة « حس » .

وثانيا : عدم التحري والدقة فى الفصحى عند انتقاء الالفاظ ومثال ذلك : لفظة « اينسلبرج » وهي لفظة المانية بمعنى « جبل منفرد » ترجموا هذه الكلمة «بجبل مفرد» و «جبل منعزل» و «الطود» الخ. والتجاوا اخيرا الى لفظة « انسلبريج » مع ان فى « المخصص » لابن سيده كلمة : القرن : هو الجبل المنفرد .

وثالثا : عدم الدقة فى فكرية المصطلح ، ونجد مثالا لذلك فى لفظة «ركام» العربية التي لها مصطلحات كثيرة « كالمورين » الفرنسية و « الكاو » الفرنسية و « الآما » و « الطا » كلها تقابل « ركام » ..الخ، وهناك من يقول بان كلمات كثيرة فى الفرنسية لها معان مختلفة وان كان اللفظ واحدا فمثلا : peau جلد الفرنسية لها معان كجلد الانسان والليمون وغيره وهذا مقبول وموجود فى اللغة المتداولة لكنه غير مسموح به البتة فى اللغة العلمية ، فلفظة الجلد الفرنسية وهي لفظة عامة تطلق على معان مختلفة فى العلوم ولكل مفهوم لفظ خاص .

والقواميس تعطي فى اللغات الاوربية معنى محددا للكلمة لا يحتمل نسخه او تبديله ليحل مكانا آخر .

وكذلك هناك عدم البحث عن الاصل الحقيقي المصطلح ، ومن الامثلة على ذلك حرف «س» الذي يستعمل فى الجبر فى بعض المدارس فقد ترجموها عن حرف « x » الفرنسية التي اخذت بدورها عن « x » الاسبانية التي بدورها ترجمت عنحرف الشين العربية التي تدل على الشيء الذي يبحث عنه . فيجب اذن كتابة ش لا س لان ش معناها شيء ، وس ليس لها معنى .

والمشكل الثاني للمصطلحات وهو انه يجب الاقتناع بان اللغات الاروبية فقيرة جدا بالنسبة الى وضع المصطلحات العلمية ، لذلك لا تجد غضاضة فى الالتجاء الى الاخذ من الالفاظ اللاتينية واليونانية .

والصعوبة الثانية آتية من عدم مسايرتنا للمصطلحات يعني اننا لا نضع فى الحين والتو المقابل العربي للمصطلح الاروبي وكمثال على ذلك : فى المصطلحات العلمية الدولية توضع الفاظ قبل جلب المصطلح وبعده للدلالة على معان موحدة متنوعة وتسمى بالعربية تارة بالمتصدرات والمتطرفات او السوابق واللواحق او الاماميات والخلفيات ..الخ كـ: sous و infra, و hypo من السوابق و ite و ique, و eux, و ose, و sie الخ. من اللواحق . ومن المعلوم ان لكل لفظة معنى خاصا ، فلو وضع العالم العربي من اول الامر المقابلات العربية لهذه الحروف لما أصبحنا اليوم امام هذه البلبلة المؤسفة سيما وان العلم يتقدم بسرعة فائقة والمصطلحات توضع بسرعة لا تقل عنها . ولا اخفي سرا اذا قلت بأنه توضع اليوم قرابة الخمسين لفظة جديدة فى كل شهر .

ففي ميدان التقنية بالضبط يوجد معجم انجليزي فرنسي متقابل للمصطلحات التقنية خاصة بالمهندسين والهندسة فقط من تأليف « كبتريدج » بـه 100 الف مصطلح بينما نجد فى مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي اقرها مجمع اللغة العربية فى مختلف العلوم ، فى القانون والطب والكيمياء والرياضيات والهندسة ، والبيولوجيا وعلم الصحة ، والباكتريا والتشريح وعلم النبات وعلم الحيوان وعلم الاحياء وعلم الطباعة وعلم التصوير وعلم التاريخ ، والفلسفة والموسيقى وكل العلوم نجد 11.334 لفظة . ولو ارادت مجامعنا ان تضع معجما كالذي اشرنا اليه بالسرعة التي تسير عليها لتطلب منها ذلك قرنا ونصف قرن من الزمان . فهل من يتعظ ؟ وهل من يرى الحقيقة على وجهها الواقعي ؟

« والقينا على الاستاذ الاخضر سؤالا آخر

مضمنه اننا نسمع بوضع معاجم وموسوعات ودائرات معارف ولا زالت توضع الى الآن فى العالم العربي ».

واجاب الاستاذ الاخضر : « لا اعرف فى العالم العربي ان هناك دائرة معارف بمعنى الكلمة انتهى العمل منها ولا موسوعة اكتملت او انجزت ، انما هناك شبه دائرات معارف وشبه موسوعات مع عدم اغفال ان احسن موسوعة تظهر الآن هي موسوعة فؤاد افرام البستاني ، التي لم يصدر منها الى يومنا هذا الا خمسة اجزاء من حرف «ا» الى العين او الغين اظن .. ولماذا هذا كله ؟ لان دائرة المعارف او الموسوعة هي مجموعة معاجم مختصة وتامة ، وبما اننا لم نضع الى يومنا هذا معاجم مختصة تامة ، فلا يمكن لاية موسوعة فى العلوم ان تكتمل ..! وهذا يعني اننا ابتدانا من حيث انتهى الآخرون .!

اما اصحاب المعاجم فلم يخرجوا الى حد الآن الا ما يسمى بمضغات المعاجم .

والحل اذن امام المصطلحات هو :

اولا : للمحافظة على المستوى يجب ترجمة الكتب المدرسية — لا وضعها — ترجمة وافية مخلصة صادقة امينة ومسايرة جملة جملة مدركا مدركا ومفهوما مفهوما بدون الفرار من المصطلحات ولو ادى ذلك الى استعمال المصطلح الاجنبي موقتا للمحافظة على الوان المعاني كما فعلت الامم الاوربية قبلنا اذ ترجمت الكتب المدرسية الفرنسية الى لغاتها بادخال المصطلحات الفرنسية ، وتخرجت افواج فى المستوى قامت بتأليف كتبها المدرسية في المستوى ايضا .

ثانيا : وضع المعاجم المختصة فى اقرب وقت وبدون تردد . وعرضها على مؤتمرات دورية بالبلاد العربية بعد توزيعها من قبل على الهيئات المختصة.

ثالثا : — واثناء ذلك — تجريد القواميس العربية وكتب اللغة وتصنيف موادها تصنيفا ترتيبيا حسب المعاني وحسب الحروف .

والعمل الاخير يعني تجريد القواميس وكتب اللغة — وهو العمل الذي يسبق وضع المصطلحات وذلك للمحافظة على وحدة اللغة العربية وجعل العربية المعاصرة تكملة للعربية الفصحى حتى لا يقع انفصال بين عربية اليوم وعربية الامس ..

وفى الحقيقة فان التجريد هو نقطة البداية، ونحن مضطرون الى العمل بالاثنين: وضع المصطلحات والتجريد . لان اللغة تتجدد وتصلح ما فاتها .

وبديهي انه لا يفهم من هذا كله ان مثل هذه الاعمال لا يستطيع شخص واحد ان يقوم بها .

الا ان مما يرتاح اليه الضمير ان المغرب بجراته فى دراسة اللغة العربية على حق وجهها واثارة الغبار عن افكار جامدة ، فاننا نلاحظ اليوم فى العالم العربي حركة ونشاطا فى وضع المعاجم وفى التعريب كانت انطلاقا لدعوة المغرب فى هذا الميدان . لان المغاربة يشددون على نفسهم كما يشددون على غيرهم غايتهم فى ذلك الوصول الى العمل المتقن لا المهلهل . كما انهم ينقدون ذاتهم ويضعون امامهم الحقائق وان كانت مرة. ولكن شجاعتهم لمجابهة المشاكل لما ينبىء بمستقبل زاهر للغة العربية ولمستوى التعليم العربي » .

اما المشكل الثالث وهو تبسيط النحو ، ففي الحقيقة ليس بمشكل لان اللغات الاوربية عموما ليس لها نحو بمعنى قواعد قياسية . فاللغات الاجنبية لا تكتسب الا بالسماع والممارسة . اما اللغة العربية فلها قواعد منها الثابت ومنها غير الثابت ، والثابت منها اكثر من غير الثابت ، ولها اوزان وتصاريف منطقية ، ولها قوالب قياسية . فهي من هذه الناحية اسهل اللغات ولكن الشيء الذي يشتكي منه اولئك الذين يتهمونها بصعوبة النحو هو ان اللغة العربية لا تعلم فى المدارس كما يجب ان تعلم والعيب كله ليس فى النحو العربي ولكن : اولا : فى الابواب الضرورية للنحو ، وثانيا : فى كيفية ومنهج التلقين .

نجاح التجربة السورية في تعريب التعليم الجامعي

الدكتور عبد الله واثق شهيد

لقد كان القطر السوري الشقيق اسبق الاقطار العربية الى تجربة التعريب العلمي فى سلك التعليم العالي ولاسيما فى الدراسات الطبية ، وقد نجحت تجربته الى حد كبير يدل عليها الكمية الوافرة من الكتب المؤلفة فى مختلف شعب الطب وفروعه وباقي الشعب العلمية، وما زالت سوريا الشقيقة سائرة فى هذه الطريق .

وقد وردت على المكتب الدائم للتعريب من الدكتور عبد الله واثق شهيد وزير التعليم العالي فى سوريا رسالة توضح اهداف وزارة التعليم العالي فى حقل تطوير اللغة العربية وتطويعها ورفع مستواها العلمي واحلالها المكانة المرموقة التي كانت لها فى الماضي على الصعيد العالمي وهذا نصها :

وبعد فان من مهام وزارة التعليم العالي فى الجمهورية العربية السورية :

— الحفاظ على سلامة اللغة العربية والسهر على صيانتها ، لتقوم بدورها الفعال فى جمع شمل الناطقين بها .

— والعمل على تطويرها ودفعها الى مراقي الكمال لتكون فى مستوى اللغات الحية التي تفي بمتطلبات العصر وحاجاته ، وتستوعب ما ينبثق عنه من علوم وفنون وما يستجد فيه من اختراعات واكتشافات .

— ووضع المصطلحات العلمية الآخذة بالازدياد يوما بعد يوم .

— والسعي الى توحيدها وتنسيقها فى الاقطار العربية قاطبة .

وبذلك يتصل حاضر هذه الامة بماضيها المجيد، فتنطلق وهي تحمل مشعل المعركة ليشع على العالم من جديد بما اشع عليه فى غابر الازمان .

ولما كنتم قد سلكتم هذا الطريق قبلنا ، وخطوتم فيه الخطوات الفساح .. نبعث اليكم بكتابنا هذا آملين ان يكون الاتصال بيننا وبينكم وثيقا فى هذا المجال ،وراجين ان تقوموا بتزويدنا بما صدر عنكم من معاجم ونشرات فى هذا السبيل ، وبامدادنا بمجلتكم الزاهرة — اللسان العربي — لنقتبس من هذه وتلك ما ينير طريقنا ، ويأخذ بيدنا لنصل الى الغاية المنشودة فى اقرب فرصة ، واقوم سبيل .

والجهود عندما تتضافر لتساعد على اختصار الطريق ، واجتياز العقبات ، وبلوغ القصد ، ووحدة الاهداف .

والفضل للمتقدم كما قيل .

المعـــاجم

- المصطلحات العسكريـــة

للاستاذ اللواء الركن محمود شيت خطاب

- مصطلحات الرياضيات الحديثة

للدكتور محمد واصل الظاهر

- لغتنا فى خدمة الطب والعلم

للدكتور حبيب صادر

- المعجم المفصل لاسماء الملابـــس عند العرب

لمؤلفه دوزي تعريب الدكتور اكرم فاضل

- موسوعة الفقه الاسلامى

للاستاذ مصطفى الزرقا

- معجم الفقه والقانـــون

اعداد المكتب الدائم للتعريب

- مظاهر الوحدة فى عاميتى المغـــــرب والخليج العربـــى -

للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله

المصطلحات العسكرية

الأستاذ اللواء الركن محمود شيت خطاب

عضو المجمع العلمي العراقي
وعضو اللجنة المجمعية بالرباط

توحيد المصطلحات العسكرية في الجيوش العربية (1)

تتكلم الجيوش العربية لغات عربية مختلفة ، لاستعمالها مصطلحات عسكرية مختلفة ، مما يحول دون تعاون هذه الجيوش الشقيقة في السلم والحرب.

في أيام السلام ، يصعب على الجيوش العربية ، تبادل المؤلفات العسكرية والخبرات ، لان فهم تلك المؤلفات ، والاستفادة من تلك الخبرات ، يحتاجان الى توحيد المصطلحات العسكرية .

وفي أيام الحرب ، يصعب التفاهم بين الجيوش العربية لنفس السبب ، مما يحول دون تعاونها كما ينبغي في الميدان .

ولا يصح ابدا السكوت الى الابد عن هذا التناقض الشنيع في المصطلحات العسكرية المستعملة في الجيوش العربية ، ما دامت هذه الجيوش تتكلم لغة واحدة هي لغة القرآن الكريم .

وهناك محاولات لتوحيد المصطلحات العسكرية في الجيوش العربية ، ما دامت هذه الجيوش تتكلم وبمعاونة مجمع اللغة العربية في القاهرة ومجمع اللغة العربية بدمشق والمجمع العلمي في بغداد .

وحتى تؤتي تلك المحاولات ثمراتها مرتين ، سأحاول عرض قسم من المصطلحات العسكرية في مجلة: « اللسان العربي » الغراء ، لعل المغرب العربي خاصة والبلاد العربية عامة تفيد منها .

والله المعين ، وهو المستعان ، وهو الذي يتولى المخلصين للغة القرآن العظيم بالتأييد والتسديد .

(1) انظر التفاصيل في كتابنا : المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم (1/7 23) ــ بيروت ــ دار الفتح ــ 1966 ، وانظر العدد الرابع من هذه المجلة (154 ــ 160) .

RANKS — 1 ـ الرتب

RANKS	1 ـ الرتب
Lieutenant 2nd	ملازم ثان
Lieutenant	ملازم
Captain	نقيب
Major	رائد
Lieutenant Colonel	مقدم
Colonel	عقيد
Brigadier	عميد
Major General	لواء
Lieutenant General	فريق
General	فريق اول
Field Marshal	مشير
Soldier	جندي
Lance Corporal	جندي أول
Corporal	عريف
Sergeant	رقيب
Sergeant major	رقيب اول
Warrant officer	نائب ضابط

APPOINTMENTS — 2 ـ المناصب

APPOINTMENTS	2 ـ المناصب
Acting	نائب
Adjutant	المساعد
Assistant-adjutant	مساعد ضابط ركن الوحدة
Assistant-adjutant and quarter master general	مدير الادارة والميرة
Assistant director of medical service	معاون مدير الامور الطبية
Assistant judicial advisor	معاون القضاء العسكري .
Brigade major	مقدم اللواء
Chaplain	الامام (الرجل الديني فى الجيش)
Chemical	الكيمياوي
Chief engineer	آمر هندسة الفرقة
Chief of staff	رئيس الاركان
Clerk	الكاتب
Commander	القائد
Commander in chief	القائد العام للقوات المسلحة
Commander of administration platoon	آمر فصيل الشؤون الادارية
Chief army supply corp	آمر تموين ونقل الفرقة
Chief army ordnance corp	معاون آمر عينة الفرقة
Chief electrical mechanical engineering	معاون مدير الهندسة
Commander of royal artillery	آمر مدفعية الفرقة
Deputy adjutant quarter master general	معاون مدير الادارة والميرة
Deputy assistant adjutant general	وكيل معاون مدير الادارة

Deputy assistant adjutant and quarter master general	وكيل معاون مدير الادارة والميرة
Deputy assistant provost marshal	آمر الشرطة العسكرية للفرقة
Director	المديـــر
Directorate of canteens and army clubs	مديرية حوانيت ونوادي الجيش
Divisional accountant officer	ضابط حسابات الفرقة
General staff officer 1st grade	ضابط الركن الاول عمليات
General staff officer 2nd grade	ضابط الركن الثاني عمليات
General staff officer 3rd grade	ضابط الركن الثالث ادارة وميرة .
General staff	ضابط ركن استخبارات الفرقة .
Intelligence officer	ضابط الاستخبارات
Light mortar team commander	آمر مفرزة الهاون (2) عقدة
Mechanical transport officer	ضابط النقل الآلي
Mortar platoon commander	آمر فصيل الهاون
Non-commissioned officer	ضباط الصف
Officer	الضابـــط
Officer commanding	الآمـــر
Officer commanding of defence and employment	آمر فصيل الدفاع والواجبات
Officer commanding of divisional headquarter company	آمر سرية مقر الفرقة
Officer commanding of head-quarter company	آمر سرية المقر
Officer commanding of rifle company	آمر سرية المشاة
Officer commanding of support company	آمر سرية الاسناد
Other ranks	المراتب الاخرى
Pay master	ضابط الرواتب
Platoon commander	آمر الفصيلة
Quarter master	ضابط الاعاشة
Regimental quarter master	نائب ضابط اعاشة
Regimental sergeant major	نائب ضابط تعليم
Section leader	آمر حضيرة
Signal platoon commander	آمر فصيلة المخابرة
Staff officer administration	ضابط ركن الادارة
Staff officer quarter master	ضابط ركن الميرة

3 ــ الوحـــدات والتشكيلات والمقـــرات

Adjutant general directorate	مديرية الادارة
Administration affairs department	دائرة الامور الادارية
Air college	كلية الطيران
Air force	القوة الجوية
Air force command	قيادة القوة الجوية
Air technique school	مدرسة الصنائع الجوية
Anti tank platoon	فصيلة مقاومة الدبابات
Armour	الـــدروع
Armour directorate	مديرية الدروع

Armour training centre	مركز تدريب الدروع
Army	الجيـــش
Artillery	جحفل الجيوش
Army group	المدفعيـــة
Artillery directorate	مديرية المدفعية
Artillery school	مدرسة المدفعية
Assault pioneer platoon	فصيلة الصولة
Atomic and technical war-fare school	مدرسة الحرب الذرية الكيمياوية
Battalion	الفـــوج
Battery	البطريـــة
Branch of exercise and maneouvers	شعبة التمارين والمناورات
Branch of provision and armament	شعبة التجهيز والتسليح
Brigade	اللـــواء
Brigade group	جحفل اللواء
Cavalry	الخيالة (الفرسان)
Chemical warfare directorate	مديرية الحرب الكيماوي
Company	السريـــة
Committee	الهيئـــة
Contract and purchases directorate	مديرية العقود والمبايعات
Corps	الفيلـــق
Defence council	مجلس الدفاع
Detachment	المفـــرزة
Directorate	المديريـــة
Directorate of music	مديرية الموسيقى
Division	الفرقـــة
Education branch	شعبة الثقافة
Electrical and mechanical engineering directorate	الهندسة الآلية الكهربائية
Engineering	الهندسة
Engineering directorate	مديرية الهندسة
Engineering school	مدرسة الهندسة
Force	القـــوة
Formation	التشكيل
General operation branch	شعبة العمليات
General plans branch	شعبة الخطط العامة
General staff department	دائرة الاركان العامة
General staff duty	شعبة التنظيم والذاتية
Group	الجحفل
Infantry	المشـــاة
Infantry directorate	مديرية المشاة
Infantry school	مدرسة المشاة
Infantry traing centre	مركز تدريب المشاة
Information branch	شعبة المعلومات
Judicial adviser office	مديرية القضاء العسكري
Mechanical transport directorate	مديرية النقل الآلي
Medical	الخدمات الطبية

Military accountant general office	مديرية الحسابات العسكرية العامة
Military cassation court	محكمة التمييز العسكرية
Military college	الكلية العسكرية
Military intelligence directorate	مديرية الاستخبارات العسكرية
Military intelligence school	مدرسة الاستخبارات العسكرية
Military operation directorate	مديرية العمليات العسكرية
Military physical training school	مدرسة التدريب الرياضي العسكرية
Military police	الشرطة العسكرية
Military training directorate	مديرية التدريب العسكري
Military security branch	شعبة الامن العسكري
Military works	الاشغال العسكرية
Ministry defence	وزارة الدفاع
Medium machine gun platoon	فصيلة الرشاشات المتوسطة
Naval base	القاعدة البحرية
Office of the chief of general staff	رئاسة اركان الجيش
Office of ministry	سكرتارية الوزارة
Ordinance	العينة
Ordinance courses	دورات العينة
Paratroop	المظلات
Paratroop school	مدرسة المظليين
Physical training branch	شعبة التدريب الرياضي
Platoon	الفصيلة
Production directorate	مديرية الانتاج
Professional training centre	مركز التدريب المهني
Professional training centre for cutting metal	مركز التدريب المهني لقطع المعادن
Provision directorate	مديرية التجهيز
Quarter master directorate	مديرية الميرة
Radar school	مدرسة الرادار
Recruitment	التجنيد
Reserve officer's college	كلية الاحتياط
Section	الحضيرة
Senior officers school	مدرسة الضباط الاقدمين
Signal	المخابرة
Signal directorate	مديرية المخابرة
Signal school	مدرسة المخابرة
Staff college	كلية الاركان
Station command	قيادة موقع
Statistics branch	شعبة الاحصاء
Supply	التموين
Supply and transport	التموين والنقل
Supply and transport directorate	مديرية التموين والنقل
Supply and transport school	مدرسة التموين والنقل
Transport	النقل
Translation and publication branch	شعبة الترجمة والنشر
Troop	الرعيل
Unit	الوحدة
Veterinary	الخدمات البيطرية

مصطلحات الرياضيات الحديثة

الدكتور محمد واصل الظاهر
عميد كلية العلوم بجامعة بغداد

للمصطلحات العلمية اهمية بالغة فى التعليم والتاليف باللغة العربية . ويواجه المؤلفون العرب فى العلوم والرياضيات صعوبات عديدة فى ايجاد المصطلحات العربية المقابلة للمفاهيم العلمية الحديثة. ولذلك يرى البعض منهم ان يكون التعليم العالي فى العلوم باللغات الاجنبية ، كما يجد بعض آخر افضلية فى استعمال المصطلح العلمي كما ورد فى لغته الاجنبية الاصلية . ونحن حين ندعو الى صوغ المصطلحات العلمية باللغة العربية ، لا نعني الاستغناء عن اللغات الاجنبية فى تتبع التطورات العلمية الحديثة لان ذلك امر ضروري لتقدم الامة ورقيها . فما زال العلماء والباحثون فى الدول الراقية يتعلمون لغة او اكثر ليتمكنوا من متابعة ما ينشره العلماء فى الدول الاخرى وبذلك يقفون على آخر التطورات فى الحقول العلمية

ان النقص الملحوظ فى الكتب العلمية المدونة باللغة العربية ، وخاصة فىحقول الرياضيات ، لا يعود الى نقص فى اساليب التعبير وطرق الاشتقاق فى اللغة ، وانما يعود الى قلة المؤلفين العلميين الذين يحسنون قواعد اللغة واساليب التعبير فيها من جهة، والى قلة المتعلمين الذين يرغبون فى تعلم العلوم والرياضيات من جهة اخرى . ان الصفات المتوافرة فى لغتنا العربية من حيث اصول التعبير ومرونة الصياغة وطرق الاشتقاق تجعلها صالحة للتعبير عن ادق المعاني العلمية . ان هذه الثروة الهائلة فى صيغ الاشتقاق تجعل امر وضع المصطلحات العلمية المقابلة للكلمات المستجدة فى العلوم ميسورا .

ولقد انحصر معظم ما اقترته المجامع اللغوية من الاصطلاحات العلمية ، وخاصة فى حقول الرياضيات، فى الكلمات المستعملة فقط فى مبادىء العلوم والرياضيات . كما ان بعض هذه المصطلحات قد جاء ركيكا من الناحية اللغوية وبعيدا عن المعنى الدقيق من الناحية العلمية ، وسبب ذلك ان معظم الباحثين ، من المتخصصين فى العلوم والرياضيات ، لا يجيد اللغة العربية اجادة حسنة ، كما ان بعضا منهم يقتنع بالدعوة القائلة بوجوب استعمال المصطلحات العلمية كما جاءت فى لغتها الاجنبية . وهم بذلك يبتعدون عن روح البحث والتتبع ، وكل هذا مما يؤدي الى ادخال كلمات نابية فى اللغة العربية كما هي الحال باستعمال اصطلاح (الهندسة الهيبربولية) بدلا من (الهندسة الهذلولية) مقابل hyperbolic geometry او استعمال كلمة (كوننجريشن) بدلا من (تشكل) مقابل كلمة Configuration . ومن ناحية اخرى ، نجد ان علماء اللغة الذين وضعوا بعض الكلمات العلمية لا يعرفون الرياضيات العليا واصولها وفلسفتها ، ولذلك وردت هذه الكلمات بعيدة عن معانيها الدقيقة كما يظهرذلك فى استعمال كلمة (نهاية) مقابل limit والاصح استعمال كلمة (غاية) ، لانها اقرب الى المعنى . ان اشتراك العالم اللغوي مع المتخصص

(1) نشر فى العدد الرابع آب 1966 من مجلة اللسان العربي .

بالعلوم او الرياضيات فى صوغ المصطلحات العلمية لا يؤدي الى الحصول على افضل النتائج . ولئن امكن ذلك فى فروع الرياضيات الاولية ، فهو امر غير ممكن فى فروع الرياضيات الحديثة نظرا لتعقدها وتعذر فهمها من قبل غير المتخصص . وقد يتوافر بعض المصطلحات فى مبادىء العلوم والرياضيات ، أما فى فروع الرياضيات العليا فمن النادر العثور على مصطلح فى اللغة العربية .

ولذلك فقد حاولنا وضع قائمة بالمصطلحات الرياضية الحديثة لتكون بين ايدي المؤلفين والباحثين من العلميين العرب ، علها تبعث فيهم الرغبة فى التعليم والتأليف والترجمة باللغة العربية . وبذلك يعملون على اغناء المكتبة العربية بالنظريات الحديثة . وفى القائمة المرفقة زهاء خمسين مصطلحا فى الهندسة الحديثة، واملنا وطيد أن نتبعها فى المستقبل بقوائم اخرى فى الهندسة والجبر ونظرية الطقوم وغيرها . ولقد راعينا فى صوغ هذه المصطلحات ثلاثة عوامل اساسية هي : دقة المعنى وسلامة اللغة وجمال التعبير . وبعبارة اخرى ، فقد راعينا اعتبارات منطقية ولغوية وذوقية . وقد توخينا ، قدر الامكان ، ان تبقى الروابط اللغوية كما هي فى المعنى كالرابطة بين المضاف والمضاف اليه او الصفة والموصوف . ونحن نعتقد بوجوب الرجوع الى المؤلفات العربية القديمة عند وضع مصطلح علمي جديد . ففي الكتب القديمة مصطلحات علمية كثيرة استخدمها الاوائل فى بحوثهم ومؤلفاتهم وعلينا أن نعمل على نشرها للمحافظة على الصلة بالماضي ولتجنب التكرار والارتباك وضياع الجهودولاسيما اذاكانت الفاظالاوائل ادق واجمل . فقد استعمل الباحثون العرب لفظة (مأخوذة) مقابل كلمة lemma التي تعني نظرية صغيرة ، وهي لفظة جميلة وتؤدي المعنى وعليه نوصي باستعمالها . وكذلك استعملت كلمة (مصادرة) مقابل لفظة axiom ولا نرى بأسا من استعمالها الى جانب كلمتي (بديهية) و (فرضية) لانها مشتقة من (مصدر) وهو اصل المشتقات وكذلك شأن العبارات الواردة فى (المصادرات) او (الفرضيات) فانها أصل العلوم الرياضية . ونرى أن ادخال كلمات جديدة الى اللغة العربية يغنيها بثروة جديدة . ففي لفظة (تنسر) المقابلة لكلمة Tensor مطاوعة للفظ والاشتقاق مثل كلمتي (راديو) و(تلفون) ، ولذلك لا نرى ما يمنع من استعمالها فى اللغة العربية . ومن الضروري التقيد بقواعد اللغة عند وضع المصطلحات العربية الا اذا حتم المعنى والذوق استعمال الشواذ .

وحين نتقدم بهذه القائمة بالمصطلحات الهندسية الحديثة ، نرجو ان تنتقد نقدا دقيقا ليبقى منها ما يتفق مع المنطق الصحيح والمعنى الدقيق والذوق السليم ، ويهمل ما يناقضها وبذلك تعود اللغة العربية لغة علمية كما كانت فى السابق .

هندسة افينية	Affine geometry
احداثيات افينية	Affine coordinates
خط افيني	Affine line
مستوى أفيني	Affine plane
مثلث مثالي	Asymptotic triangle
بديهية او فرضية او مصادرة	Axiom
مصادرة ارخميدس	Axiom of Archimedes
مصادرات التطابق	Axioms of Congruence
مصادرة الاتصال	Axiom of Continuity
مصادرات الوقع	Axioms of incidence
مصادرات الترتيب	Axioms of order
خطاني	Billinear
صيغة خطانية	Billinear form
تحويل خطاني	Billinear transformation
عملية اثنانية	Binary operation
علاقة اثنانية	Binary relation
عموداني	Binormal
قلبي	Cardioid
مقوس	Catenary
صنف	Class
قانون الابدال	Commutative law
الدوار	Compass
تمامية	Completeness
تشكل	Configuration
قضية تشكيلية	Configurational proposition
وئام ، تناسق	Consistency
مصادرات متوائمة او مصادرات متناسقة	Consistent axioms
ترابط	Correlation
ثنائي	Dual
تشكلات ثنائية	Dual configurations
مبدأ الثنائية	Duality principle
فضاءات ثنائية	Dual spaces
مثلث مثالي الرأسين	Doubly asymptotic triangle
تكافؤ	Equivalence
علاقة تكافؤية	Equivalence relation
حقل	Field
تخطيط	Graph
نظرية التخطيط	Graph theory
مجموعة	Group
سائبة	Horocycle

Parabola	شلجمي
Parabolic geometry	هندسة شلجمية
Parabolic projectivity	اسقاط شلجمي
Parameter	بارامتر
Parametric equations	معادلات بارامترية
Perspective	منظور
Perspective triangles	مثلثات منظورة
Perspectivity	منظورية ، النظر
Polarity	تطبية
Projective geometry	هندسة اسقاطية
Projectivity	اسقاط ، اسقاطية
Elliptic projectivity	اسقاط اهليلجي
Hyperbolic projectivity	اسقاط هذلولي
Reflection	انعكاس
Ring	حلقة
Scalar product	حاصل كمي
Skew	متخالف
Skew lines	مستقيمات متخالفة
Skew planes	مستويات متخالفة
Set	طقم
Tensor	تنسر
Torus	طارة
Vector	موجه
Vector product	حاصل موجه
Vector space	فضاء موجه
Unitary	وحداني
Unique	وحيد
Unique point	نقطة وحيدة
Hyperbola	هذلول
Hyperbolic geometry	هندسة هذلولية
Hyperbolic functions	دوال هذلولية
Hyperbolic projectivity	اسقاط هذلولي أو اسقاط هذلولية
Hypercycle	دائبة
Invariant	صامد
Invariant line	خط صامد
Invariant point	نقطة صامدة
Knot	عقدة
Knot theory	نظرية العقد
Lemma	مأخوذة
Lemniscate	ربطة
Lemniscate of Bernoulli	ربطة برنولي
Limit	غاية
Limit point	نقطة الغاية
Line	خط
Linear	خطي
Linear transformation	تحويل خطي
Loop	عروة
Loop of a curve	عروة منحني
Matrix	مصفف
Adjoint matrix	مصفف مصاحب
Norm of a matrix	مقياس المصفف
Null matrix	المصفف الصفرى
Transpose of a matrix	مدور مصفف
Moebius strip	شريطة ميبيوس
Non-Euclidean geometry	هندسة لا اقليدية

لغتنا في خدمة الطب والعلم

للدكتــور حبيب صــادر

- بحث علمي في كيفيــة نقل العلوم الطبيــــة والعلمية العصرية الــى اللغــة العربيــة وعلاقتها بفلسفة اللغــة
- اسلوب مستخلص من الترجمات القديمــــة والحديثــة .

يعد الدكتور حبيب صادر قاموسا عربيا انجليزيافرنسيـــا فى علم الطب . وهو يتحدث عن ماضـي المصطلحات وعلاقتها بفلسفة اللغة وحاضر هـــذهالمصطلحات وطرق نقلها ومشكل القاموس الطبـي العلمي ودفائن المصطلحات الخ..

وللمؤلف فى الحقل العلمــي مصنفــات شتــىحول الامراض المعدية وديــدان البطــن والامراض الداخلية وامراض التغذيــة وطريقة مبتكرة فى شفاءالامســاك المزمن ومرض الزلال .

وقد تفضل الدكتور فاقتطف لنا من هذا المخطوطدراسات مختلفة تعطينــا صورة عن جهــده القيـم ننشــره شاكريــن :

الــدخيــل

فقضية الدخيل فى اللغة العربية ــ واظنها ذات شأن ــ قد اضافت الى اللغة كلمات جديدة وساعدت على انمائها سريعا « والدخيل كلمة ادخلت الى كلام العرب وليست منه . القاموس للفيروزابادي » .

واللغة العربية هي احدى اللغات المتفرعة عن السامية الاصلية المفقودة وقد كثرت الاحداس عــن كيفية تفرع اللغات السامية ولا ارى حاجــة مــن تكرارها الآن ، انما المتفق عليه هو أن هذه اللغــات قد انتشرت فىالشرق الاوسط . فعاشت الفينيقيــة على سواحل البحر المتوسط (شواطىء لبنـــان وجوارها) وتوسعت العبرانية فى فلسطين ، وانتشرت الاشورية فيما بيــن النهرين وقامت بقربهــا ايضـا اللغتان الكلدانية والسريانية . وامتــدت العربية فى شبه جزيرة العرب فتولد عنها لغة حمير ، وعدنان، وقريش التي كتب القرآن الكريم بها فعاشت بفضله الى يومنـــا هذا .

ان تطور اللغة العربية لم يحصل دفعة واحــدة بل انه تقدم تدريجيا وبعد ازمان متفاوتة . والتطور يرافق عادة انتشار اللغــة لذلك لاحظنا ان هـــذه اللغة قد اتسعت بصورة سريعة بين الجيل السابــع والجيل الحادي عشر. اعني عند انتشار الاسلاممننهر الغنج الى الاتلنتيك . ويكفينا ان نلقي نظرة علــى حركة الترجمة لنتأكد من عدد الكلمات الجديدة التــي دخلت فى بنــاء اللغة العربية واعتبرت دخيلة فيها .

ومن المعلوم أيضا ان اللغات المتجاورة تختلــط الفاظها كما تختلط الشعوب المتكلمــة بها . فيحصل اخذ ورد بين الفاظ هذه اللغات يتناسب مع حاجــة

شعب الى الآخر . ولقد شاهدنا فى الفصول السابقة ما اعطته اللغة العربية وما اخذته من الالفاظ التي يصعب احصاؤها .

وايضا لكي نعلم عما اذا كانت الكلمة دخيلة أم لا ، ينبغي ان نعود الى درس ما صنعه اسلافنا الذين جمعوا اللسان العربي فى بادىء الامر . اذ انهم اقتصروا فى مصادرهم على لغة قبائل تميم وقيس وهذيل وبعض كنانة والطائيين وهم العرب الذين كانوا قاطنين قلب البلاد العربية ولم يتصلوا قط بسواهم من القبائل العربية المقيمة فى البلدان المجاورة. فهم لم يأخذوا شيئا مثلا عن لخم او جذام لمجاورتهم للفراعنة والقبط فى مصر ولا من قضاعة وغسان واياد لمجاورتهم اهل الشام الذين كانوا يتكلمون باللغة العربية ولا من تغلب لانهم كانوا مجاورين اليونان . ولا من بكر لقربهم من الفرس ولا من اهل اليمن لقربهم من الحبشة ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة وثقيف والطائف لمخالطتهم تجار اليمن ولا من الحجاز لان الذين ضبطوا اللغة حينئذ عرفوا انهم (قد خالطوا غيرهم من الامم وتشوهت لغتهم نوعا ما ولا من قريش (رغم انها ارقى السنة العرب) لانهم كانوا تجارا يتجولون من فارس الى الهند الى مصر الخ .. (وقال ابو عمرو بن العلاء ما لسان حمير واقاصي اليمن لساننا ولا عربيتهم عربيتنا فكيف بها على عهد عاد وثمود ؟ (5 . 15 المزهر) .

وعلى هذا القياس اعتبروا ان اللغة العربية الاصلية محصورة فى الالفاظ التي كانت تتكلم بها قبائل تميم وقيس وهذيلوبعض كنانة. وبعض الطائيين فقط . وما زاد عنها قد يكون دخيلا تطرق اليها من اللغات المجاورة المذكورة .

وأذكر فيما يلي مثلا يبين بوضوح كيف ان لفظة « هيكل » دخلت الى اللغة العربية . وقد نقلت هذا المثل عن كتاب « المعجمية الالسنية صفحة 94 ، للاب المرمرجي الدومنيكي . لكي يطلع القارىء على الطرق العلمية التي يتبعها اليوم علماء اللغة للتقصي فى الكلمات لمعرفة اصولها .

اصل كلمة « هيكل »

« هذه اللفظة من عداد الالفاظ الواردة فى اللغات السامية جمعاء ، اي الاكدية ، والعبرية والارامية والعربية والحبشية . اما المعاجم العربية ، من قديمة وحديثة ، فلا تجد فيها ذكرا لاصلها . انما الواضح انها ليست من الاوضاع المشتقة من الافعال ، بل احر بها أن تحسب من الاصول الجامدة .

كان يظن سابقا أن أصلها عبري . ثم لما ظهرت فى الرسوم المسمارية ، قيل انها اشورية . وفى الحقبة الاولى من دراسة الاشوريات ، حين كان الباحثون يدعون اللغة الشمرية « اكدية » قالوا انها منقولة من هذه اللغة الى الاشورية . بيد انه اذ توصل المحققون الى ان يثبتوا بأن « الشمرية » لغة قائمة بذاتها ليست من طائفة الالسن السامية ، لكونها لغة مقطعية ، مجاورة ، غير متصرفة — وقد وضعوا لها تدريجيا كتب لغة وصرف ونحو — اتضح اليوم بكل جلاء ان لفظة « هيكل » وضع شمري لا سامي قطعا. ومن هذه اللغة نقل الى الاكدية ومنها الى العربية ، فالارمية ، فالحبشية ، فالعربية. ودونك اثبات القضية .

اللغة الشمرية ذات كتابة مقطعية مسمارية . بيد أن هذا الخط كان فى عريق العصور « صوريا » Idéographique وقد تحول ، على كرور الازمان ، من « الصورية » Idéographisme الى المقطعية Syllabis الا ان « الصوريات » Idéogrammes لم تضمحل منه بالكلية ، بل بقي منها شيء كثير يتخلل المقاطع ، او يدل على الفاظ ذات معان تامة . من ذلك كلمة (E-Kal) ، فانها مركبة — حسب روح اللسان الشمري ، وخلافا لسروح الساميات من باب الاطلاق — من علامتين ، وهما Kal, E . معنى الاولى « بيت » والثانية « كبير » واذا كانت البيوت الكبرى لسكنى الكبار ، وكان أعظم الاعاظم الآلهية والملوك ، خصت هذه اللفظة « ببلاط الملك ، ومعبد الاله » .

غير خاف على ذوي الالمام بالشمريات — الاكديات . ان الاكديين — وهم اقدم الساميين — المتوطنين ربوع العراق الجنوبي — اقتبسوا من الشمريين كتابتهم المسمارية ، مطبقين اياها على متطلبات — لغتهم السامية . على انهم لم يكتفوا باستعارة الخط ، بل زادوا على ذلك — مما يحدث غالبا بين الشعوب المتجاورة المتمازجة — انهم اخذوا عنهم الفاظا كثيرة ، وتعبيرات جمة ، جرت على السن المتكلمين ، واقلام المنشئين ، من ذلك لفظة Ekal واذ كانت الاكدية — خلافا للشمرية — لغة متصرفة، اضافوا الى الكلمة علامات الاعراب ، فقالوا Ekal-u او Ekallu ودليله أن علماء اللغة ، من الاكديين القدماء ، نظموا جداول خاصة ، ذات ثلاثة حقول ، فى الحقل الاوسط ، وضعوا العلامات الصورية المسمارية الشمرية التي دخلت فى

لسانهم ، وفى الحقل الايسر ، ذكروا لفظها المقطعي الشمري ، وفى الحقل الايمن ، شرحوها ، او قل ترجموا معناها بما يقابله فى لغتهم الاكدية . مما ينجم عنه انه لو كانت اللفظة سامية اكدية ، لما كانوا احتاجوا الى هذا العمل .

وإذا رغبت ان تتحقق من ذلك ، فاعمد الى كتاب تعليم القراءة المسمارية ، لصاحبه الاستاذ العلامة فريدريك ديلتج الالماني . فانك ترى (ص 102 ، سطر 232) ، من المقاطعية Syllabaire المعلمة ب (Sb) ان العلامة الصورية (E) يقابلها فى الحقل الايسر ، بالشمرية وفى الحقل الايمن ، باللغة الاكدية ، وبالطريقة المقطعية (bi-i-tu) اي « بيت » كما نجد فى صفحة 99 ، سطر 124 ، من المقاطعية المذكورة) ان العلامة الصورية، المرسومة فى الحقل الاوسط تنظر ، عن اليسار ، الى الكلمة الشمرية المركبة من مقطعين وهما (Ka-al) وعن اليمين ، الى اللفظة الاكدية ، ذات المقاطع الثلاثة وهي (ra-bu-u) التي يقابلها فى الارمية Rabba كبير . وفى الوجه 23 من هذا الكتاب نجد هاتين العلامتين الصوريتين مزدوجتين ، مركبة منهما لفظة واحدة ، دالة على معنى واحد ، اي (Ekallu, Palast, tempel) هيكل ، بلاط .

وهاك ما جاء فى معجم Bezold البابلي — الاشوري — الالماني — وهو احدث ما وضع فى ذا الشأن — فهو اذن مستند لآخر ما حصل من تحقيقات العلماء . ففي الصفحة 28 منه تقرأ ما يلي Ekallu, st. c. Ekal, Pl. Ekallâti وترى بعد هذا ، بين هلالين ، وهذه المختصرات Sum. L. W وهي بالكتابة الكاملة Sumerisch Lehwort وتعريبها ، كلمة شمرية دخيلة ، فى الاكدية . ويعقب ذلك بعض العبارات الدالة على استعمالها فى هذا اللسان . بلاط او هيكل الآلهة

Ekal ilâni - Palast der Gœtter

بلاط الملك Ekal - malki Koenigpalast

الخلاصة

ويستخلص من تحريات المتخصصين ، ان اللغة الشمرية ليست بسامية ، فلا يجوز ان ننظمها فى سلك هذه الالسن . كلمة Ekal شمرية مركبة من علامتين صوريتين ، وقد اطلقت عند الشمريين على البلاط والمعبد . ادخل الاكديون هذا الوضع الى لسانهم ، دون تغيير ، سوى زيادة علامات الاعراب. التي لا وجود لها فى الشمرية . ومن الاكدية انتقل الى اللغات السامية الاخرى . وفى هذه الالسن لا فى الاكدية نفسها ، المضمحلة منها الحلقيات — تحولت الهمزة الى هاء ، فأصبحت اللفظة بصورة : هيكل

هذه هي الحقيقة العلمية الناصعة ، وما كان فى الكتب او الصحف بهذا المعنى ، فهو الحري بالاعتبار والاتباع ، ومن هذا ينكشف وهن الراي القائل : «ان كلمة « هيكل » سامية الاصل . وهي كذلك او ما يقاربها لفظا ومعنى فى الارمية والعربية والحبشية والاشورية ...انتهى »

ان هذا الدخيل فى كل اللغات قاطبة قد يعدو اضعاف الجذور الاصلية . وهذا الدخيل ايضا هو الذي يسم غالبا اللغة بمزاياه من الرقي والانحطاط ويجعلها غنية او فقيرة باللفظ والتعبير لذلك نرى ان الذين جمعوا اللغة العربية قد دونوا فى القاموس الكلمات العربية الاساسية كما اتخذوها عن القبائل المقيمة فى وسط البلاد العربية واعتبروها عربية صحيحة المصدر ثم اعتبروا لغات باقي القبائل العبرية التي كانت مجاورة لغير العرب عربية ايضا لكنها مشكوك فى مصدرها واطلقوا عليها اسم الدخيل والعامي والمولد الخ ..

ان اللغات الانكليزية والافرنسية والالمانية كانت قبل النهضة العلمية الاخيرة كلها خالية من الوف الالفاظ العلمية العصرية الحالية ، فكلمة تلغراف وفونوغراف وكهرباء ودينامو واوتوكار ، ترامواي وفوتوغراف الخ .. وما شاكلها من عشرات الالوف التي تملأ الكتب العديدة لهذه اللغات هي ذات اصل يوناني او لاتيني . وهي غريبة الى اقصى درجة الغرابة من الالمانية والانكليزية والافرنسية مثلا وعندما اكتشف التلغراف والتلفون (واللفظتان يونانيتان) ادخلها الانكليز والالمان والافرنسيون والايطاليون ومعظم شعوب العالم الى لغاتهم مستعملين ذات الالفاظ اليونانية . متوخين من ذلك تسهيل التفاهم مع سائر الشعوب . اما نحن فاستعملنا كلمة (برق للتلغراف و(هاتف) للتليفون ، لزيادة التعقيد ليس الا .

ان هذه الالفاظ الدخيلة والغريبة عن الانكليزية او الفرنسية او الالمانية لم تشوه هذه اللغات ولم تكن عيبا او عارا عليها .

بل عدت فخرا تعتز به على سواها من لغات العالم . ولم يحتج الالمان أو الانكليز على ادخال هذه المصطلحات الجديدة الى لغاتهم . ولم يشعروا أن لغتهم قد تضررت من استعمال هذه الكلمات الجديدة.

ان امهات الكتب العربية التي تعد مرجعا عند

تمحيص مفردات اللغة والتي تضاهي الموسوعات العصرية بسعتها مثل المخصص لابن سيده وتاج العروس والمزهر (للسيوطي) . وفقه اللغة وغيرها من الكتب اللغوية العديدة نراها مشحونة بالكلمات الدخيلة غير العربية الاصل .

فلماذا لا يحق لنا نحن اليوم أن نسير على خط سلفنا نصنع مثلهم ؟

وننقل هنا ايضا على سبيل المثال هذه الصفحة من المزهر (للسيوطي) الذي كتب في الجيل الخامس عشر لنوضح اهمية الدخيل في اللغة العربية . ولنلمس لمس اليد انموذجا من هذه الكلمات الدخيلة الفارسية والرومية التي اصبحت من صميم اللغة العربية — قال : (ص 177) من معرفة المولد :

« وهو ما احدثه المولدون الذين لا يحتج بالفاظهم والفرق بينه وبين المصنوع ان المصنوع يورده صاحبه على أنه عربي فصيح وهذا بخلافه (وفي مختصر العين للزبيدي) المولد من الكلام المحدث . (وفي ديوان الادب) للفارابي يقال هذه عربيةوهذهمولدة (ومن امثلته) قال في الجمهرة الحسبان الذي ترمي به هذه السهام الصغار مولد وقال كان الاصمعي يقول النحرير ليس من كلام العرب وهي كلمة مولدة ، وقال الخم القوصرة يجعل فيها التبن لتبيض فيها الدجاجة وهي مولدة (وقال) زعم ابن دريد ان الاصمعي كان يدفع قول الجاهلية انما ولد في الاسلام .

(وقال ابن دريد) تسميتهم الانثى من القرود منة مولد(وقال التبريزي) في تهذيب الاصلاح القافزة مولد (وقال التبريزي) في تهذيب الاصلاح القافزة الشراب (وقال الجوهري في الصحاح) القحبة كلمة مولدة (وقال) الطنز (السخرية) طنز يطنز فهو طناز واظنه مولدا « او معربا » (وقال) والبرجاس غرض في الهواء يرمي فيه واظنه مولدا » وجزم بذلك صاحب القاموس (وقال) في الصحاح الجعس الرجيع وهو ملد (وقال) زعم ابن دريد ان الاصمعي كان يدفع قول العامة هذا مجانس لهذا ويقول انه مولد وكذا في ذيل الفصيح للموفق عبد اللطيف البغدادي . قال الاصمعي قول الناس المجانسة والتجنيس مولد وليس من كلام العرب ورده صاحب القاموس بأن الاصمعي واضع كتاب الاجناس في اللغة هو اول من جاء بهذا اللقب (وقال ابن دريد) في الجمهرة قال الاصمعي المهبوت طائر يرسل على غير هداية واحسبها مولدة (وقال) اخ كلمة تقال عند التأوه واحسبها محدثة (وفي ذيل الفصيح للموفق البغدادي يقال عند التألم اح بحاء مهملة وانما اخ من كلام العجم (وقال ابن دريد) الكابوس الذي يقع على النائم احسبه مولدا (وقال الجوهري) في صحاح الطرش اهون الصمم يقال هو مولد والماش حب وهو معرب او مولد والعفص الذي يتخذ منه الحبر مولد وليس في كلام اهل البادية (وقال) والعجة هذا الطعام الذي يتخذ من البيض أظنه مولدا وجزم به صاحب القاموس (وقال عبد اللطيف البغدادي في ذيل الفصيح) الفطرة لفظ مولد وكلام العرب صدقة الفطر مع ان القياس لا يدفعه كالفرقة والنغبة لمقدار ما يؤخذ من الشيء (وقال) اجمع اهل اللغة على ان التشويش لا اصل له في العربية وانه مولد وخطأوا الليث فيه (قال) وقولهم ستي بمعنى سيدتي مولد ولا يقال ست الا في العدد ».

وقد قال السيوطي ص 163 من المزهر :

« ذكر امثلة من المعرب قال الثعالبي في فقه اللغة فصل في سياقة اسماء تفرد بها الفرس دون العرب فاضطرت العرب الى تعريبها أو تركها كما هي « من ذلك الكوز ، الجرة الابريق الطشت الخوان الطبق القصعة السكرجة السمور السنجاب القاقم الفنك الدلق الخز الديباج التاختج الراختج السندس الياقوت الفيروزج البلور الكعك الدرمك الجردق السميد السكباج الزيرباج الاسفيذاج الطباهج الفالوذج اللوزينج الجوزينج البغرينج الجلاب السكنجبين الخلنجبين الدارصيني الفلفل الكرويا الزنجبيل الخولنجان القرنة النرجس البنفسج النسرين الخيري السوسن المرزنجوش الياسمين الجلنار المسك العنبر الكافور الصندل القرنفل) (ومن اللغة الرومية) الفردوس وهو البستان القسطاس وهو الميزان السجنجل المرآة البطاقة رقعة القرسطون الرطسيطون القبان الاصطرلاب (معروف) القسطناس صلاية الطيب القسطري والقسطار الجهبذ القسطل الغبار القبرس (اجود النحاس) القنطار (اثنتا عشرة الف أوقية) البطريق القائد الترياق (دواء السموم) القنطرة (معروفة) النقرس والقولنج (مرضان) القيطون (البيت الشتوي) (سأل علي رضي الله عنه شريحا مسألة فأجابه فقال له قالون اي أصبت بالرومية » انتهى ما اورده الثعالبي .

(وقال ابن دريد في الجمهرة) الكيمياليس من كلام العرب (قال) ودمشق معرب (وفي كتاب المقصور والممدود للاندلسي الهيولي في كلام المتكلمين اصل الشيء فان يكن من كلام العرب فهو صحيح في الاشتقاق ووزنه فيعولى (وفيه قطونا) الذي يضاف اليه برز فيقال برز قطونا اعجمي معرب (قال) وكذلك

الكمثرى (وفي المجمل لابن فارس) تاريخ الكتاب كلمة معربة (وفيه الخوان) فيما يقال اسم اعجمي غير اني سمعت ابراهيم بن علي القطان يقول : سئل ثعلب وانا اسمع ايجوز ان يقال ان الخوان انما سمي بذلك لانه يتخون ما عليه اي يتنقص فقال ما يبعد ذلك (وقال) ابن سيده في المحكم يقال للفقير بالسريانية فالفا واعربته العرب فقالت فلح (قال وقانون كل شيء طريقه وقياسه واراها دخيلة) .

وهنالك ايضا كلمات غريبة ودخيلة قد استعملها العرب واهملوا اللفظة العربية الاصلية التي كانوا ينطقون بها . مثل لفظة — رصاص — « والرصاص اسم اعجمي معرب » واسمه بالعربية — الصرفان — وبالعجمية — الارزوز — فتحولت الى لفظة — رصاص — وحلت محل العربية (166 المزهر) . والسذاب الدخيلة بدلا من العربية . فيجن — والكزبره تسمى بالعربية النقده . والخيار هو بالعربية القند ؛ والابريق كانت بالعربية — الناموره — والتوت اسمه بالعربية — الفرصاد . واللوبيا دوجران . والبذنجان اسمه بالعربية — الانب — والجاموس هو الناطس . والياسمين هو السجلاط الخ ..

وبناء عليه نرى ان الكلمات الاجنبية الدخيلة اصبحت عربية . والكلمات العربية الاصلية قد اهملت ونسيها العرب .

واذا حللنا كل اللغات التي عرفها البشر يجوز ان نجد ان معظم الفاظها هي دخيلة خاصة وانها لم تكن لها في الاصل سوى اصوات بسيطة تحاكي الاصوات الطبيعية . فتطورت من عشرات المفردات البسيطة الى عشرات الالوف من الالفاظ المعنوية وذلك حسبما تقتضيه حاجات هذه الشعوب التي استخدمتها للتفاهم بواسطتها .

ان اللغة العربية هي بحاجة ماسة الى استيعاب العلوم العصرية لانها لم تزل لغة حية تماشي تيار سائر اللغات العصرية — كالانكليزية والافرنسية والالمانية — وهي تسير بحكم الاضطرار مجارية هذه اللغات ذات الطابع العلمي الحديث .

فلكي تتمكن من السير في تيار هذا السباق العلمي ينبغي ان تفتح ابوابها لتقبل كل الفروع المنبثقة عن العلوم العصرية . وان لم تفعل ذلك يتحتم عليها التقصير والانزواء فتلتحق باخواتها الفينيقية والحميرية وغيرها من اللغات الميتة .

ويتضح لنا ايضا من مطالعة الفصل التالي لتاريخ الترجمة من اليونانية والسريانية — كم ادخل النقل الذي استمر نحو ثلاثة اجيال من الوف الالفاظ الدخيلة الى اللغة العربية . وهذه الالفاظ والعلوم هي التي اوصلت لغتنا الى اوج الرقي . فامتازت بها حينئذ على سائر اللغات . وهي ما كانت وصلت قط الى اوج رقيها لو لم يسارع المتكلمون بها حينذاك الى ادخال الكلمات الاجنبية احضان العربية . وظني بهم كانوا ارحب صدرا لقبول الدخيل وابعد نظرا لمستقبل لغتهم ولتقدم ابنائهم منا نحن القائمين على حراستها اليوم . ثم ان هذا الدخيل هو الذي جعلها في ذلك لغة الطب والعلم . فكان كل انسان يتوق الى تحصيل الهندسة او الطب او الجبر او الكيمياء او الطبيعيات أو الفلك الخ .. مضطرا لاتقان اللغة العربية كما نحتاج نحن اليوم الى درس لغات اوربا — كالانكليزية او الافرنسية او الالمانية مثلا — لكي نتمكن من دراسة العلوم المارة الذكر .

ان الاوربيين طبعوا الكتب العربية في مطابعهم قبلنا باجيال . فقد طبعوا مثلا قانون ابن سينا في روما سنة 1593 باللغة العربية لكي يعلموا اولادهم الطب . ثم مخطوطات ومؤلفات ابن رشد ليلقنوا طلابهم تعاليم ارسطو وسواها من الفلسفة والعلوم اليونانية . وهكذا دواليك الى ان بزغ نور النهضة في اوروبا . فقاموا بترجمة كل العلوم المدفونة في المؤلفات العربية الضخمة الى لغتهم اللاتينية فنقلوا كتب حنين بن اسحاق والرازي وابن سينا وابن رشد وغيرها من الوف الكتب ، فاستغنوا عندئذ عن دراسة اللغة العربية . وبدا عصر نهضتهم بابتداء عصر خمولنا .

وبالاختصار فنكرر القول بأنه لولا الدخيل لما تطورت ولا اتسعت ولا ارتقت اي لغة ما من لغات البشر التي بانت على سطح الكرة الارضية .

مشكلة القاموس الطبي والمصطلحات الطبية العربية

ان قضية المصطلحات الطبية بالرغم من درسها المتواصل لم تزل حتى الآن بحثا « مشتتا » لا يرتكز على نظام علمي وذلك لان الذين تطرقوا الى درس هذا الموضوع لم ينظروا اليه من جميع وجوهه لكي يحيطوا علما بسهله ومنيعه . بل كان كل منهم ينظر فقط الى ما يحتاجه من المفردات عند كتابة مقال او تدريس مادة او تأليف كتاب فيلجأ الى معاجم اللغة منتخبا منها بعض المفردات غير عالم بما فيها من اسرار وانظمة تتوحد فيها عشرات الالوف من الكلمات المختلفة اللفظ والقياس .

فمن كتب في التشريح مثلا لا يبالي عندما يكتب مقاله بما يحتاجه من مفردات علم الامراض الباطنية

والجراحة والكحالة والطبيعيات الخ ... او يلجأ الى المعجم للبحث عن مصطلحات قلما يطلع على امهات كتب اللغة مثل المخصص لابن سيده ولسان العرب وتاج العروس وسواها من المؤلفات التي تضاهي كل واحدة منها الموسوعات الكبرى . فيهمل عندئذ ترجمة الكلمات التي ذكرها العرب فيترجم مثلا: (cachexie) الذبول بكاشكسيا (fausse grossesse) الرحا بالحمل الكاذب و (misanthrope) القطرب ، بجملة مريض بالماليخوليا) .. كما جاء في قاموس شرف بك .

لكن الذي يعالج هذا الموضوع معتبرا جميع وجوهه يتوصل الى حل القسم الاكبر من هذه المشكلة دون أن يشوه اللغة بالالفاظ الاعجمية كما يفعل بعض المجددين غير المطلعين على اسرار اللغة. وأيضا دون ان يعرض اللغة الى نقص هي بريئة منه كاللغويين الذين يتخوفون التصرف بقواعد اللغة ومنطقها لاستيعاب كل صور ومعاني العلوم الحديثة جريا على طريقة سلفنا امثال ابن سينا والرازي وسواهما .

ولا مشاحة في ان العقبة الوحيدة التي تجابه المترجم او المؤلف في المواضيع العلمية هي قلة المصطلحات العربية التي تقابل الاصطلاحات الاجنبية وان اسلافنا — ومعاصرينا ايضا — قد عالجوا رتق هذه الثلمة اللغوية بشتى الوسائل ورغم كل ما عانوا من الصعاب لم يتوصلوا الى سد هذا الفراغ بصورة وافية .. وذلك لانهم لم يتآزروا في العمل بل كان كل فرد منهم يعمل لوحده ولا يستنجد بزميله . وانا لم نزل سائرين على خطاهم . وجميعنا نقر بذلك ايضا . انه يتعذر حل هذه المعضلة ما لم يتضافر اهل العلم ويؤلفوا مجمعا علميا للنظر في هذا الامر وانه ولسوء الحظ قد غدا من العسير تشكيل هذا المجمع في الوقت الحاضر

ومع ذلك فليس من الصواب ان نقف جامدين منتظرين . بل ان سنة التطور ترغمنا على السير الى الامام وان كنا نسير على الخطة السابقة التي لا تفي لسد الحاجة . وبامكاننا ان نعد لها ونحورها جهد المستطاع توخيا لتحسين الاسلوب .

وبما انه قد كتب لي ان اكون في عداد من تعلموا الطب في اللغات الاجنبية طبعا . رأيت من الواجب ان انقل ما تيسر لي نقله من هذا العلم الى اللغة العربية . فالتجأت عند انتخاب هذه المصطلحات الى طريقة تختلف نوعا ما عما سبق .

وتعميما للفائدة قد ادرجت ما وجدته منافيا لهذه الاصطلاحات في معجم الدكتور شرف وغيره من المعاجم العصرية رغبة في استفتاء القارىء الكريم لانه حري بأن يحبذ او ينبذ ما يشاء منها.

فجريا على ما ذكر قد قسمت المصطلحات الطبية الى **اربعة أقسام :**

اولا — المصطلحات التي يمكننا أن نفسرها بكاملها باللسان العربي مثل : عظم (os) وهذا الاسلوب ليس سوى الترجمة . والترجمة اصلح الطرق لنقل العلوم لا تنطبق الا على العلوم القديمة . ولسوء الحظ نراها نادرة الاستعمال لان الهوة سحيقة بين الطب الذي تركه لنا اسلافنا وبين الطب الحديث . فكم من الفروع التي ابتكرت ومن الكشوف التي ظهرت ومن النظريات التي صدرت ومن الامراض التي اكتشفت مثل علم الانسجة وعلم البيولوجيا ومن الجراثيم والاشعة الكهربائية الخ... وغيرها من العلوم الحديثة التي كانت مجهولة . ولاسيما أن الجراحة والفيسيولوجية كانت حينئذ في طفولتها . فقد نحت علماء الغرب لهذه العلوم الوف المصطلحات استقوها من اللغتين اليونانية واللاتينية بعد ان اخذوا ما كان موجودا في الطب العربي القديم . فاذا اكتفينا نحن بما تركه لنا السلف كنا كمن يعيش في القرون الوسطى وكان طبنا مهزلة القرن العشرين . في هذا القرن الذي كثرت فيه الاختراعات والكشوف . وكان لابد لنا من ابتكار الوسائل والطرق اللغوية للتعبير عن هذه المسميات كما فعل العلماء الذين حملوا مشعل العلوم العصرية وكتبوا قبلنا في اللغة العربية قديما او في اللغات الاوربية حديثا .

فبالرغم من مشقة الترجمة وصعوبتها يكون لزاما علينا الا نلجأ لغيرها عند النقل الا بعد ان نكون قد وفينا الدرس والتنقيب في كتب اللغة . لان الترجمة كما ذكرنا سابقا هي اصلح الطرق واجملها عند النقل الى اللغة العربية . وهي تنطبق بصورة خاصة على اسماء الاعضاء في علم التشريح .

ثانيا — المصطلحات التي يمكننا ان نفسر جزءا منها فقط في اللسان العربي مثل لفظة (ostéite) والجزء الآخر هو اداة يصطلح عليها اصطلاحا . فلفظة (os) تعني العظم . لكن (ite) هي اداة تدل على الالتهاب . وهذا النوع من النقل يغلب حصوله في علم الامراض . وقد وجدت له صيغ مصدرية وقواعد لغوية تعطينا الوف المصطلحات لترجمة هذه الالفاظ ضمن قيود تنطبق على اصول القياس في صيغ اللغة ، وهذا النوع من النقل هو الاشتقاق .

ثالثا — المصطلحات التي لا يمكننا أن نفسرها باللسان العربي بطريقة الترجمة او الاشتقاق ولكن يجوز لنا ان نجد لها كلمة تؤدي أو تشبه بعض الشبه معناها . كما قال ابن سينا : (انتشار) للفظة (mydriase) و(شهيق) للفظة (inspiration) وزفير للفظة (expiration) وهذا النوع من الترجمة يغلب حصوله فى الفريزيات والطبيعيات الخ.

ان هذا الاسلوب من النقل يدعى بالمجاز . وهو من اوسع طرق النقل واغناها . وقد شغف العرب باستعماله لميلهم الى الاتساع فى الكلام لما فيه من الدقة فى التعبير .

رابعا — المصطلحات التي لا يمكننا أن نفسرها ولا يوجد لها معنى أو لفظ يشبهانها باللغة العربية . مثل (cocaïne) كوكايين و (quinine) كينين . فاذا اعترضتنا كلمات مثل هذه ولم نجد لها مقابلا . نضطر عندئذ بحكم الطبع ان نلجأ الى « التعريب » وقد عرب اسلافنا كثيرا من هذه الالفاظ بيد انهم لم يكونوا مضطرين الى ذلك بقدر اضطرارنا نحن اليوم نظرا لازدياد عدد هذه المصطلحات الى درجة فائقة الحد . فقال ابن سينا قناطير للفظة (catheter) اليونانية . ثم عربها العامة وقالوا (قسطل) . وليثرغس للفظة (Léthargie) وهذا النوع من النقل هومن أسوأ الطرق لانه يكثر الدخيل فى اللغة . وينبغي الا نلجأ اليه الا عند الضرورة القصوى . وان الرغبة فى التعريب لا يبررها غير الاقرار بعجز الكاتب أو كسله . أو وصم اللغة بالتقصير وقلة المرونة وضعف الاشتقاق . وهي وصمة لا تنطبق على لغة غنية بالفاظها مثل اللغة العربية . لكنني لسوء الحظ دهشت لرغبة المؤلفين العصريين فى الميل الشديد الى التعريب فى الكتب والمجلات الحديثة وانني لا انكر انهم مع اندفاعهم الشديد الى التعريب وغلوهم فيه قد ترجموا طائفة كبيرة من المفردات جديرة بان تستعمل .

غير انني اقر ايضا بأنه لابد لنهضتنا العلمية من اللجوء الى التعريب كما فعل اسلافنا فى عصر نهضتهم السابقة .

وخلاصة القول فان هذه الاساليب الاربعة ، من ترجمة ثم اشتقاق ثم مجاز ، ثم تعريب تضمن لنا نقل كل العلوم الى اللغة العربية تمشيا على النمط العلمي الحديث مع المحافظة على سلامة اللغة وتبعا لقواعدها . وفيما يلي امثلة عى ذلك .

التــرجمــة

ان المصطلحات التي يمكننا أن نفسرها باللسان العربي بكاملها يغلب وجودها فى علم التشريح مثل :

معدة	estomac	حنجرة	larynx
كبد	foie	رئة	poumon
طحال	rate	كلية	rein
عظم	os	قلب	cœur
معي	intestin	وتين	aorte
عصب	nerf	حالب	uretère
عضل	muscle	مثانة	vessie
شريان	artère	دم	sang
وريد	veine	بول	urine
غدة	glande	مصل	sérum
مريء	œsophage	دماغ الخ	cerveau, etc...

وذلك لان الاطباء القدماء قد عرفوا اعضاء الجسم وعينوا لها اسماء خاصة وعربية محضة .

لقد ذكرنا سابقا ان النقل على هذا الاسلوب هو احسن الطرق وأصلحها للمحافظة على سلامة اللغة ؛ لكنني اظن أنه قد اهمل جدا ، فلو تصفحنا المعاجم الحديثة لما رأينا سوى النزر اليسير من هذه المفردات العربية الاصل . مع أن الكتب العربية القديمة كالمخصص ولسان العرب وتاج العروس وسواها من امهات الكتب مشحونة بالكلمات التي تصلح لترجمة المعاني العلمية الحديثة . فمنها ما يفسر المعنى الحديث تمام التفسير ومنها ما يساعدنا مع قليل من التصرف على تفسير الوضع الحديث بصورة واضحة وفيما يلي بعض الامثلة التي توضح لنا وجوه النقص فى المعاجم الحديثة ووجوب التنقيب والبحث عن امثال هذه المفردات فى الكتب العربية المطولة مثل :

تضايف — Symbiose

قال الجرجاني : (والتضايف هو كون الشيئين بحيث يكون تعلق كل منهما سببا لتعلق الآخر به .

والمتضايفان بحيث يكون تعلق كل منهما سببا لتعلق الآخر به) .

وهذا هو المعنى المقصود من اللفظة الافرنجية. فلماذا نستعير لها عندئذ كلمة جديدة مثل (التعايش) كما جاء فى معجم الدكتور شرف .

نبول — Cachexie

هزال — Amaigrissement

وجاء فى الكشاف (الذبول هو انتقاص حجم اجزاء الجسم الاصلية . والهزال هو انتقاص فى الاجزاء الزائدة) وهذا معنى اللفظتين الافرنجيتين . وفى معجم شرف بك (كاشكسيا — سوء المزاج — ضعفه — دنف شحوبة — سهومة الخ) .

السمات المتعاندة — Caractères dominants

وفى الكشاف ايضا (والتعاند عند الحكماء هو التقابل بين امرين وجوديين بحيث لا يتوقف تعقل كل منهما على تعقل الآخر . ويسميان بالمتعاندين كالحمرة والصفرة) وهذا هو الحد الحديث للكلمة الافرنجية . فلماذا نعبر عنها فى ذات المقال بعدة الفاظ توقعنا فى الالتباس كالمضادة والمتباينة والمتناقضة كما جاء فى مقال للدكتور موفق الشطي فى نظريات الوراثة بينما اللفظة الفنية مدونة فى الكشاف قبل ولادة فن الوراثة بسنين عديدة ؟

قطرب — Misanthrope

وفى القاموس (قطرب .... وسمى به الاطباء نوعا من الماليخوليا وهو ما يكون صاحبه فرارا من الناس محبا للخلوة والمقابر جاف البصر وعلى ساقيه قروح لا تندمل) .

وفى معجم الدكتور شرف اعتزال الناس — معتزل — نفور — باغض الناس — حوشي — متوحش الخ) هل من داع للاكثار من المفردات والمعنى مدون فى الكشاف ؟

قطربية — Misanthropie

وفى معجم الدكتور شرف (اعتزل الناس — نفور الخ.)

الهلاس — arthritisme النقرس — Goutte

وفى بحر الجواهر (الهلاس هو ان يتعطل الهضم العروقي فلا يتغذى البدن) وفى القاموس (النقرس هو ورم ووجع فى مفاصل الكعبين واصابع الرجلين) وهذا ما تعنيه اللفظتان الاجنبيتان .

والدكتور شرف ترجم الكلمتين بالنقرس الذي هو احد مظاهر الـ Sieppage حرد —

وفى القاموس (الحرد) . داء فى قوائم الابل او فى اليدين فيخبط بيديه اذا مشى) وكلمة (Steppage) انكليزية استعارها الافرنسيون ايضا للدلالة على المشي لمن اصيبوا بالتهاب الاعصاب فى الرجلين من ادمان الخمر او من السفلس تشبيها بمشي الخيل . وهو ان يرفع الماشي ساقه عاليا ثم يخبط الارض بقدمه (لاروس) . وفى معجم شرف بك (اختلاج الحركة فى الشلل) فلا ارى حاجة لهذه الجملة والكلمة العربية مدونة باشهر قواميسها .

الحج — Trépanation المحجاج — Trépan

وفى القاموس (الحج سبر الشجة بالمحجاج . والحج أن يقدح بالحديد العظم حتى يتلطخ الدماع بالدم الى ان نقلع القطعة التي قد جفت ثم يعالج ذلك حتى يلتئم الجلد .

وفى معجم شرف بك (تربان — ترفين — منقب القحف — محجاج الخ) .

فلماذا نلوذ بالاكثار من المفردات ولفظة محجاج تؤدي المعنى المقصود .

الترغس — Ménorrhagie

وفى شرح اقوال ابقراط لابن القف . من مخطوطة لصاحبها الفيكونت طرازي فى دار الكتب الكبرى فى بيروت كثرة سيلان الطمث وطول مدته يسمى ترغسا . فهذا اذا صار ترغسا وكثر فيه الدم يضعف الروح) .

وفى معجم شرف بك . زيادة الطمث — نزف طمثي — طمث نزيفي — غزارة الطمث) .

المخابىء — Cul de sac

وقد جاء فى كتاب التصريف للجراح ابي القاسم الزهراوي من مخطوطة فى المكتبة الظاهرية بدمشق (ان المخابىء هي قروح تحدث اجوافا غائرة فى اللحم يتجمع الصديد بها) وهذا هو القصد من المعنى العلمي

وفى معجم شرف بك (الردب) والردب هوالطريق الذي لا ينفذ .

الخزء — Glossotomie

وفى القاموس (خزأ الفصيل خزءا شق لسانه) وفى معجم شرف بك (قطع اللسان وبتره) .

الخيلان — Sirène

وفى قطر المحيط (الخيلان وحش بالبحر نصفه انسان والباقي سمك وهو اسم لا وجود لمسماه)

وفى معجم شرف بك . غانية — بنت الماء — جنية البحر — والاسم مأخوذ من الميتولوجيا ومعناه مقدمة امراة ومؤخرة سمكة) .

دعلجة — Polychromisme مدعلج — Polychrome

وفى القاموس دعلج دعلجة اختلطت الوانه .

وفى معجم شرف بك (1 — كثرة الالوان — 2 — كثير الالوان يصطبغ بالوان كثيرة) .

متقاطع — Convergent

وقد وردت بهذا المعنى فى مقالة الحسن بن الحسين بن هيثم فى الضوء من مخطوطة رقم 218 ص 14 فى المكتبة الشرقية للاباء اليسوعيين — بيروت .

فى معجم شرف بك (متلاق — متقارب — مائل — او آل الى مركز واحد) .

التقاطع — Convergence

وفى معجم شرف (تلاق — تقارب الخ..)

انعطاف — Réfraction

وقد وردت بالمخطوطة المارة الذكر .

التذيوء — Gangrène تذيأ — Se gangrener

وفى القاموس تذيأ الجرح وغيره تذيؤا تقطع وفسد . او هو انفصال اللحم عن العظم بذبح او فساد وهذا هو بالذات المقصود من هذا الفعل .

الفتخ — Acromégalie الافتخ — Acromégalique

وفى القاموس الفتخ هو عرض الكف والقدم مع اللين والافتخ هو العريض القدم والكف مع لينهما .

وفى معجم شرف بك . كبر الاطراف . — اكرومجاليا — كلثمة الخ.

مرغث — Galactogogue

وفى معجم شرف بك مدر اللبن يدره ويغزره .

رغوث — Galactophore

وجاء فى القاموس للفيروزابادي : ارغثت ، ارضعت .

وفى معجم شرف بك (يحتوي لبنا — ناقل اللبن — اللبن) .

الارغاث — Galactosis

وفى معجم شرف بك (افراز اللبن) .

ذات الرغثاء — Galactophoritis

وفى معجم شرف بك (التهاب قناة لبنية) .

واليكم مثلا آخر يبين سعة اللغة العربية فان كلمة Opération césarienne (العملية القيصرية) تطلق على عملية فتح البطن الحامل واستخراج الجنين حيا منها عندما تستحيل ولادته طبيعيا اذا كانت الام مصابة بضيق فى عظام الحوض. وقد نسبوا هذه العملية الى القيصر لان احد القياصرة القدماء امر اطباءه ببقر بطن امراته واستخراج الولد الوحيد حيا خوفا من انقراض نسله لانها كانت مصابة بتضيق بالحوض . وفعلوا ذلك واعدموا الام واحيوا الولد .

وبما ان علماء الافرنج لم يجدوا فى لغاتهم الحديثة كلمة تدل على هذا الحدث فقد اضطروا الى الالتجاء لهذه الاقصوصة الخرافية فنسبوا العملية الى القيصر ثم جاراهم بذلك مؤلفونا ونسوا ان القيصر بذاته كان « خشعة » لان الخشعة هو الولد الذي يبقر عنه بطن امه اذا ماتت وهو حي .

فهذا تعد صريح على لغة الضاد لانه كان ينبغي ان تترجم بكلمة « عملية الخشعة » بدلا من العملية القيصرية .

وكذلك كلمة forceps الآلة التي بواسطتها يستخرج الجنين من الرحم فقد ترجمها مؤلفونا بلفظة منتاش وكلاب وغيرهما . بينما يوجد لها كلمة عربية فنية وهي «المسطاة» اسم الآلة من سطا . فقد قال الاصمعي « سطوت على المراة سطوا » اخرجت الولد من رحمها . قال :

وفى حديث الحسن رحمه الله لا بأس أن يسطو الرجل على المراة . واعرف ذلك فى الابل « عن المخصص »

وكذلك ايضا الارار — Curette
الار — Curetage
ار — Cureter

قد جاء فى المخصص « الجزء السابع » ار الناقة يؤرها ارا . ادخل يده فى رحمها وقطع ما مافيه. واسم مايقطع به من الارارو هوشبه الظرره وقيل الارار غصن شوك يضرب به الارض حتى يلين ثم يبله ويذر عليه ملحا مدقوقا فيضرب به رحم الناقة حتى يدميها . وجاء فى معجم الدكتور شرف ما يلي :

ملعقة كحت — كاحتة — مجرفة — مجرف — مسحاة .

كحت — جرف — سحو — سحي .

ومثلها لفظة « الدحق » Prollapsus utérin وفى المخصص ايضا الدحوق » التي تخرج رحمها بعد نتاجها وهو الدحـق .

وقد جاء فى معجم الدكتور شرف «سقوطالرحم» بينما لفظة الدحق تؤدي المعنـى تماما .

وايضا كلمة « الاخداج » Accouchement prématuré فان كان ناقص الخلق قيل اخدجت وهي مخدج وان كان لتمام وقت النتاج . وقيل ايضا اخدجت اذا القته قبل وقت النتاج وان كان تام الخلق « المخصص » وترجمها الدكتـور شرف « ولادة قبـل الاوان » — معجلة — معجال الخ.

الرحـا — Fausse grossesse

وقد جاء فى قانون ابن سينا الجزء الثاني فى كلمة — الرحا — (انه ربما تعرض للمراة احوال تشبـه احوال الحبال من احتباس دم الطمث وتغيـر اللون وسقوط الشهوة وانضمام فم الرحم ويعرض انتفـاخ الثديين وامتلاؤهما . وتحس فى بطنها بحركة كحركـة الجنين وحجم كحجمه يستقل بالغمز يمنة ويسرةالخ.)

وهاكم بعض الامثلة من النقل بواسطة الاشتقاق

الاشتقـاق

فهذه الطريقة تساعدنا على ترجمة الاوضـاع التي يمكننا ان نفسر جزءا منها فقط باللغة العربيـة

والجزء الآخر هو اداة اصطلح عليها اصطلاحا مثل : gastrite . فلفظة gastro تعنـي معدة . لكن ite ليست سوى اداة تدل علـى الالتهاب ولا يوجد لدينا اداة تفسر معناها فى اللغة العربية . اي ان الافرنج اضافوا الى اسماء الاعضاء فى علم التشريح مقاطع او كلمات اصطلحوا عليهـا للحصول على الفاظ جديدة . فأضافوا مثلا الـى : (gastro) المقطع (ite) عندئذ صارت gastrite للدلالة على الالتهاب . ثم اضافوا الكلمة (ectomie) فغدت gastrectomie اي استئصال المعدة . ثم algie فغدت gastralgie اي الم المعدة ثم logie فغدت gastrologie اي علـوم المعدة . ثم forme فغدت gastroforme اي بشكل المعدة . ثم oïde فغدت gastroïde اي تشبه المعدة . وهكذا دواليك الى ان بلغـت الاصطلاحات الفنية هـذا العدد الضخم . وذلك لان اللغة اليونانية التي اتخذوها للتعبير عن الاصطلاحات الفنية تخول ادماج كلمتين معا لجعلهما كلمة واحدة . اما اللغة العربية فقواعدها لا تسمح لنا أن ندمـج على هذا النمط لكن لها مقابل ذلك صيغا مصدريـة واشتقاقات تسد بعض الفراغ الناجم عن هـذه الطريقة . فنرى مثلا انه يوافق جدا ان يصطلح على هذه الصيغ — لاسيما الذي اهمل منها — لترجمـة هذه الالفاظ ضمن قيود تنطبق على اصول القيـاس فى صيغ اللغـة فنقـول :

وزن المصـدر فعل — tomie

ان المصدر الذي ياتي على وزن فعل يدل على المعنى البسيط مجردا عن المبالغـة . والمصـدر المشتق من اسماء الاعضاء على وزن فعل يتضمـن معنى الشق فى ذلك العضو . فقال العرب . كبـده كبدا اصاب كبده . وكوعه كوعا ضربه على كوعه حتى اعوج . ودمغه دمغـا شجه حتـى بلغت الشجـة دماغه . وراسه راسا اصاب راسه . وعانه عينـا اصابه بعينه . واذنه اذنا اصاب اذنه . وذقنه ذقنـا اصـاب ذقنـه . ووثنه اصاب وثينه . وكليه كليـا اصاب كليته . وفخذه فخذا اصاب فخذه . وصدره صدرا أصاب صدره . وظهـره ظهرا اصاب ظهره . وفاه فوها فتح فمه . وحشاه حشوا اصاب احشاءه . وفقره فقـرا اشتكـى فقاره من كسر أو مرض الخ. ولفظة tomie اذا اضيف اليها اسم العضـو تدل على عملية الشق التـي تجرى .

فنقول مثلا للفظة Gastrectomie لفظة (المعد) بدلا من (عملية شق المعدة) . فنكون استعملنا كلمة واحدة خاصة لتسمية هذه العملية مثـل اللفظـة الافرنجية ؛ بدلا من ثلاث كلمات قد تستعمل العربية فى اللغة لغير هذا المعنى . ولفظة « معد » هي لفظة عربية مشتقة حسب اصول قواعد اللغة ؛ فنكـون اختصرنـا عشـرات الالوف من المفردات الزائـدة وغير المفيـدة . ومثال ذلك ايضا :

الـدرق	Thyroïdotomie	الخصـي	Orchidotomie
الـراي	Pneumotomie	الرحـم	Hystérotomie
الجنب	Pleurotomie	البيـض	Ovariotomie
المثـن	Cystomie	الجفـن	Blephorotomie
الفصـد	Phlebotomie	القـزح	Irridectomie
الكلـي	Néphrotomie	النقـر	Vertébrotomie
الحلب من الحالب	Urétrotomie	العصب	Neurotomie
الشـرى	Artériotomie	المعـد	Gastrotomie

(وفي المخصص بعجت بطنه ابعجه بعجا . وهو خرق الصفاق واندبال ما فيه . والاندبال زواله من موضعه) .

ملاحظة : ربما يقول معترض ان هذه الالفاظ لها معان ثانية في اللغة . فالعصب مثلا هو لف الراس بالعصابة . والمعد هو انتزاع الرمح من مركزه الخ. فاقول ان العرب لم يبالوا بذلك فيما اشتقوه . فنرى مما مران الراس هو مصدر يعني الشق وهو اسم للعضو ايضا . والعين هو مصدر يدل على اصابة العين وهو اسم لها وله عدة معان ايضا . والفقر هو مصدر يعني اصابة الفقرة وهو اسم يدل على الفاقة وكذلك الذقن والصدر والظهروالحشو والجنب وغيرها فلا باس ان ننحو نحوهم لتلافي النقص الذي يثلم اللغة في الحالة الحاضرة .

وزن تفعال — ectomie

ان هذا الوزن هو لمبالغة المصدر وهو ايضا يدل دلالة المصدر بزيادة قوة او كثرة او تشبث بالمعنى المصدري . وقد قيل ان هذا البناء مطرد وقيل ايضا انه مقصور على السماع مثل التطواف والتجوال والتلقاء والتبيان . وقد جاءت عدة مفردات على هذا الوزن في كلام العرب منها تعشار وتبراك وتقصار وتكلام وتلقام وتلعاب وتضراب وتمراد وتلقاف وتجفاف وتهواء الخ . والنتيجة ان هذا الوزن المصدري يدل على مبالغة الوصف . وقد جاء في المخصص (كما انك قلت في فعلت فعلت حين كثرت الفعل كذلك تولك في الهدر والتهدار وفي اللعب والتلعاب وفي الرد والترداد وفي الصفق والتصفاق وفي الجولان والتجوال وفي القتل والتقتال . وليس شيء من هذا مصدر فعلت ولكن لما اردت التكثير بنيت المصدر على هذا كما بنيت فعلت على فعلت . قال ابو سعيد — اعلم ان سيبويه يجعل التفعال تكثيرا للمصدر الذي هو للفعل الثلاثي. فيصير التهدار بمنزلة تولك الهدر الكثير والتلعاب هو بمنزل اللعب الكثير) والمقطع اللاتيني . ectomie

يدل ايضا على مبالغة الشق وبالاحرى على استئصال بعض العضو او كله . وذلك ليس سوى مبالغة في المصدر البسيط الذي هو الفعل . فلو اشتققنا التكباد من الكبد والتمعاد من المعد والتنكاف من النكف نكون فعلنا بموجب القواعد اللغوية وبقينا ضمن دائرة الصرف والنحو . وقياسا على ذلك نقول :

تعصاب	Nevrectomie
تمعاد	Gastrectomie
تمعاء	Entérectomie
تكباد	Hépatectomie
تدراق	Thyroïdectomie
تغلاص	Laryngectomie
ترياء	Pneumotomie
تكلاء	Néphrectomie
ترحام	Hystérectomie
تبياض	Ovariectomie
تقزاح	Irridectomie الخ

النقل بواسطة المجاز

ارى اننا لو حذونا حذو علماء الافرنج باستعمال ما قد اهمل في لغتنا من المفردات القديمة المدونة المهجورة والتي تدل ايضا بعض الدلالة على معنى الاوضاع المستحدثة والتي عددها ينوف على ما نحتاجه من التعابير العلمية الجديدة لتخلصنا حينذاك من شتى الصعوبات التي تجابهنا عند تعريب الالفاظ الاعجمية . ولخلصنا من غرابة استعمالها ايضا . ولسهل علينا الاشتقاق والتصريف وما شاكلهما من محسنات اللغة العربية ولاحيينا الكثير مما اوشك ان يموت من لغة اثر بسعتها وغناها كل العالم وعاشت بظلها علوم عديدة زهاء الالف سنة. واليكم مثلا من الامثلة العديدة للنقل بواسطة المجاز:

اللفظة المقترحة	اللفظة الافرنجية	اصطلاح الدكتور شرف
نطفة	Blastula	بلاستولا
علقة	Gastrula	جسترولا
مضغة	Embryon	جنين او علوق الحيوان
جنين	Fœtus	جنين (اجنة)

لقد جاء في سورة المؤمنين ما نصه : (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة . فخلقنا العلقة مضغة . فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر الخ) ونرى ايضاان الجنين يبتدىء خلية واحدة ثم يتحول الى عدة خلايا ثم تنسق هذه الخلايا على جدران البيضة تاركة في الوسط فراغا مملوءا بالمائع الغذائي فتدعى عندئذ بالنظر الى اصطلاح الطب — بلاستولا — اي (الكتلة المبذرة) ثم تندمج البيضة في ذاتها فتأخذ شكل قارورة ذات فوهة ضيقة . حينئذ تدعى (كاسترولا) Gastrula

اي معيدة (تصغير المعدة) وبعد ذلك تتصور فيها بعض الاعضاء فتدعى (امبريون — Embryon) اي اثر الكائن الحي . ثم تكمل هذه الاعضاء نوعا ما وتظهر بجلاء ووضوح . فتعطي لكل مضغة شكلا خاصا يميزها عن سواها من سائر المضغات . فتدعى عندئذ (جنين Fœtus)

فاستعرت لهذه الاطوار الثلاثة بلاستولا وكاسترولا وامبريون لفظة نطفة . وعلقة . ومضغة . وذلك لوجهين :

أولا ؛ لان هذه الالفاظ اخذت عن القرآن الكريم فلا شك فى عروبتها — . وثانيا لانها تطابق الوضع تماما لان معناها الاصلي يدل دلالة واضحة على معناها المستعار . ان لفظة (بلاستولا) تعني باللاتينية العلة المحدثة للنمو . وفى اصطلاح علم الاجنة يراد بها احد اطوار الجنين الاولية . وان لفظة (نطفة) معناها لغويا الماء القليل . وفى اصطلاح الآية يراد بها احد اطوار الجنين الاولية أيضا . فتكون هذه اللفظة صالحة لترجمة (بلاستولا) لانها تنطبق على معناها لغة واصطلاحا . ومثلها تكون كلمة علقة للفظة (كاسترولا) . ومضغة للفظة امبريون . اما هذه الاخيرة فقد ترجمها البعض بكلمة جنين . فكلمة جنين لا يصح استعمالها هنا لانها تقابل لفظة فاتوس المستعملة لما هو اكمل من امبريون والفرق بين الاثنين عظيم لان (امبريون) تطلق على احد اطوار الجنين الاولية حيث يستحيل تمييز الحيوانات اللبونة بعضها عن بعض . ففي هذا الطور يعسر جدا التمييز بين القرد والكلب والثور والانسان مثلا . لكنه عندما ينتهي التطور الى حد نستطيع ان نعرف فيه كل نوع على حدة حينئذ يطلق على المضغة لفظة (فاتوس اي جنين . وقد ترجمها احد المؤلفين ايضا بلفظة (رشيم) .

المعجم المفصل (*)
لأسماء الملابس عند العرب

لمؤلفه دوزي
تعريب الدكتور أكرم فاضل
(بغداد)

مهما تكن الخطوات التي خطاها الادب العربي فى مجال التقدم والرقي واسعة فى هذه الازمنة الاخيرة، فليس بمقدورنا أن ننكر ان علم اللغة لم يتقدم بنفس الخطوات التي تطعمتها العلوم التاريخية والجغرافية . بل ارانا مرغمين على الاعتراف بأننا فى حلبة علوم اللغة لم نندفع الى ابعد مما اندفع اليه الباحثون فى عهد Golius (1) .

فالحقيقة اننا فى الحالة الراهنة للعلم ما زلنا غير قادرين على التفكير تفكيرا جديا بوضع معجم عربي شامل .

فان مكتبات اوروبا وآسيا وافريقيا ما تبرح تطوي أضلعها على آلاف من المجلدات المخطوطة التي ما انفكت عناوينها مجهولة لدينا . ذلك لان مخطوطات اعرق الكتب كلاسيكية فى الادب العربي لم تتناولها حتى يومنا هذا يد التحقيق والتدقيق بالعناية اللازمة، ولم يعارض بعضها ببعض . وان القيام بطبع خمسين مؤلفا من الطراز الاول لا يعد عملا كبيرا اذا وازناه بالعدد الهائل من الكتب الذي ينتظر بلهفة نشره على الكافة .

وانني اذ اتحدث عن معجم عربي اعني بذلك قاموسا يأخذ على عاتقه — الى جانب اهتمامه ، بكل ما لديه من طاقة ، بالمعنى الدقيق الذي كانت تعنيه كل كلمة لدى نشأتها — مهمة تجعلنا نضع بصورة محكمة واضحة مختلف المفاهيم التي تلقتها كل كلمة فى الجزيرة العربية وفى فارس وفى سوريا وفى افريقيا الخ - واخيرا ، نناشد هذا القاموس أن يكشف لنا عن كل المعاني التي عبرت عنها الكلمات فى جميع الاقطار التي تالفت منها هذه الامبراطورية العربية المترامية الاطراف ، التي امتدت من الهند حتى حدود فرنسا .

انني أتحدث عن هذا المعجم المنشود الذي اطالبه، باستناده الدائم على نصوص المؤلفين ، ان يخط لنا ، اذا صح القول ، تاريخ كل كلمة ، وقصة كل جملة . هذا المعجم المفقود الذي يميز بوضوح وجلاء المعاني الخاصة لكل كلمة فى قطر معين من الاقطار العربية من المعاني التي كانت تعرب عنها الكلمة فى قطر معين آخر : القاموس الذي يجب ان يميز معنى كل كلمة لدى الشعراء من معناها الخاص لدى كتاب النثر .

وختاما ، انني احلم بالقاموس المنطوي على كل التعابير العلمية والفنية ، المشروحة شرحا منهجيا .

ولكنني اكرر القول ان الازمنة التي يستطاع ان يؤلف خلالها هذا المعجم ما انفكت بعيدة كل البعد

(*) Dictionnaire détaillé des noms de vêtements chez les Arabes, par R. P. A. Dozy

(1) J. Golius (حوالي 1630) الف مجموعة من منتخبات فى الآداب والقرآن منها نصوص للحريري وابي العلاء المعري . واعظم عمل قام به هو تأليفه معجما عربيا لاتينيا . وهذا المعجم يعد بالاضافة الى كتاب النحو لاربينوس من امهات المصادر فى علم اللغة العربية (مجلة اللسان العربي ، العدد الثاني ، ص 81 الرباط — المغرب الاقصى) .

عنا . وانتظارا لهذا العهد المرموق ؛ بوسعنا ان ندفع عجلة علوم اللغة الى الامام بثلاث طرق : الطريقة الاولى تنحصر فى تدبيج تعليقات وملاحظات من صميم فقه اللغة على هيئة شرح كتاب لمؤلف من المؤلفين ، أو باضافة ملحق بشرح الكلمات التي اوردها المؤلف فى كتابه وذلك حين يقدر نشر ذلك الكتاب . وهذا القاموس الصغير هو بمثابة تكملة للمعجم موضوع البحث . وهذا النهج هو الوسيلة المتبعة بصورة عامة حتى هذا اليوم . اما الطريقة الثانية فهي جمع الكلمات التي تؤلف صنفا من الاصناف . وأما الطريقة الثالثة فهي الاقتصار على لغة قرن واحد أو على لغة قطر واحد. ولكن هذه الطريقةلم تتبع حتى هذه اللحظة .

لن اتوقف هنا لمناقشة مختلف المنافع التي تجنيها كل طريقة من هذه الطرق ، ولكنني سأحملكم فقط على ملاحظةانالطريقة الثانية، الطريقةالتيكنت أول من اتبعها فى هذا الكتاب انصياعا لبرنامج المعهد ، هي التي تنفحنا بفوائد حقيقية ، لاسيما اذا كانت الكلمات المطلوب شرحها تتعلق بالاخلاق والعادات .

اذا فاسمحوا لي بأن أقول كلمة واحدة عن الخطة التي رايت من المحتم اتباعها . فلقد آمنت بأهمية تحقيق الوقائع فى عمل له هذه الطبيعة ، وان اقرب بين شهادات واستشهادات المؤلفين ، وان اقارن بعضهم ببعض . ولم اجرؤ على المجازفة ، وركوب متن الشطط فى متاهات من التخمينات الاشتقاقية ، التي لو عرضها شخص آخر غيري لبدت مقبولة رائعة بارعة ، ولكن هذه الظنون لن تاتي بنتيجة يطمأن اليها مطلقا .

ان المخطوطات التي ذكرتها تعود ملكيتها الى مكتبة ليدن — وفى حالة كون هذه المخطوطات تؤلف شطرا من مكتبات اخرى اخذت على عاتقي تنبيه القراء على الدوام . وارى لزاما علي أن الفت الانظار الى انني بنشري نصوصا لمؤلفين من العصر الوسيط للادب العربي حرصت كل الحرص على ايرادها كما كانت مرسومة فى المخطوطات . وان قواعد النحو التي اتبعها هؤلاء المؤلفون تشذ بعيدا عن القواعد التي نحاها نحاة البصرة ونحاة الكوفة ؛ فوجب علي الا اشوه المؤلفين باعارتهم نحوا لم ينحوه .

لقد شملني M. de Guyangos (2) بلطفه فأعارني بضع مخطوطات من مخطوطاته . وسترون على وجه التخصيص ان النسخة النفيسة لرحلة ابن بطوطة ؛ التي يقتنيها هذا العلامة ، هي التي أفادتني افادة بالغة لا مثيل لها . وان هذا السفر هو كتاب من النمط الرفيع من عدة وجوه . أما المختصر المترجم من قبل M. Lee ، فانه لا يهبنا الا فكرة ضعيفة عنأهمية الكتاب الاصلي .

فأرجو من M. de Guyangos أن يأذن لي بتقديم الشكران اليه ؛ وازجاء عواطف الاعتراف بالجميل لشخصه الكريم على الاحسان الذي شملني به

وأنا آمل العفو عن بعض الهنوات التي وقعت فى لغة هذا الكتاب الفرنسية ، اذ يكاد يكون أمرا مستحيلا على اجنبي مثلي ان يتجنبها . ولعله كان اسهل علي أن اكتب الكتاب باللغة اللاتينية ، ولكن الموضوع يتعارض وهذه اللغة ، ذلك لانني لو استعملت هذا اللسان لارغمت ارغاما على تفسير الكلمات العربية بتعابير مستعارة من اللغة الرومانية العتيقة ، هذه اللغة التي لم تعد مدلولاتها معروفة لدينا بصورة دائمة .

Gayangos y Arce (Don Pascual) مؤرخ اسباني، ولد فى اشبيلية عام 1809 ، ومات فى لندن سنة 1897 ، وهو مدرس اللغة العربية فى كلية الدراسات الادبية بمدريد ، ومدير التعليم العام ، واحد اعضاء مجلس الشيوخ ، ومراسل الاكاديمية الفرنسية للفنون .

واذا تركنا جانبا ترجمته الى اللغة القشتالية تاريخ الادب الاسباني لمؤلفه ثيكنر (1851 — 1856) ومنشوراته عن كتب الفروسية أو عن كتاب النثر الاسبان لما قبل القرن الخامس عشر ، فان جميع مؤلفاته على وجه التقريب مكتوبة باللغة الانكليزية . وقد وضع دليلا للمخطوطات الاسبانية فى المتحف البريطاني (1875 — 1893) وساهم فى جمع « وثائق الدولة » التي نشرت بأمر من الحكومة الانكليزية . ولنا منه كتاب « تاريخ السلالات المسلمة فى اسبانيا » (1840 — 1842) . (لاروس القرن العشرين)

شربيل ، زربـول ، زربـون .

ان كلمة شربيل وكلمة زربـون لا وجود لهما فى القاموس ، واننى لاجهل تمام الجهل اين وجـد سيلفستر دي ساسي — راجـع كتابه الموسـوم : **طرائف عربية** (ج1ص 146 (Chrestomathie arabe ان كلمة زربول (؟) تعني فى الشرق : انعلة ومداسات قديمة ، الامر الذي يعتبر غير مقبول فى كل الاحوال .

يقول Diego de Haedo فى كتابه (خطط مدينة الجزائر ص4وص27 (Topografia de Argel وهو يتحدث عن نساء مدينة الجزائر : « بعضهـن (لاسيما النساء المغربيات) يلبسن نوعـا مـن المداسات (unas servillas) على الطريقة المغربية ، مصنوعة بلطافة واناقة ، من الجلد الملـون ، وهـن يسمينهـا xerecuilla . ونحن نقـرأ فى كتاب Höst (اخبار من مراكش ص 117 : (Nachrichten non Marokos جميعهم يلبسون احذية مصنوعة من الجلد المراكشي التي تدعـى باسـم scherbil شربيـل ، وتكون احذية الرجال صفـراء ، واما احذية النساء فحمراء . كما نعلم أن مداسات هؤلاء واولئك لا كعوب لهـا » .

وفى قائمة الكلمات العربية التي انشأهـا Breitenbach فى كتـابـه : (ص 115 ، (Beschreibung der Reyse und Wallfahrt وهـو الرحالة الذي زار الشرق عام 1482 ، نجد أن كلمة Serbul مفسرة بكلمة schuh (مداس) . ويقول D. Jermano de Silesia (ص 905) الذي سبق للمؤلف Habicht ان ذكره فى مسرد الجزء الثالث من طبعته لكتاب الف ليلة وليلة ، ان كلمة زربول وجمعها زرابيـل ، هي مداس مزود بكعـب (Scarpa con tallone; calceus cum tato) وما لم يثبت لي مثبت العكس ، فانني اشعر انـي مرغم على الاعتقاد بان الزربول وكذلك الشربيـل لا كعوب لهما ، وقد نعثر احيانا على صيغة زربـون فى كتاب الف ليلة وليلة ، اذ نجد هذه الكلمة مرتيـن فى الجزء الاول من طبعة ماكناكتن M. Macnaghten وقد تفضل M. Amari فاعلمني ان كلمة Sarbon وجمعها sarben ما زالت مستعملـة حتـى أيامنا هذه فى مالطـة .

واعتقد ان كلمة شربيل مماثلة للتعبير الاسباني servilla الذي يشير الى مداس مصنوع من الجلد المراكشي ليس له سوى نعـل واحـد . والكلمة مشتقة مـن serva (sierva) ذلك لان الخوادم والجواري كـن يلبسن هذا النوع مـن المداسـات . ومن كلمـة سربيل تألفت ، فى عقيدتي ، كلمة زربول ، فان حلول (الزاي) محل (الشين) ليس فيه ما يدعو الى الدهشة والعجب ، وستذكـرون ان (و) و (ي) فى الشعر العربي يجيئان فى قافية واحدة . كما هو الامر فى الشعر الالمانـي . فمن كلمة زربـول تألفت كلمة زربـون بابدال الـلام بالنون ، وهمـا حرفان من نفس السلالـة . وقـد قلـت ان كلمـة servilla مشتقة من كلمة : (خادمة ، امة ، جارية) serva servante وهناك مسألة تدعو الى الملاحظة وامعان النظر فاننـا نقرأ فى كتاب الف ليلة وليلة (ط Macnaghten) ج 2 ، ص 24) : جعل فى رجليه زربونا على عادة المماليك (siervas بالاضافة الى اننا نلاحظ فى هذا النص ان كلمة زربون مستعملة كاسم جنس جمعي فى كتاب الف ليلة وليلة ؛ للاشارة الى فردتين من الزربون . وقد لاحظت آنفـا نفس الملاحظة حول كلمة خف (1)

لهـذه الكلمـة مدلـولان ، لانهـا تستعمـل للاشارة الى العمامة بقضها وقضيضها : اي الكلوتة ؛ احد الكلوتات ، مع قطعة القماش الملفوفة حولهـا (وهذه العمامة بتمامها تدعى كذلك عمة (وصف مصر ج 18 ، ص 108 ، ابن سـعيد ، المذكور لدى فريتاغ؛ طرائف عربية وقواعد وتاريخ ، ص 147 (2) ، وكذلك قطعة القماش وحدها ، التي تلف عدة لفات حـول الطاقية (الكلوتة) أو الطاقيـات ، الطواقـي . وان التفاصيل التي بمقدورنا ان نجمعها حول العمامـة لو شئنا لتملأ سفرا باكمله ، لذلك سنقتصر هنا على

---

(1) ان اهل الموصل حتى يومنا هذا يسمي بعضهم هذا الصندل الصبياني بالزغبول وبعضهم بالزربول (المترجم)

(2) ان سيلفستر دي ساسي ، فى حديثه فى صحيفة العلماء Journal des Savants عن كتـاب السيـد فريتاغ ، يـرى وجوب احلال كلمـة عمامة محل كلمة عمة فى هذا النص ، ولكن كلمة عمة موجودة فى مخطوطة دي غويا (ص 45) وهي صحيحة على العموم ، ومؤيدة بشهادة دي شابرول.

ايراد المعلومات الرئيسية ، موجهين نظر القارىء الراغب في المزيد من التفصيلات الواسعة الى البحث النفيس الذي كتبه G. Fesquet في كتابه (Voyage en Orient et suiv.) رحلة الى الشرق ، ص 182 وما تلا ... فهو بلا منازع خير من كتب عن العمامة ؛ ولكننا سنحرص كل الحرص في هذا المقال على الالماع الى استعمال العمامة .

فالعمامة في العادة بيضاء اللون ؛ ومعمولة من الشاش الموصلي ؛ ولكنها تعمل كذلك من أقمشة اخرى ومن الوان متفرقة ، فهي تعمل مثلا من الحرير الاسود المرصع بالذهب ، او من الكشمير ؛ او من الصوف الاحمر او الابيض الخ.

وكان سعيد بن العاص بن امية يتميز بين العرب القدامى بجمال عمامته (الميداني ، الامثال العربية ، ج 1 ص 222، النويري المعلمة ، مخ 272 ؛ ص 127) . وكان الرسول يعتم بعمامة كانت معروفة وكانت تحمل اسم السحاب (le nuage) وقد أورثها أو تنازل عنها لعلي (عيون الآثار ، مخ240، ص 189) ولعل ابن جبير في كلامه عن (عمامة شرب رقيق سحابي اللون قد علا كعبتها على راسه كأنها سحابة مركومة وهي مصفحة بالذهب) قد اشار الى هذه العمامة البيضاء للرسول (الرحلة مخ 220 ؛ ص 82) . وذلك اثناء حديثه عن امير مكة .

وكانت العمامة في اسبانيا وكذلك في المغرب لا تلبس الا في الحالات النادرة . (ابن سعيد ، النص السابق) ، ومما لا ريب فيه ان الجيش لم يتخذ هذا الاكليل لاننا نقرأ لدى النويري (تاريخ اسبانيا ، مخ 2 ص 474) : ثم عزم على الغزاة وتقدم اليه هشام ان يتعمم هو وسائر الجند . ففعل وعقد الويته وخرجوا في العمائم . وكانوا بها في اقبح زي لمخالفة العادة .

وكان الفقهاء في اسبانيا يلبسون بصورة عامة العمامة .

وفضلا عن ذلك فان عمامة القضاة اضخم كثيرا من عمامة العرب الآخرين ، ومن هذا الوضع كان يسمى واحدهم (بالمتعمم او المعتم او صاحب عمامة او رب العمامة (1) راجع حول هذا الموضوع ملاحظة ممتعة للغاية لكاترير (تاريخ السلاطين المماليك ج 1 ؛ ص 245 ؛ 246) .

وان جميع المسلمين ؛ ولاسيما رجال القضاء يرون شرفهم في عمائمهم . وعادة اسبال طرف من قطعة القماش عريقة في التاريخ ؛ وهي ما تزال موجودة في ايامنا هذه . وهذا الطرف يحمل اسم عذبة أو ذؤابة (2) ، وهذا الامر شائع الى حد ان احد الشعراء استعمل تعبير كل حيال عمامة : اي كل عربي (راجع بيت هذا الشاعر في (طرائف عربية للسيد كوسيكارتن ؛ ص 76) (Chrestomathia arábica de M. Kosegarten, pag. 76)

والعمامة البغدادية كان لها عذبتان ((راجع كاترمير ، كتابه النفيس ، ج 1 ق 1 ص 122) .

ويلبس الشرفاء واحفاد الرسول في يومنا هذا العمامة الخضراء ، وكانوا قديما يعلقون قطعة خضراء من القماش في العمامة . وفي عام 772 امر سلطان مصر وسوريا ، الملك الاشرف Schaban هؤلاء بربط قطعة من القماش خضراء بعمائمهم. (ابن حبيب ؛ درة الاسلاك ؛ مخ 425 ؛ ص 578 ، 579؛ السيوطي حسن المحاضرة ، مخ 112 ص 246) .

وتصر مختلف الاشياء في العمامة ، والشرقيون يستعملونها استعمالهم لجيوبهم . فنحن نقرأ في كتاب ابن اياس (تاريخ مصر ، مخ 267 ، ص 429) : تغير خاطر السلطان على القاضي عبد الباسط ونقله من المكان الذي كان بالحوش الى برج من ابراج

---

(1) ان عادة رجال القضاء وهي إنهم يمتازون باكليل ضخم او عال موجودة في الغرب حسب مخطوطة هولندية تعالج لعبة الشطرنج : (Van st Schaerspell, manuscrit hollandais de la Bibliothèque de Hambourg, n° 49, pag. 47)

(2) لا وجود لكلمة ذؤابة بهذا المعنى في القاموس، ولكن المقري او بالاحرى ابن سعيد (لدى فريتاغ ، طرائف عربية نحوية تاريخية ، ص 148) والسيوطي (لدى ساسي ، طرائف عربية ؛ ج2 ، ص 267) يستعملونها بهذا المعنى . فنحن نقرأ لدى ابن بطوطة (الرحلة ، مخ دي كاياتكوس ، ص 128): اتى شيخ على راسه عمامة لها ذؤابة عليه ثياب بيض وعمامته كبيرة لها ذؤابة وهي مائلة الى جانب .

القلعة . فلما استقر به دخل عليه الوالي وقال له : ان السلطان قضى بنزع ثيابك ، فعراه من ثياب بدنه حتى اخذ عمامته من راسه وتركه . ودخل بأثوابه بين يدي السلطان . وكان قد وشى به عنده ان معه شيئا من السحر . فلما فتشوا عمامته وجدوا فيها قطعة من اديم ووجدوا أوراقا فيها ادعية جليلة وخواتم فضة لا غير . فبعث السلطان يسأله عن تلك القطعة الاديم ما هي ؛ فقال : هذه من نعل النبي صلى الله عليه وسلم . فباسها السلطان ووضعها على عينيه واعاد اليه ثيابه ونقله الى المكان الذي كان به أولا .

ونجد فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ج 1 ؛ ص 212) : « فأخذ الكتاب نور الدين وباسه وحطه فى عمامته» . وكثيرا ما توضع حافظة النقود فى العمامة ولهذه العلة يحرص اللصوص فى الشرق على الاستحواذ على عمائم السابلة . (راجع كتاب الف ليلة وليلة ، ط مكناكتن ، ج 1 ص 201 ، وتعليق لين الف ليلة وليلة ، ج 1 ص 420) .

ولما كانت كلمة عمامة تشير الى قطعة من القماش فارعة الطول يلفها المتعممون حول الراس ، فلن يبدو امرا مستغربا ان تستعمل العمامة لتكتيف سجين او اسير . فنحن نقرأ فى تاريخ : Kattalah-as-Schodjjan (لدى Kosegarten : طرائف عربية ، ص 69) : ربط السجين بعمامته وفى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ص 190) : « اهدموه وكتفوه بعمامته وجروه غصبا الى عندي من غير اذية تحصل له » يشد الانسان نفسه بشيء توقيا من السقوط ، او لغرض آخر . فنحن نقرأ فى رحلة ابن بطوطة (مخ دي كايانكوس ، ص 4) : فكنت اشد نفسي بعمامة فوق السرج خوف السقوط بسبب الضعف 20 — لخنق الانسان نفسه او لخنق سواه . فنحن نجد فى رحلة ابن بطوطة مخ ، ص 157) : فدخل الى بيته وربط عمامته بسقف البيت واراد أن يخنق نفسه ، وفى القرطاس Kartas (مخ 17، ص 99) : فجعلوا عمامته فى عنقه وشنقوه بها . ونقرأ فى الكتاب المعنون (حكاية اقامة عشر سنوات فى طرابلس بافريقيا ، ص 4)
(Narratine of a ten years' residence at Tripoli in Africa, pag. 4)

« ان احد الافارقة يعتقد انه لا سبيل الى قهره عندما يكون معتما ، ولكن هذه العمامة تكون أحيانا مصدر شؤم له . فالحقيقة ان الانسان يستطيع أن يخنق بطرف من هذه العمائم التي تحيط بعنق الضحية بأقل من الوقت الذي يستغرقه سحب الحبل المشؤوم لخنقها به ؛ واعتقد ان تعبير (عمامته فى عنقه) نجم من استعمال العمامة فى كثير من الاحيان لخنق أحد الرجال (المقريزي . لدى دي‌ساسي ، طرائف عربية ج 2 ؛ ص 21 من النص) وهذا يعني : ان الرجل دان وخضع واطاع . ذلك لانني ارى ان الناس كانوا يعبرون بلبس العمامة حول العنق انهم قد اعترفوا للسلطان بالسلطة المطلقة بالتصرف فى حياتهم ومالهم راجع فى موضع آخر كلمة منديل . واستعانة بهذه التفصيلات سيكون بوسعنا ان ندرك بسهولة حسب عقيدتي ، نصوص المؤلفين العرب ، التي لا تستعمل العمامة استعمالها الاعتيادي ؛ وبوسعي كذلك ان اضيف اننا نقرا لدى ابن بطوطة (الرحلة ؛ مخ) ص 228 : وجعلوا العمائم فى اعناق خيلهم . وهي عادة أهل الهند اذا ارادوا الموت .

ويجب الحذر من التفكير بأن العمامة يمكن ان تكون قد استعملتها النساء . فان هذا الاكليل خاص بالرجال ، وفى الشرق ينحت شكل عمامة على شاهدة القبر ، فى حالة ضم هذا الجدث رفات شخص من جنس الذكور ، وبهذه الوسيلة يمكننا بسهولة تمييز قبور الرجال من قبور النساء ، ذلك لان بأضرحة النساء ينحت اكليل امراة . (راجع Copin) درع أوروبة ، ص 284) (Le Bouclier de l'Europe) وانظر كذلك (حكاية اقامة عشر سنوات فى طرابلس بافريقية ، ص 27) .

اشـاح

انظر كلمة وشاح .

أصدة ، أصيدة ، مؤصد ، مؤصدة .

يبدو ان هذه الكلمة لم تكن مستعملة الا فى العهود الاسلامية الاولى ؛ لان علماء اجلاء من العرب لم يكونوا ليعرفوا بالضبط اي نوع من الملابس تدل عليه هذه الكلمة . فنحن نقرأ لدى ابن فارس فى كتابه (مجمل اللغات ، مخطوطة 485) : الاصدة قميص صغير يلبسه الصبيان . ونقرأ كذلك لدى الجوهري : الأصدة بالضم قميص صغير يلبس تحت الثوب .

قال الشاعر :

ومرهق سال امتاعا بأصدته
لم يستعن وحوامي الموت تغشاه

ويضيف الجوهري : « وتلبسه ايضا صغار الجواري . وتقول اصدته تأصيدا .

قال كثير :

وقد درعوها وهي ذات مؤصد

مجوب ولما تلبس الدرع رئدها

ولا وجود لكلمة مؤصد في قاموس السيد فريتاغ (M. Freytag) ولكننا نجد في القاموس (طبعة كلكتا ، صفحة 340) : الاصدة بالضم قميص صغير للجارية الصغيرة او يلبس تحت الثوب كالاصيدة والمؤصدة . ويقول التبريزي (في شرح الحماسة صفحة 223) في معرض حديثه عن البقعة المسماة ذات الآصاد عن كلمة اصدة ما يلي : فاما الاصدة فهو ثوب لم تتم خياطته . وقيل هي البقيرة . وقيل بل هي الصدرة .

قال الشاعر :

مثل البرام غدا في اصدة خلق

لم يستعن وحوامي الموت تغشاه

وهذا البيت نفسه موجود في هامش الجوهري مع التعليق التالي : لم يستعن اي لم تحلق عانته . والبرام القراد . واما حوائم الموت فهي اسباب الموت واننى متأكد من سرقة هذا البيت من البيت الذي سبق أن قرأناه : فان كلمتي (لم يستعن) قد استعملتا كذلك من قبل السارق ، ولكن كما نرى في معنى آخر. بالاضافة الى اننا نعلم ان حلق العانة عادة متبعة لدى الرجال المسلمين والنساء المسلمات .

الطماق والجمع الطماقات

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

وقد شوه عرب اسبانيا على هذه الشاكلة الكلمة التركية طوماق . ويترجم بيدرو دي الكالا Pedro de Alcala في كتابه (مفردات اسبانية عربية (Vocabulario Español Arábigo الكلمة الاسبانية Borazegui الطماق ، وجمعها الطماقات ، ويترجم Calça Casa de borzeguies الى ملابس الالطماق واننى افترض ان العرب تداضافوا اداتهم الى الكلمة التركية (الطوماق) وبعد ذلك اعتبروا ال وكانها جزء لا يتجزأ من الكلمة ، وبعد مضي بعض الزمن ، خلعوا على كلمة الطماق الحروف الصائتة لمصدر من الصيغة الثامنة ، الذي كان في مقدورهم بل كان واجبا عليهم اضافة اداتهم اليه ايضا .

ولما كنت لا اعتقد بوجود فارق كبير بين كلمة Iltimak عند المغاربة وبين Toumak الاتراك في مدينة الجزائر ، في القرن السادس عشر ، فانني سأترجم هنا مقاله : Diego de Haed في كتابه Topografia de Argel, fol. 2°, col. 2 عن الكلمة الاخيرة : « وانهم يسمون جزماتهم tumaques (Sus borzequies) وهذه تكون صفراء ناقعة الصفرة او برتقالية ، او ذات الوان اخرى . وهناك قلة من الناس تحتذى هذه الاحذية اذا كانت سوداء أو بيضاء .

انتاري او انطاري

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ويكتب (Meninski et M. Hindoglu) في كتابيهما: (Sammlung der zum Sprechen nöthigsten Wörter und Redensarten der Turkischen, Neugriechischen und deutschen Sprache, pag. 80) انطاري

ولكن الفارس آميديه جوبير Amédée Jaubert في كتابه (النحو التركي ص326) ومستر لين M. Lane في كتابه (المصريون المحدثون) كتبا : انتاري (Modern Egyptians, tom I, pag. 152) ولما زار Niebuhr الشرق وكتب كتابه (Reize naar Arabië, tom I, pag. 152) كان سكان القاهرة من الطبقة العليا ومن الطبقة المتوسطة يرتدون الانتاري ، وهو اللباس الذي كانوا قد استعاروه ولا ريب من الاتراك . ويقول : كان القوم يلبسون فرق القميص والـ Schakschir الانتاري ، المبطن بالقماش والذي يعلو الركب بشبرين تقريبا .

أما اليوم فان هذا اللباس لم يعد يرتدى من قبل الرجال في مصر ، ولكن السيدات يستعملنه في بعض الاحيان . وان انتاريهن هذا يختلف بالرغم من ذلك مع انتاري الرجال من ناحية الشكل .

واليكم وصفه من قبل M. Lane في كتابه السابق القيم Loco Laudato : « انه كالسترة القصيرة يعلو قليلا وسط الجسم وهو يشبه

تمام الشبه اليلك الذي اقتطع منه الجزء الاسفل (1) ويلبس الناس أحيانا هذه السترة القصيرة بدلا مـن اليلك ، فهو اذا مصنوع من تماش مخطط بالالوان ، منسوج من الحرير او من القطن ، او بالاحرى مـن الشاش الموصلي المنقوش او المحوك من خيوط ملونة وهو احيانا ابيض اللون خالص البياض ، وله كمان طويلان وقد فصل على هيئة تسمح له بأن يزرر مـن الجهة الامامية ابتداء من الصـدر وانتهـاء بنهايته . وعلى وجه العموم فهو مفصل على صورة تدع نصف الصدر مكشوفا (هذا الصدر الـذي هو مع ذلـك مستور بالقميص) : ولكن كثيرا من السيدات يرتدين الانتاري الفضفاض بصورة مفرطة لدى هذا الجـزء من الجسـم .

بابـوش أو بابـوج

ان هذه الكلمة هي كما نعلم من اصل فارسـي (بابوش) قد تسللت الى اللغة العربية كما تغلغلت فى اللغة الفرنسية ، واندست فى اللغة اليونانية الحديثة.

وبوسعنـا ان نستشيـر فيمن نستشيرهم عـن البوابيج التي تحتذيها نسـاء اسطنبول الرحالـة الفرنسي تيفنو Thévenot فى كتابه (**حكاية رحلة الى المشرق** ، ص 56

(Relation d'un voyage fait au Levant, pag. 56)

كما نستطيـع مراجعـة De Bruyn فى كتابـه (Reizen door Klein-Asie, etc. pag. 95, 131) يقول **تيفنو** Thévenot (ص 329) فى معرض كلامه عـن البدو : بعض هؤلاء البداة لهم بوابيج تشبه خفافنا . ويقول : دارفيـو D'Arvieux فى كتابه : رحلة الى فلسطيـن صوب الاميـر المعظـم ، ص 208

(Voyage dans la Palestine vers le Grand Emir, pag. 208)

وهـو يصف زي الامراء البـدو الشتائـي : « ان بوابيجهم المنوعة مما تصنع منه الخفاف pantoufles اي من نفس الجلد المراكشي الاصفـر يستعملونهـا استعمالنا للاحذية وهم يخلعونها اذا ارادوا الجلوس او اذا مشوا على الابسطة والسجاجيد » ويقـول الرحالة نفسه بعد ذلك (ص 211) واصفـا طـراز السيدات لدى البدو «ان بوابيجهن صغيرة ومزركشة» ويقول فى مكان آخر (ص 212) متحدثا عن ملابـس الرجال بصورة عامة « ان لهم اقداما حافية داخـل جزماتهم حين يمتطون الجياد ، اما فى مخيماتهم فيضعون كذلك هذه الاقدام داخل البوابيج مع هذه البوابيـج التي لها ما لخفافنا من آذان وزوائد وثقوب تمكـن من ربطها بالارجل ، وهذه البوابيج ليس لها سـوى نعل خفيف مع حرمانها من الكعوب » ويرى المؤلـف ذاته (ص 213) ان النسـاء بصورة عامة يدرجـن حافيات الاقدام اثناء موسم الصيف ، اما فى الشتـاء فيلبسن البوابيج المصنوعة على وجه التقريب علـى هيئة بوابيج الرجال » (2) .

ويذكـر Von Richter فى كتـابـه (Wallfahrten in morgenlande, pag. 263) بوابيج النساء الحلبيات ، ويفسر هـذه (paputschen) الكلمة بكونها (pantoufles) ويبدو أن البوابيج باقية الاستعمال ايضا فى اليمن ذلك لاننا نقرأ فى هذا الكتاب :

Voyage de l'Arabie Heureuse (Amsterdam, 1716, pag. 208)

---

(1) «يلك» (اي ثوب) يلتصق عند الحرقفتين ... ثـم ينسدل الى القدمين ، وهذا الرداء مقور بحيث أنـه لا يغطي النحر ، ولا يثبته فى مكانه الا القميص وهو يحوي ازرارا من امامه يتلو بعضها بعضا من فوق الى ما تحت الحزام ، ويكون مفتوحا من الجانبين من ابتداء الحرقفتين ، والكمان يلاصقـان الذراعين ثم يذهبان متسعين شيئا فشيئا مـن الكوع ، ويهبطان حتـى يعادلا اسفل الثوب ، وقد ينتهيان عند المعصمين (سعد الخادم ، الازياء الشعبية ، المكتبـة الثقافيـة (49) ص 24 ، (1961) كما أن « اليلك » لم يبق بطول « اليلك » الذيكان شائع الاستعمال من قبل ، اذ اصبـح كمـاه منتهيين عند المعصمين ، ولم يعد مقورا على الصدر بل صار يزرر فوق هذا الجزء من الجسـم ويلتقي به كما فى ثياب الاوروبيات . ص 26 — المرجع السابـق .

(2) ويقوم المزد فى اقدام النساء مقام الجوارب لانهن يقينه باقدامهن فى اثناء جلوسهن علـى الدواويـن والسجاجيد ، اما اذا اردن السير فى مكان آخرفانهن يلبسـن من الاحذيـة نوعا يقال لـه البابوج ، وهو حذاء من الجلد الاصفر طرفه دقيق ملتف الى فوق — سعد الخادم — الازياء الشعبية — المكتبة الثقافيـة — ص 25 .

ان ملك اليمن كانت ساقاه وقدماه عارية الا من بابوج على الطريقة التركية » .

ومدينة الجزائر تختلف بوابيجها عن تلك البوابيج التي يستعملها البدو . وذلك بعدم وجود آذان وزوائد وثقوب لديها فهي من حيث النتيجة لا يمكن شدهــا وربطهــا .

ويقول دارڤيو D'Arvieux في كتابه مذكرات، ج5، ص281 (Mémoires, tom. V, pag. 281) عن مغاربة هذه المدينة « انهم يمشون حفاة الاقدام عراة السيقان ولا احذية لهم الا البوابيج التي هي احذية مسطحة مسمرة تحت الاعقاب ؛ ولا آذان لها ولا زوائد مثل اخفافناومداساتنا « nos pantoufles » ويتحدث بيدوديسان اولون Pidou de St-Olon في كتابه الحالة الراهنة في امبراطورية مراكش ، ص90 (The present state of the Empire of Morocco, pag. 90) عن البوابيج التي يلبسها المراكشيون . راجع ايضا الكتاب المعنون : رحلة لافتداء الاسرى ، ص 50 (Voyage for the Redemption of Captives, pag. 50) ويظهر ان البوابيج في مصر كانت تلبس قديما من قبل الرجال ، ايام الحملة الفرنسية ، وان الكونت دي شابرول M. le Comte de Chabrol في كتابه وصف مصر ، ج 18 ، ص 109 (La description de l'Egypte, tom. XVIII, pag. 109) يزودنا في هذا الموضوع بالتفاصيل التالية : « ان الحذاء — — — يتألف قبل كل شيء من mest — — — (مز) ثم من بابوش Babouch من Sarmeh (راجع كلمة سرموجه) . نريد ان نتحدث عن الخفاف المصنوعة من الجلود المراكشية التي يضع المغاربة اقدامهم فيها مدرجة في (المز) . ولدى دخول هؤلاء في شقة مفروشة بالسجاجيد فانهم يخلعون بوابيجهم وكذلك السرمه : تأدبا واحتشاما».

وفي ايامنا هذه يبدو ان النساء القاهريات وحدهن قد ظللن لابسات هذه البوابيج : انهن يلبسنها في بيوتهن حين لا يدرجن على السجاجيد ، وبوابيجهن هذه مدببة كثيرا ومصنوعة من الجلد المراكشي الاصفر (راجع : لين ، المصريون المحدثون، ص 60

(M. Lane, Modern Egyptians, tom. I, pa. 60)

على ان النساءابرحن يستعملن هذاالحذاء لدى خروجهن من منازلهم . (المرجع السابق . ص 63) . ولعل هذا النوع من الخفاف كان مستعملا لدى نساء مصر في القرن السادس عشر ذلك لاننا على الاقل نقرأ في هذا الكتاب (ملاحظات بلون ، ص 234 (Observations de Belon, pag. 234) ان النساء في مصر يلبسن ايضا البواتين المحددة (1) الكعوب على الطريقة التركية (Des bottines ferrées par le talon) وليست المسألة هنا هي مسألة خف ، ذلك لان هذا النوع من الخفاف لم يصل الى علمي انه محدد الكعب (مسمر) .

ويلفظ اهل مصر هذه الكلمة على هذه الصورة (بابوج) ذلك لان لين M. Lane يكتب Babog ولدى هذا المؤلف يمثل الحرف G اللاتيني الحرف (ج) العربي (2 ، 3 ، 4) .

بــاروة جمعهــا بــاروات

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

وان الكلمة اسبانية Alpagarte التي تدل على (صندل) نعل محبل ، مصنوع من القنب أو من الحلفاء مشتقة ، على راي احد كبار علماء اللغة العربية وهو دييجو دي أوريا (الكنز ، مدريد ، 1611) Diego de Urrea (apud Cabarruvias, Tesoro, Madrid, 1611) من كلمة قرق العربية ، الكلمة التي لا وجود لها في قواميسنا ، ولكنها الكلمة التي نجد مثيلها في الكلمة الاسبانية Alcoraque

للوهلة الاولى تبدو هذه النظرة من التفاهة بمكان ، ومع ذلك فهي الحقيقة التي لا يأتيها الباطل

---

(1) ذات مسامير .

(2) يبدو أن العكس هو الصحيح . فالمصريون يلفظون الجيم العربي ج . فـ (ج) يقابل لديهم G اللاتيني ويلفظون البابوج (بابوج) تماما كما كتبها مستر لين (Babog) . المترجم .

(3) لا يلبس المسلمون عامة الجوارب ، ولكن أصحاب اليسار منهم يستعيضون عنها بشيء من الجلد الاصفر يسمونه المزد — سعد الخادم ، الازياء الشعبية ، المكتبة الثقافية ، ص 29 .

(4) ويندر ان يكون لبنت الغني نعل تمشي فيه، فان اتفق فمركوب يسمى الصرمة تلبسه المراة عند خروجها من البيت لزيارة جارتها — المرجع السابق .

لا من بين يديها ولا من خلفها : فكلمة ترق جمعهـا ترقات ، ولما كانت الكلمة (ترق) تشكل زوجا ، فـان المسيحيين قالوا El-par-korkat ومن هذا المنطلق تشكلت بعدئذ كلمة Alpargate . وان عـرب اسبانيا كما بوسعنا ان نتصور ، لم يستطيعـوا ان يتعرفوا على (ترق) فهـم مـن كلمة Alpargate صنعـوا بـاروة وجمعهـا بـاروات . ويفسـر Pedro de Alcala فى كتابه (مفردات اسبانية — عربية) (Vocabulario Español Arábigo) كلمة Alcoraque بأنها باروة . وجمعها باروات . على ان هذا اللغوي يعطي نفس هذه الكلمة العربيـة ترجمـة للكلمـة الاسبانيـة Alpargate (راجع المؤلف نفسه فى كلمتي (Calçada Caçado) ويترجم (الكنز) Cobarruvias (Tesoro) كلمة Alpargate بأنها حذاء مصنوع من الحبال ، يستعمله المغاربة كثيـرا (Los Moriscos)

بـت وبتـات

يرى الجوهري (ج 1 ، مخ 85 ، ص 105) كما يرى القاموس (ط. كلكتـا ، ص 174) ان (البت الطيلسان من خز ونحوه) ، ويورد الجوهري بهـذا الصدد الابيات التالية ، التي قيلت فى ثوب من نظـم احد المتصوفة ، والتي صاغها فى لغة صوفية (وقـال فى كساء من صوف) :

(الرجز)

من يـك ذا بت فهـذا بتـي
مقيـظ مصيـف مشتـي
نسجته مـن نعجات سـت

ولا يخالجني ادنى شك فى ان هـذه النعجـات الست ترمز الى الدرجات الست التي يتألف منهـا التصوف ، كما يرى بعـض العارفيـن . راجـع :
(M. Tholuck, sufismus sive Theophia Persarum Pantheistica, pag. 329)

يبدو من هذه العبارة اذا ان بوسعنا ان نخلص الى ان البت كان من صوف أو من اديم نعجة . والواقـع اننا نقرا فى (Observations de Belon, pag. 411) ان : « الشارة التي كان يلبسها الدراويش لاظهـار أنهم من اتباع دين محمد هي جلد نعجة على اكتافهم: ولا يلبسون لباسا الا ان يكون جلدا واحدا لنعجة او لكبش هذا الى اتخاذ شيء يستر المواضع المخجلة (العروة) » . وبوسعنا الوقوف على التفصيلات لدى Rauwolf فى كتابه :
(Aigentliche Beschreibung der Raysz, pag. 149)

بجـاد

اننا نقرا لدى الجوهـري (ج1 ، مخ 85 ، ص 193) : البجاد كساء مخطط من اكسية الاعـراب ومنه ذو البجادين واسمه عبد الله . ونجد كذلـك فى القاموس (ط كلكتـا ، ص 341) : وككتـاب كساء مخطط ومنه عبد الله ذو البجادين دليل النبي صلـى الله عليه وسلم . ويقول كذلك التبريزي فى شرحـه للحماسة ص 643: كساء مخطط من اكسية الاعراب. (راجع كذلـك :
(Abou-L-ala, apud Reiske ad Tarafam, pag. 62)
ولما كانت المعلومات التي ادلى بها العرب حول هذه الكلمة شحيحة للغاية ، ونظرا لانني لم اصادف هذه الكلمة بذاتي فى نص بوسعه ان يلقي نورا اسطـع على معنى هذه الكلمة الحقيقي ، فليـس بوسعي ان اقول اكثر من ان الكلمة التي تعني كساء مخططا من تلك الاكسية التي يرتديهـا البداة ، وان عبد الله ابـا الرسول كان يرتدي بجادين ، فسمي بذي البجادين .

بخنـق

يقـول الجوهـري (ج 2 ، م85 ، ص 109) والفيروز ابادي (القاموس ، ط كلكتا ص 1246) ، البخنق : خرقة تتقنع بها الجارية فتشد طرفيها تحت حنكها لتقي الخمار من الدهن والدهن من الغبار . وفى عهدي المقريزي : (وصف مصر ، ج 2 ، مخ 272 ، ص 258 .
(Description de l'Egypte, tom. 11, man. 372, pag. 358)
يبدو ان البخنق كان يدل على نفس الشيء الـذي نسميه الآن طاقية ، لان هذا المؤلف فى المادة المعنونة: سوق البخانقيين لا يمنحنا من تفصيلات الا عـن الطاقية . وسنجد هذه المادة موسعة ، وهي ممتعـة للغاية ، مع ترجمة وتعليقات ، فى موضوع الطاقية . ولذلك اكتفي الآن هنا بملاحظـة وجـوب اضافـة جمع بخنق : بخانق الى القاموس . واذا آمنـا بما يقوله M. Freytag فـان كلمة بخنـق تشيـر كذلـك الـى :

1 — خرقة توضع على رؤوس الاطفـال لتقيهم من البـرد .

2 — خمار صغير للمراة ، برقع أو برنس ولكن من حجم صغير .

ويقول المتنبي :

يقتل العاجز الجبان وقد يعجز
عن قطع بخنق المولود (1).

بدرية

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ولكن استنادا الى تقرير الكابتن ليون Lyon في كتابه : (اسفار في افريقيا الشمالية ، ص 6 (Travels in Northern Africa, pag. 6) ان كلمة بدرية تشير في طرابلس في افريقيا الى صدرية مطرزة محرومة من الردنين .

بدن

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس ، بوصفها تشير الى ثوب قصير معدوم الكمين . ولكننا نقرا لدى ابن بطوطة : الرحلة، مخ دي كايانكوس،ص158 (Voyage, man, de M. Gayangos, fol. 158 « واهل مكة لهم ظرف ونظافة في الملابس واكثر لباسهم البياض فترى من ثيابهم أبدانا ناصعة ساطعة » .
(Reisko, pag. 61-62)

راجع كذلك المقريزي ، تاريخ اسبانيا ، مخ غوته ص 577
(Histoire d'Espagne, man. de Gotha, fol. 577)

وراجع ايضا برخات Burckhardt
(اسفار في البلاد العربية ، ج 1 ص 355)
(Travels in Arabia, tom. I, pag. 355)
وهو يتحدث عن سكان مكة وجدة : « ان ثياب اشخاص الطبقة الوسطى التي يرتدونها نظيفة تصنع في الاغلب الاعم من الشاش الموصلي الهندي الابيض. دون أن تكون مبطنة بأية بطانة وتدعى بدنا . وهي تختلف عن الانتاري التي ترتدي في المشرق عادة بكونهاغايةفيالقصر ولا اكمام لها، وتكون كذلك علىوجه العموم أقل حرارة ، ويعلمنا الرحالة بعد ذلك (ص 336) ان الرجال عادة لا يرتدون البدن الا في الشتاء، وهو مصنوع من خام الهند المخطط ، ويلبسونه بدون حزام . ونقرا في مكان آخر (ج 2 ص 242) البدن لا يلبس في المدينة الا نادرا . وهذا اللباس الخاص بالجزيرة العربية يبدو انه لم يتجاوز حدود هذه البقعة.

برجد

ان هذه الكلمة تشير الى كساء مخطط وغليظ « يقول الجوهري (ج 1 ، مخ 85 ، ص 194) كما يقول القاموس (ط كلكتا ، ص 344) : البرجد كساء غليظ . ويشبه طرفة في البيت الثامن من معلقته الطريق التي ارتادها بالطرف النهائي من برجد (كأنه ظهر برجد (2) وبوسعنا ان نرى تعليق العلامة (Reiske, pag. 61-62) على هذا الكلام . اذ يقول الشارح بهذا الصدد : البرجد كساء فيه خطوط .

تاج

ان كلمة تاج بما تعنيه الكلمة الفرنسية couronne غير داخلة في موضوعنا . ولكن لفظة تاج لدى الفرس تنطبق على نوع خاص من أغطية الراس للزينة . كما اننا نصادف كذلك هذه الكلمة بهذا المعنى لدى الكتاب العرب المحدثين .

فحسب راي الدمشقي Al-dimischki المترجم من قبل Rasmuseen في كتابه الموسوم (الحوليات الاسلامية Annales Islamismi, pag. 130 وطبقا لقول ريتشاردسون Richardson في كلمة تاج ، واخذا براي M. Hammer-Purgstall في كتابه Geschichte des Osman. Reiches, tom. II نستخلص بأن Haider هو الذي اتخذ التاج (وهي طاقية من النسيج الاحمر) لنفسه أو لانصاره . ولكن ميلا مع راي Oléarius في كتاب Voyages en Moscovie, Tartarie et Perse, pag. 814 ومع Kaempfer في كتابه

(1) يقول عبد الرحمان البرقوقي في شرحه لديوان المتنبي بصدد هذا البيت : البخنق خرقة تقنع بها الرأس وتشد تحت الحنك (المترجم) .

(2) البيت المشار اليه هو :

أمون كألواح الاران نصأتها — على لاحب كأنه ظهر برجد

أما البيت الذي يسبقه فهو في وصف ناقته :

واني لامضي الهم عند احتضاره — بعوجاء مرقال تروح وتغتدي (المترجم)

ومع Amoenitates exoticae, pag. 70-71 Malcolm في كتابه History of Persia, tom I, pag. 503 نرى أن ابن حيدر شاه اسماعيل -، هو الذي تبنى التاج . وقد ورد ذكر البيريه béret, berrtton في رحلة

Viagg, tom. I della Persia, pag. 160, Pietro della Valle

البيريه الحمراء التي اسمها تاج ؛ وهي تقابل الكلمة الفرنسية Taj ويلبسها جنود الميليشيا ou couronne ولكنهم لا يضعونها على رؤوسهم الا في الحالات النادرة ؛ وفي الاحتفالات الرسمية فقط . يقول Oléarius (ص 813) واصفا التيجان : « انها طاقيات حمراء مشغولة من اثنتي عشرة طية او ثنية ، وهي تكاد تشبه كل الشبه شكل القناني التي يستعملها سكان اقليمي Languedoc, Provence التي لها بطن مسطح وعنق غاية في الطول والضيق » ويتحدث بعد ذلك (ص 814) عن الطاقيات الحمراء ذوات الطيات الاثنتي عشرة تخليدا لذكرى اوليائهم او تديسيهم الاثنى عشر » . واليكم ما نقرا في كتاب Kaempfer (ص 44) : ان الـ Taadsj طاقية عالية ، لها هيئة خاصة ، وهو يستعمل في بلاط فارس . وبه يتوج الملك نفسه ، كما سبق أن قلنا ، أما اعيان المملكة فانهم يتزينون به في اعظم الاعياد الرسمية ، بحضور الملك ، وهو منسوج من الصوف المكفت بالذهب ، وتحيط به صنوف من المجوهرات والاحجار الكريمة . ولهذا السبب سماه التوم . Tadsji tomàr تاج تومار ، وهذا المعنى لتومار اوطومور يجب ان يضاف الى المعاجم الفارسية ومعنى ذلك Pileus circumligatus لاجل تمييزه عن تاج آخر أشد بساطة منه ، وهو مستعمل لدى النخبة الممتازة من ميليشيا القبيلة التركية (التي سنتحدث عنها قريبا) ولدى الـ Sopi او Jescauli وهذا يعني الـ Atrienses او اكبر حراس القصر الداخلي للملك : وهو احمر ولا زينة له . ودونكم شكله : انه ضيق من الجبهة ولكنه يأخذ في الارتفاع ويمعن في الاتساع ، هو من الاعلى مسطح ولكنه مؤلف من اثنتي عشرة طية ، حسب عدد الاولياء ، ويعلو في وسط تمته شبه ساق ex cujus medio stylus erigitur ضيق صلب له طول شبر .

ويتحدث Kaempfer (ص 341) في عبارة اخرى من كتابه الجميل عن عرف خاص يستعمل فيه التاج . وهاكم كلمات الرحالة : « بحكم الانتظار حظيت مرتين برؤية منح التاج الذي يشبه التاج الاسقفي (الطابية) لمن يدعون لدينا la mitre aulique des Sophis (Mitram Sophorum aulican)

أما مواطنونا فتسمى لديهم هذه العملية : منح وسام الفروسية الفارسي . وقد ادخل شابان في القاعة الثانية : وكان الاول يطمع في احراز رتبة ادارة القصر الملكي في مدينة كسكير ؛ اما الآخر فيطمع في ادارة مماثلة . وهذان المنصبان يتطلبان مديرا حائزا على الانتساب الى تلك الطبقة . ولما عرض اعتماد الدولة رغبتهما وقف كل منهما جامدا في مكانه الى ان فرغ الملك من تأملهما مليا والرضاء عن سمت كل منهما فانتهى الى استجابة طلبيهما . وبعد ذلك خرج من القصر (صحبت يساول باشي) رئيس حراس القصر فبادل عمامته بتيجان جماعة الـ Sophis وكان هذا الرئيس يأتي في الدرجة الثانية بعد الماريشال . ولدى رجوعه أمر المرشحين أن ينبطحا على بطنيهما ، وان يمد كل منهما ذراعيه حتى فخذيه . وانتظر بعد ذلك طويلا ، وظهر ، بظهر الرجل الخطير ، وهو رافع عصاه طوال الوقت . وطال انتظاره كثيرا للاشارة التي سيشير بها الملك براسه، لان الملك كان منغمسا في حديث مع عظماء المملكة ولما حصل اخيرا على هذه الاشارة ضرب قفا كل منهما ضربا شديدا ثلاث عصي ، كل ذلك وهو يتمتم ببعض العبارات . وعلى هذه الشاكلة قبلهما في سلك الـ Sophis ومنذ تلك اللحظة سمح لهما بتزيين راسيهما برمز ذلك السلك وان يشرئب كل منهما بعنقه باسم صاحب الجلالة الى كافة انواع الوظائف كل حسب استحقاقه . بعدئذ انتصب كل منهما على ركبتيه ، وقد اعتمر راسه بالزينة ، واظهارا منهما للاحترام والاعتراف بالجميل ، قبلا عصا من ضربهما بالعصا . ثم قلد الشخص نفسه كلا منهما خنجرا ، وانصرفا بعد ان اشبعا رغبتيهما .

ومضى على هذه العملية بعض الوقت فنودي على جنديين من الجنود ، وقد تشفع لهما الماريشال ، ليحلا محل اثنين من الـ Sophis او حرس قصر الملك اللذين انتقلا الى رحمة الله . وجرت المراسيم على نفس الشاكلة في البهو السفلي . وبعد انتهاء هذه العملية استعاد كل من الرجلين سلاحه الذي اودعه على أمل التبديل السريع لخوذته بالطاقية النبيلة - ويخيل الي أن في العبارة التالية من تاريخ مصر لمؤلفه ابن اياس اشارة الى عادة مماثلة.

فاننا نقــرأ فى هذا الكتــاب (مخ 367 ، ص 149 ، حوادث عام 803) : « نزل من القلعة هو وبقيـــة النواب واخذوا فى رقابهم مناديل وتوجهوا الـــــى تمرلنك يطلبون منه الامان . فلما تمثلوا بين يديه خلع عليهم اقبية مخمل احمر والبسهم تيجانا مذهبـــة » .

راجع كذلك ابا الفداء فى كتابه (الحوليـــات الاســـــلامــيـــــة ، ج 2 ، ص 179) (Annales Muslemici, tom. II, pag. 179) واذاآمنابما يقوله مؤرخ ارمني هو Tschamtschean فى كتابه (apud Petermann Chrestomathia Armeniaca, pag. 11)

فان هذه العادة ترقى الى عهـد سحـيق عتيـق ، وكانت تمارس فى عهد آرام ونينوس . فنحن نقرأ فى هذا الكتاب : «فمنحه تاجا مرصعا بالجواهر والاحجـار يزين به راسـه ، وكانت هذه المنحة فى ذلك العصـر دلالة على اعلى درجات المجد والفخار (1).

جُبــة وفى اللهجة المصرية جِبــة

اننا نجد فى صحيح البخاري (ج 2 ، مخ 256 ، ورقة 167) بابين عنوان الاول منهما : « باب ــــن لبس جبة ضيقـــة الكميـــن فى السفــر ــ ــ ــ ــ انطلق النبي صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم اقبـل نتلقيته بماء فتوضأ وغسل فى جبة شامية فمضمـض واستنشق وغسل وجهه فذهب يخرج يديه من كميـه فكانا ضيقتين ، فأخرج يديه من تحت الجبة فغسلهـا ومسح يديه براسه وعلى خفيه . كما نجد فى باب لبس جبة الصوف فى الغزو ــ ــ ــ ــ قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فى سفر فقال : أمعك ماء ؟ قلت : نعم ! . فنزل عن راحلته فمشى حتـى توارى عني فى سواد الليل . ثم جاء فافرغت عليـه الاداوة فغسل وجهه ويديه وعليه جبة من صـوف فلم يستطع ان يخرج ذراعيه منها حتـى اخرجها مـن اسفل الجبة فغسل ذراعيه ثم مسح براسه . ثـم اهويت لانزع خفيه فقال : دعهما فاني ادخلتهمـا طاهرتيـن فمسح عليهما ــ والحديث الاخير يرويه عـروة بن المغيـرة .

وقد ورد فى مجمع الانهـر (ط. القسطنطينية ، ج 2 ، ص 258) : « روي أن النبي عليه السـلام لبس جبـة مكفوفة بالحرير ».

ان هذه العبارات ترقى الى العهود الاسلاميـة الاولى ، ولكن قبل ان نضرب فى شعاب هذا البحث ، لا يبدو لي امرا عقيما ان الاحظ أن الجبة من حيث هيئتها تشابه قليـلا او كثيـرا ارديتنـا الليليـة Nos robes de chambre ولكن طراز العصر السائد قد غير من طولها ومن نوع نسيجها ، الخ..

ولنبدأ بسوريا . ولما كان كوتوفيك Cotovic قد قال فى كتابه (الرحلة Itinerarium ص 485) فى معرض حديث عن ثياب الشرقيين بصورة عامة : « ان الثوب التحتاني المسمى عادة جبة Juba الذي يبطنه معظم القوم ببطانة من القطن ، يلبسـه بعضهم مسبلا حتـى الاقدام ، ويرتديه بعضهـم مسبلا حتى منتصف الساقين ، فى حين انه من الجهة الخلفية اقصر قليلا من جهته الاماميـة » فاننـا لا يخالجنا اي ريب فى ان العبارة التاليـة للمؤلـف Ranwolf تمس اللباس الذي نتحدث عنـه الآن . فان هذا الرحالة يقرر ، فى معرض حديثه عـن سكان طرابلـس سوريـة فى كتابـه (ص 49 (Aigentliche beschreibung der Raysz « وتحـت هذا القباء يلبسون ايضا ثوبا آخر ــ ــ مصنوعا من الجوخ ، هو فى العادة ازرق اللون ، لا سيما لـدى الجنود ، وهو اقصر من الجهة الامامية منـه مـن الجهة الخلفية ، وله « كمان » واسعان ، علـى انه محروم من الياقة » ويقول : Cotovic فى كتابه المذكور القيم (Loco Laudato) انـه (Collarüscaret) وارى ان عبارة داندينـي Dandini التالية فىكتابه (ص40)،سفر فى جبل لبنان (Voyage du mont Liban) وهو يتكلم ايضا عـن سكان طرابلـس سوريـة ، تخص كذلك الجبة . قـال : « ان لهـم سترتيـن . السترة التحتانية وهي الجلباب مع حزام » اما السترة الفوقانية فهي العبارة) . ويذكر von Richter فى كتابه (ص 123 (Wallbahrten in Morgenlande من بين الالبسة التي اقتناها ، لاجل ان يمضي مـن بيروت الى قلب سوريـا : « جبـة حمـراء

(1) ان كلمة تاج تعني كذلك نوعا من عمارة الراس الذي تحمله النساء العربيات والـذي نستطيـع ان نراجع بشأنه مراجعة مثمرة ليـن M. Lane فى كتابه (الف ليلـة وليلـة ، ج 1 ، ص 424 ، الترجمة الانكليزية the Thousand and one Nights, tom. I, pag. 424 وبهذا المعنى نصادف هذه الكلمة فى (Les Extraits du Roman d'Antar) مقتبسات من قصة عنترة العبسي .

Dshübbeh rouge وهي عبارة عن redingote) بلا بطانـــة) .

أما فى مصر فقد كانت الجبة كذلك مستعملة ؛ وما برح المصريون يرتدون هذا اللباس حتى فى ايامنا هذه . فنحن نقرأ لدى النويري (تاريخ مصر ؛ مخ 2 ص 32) : وكانت الخلعة جبة عتابي (1) حمرا وفوقها فرجية. كما نقرأ لدى ابن اياس (تاريخ مصر؛ مخ 367 ص 281) : وكان السلطان لابس (كذا) جبة صـــوف أبيض . وهذه الكلمات نفسها موجودة بعد ذلـــك (ص 288) . وفى كتاب الف ليلة وليلة (ط Habicht ج 3 ص 126) نرى وصف جبـــة صياد فقيـــر علـــى هذه الصورة : جبة فيها مائة رقعة من الصـــوف الخشن وفيها من القمل المذنب . ولا ريب ان الموضوع هو موضوع الجبة فى العبـــارة التاليـــة للرحالـــة Hellbrich فى كتـــابـــه المعنـــون : (ص 292 Kurtzer und wahrhabtiger Bericht von der Reysz فان هذا الجوابة يعرب عن نفسه بهـــذه الكلمات : « ان هؤلاء القوم بدلا من سترة القرون الوسطـــى (Eines Wammes) يرتدون سترة طويلة (Leibrock) هي أقصر قليلا من الجهة الامامية منها من الجهـــة الخلفية ، وهي مصنوعة من الجوخ الاحمر أو الازرق أو السنجابـــي » .

ويصف الكونت دي شابرول فى كتابه (وصـــف مصر ، ج 18 ، ص 108) على هذا المنوال الجبـــة فيقول : « الجبة هي رداء آخر مفتوح كذلك ، ويوضع فوق الرداء الاول وهو القفطان .

وكما الجبة قصيران بالنسبة لكمي القفطان . وتبطن الجبة فى الشتاء ببطانة من الفرو » .

ونقرأ فى كتاب الفه لين (المصريون المحدثون ، ج 1 ص 41 ، كما نقرأ فى ترجمته لالف ليلة وليلة ، ج أ ؛ ص 485) : « ان الرداء الاعتيادي الفوقانـــي هو قباء طويل من الجوخ الملون كيفما اتفق ، ويسمى الاتراك هذا القباء الجبة jubbeh ؛ ويسميـــه اللغويون gibbeh ولا يصل كما صحهذاالقباء حتى المعصم » . ويسمي لين الجبة ثوبـــا فوقانيـــا بالنسبة للقفطان الذي يلبس تحت الجبة La djibbah ومع ذلك فالقوم يرتدون كذلك فوق الجبة اما بنيشا واما فرجية واما عباءة . وبوسعنا رؤية هيئة الجبـــة فى كتاب (المصريـــون المحدثـــون ؛ ج 1 ، ص 40 (الشخص الوسطي) .

ويجب علي قبل ان اغادر مصر ان الاحظ كذلك ان جبة رهبان القديس انطوان ، كانت تختلف اختلافا جوهريا عن الجبة المصرية من حيث انها لم تكـــن مفتوحة من الجهة الاماميـــة . ويعـــد vansleb بين ثياب هؤلاء الرهبان اثنتين من الجباب أو الجلابيب الصوفية السنجابية اللون، المخيطتين خياطة غليظـــة عدا كونهما غير مفتوحتين من الجهـــة الاماميـــة » راجع(ص207
(Nouvelle Relation d'un voyage fait en Egypte
وكانت الجبة فى القديـــم مستعملة كذلك فى مملكـــة مراكش ، ذلك لان مؤلف تاريخ المرابطين والموحديـــن فى كتابه الموسوم بالحلل الموشية (مخ 24 ، ص 9) يعد بين الهدايا الممنوحة من قبل الامير يوسف بـــن تاشفين لعمه ابي بكر بن عمر خمسين جبة اشكرلاط ملف رفيع (2) ولكنني اكاد اجزم أن هذا اللباس لـــم

---

(1) راجع حول كلمة عتابي مسيو كاترمير (تاريخالسلاطين المماليـــك ج 1 ق 1 ص 241 وج 2 ق 1 ص 7 . لتـــرى ان هذا القماش قد استعـــاراسمه من اسم شارع فى بغداد ، كما لاحظ ذلـــك M. Gayangos فى كتـــابـــه تاريـــخالسلالات المحمدية فى اسبانيا ، ج 1 ص 258 .

(2) ان كلمة ملف بكسر الميم وفتح اللام التـــيربما كان يلفظها اللافظون-(ملف) بسكون اللام ولكـــن التي تلفظ هذا اليوم (ملف) تشير فى اسبانيا الىالجوخ ، وحتى فى ايامنا هذه ما زالت تشير فى بـــلاد البربر الى نفس النوع من هذا القماش (راجعص 269 Höst (Nachrichten von Marokos فانه يقول ان (ملف انجليس) يعني الجوخ الانكليزي،و(ملف فلمنك) تعني الجوخ الفلمنكي (الهولنـــدي) ، ويتـــرجـــم Dombay فى كتـــابـــــهص 83 (Gramm. ling. Mauro-Arábica) كلمة ملف الى Pannus وحسب تقرير القبطـــان Lyon فى كتابه (ص 315 (Travels in Northen Africa) فان كلمة melf تعني فى سخنة (الجوخ) . ونقرأ فى رحلةابن بطوطة (مخ Gayangos ص 128) : وتكسى باللبد أو الملف ، وفى مكان آخر (ص 151) : وفيهـــاكرسي كبير مبطن بالملف يجلس فوقـــه قاضيهـــم . وبعد ذلك (ص 152) : فرايت شيخا حسن الوجـــهواللمة عليه لباس الرهبان وهو الملـــف الاسود (فى القسطنطينية) . وفى نفس المرجع : شقة ملف من عمل (تتمة التعليق فى الصفحة التالية)

يكن يرتديه عرب هذا القطر ، منذ القرن الخامس عشر حتى ايامنا هذه . وما زالت الجبة مستعملة لدى نساء مدينة الجزائر ومدينة تونس (راجع Panante فى كتابه رحلة Viagge ج 2 ، ص 1 ، من الترجمة الهولندية) .

وكانت الجبة مستعملة فى اسبانيا ، واليكم ما نقرأ لدى المقري (تاريخ اسبانيا ، مخ Gotha ص 373) وراى ان بليوا فى الفصل الذي بين الحر والبرد المسمى عندهم الربيع من مصبغهم جباب الخز والملحم والمحرر — هذا راى الموسيقار الشهير زرياب ، الذي قدم الى اسبانيا فى ايام حكم عبد الرحمن الثاني (1) .

ويقول Pierre Martyr فى قصة سفارته الى مصر ، خلال عام 1501 ، الموجهة الى فرديناند وايزابيلا ، (ص 104 (Legatio Babylonica

« ان ثياب القوم هنا الفوقانية تختلف قليلا عن ثياب غرناطييكم التي يسمونها Algiubbas ويسميها الاسبان Morlotas

تستعمل الجبة كذلك فى الجزيرة . راجع Buckingham (ج 6 ، ص 343 Travels in Mesopotamia الذي كتبها Jubba

وحتى فى ايامنا هذه فان الجبة تستعمل فى مكة، ويرتدي الناس هذا الرداء فوق البدن ، وهي مصنوعة من الجوخ الخفيف ، أو من نسيج الحرير الهندي ، وفى ايام الحر اللاهبة لا يرتديها الناس قط ، ولكنهم يطرحونها على الاكتاف . راجع Burckhardt فـي كتابه ص 225 و 226 ، ج 1 Travel in Arabia . وفى المدينة حيث الفقراء ايضا يرتدون هذا الرداء فان الجبة مصنوعة من الجوخ . (المرجع السابق ، ج 2 ص 242) .

البنات وهو اجود انواعه . وفى موضع آخر (ص 155)قد كسيت حيطانها بالملف الملون . وبعد ذلك (ص 286) : عليهم جباب الملف الحمر . واخيرا (ص 285)ستور ملف . ويترجم Pedro de Alcala فى كتابه المعنون (Vocabulario Español Arábigo) كلمة Orilla de paño بـ (حاشية الملف)

ونقرأ فى معجم السير لابن الخطيب (مخ كايانكوس ،ص 32) الخبر التالي : اشترى ملفا قبلها فانتقصت كما يجري فى ذلك ندرعها بعد البل فوجدها انتقصتفطلب بذلك بائع الملف فأخذ يبين له سبب ذلك فلم يفهم .

ويلاحظ ان ابن الخطيب يستعمل هذه الكلمةبصيغة التانيث ويستعملها ابن بطوطة بصيغة التذكير . ومع ذلك فبوسعنا ان نفترض ان المؤلفحين كتب كلمة (ملف) فكر حينئذ باسم لباس لجنس النساء ، وعلى سبيل المثال فى كلمة جبة ، والواقعان المؤلف نفسه فى موضع آخر (المخ ، ص 14) قد عد بين الاقمشة التي يرتديها الغرناطيون الملفالمصبوغ . وهكذا نرى كلمة ملف فى صيغة التذكير .

وفى مالطة تشير كلمة ملف (Mleff) اليوم الى رداء قرمزي للاطفال : (راجع Vassali فى كتابه مخ 509 ، (Lexicon Melitense

1) يرى Ikna (المخطوطة العربيةلمعهد البلاد المنخفضة الرقم 72 ، الصفحة 64) ان : « الديباج وجمعه الدبابيج سداه ولحمته البرسيموالملحم لحمته غير البرسيم . ويقول (النويري فى معلمته ، مخ 273 ، ص 96) ان مدينة كانت مشهورة بملحها . كما ذكر ملحم خراسان (النويري — تاريخ العباسيين ، مخ 2 ، ص 15) .

ولما كانت كلمة حرير تقابل كلمة soie ، فلا يستبعد ان تشير كلمة محررالى قماش ممزوج بالحرير .

وفى مواضع اخرى تعني كلمة محرر (ان الشىءمصنوع من الحرير . راجع Pedro de Alcala فى كتابه (Vocabulario Español Arábigo) فانه يترجم عبارة Sedeña, cosa de seda بكلمة محرر ، ونحن نقرأ فى كلام لابن سعيد ينقلهالمقري فى (تاريخ اسبانيا مخ Gotha ص40) : ويصنع فى غرناطة ، وبسطة من ثيابالباس المحررة الصنف الذي يعرف بالملبد المختم . اما كلمة المختم التي يستعملها هنا ابن سعيد فانياجدها كذلك مطبقة على الحرير فى عبارة لابن خلدون (تاريخ اسبانيا ، مخ 1350 ، ج 4 ، ص 12) : ومناللباس ثلاثون شقة من الحرير المختم المرقوم بالذهب للباس الخلفاء مختلفة الالوان والصنائع .

(فى باب المرط ان كلمة marlotas هي المرط (المترجم) .

لم نتحدث حتى الآن عن جبة djobbah ou djibbah الرجال ، ويجب علينا الآن أن نقدم بعض التفصيلات عن جبة النساء . يقول لين عن اليلك فى كتابه (المصريون المحدثون ج 1 ص 58) : « ان النساء المترفهات يرتدين جبة من الجوخ ومن المخمل او من الحرير ، وهي عادة مطرزة بالذهب او بالحرير الملون، والفرق الرئيسي بين هذه الجبة وبين جبة الرجال ينحصر انها ليست غاية فى الاتساع ، وهذه الحالة بادية على وجه الخصوص فى الجهة الامامية ، وطولها طول اليلك » (معنى ذلك انها تلامس الارض او انها اطول من ذلك بنحو بوصتين او ثلاث بوصات فهي تكتسي اديم الثرى) وفى الصورة التي يعرضها لين (ج 1 ، ص 57) عن جبة المراة نرى أن كميها يكادان يبلغان حد المعصمين . ولم يمض زمن طويل فى مصر يوم كان كما الجبة لا يصلان حتى الى الساعدين . كما نستطيع ان نرى ذلك فى مصور اوليفيه :(اللوحة المرقمة 26

(Voyage dans l'Empire Othoman, l'Egypte et la Perse

وفى اطلس La description de l'Egypte (ج2اللوحة293)

والواقع اننا نقرا فى بحث مسيو الكونت دي شابرول فى الصنحة 113 ، الجزء 18 من وصفه لمصر : « الجبة رداء يسبل على ثياب اخرى ، وللجبة ردنان غاية فى القصر ، وهي مبطنة بالفراء شتاء ، فهي حينئذ تأخذ اسم وجه فروة ouech faroueh ولعل Landini فى كتاب (رحلة الى جبل لبنان ص48) يتحدث كذلك عن الجبة الخاصة بنساء طرابلس حين يقول : « بدل ما يدعي Spain او abb عبا ، ترتدي النساء جبة اقصر- من جباب الرجال » والحقيقة أن جبة المراة فى الازمنة القديمة تبدو انها كانت كذلك اقصر مما هي عليه الآن ، راجع مصور وصف مصر ، ج 2 اللوحة 266. ويتحدث von Richter فى كتابه (ص 212

(Walbahrten im Morgenlande

عن جبة نساء بدو سوريا Dshübbeh التي هي سادة بلون الشوكولاته » ويضيف قائلا : « ان هذا اللون كذلك عزيز على قلوب الرجال » . اما فى مصر فيبدو أن السيدات كن يرتدين ايضا جبة عصر مارمول ، لانني ارى ان العبارة التالية لهذا المؤلف تشير الى هذا اللباس موضوع البحث (ص 112ج3، (Descripción de Africa : « ان هذه الصايات Las sayas هي هيئة الجباب التركية »

(Aljubas turquescas)

وارى ان المؤلف يضيف ما يضيف لتمييزهن عن الجباب الغرناطية المسبلة حتى الاقدام ، والمعمولة من مختلف انواع الحرير ، او المنسوجة من الذهب او المكفتة به ، وترتدي النساء كذلك الجوخ ذا الاكمام الضيقة المطرزة باسراف بالذهب والحرير » .

مصوع ــ الحبشة)

فى مسافا Massava يلفظ الناس جبة (بكسر الميم) مثلهم مثل اهالي مصر ، وهذا اللباس يصنع فيها من الجوخ الملون

(M. Ruppell, Reise in Abyssinien, tom. I, pag. 200)

والجبة كذلك شائعة الاستعمال بين التركمان . فنحن نقرا لدى فريزر Fraser فى كتابه (Journey into Khorasan, pag. 266) : « عندما يشتد البرد ترتدي النساء فوق ما يرتدين جبابا واردية شبيهة بأردية الرجل ، وهي مصنوعة من نسيج الحرير أو من القطن المخطط » ويضيف الرحالة الى ذلك ملاحظة : « ان الجبة هي رداء واسع فضفاض يلتحف به : وهذه الجبة لها كمان مضغوطان على الرسغين ، ولكنهما واسعان من الجهة العليا ، وهي مفتوحة من الجهة الامامية وواسعة سعة مفرطة بحيث يمكن طيها طيات عديدة حول الجسم . كما يمكن طرح هذه الجهة على الجهة الاخرى . ولهذه الجبة شبه كبير بالبيرونة الفارسية le baronee ولكنها تصنع عادة من الاقمشة الغليظة . والجبة الخراسانية تعمل فى معظم الاحيان من الصوف الاسمر أو الضارب الى الحمرة . وقد تصنع كذلك من وبر البعير . وهي دثار فاخر جدا ، ذلك لان حياكتها المحكمة لا تسمح بسهولة لنفاذ المطر فيها ، وهي تقي صاحبها كثيرا من المطر » وبعد ذلك نقرا : « اما الفقراء من الدركة السفلى فى الاوضاع فيرتدون جبة قصيرة او قميصا من الصوف » ، ونطالع كذلك: « بعضهم يرتدي الزي الوطني التركماني او الاوزبكي

الذي يقتصر على عدة اردية او جبات تعلو الركب قليلا وتربط بحزام ، ـــ ـــ ـــ والقماش الذي تصنع الجبات منه هو امشاج من الحرير والقطن المخططة بخطوط زرقاء وارجوانية وحمراء وخضراء . ـــ ـــ ـــ والاتراك يحافظون على زيهم الخاص محافظة تامة وذلك بارتدائهم فى معظم الحالات الجباب المنسوجة من وبر البعير فوق البستهم التحتانية . » وما تزال الجبة مستعملة لدى من يدعون les Guebres (القرة غين؟) راجع فريز ، المرجع السابق ، ص 22) كما بقي استعمالها لدى الاوزبكيين فى شيوا Chiwa (المرجع السابق ، ص 68) وفى ايامنا هذه يستعمل لدى المصريين هذا المثل : « صقل جبته ونقش لحيته » حين يريدون أن يقولوا ان فلانا قد استعد للقيام باحدى المهمات . راجع (برخارت، الامثال العربية ، ص 367) .

ومن هذه الكلمة العربية جبة استنبط الاسبان Aljuba, jupa, chupa, jubon واشتق البرتغاليون Aljuba واحدث الايطاليون giuppone و giuppa واستحدث الفرنسيون : jupon و jupe

موسوعة الفقه الإسلامي

(للاستاذ مصطفى الزرقا)

يقوم صديقنا الاستاذ الكبير مصطفى الزرقا بالاشراف على عمل ضخم بناء يهدف الى وضع موسوعة للفقه الاسلامي تحت رعاية وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية الكويتية وقد زار السيد الامين العام الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله مكتب الموسوعة بعاصمة الكويت ولمس الجهد العارم المبذول لهذه الغاية من طرف خبير الموسوعة الاستاذ الزرقا وثلة من رفاقه العلماء المحترمين ودار حديث طويل حول الفكرة وامكانيات التعاون مع المكتب الدائم الذي اخذ على عاتقه اصدار معاجم للفقه الاسلامي صدر منها القسم الاول حول الفقه المالكي بالعربية والفرنسية بقلم الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله ، كما صدر جزء من معجم قانوني عام بالعربية والفرنسية واللاتينية .

وقد نوقشت فكرة اخرى يحاول المكتب الدائم تحقيقها واتصل لاجلها منذ نحو سنتين ببعض اساتذة كلية الشريعة بدمشق وهي وضع معلمة عامة للفقه المالكي تعقبها موسوعات فى المذاهب الاخرى يستند فى انجازها على جرد المظان الاساسية وتبويبها وترتيبها على الحروف الابجدية ومقارنتها مع معطيات القانون المعاصر وستكون موسوعة الفقه الاسلامي التي يسهر عليها اخونا الاستاذ الزرقا رائدا ينير السبيل ويمهده . وهاكم بعض المعلومات عن هذا المشروع الموفق :

منشا فكرة الموسوعة :

لما عقد مؤتمر « اسبوع الفقه الاسلامي » فى باريس فى بهو كلية الحقوق من جامعة السوربون اول شهر تموز 1951 بدعوة من لجنة الحقوق الشرقية فى المجمع الدولي للقانون المقارن ، وظهر من المحاضرات التي القيت فى موضوعات شتى من مختلف شعب الحقوق والقانون فى الفقه الاسلامي ما فى هذا الفقه الاصيل المؤثل من ثروة حقوقية ونظريات قانونية خالدة القيمة اتخذ المؤتمر قراره التاريخي الذي من جملة ما جاء فيه ما ترجمته الحرفية كما يلي :

ا) ان مبادىء الفقه الاسلامي لها قيمة «حقوقية تشريعية » لا يمارى فيها .

ب) وان اختلاف المذاهب الفقهية فى هذه المجموعة الحقوقية العظمى ينطوي على ثروة من المفاهيم والمعلومات ومن الاصول الحقوقية ، هي مناط الاعجاب ، وبها يستطيع الفقه الاسلامي ان يستجيب لجميع مطالب الحياة الحديثة والتوفيق بين حاجاتها .

ويامل المؤتمرون فى اسبوع الفقه الاسلامي هذا ان تؤلف لجنة لوضع معجم للفقه الاسلامي يسهل الرجوع الى مؤلفات هذا الفقه ، فيكون موسوعة فقهية تعرض فيها المعلومات الحقوقية الاسلامية وفقا للاساليب الحديثة (انظر المجلة الدولية للحقوق المقارنة — العدد 4 من السنة — 3 — الصادر فى تشرين الاول سنة 1951) . فهذا الامل الذي دعا الى تحقيقه مؤتمر « اسبوع الفقه الاسلامي الاول فى باريس كان هو النواة الاولى لفكرة موسوعة الفقه الاسلامي) التي انشئت لها لاول مرة لجنة خاصة فى كلية الشريعة بجامعة دمشق سنة 1955 .

غايـــة الموسوعـــة :

ان دراسة الحقوق وعلم القانون اليوم تتجـه الى المقارنة بين الشرائع والنظم ليستفيد الاتجـاه التشريعي والاجتهاد القضائي من أحسن النظريـات الحقوقيـة ، واقربهـا الى العدل .

ولاشك ان الفقه الاسلامي الذي هو اغنـى فقه عرفه التاريخ البشري فى امة من الامم هو اولى بالاطلاع عليه والمقارنة به ، ولاسيمـا فى البيئـات العربية التي تربطها به وشيجة النسب ، لانه تراثها المجيد الاصيل العربي الاصول والمنابع ، فضـلا عـن غناه الواسع ، وذلك لكي يمكن اتخـاذه اساسـا للتشريع والاجتهـاد القضائي فى البلاد العربيـة والاسلامية .

ولكن باختلاف الزمن وتطور الاساليب والحاجات الثقافية اصبح فقهنا هذا وما فيه من جوهر نفيـس وعبقريات الاجتهاد ، ونظريات حقوقيـة محكمـة ، ومبادىء قانونية سامية ذات قيمة خالدة ، كل ذلك فيه اصبح محجوبا عن انظار الحقوقيين والمتشرعين بغلاف من اسلوبه وترتيبه القديم ، وعباراته المعقدة فى كثير من كتبه ، وبمراجعه الصعبة المسالك علـى غيـر المتخصصيـن الذين قضوا حياتهم فى حراثته ، ولكن تطور الحياة وحاجاتها وتشعب الثقافة العامـة جعلت الزمن اضيق من ان يسمح لباحث ببذل الجزء الكبير منه فى المراجعة ، وهذا ما يوجب على ابنـاء العربية اليوم تعبيد الطريق الى هذا الفقه العالمـي الضخم الذي اقام نظام العدل فى مشـارق الارض ومغاربها نحو اربعة عشر قرنا ، وواجه الـوان الحضارات وحل جميع مشكلات الحياة بأحسـن الحلول ، واعدل الاحكام ، وأمرن القواعد فى معالجة مشكـلات اختـلاف الزمان والمكان والاعـراف والحاجات ، بمذاهبه الاجتهادية المتعددة .

فغاية الموسوعة صياغة الفقه الاسلامي كمـا هو فى مراجعه الاصلية بأسلوب سهل ، وتبسيـط العبارات المعقدة التي تصادف فيه ، دون ان يدخل الكتاب شيئا من اجتهاداتهم الشخصية ، مع الاشارة الى اختلاف المذاهب والاجتهادات فى كل موطن يكـون فيه ذلك هاما ومفيدا ، ثم ترتيب هذه الاحكـام الفقهيـة الشرعيـة فى الموسوعة ترتيبا ابجديـا على حروف المعجم بحسب الحرف الاول وما يليه من الكلمة العنوانيـة الدالة على الموضوع الفقهي ..

وهذه الموسوعة يقدر لها لتكون وافية كافيـة ان تبلغ ثلاثين مجلدا فأكثر ولاسيما انها ستشتمل على جميع اقسام الفقه من عبادات ومعاملات وجنايـات وعقوبات وقضاء وبينات وسياسة شرعية واحكـام الاسرة المعروفة اليوم باسم « الاحوال الشخصية » من النكاح الى الميـراث وما بينهما .

من هذا التعريف الموجز يتضح ما لفكـرة الموسوعة الفقهية من شأن عظيم وما سيكون لتنفيذها من اثر عالمـي فى عالم التشريع والقانون يجعلها من الاعمال المخلـدة .

وان دولة الكويت التي تبني اليوم نهضتها بجد وسرعة ونشاط هي الجديرة بأن تجعل من هـذا المشروع العلمي الجليل عنوانا مشرقا ومشرفـا لنهضتهـا المباركـة .

معجم الفقه والقانون

اصدر المكتب الدائم القسم الاول من معجم الفقه والقانون وهو جزء من عشرة اجزاء وقد وزع على اوسع نطاق فى العالم العربي واليكم هذا البيان حول المعجم الجديد :

ان جمع المعرب من مصطلحات كل علم وفن المتفرق فى بطون شتى الكتب والمجلات وغيرها من المصادر عمل ضروري لتنسيق التعريب ولتوحيد المصطلحات فى مختلف البلاد العربية ، والغرض من هذا المعجم هو ان يحقق هذا العمل فى الميدان القانوني بجمعه حصيلة ما عرب فى العالم العربي حتى الآن من المصطلحات القانونية الفرنسية واللاتينية . ولبلوغ هذا الغرض عمدنا الى تجريد هذه المصطلحات من معاجم الترجمة والكتب والمجلات وغيرها من المصادر التي بين ايدينا والى ترتيب جزازاتها حسب حروف الفاظها الاعجمية قبل طبعها على الورق المهرق واخراجها فى هذا المعجم الفرنسي — العربي «معجم الفقه والقانون » الذي سنصدر اجزاءه كلها ان شاء الله على شكل هذا الجزء الاول الخاص بحرفي « A » و « B » .

وقد رقمنا المصطلحات العربية والاعجمية ترقيما متسلسلا وذيلنا هذا الجزء بفهرس لمفرداته العربية مرتبة تربيا الفباتيا لنيسر الحصول على مقابلها الفرنسي او اللاتيني وبذلك نجعل ايضا من هذا المعجم الفرنسي — العربي معجما عربيا — فرنسيا الى حد ما .

وميزة هذا المعجم هي انه يضع امام كل مصطلح فرنسي او لاتيني مقابلاته العربية المتعددة اما بسبب الاختلاف فى الترجمة واما بسبب دلالة المصطلح الفرنسي على اكثر من معنى واما للسببين معا . ورأينا لزاما علينا أن نميز بين الفئة الاولى من المصطلحات العربية وبين الفئة الثانية فرمزنا الى الاولى وهي المترادفات بعلامة = ورمزنا الى الثانية وهي المعاني المتعددة بعلامة + وينبغي ان ننبه على اننا لم نعتبر مترادفين مصدر الفعل العربي فى صيغته المتعدى بها الى الغير ومصدره فى صيغة المطاوعة كما يتبين ذلك بوضوح فى المثل التالي الذي نسوقه من أول مصطلح فى هذا المعجم :

1 — خفض=انقاص+انخفاض　　1. — Abaissement

الكلمة الفرنسية هي فى نفس الوقت مصدر لفعل « Abaisser » فى صيغته المتعدى بها الى الغير والتي يعني فيها « خفض » و « انتقص » ومصدره فى صيغته التالية « s'abaisser » صيغة المطاوعة والتي يعني فيها « انخفض » . فاننا لم نعتبر كلمة « انخفاض » مرادفة لكلمة « خفض » وانما اعتبرناها مغايرة لها ولذلك رمزنا الى تباين المعنى بينها وبين « خفض » و « انقاص » بعلامة + بينما رمزنا الى ترادف كلمتي « خفض » و « انقاص » بعلامة = .

ورأينا من الفائدة كذلك أن ننبه على المقابل العربي الوارد فى أكثرمن مصدر فرمزنا اليهبعلامة : × وبهذا الصدد نوضح أن وضعنا مقابلا عربيا واحدا أمام المصطلح الاعجمي لا يعني بأي حال أن ذلك المقابل قد تم الاتفاق عليه فى جميع البلاد العربية ولا وقع عليه حتى اجتماع مصادر هذا المعجم بل على العكس ان وجود مقابل عربي واحد امام المصطلح الاجنبي بدون هذه العلامة يعني انه لم يرد ذكره الا فى مصدر واحد من المصادر التي بين ايدينا والتي ذكرنا اسماءها فى آخر المعجم .

وقد اشرنا بحـرف «ب» الى المصطلحـات البريدية وبحرفي «ف.م.» الى مصطلحات الفقه المالكي وبـ « م.م.» الى مصطلحات النصوص التشريعيـة للملكة المغربية نظرا لما لها من صبغة خاصة ، ولم نشر الى هذه المصادر الا عند انفرادها بمقابل عربـي يختلف عن المقابلات الواردة فى بقية المصادر أو عندما لا يوجد مصطلحه اصلا فى غيرهـا .

ونود ان نشير الى ان مصادر كل جزء من هذا المعجم ستكون اوفر من مصادر سابقه وذلك لاننـا نتوخى استقصاء جميع المعربات القانونية فى مختلف مصادرها ونحرص على الا يفوتنا منها الجديد .

واننا لنرجو من قرائنا الكرام ان يتفضلـوا بارشادنا الى ما قد نكون اغفلناه من المعاجم والكتـب القانونية التي يرونها جديرة بأن تكون من مصادر هذا المعجم القانوني المراد له الاستقراء لنكمل بها مـادة الجزء الثاني والاجزاء الباقية كما نرغب اليهم فى التكرم بابداء الملاحظات والمقترحات التي قد تبدو لهم بشأن المنهاج الذي سلكناه فى اعداد هذا المعجم وسنكـون لصنيعهم مـن الشاكريـن .

وبقي علينا ان نقول ان هذا العمل اللغوي الهام قد امكن انجازه بمساعدة مصلحة التعريب التابعـة لمكتب التسويق والتصدير بالدار البيضاء ويفضـل رجال هذا المكتب الحازمين وعلى رأسهم المدير العـام السيد عبد الوهاب العراقي ونائب المدير العام السيد عبد الرزاق مكوار . وليس هذا المعجم سوى جزء من العمل الضخم الذي يشارك فيه مكتب التسويـق والتصدير مشاركة فعالة الى جانب سائر الهيئـات اللغوية فى العالم العربي .

مظاهر الوحدة في عاميتي المغرب والخليج العربي

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

1 — عناصر الوحدة

وجود الفاظ مشتركة بين العاميتين مع اختلاف بسيط فى الشكل والاعراب وهاكم امثلة منها :

— أبو صفار وهو مرض اصفرار العينين والجسم (بوصفير بالمغرب) .

— أح لفظة يخاطب بها الطفل تحذيرا له من الاقتراب الى نار أو نحوها .

— اخوي لمناداة شخص من اجل مخاطبته فى امر من الامور (خاصة بالذكور فى المغرب) .

— ساس وسيسان لاصل البناء .

— اللي بمعنى التي .

— ام آح دلالة على الحلوى فى لغة الاطفال (ماماح فى المغرب) .

— امية اي المائة من الاعداد (مية بالمغرب) .

— ايش بمعنى اي شيء ، وفيها ادماج واختزال .

— البابوج ضرب من النعال وقد اقتبستها عامية الكويت من اللفظ الفارسي بابه بوشي بينما اقتبسها المغرب عن طريق اللفظة الفرنسية babouche الفارسية الاصل فقال بابوشة وهي نادرة الاستعمال (عدا فى بعض الحواضر).

— الباسور (يستعمل الجمع فى المغرب وهو البواسير) .

— الباشا (مصدر تركي مشترك) .

— البايت الذي يرجع اصله الى الامس من طعام وغيره .

— البحرة وهي المستنقع والغدير (البحيرة بالمغرب)

— البدو سكان البادية الواحد بدوي .

— البراحة الفسحة (يستعمل المغرب اللفظ الفصيح وهو البراح) .

— البربرة كثرة الكلام والصخب فى الكويتية وهو المعنى الفصيح فى حين يراد بها العويل الصاخب فى الدارجة المغربية (التبربير) .

— البرمة حب صغير يقطر فيه الماء الصافي (الكويت) والبرام وعاء يعجن فيه العجين (البصرة) واستعمل المغرب البرمة بمعناها الفصيح وهو القدر كما فى القاموس .

— البسباسة نبات (البسباس بالمغرب) .

— البصل والبطاط (البطاطة بالمغرب) والبطيخ والعدس واللوبيا .

— بغى يبغي بمعنى اراد (وتلفظ يبى فى الكويت وفى بعض البوادي المغربية .

— بكرة (بكري فى المغرب) .

— البكرة (البترة فى المغرب) .

— البلدة من منازل القمر والبلع كذلك منها سعد بلع (وفى المثل الكويتي اذا طلع البلع الشتاء تطلع وفى المثل المغربي سعد بلع كيجمد الماء فى القرع اي الزجاجة كناية عن البرد القارس خلال هذه المنزلة) .

— البلدية احدى دوائر الحكومة .

— بلم اي اغلق فمه ومنه مبلم اي موكوء الفم .

— بوا : تعبير للاطفال يقصدون به الرغبة فى الماء (مبوا بالمغرب) .

— البهلول المعتوه واللفظة معروفة ايضا فى بغداد

وتطلق على شخص معروف ببهلول دانـة يقول العامة (حسب صاحب الالفاظ الكويتية ص 54) انه أخو هرون الرشيد الخليفة العباسي ويظهر لي ان المقصود هو احمد السبتي ابن هارون الرشيد الذي اشار اليه ابن عربي الحاتمي فى جملـة الاقطاب وقد ورد ذكره فى وفيات الاعيان لابـن خلكان (ج 1 ص 66) وقيل له السبتي لانه كـان يتكسب بيده فى يوم السبت ويتفرغ للعبادة بقية الاسبوع واشار اليه ايضا ابنَ الجـوزي فى شذور العقود وصفوة الصفوة وصاحب كتـاب التوابيـن .

— بيش اي بأي شىء أو بكم .
— التحسونة الحلاقة (الحسانة بالمغرب) وحسن اي حلق وفى المثل الكويتي « يتعلم التحسونة بروس الكرعان (اي يتوخى الامر من غير وجهه) ومـن الامثال البغدادية والمغربية « يتعلم الحجامـة بروس اليتامى» كناية عن استغلال المستضعفين
— الجاوي نوع من البخور اصله من جاوا احدى جزر اندونيسيـا .
— الجدف بمعنـى القيء (الكدف بالمغرب) .
— الجنطة الحقيبة (الشنطة) .
— جاف اي راى (شاف فى المغرب) .
— الحارة : الحي والمحلـة .
— الحافي من حفاء الاقدام وهي كناية عن الفقيـر المعدم .
— الحب الحنطة والحرمل والحلبة (نباتان) .
— حب بمعنى قبل (خاصة فى البادية المغربية) .
— الحريم جماعـة النسـاء .
— حصـن عـوذ .
— حط وضـع .
— حويل ما دار عليه الحـول (حولى بالمغرب) ويقال ايضا طعام حايل بالمغرب وبغداد اي قديم .
— الخاطر الضيف (مستعمل فى بعـض البـوادي المغربيـة) .
— الختمـة اي اتمـام قـراءة القرآن .
— خنـز (خنز الطعام اذا فسد) .
— الخنفرة الانف الكبير (أنف مخنفر اي انف كبير بالمغرب) .
— الدرويش اي الفقير او السالك من الصوفيـة (لا يعرف المعنـى الاخيـر بالمغرب) .
— الربعة صندوق تودع فيه اجزاء المصحف (الربيعة فى المغـرب) .
— الردحة ساحة الرقص (تطلق على الرقص نفسه بالمغرب) حيث يستعمل الاتباع: الشطحة والردحة)
— الريـح مرض مـن امراض البطن .
— الزعتـر هو السعتـر .
— الزين الحسـن الجيـد .
— السحتيت صنف من اللؤلؤ دقيق (كل صغيـر من الحيـوان وخاصة القرود فيقال بالمغـرب قرد سحتيت) .
— السدى مقابـل اللحمـة .
— السنسلة (بدل السلسلة وفيه تسهيل ملحوظ فى كل العاميـات) .
— الشاوي الراعي نسبة الى الشياه (توجد بالمغرب ناحية تسمى الشاوية تربى فيها الماشيـة) . وذكر ابن خلدون فى مقدمته ؛ ان من كان معاشه فى السائمة مثل الغنم والبقر يسمون شاوية .
— الشاهد السبابة من الاصابع .
— الشايب الشيخ الطاعن فى السن .
— الشب مـادة معروفـة .
— صلع اي حسن راسه والمصلع الحاسر الـراس يقال له مقرع فى العراق (الاصلع بالمغربَ اي الذي لا ينبت له شعر فى راسه اما المقرع فهو حليق شعر الراس) ويقال للقرع الكرع فى الكويت .
— الصيني الاناء من الخزف (الاناء من النحاس فى المغـرب) .
— الضو بمعنى النار (معناه النور فى المغرب) .
— طاب اي شفي من مرضه (طاب اللحم اي نضـج بالمغـرب) .
— الطابي هو الطاجن (الطجين بالمغرب ويقال له الطـاوة ببغداد فى حين تطلق الطاوة بالمغـرب على وعاء يشبه الطاجن يكون من معدن) ولعـل للفظ الكويتي مصدرا موحدا مع المصطلح المغربي لان الطياب هو الطبخ وآلة الطبخ تسمي طبعا
— الطابـي .
— الطار : الدف الكبير (الطر بالمغرب) والطـرار

معناه فى المغرب الضارب علـى الطر وهـو بمعنـى الشحـاذ فى الكويت .

— الطاسة الكأس من نحـاس .
— الطبخة : طبخة من الشاي اي كميـة يسيـرة تكفي لمـرة واحـدة .
— الطنا الغيظ يقال اطناني اي اغاظني .
— الطيـز الدبر وقد اشار اليه الخفاجي فى « شفاء الغليل » كلفظ عامي مبتذل .
— العرضة حفلة الزواج (مطلق دعوة لحفل بالمغرب)
— العزيمة الدعوة الى مأدبة (العزومة فى بعـض اقاليم المغـرب) .
— العشر المكس على المال (الزكوات والاعشـار بالمغرب) .
— العصيد (العصيدة بالمغرب) .
— العمارية ظلة هرمية مثل السقيفة (المحفة بالمغرب)
— العود المندل او الآلة الموسيقية المعروفة .
— العيال الاولاد الصغار تستعمل لهذا المعنـى فى شمال المغرب وتطلق أيضا على النساء فى بعـض الحواضـر .
— الغربي الهواء يهب من جهـة الغرب .
— الفار والفتر (ما دون الشبر) والفحم .
— الفكع اي الكماة من الفقع فى الفصحى (الفقـاع بالمغـرب) .
— الفلس نقـد نحاسـي .
— الفوطة المنشفـة والمئزر .
— الكحـة السعال .
— كخ كلمة نهي عن القرب من شيء قذر .
— كرفسه اذا القاه على الارض .
— محار وعاء صدفي يعيش فى داخله حيوان بحـري صغيـر .
— مرفاعة رف معلق (مرفع بالمغرب) .
— المشموم ما يشم من رياحين وغيرها وهو يطلق فى الكويت علـى الريحان خاصـة .
— المطهر المرحاض .
— المكبة غطاء من خوص أو معدن يغطى به صحن الطعام (مكب بالمغرب) .
— الموسدة (الوسادة بالمغرب) .
— المينـة اي الميناء (المرسـى بالمغرب) .
— النباح عواء الكلب (النبيح بالمغرب) .
— النيلـة مادة عطاريـة زرقاء لصبغ الملابس .
— واجد اي كثير (موجود اي بكثرة فى المغرب) .
— ودره اي ابعده ونحاه (بمعنى ضيعه بالمغرب) .
— الوزار (الازار بالمغرب) .
— الوسم اول مطر الربيع (لفـظ كويتي فصيح لا وجود له بهذا المعنى بالمغرب) .
— الوزة واحدة الوز وهو البط الكبيـر .
— الوفرة منطقة فيها مجموعة آبار (الشعر الطويل بالمغـرب وهو فصيح) .

2 — نقط الاختـلاف

وقد تستعمل العاميتان نفس الالفاظ اما لمدلوليـن مختلفين بالاضافة الى معنى مشترك مع الفصحى واما لمفهوم مخالف .

فالادب معناه حسن السلوك ولكن معناه أيضـا المرحاض فى الكويتية (1) .

— البايـر منكر الجميل وفى المغرب الكاسد من بارت السلعة وهي جملة مستعملة ايضا فى الكويـت والبصرة (ويقال فى المغرب أيضا الفتاة البايـرة بمعنى العانس) .
— البارة تضيب حديدي (اصلها bar الانجليزية واقتبسها المغرب من الفرنسية barre
— الباصج وصف لطعام لا ملح فيـه او كـلام لا معنى له ، وهي معروفة بالبصرة ولكن يقـال ماصخ فى بغداد وباسل فى المغرب .
— البروة وثيقة تملك بيت او دكان ونحوهما (الرسالة والالوكة بالمغرب وينطق بها البرا جمعا براوات
— بس اداة زجر واسكات (وهي اداة استدعـاء للهر بالمغرب او دعوة الطفل الى البول) .

---

(1) اقتبسنا بعض المصطلحات الكويتية من معجـم الالفاظ الكويتية للشيخ جلال الحنفي البغدادي (طبعة بغـداد 1383 — 1964) .

— بعبع عبارة عن الاستغراب والتشكي من صفة سيئة (شخص يخوف به الاطفال فى مصر والمغرب وقد حول فى المغرب الى بعو) .
— البغاك الشهقة بمعنى النواق (النواقة بالمغرب)
— البلوغ الوصول الى الغاية (ومعناه فى بغداد والمغرب سن الرشد فيقال بلغ اكتفاء بها عن قولهم بلغ سن الرشد) .
— البنت تطلق على المراة ولو كانت عجوزا (خاصة بالفتاة فى المغرب) .
— البوص اقلام القصب ويرى الدكتور احمد عيسى فى المحكم بانها ربما كانت لفظة مصرية قديمة . ويرى الشيخ جلال الحنفي انها تركية بمعنى مكمن يربض فيه اللصوص وتستعمل فى المغرب بمعنى الكسل عن الحركة والجمود فى المكان .
— التلقين اي تلقين الموتى وهو غير معروف عند أهل الكويت ولكنه يعرف فى المغرب وفى جزيرة فيلجة ومعناه تلقين الموتى الشهادة بعد دفنهم .
— الجتاية عصائب المراة (تطلق على القصة من الشعر) .
— الجراقية (بالجيم) وهي المفرقعات يلعب بها الصبيان ولعل اصلها فارسي (1) (الحراقيات بالحاء فى المغرب وهي اقرب الى المفهوم العربي الفصيح) .
— حرامي لص (يطلق فى المغرب على صاحب الحيلة الذي يرتكب اعمالا غير مشروعة) .
— الحسن (بكسرتين) هو الزنجفر (الزنجفور بالمغرب والزنجفر ببغداد) .
— خز (خزر فى المغرب) .
— دادة تعني الاخ والاخت والزميل من اللذات (يقصد بها الامة المربية العجوز بالمغرب ولها نفس معنى الداية فى الشرق) .
— الزرب الغار فى الارض (الزرب والزريبة بمعنى حظيرة الغنم بالمغرب) .
— الزفان الرقص (مستعمل بالمغرب فى بعض الاقاليم العربية الاصل مثل ناحية زعير والشاوية .
— الزك التغوط (الدبر بالمغرب) .
— الزوان لؤلؤ ناعم (معناه فى فارس والعراق دقيق مثل الحنطة .
— شربات قهوة خفيفة (ماء مخلوط بسكر وماء ورد بالمغرب والعراق) .
— الصر حفظ الشيء فى صرة (والعامية المغربية تستعمل الصر بمعنى البرد القارس والصرة بمعنى الكيس وهما من الفصحى) .
— صيف عن الجماعة اي تخلف (صيف فى المغرب اصطاف) .
— الطرشة : السفرة (فى المغرب واحدة الطرش اي لكمة يصاب الرجل من جرائها بالطرش اي الصمم) .
— الطنجرة نداء الشاة (الطنجير والطنجرة بمعنى القدر فى المغرب وهي فصحى) .
— العايل الطفل الهزيل من رضاع امه الحامل (يطلق فى المغرب على الطفل عامة، فى حين ان المعنى المذكور يعبر عنه بالمغايل بالغين من الغيلة وهي ارضاع الحامل لولدها .
— العص نهاية العظم الفقري (البعصوص بالمغرب) وفصيحه العصعص والعصعوص .
— العوعو لفظ يفزع به الاطفال (بوعو بالمغرب) .
— الغرر السيلان (الغرر الخطر ومنه بيع الغرر) .
— الغيرة النهم فى الاكل (الغيرة بمعناها الفصيح بالمغرب) .
— الفطام عظم يكبس به على اكف الغواص (معناه الفصال بالمغرب) .
— اللبوة اي اللبا وهو اول الحلبة بعد الولادة يستعمل المغرب اللبوة بمعنى انثى الاسد واللبأ بمعناه الفصيح) .
— المحاحة صفار البيض (المح بالمغرب وهو فصيح)
— المداس نعل جلدي تلبسه النساء وهو فصيح (لا يعرف بهذا المعنى بالمغرب) .
— المسمار القرنفل (يستعمل بمعناه الفصيح بالمغرب) .
— المشبك حلية لشد الخمار وغيره عند المراة ، وهو فصيح لا يعرف بالمغرب وكذلك المشجب وهو ما تعلق عليه الملابس .

---

(1) معجم الالفاظ الكويتية ص 85 .

— مكهوي صاحب القهوة وساقيها (تهوجي في المغرب وهي من الالفاظ العامية المغربية النادرة التي توجد فيها ياء النسبة التركية) .

— نط اي تفز وهي فصيحة (نطع بالمغرب) .

— اليد بتشديد الدال بمعنى الجد (اليد في المغرب وهي لغة فصيحة) .

* * *

وتستعمل العامية الكويتية الفاظا فصحى مع تحريف في بعض حروفها في حين يستعمل المغرب الشكل الفصيح مثل الجافلة (القافلة) والجدوم (القدوم) والجرية (القرية) والجي (الكي) والحمش (الحمص) والعكرب (العقرب) والعكل (العقل) والكصر (القصر) وكضب (مقلوب كبض بمعنى قبض) والكلب (القلب) والكمر (القمر) والكهوة (القهوة) والكيصرية (القيصرية للسوق) الكيطان (القيطان) والمكام (المقام) والمكلى (المقلى أو المقلاة) بينما تستعمل الكويت في لهجتها الدارجة كثيرا من الالفاظ العربية الفصحى ليست مزاولة في المغرب (1) بهذا المدلول الاصيل

ومن امثلة ذلك البرسيم (الحرير) والتنكة (وعاء من الصفيح وهي تطلق في المغرب على النعل البالي) ومن غريب ما لمسناه خلال جولتنا للخليج العربي وخاصة الكويت وقطر والبحرين ان هنالك عامية عريقة في الفصحى مثل الدمجانة التي اطلق عليها مجمع اللغة العربية لفظ الدبة وهي قارورة الزيت ونحوه بينما اقتبسها الفرنسيون لنفس الدلالة Dame-Jeanne ففرنسوها اي افرغوها في قالب لاتيني صرف لا يوذن بأصلها العربي وقد وجدنا في ساحة المتحف الاثري بالكويت خباء عربيا مضرويا استفسرنا عن اسماء بعض اجهزته فكانت كلها عربية .

(1) تستعمل بالمغرب آلاف الكلمات ذات اصل عربيفصيح اشرنا اليها في كتابنا « الاصول العربية والاجنبية في العامية المغربية » .

موسوعة المغرب العربي

- رسل الفكر بين الشرق العربى والمغرب العربى فى مختلف العصور

للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله

- التصميم العشارى لموسوعة المغـــرب العربـــى

اعداد المكتب الدائم للتعريب

معلمة لأعلام العرب

رسل الفكر بين الشرق العربي والمغرب العربي في مختلف العصور

الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

ان ابلغ الروابط واعمقها قد تحققت بين الشرق العربي والمغرب العربي على يد رسل الفكر الذين كانوا يتوجهون من المغرب بالآلاف كل عام الى اقطار الشرق فيصلون اسانيد الغرب بأسانيد الشرق ويتبادلون الوان العلوم والفنون ويجددون الاواصر المتينة التي ما فتئت تتجلى منذ ازيد من الف عام في الوحدة الفكرية والروحية القائمة بين جناحي العروبة والاسلام .

وكانت لوفود المغرب الى الشرق اهداف مختلفة : فريق عابر يتجه الى الحجاز عن طريق طرابلس ومصر للحج فيستفيد من العلماء الذين تجعلهم الصدفة في طريقه ، وفريق ثان يقصد علماء معلومين للاخذ عنهم ، وفريق ثالث يستقر ببعض عواصم الشرق ويقوم برحلات شيقة خلال آسيا والشرقين الادنى والاوسط ثم يعود الى المغرب بعد أن يجدد في ربوع الشرق تبادل عناصر الثقافة العربية المشتركة ويحقق التزاوج الموصول بين معطيات الجناحين .

وكان الوفد الرسمي يحمل سنويا هدايا لقادة الشرق في طرابلس ومصر والشام والحجاز واليمن ، وجوائز لرجال الفكر في كبريات العواصم علاوة على المبالغ الطائلة التي توزع على المعوزين وكان الشعب المغربي يسهم بحظ وافر في الاكتتابات الدورية ويرصد الاوقاف (1) الضخمة الدائمة لتركيز هذه المبرات رعيا لحقوق الاخوة المكينة مع الشرق العربي (2) .

وكان لهذا التبادل مظاهر شتى تبلورت في كثرة الوافدين من علماء الشرق على ملوك المغرب

(1) تجلى رصد هذه الاوقاف كمظهر للوحدة الفكرية بين الشرق والغرب في شيئين : — أ) نوعية الوقف فاسس علم الدين سنجر (المتوفى عام 699 هـ) في دمشق وقفا للديوك كما حبس نور الدين محمود مأوي للحيوان الهرم مثلما لوحظ في مراكش وفاس — ب) تحبيس دور للمهاجرين والطلبة المغاربة في الشرق من طرف امراء المغرب او الشرق فقد انشأ صلاح الدين الايوبي في الاسكندرية عام 577 دارا للمغاربة (السلوك للمقريزي) ورصد نور الدين اريافا للطلبة المغرب في زاوية المالكية بالجامع الاموي (رحلة ابن جبير ص 266) وكذلك علاء الدين بن وطية بدمشق عام 802 هـ (الدارس للنعيمي ج 2 ص 204) ورباط الموفق بمكة (جهد المقل لابن المسناوي) .

(2) حبس السلطان محمد بن عبد الله كثيرا من المصنفات على مصر والاسكندرية (الاتحاف لابن زيدان ج 3 ص 251) كما جلب كتبا من الشرق ورتب لاهل الحجاز واليمن 100 الف مثقال ذهبي في كل عام وفك عام 1200هـ 48 الف اسير ووجه عام 1199 هـ الى الشرفاء 000 350 ريال (الاستقصا للناصري ج 4 ص 115) .

امثال المنصور السعدي (1) الذي توارد على بلاطه ادباء ومفكرون من الحرمين والقدس ومصر والشام والعراقين والهند ، وفى الحقل العسكري كان اسطول المغرب الاقصى ايام الموحدين فى القرن السادس الهجري اول اسطول فى البحر الابيض المتوسط عندما اتحدت مصر والشام والقدس تحت راية الايوبيين عام 583 هـ فاستصرخ صلاح الدين بالمنصور الموحدي واوفد اليه ابا الحرث عبد الرحمن ابن منقد الشامي لامداده بمائة وثمانين قطعة جربية لصد الصليبيين .

وكان تبادل السفراء بين الملوك والقادة موصولا فى مختلف العصور توطيدا لهذه الوحدة ويطول العد اذا ما حاولنا استعراض نماذج من هذه الوفادات التي لم تكن تحول بينها حدود لانعدام الحواجز السياسية المصطنعة بين الشرق والغرب ، وكان اعظم جواز يقدمه المغربي والمشرقي فى الحدود اسلامه وعروبته فكان المواطن المغربي او المشرقي يستقضيان فى الحواضر العربية شرقا وغربا دون ميز ويتبوآن هنا وهناك المناصب السياسية فلا تقوم المواطنة الضيقة حائلا قط فى هذا المجال .

وكان للادب تفنق فى هذه المناسبات كما فى رسالة اديب مصر جمال الدين ابن نباتة فى الثناء على ملك المغرب على لسان ملك الكنانة وكذلك فى رسالة ابي الحسن المريني الموجهة عام 745هـ الى اسماعيل ابن قلاوون والتي عبر فيها عن « عهود موثقة وموالاة محققة والود الثابت الاركان ـ مؤكدة ان البلاد المصرية والمغربية هي « باتحاد الود متحدة والقلوب والايدي منها منعقدة) فأجابه ملك مصر برسالة بديعة من انشاء خليل الصفوي شارح لامية العجم .

واذا اقتصرنا على العصر العلوي نلاحظ ان هذا التبادل تضاعف فى غمرة الاحتلال التركي فان السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن الذي حاول تحقيق اصلاح زراعي بحفر قنوات وجلب آلات عصرية وتأسيس مصانع قد استقدم فنيين مصريين لمباشرة تصفية السكر فى مصنع اكدال (الاتحاف ج3 ص 556) كما شكل جيشا نظاميا عمل تحت قيادة ضابط مصري (كودار تاريخ المغرب ص 141) .

ومعلوم ان مصر تنتمي اصالة الى الفصيلة العربية الافريقية الا ان انتماءها الى آسيا العربية كان اكثر من انتمائها الى افريقية بسبب سهولة انتقال التجارة والثقافة الى مصر من بلاد آسية عن طريق البحر المتوسط فى حين كانت تعترضها الصحراء (قصة الحضارة ج 2 ص 43) .

وقد تبلور التأثير الشرقي فى المغرب (2) فى تسمية الحواضر باسماء شرقية كمدينة حمص فى ارباض فاس الجديد (وقد اسسها المرينيون للغز وهم تركمان ما وراء النهر وردوا من حمص السورية وانخرطوا فى الجيش المغربي) ، ومدينة البصرة التي هدمها ابو الفتوح عام 368هـ (البيان لابن عذارى ج 1 ص 330) ومدينة القاهرة(3) بالاطلس والشام الصغيربالريف(4)

ووقف المغرب الى جانب اخوانه العرب فى الشرق فدحض افكار الشعوبية التي فضلت العجم على العرب والتي قامت لها سوق نافقة بالاندلس وقد ظهرت رسائل منها رسالة ابن غرسية ورسالة ابن عرس ورسالة ابي عامر بن عبد الرحمن السبكي (كشف الظنون ج 1 ص 417) فبرز قاضي قصر كتامة علي بن احمد بن ابي قوة الازدي المراكشي من بين من برز لدحض ترهات امثال ابن غرسية (الذيل والتكملة لابن عبدوس ق 5 ص 154) .

واستمد المغرب معظم عناصر تراثه الفكري من علماء الشرق فدخل مذهب الاوزاعي (5) والمذهب

---

1) الاعلام للمراكشي ج 1 ص 47)

2) من جملة ما اقتبسه المنصور السعدي من الشرق تعيين شيخ للنساخين فى العاصمة ومقدم لتعليم الخط ، وقد قام بهذا المنصب عبد العزيزابن عبد الله السكتاني بجامع الشرفاء بمراكش كما هي العادة فى القاهرة ، وغيرها من بلاد الشرق(درة الحجال ص 378) .

3) اشار ابن تنفذ فى انس الفقير (ص 86) الى موضع فى سكسوية من جبال الاطلس يقال له القاهرة الصالحة السكسونية .

4) هو ناحية فشتالة من تطوان الى وادي سبو راجع Le Maroc Inconnu A. Moulieras - Paris, 1895, T, 2, p, 35

5) اول من ادخل الاندلس مذهب الاوزاعي صعصعة بن سلام الاندلسي وهو فقيه من اصحاب الاوزاعي مات عام 192هـ ويقال انه دمشقي ، واول من ادخل الحديث للاندلس (جذوة المقتبس للحميدي طبعة 1952 ص 227) .

الحنفي الى فاس وافريقية ثم المذهب المالكي (2) (مدارك عياض) ، وانتشرت الشيعة فى المغرب قبل دخول المولى ادريس (البيان ج 2 ص 59) .

وتوالت الدراسات النابعة من المشرق على الاندلس والمغرب فقرا عثمان بن المثنى القرطبي (المتوفى عام 273هـ) على ابي تمام حبيب ابن اوس شعره (تاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي ج 1 ص 249) واخذ فرج بن سلام القرطبي على عمرو بن بحر الجاحظ كتاب البيان والتبيين (ابن الفرضي ج 1 ص 286) وادخل قاسم بن ثابت بن حزم مصنفات الحديث واللغة وهو اول من نقل الى المغرب كتاب العين (نفس المصدر ص 294) كما نقل عثمان بن ابي بكر الصدفي المعروف بابن الضابط صاحب الرحلة الى الشرق كتاب غريب الحديث للخطابي وجلب عبد الملك بن زهر دواوين من فنون العلم (الذيل والتكملة ق 5 ص 37) ومحمد بن الفتوح المكناسي المتوفى عام 818هـ) مختصر خليل (درة الحجال ج 1 ص 293) ومحمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن التلمساني الامام شامل بهرام وشرحه للمختصر وحواشي التفتازاني على العضد وابن هلال على ابن الحاجب (شجرة النور ص 254) وابو الحكم الكرماني رسائل اخوان الصفا (طبقات الامم ص 71) ومحمد بن حياتي الفقيه النحوي المتوفى عام 781 المرادي على الفية ابن مالك لفاس (درة الحجال ج 1 ص 288) .

وقد تردد اسم المغرب وحواضره فى شعر المشارقة فقال البحتري يذكر طنجة والسوس :

ان شعري سار فى كل بلد
واشتهى رقته كل احد
اهل فرغانة قد غنوا به
وقرى السوس والطا وسدد
وقرى طنجة والسوس التي
بمغيب الشمس شعري قد ورد
(معجم البلدان ج 6 ص 365)

وذكر عياض فى مداركه ابياتا من شعر ابن حبيب انشدها له ابن الفرضي كتب بها الى اهل المشرق :

احب بلاد الغرب والغرب موطني
الا كل غربي الي حبيب
بليت وابلاني اغترابي ونايه
وطول مقامي بالحجاز اجوب
واهلي باقصى مغرب الشمس دارهم
ومن دونهم بحر احش مهيب

وصفة العراقي بفاس عنوان عن الشرف وعلو المكانة كما ورد فى «الدر النفيس فيمن بفاس من بني محمد بن نفيس» للوليد العراقي (مخطوط) وفى ذلك يقول محمد بن عبد السلام بن الطيب القادري:

وقد جرى بفاس ضرب مثل
لغاية الشرف والقدر العلي
لمن عليه شبهة تكبرا
بقوله انت عراقي ترى

* * *

وهنا نرتب حسب الحروف الابجدية اعلام المشرق والمغرب الذين تبادلوا الزيارات فى مختلف العصور وهو انموذج مصغر للحركة العارمة التي سجلت بين الشرق والغرب :

— ابراهيم بن جعفر بن احمد اللواتي الفاسي من اهل سبتة توجه الى المشرق سنة 490هـ توفى عام 513هـ (معجم الصدفي ص 54) .

— ابراهيم بن محمد اللخمي السبتي المعروف بابن المتن سمع بالاسكندرية حوالي 570هـ عن ابي طاهر السلفي (تكملة الصلة لابن الابار ص 213) .

---

(2) محمد بن سعيد القيسي (قاضي المولى ادريس من قيس غيلان سمع مالكا وسفيان الثوري (جذوة الاقتباس ص 13) وابو جيدة الفاسي هو حامل مذهب مالك والشافعي بفاس توفى عام ثلاثمائة وبضع وستين (السلوة ج 3 ص 93) .
ومعلوم انه فى عهد السلطان مولاي سليمان العلوي وصل كتاب عبد الله بن سعود الوهابي الى فاس فى شان مذهب محمد بن عبد الله بن سليمان ، وكان هذا الكتاب قد وجه ايضا الى العراق والشام ومصر يدعو الناس الى المذهب الجديد ولما وصل الى تونس بعث مفتيها نسخة اخرى منه الى علماء فاس فتصدى للجواب عنه الشيخ حمدون بن الحاج بأمر من السلطان وعلى لسانه وذهب بجوابه الامير ابراهيم بن سليمان حين سافر للحج (الاستقصا) ج 4 ص 145) .

— ابراهيم بن يوسف بن ادهم القائدي الوهراني المشهور بالحمزي وبابن قرقول ولد بالمرية عام 505هـ ونشأ بها كان رحالا أديبا بصيرا بالحديث ورجالـه انتقل الى سبتة عام 564هـ ثم الى سلا وتوفي بفاس عام 569هـ (جذوة الاقتباس ص 86 — سلوة الانفاس ج 3 ص 151 — ابن خلكان ج 1 ص 16 تكملة الصلة ص 185) .

— ابراهيم بن محمد بن فارس الذكراني المراكشي المصري من كانم بصعيد مصر قدم المغرب قبل الستمائة وسكن مراكش كان شاعرا مفلقا مع صدق التأله وكان لونه مسودا وله فى ذلك اشعار نادرة توفي عام 608 او 609هـ (تكملة الصلة ص 215) .

— ابراهيم بن خلف بن منصور الغساني الدمشقي السنهوري ذكره ابن القطان فى شيوخه وانه قدم تونس عام 602 هـ ثم دخل الاندلس فمراكش مفلتا من الاسر وعاد الى مصر فامتحنه ملكها الكامل محمد بن العادل بن ايوب (تكملة الصلة ص 215) .

— ابراهيم بن محمد التازي نزيل وهران شيخ الشيوخ وفريد العصر اخذ بمكة عن تقي الدين بن الفاسي وبتونس عن الحفيد ابن مرزوق واخذ عنه ابن صعد الذي الف فى فضائله والشيخ زروق مات عام 866 هـ وقد ولد فى تازا (نيل الابتهاج ص 24 وشجرة النور ص 263) .

— ابو سالم ابراهيم الزواري التونسي دفين فاس لقيه ابو المحاسن الفاسي (سلوة الانفاس ج 2 ص 308) .

— ابراهيم بن يحيى بن محمد بن يحيى الفاسي ضبط بخطه الفاسي مهموزا كأنه فر من الاشتراك لقيه ابن رشيد فى المدينة المنورة (ملء العيبة مخطوط الاسكوريال ج 5 ورقة 8 وهو من نقل الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني محافظ المخطوطات بالمكتبة الوطنية بالرباط) .

— ابراهيم الرياحي (شجرة النور ص 386) : لما راسل الامير حمودة باشا باي سلطان المغرب مولاي سليمان عام 1218 هـ كان الحامل لها صاحب الترجمة بقصد الميزة فاعظم السلطان مقدمه واهتزت له فاس وامتدح السلطان بقصيدة واجتمع بالعلامة الشيخ سيدي احمد التجاني وحضر درس السلطان فى التفسير الخ .

— ابو بكر العوني (ابن عبد الكريم) العلامة المغربي الوافد على تونس والمتوفى بها سنة 698هـ (التجاني صاحب الرحلة فى كتابه « الوفاء ببيان فوائد الشفاء » وهو مخطوط) .

— ابو بكر بن مسعود المراكشي شيخ المالكية بدمشق ومفتيها اخذ عن ابن المرحل وسالم السنهوري؛ مولده عام 984 ووفاته عام 1032 هـ (شجرة النور ص 290) .

— ابو الجبل توفي عام 501 هـ (التشوف فى رجال التصوف ص 503) لقي بمصر ابا الفضل عبد الله بن الحسن الجوهري وكان جزارا اسود اللون مليح الوجه (القرطاس ج 2 ص 99) .

— ابو الحسن المراكشي المالكي عاش فى الشام وتوفي عام 625هـ (الدارس فى تاريخ المدارس ج 2 ص 6) .

— ابو الحسن الشاذلي رئيس الطرقية بالشرق من غمارة بشمال المغرب مر بشاذلة واستقر بمصر وقد اخذ عن محمد بن حرزهم وعبد السلام بن مشيش وحضر مجلسه بتونس ومصر ابن عصفور وابن جماعة وعز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء وابن دقيق العيد وعبد العظيم المنذري وابن الصلاح وابن الحاجب (شجرة النور ص 186) .

— ابو الحسين ابن ابي الربيع الاشبيلي نزيل سبتة شيخ بهاء الدين ابن النحاس امام النحاة بمصر وهو صاحب الكافي فى الافصاح (كتاب وصل الى الشرق فى حياة مؤلفه ونال اعجاب العلماء هناك وقد اشار اليه ابن رشيد) (ملء العيبة مخطوط الاسكوريال ج 3 ورقة 22) .

— ابو حيان اثير الدين البربري النفزي المتوفى بمصر عام 745هـ (السلوة (ج 3 ص 278) .

— ابو القاسم التجاني التونسي أول من قدم تونس من اسرة التجاني صاحب الرحلة مع جيش الموحدين وهو من قبيلة تجان بأقصى المغرب (رحلة التجاني ص 7) .

— ابن الحطئة (وفى الشذرات الحطيئة وفى النجوم الحطيئة وهو خطأ) احمد بن عبد الله بن احمد ابن هشام اللخمي الفاسي ولد عام 478 هـ عاش بمصر وتوفى بالقرافة عام 560هـ (العبر للذهبي ج 4 ص 169 طبعة الكويت 1963) .

— ابو الطاهر اسماعيل بن ابراهيم التونسي اشخص الى مراكش ثم عاد الى تلمسان وبها مات عام 608 ه (التشوف ص 419) .

— ابو عمران الفاسي الغفجومي (غفجوم بطن من زناتة بالمغرب الاقصى) موسى بن عيسى بن ابي حاج اصله من فاس استوطن القيروان وحصلت له بها رياسة العلم رحل الى بغداد ودرس على ابي بكر الباقلاني وتوفى بالقيروان عام 430هـ (شجرة النور ص 106 والعبر للذهبي ج 3 ص 172) .

— ابو القاسم بن محمد المغربي السوسي مفتي المالكية بدمشق حدث بالجامع الاموي توفي عام 1038 او 1039هـ (شجرة النور ص 291) .

— ابو القاسم الشريف الادريسي المشهور بالسلاوي تلميذ ابن عرفة له تقييد فى التفسير عن ابن عرفة فى مجلدين واكمال الاكمال على صحيح مسلم (شجرة النور ص 250) .

— ابو سهل القرشي من المشرق دخل المغرب ونزل برباط تاسماطت او تاسماط من عمل مراكش فمات بها (التشوف ص 190) .

— ابو المكارم بن الحسين المصري ولاه السلطان ابو يعقوب الموحدي قضاء اشبيلية وعزل قاضيها احمد بن محمد الحوفي وذلك عام 579 ه وفيها ولي ابا الوليد بن رشد قضاء قرطبة (البيان المغرب لابن عذارى ج 3 ص 129 طبعة الرباط) .

— ابن منتاح ابو محمد القرشي الفاسي تلميذ العالم المفتي رشيد الدين عبد الكريم بن عطاء الله الجذامي الاسكندراني المالكي (ملء العيبة لابن رشيد — مخطوط الاسكوريال ج 6 ورقة 30 .

— ابن ابي البركات (الكمال) المكناسي روى عنه الحافظ ابن حجر اجازة مكاتبة بحديث المصافحة (الاصابة ج 4 حرف الميم) ومعلوم ان ادريس العراقي المغربي كان احفظ من ابن حجر كما يقول سيدي عمر الفاسي وقد كان له فضل على محدثي مصر حيث استدرك احاديث على الجامع الكبير للسيوطي تنيف على الخمسة آلاف (سلوة الانفاس ج 1 ص 142) .

— ابن جبير الرحالة ، باع املاكه بفاس ورحل للمرة الثانية الى الشرق عام 567هـ ومات بالاسكندرية عام 614هـ وكان قد اقام قبل فى جيان بالاندلس ثم سبتة حيث رحل منها بعد وفاة زوجه عاتكة ام المجد ابنة الوزير ابي جعفر عام 601هـ (الذيل والتكملة لابن عبد الملك ص 594) .

— ابن حمويه تاج الدين السرخسي ورد من الاسكندرية على مراكش فخدم يعقوب المنصور واخذ عن ابي العباس السبتي واضع فكرة الاحسان كاساس للتصوف (نفح الطيب ج 2 ص 100) .

— ابن دحية ابو الخطاب الاندلسي تجول بالاندلس والمغرب واستقر بالقاهرة فى كنف الملك الكامل ثم زار اصبهان وبغداد ونيسابور وشيراز ودمشق والقدس وسبتة واخذ بالقاهرة عن ابي اسحاق ابن احمد ابن الواعظ المراكشي توفي بالقاهرة عام 633هـ) (الذيل والتكملة) .

— ابن رشيد السبتي اخذ بالقاهرة عام 684 عن اعلام مثل خليل المراغي (درة الحجال ص 138)وعنذي النون بن الاسعد المصري (ص 144) والزيانب الثلاث (ص 150) ودخل الشام والحرم فاخذ عن عبد العظيم المنذري والحراني وابن عساكر ثم رجع الى مراكش وفاس حيث توفى عام 721هـ (ص 201) .

— ابن زكري الفاسي دخل مصر وناقش فقهاءها فى مسالة شرب الدخان وعقد علماؤها مجلسا لمناظرته فى جامع الازهر (السلوة ج 1 ص83)

— ابن بطوطة الطنجي زار مصر وفارس والهند والصين وجزيرة العرب والساحل الشرقي لافريقيا ثم الاندلس والسودان وقد ولد عام 703هـ ودامت رحلته 28 عاما .

— ابن العربي المعافري (ابو بكر) دفين فاس زار الشرق فى عهد المرابطين له تفسير فى 80 مجلدا (السلوة ج 3 ص 200) .

— ابن شبرين ابو بكر محمد بن احمد الجذامي السبتي ذكر التجاني فى رحلته انه اجتمع به فى تونس حيث وصل عام 703هـ ثم عاد الى سبتة عام 704هـ دون ان يحج فانتقل الى غرناطة بعد احتلال سبتة فوجه اليه التجاني من المخاطبات ما جمعه فى « نفحات النسرين فى مخاطبة ابن شبرين » .

— الخطيب ابن مرزوق المغربي ولاه السلطان الاشرف الوظائف العلمية بالقاهرة (نيل الابتهاج ص 274) وكان يقول : « ليس اليوم يوجد من يسند احاديث الصحاح سماعا من باب الاسكندرية الى البرين الى الاندلس غيري » وعندما توجه مجتهد

المغرب عبد الله الورياجلي القصري (من القصر الكبير بالمغرب الاقصى) ليأخذ العلم عن ابن مرزوق قال له : « ليس احد اعلم منك فرجع » (دوحة الناشر لابن عسكر ص 26) .

— ابن المواق احمد التجيبي استظهر بمصر الموطا فضرب شيوخ المالكية الطبول على راسه اشادة وتنويها ، توفي بفاس عام 725 هـ (السلوة ج 3 ص 244) .

— ابن موسى المراكشي الجمال الحافظ لقي بالاسكندرية ابراهيم برهان الدين الشيرازي (الضوء اللامع ج 1 ص 9) .

— احمد البدوي الفاسي ولد بفاس ودخل مصر أيام الملك الظاهر بيبرس فخرج لاستقباله هو وعسكره وزار سوريا والعراق سنة 634 هـ دفن بطنطا (شذرات الذهب ج 5 ص 345 — طبقات الشعراني ج 1 ص 158) وهناك صوفي آخر بالمغرب يسمى احمد البدوي بن احمد بن ابي جيدة زويتن تلميذ مولاي العربي الدرقاوي له زاوية ورسائل كبرى توفى عام 1275 هـ (شجرة النور ص 401) .

— احمد اللجائي الفاسي (ابن محمد بن عيسى ابن علي الشهاب) ولد بفاس عام 792 هـ فرض عليه القضاء بفاس ففر الى مكة ثم مصر واخذ بالقاهرة عن المقريزي ورفض تولي القضاء وقد اسر بجزيرة رودس ثم خلص بمال جبي له من القاهرة ، فعاد اليها ثم سافر عام 843 هـ الى الصحراء فتوفي بالتكرور حيث اقرأ التفسير سنة وقد اخذ عنه البرهان اللقاني بالقاهرة (الضوء اللامع للسخاوي ج2ص164)

— احمد الجزولي (شهاب الدين بن شمس الدين ابن عمر) الدولت آبادي الهندي الحنفي المتوفى عام 848هـ صاحب « البحر المواج والسراج الوهاج » (فهرس المخطوطات الفارسية لدار الكتب المصرية عام 1963 ق 1 ص 37) .

— احمد الفاسي بن نور الدين بن ابي عبد الله والد التقي محمد الفاسي ولد عام 754هـ بمكة وسمع بها من العز بن جماعة ومن خليل المالكي واليافعي وبالقاهرة من ابي البقاء السبكي واخذ عن موسى المراكشي وابى الفضل النويري وافتى وحدث وصنف دخل مصر والشام واليمن وصفه ابن حجر بالمهارة فى عدة فنون مات بمكة عام 819هـ ترجمه المقريزي فى عقوده (الضوء اللامع ج 2 ص 35) .

— احمد الهنتاتي (من هنتاتة قبيلة بالاطلس) المعروف بالشماع بن محمد التونسي تلميذ ابن عرفة توفى عام 833هـ حسب الزركشي او 839هـ حسب ابن دينار (شجرة النور ص 244) .

— احمد الكومي بن ابي دبوس امير ثائر ولد بالقاهرة وهو حفيد ادريس بن محمد آخر ملوك بني عبد المومن بالمغرب رحل لمراكش لاستخلاص املاك ورثها عن ابيه واظهر العصيان ضد ابى الحسن المريني وقاتله عام 749هـ واسر.فنقل الى فاس ثم سرح ومات بها (الدرر الكامنة ج 1 ص 198) .

— احمد المعافري المعروف بالوقاد درس بالاسكندرية وتوفي بها عام 741هـ (السلوة ج 3 ص 86) .

— احمد بن عبد الله الازدي المراكشي نزيل القاهرة (الدرر الكامنة) .

— احمد القرطبي المراكشي مولدا (ابو القاسم ابن محمد بن احمد بن يزيد بن عبد الرحمن بن بقي) لقيه ابو الحسن التجيبي ببجاية فسمع عليه فهرسة جده ابي القاسم احمد بن يزيد (ملء العيبة لابن رشيد ج 6 و. 55) .

— احمد بن عيسى بن عبد الرحمن الغماري رحل الى المشرق ولقي عز الدين بن عبد السلام وهو فقيه أصولي توفى بتونس عام 682هـ (نيل الابتهاج لابن بابا السوداني ص 38) .

— احمد الشريشي تاج الدين البكري التيمي ولد بسلا عام 581 ونشأ بمراكش واستوطن الفيوم من مصر وبها توفى عام 641هـ وقيل فى منتصف عام 643هـ واليه انتطع علم التصوف له قصيدة فى السلوك تسمى « أنوار السرائر او سرائر الانوار » اخذ عن محمد الفندلاوي ابن الكتاني بفاس وبمصر عن مظفر الازدي المعروف بالمقترح وبالاسكندرية عن علي الابياري وببغداد عن ابي صالح الجيلاني واخذ التصوف عن عمر السهروردي صاحب عوارف المعارف شجرة النور ص 186) وجهد المقل القاصر فى نصرة الشيخ عبد القادر لابن المسناوي وقد ذكر الزركلي فى الاعلام (ج 1 ص 210) انه ولد بشريش عام 583هـ وتوفي بها عام 640 نقلا عن بغية الوعاة للسيوطي (ص 156) .

وقد اشار صاحب التشوف (ص 182) الى ابى علي الشريشي البكاي الذي قدم مراكش من شريش وجال فى الشرق عشرين سنة قبل ذلك ونزل بسلا ضيفا لدى علي بن حمدون ·

— احمد الصقلي قائد الاسطول الموحدي أصله من جربة بتونس اسره النصارى واستخلصه صاحب صقلية ثم لحق بتونس واجاز الى مراكش فتلقاه السلطان يوسف بن عبد المومن الموحدي وقلده قيادة الاسطول (العبر للذهبي ج 1 ص 457) ·

— احمد الشارقي من بلنسية روى بمكة عن كريمة المروزية ودخل العراق وفارس والاهواز ومصر وسكن سبتة وفاس توفى قريبا من 500 هـ (الديباج لابن فرحون طبعة فاس ص 71) ·

— ابن ماسويه احمد المعروف بابن الحداد بلنسي رحل الى المشرق عام 452 هـ فزار فارس وواسط وبغداد والموصل وخراسان وعاد الى مصر عام 467 هـ الى ان تغلب الروم على طليطلة فجاهد مع الامير يوسف حيث وصل الى سبتة ثم طنجة (تكملة الصلة لابن الابار طبعة الجزائر 1920 ص28) وهناك ابن حداد آخر هو عبد الرحمن اسماعيل الازدي التونسي رحل الى دمياط واستقر بسبتة وتوفي بمراكش عام 640 هـ (تكملة الصلة ج 3 ص 594) ·

— احمد بن حنبل امام المذهب ذكر الزركلي (الاعلام ج 1 ص 192) انه زار المغرب والجزائر ولم يشر الى المصدر الذي استقى منه ذلك واورد ذلك ايضا الاستاذ الخاقاني فى « شعراء بغداد » (ج 1 ص 386 حسب الدكتور محسن جمال الدين — اللسان العربي عدد 3 عام 1965) ·
ولم يثبت ذلك ·

— احمد بن موسى الصنهاجي (بن عبد الله الشهاب) المغربي الاصل المنوفي ثم القاهري الشافعي ولد حوالي 780 هـ او قبلها اخذ بالقاهرة عن الولي العراقي وابي الفتح البلقيني والهيثمي مات عام 858 (الضوء اللامع ج 2 ص 230) وقد ذكر السخاوي ايضا (الضوء ج 2 ص 258) عالما آخر باسم احمد الشهاب المغربي الصنهاجي كان اماما درس بالازهر كما ذكر (ص 243) احمد بن يحيى بن عيسى الشهاب الصنهاجي ·

— احمد بن علي الفيلالي عالم صالح كابيه لقي بالقاهرة جماعة ومات عام 860هـ (الضوء اللامع ج 2 ص 47) ·

— احمد بن عبد القادر الفاسي (ابن ابي الفتح الحسني المكي الحنبلي) ولد بعد 820هـ امه أم الوفاء ابنة الامام رضى الدين محمد الطبري لقي ابن فهد دخل القاهرة ومات عام861هـ (الضوء ج 1 ص 351)

— احمد القيسي الفاسي المعروف بالمتلاعب (الضوء ج 2 ص 265) ·

— احمد بن حاتم الفاسي الصنهاجي نزيل القاهرة يعرف بين المصريين بحاتم ولد عام 851هـ بفاس وتحول الى القاهرة عام 873 هـ ثم الشام ومكة وامتاز فى علم الطب (الضوء ج 1 ص 268) ·

— احمد المريني (بن محمد الشهاب) قاضي المالكية بدمشق حيث ادار المارستان وتولى القضاء بالقاهرة مات عام 896هـ (الضوء ج 2 ص 218) ·

— احمد السلاوي التونسي تقدم فى العربية والفقه لقي ابن عرفة واشتهر فى العربية مات عام 873هـ بتونس بالطاعون (الضوء ج 2 ص 263) وهناك عالم آخر هو احمد السلاوي بن محمد بن احمد الدمشقي سبط الشمس محمد بن عمر السلاوي ولد قبل 838هـ عرف بابن الحريري لان والده كان حريريا، ولي قضاء بعلبك والمدينة وصفد وغزة، والقدس مات عام 913 هـ بدمشق ترجمه ابن حجر فى معجمه وانبائه (الضوء ج 2 ص81) كما هنالك عالم آخر هو احمد السلاوي مات عام 853هـ (الضوء ص 263) ·

— احمد بن محمد الدقون الخطيب بجامع القرويين شيخ الاسلام اخذ عن اعلام من المشرق والمغرب كالمواق وابن غازي توفى عام 921هـ (شجرة النور ص 276) ·

— احمد بن حيدة الاستاذ العالم الرحال اخذ عن علماء فاس والمشرق توفي عام 1009هـ شجرة النورص 294) ·

— احمد زروق الفاسي ولد عام 846هـ اقام بالقاهرة سنة ودرس على السخاوي (الضوء اللامع ج 1 ص 222) وهنالك احمد زروق السنوسي قاضي الجماعة بتونس المتوفى عام 1246 (شجرة النور ص 370) وعيون الاريب للشيخ محمد النيفر ج 2 ص 83)

— احمد السجلماسي (بن عبد الله بن محمد ابن عبد الله ابن القاضي العباسي) رحل للمشرق

مرتين الف رحلة اطنب فيها فى المهدي المنتظر قام بالدعوة واستولى على سجلماسة ودرعة ومراكش مولده عام 967هـ توفي تتيلا باحواز السوس عام 1031هـ واخذ عن السنهوري واللقاني وطه الجيزي (شجرة النور ص 298) .

— احمد المقري (بن محمد) نزيل فاس ثم القاهرة اخذ عنه الكثير من اهل المشرق والمغرب وله «نفح الطيب» وازهار الرياض واضاءة الدجنة والروض العاطر الانفاس فى ذكر من لقيه من اعلام مراكش وفاس وعرف النشق فى اخبار دمشق وشرح مقدمة ابن خلدون تولى الامامة والخطابة بجامع القرويين عام 1022 هـ ورحل للمشرق عام 1027هـ واقرا هناك الحديث وتردد على دمشق ومصر حيث توفي عام 1041 (شجرة النور ص 300) .

وقد عاصره مقري آخر هو احمد بن محمد المقري المعروف بالحمودي (نسبة لقبيلة بالمغرب) الدمشقي اخذ بالقاهرة عن اللقاني ولد بدمشق عام 983هـ وتوفي بحلب عام 1032 هـ (شجرة النور ص 290).

— احمد اليمني كأدهم فى السلالة الملكية مالكي من اليمن ولد فى حدود 1040 كان لاهله ملك وامارة فلما فتح عليه رفض اهله وساح فى الدنيا خرج من بلده عام 1075هـ (سلوة الانفاس ج 2 ص 334) .

— احمد بوخريص من جبل وسلات دخل تونس كان آية فى الحفظ وسعة الاطلاع تولى القضاء عام 1220هـ (شجرة النور ص 369) .

— احمد بن محمد بناصر الدرعي قرا فى مصر على ابى الحسن الزعتري رسائل فى علم الفلك وكرة العالم توفى عام 1129هـ (الاعلام للزركلي ج 2 ص 161) .

— احمد افندي من ارض الروم ورد على تونس لاول المائة الحادية عشرة على عهد عثمان داي وكان متفننا فى العلوم وارتحل الى المغرب الاقصى وافدا على سلطانه احمد الذهبي فوجده يقرىء المطول لسعد الدين التفتازاني بالجامع كل يوم (اتحاف اهل الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الامان لابن ابي الضياف ج 7 ص 11) .

— احمد بن عبد الصمد بن ابي عبيدة القرطبي عالم محدث ولد عام 519هـ وتوفي بفاس عام 582هـ (الديباج المذهب ص 51 وسلوة الانفاس ج3 ص242)

— احمد الغربي بن عبد الله رحل الى الشرق عام 1140هـ واخذ عن شيوخ مصر امثال الشيخ احمد العماري وحالم البصري وطار صيته فى الحجاز (الاغتباط بتراجم اعلام الرباط لابي جندار) .

— احمد بن الحسين بن علي الامير الزرهوني نقيه مكناسة الزيتون قدم الاسكندرية حوالي 533هـ واقام بها (معجم البلدان ج 4 ص 388) .

— احمد دحلان المكي المتوفى عام 1304 هـ سعى لدى سلطان المغرب مولاي الحسن الاول فى طبع شرح الاحياء وكان مفقودا بالمشرق بأجمعه (فهرس الفهارس ج 1 ص 291) .

— احمد الزياني (ابو القاسم الرحالة الفاسي) رحل الى الحجاز عام 1169هـ صحبه والده ثم الى الاستانة سفيرا عام 1200 ومر بمصر ودمشق ولقي علماء والف فى التاريخ رحلته الكبرى فى مجلد والترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب فى مجلد ضخم توفي عام 1249هـ .

— احمد الماكودي الفاسي قدم تونس وحصلت له بها شهرة تامة وتقلد الفتيا وتصدر للتدريس اخذ عنه اعلام منهم شيخ الاسلام محمد بيرم الاول توفي عام 1170 (شجرة النور ص 346) .

— احمد بن ادريس الادريسي خاتمة المحققين ولد بميسور قرب فاس وارتحل منها عام 1213هـ الى مصر واخذ بالصعيد عن الشيخ محمود الكردي ومكث بمكة 14 سنة ثم بالصعيد خمس سنين ثم بمكة 12 سنة ثم باليمن تسع سنين وتوفى بها عام 1253 اذعن له علماء اليمن واخذ عن الشيخ محمد بن علي السنوسي . واشهر طريقته باليمن (شجرة النور ص 396) سكن صبيا وكانت لاسرته امارة فى تهامة واليمن له كتاب «العقد النفيس» جمعه احد مريديه من كلامه وله «روح السنة» (الاعلام للزركلي ج 1 ص 90) .

— احمد الكاملي الضرير الدرعي قام بجولة فى العالم وترك عدة رحلات تضلع فى عدة فنون محدث يحفظ صحيحي البخاري ومسلم بأسانيدهما وكتب الاخبار والآداب ودواوين الشعراء القدامى والمولدين لقي فى الهند داود الكلكتي الذي عمر مائتي سنة توفي بمراكش عام 1315هـ (الاعلام للمراكشي ج 2 ص 244) .

— احمد اللواتي الفاسي (بن محمد بن حسين

ابن علي) المعروف بابن تامتيت سكن اشبيلية رحل الى افريقية والشرق وحدث بمصر (تكملة الصلة ص 158) .

— اسحاق بن يعقوب الكوهن الملقب بالفاسي المولود عام 404هـ (1013م) فى قلعة ابن احمد قرب فاس توفي بالوسينة عام 497هـ (1103م) له شرح على التلمود فى عشرين مجلدا يعتبر لحد الآن من أهم كتب التشريع التلمودي وله 320 فتوى فى ذلك وهو بالعربية وقد اسس فى الوسينة قرب غرناطة عام 1089م معهدا للدروس العليا التلمودية كان الطلاب يؤمونه من كل الجهات وتوجد الاشارة الى الفاسي ونقول عنه فى كتاب « المقارنات والمتابلات » .

— اسطرلاب ابو الربيع الفاسي اللجائي تلميذ القرافي هو اول من ادخل مختصر ابن الحاجب فى الاصول الى المغرب اخترع اسطرلابا ملصقا فى جدار والماء يدير شبكة على الصفيحة لبيان ارتفاع الشمس والكوكب (انس الفقير ص 68) .

— ايوب بن عبد الله الفهري (ابو الصبر) سبتي قدم مراكش رحل الى المشرق واخذ عن عدة علماء واستشهد بوقعة العقاب عام 609هـ (التشوف لابن الزيات ص 431) .

— بدر الدين بن يوسف بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب المراكشي السبتي المغربي اصلا الدمشقي مولدا كان يقرىء صحيح البخاري يوم الجمعة فى الجامع الاموي وله حجرة فى دار الحديث عينت له الدولة شهريا 1.200 قرش صاغا ولم يكن له نظير فى حفظ الحديث ورجاله داب على تدريس ثلاثة ارباع قرن وكان يقرا المطولات (حلية البشر فى تاريخ القرن الثالث عشر لعبد الرزاق البيطار ج 1ص375)

— الجيلالي بن احمد بن المختار السباعي المغربي ثم المدني ذكر محمد بن عمر السوسي فى نيله على فهرسة الحضيكي انه لم يكن يوجد فى زمانه مثله وقيل انه استظهر القاموس حفظا واتقانا مات بقرية فى مصر اسمها احكاز عام 1213هـ (اتحاف الخل المواطي فى مناقب السكياطي وفهرس النهارس ج 1 ص 217) .

— حسن التطاوني الفقيه قرا عليه المشير محمد الصادق باشا باي تونس الذي ولد عام 1228 (اتحاف اهل الزمان لابن ابي الضياف ج 5 ص 11) .

— الحسن بن عبد الاعلى الكلاعي السفاقسي درس فى بلاد المصامدة ، واستوطن سبتة فقيه اصولي عارف بالهندسة والحساب والفرائض توفي باغمات عام 505هـ ذكره عياض (تكملة الصلة لابن الابار ج 2 ص 25) .

— الحسن بن عطية التجاني المكناسي المعروف بالونشريسي اخذ عن محمد الصباغ المكناسي وعنه ابن قنفذ وابن الاحمر ، له فتاوي ذكر المعيار جملة منها ثم مات عام 781هـ (شجرة النور ص 237) .

— الحسن بن محمد الوزان الفاسي الغرناطي المعروف عند الاوربيين بليون الافريقي رحل الى فاس وبلاد التتار ثم رجع الى الاستانة عن طريق مصر واختطفه القراصنة الطليان قرب جزيرة جربة قيل انه تمسح ثم عاد الى الاسلام بتونس حيث توفى وقد الف بالعربية وترجم للايطالية كتابه فى وصف افريقيا الذي اختصره المستشرق ماسينيون فى كتاب سماه « المغرب اوائل القرن السادس عشر » .

— حسين الآدمي نقل الشعراني فى طبقاته (ج 2 ص 65) أن اصله من مراكش كان يعيش بمصر حيث اشتهر وتتلمذ عليه الكثير .

— الحسين بن علي ابو علي الفاسي من أهل العلم والفضل اختلف الى الكثير من العلماء (جذوة المقتبس طبعة 1952 ص 181) .

— حسام الدين الجويزيحسين بن قاسمبن احمد المغربي الرحال اخذ عن المنجور وابن القاضي رحل الى المشرق ودخل بلاد الروم والشام ومكة مات غريقا ببحر جدة عام 1011هـ (شجرة النور ص 295)

— خلف بن مسعود الجراوي يعرف بابن امينة مولده بمليلية بالمغرب الاقصى قدم قرطبة عام 393هـ نقل عنه بها علم كثير واغرى به القاضي ابن ذكوان العامة فذبحوه ابان ثورة الاندلس بالبربر عند قيام المهدي عام 400هـ (الصلة لابن بشكوال ج 1 ص 179 طبعة مجريط 1882) .

— دراس بن اسماعيل الفاسي اول من ادخل مدونة سحنون مدينة فاس وبه اشتهر مذهب مالك توفي بها عام 357هـ رحل الى القيروان (شجرة النور ص 103) وقد اشار صديقنا الاستاذ الكبير عبد الله كنون فى النبوغ المغربي (ج 1 ص 50) الى ما يحكى من ان ابا محمد بن ابي زيد القيرواني قدم فاسا لزيارته فوجده قد توفى فى ذلك اليوم فحضر جنازته

واقام بقبره ثلاثة ايام وكان ذلك سبب زيارة القبور بفاس عدد تلك الايام الى الآن .

وقد ذكر الجزنائي فى « جنا زهرة الآس » ونقله ابن عيشون الشراط فى « الروض العاطر الانفاس بأخبار الصالحين من اهل فاس » ان بلاد المغرب كانت قبل ان يدخل دراس علم مالك الغالب عليها مذهب الكوفيين كما ذكر الجزنائي ان دراسا دخل الاسكندرية والاندلس مجاهدا .

— محمد بن سعيد القيسي قاضي المولى ادريس سمع مالكا وسفيان الثوري (جذوة الاقتباس لابن القاضي ص 13) .

— محمد بن سليمان الجزولي الحسيني شيخ الطريقة الجزولية ذكر عبد الله الغزواني فى جواب له انه اخذ عن سيدي عبد العزيز العجمي بالجامع الازهر عن ابي الحسن الشاذلي (ممتع الاسماع فى ذكر الجزولي والتباع طبعة فاس ص 3) ولاحظ صاحب « مرآة المحاسن » ان الجزولي مات عام 870هـ والشاذلي سنة 656هـ فلا يمكن ان يكون الواسطة رجلا واحدا .

— محمد بن سليمان بن داود الجزولي الفقيه رحل الى تونس ومصر توفي عام 863هـ (درة الحجال فى غرة اسماء الرجال ج 1 ص 297 طبعة الرباط 1934) وقد ولد بجزولة عام 806هـ وانتقل الى مراكش ففاس عام 835هـ ومات بمكة (الضوء اللامع ج 7 ص 259) .

— محمد بن محمد الجزولي الدرعي اخذ فى مصر عن نجم الدين العيطي ومحمد المعلمي وفى مكة عن ابي فهد توفى بفاس عام 988هـ (سلوة الانفاس ج 3 ص 284) .

— محمد ابن الغازي بن عبد الله القرطبي رحل الى المشرق فدخل البصرة وادخل الاندلس علما كثيرا من الشعر والغريب والخبر وعنه اخذ اهل الاندلس الاشعار المشروحة كلها ، مات بطنجة عام 296 (تاريخ ابن الفرضي ص 323) .

— محمد بن طاهر بن احمد الانصاري الاشبيلي سكن فاسا طويلا فى بعض خاناتها وهو ابو بكر الخدب كان رئيس النحويين بالمغرب فى زمانه بلا مدافعة وانفهمم اغراض سيبويه له عليه تنبيهات وهي التي بسطها تلميذه ابن خروف فى شرحه الكتاب رحل الى المشرق فناظر بمصر كبير النحاة عبد الله ابن بري وكبير النحاة بدمشق ابا اليمن زيدا بن الحسن الكندي فحكم الحاضرون بأن ابا بكر المغربي اعرف منه بالكتاب وبأن ابا اليمن انبه نفسا وقد اقرا كتاب سيبويه فى البصرة (الذيل والتكملة لابن عبد الملك ص 650) .

— محمد ابن عطية تحدث ابن خلدون فى فصل التفسير من مقدمة تاريخه (ق 4 ص 794) عن الاسرائيليات المروية عن كعب الاحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام فقال : « فلما رجع الناس الى التحقيق والتمحيص وجاء محمد بن عطية من المتأخرين بالمغرب فلخص تلك التفاسير كلها وتحرى ما هو اقرب الى الصحة منها ووضع ذلك فى كتاب متداول بين اهل المغرب والاندلس حسن المنحى وتبعه القرطبي فى تلك الطريقة على منهاج واحد فى كتاب آخر مشهور بالمشرق .

— محمد بن احمد التقي الفاسي (بن علي بن ابي الطيب) مؤرخ عالم بالاصول حافظ للحديث اصله من فاس ومولده ووفاته بمكة دخل اليمن والشام ومصر ذكر المقريزي انه كان بحر علم لم يخلف بالحجاز بعده مثله ومن كتبه « العقد الثمين فى تاريخ البلد الامين » (الاعلام للزركلي ج 6 ص 288) .

— محمد بن عبد العزيز المعروف بالحاج عزوز المكناسي أحد الحفاظ والاطباء اخذ عن اعلام المشرق ثم عاد الى مكناس (نيل الابتهاج ص 322) وقيل مات فى الشرق (الاتحاف لابن زيدان ج 3 ص 593) .

— محمد الطاهر ابن عاشور (بن محمد بن عاشور) وفد سلفه من سلا بالمغرب الاقصى وولي قضاء الجماعة بتونس عام 1267 هـ توفي عام 1284هـ بعد ان تولى خطة الفتوى عام 1277هـ ونقابة الاشراف (عيون الاريب للشيخ محمد النيفر ج 2 ص 122 تونس 1351) .

— محمد بن التهامي بن عمرو الرباطي علامة متبحر قدم تونس عام 1243هـ فاكرم وفادته علماء تونس منهم شيخ الاسلام الثالث محمد بيرم واخذ عنه شيخ الاسلام الاول محمد بن احمد بن الخوجة توفي بمكة عام 1244هـ (شجرة النور ص 382) .

— محمد ظافر المدني حسن بن حمزة عالم مرشد قرا بالمدينة المنورة ثم ساح عام 1122 فوصل الى المغرب الاقصى واخذ الطريقة الناصرية المغربية واجتمع بالشيخ سيدي احمد التيجاني والشيخ مولاي

العربي الدرقاوي عام 1234هـ ونشر طريقته المعروفة بالطريقة المدنية التي اتسع مجالها فى الجزائر وافريقية وطرابلس توفى عام 1268 هـ (شجرة النور ص 383) .

— محمد اغا المكناسي ولد فى حلب عام 1198هـ عاش 110 سنين (الاعلام الشرقية لزكي محمد مجاهد ج 2 ص 43 او الجزء السابع من « اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ».

— محمد التافلالتي (بن محمد) المغربي المالكي ثم الحنفي مفتي القدس ولد بالمغرب الاقصى ومات ببيت المقدس عام 1191هـ وقد افردت ترجمته بالتأليف (فهرس الفهارس ج 1 ص 194) تعلم بالازهر وقام برحلة طويلة ومن مصنفاته المخطوطة « حسن التبيان فى معنى مدلول القرآن » و « الصلح بين المجتهدين » و « القهوة والدخان » وكلها فى المكتبة الخالدية بالقدس (الاعلام للزركلي (ج 7 ص 296) .

— محمد الدرعي الورزازي الحافظ الشهير بالصغير وبالقاضي اشتغل بالتدريس فى مصر وكانت له اليد الطولى فى الفقه والعلوم العقلية توفي بمصر عام 1138 (الاعلام للزركلي ج 5 ص 38) .

— محمد بن الطيب الشرقي (1170هـ) اخذ عنه اللغة علماء المغرب والمشرق والف « المسفر عن خبايا المزهر » والحاشية الكبرى على قاموس الفيروز ابادي فى اربعة مجلدات ومنها استمد تلميذه الشيخ مرتضى فى كتابه « تاج العروس بشرح القاموس » .

ولد بفاس وتوفى بالمدينة المنورة وهو من شراقة على مرحلة من فاس له اضاءة الراموس مخطوط وموطئة النصيح لموطاة الفصيح » مخطوط فى مجلدين شرح به نظم فصيح ثعلب لابن المرحل (الاعلام للزركلي ج 7 ص 47) .

— محمد اليستيني (بن احمد بن عبد الرحمن) الفقيه المحقق الرحالة المفتي رحل الى المشرق فدرس بالجزائر وتونس ومصر حيث اخذ عن الامام اللقاني توفي عام 959هـ (درة الحجال ج 1 ص 247) .

— محمد بن يحيى المصري (بن عبد الله بن ابي القسم المحب) يعرف بابن الوجدية نسبة الى وجدة (بالمغرب الاقصى) كان يكتب بخطه ابن الوجدي وكان متفننا مات عام 903هـ (الضوء اللامع ج 10 ص 73)

— محمد الجياني البغدادي (بن احمد بن جراح) عرف بالبغدادي لطول سكناه ببغداد روى عن علي الطبري وجلب من تواليفه احكام القرآن واصول الفقه والرد على احمد بن حنبل حفظ كتاب البرادعي قبل رحلته واستقر بفاس بعد خروجه من جيان اوائل الموحدين وتوفي بها عام 546هـ (السلوة ج 3 ص 267) وقد درس الفقه بجامع القرويين واقام بفاس مدة ثم تحول الى جيان الى ان قامت الفتنة عام 539 او 540هـ فعاد الى فاس عام 544هـ (الذيل والتكملة لابن عبد الملك ق 2 ص 583) .

وورد فى تكملة الصلة لابن الابار (ج 2 ص 193) ابراهيم بدل جراح وانه ولد عام 470هـ وان استقراره بفاس كان عام 544هـ .

— محمد بن ابراهيم السلاوي من طرابلس الغرب ذكره محمد بن النعمان المزالي الفاسي فى كتابه « مصباح الظلام فى المستغيثين بخير الانام فى اليقظة والمنام » فى جملة من كان يكاتبه (مخطوط الاسكوريال رقم 1685 ورقة 29 ، وقف عليه الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني .

— محمد السلاوي (بن محمد بن احمد بن قاسم) ولد عام 714 هـ ودرس بتونس وحلب ومات بالاسكندرية عام 803هـ (الضوء اللامع ج 9 ص 29)

— محمد بن ابي الفتح الفاسي (محمد بن احمد) الشافعي مات ببلد كلبرجا من الهند بعد 830هـ بيسير ذكره ابن فهد (الضوء اللامع ج 9 ص 43) ولبه ابن ولد بالهند (الضوء ج 10 ص 189) .

— محمد الزموري (بن محمد بن ابراهيم البخاري) نزيل الحرمين مات عام 839هـ بالمدينة ومن مؤلفاته حسب ابن فهد « مساطع الانوار فى استخراج ما فى حديث الاسراء من الاسرار » (الضوء ج 8 ص 301)

وهناك محمد الزموري بن محمد بن القاضي الخزرجي المدني ذكره السخاوي ايضا (الضوء ج 9 ص 189) .

— محمد بن يوسف التازي (بن خطاب السيد الشمس) الاصبهاني سمع عن السخاوي بمكة (الضوء ج 10 ص 93) .

— محمد بن عبد الله البياتي المغربي (هذه العائلة موجودة بالمغرب منها اسرة فى العرائش اليوم) نزيل قاعة الحنفية عالم بالطب والفراسة مات عام 853هـ (الضوء ج 10 ص 116) .

— محمد الشريف الزكراوي نسبة الى جده ابى زكرياء الفاسي نزيل تونس وبها توفي عام 874هـ وكان اديبا طبيبا ولي المارستان بتونس واقرا العقليات مع مشاركة فى الفقه واعتناء بالتاريخ (الضوء ج 10 ص 123) .

— محمد تقي الدين (ابن احمد بن علي) الفاسي: قال عنه الحافظ ابن حجر « واغتني فى السماع بمصر والشام واليمن وغيرها وكنت اوده واعظمه » توفي عام 842هـ (نيل الابتهاج ص 318) وذكر عبد الله عنان انه درس بالجامع الازهر وانه وغد على مصر بعد ابن خلدون (تاريخ الازهر طبعة 1378 ص 127) وذكر صاحب شجرة النور (ص 253) انه ولد عام 775هـ وتوفي سنة 833هـ بعد ما تولى قضاء المالكية بمكة منذ عام 807هـ .

— محمد الغماري الجمال (ابن محمد بن عبد الله) قاضي ليسة من اعمال الطائف (الضوء ج 9 ص 128) ولعله من غمارة بشمال المغرب ومثله :

— محمد بن محمد بن علي بن عبد الرزاق الشمس الغماري ثم المصري المالكي النحوي ولد عام 720هـ ولازم ابا حيان وقرا ببيت المقدس ومكة والاسكندرية انتهت اليه علوم العربية فى زمانه توفي بالقاهرة عام 802هـ (الضوء ج 9 ص 149) .

ولعله هو محمد بن عمر الغماري(بن علي بن عبد الدار شمس الدين النحوي ولد عام 720هـ برع فى العربية وتفرد على راس المائة الثامنة فى النحو حسب السيوطي توفي عام 802هـ (نيل الابتهاج ص 281) .

— محمد بن ابراهيم الغماري القاهري القرافي (ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن الجمال عبد الله الشمس) مات عام 853هـ (الضوء ج 6 ص 275) .

— محمد بن موسى بن عائذ الوانوغي الغماري نزيل مكة منذ عام 780هـ دخل اليمن وكان يحضر مجلس عبد الرحمن بن ابي الخير الفاسي مات عام 827هـ (الضوء ج 10 ص 55) .

— محمد بن موسى ابو البركات المراكشي الاصل المكي الشافعي (بن علي بن عبد الصمد بن محمد بن بن عبد الله الجمال) سبط العفيف اليافعي يعرف بابن موسى ولد عام 789هـ بمكة حيث افتى ، لم يكن له بالحجاز نظير فى حفظ المتون والحديث دخل دمشق والقاهرة والاسكندرية وبعلبك وحلب والقدس وحمص وحماة واليمن حيث اخذ عن المجد اللغوي وابن خلدون وابن عرفة والولي العراقي والهيثمي وابن فرحون كتب على نمط الموضوعات لابن الجوزي ودرس ببعض مدارس زبيد باليمن فامتاز فى الحديث ومال اليه الناصر صاحب اليمن مات عام 823هـ (الضوء ج 10 ص 57) واخوه هو محمد الجمال الجاناتي سافر الى اليمن عام 823 هـ (ص 87) (وعائلة الجاناتي ما زالت معروفة بالمغرب الاقصى) .

— محمد بن ابراهيم بن محمد البقوري (بقور بقاف مشددة بلد بالاندلس) دخل مصر وتوفي بمراكش عام 707هـ (الديباج 282) .

— محمد بن عمران بن موسى بن عبد العزيز المعروف بالشريف الكركي صحب عز الدين ابن عبد السلام وتفقه عليه فى مذهب الشافعي واشتغل عليه الشهاب القرافي الذي قال فيه : انه تفرد بمعرفة ثلاثين علما وحده وشارك الناس فى علومهم ولد بفاس وتوفى بمصر عام 688 او 689هـ (الديباج ص 286) وقد اقام بالكرك من اعمال الشام وتخصص فى العربية والاصلين والحساب وافتى فى المذهبين اليه انتهت الرياسة بالديار المصرية وكان عليه مدار الفتيا بها «له شرح على عقيدة المهدي المرشدة » املاء العيبة لابن رشيد مخطوط ج 5 — اسكوريال رقم 1680 ورقة 67) .

— محمد بن يحيى العجيسي (ابن عبد الرحمن ابن محمد البدر بن الشرف) المغربي الاصل القاهري درس الفقه بجامع طولون والاشرفية دخل الشام والقدس مات عام 871هـ (الضوء ج 10 ص 73) .

— محمد الشريف الادريسي المولود فى سبتة عام 494 هـ صاحب نزهة المشتاق واستاذ اوربا فى الجغرافيا قال فى رسائل البشر انه « طاف بمصر وآسيا الصغرى والقسطنطينية وفرنسا وانجلترا قبل ان يستدعيه ملك صقلية» (الاعلام للمراكشي ج 3 ص34) وهو اول من اكتشف ان النيل ينبع من بحيرات خط الاستواء فى حين ان الاوربيين لم يكتشفوا ذلك الا منذ عهد قريب (حضارة العرب لكوستاف لوبون — الطبعة الفرنسية ص 508) .

وقد ورد فى « النخبة الازهرية فى تخطيط الكرة الارضية ص 140) ان الادريسي من اسرة ملكت مصر وبلاد النوبة ولذا لقبوه بجغرافي النوبة .

— محمد بن علي الادريسي (1293 — 1341هـ) مؤسس دولة الادارسة فى صبيا باليمن اصله من فاس

درس في الازهر حليف عبد العزيز آل سعود (الاعلام للزركلي ج 7 ص 196) .

— محمد بن محمد الانصاري الزنوري نزيل المدينة ولد في زنورة بأقصى المغرب وبها نشأ ثم ارتحل عام 821هـ الى الحجاز وكان عالما في الفقه والعربية (الضوء ج 10 ص 42) .

— محمد بن ابراهيم العبدري الابلي التلمساني استقر بفاس قيل انه اعلم العالم في عصره بفنون العلم دخل آخر المائة السابعة مصر والشام والحجاز والعراق ولقي بمصر ابن دقيق العيد وصفي الدين الهندي والتبريزي وقرأ بفاس فنون التعاليم وتضلع في مراكش عن ابن البنا في المعقول والحكمة ونظمه السلطان ابو الحسن المريني في طبقات العلماء بمجلسه وهو استاذ ابن خلدون توفي عام 757هـ (السلوة ج 3 ص 274) وورد في (نيل الابتهاج ص 244) انه اختفى عند خلوف اليهودي شيخ التعاليم لما اكرهه ابو حمو على العمل ودخل مراكش عام 710 ثم صعد الى الجبل عند علي ابن محمد شيخ العساكرة فقرأ عليه ثم عاد الى فاس وقد اخذ عنه المقري .

— محمد بن ابي الفضل خروف التونسي شيخ الجماعة رحل الى المشرق فاسر واعتقه السلطان احمد المريني توفي بفاس عام 966هـ (درة الحجال لابن القاضي ج 1 ص 250) .

— محمد بن سعدون القيرواني بن علي بن بلال (السعادة الابدية لابن الموقت ج 1 ص 63 والاعلام للمراكشي ج 2 ص 308) استقر بأغمات وريكة حيث مات عام 485هـ (التشوف ص 61 وصلة ابن بشكوال ج 2 ص 544 طبعة مجريط 1883) .

— محمد التيفاشي التونسي وفد على عبد المومن ابن علي ملك المغرب ومدحه بقصيدة اولها :

ما هز عطفيه بين البيض والاسل

مثل الخليفة عبد المومن بن علي

(خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الاصفهاني — قسم شعراء المغرب طبعة تونس 1966 ص 128 .

— محمد السفاقسي رحل مع اخويه ابي الطيب ومحرز من تونس الى اغمات وريكة بايغيل (التشوف ص 140) كما رحل الى المغرب من تونس محمد بن محيو الهواري وهو من اهل العلم والعمل (التشوف ص 158) .

— محمد علي المغربي (بن محمد ابن العربي) تدم بغداد سنة 608هـ وزار الموصل ايضا (محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار ج 1 ص 34 المطبعة العثمانية) واخذ عن محمد بن قاسم بن عبد الكريم الفاسي توفي عام 638هـ (المختصر من المحتاج اليه من تاريخ الحافظ ابن الدبيثي طبعة بغداد 1371 ص 102) .

— محمد بن علي المراكشي الاوسي نشأ بسلا وغادرها عام 618هـ دخل بغداد وتكريت والموصل ومصر والاسكندرية وحماة ودمشق واخذ عن شيوخ عدة ثم عاد الى مراكش حيث ولد عام 595هـ وتوفي عام 671هـ (الاعلام للمراكشي ج 3 ص 162 نقلا عن الذيل والتكملة) .

— محمد بن علي التسولي (بن محمد بن يحيى ولد عام 755هـ وارتحل الى دمشق عام 784هـ في طلب الاداب (الضوء ج 8 ص 212) .

— محمد بن احمد بن ابي شاكر بن الظهير المراكشي درس بدمشق وقدم مصر وحدث عن كريمة بنت عبد الوهاب والسخاوي وسمع باربل وبغداد ولد باربل عام 602هـ (الاعلام للمراكشي ج 3 ص 195 نقلا عن بغية الوعاة) .

— محمد بن ابي بكر الفاسي القيرواني تولى قضاء القيروان (نيل الابتهاج ص 294) .

— محمد بن موسى بن النعمان شمس الدين المزالي الفاسي نزل مصر كان معظما بها سمع من البحراني وابن رواج وابن المغير ومرتضى ابن العفيف مات قبل وصول ابن رشيد (ملء العيبة — مخطوط الاسكوريال رقم 1680 ج 5 ورقة 80 وقد اورد ابن رشيد قصيدة لبعض اهل الاسكندرية في مدح المزالي .

— محمد بن سالم السجلماسي اشار اليه محمد ابن النعمان المزالي الفاسي في كتابه « مصباح الظلام في المستغيثين بخير الانام في اليقظة والمنام » (مخطوط الاسكوريال رقم 1685 عدد اوراقه 54 (وقف عليه الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني) وقد ذكر المؤلف جملة من لقيهم او كاتبهم من المغاربة امثال عبد العظيم ابن علي الدكالي وعلي بن عبدون السبتي واحمد بن محمد اللواتي الفاسي المعروف بابن تامتيت واحمد ابن محمد السلاوي .

— محمد بن شعيب الهسكوري الامام المجتهد

رحل للمشرق واقام بالاسكندرية ثلاثا وعشرين سنة ثم رجع الى تونس (نيل الابتهاج ص 225) .

— محمد العبدري الحاحي ابو القاسم رحل الى المشرق عام 688هـ وكتب رحلة وقف عليها شيوخه بمصر وغيرها ومن جملتهم ابن المنير الاسكندري وابو الحسن القرافي وشرف الدين الدمياطي وابن دقيق العيد تطب مصر (الاعلام للمراكشي ج 3 ص 197) .

— محمد بن عمر بن مالك المعافري نزيل الاسكندرية المولود بمدينة فاس عام 548هـ من جملة تلامذته جمال الدين محمد بن ساطر البوني بالاسكندرية لقيه ابن رشيد واخذ عنه (ملء العيبة ج 3 ورقة 2) .

— محمد بن ابراهيم السبتي ابو الطيب نزيل قوص اخذ عنه ابو حيان مات عام 695هـ فقيه مالكي متفنن (نيل الابتهاج ص 226) .

— محمد بن الحداد الصنهاجي الشاعر المحدث الصوفي المكناسي انتقل للمشرق لامر قام عليه فيه الطلبة بخطبة قال فيها بأن الله خلق آدم على صورته (درة الحجال ص 208) .

— محمد بن يوسف شمس الدين الركراكي تقدم من المغرب مهر في المعقول ودرس في المنصورية ثم ولاه نور الدين الاخنائي مدرسة الحجازية وتصدر بالجامع الازهر ثم درس الفقه بالشيخونية (الدرر الكامنة ونيل الابتهاج ص 271) .

— محمد بن عامر الحمصي رحل الى المشرق واستوطن بحلب والشام واقرأ هناك ثم عاد الى فاس وبها توفي بعد 570 هـ (السلوة ج 3 ص 267)

— محمد بن احمد بن ابراهيم بن عيسى بن هشام البغدادي الفاسي نشأ بجيان واخذ عن اعلام مصر والاسكندرية والقيروان وتنقل الى المغرب حوالي 515 هـ يحمل علوما واقرأ الفقه بالترويين وتوفي بفاس عام 546هـ (الذيل والتكملة ج 4) .

— محمد بن علي الخروبي الطرابلسي الجزائري من اهل الحديث والفقه والتصوف اخذ عن زروق واخذ عنه جماعة من الجزائر وفاس وقدم مراكش عام 959هـ سفيرا بين سلطان آل عثمان وبين السلطان ابي عبد الله الشريف السعدي بقصد المهادنة وتحرير البلاد توفي بالجزائر عام 963هـ (شجرة النور ص 284) .

— محمد ابن الخضار الكتامي التلمساني السبتي سمع علوم الحديث لابن الصلاح وكان بدمشق عام 634هـ (درة الحجال ص 282) .

— محمد بن ابراهيم ابن الخضري الهنتاتي المراكشي المصري المولد والدار ذكر المقريزي انه كان يحفظ كثيرا من كتب الفقه كالعمدة والرسالة والتلخيص شاعر اشتهر بالمجون مع المشاركة التامة حتى في اللغة والطب والهيئة ولي تدريس الفقه بجامع الحاكم والقرانسقرية والحسنية والحديث بالفاضلية والاعادة بالكاملية والمنصورية مات عام 872هـ (الاعلام للمراكشي ج 4 ص 125) وقد ولد عام 784هـ بالقاهرة (الضوء اللامع ج 6 ص 262).

— محمد فتحا الدقاق الدغمي السلاوي قام بتدريس الحديث في المدينة اكثر من عشر سنين وكان معظما عند ملوك الشرق وخصوصا السلطان العثماني (الاعلام للمراكشي ج 5 ص 60) نقلا عن فهرسة الحافي) .

— محمد بن عبد الوهاب الدمشقي الحنبلي تلميذ ابن الجوزي ورد على مراكش وسبتة وجال في البلاد الاسلامية يعقد فيها مجالس الوعظ وتوفي بمصر عام 657هـ (الاعلام للمراكشي ج 3 ص 148 نقلا عن الذيلة والتكملة) .

— محمد بن سعيد الرعيني الفاسي المسند رحل الى المشرق واخذ عن اعلام مشارقة توفي عام 784هـ (السلوة ج 3 ص 278) .

— محمد الرتاء المرادي السبتي الفاسي (ابن ابراهيم بن محمد) الاصولي دخل الاسكندرية والقاهرة ودمشق عام 627هـ ودفن بجبل قاسيون (تكملة الاكمال لابن الصابوني طبعة المجمع العلمي العراقي ص 174 عام 1377هـ) .

— محمد بن محمد بن سليمان الروداني الفاسي ولد عام 1039هـ وصفه في خلاصة الاثر بأنه فرد الدنيا في العلوم كلها ولد بتارودانت حصلت له بعد التطواف على مصر والحجاز والشام وبلاد الروم الرياسة العظمى التي لم يعهد مثلها لاحد وكان في الحكمة والمنطق والطبيعي والالهي الاستاذ الذي لا يبارى توفي عام 1094هـ (الاعلام للمراكشي ج 4 ص 334) تنافس الناس في اقتناء الآلة التي اخترعها فكان يبيعها بثمن غال وقد الف رسالة في وصفها وهي منشورة في الاعلام (ص 350) والآلة عبارة عن كرة

مستديرة مسطرة دوائر ورسوما وقد ركبت عليهـــا اخرى مجونة منقسمة نصفين فيها تخاريم وتجاويف (نشر المثاني للقادري ص 87) وقد الف مجمع الفوائد من جامع الاصول ومجمع الزوائد ضم اربعة عشـر كتابا في الحديث طبع اخيرا بالقاهرة .

— محمد بن سليمان المراكشي الصنهاجي مـن شيوخ الاسكندرية ومن المحدثين والمسنديـن بمصر مات عام717هـ (الاعلام للمراكشي ج 3ص248)

— محمد بن ابي بكر الفاسي المصري (بن احمد ابن اسماعيل بن عبد الوهاب) نزيل الحجاز يلقب ابوه بالناظر ولد عام 821هـ في الصعيد بمصر ونشـأ في نواحي اسيوط وارتحل للقاهرة عام 843هـ ثم دمشق عام 844هـ وعاد الى مصر (الضوء اللامع ج7ص154)

— محمد بن حسن الشمس الفارقي السلاوي (ابن ابي بكر بن منصور) ربيب الشمس السمرقنـدي العطار رحل عن دمشق فعوقب حتى مات عام 903هـ (الضوء اللامع ج 7 ص 221) .

— محمد بن عبد الحق السبتي (بن اسماعيـل بن احمد) ذكره ابن حجر في انبائه ولد عام 783 وقدم القاهرة عام 832 مات عام 836هـ ودرس علـى الحافظ السخاوي (الضوء ج 7 ص 279) .

— محمد بن ابي بكر البغدادي اصله من قصر كتامة بالمغرب الاقصى له شيوخ ببغداد ودمشـق والاندلس ومصر وهو صاحب الوتريات في المـدح النبوي وقد ورد على مراكش صدر 655هـ ثم عاد اليها واقام بها مدة وكان شافعي المذهب نظارا فيه حسن المأخذ توفي بتونس لدى تقفوله من مراكش للمـرة الثالثة عام 663هـ (الاعلام للمراكشي ج 3 ص 152)

— محمد بن احمد بن ابراهيم بن محمد هبة الله الفاسي نزيل مكة وشيخ الاقراء على الاطلاق مات بها عام 868هـ اخذ القراءات عن محمد الصغير شيـخ فاس (الضوء اللامع ج 10 ص 207) .

— محمد بن عبد الصمد التازي نزيل مكة جاور بها ازيد من عشرين سنة مات عام 805 او 806هـ (الضوء ج 8 ص 58) .

— محمد بن عبد الرحمن رضى الدين ابو حامد الفاسي قام بالافتاء والتدريس بالقاهرة ولد عام 785هـ وتوفي عام 824هـ (نيل الابتهاج ص 301) .

— محمد الفاسي (بن حسن بن محمد بن يوسف جمال الدين (589 — 656 هـ) عالم بالقراءات ولـد بفاس وانتقل الى مصر ثم اقام بها وتوفى بحلب لـه « اللآلي الفريدة » (مخطوط) في شرح الشاطبيـة (الاعلام للزركلي ج 6 ص 317 وغاية النهاية ج 2 ص 122) .

— محمد بن عبد الرحمن بن ابي الخيـر الفاسي تلميذ موسى المراكشي مات عام 806هـ بطيبة (الضوء ج 8 ص 40) له اخوة هم محب المحب ومحمد الرضى وابـو السرور .

— محمد بن عبد الرحمن المراكشي بن ابي زيـد القسنطيني الضرير ولد عام 739هـ وهـو صاحـب « اسمـاع الصم في اثبـات الشرف من قبل الام » (الضوء ج 8 ص 48) وهو من اهل بونة توفـي عام 807هـ (درة الحجال ج 1 ص 293) .

— محمد الفاسي دخل تونس قبل طاعـون 1199هـ كان على درجة عليا في تحقيق العلوم اخـذ عنه الشيخ ابراهيم الرياحي (شجرة النور ص 380)

— محمد بن عبد اللطيف بن ابي السـرور الفاسي بن شيخ الحرم عبد الرحمن بن ابي الخيـر ولد عام 843هـ بمكة دخل القاهرة والقدس ودمشق وتونس وفاس ومكناس مرارا وكذلك الهنـد (الضوء ج 8 ص 77) .

— محمد بن عبد الرحمن ابو القسم الحميـري الفاسي الاصل التونسي والد احمد المعروف بالخلوف جاور بمكة منذ عام 830 واستوطن القدس الى انمات عام 859 هـ برع في الفقه (الضوء ج 8 ص 36) .

— محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفاسي الفندلاوي اقام بالمشرق خمسة عشر عاما واخذ عن عشرات الاعلام بالقاهرة وبغـداد والقرافة ودمشق والصعيد الاعلى والاسكندريـة والقدس وطرابلس وافريقية كما تتلمذ بمصر للاختين ست الكل وست العلم ابنتي عبد الله بن رفاعـة السعدي وفاطمة بنت سعد الخير الانصارية بالقاهرة وتقية بنت الخطيب غيث الارمنازي حدث بالمشـرق والمغرب وهو صاحب المستفاد في مناقب العبـاد بمدينة فاس مات عام 604هـ (الذيل والتكملة) .

— محمد بن عمر بن نصر الفـزاري السـلاوي قدم الاندلس ورحل الى الشرق وروى عن اعلامـه سنة 630هـ (الذيل والتكملة) .

— محمد بن عمر الانصاري القرطبي يعرف بابن

مغانط نشأ بفاس جال فى الاسكندرية ومصر وجلس بعد موت الشاطبي فى مكانه للاقراء ولد عام 558هـ ومات بالمدينة عام 631هـ (طبقات المفسرين للسيوطي ص 39) .

— محمد بن محمد بن قدور المراكشي الاصل الاسكندري الفقيه ذكره احمد بن حسون فى رحلته التي ألفها عام 1270 هـ.

— محمد بن قاسم القيسي شيخ الفتيا بفاس وخاتمة اعلامها اجازه شيخ الاسلام بدمشق ابو الطيب محمد المغربي والبدر القرافي واخذ عنه محمد ابن ابي بكر الدلائي والشهاب المقري ومحمد العربي الفاسي الخ ولد عام 936هـ وتوفى عام 1012هـ (شجرة النور ص 295) .

— محمد بن جعفر الكتاني خاتمة المحققين اخذعنه الكثير من المشرق والمغرب له « سلوة الانفاس » رحل الى المشرق وجاور بالمدينة ودخل بيروت عام 1325 و 1326هـ ثم عاد الى فاس وتوفى بها عام 1345 هـ (شجرة النور ص 437) .

— محمد بن ابي الفضل العقاد احد الواردين على احمد المنصور السعدي توفي بالقسطنطينية بعد 990هـ (درة الحجال ج 1 ص 266) .

— محمد المجبدري اليعقوبي قيل انه احد اربعة لم يبلغ مبلغهم فى عصره (القرن الثاني عشر الهجري) وقد رحل الى المشرق واكرمه امير مصر (الاعلام للمراكشي ج 5 ص 88) .

— محمد الحصار المغربي الفاسي اتصل به الحاتمي بفاس ورحل معه عام 597هـ الى مصر (المناوي فى جامع كرامات الاولياء ج 1 ص 190) .

— محمد بن محمد البناني النفزي الفاسي مفتي المالكية بمكة المتوفى عام 1245هـ له شرح على البخاري (فهرس الفهارس ج 1 ص 163) .

محمد يحيى الشنقيطي الولاتي زار تونس عام 1314هـ توفي عام 1330هـ له شرح على البخاري امتاز بالتنبيه على كل حديث تمسك به مالك فى الموطا وله شرح على منظومة ابن عاصم فى الاصول (الاعلام الشرقية ج 2 ص 179 وشجرة النور) .

— محمد بن محمد بن عبد الله المغربي الاصل المدني ولد عام 1119هـ هاجر والده الفاسي الاصل الى المدينة عام 1125هـ ومات بها عام 1141هـ وولده هذا هو علم المدينة ومسند عصره (فهرس الفهارس ج 2 ص 225) .

— محمد بن ابراهيم بن يوسف بن حامد تاج الدين المراكشي ذكر ابن السبكي فى طبقاته انه ولد بعد السبعمائة ونشأ بالقاهرة وقرأ على علاء الدين القونوى اعاد بقبة الشافعي بالقاهرة ثم دخل دمشق ودرس بالمروزية وسمع من الحافظ المزي ثم ترك التدريس وانقطع بدار الحديث الاشرفية الى ان توفى عام 752هـ (الاعلام للمراكشي ج 3 ص 265) وذكر ابن حجر فى الدرر ان اخراجه الى الشام كان بأمر من الناصر بعد استطالته على القاضي جمال الدين القزويني (ص 269) وذكر ابن القاضي فى درة الحجال (ج 1 ص 170) انه توفي عام 756هـ وانه كان ضريرا وورد فى الدارس فى تاريخ المدارس (ج 1 ص 458) انه ولد عام 701 هـ وتوفى عام 752هـ وانه ولي تدريس المسرورية بدمشق بعده تقي الدين السبكي .

— محمد بن موفق من بجاية قدم مراكش ومات بها (التشوف ص 449) .

— محمد بن يحيى الباهلي عرف بابن المسفر البجائي الامام المحقق قاضي بجاية دخل فاسا سفيرا توفى عام 743هـ او 744هـ (شجرة النور ص 219)

— محمد بن عبد الكريم الجزائري الفاسي الشيخ المعمر اخذ عن اعلام مشارقة ومغاربة كعبد القادر الفاسي واليوسي وسعيد قدورة والاجهوري توفي عام 1102هـ (شجرة النور ص 327) .

— محمد بن سليمان السطي حافظ المغرب وامام مذهب مالك استاذ ابن خلدون والمقري وابن مرزوق الجد وابن عرفة اقام بتونس عامين وغرق فى اسطول ابي الحسن المريني فى طريق تونس عام 750هـ (شجرة النور ص 221) .

— محمد بن محمد بن الصباغ المكناسي اخذ عن الابلي واخذ عنه ابن عرفة وابن خلدون ممن غرق فى الاسطول المريني عام 750 (شجرة النور ص 221) .

— محمد تاج الدين بن محمد بدر الدين ابن يوسف المراكشي الاصل الدمشقي المولد والوفاة (1307-1362) تولى رياسة الجمهورية السورية فى عهد الاحتلال الفرنسي عام 1941م — 1360هـ واستمر الى ان توفي (الاعلام للزركلي ج 7 ص 306) .

— محمد بن المنذر المراكشي المتوفى عام 628هـ نزيل حلب قدم والده الى بغداد وولد هو بها ولقي مولاي عبد القادر الجيلاني وسافر الى الشام وقرأ على ابن عساكر تاريخه ودرس ببغداد الحديث والفقه وكان غزير العلم اديبا (الاعلام للمراكشي ج 4ص383)

— محمود بن ابي القاسم الخراساني ورد على المغرب ايام الناصر الموحدي الذي اجزل صلته وروى عنه علماء مغاربة .

— مخلوف بن علي البلبالي العالم الرحالة دخل السودان وتنبكتوومراكش وأقرأالعلوم هناك توفيعام 940هـ (شجرة النور ص 278) .

— مروان بن عبد الملك المعروف بابن سمجون الطنجي اللواتي سمع بمصر من ابن نفيس وابن منير (الذيل والتكملة) مات عام 491 اقام في الشرق 17 سنة يقرر الحديث وكان يقول : « لم ادخل الى المشرق حتى حفظت اربعة وثلاثين الف بيت من اشعار الجاهلية » وهو من كبار الفصحاء في طنجة (معجم البلدان ج 6 ص 62) .

— مفضل العذري ولاه ابو يوسف بن عبد الحق قضاء الجماعة بفاس وجعل له النظر على صاحبي الشرطة والحسبة تتلمذ لعز الدين بن عبد السلام وابن عساكر وابن خلكان وهو اول من سن بناء المدارس بفاس اذ على يديه اسست المدرسة القديمة بالحلفاويين بفاس (جذوة الاقتباس ص 220)

— موسى بن عبد الله بن ابراهيم بن محمد بنسنان بن عطاء الاغماتي رحل الى المشرق واوغل حتى بلغ سمرقند ومن شعره :

لعمر الهوى اني وان شطت النوى
لذو كبد حرى وذو مدمع سكب
فان كنت في اقصى خراسان ثاويا
فجسمي في شرق وقلبي في غرب

(معجم البلدان ج 2 ص 103)

(راجع ترجمته وشيئا من شعره في خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الاصفهاني) (قسم شعراء المغرب طبقة تونس 1966 ص 302 حيث ذكر ان موسى هذا رحل الى مصر والحجاز والعراق والجبال (بن اصبهان وقزوين) وهمذان والري وخراسان واقام بنيسابور تدم اليها عام 516هـ) .

— ميمون بن ياسين ابو عمر اللمتوني سمع على الطبري صحيح مسلم (الذيل والتكملة) .

— صالح بن محمد بن عبد الله ابن حرزهم عم ابى الحسن بن حرزهم (وهو علي بن اسماعيل شيخ ابي مدين الغوث) كان اماما بالشام دخل بيت المقدس حيث لقي الغزالي (الروض لابن عيشون الشراط وانس الفقير طبعة الرباط ص 12 والتشوف ص 71)

— عباس بن احمد بن عباس الزين القرشيالمغربي من الشاوية ومن بني مزورة عرب وطنوا مدينة فاس ولد عام 837هـ بصحراء تامسنا وكان ابوه من شيوخ العرب فقرا ببلده وانتقل الى فاس ثم تلمسان فالاندلس وتونس ثم القاهرة عام 869هـ فقطنها كان كثير الاستحضار والحفظ مات عام 889هـ (الضوء اللامع ج 4 ص 19) .

— عبد الرحمن الفاسي نزيل الاسكندرية عمر مائة واربعين سنة (نشر المثاني للقادري ج 2 ص245)

— عبد الرحمن بن خلدون الفيلسوف المؤرخ الاجتماعي المتوفى عام 808هـ وقد تولى خططا سامية في تونس وفاس وتلمسان والقاهرة وقضى شطرا من حياته في المغرب .

— عبد الرحمن الجامعي (بن محمد) دخل قسنطينة واخذ عن عالمها احمد البوني ودخل تونس وتصدى للتدريس له تآليف في فتح قلعة وهران ورحلة في الدولة الحسينية ولد عام 1087هـ (شجرة النور ص 351) .

— عبد الرحيم بن احمد بن العجوز الفاسي السبتي شيخ الفتيا لازم ابن ابي زيد واخذ عن دراس ابن اسماعيل والاصيلي ولد عام 340هـ ومات عام 413هـ (شجرة النور) .

— عبد الرحمن الزاهد أصله من المغرب رحل الى المشرق واستقر اخيرا بالمسجد الاقصى وبه مات عام 603 (التشوف لابن الزيات ص 455) .

— عبد الرحمن بن احمد المكناسي الادريسي نزيل مكة العارف بالله ولد بمكناسة الزيتون ثم رحل الى مصر والشام وبلاد الروم واليمن مات عام 1085هـ (جامع كرامات الاولياء للنبهاني ج 2 ص 162 طبعة مصر عام 1381هـ — 1962م) .

— عبد الرحمن بن ابي السرور الفاسي ولد عام 810هـ بمكة ورحل الى القاهرة عام 833هـ حيث مات في نفس السنة — (الضوء اللامع ج 4 ص 134)

— عبد الرحيم بن احمد الزموري شهر بالمغبوب

تلميذ محمد بن علي السنوسي مات عام 1305 بمدينة ابن غازي (شجرة النور ص 407) .

— عبد الرحيم بن احمد القنائي ابن حجون اصله من سبتة قدم مصر ومات عام 592هـ كان شيخ وقته وامام عصره (حسن المحاضرة للسيوطي ج 1 ص 245) .

— عبد العزيز التونسي تلميذ ابي عمران الفاسي استقر باغمات وتوفي بها عام 486هـ كان له تلامذة في الاطلس واخذ بعض المصامدة الفقه عنه فسادوا في بلادهم كقضاة وشهود وخطباء (التشوف ص 70 وصلة ابن بشكوال ج 1 ص 360) .

— عبد السلام التونسي صحب عمه عبد العزيز التونسي المذكور الى اغمات وعاد الى تلمسان حيث دفن بالعباد برابطة التونسي (التشوف ص 88 والبستان لابن مريم ص 122) .

— عبد الرحمن بن اسماعيل الازدي التونسي المعروف بابن الحداد رحل الى دمياط ثم استقر بسبتة ودخل الاندلس وولي قضاء شلب وتوفي بمراكش عام 640هـ (تكملة الصلة لابن الابار ج 3 ص 594).

— عبد العزيز بن موسى بن معطي العبدوسي الامام الحافظ حامل لواء المذهب شيخ الاسلام ابن شيخ الاسلام ابي عمران العبدوسي الفاسي نزيل تونس كان اذا اقرا المدونة يتطرق الى اصحاب مالك فينزل الى علماء الاقطار من المصريين والافريقيين والمغاربة والاندلسيين وائمة الاسلام وكان ابن اخيه عبد الله ينهج هذه الطريق بجامع القرويين وقد نهجها بمصر فتعجبوا من حفظه توفي بتونس عام 837هـ (نيل الابتهاج ص 157) .

— عبد العزيز بن عبد الواحد المكناسي (بن محمد بن موسى) شيخ القراء بالمدينة زار حلب ودمشق عام 951هـ وتوفي بالمدينة له شعر واراجيز في 28 علما (الاعلام للزركلي ج 4 ص 146) .

— عبد الكريم الفاسي الملقب بالزريع قامت على اكتافه نهضة متواضعة في صناعة الخزف بمصر في القرن الثاني عشر الهجري وقد صنع الواح القشاني لتغطية جدران العمائر وتوجد الآن نماذج من ذلك في دار الآثار العربية بمصر (تيمور في كتابه التصوير عند العرب) .

— عبد الله بن غالب بن تمام الهمداني اصله من نكور سكن سبتة واحد عصره علما وفضلا رحل الى الاندلس والقيروان ومصر وربما العراق وتفنن في علوم جمة وكان حافظا شاعرا نظارا (الديباج ص 143) ووصفه الذهبي بمفتي اهل سبتة وزاهدهم وعالمهم وذكر انه كان فصيحا مفوها قليل النظير (العبرفي خبر من غبر ج3ص181طبعة الكويت1961).

— عبد الله بن محمد الخياط الهاروشي الفاسي رحل الى مصر توفي بتونس عام 1175هـ (شجرة النور ص 354) .

— عبد الله أو عبيد الله ابو الحكم بن المظفر ابن عبد الله المريني المغربي كان طبيب المارستان بالعراق وهذا المارستان كان يحمله اربعون جملا في المعسكر ايام السلطان محمود السلجوقي (خريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء المغرب ص 289 وفيات الاعيان لابن خلكان ج 2 ص 307) .

— عبد الله بن ذي النون (بن محمد بن علي ابن عبد الله) عالي السند خرج من المرية بعد تغلب العدو على مرسية ثم توجه الى مالقه ثم فاس فسبتة ولد عام 505هـ وتوفي بسبتة سنة 591هـ (شجرة النور ص 160) .

— عبد الله المراكشي (بن احمد بن محمد) شيخ زاوية عمر المجود اشتغل بها شافعيا وتصوف مات ببلد الخليل عام 895هـ (الضوء اللامع ج 5 ص 13) .

— عبد الله بن محمد الوردي المراكشي له رحلة الى المشرق سمع الحديث من جماعة وله سند صحيح الا انه ليس من اهل العلم اجاز لابن القاضي ولد عام 940هـ (درة الحجال ج 2 ص 342) .

— عبد الله بن ابي القاسم بن محمد الثعلبي الفاسي المولد الجزائري المنزل (درة الحجال ج 2 ص 347) .

— عبد الله بن محمد بن علي السكتاني السوسي رحل الى المشرق ورجع بعلم جم للقيروان ولازم بها التدريس ثم تولى بعناية علي باشا مشيخة المدرسة العاشورية توفي بتونس في حدود 1169هـ (شجرة النور ص 345) وقد فاق اقرانه وكان اديبا شاعرا (عيون الاريب عمن نشأ بالملكة التونسية من عالم اديب للشيخ محمد النيفر ج 2 ص 20 تونس 1351) .

— عبد الله بن علي بن احمد بن علي اللخمي سبط ابن عبد البر من اهل شاطبة ولي قضاء اغمات بالمغرب وحدث بها توفي باغمات وهو يتولى قضاءها

عام532هـ والصحيح حسب معجم مشيخة ابنبشكوال انه مات عام 533هـ (تكملة الصلة لابن الابار ج 3 ص 466) .

— عبد الله بن احمد الزموري (بن سعيد بن يحيى بن معاوية) الحافظ المؤرخ الاديب شارح الشفا وصل الى بلاد ولاتن من السودان واقرا اهلها كان حيا عام 888هـ (نيل الابتهاج ص 133) .

— عبد الله بن ابراهيم الاصيلي نسبة الى اصيلا كما جزم به ابن الطيب الشرقي محشى القاموس وايده مرتضى فى التاج ولي قضاء سرقسطة وقام بالشورى فى قرطبة وغيرها وصنف كتاب « الآثار والدلائل فى خلاف مالك وابي حنيفة والشافعي » توفي عام 372هـ (النبوغ المغربي — عبد الله كنون ج 1 ص 51) وحلاه ابن مخلوف فى شجرة النور (ص 100) برئيس علماء الاندلس وذكر انه اقام بالشرق نحو ثلاثة عشر عاما وتوفى عام 392هـ واكد الزركلي فى الاعلام (ج4 ص 187) انه دخل بغداد سنة 351هـ وذكر الحافظ الذهبي (العبر فى خبر من غبر ج 3 ص 52) وابن الفرضي (تاريخ علماء الاندلس ص208) انه من اصيلة ولاحظ ياقوت ان اصيلا بلد بالاندلس ربما كان من اعمال طليطلة وقال الدارقطني لم ار مثله وورد فى الديباج (ص 142) ان اصله من شذونة رحل الى اصيلا ونشأ بها ثم اتجه الى المشرق مارا بافريقية ومصر والعراق والحرمين ومات بالاندلس واكد الحميدي (جذوة المقتبس ص 239) ان الاصيلي رحل مع دراس بن اسماعيل الفاسي الى مصر .

— عبد الله بن ابي عبد الله الجمال السوسي المصري كان اعجوبة الدهر فى صناعة الاشياء الدقيقة حتى كان يصنع بيده ورقا مات بمصر عام 903هـ وذكره المقريزي فى عقوده (الضوء اللامع ج 5 ص 57) .

— عبد الله بن فارس بن احمد الجمال الطاغي البرنوسي التازي قدم مصر وتحول الى مكة وتولى القضاء بالحجاز خمس عشرة سنة ومات عام 894هـ وقد توفي والده فارس بمصر عام 869هـ (الضوء اللامع ج 5 ص 41) .

— عبد الله التواتي بن عمر المدني مات بالقاهرة عام سبع (ايوتسعمائة) كان يتردد الى مصر والشام (الضوء اللامع ج 5 ص 40) .

— عبد الملك بن زهر طبيب الموحدين رحل الى المشرق وبه مارس مهنة الطب زمنا طويلا وتولى رياسة الاطباء ببغداد ثم بمصر ثم بالقيروان (الاعلام للمراكشي ج 3 ص 63) .

— عبد المهيمن الحضرمي السبتي المولد التونسي القرار من تلامذة لسان الدين بن الخطيب وابن خلدون والمقري توفى عام 749هـ (شجرة النور ص 221) .

— عبد القادر التبين الاندلسي التطواني انتقل عام 540هـ من غرناطة الى سبتة ثم تطوان عام 542هـ وتوفي بها عام 566هـ قرا على ابي الوليد بن رشد وكان من رفقاء القاضي عياض والمفسر ابن عطية فى الدراسة وله مراسلات مع الغزالي (تاريخ تطوان للاستاذ محمد داود ج 1 ص 74 طبعة تطوان 1379)

— عبد القادر الفاسي بن عبد اللطيف الاصغر ابو صالح بن السراج المكي الحنبلي قاضي الحرمين ولد عام 842هـ قرا بالقاهرة توفي عام 898 هـ (الضوء اللامع ج 4 ص 273) .

— عبد الواحد المراكشي صاحب « المعجب فى تلخيص اخبار المغرب » عاش بالشرق حيث الف كتابه المذكور واقام بمصر عام 619 (المعجب ص 161) .

— عبد الوهاب الشعراني صاحب لطائف المنن والطبقات من ذرية السلطان احمد بتلمسان ولد عام 899هـ ورحل الى مصر عام 911هـ اخذ عن السيوطي توفي عام 973هـ .

— عبد الوهاب بن يوسف التصري المعروف بابن رشيق (بالتصغير وتشديد الياء) ولد سنة 587هـ بقصر عبد الكريم بالمغرب الاقصى وتوفي عام 650هـ بسفح جبل المقطم بالقاهرة اخذ عن بلديه عبد الجليل صاحب شعب الايمان وكان متصدرا بالجامع العتيق بمصر لقي احمد بن محمد بن هابيل العبدري المعروف بالاشتر بالقصر الكبير (تكملة اكمال الاكمال لابن الصابوني المتوفى عام 680هـ طبعة بغداد 1377هـ — 1957م ص 162) .

— عبد الوهاب التازي رحل الى المشرق واجتمع بالشيخين محمد بن ابي زيان الغندوسي ومحمد بن سالم الحفناوي الشافعي امام الصوفية واستاذ الطريقة الخلوتية والشيخ محمود الكردي والشيخ البرناوي توفي عام 1206هـ (شجرة النور ص 372) .

— عثمان بن سعيد التينملي (بن عبد الرحمن

ابن احمد بن تولو) تقي الدين ابو عمرو تينملي المولد (أي من مدينة تينمل بالاطلس) المالكي المصري سمع بالمغرب ومصر ودمشق توفي عام 605هـ كان اديبا نحويا لغويا ؛ ومن نظمه :

يا أهل مصر رايت أيديكم
عن بسطها بالنوال منقبضة
فمذ عدمت الغداء عندكم
اكلت كتبي كأنني ارضة

(درة الحجال ج 2 ص 419).

— العربي بن المهدي الزرهوني ابو حامد (ابن القاضي العربي العزوزي) نزيل لبنان اختصر سلوة الانفاس وطبع منه جزءا (دليل المؤرخ ابن سودة ج 1 ص 68) .

— علي بن منصور المزيدي المعروف بابي الشكاوي رحل الى المشرق ولقي فيه مشايخ له زاوية بشالة بالرباط توفي عام 1004هـ(ممتع الاسماع)

— علي بن عبد الواحد بن محمد السجلماسي الجزائري فقيه حنفي ولد بتافلالت ونشأ بسجلماسة واقام بمصر مدة واستقر بفاس فنصب مفتيا فى الجبل الاخضر وتوفي بالجزائر (خلاصة الاثرج 3 ص 173 وصفوة من انتشر (ص 135) والاعلام للزركلي ج 5 ص 124 حيث ذكر انه توفي عام 1057هـ (1647م) .

— علي بلحاج ابن البقال الاغصاوي رحل الى المشرق وجال فى اقطاره نحو 16 سنة ولقي فيه المشايخ ثم رجع الى المغرب وفد على السلطان الغالب مرتين وخرج الى لقائه بظاهر فاس توفي عام 981هـ

— علي الفاسي بالاسكندرية ذكره ابن مريم فى البستان (ص 121) فى ترجمة عبد الله المجاصي الشهير بالبكاء .

— علي بن ميمون الحسني اصله من بني ابي زرا مغمارة ترغة تولى القضاء فى شفشاون ايام علي ابن راشدالاكبر انصرف الى الشرق وقد طبقت علومه الآفاق وانكر على المشارقة جميع ما احدثوه من البدع واماتوه من السنن وله « بيان غربة الاسلام بواسطتي صنفين من المتفقهة والمتفقرة من اهل مصر والشام وما يليهما من بلاد الاعجام » وشرح الجرومية بالتوحيد الخالص توفي بالشام (المعجب للمراكشي ص 25) وكان لابن ميمون اتصال بطائفة من الفقراء يعرفون بأهل الخواطر طريقهم معرفة الخواطر والكلام عليها وعرضها على الشيخ بحيث يدور كلامهم على قولهم قال لي خاطر كذا ثم يميزون فى تلك الخواطر وكانوا يجتمعون بمسجد فى حومة برزخ بعدوة الاندلس بفاس ثم انقرضوا (مرآة المحاسن للفاسي ص 236)

وقد ترك لنا موازنة رائعة بين اقطار العروبة فى الاصالة العلمية ومناهج التحقيق الفكري حيث اكد أنه ما راى احفظ من اهل فاس لنصوص كل علم وذكر منها الحساب والمنطق والطب وذكر انه ما راى مثلهم فى ذلك لا فى بجاية ولا فى تونس ولا فى الشام والحجاز ومصر (سلوة الانفاس ج 1 ص 74) .

— علي الحرالي ابن احمد التجيبي ولد بمراكش ونشأ بها وتوفى بالشام عام 637هـ وكان يلقن قوانين تتنزل فى التفسير منزلة اصول الفقه فى الاحكام وكان اعلم الناس بالمنطق والطبيعيات والالهيات كان ينقض النجاة لابن سينا عروة عروة (نيل الابتهاج ص 187) ذكر الحافظ الذهبي ان له تفسيرا فيه عجائب وكان ابن تيمية يحض عليه ويقول تصونه على طريقة الفلاسفة (طبقات المفسرين للسيوطي ص 22) .

— علي بن سعيد الرجراجي صاحب منهاج التحصيل فى شرح المدونة كان ماهرا فى العربية والاصلين لقي بالمشرق جماعة من اهل العلم منهم ابو موسى الجزولي (نيل الابتهاج ص 186) .

— علي بن محمد بن علي بن هذيل الاصيلي المقرىء الزاهد اصله من اصيلا وهو من بلنسية اسمع الحديث نيفا وستين سنة وهو آخر من حدث عن ابي داود بالاندلس (اي داود المؤيدي زوج أمه) توفي عام 564هـ (معجم اصحاب الصدفي طبعة مجريط 1885 ص 284) .

— علي بن حنين بن احمد بن ابي بكر ولد بقرطبة عام 477هـ استوطن فاسا وسمع من الغزالي اكثر الموطأ وجال فى العراق والحجاز والشام ومصر وطرابلس وعاد الى فاس عام 503هـ واشترى فيها دارا وبنى مسجدا وتزوج ، توفي بها عام 569 بعد ان درس بها 66 سنة (السلوة ج 3 ص 349 والذيل والتكملة ق 5 ص 151) .

— علي بن محمد العربي نور الدين السقاط الفاسي المصري أخذ عنه جماعة من المشرق والمغرب منهم الشيخ الامير توفي عام 1183 (شجرة النور ص 340) .

— علي بن احمد بن سليمان بن عمر النور الفاسي الاصل الديروطي الشافعي قرأ على السخاوي (الضوء اللامع ج 5 ص 167) .

— علي بن يقظان السبتي الطبيب الشاعر الاديب الذي رحل الى مصر عام 544هـ ثم الى اليمن والعراق (القفطي ص 160 وخريدة القصر للعماد الاصفهاني ص 344 حيث اورد له نتفا من الشعر) .

— عمر بن عبد الله المصمودي ابو حفص ابن قاضي الطائف المغربي الاصل المالكي ثم الشافعي امام قرية أبي الاخيلة ولد عام 820هـ بالطائف (الضوء اللامع ج 6 ص 98) .

— عمر بن مودود الفارسي جال فى همذان ومرو والشام ومصر والاندلس وورد على مراكش على الرشيد الموحدي فحظي عنده واجرى له ثلاثمائة درهم وسبعة تناطير ونصف قنطار من الحواري كل شهر عدا الاكسية والهدايا والتحف (الذيل والتكملة) وتحدث ابن الابار فى تكملة الصلة (ج 2 ص 411) عن مودود بن عمر بن مودود الذي ولد بسلماس وهو من ابناء الملوك وانتقل الى المغرب حوالي 680هـ وكان من اهل التصوف والتحقق .

— عمر بن حياة بن قيس الحراني الاصيلي (جامع كرامات الاولياء للنبهاني ج 2 ص 55) .

— عمر بن الطوير السوسي المراكشي شهر بمصر والحجاز بأبي الخطاب السوسي تفقه بمراكش كان مستبحرا فى العلوم توفي عام 622هـ (الذيل والتكملة) .

— عمر السمرقندي مدفون قرب ضريح سيدي عبد العزيز الدباغ بمراكش (اظهار الكمال للعباس ابن ابراهيم المراكشي ج 1 ص 33) .

— ابو الهدى عيسى بن يحيى بن احمد بن محمد ابن مسعود السبتي ضياء الدين الشيخ الصوفي نزيل مصر سمع بالاسكندرية والقاهرة وصفه ابو حيان بأنه محدث حافظ لقيه ابن رشيد واخذ عنه بالقاهرة عام 684هـ (ملء العيبة ج 3 ورقة 95) .

ووردت ترجمته فى اعيان العصر للصفدي (مخطوط الاسكوريال رقم 1722 ج 7 ورقة 127) حيث ذكر انه ولد عام 613 هـ وقدم القاهرة واستوطنها فى الصبا توفي عام 696هـ وقد ترجم الصفدي ايضا (ورقة 119) لعيسى بن احمد بن محمد بن مسعود ابن خلف ضياء الدين وهو شخص واحد ذكره مرتين (وقف عليه الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني) وذكر ابن القاضي انه لقي السهروردي بمكة وان من شعره قوله :

ولدت لعام من ثلاث وعشرة
وستمئا من هجرة لمحمد
تطوفت تدما بالحجاز وانني
لمصر مواليها وسبتة مولدي
درة الحجال ج 2 ص 407)

— عيسى المراكشي مفتي مراكش لقيه محمد بن محمد بن سليمان الروداني وذكره فى فهرسة مشايخه مات عام 1061هـ (جامع كرامات الاولياء للنبهاني ج2 ص 430) .

— عيسى بن سليمان الرفروفي من تادلا اخذ عن الشاشي والطرطوشي بالاسكندرية (التشوف ص 46)

— غالب بن علي بن محمد اللخمي ابو تمام الشقوري طبيب من اهل غرناطة رحل الى المشرق وقرا الطب بالقاهرة وزاول العلاج وولي الحسبة بفاس وتوفى بسبتة عند حركة السلطان ابى الحسن المريني (جذوة الاقتباس ص 313) .

ويوجد علي بن غالب بن خلف ترجمه ابن الزيات استوطن قصر كتامة وصار امام الصوفية له كتاب اليقين لا نظير له فى التصوف كان من المحدثين شيخ وقته توفي عام 568هـ ودفن بالقصر (الذيل والتكملة ق 5 ص 208) .

— قاسم بن علي بن محمد بن علي الشرف ابو القسم التنملي الفاسي ولد عام 743هـ بمالقة واجاز له لسان الدين بن الخطيب ، مات بالقاهرة عام 811هـ بالبيمارستان (الضوء اللامع ج 6 ص 183) لقيه السخاوي وحدث به ابن حجر (نيل الابتهاج ص 215) .

— سالم بن ابراهيم الصنهاجي المغربي الدمشقي المالكي شيخ المدرسة الشرابيسية ولد عام 777هـ (الدارس فى تاريخ المدارس ج 2 ص 22) .

— سالم بن ابراهيم بن عبد الرحمن الصدفي ابن حركالش سرقسطي استوطن مدينة فاس ثم رحل الى المشرق توفي بمصر (معجم الصدفي ص 306 والذيل والتكملة ق 4 ص 2) .

— سليمان بن احمد الطنجي أصله من طنجة له رحلة الى الشرق تحقق بعلم القراءات اقام بالمرية ومات بها قبل 440هـ (جذوة المقتبس ص 208) .

— سعيد الدكالي نزيل مكة كان عالما فقيها حيا بعد 890هـ (نيل الابتهاج ص 107) .

— سعيد ابو جمعة الماغوسي فقيه اديب اخذ عن علماء مصر والحجاز والشام وقسنطينة ولد بعد 950 هـ له مشاركة فى العلوم (درة الحجال ج 2 ص 475) .

— سقين عبد الرحمن ارتحل الى المشرق عام 909هـ ودخل بلاد السودان اخذ عن زروق واحمد الزقاق والغزواني والتلقشندي وزكرياء الانصاري والسخاوي بمصر وابن فهد بمكة وكلهم عن ابن حجر وتلميذه هو المرابي آخر المحدثين بفاس (سلوة الانفاس ج 2 ص 160) .

— شمس الدين السلاوي عامل خانقاه خاتون دفن بالصالحية (الدارس فى تاريخ المدارس ج 2 ص 109) .

— شقرق (ابن) السبتي الشاعر ذكره العماد الاصبهاني فى الخريدة (ص 345) قائلا بأنه كان يعيش بمصر عام 573هـ وانه مدح عبد المومن الموحدي بقصيدة مطلعها :

قنوا عيسكم فى حضرة الملك الاتقى
وقضوا بلثم الترب من ربعه حقا

— شقرون (ابن) : الفاسي كان وكيلا للمغاربة بالقاهرة عام 1898م يحفظ تركاتهم وكان آنذاك بمصر ما بين 1200 و1500 مغربي (الوثائق المغربية ج 11 عام 1907) .

— يحيى بن عبد الرحمن الزرماني العجيسي عالم بالنحو من فقهاء المالكية ولد فى عجيسة من قبائل البربر نشأ فى بجاية ورحل الى المغرب عام 804هـ واقرأ بالقاهرة ومات بها له شرح الفية ابن مالك فى اربعة مجلدات او ثلاثة (الضوء ج 10 ص 231) .

— يحيى ابو زكرياء الدكالي الحافظ قدم فاسا وسبتة صحب ابن دقيق العيد كثيرا (درة الحجال ج 2 ص 489) .

— يحيى بن موسى الرهوني الحافظ الاديب المنطقي استوطن القاهرة وتولى التدريس بالمنصورية والخانقاه الشيخونية توفى عام 774 (الدرة ج 2 ص 490) .

— يحيى بن يوسف بن علي بن محمد المكناسي ولد بمكناسة عام 788هـ وقدم القاهرة حوالي ثمانمائة وبضع عشرة واقام بالشام سنين بعد أن دخل الاندلس وافريقية وزار المدينة (الضوء ج 10 ص 265) .

— اليمان بن فاطمة المرابط شاعر مغربي اورده العماد الاصبهاني فى قسم المغرب الاقصى من خريدته (ص 167) وذكر له قصيدة مطلعها .

سل مستهاما قد شفه السقم
لا يرقد الليل من فكر ومن قلق

— يحيى بن خلف الصدفي السبتي أصله من بصرة المغرب رحل الى المشرق وحدث كثيرا ودخل الاندلس مجاهدا وتاجرا وتوفى بسبتة (تاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي ج 2 ص 61) .

— يعقوب بن يوسف رجل صالح ورد على المكلا عاصمة حضرموت عام 553هـ (1158م) وكانت آنذاك قرية للصيادين يقصدونها كل عام فى مواسم معينة (مجلة العربي عدد 79 ص 71) ولعل له علاقة باسطورة ابي يعقوب يوسف الموحدي الاتي ذكره .

— يعقوب بن عبد الله الخاقاني الفاسي خرج من فاس بسبب الفتنة بين السعيد وابن ابي سعيد عام 817هـ (الضوء ج 10 ص 284) .

— يعقوب بن عبد الرحمان بن اظوال الفاسي المعروف بابن المعلم اليشفري ولد عام 824هـ تولى قضاء الجماعة بفاس وتازة حج واقام بدمشق مدة ثم بالقاهرة والاسكندرية وكان يعرف كثيرا من العلوم توفي فى طريق العودة عام 877هـ (الضوء ج 10 ص 285)

— يوسف الموحدي : يقال بأنه كان يتعبد بحمة مولاي يعقوب بفاس قبل انتقاله الى الشام وانه تتلمذ للشيخ مولاي عبد القادر الجيلالي وذكر صاحب شرح الصدور فى مناقب الشيخ ابي يعزي يلنور ان السلطان الاكحل عند العامة هو ابو يعقوب صاحب الحمة (سلوة الانفاس ج 3 ص 217) الذي نقل عن ابن بطوطة ان ضريحه ببيروت بالكرك وانه دخل دمشق ايام نور الدين وهذا لا يصح لان ابا يعقوب دفن بتينمل كما فى الانيس ووفيات ابن خلكان الذي اكد فى ترجمة ابي يوسف يعقوب الموحدي نجل ابي يعقوب انه دخل المشرق على ما قيل وساح مستخفيا ومات خاملا وقيل رجع الى مراكش وأنكر المقري ذلك فى النفح فى ترجمة السرخسي تاج الدين بن حموية .

— يوسف بدر الدين بن عبد الرحمن البيباني محدث من فقهاء الشافعية اصله من مراكش ولد فى بيبان بمصر استوطن دمشق وتوفي بها (الاعلام للزركلي ج 9 ص 314 — فهرس الفهارس ج 2 ص 454) .

— يوسف بن احمد بن الحسن المعروف بالحكيم اصله من الاندلس نزل مراكش حيث مات عام 605هـ وهو من اكابر اصحاب ابي العباس السبتي المراكشي (التشوف ص 417) وابن الموقت فى السعادة ج 1 ص 118) .

— يوسف بن محمد بن يوسف ابو الفضل المعروف بابن النحوي من قلعة بني حماد دخل سجلماسة ومدينة فاس ثم عاد الى القلعة عام 513هـ انتصر للغزالي عند ما افتي فقهاء المغرب باحراق كتب ابي حامد تلبية لطلب السلطان (التشوف ص72)

— يوسف بن موسى السبتي الفاسي الحافظ روى البخاري عن الزبيدي توفي فى آخر المائة السابعة (درة الحجال ج 2 ص 496) .

— يوسف بن يحيى بن اسحاق ابو الحجاج السبتي نزيل حلب يعرف فى سبتة بابن سمعون كان طبيبا من اهل فاس قرا ببلاده الحكمة فساد فيها (القفطي ص 256) .

— يونس بن طريبة القصري (قصر كتامة) تولى قضاء طرابلس الغرب وولي التدريس بدار الحديث الكاملية بالقاهرة عام 641هـ (الذيل والتكملة) .

— يونس الفاسي الطبيب كان يدرس الطب بالعربية فى مدينة سالرن بايطاليا (اللسان العربي ج 5 — الدكتور الطاهر احمد مكي) .

التصميم العشاري لموسوعة المغرب العربي

— ان العمل الموسوعي الذي يضطلع به الآن المكتب الدائم فى المغرب العربي يندرج ضمن اختصاصات المكتب الدائم للتعريب الذي يعمل على توفير كل ما يمكن ان يلقي اضواء كشافة باللغة العربية على المظاهر الحضارية والاسلامية .

وقد قرر مؤتمر وزراء التربية العرب الذي انعقد سنة 1964 فى بغداد وضع دائرة معارف عربية .. فكان عمل المكتب اسهاما لمساندة الجامعة العربية فى نشاطها الموسوعي العام ؛ وهو يرمي الى هذه البادرة والعمل على توحيد جهود اقطار المغرب الكبير الاربعة من اجل وضع موسوعة موحدة تهتم بكل المظاهر الثقافية والاقتصادية والاجتماعية ومختلف المجالات الحضارية الاخرى .

وذلك على النحو الآتي ، الذي هو نتيجة جلسات عمل عقدت فى كل من المغرب على مستوى اللجان وفى تونس والجزائر وليبيا على مستوى الافراد العلميين حددت خلالها مواضيع هذه الموسوعة كما يلي :

1 — مواضيع الموسوعة :

أ) المنطقة — المغرب بالتعريف التاريخي الحضاري يبدا من الاسكندرية وينتهي بالاطلنتيك وجبال البرانس وينحدر جنوبا الى بلاد صنهاجة السودانية ؛ شمالا الى جوانب من ايطاليا وفرنسا .

ثم ان الفاطميين فتحوا جهات من اوروبا وافريقيا وآسيا ، فمعرفة ذلك من مشمولات الموسوعة طبعا .

ب) الاشخاص المغاربة — من رجال حرب وبحر وسياسة وملك وعلم وادب وفن وتعليم فى عامة العصور الآتية :

1) العصر الحجري — 2) البربري — 3) الفينيقي — 4) الروماني — 5) الوندالي — 6) البيزنطي — 7) العربي — 8) الاستعماري — 9) الاستقلال .

يترجم لكل شخص ترجمة جامعة مركزة وذلك بالاهتمام خاصة بتاريخ وولادة ووفاة ومكان ازدياد العلم المترجم له .. والبيئة التي عاش بها ومصنفاته وشيوخه وتلامذته ومختلف نشاطاته مع التنصيص على المراجع وتوضع صورته اذا امكن لان قيمة الابحاث تتبلور فى اصالتها وشمولها .

ج) الاشياء المغربية :

1 — الاعلام الجغرافية ، الاقطار والجبال والانهار والبحيرات والسهول والمدن والقرى والمواقع بغاية التوسع والتدقيق . يوصف كل منها وصفا دقيقا جامعا ويذيل بالمصادر وتوضع المقابلات اذا كثرت اسماء المكان الواحد مثل Jemmapes وعزابة ، ومداوره الرومانية ومداوروش العربية و Montesquieu الفرنسية . وجبل الاطلس الآن ودرن فى القديم . فتقع الترجمة للكلمة الاصلية وتذكر الكلمات الاخرى فى مواقعها الابجدية مع الاحالة على الكلمة الاصلية .

كأن نقول : « الاطلس اهم مجموعة جبلية بديار المغرب ..الخ »

ثم درن : انظر : اطلس

وتوضع تحقيقات المسميات الجغرافية الاسبانية والصقلية والمالطية والسردانية باللفظ العربي مع مقابله الافرنجي . واذا جاء دور المقابل الافرنجي الابجدي يثبت ويحال على اللفظ العربي الذي طرقت به المادة طرقا ثانيا .

د) العشائر المغربية :

البربريــة والرومانيــة والعربية .

هـ) اللهجات المغربية :

من الاندلسية الى الليبية . يثبت اللفظ وامامه نقله الحرفي اللاتيني ويبين معناه الثابت او المتطــور بالشواهد . وتذكر مختلف معانيه بحسب الامكنة . مثلا « بحال اند = مغ — مثل — تو — اظن اعتقد ، يبدو لــي انــه —

وتذكر مفردات الحضارة مثل موسيقى ، طعــام ، مسكن ؛ لباس ؛ رقص ، قصبة ؛ عاشوراء ويبيــن مدلولها اللغوي والعلمي والحضاري وتذيل بالمصادر وتقسم حسب الجهــات .

وتثبت المصطلحات الخطية (كتابــة — حروف — كــوفــي — نسخــي) والنحويــة (ضميــــــر — صائــت — صــامــت — فــعــل — اســم) وتبيــن احوالهــا واطوارهــا بالمغرب علــــى اصول النحو المقارن القار والتطوري واللهجــات المقارنــة واذا وردت نسبــة لهجــة : فاسيــة — رباطية — تامازيغت — اندلسيــة — مالطيــــة — توصريــة الخ ... تثبت وتدرس وتذيــل بالمصادر .

وتنشر اهم المفردات الخاصة بالمغرب ســواء كانت عربية الاصل ثابتة المعنى او متحرفة المعنى مثل مزن (جنوب الجزائر) = مطر : او شتا (تونسيــة) بمعنى مطر او كانت بربرية (الكرومة — الفكرون) او فينيقية (فنيق — بنيقة) او لاطينيــة (فلوس بشــر — برشني — تنارو) او فارسية (بازار ، سمســـــار سرمية ، زركشنة — راهــوار الخ..) او تركيــة او اسبانية او فرنسيــة او ايطالية او سودانية الخ ..

و) العلوم المغربيــة :

من علوم دينية ودخيلــة وفلسفيــة وتصوفية . فيذكر العلم حسب ترتيبه الابجدي (تاريخ — تفسير — تجديد — طبيعة — كيميــاء — نبات — حيوان — جيولوجيا — طيــران — انواء الخ ..

ويبين نشأته وتطوره بالمغرب ويذكر اعلامــه ويحال على تراجمهم فى امكنتها الابجدية .

كقولنا : التفسير علم يقصد به فهم القــــرآن الكريم . نشأ بالمغرب فى القرن الثاني ، افتتح بابــه ابن سلام القيرواني . وله المدارس الآتية واعلامهــا بالاندلس .. بالمغرب الاقصى — بالجزائر — بتونس — بصقليــة — بليبيــا الخ..)

ز) المعمار والآثار : يذكر كــل معلم معماري : قصر ، معبد ؛ كنيسة ، جامع ؛ سور ، ثكنة ، رباط ، الخ.. باستيفـــاء .

ويترجم له وتذيل الترجمة بالمصادر سواء كــان المعلم موجودا قائما ؛ او اثريــا ؛ او مذكورا فقط : مثلا : البلارة — قصر البحر — الزيتونة — جامــع عقبة الخ..)

وكذلك المواضع الاثرية من بربرية وفنيقيــــة ورومانية ووندالــيــة وبيزنطية وعربية واندلسيــــة وتركيــة .

ح) الادب المغربي — يترجم للادب المغربي :

1 — فى انواعه : ملحمة ؛ موشح ، زجــل ؛ تسيم ، ملزومة ، عرف ، مسدس .

2 — فى لغاته : بربرية ، بونيقية ، لاطينيــة ، عربية تركيــة الخ..

3 — فى اماكنه : اندلس — صقلية — مالطــة — جزائــر الخ ..

4 — فى رجاله مع الاحالة على اماكنهم الابجدية..

5 — فى اغراضه: تاريخ — تفسير — نقد وصف

6 — فى مقارناته تاثــرا أو تأثيــرا .

ط) الفنــون المغربيـــة :

(الرســم ، النحت ، الموسيقــى ، الرقــص ، الفولكلور التمثيل الخ ...)

2) مصادر الموسوعــة — وهي :

أ) كتب التاريخ بأيــة لغة .

ب) كتب التراجــم .

ج) المجــلات الاختصاصية .

د) المعاجم على اختلافها ، ولاسيمــا دائـــرة المعارف الاسلاميــة .

هـ) الوثائق والمستنــدات :

وفيما يتعلق بالوثائق وجمعها وترتيبها فانــــه يمكن الاستفادة مما هيء من طرف الوثاقين فى اوربــا امثال (برسون) (Pearson) استاذ الببلوغرافية

الاسلامية بجامعة اكسفورد صاحب الفهرس الاسلامي (Index Islamicus) الذي رتب فيه مضمون خمسمائة مجلة استشراقية من تاريخ 1905 الى 1965 مما صدر بالانجليزية عن العالم وفى ضمنه المغرب . ويعمل الآن نحو عشرين خبيرا للقيام بنفس العمل من 1964 الى الآن فى عموم الدوريات العربية من مجلات وصحف .

والدكتور فرانك (Frank) فى المانيا والدكتور (بالبيس) حافظ مكتبة مجلس العلوم بايطاليا . وكذلك الاتصال بالمسؤولين فى كل العواصم الغربية التي كانت لها روابط ثقافية ، واقتصادية وسياسية مع المغرب العربي فى مختلف العصور ، لنبحث عن الوثائق والمستندات المتجمعة هناك لاضافتها الى الذخائر النفيسة التي تزخر بها الخزائن الخاصة والعامة بالمغرب .

وكذلك بمساعدات وزارات مختصة كالداخلية والتربية والاوقاف وغيرها بتجنيد ممثليها الاقليميين والمحليين على جمع المعلومات التي تفيد فى الموضوع بالنسبة لكل قرية ولكل قبيلة .

وقد فتح المكتب الدائم بمقره بشارع المرابطين قسما خاصا للموسوعة ركز فيه آلاف الجزازات التي وضعها حول المصادر بمختلف اللغات .

3) المسطرة :

ومن عناصر المسطرة المتفق عليها امكان تخصيص رقم لكل موضوع فى الموسوعة نفسها يحال عليه عند الحاجة مثال ذلك كلمة اطباء تدرج كجزء اجمالي فى الموسوعة تستعرض فيه اسماء اطباء المغرب الاقصى مثلا بالرقم فقط على الشكل الآتي :

اطباء هم : رقم 200 — 320 — 560 — 780 — ويكون كل رقم محال عليه يرمز الى علم من اعلام الاطباء كابن رشد وابن زهر وابن باجة الخ .. وهكذا فى الفلسفة والتصوف والموسيقى وباقي الشعب العلمية والفنية .

أما فى خصوص المعتمد فى العلم كابن سينا مثلا الملقب بأبي علي فانه يمكن ان يذكر فى ابن + س ثم يذكر فى أبو علي = ابن سينا كما يذكر فى قسم ثالث هو المشار اليه سابقا نظرا لمشاركة ابن سينا فى الطب والفلسفة والفلك مثلا .

تكوين لجنة لدراسة الفهرس العام الذي تكفل المكتب الدائم بوضعه فى جزازيات — حول الاعلام والمدن والقبائل والقرى والمواضيع الحضارية الاخرى — تشمل المراجع الفرنسية والانجليزية والاسبانية والالمانية علاوة على غيرها من اجل دراسة كل موضوع دراسة استقصائية .

... تكوين لجنتين اخريين احداهما للترجمة تتكون من اعضاء يتقنون لغات مختلفة .. مهمتهم تعريب الوثائق التي يعمل المكتب الدائم على جمعها عن طريق التصوير الفتغرافي ، ولجنة للمراجعة مهمتها مراجعة ما انتهى من تدوينه البحاثة ومقابلته مع المراجع الاساسية .

يعهد بتحرير المواضيع الى كل من آنس فى نفسه القدرة على ذلك من علماء وبحاثين وسيصدر كل بحث باسم صاحبه بعد المصادقة على فحواه من اللجنة المختصة بالمراجعة .

وسيؤدى لكل مشارك فى تحرير الموسوعة مبلغ من المال يحدد بقيمة السطور المصادق على نشرها وتؤدى هذه القيمة بمجرد صدور كل نشرة من نشرات الموسوعة ويختلف المبلغ تبعا للبحث المعرب او الموضوع .

طريقة العمل بالنسبة للشعب الاربع للمغرب العربي :

تعمل كل شعبة فى نطاقها الخاص ويعمل المكتب الدائم فى مرحلة ثانية على جمع الحصيلات الموسوعية الاقليمية من اجل وضع معلمة موحدة تكون هي نفسها نقطة انطلاق اساسية للموسوعة العربية الكبرى .

تؤلف امانة دائمة للموسوعة مركبة من نواب عن جميع البلاد المغربية .

ومن أعضاء مراسلين من كافة البلاد العربية والمستشرقين .

وتكون للامانة صلة وثيقة مع الجامعة العربية وهيأة اليونسكو للمساعدة الفنية والمالية .

4) الاشواط التي قطعتها الموسوعة بعد سنتين من حياتها :

توصل المكتب الدائم لحد الآن بالكثير من الابحاث والدراسات التي التزم اصحابها فيما يخص — حرف الالف — كما توصل من وزارة الداخلية

بدراسات مستفيضة عامة حول معظم الاقاليم ، وكنا قد واعدنا بالعمل على اصدار نشرة أولى تعقبهـا سلسلة من النشرات كاجزاء للقسم الاول مـــن الموسوعة على نسق المنهاج الذي تسلكه الآن بعض الموسوعات او المعاجم فى تجزئة العمل على هـــذا الغرار ، غير ان كثيرا من اعضاء الموسوعة يطلبون منا بالحاح امدادهم بقائمة كاملة للمصادر المتعلقـة بالابحاث التي التزموا بها فرأى المكتب الدائم ضمانا لما يتحراه من دقة فى الموضوع ان يوفر للباحثين هاته الشروط الاساسية ، فاتجه الى استكمال المصـــادر لان الموسوعة هي المصادر ، ولان اصالة الابحـــاث ترتكز على مدى الاستقراء لهاته المظان ، فلهذا فضل المكتب ان يستغرق وقتا اطول مما كان قد قرره لذلك من اجل انجاز هذا العمل التمهيدي الجوهري ، مـــع الامل ان يتمكن فى اقرب وقت ممكن من اجل الوفـــاء بمهـــده على اكمل وجه .

ونحن نشعر يوميا بأن آفاقا جديدة تتفتح أمامنا تلقي اضواء جديدة حول نقط هامة من تاريخنـــا والكل يقدر ما يتطلبه استكمال دراسة المراجع المختلفة بشتى اللغات من نفس طويل ، وعمل موصول لتتبع كل ما كتب عنـــا فى مختلف القارات .

ومهما يكن الامد الذي ستستغرقه عمليـــــة استكمال المصادر فان التصميم الذي وضعه المكتب الدائم لانجاز موسوعة المغرب الاقصى كانمـــوذج للموسوعات الاقليمية الاخرى فى المغرب العربي هو عشر سنـــوات 1967 ــ 1977 على أن شعبـــة تونس قد اعدت معظم عملها بحيث سوف لا ينتهـي هذا الامد حتـــى تكون العناصر متوفـــرة لاستخلاص مادة الموسوعة الموحدة للمغرب العربي .

أبحاث مختلفة

- أســرار الضمائر

للاستاذ عبد الحق فاضل

- تحديات فى وجه الفكر العربى المعاصر

للاستاذ انــور الجندي

- الشعر العربى الاصيل

للاستاذ عبد الله يوركي حلاق

- معركة الفصحى والعامية فى الصين

للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله

- لغــة القــرآن

للاستاذ محمد بهجت الاثري

أسرار الضمائر

الأستاذ عبد الحق فاضل

خطورة الموضوع :

تبدو صيغ الضمائر وكأن كلا منها عنصر بسيط لا يقبل التجزئة ، كالجوهر الفرد : الذرة . لكن الذرة جزؤوها اخيرا ، واي تجزئة مثيرة لاغطة . كذلك الضمائر يمكن اخضاعها لتجزئة لا تقل اثارة ولغطا ، فى عالم اللغة . ويخيل لنا أن تفجير الضمائر ، الذي نحن بسبيله الآن ، سوف ينسف من عالم اللغة مساحة اكبر مما نسفته القنبلتان الذريتان من مساحة اليابان ، واعمق مدى ، واكثر تشعبا وانتشارا فى مختلف الجهات .

كنا تطرقنا الى موضوع الضمائر فى كلمة بعنوان « لمحات من التأثيل اللغوي » — فى العدد البارح من « اللسان العربي » — غير أن الموضوع من الخطورة والغرابة والامتاع بحيث وجدنا تلك « اللمحات » التي لا تشفي الغليل ابعث للتعطش الى مواصلة البحث والاستزادة منه تعمقا واستقصاءا . وكلما تمادينا فيه تمعنا زادت النفس له تفتحا وعليه اقبالا ، وزادنا البحث عطاءا وحسن جزاء .. كأنه المنجم السخي من الذهب كلما أوغلت فيه حفرا زادك مكافأة .

واذا بالبحث فى الضمائر يتكشف لنا عن اسرار عجيبة حقا ، ويمزق الحجب عن مخبآت لا نرانا مغالين اذا قلنا انها مذهلة .

ما خرافة نون الوقاية ؟ .. ما سر التثنية والجمع السالم ؟ .. من أين جاءت حركات الاعراب ؟.. ولام التعريف ؟ .. والتنوين ؟ .. كيف تميزت الآريات دون الساميات بأفعال الكينونة فى الجملة الاسمية ؟ .. بل من أين نبعت الضمائر واسماء الاشارة .. فى الآريات؟.

هذه الاسئلة جميعها — نعم جميعها — يعطينا درس الضمائر العربية الجواب الشافي عنها — وعن غيرها — لاول مرة فى تاريخ علم اللغة .

واذا بهذه الضمائر السحرية تضرب باصولها بعيدا فى ماضي اللغة ، وتمتد فروعها وتتغلغل بعيدا فى مختلف ارجاء جسم اللغة كأنها العروق الدموية تمده بنسغ الحياة .. حتى لا تكاد تخلو جملة فى العربية ، أو بناتها الساميات ، والآريات ، من اثر لتلك الضمائر أو بقية من رواسبها .

واذا بالحقائق المتفجرة التي تجبهنا بها دراسة الضمائر تزلزل اللغات وتذرو الكثير من قواعد علم اللغة وبديهياته التسليمية ، فى الريح .. وتفتح لنا آفاقا من المعرفة وطرائق البحث لم تكن ببال انسان .

وصفوة القول ان موضوع الضمائر هذا اخطر موضوع لغوي عرض لنا حتى الآن ، ولعله اخطر موضوع لغوي على الاطلاق .

وها نحن نزجي القول الى القارىء الكريم فى هذا البحث الطويل العريض بما يمكن من ايجاز وما ينبغي من ايضاح وتعليل .

عناصر الضمائر :

اذا نحن استقرينا الضمائر وتناولناها بالتحليل وجدناها — منفصلها ومتصلها — تتألف من عناصر اولية ثلاثة هي : الهمزة (آ) ، والنون (**نا**) ، والتاء (**تا**).

اما الحروف الاخرى التي نجدها فى بعض الضمائر فليست بالاثيلة فيها ، وانما هي زائدة او مبدلة . فالحاء فى (نحن) زائدة حشرت بين النونين ، والهاء فى (هو ، هما) وغيرهما مبدلة من الهمزة ، والميم فى (هم ، انتما) وغيرهما مبدل من النون ، والكاف فى (عندك ، رايتكم) وغيرهما مبدل من التاء . وسوف يتوضح هذا شيئا فشيئا مع استرسالنا فى الحديث ، فلا حاجة بنا الى التوكيد عليه والتبسط فيه الآن قبل التحدث عن الضمائر نفسها ، ولا سيما اننا كنا قد خضنا فى الموضوع بعض الخوض فى المقال الآنف الذكر .

الهمزة

اذا فوجىء الانسان بما يثيره — وخصوصا ما يوجعه — كوخزة او لسعة ، صاح تلقائيا : (آ) . ويمكننا ان نسمي هذا الصوت « همزة **التنبه** » .

وقد لحظ الانسان الاقدم انه اذا صاح (آ) انتبه له الآخرون ، كما لحظ انه يتنبه هو ايضا اذا سمع احدا يقول (آ) . ففطن بعد زمن لا نعرف مداه الى ان بوسعه ان يستعمل همزة التنبه هذه (اراديا) بمعنى « **التنبيه** » اي استلفات نظر الغير اليه . لهذا نعتقد انها استعملت اولا للنداء ، فما النداء الا تنبيه .

ومن همزة التنبيه تطورت **(هاء)** التنبيه التي عرفها النحاة وصدق حدسهم فى تسميتها ومعرفة وظيفتها ، فى مثل : هذا ، ها انتم ..

النداء :

ان همزة النداء ما زالت موجودة فى العربية ، بنفسها كما لفظها الناطق الاول : **(آ)** ، او مبدلة ياءا : **(يا)** . والواقع ان الحرفين كليهما مستعملان فى الفصحى للنداء منفردين ومجتمعين : آ ، أ ، **يا** ، **ايا** . وهذه الاخيرة وردت مرخمة بصيغة : **(اي)** ايضا .

وان كانت همزة النداء قد زالت من الدارجات فى المشرق وحلت محلها الصيغة اليائية (يا) فانها ما زالت مستعملة فى المغرب ، وكان اول ما سمعناها فى الدار البيضاء من رجل ينادي صاحبا له على الطوار الآخر من الشارع : آ احمد .

على أن اختلاف عادات النطق من تغيير حركات اللفظة او حروفها جعل بعضهم ينطقها **(أو — O)** كما فى بعض اللغات الاوربية . ومما يدل على عروبة هذه الهمزة المضمومة ان بعض المغاربة كذلك يستعملونها الى جانب الهمزة المفتوحة ، وطالما سمعنا العساس (حارس العمارة) ينادي ولده بأعلى صَوته : **أو** ابراهيم ، كما فى الانكليزية والفرنسية تماما : O. Ibrahim

واما فى الفارسية فهي (**اى —** ay) العربية بذاتها ، المرخمة من (ايا) .

ومن النداء بالهمزة نشأ الاستفهام بها ايضا : **(أ) ؟**

لغة الاشارات :

وقد كنا نوهنا — فى المقال السابق — بان العلماء يعتقدون ان البشر بدأ التخاطب بالاشارات . وقد وجدوا قبائل فى بعض القارات ما زالوا الى اوائل هذا القرن يتخاطبون بالاشارات حتى لتتعطل عندهم لغة الكلام فى الليل ما لم يجدوا ضوءا يستأنفون فيه مطارحة الاشارات . ولعل بعض هذه القبائل ما زال على ذلك حتى اليوم .

كذلك يعمد الطفل الاصم الى الاشارات يعبر بها عما يريد وما يكره قبل أن يفطن ذووه احيانا الى انه اصم .

على أن الطفل السوي ايضا يفعل ذلك قبل ان يبدأ الكلام النطقي . بل لقد وجدوا حتى القرود تعمد الى الاشارات تعبر بها عن بعض ما تريد .

لهذا يبدو لنا أن الانسان العربي مزج لغة الصوت بلغة الضوء فاخذ يقول (آ) لينبه الآخرين اليه ويشير الى نفسه يعني : **(انا)** ، او يقول (آ) مشيرا الى مخاطبه يعني : **(انت)** ، أو مشيرا الى شخص آخر او شيء ما يعني : **(هذا ، ذاك ، هو ..)**

الضمير العام

ومع توالي الاجيال رسخت الهمزة فى الاذهان بهذا المعنى ، اي بهذه المعاني جميعها : **انا** ، **انت** ، **انتم** ، **هذا** ، **ذاك** ، **هو** ، **هي** ، **هم** .. مما ادى الى ترك اشارة اليد . وقد ساعد على ذلك من غير شك حلول الظلام كل ليلة ، فاستغنى الانسان عن اشارة اليد اضطرارا واكتفى بالصوت : **آ** . وبتعبير ادق ان الانسان استعمل صوت (آ) **ضميرا عاما لاداء جميع معاني الضمائر** واسماء الاشارة .

رواسب التنبيـــه والاشـــارة :

ويلاحظ ان الانسـان ما زال في كل مكان علـى ما يظهر ، يشفع الكلام في كثير من الاحيان باشـــارة يده الى نفسه او مخاطبه او غيرهما مع قوله : **أنــا** ، أو **أنت** ، او **هــو** .. خصوصا في حالات التأكيـــد والانفعال . والانفعال هو الذي يرد الآدمي الى عهوده الاولى من تصرفاته الفطريـــة البدائيـــة ، مما يؤيد ان الانسـان قد مارس لغـــة الاشارة دهورا مديدة ، حتـى اصبحت فيما يبدو غريزية فيــه .

ومن عجب ان الآدمي العربي لم يحتفظ باشارة اليد وحدها مع الكلام بل انه ما زال يحتفظ بــــأداة التنبيه نفسها مع الضمائر نفسهـــا بالاضافة الــــى اسم الاشارة ايضا ، في بعض التعابير مثل : **ها** انا ذا، **ها** أنتم اولاء ، **ها** هي ذي ..

وان كانت **(ها)** تؤدي معنى خاصا في هذه الامثلة فانها فقدت وظيفتها تماما في اسمـــاء الاشـــارة مثل : هذي ، هؤلاء .. ففي وسعنا أن نقول : ذي ، أولاء .. دون حاجة الى هاء التنبيه ، وخصوصا ان اسمـــاء الاشارة الدالة على البعيد مجـردة فعلا من هـــــذه الهاء مثل : ذلك ، تلك ، اولئــك .

فواضح ان اداة التنبيه واشارة اليد كلتيهما من رواسب العهود اللغوية الاولى ، وان اسم الاشـــارة وحده يغني عنهمــا .

ضمائــر الهمـــزة :

اصبحت الهمزة ضميرا عاما كالذي قلنا ، ثـم اخذت تتطور لفظا ومعنى حتى ندر وجودها بمعنـى الضمير في العربية ، وانما نجدها اقرب الى صورتها البدائية الاولى وبمعناهـــا الضميـــري في بعـــض الاعجميات ، وتهمنا منها هنا الآريات :

نجدها تعني (انـــا) في الانكليزيـــة بصيغـــة **(آي ـــ I)** ، وفي الاسبانية بصيغة **(يــو ـــ yo)** في بعض اللهجات وبصيغة **(جو ـــ jo)** في الفصحى، وبصيغة **(جه ـــ je)** في الفرنسية . أما في الايطالية فتنطق بكسرة تليهاضمة **(ايو ـــ io)** ، وربماكانت منها **(ايكو ـــ ego)** باللاتينية . وهـــذا الضمير في الصينية ـــ ويا للعجب : **(وو ـــ wo)** !

ونجد الهمزة تعني (هو) في الفارسية بصيغـــة **(او ـــ û)** وفي التركيـــة بصيغـــة **(او ـــ o)**

ونجدها في الانكليزية بمعنى نحن **(وي ـــ we)** وبمعنى أنتم **(يو ـــ you)** تقابلها في الفرنسيـــة **(فـــو ـــ vous)**

اما في اللغة الام ـــ العربية ـــ فلم تبق الهمـــزة ضميرا او شبه ضمير الا في اوائـــل الضمائر : انا ، انت، انتما، الخ.. وأوائل بعض الافعال كصيغة المضارع المتكلم (افعل) ، وصيغ الامر : (افعل ، افعلي ، الخ) .. وبعض صيغ الافعال المزيدة مثل : انفعل ، افتعل ، استفعل . وقد يستبعد القارىء ان هاته الهمزات هي همزة التنبيه البدائيـــة ، فلنترك هذا الآن حتـــى يأتي اوانـــه وبرهانـــه .

لكن الهمزة انما تطالعنا كثيرا في العربية بعد ان انقلبت هاءا . وبسبب اختلاف الجماعات في نطـــق الحركات فتحا وضمــــا وكسرا نطقتها بعضهـــم **(ها)** وبعضهم **(هو)** وبعضهم **(هي)** .. وهي موجودة بهـــذه الصور الثلاث في العربية ، منفصلة ومتصلة .

ففي حالة الانفصال نجد **(ها)** اداة للتنبيه في مثل: **هاؤم** اقرؤوا كتابيه ، **ها** انتـم اولاء ، **هاذا** (هذا) ..

وكأنما أفضى تماديهم في استعمالها على هـــذا النحو لغرض التنبيه الى اهمال استعمالها ضميـــرا منفصــــلا .

ونجد **(هو)** ضميرا للغائب في العربية مقابل **(أو)** في الفارسيـــة . اي ان هذه الصيغة الهمزية الفارسية اعرق ، او افصح ، او اعرب ، او ما شئت ان تقول .. وتوجد (هو) في الانكليزية بنفس النطق **(هو ـــ who)** بمعنى : الـــذي .

واما صيغة **(هي)** فتخصصت في العربية بالانثى . ونعتقد انها كانت تعني الذكر اول الامر ، بدليل انهـــا ما زالت تعني الذكـــر في الانكليزيـــة **(هي ـــ he)** اي : هـــو ! يضاف الى ذلك انها ما زالت في العربية ايضا تعني الذكر ضميرا متصلا اذا سبقتها الياء مثل: اليهي (اليه) ، فيهي (فيه) .. وفي الاضافة من قبيل : في دارهي (داره) .

واما في حالة الاتصال فنجد الصيغ الثـــــلاث (ها ، هو ، هي) في العربية في مثل : منها ، عندهـــو (عنده) ، عليهي (عليه) .

النـــــون

يطالعنا النون في الضمائر العربية : انا ، نحن ، انت (للمخاطب والمخاطبة) ، أنتما ، انتم ، أنتن ، هن.

ونراه ضميرا متصلا لجمع المتكلم في مثل : نظرنا ، دارنا ، نفعل ..

أما في الاعجميات فنجده مثلا في اللاتينية (نوس — nos) : نحن = في الفرنسية (نوس — nous) وينطق (نو) . أما في الصينية فهو (ني — ni) بمعنى أنت .

وفي الفارسية نجد النون في كثير من الضمائر أيضا منها (آن) : هو ، لغير العاقل او (ذلك) للعاقل وغيره .. وفي (آنان) : هم ، اولئك .. وفي (من — man) : انا .. وفي (اند — and) : هم ، (ضميرا متصلا) ..

أما منشأ هذا النون في اللغة فلا نعرفه على وجه اليقين ، لكننا نخاله من انغاء الطفل حين يقول : دادادا .. تاتاتا .. نانانا .. وغير ذلك .

ويبدو انه اتفق قدوم شخص عند قول احد الاطفال : ماما .. وقول غيره : بابا .. وقول ثالث : دادا .. وقول رابع : **نانا** .. فتخصصت الاولى مع الزمن بمعنى الام ، والثانية بمعنى الاب ، والثالثة بمعنى الاخ (بلغة العراق مثلا ، وهي تنطق بالفارسية : داداش) .

أما **(نانا)** فلعلها استعملت بمعنى بعض الاشخاص أو الاقارب اول الامر مثل بابا ، وماما . غير ان الطفل لا يحسن التمييز بين الاشياء المتماثلة بل كثيرا ما يعمم اللفظ على المدلولات المتقاربة في ذهنه، فقد يدعو كل الطيور دجاجة ، أو كل الثمار عنبا ، وهكذا . وقد اتفق اني دخلت حانوتا قبل بضعة أيام فاذا طفل تحمله امه على ذراعها يمد يده الصغيرة الى وجهي قائلا : بابا ! .. ربما لانه وجدني اشبه اباه في شيء ما ، او لان كل رجل عنده بابا . لهذا كان من السهل ، بل من المفروض ، ان يعمم الانسان الاقدم في احقاب طفولة اللغة — لفظا يعني ضميرا أو شخصا من الاقارب ، على جميع الضمائر والاقارب . هذا بالاضافة الى فقره اللغوي الذي يجعله يستعمل اللفظة في عدة معان .

والذي يجعلنا نظن ان النون قد استعمل بمعنى بعض الاقارب قبل استعماله ضميرا عاما ، أو بالاضافة الى استعماله ضميرا عاما ، هو اننا نجده ما يزال حتى اليوم مستعملا بصيغته البدائية الطفلية **(نانا)** بمعنى زوجة الاب بلغة الموصل وبمعنى الوالدة بصيغة **(نينه — nenah)** بالمصرية و **(ننه — naneh)** بالفارسية .

، ومهما يكن فقد استعمل النون كذلك ضميرا عاما كهمزة التنبيه ، منذ سحيق الاحقاب ، وتفرقت صيغة المختلفة في مختلف الضمائر العربية ، مفتوحا ومضموما ومكسورا .

اما مفتوحا فنجده في (أنا) وفي أول (نحن) . ويجيء (نا) ضميرا متصلا بالاسم والفعل والحرف مثل: دارنا ، تصدنا ، لنا .

ويجيء مضموما في آخر (نحن) ، وفي أول بعض صيغ الافعال مثل : نقدم ، نعطي ..

نون الوقاية :

ويجيء النون مكسورا بصورة **(ني)** مفعولا به في مثل : يسعدني ، انتظروني ، دعاني ..

وقد ظن النحاة ان الضمير في هذه الامثلة ونحوها هو الياء وحدها ، لانهم وجدوها وحدها ضميرا في مثل : داري ، يدي ، عندي ..

واما النون هنا فاخضعوه لاحد تأويلاتهم المشهورة فقالوا ان الغرض منه وقاية آخر الفعل من الكسر ، كأنما كسر آخر الفعل امر مناقض لنواميس الوجود ، فلم يجد الاعارب الاقدمون مناصا من تجنبه في كلامهم .

ان الاسم المعرب يكون مفتوحا او مضموما أو مكسورا حسب موقعه من الاعراب كما هو معروف ، فلو كان الحفاظ على حركة آخر الكلمة من القداسة بحيث توهموا لكان ذلك شأنه في الاسم ايضا لا في الفعل وحده وفي هذه الحالة فقط . ذلك ان اضافة الاسم الى هذه الياء نفسها في مثل (داري ، يدي) تسبب كسر آخر الاسم في جميع حالات الاعراب اي انها تلغي سائر الحركات الاخرى ، ومنها حتى السكون عند الوقف لان الوقف في هذه الحالة يكون على الياء.

يقال : جاء ابي ، ورايت أبي ، ونظرت الى ابي . فلو كان نون (اسعدوني، وانتظروني، وسمعوني) انما أقحموه غيرة على آخر الفعل من الكسر ، لكان حقا عليهم أن يغاروا على آخر الاسم ايضا فيقولوا بنفس الطريقة : جاء ابوني ، ورايت اباني ، ونظرت الى ابيني .. أو أبي (هنا سيان) .

وأين هم من الوقاية ونونها في الحديث المشهور: «او مخرجي هم » ؟ ولو كانت الجملة فعلية لكان نصها «أو يخرجونني هم» ؟ فلماذا يظنون — النحاة —

ان (يخرجون) تحتاج الى وقاية و (مخرجون) لا تحتاج الى وقايــة ؟

جماع امر النحويين فى هذا وامثاله انما هــــو ما يسمى بالتعليل بعد الوقوع ، لانهم طبقوا نظريــة « ليس فى الامكان ابدع مما كان » على اللغة فظنـــوا كل شىء فيها ينطوي على حكمة بالغة فاجهدوا انفسهم فى التفتيش عنهـــا وابرازها للعيان .

على اننا مهما خالفناهم فى هذا او غيره فـــان ذلك لا ينقص مـــن تقديرنا لهم واكبارنا لجهودهم فى تحري الحقيقة بحسب علمهم ووسعهم فى ذلك الزمان يوم شقـــوا طريقا بكرا فى ارض وعرة لم يطرقها احـــد قبلهم .

واذا اراد القارىء برهانا ملموسا على مــــا تلنا ذكرنا له ان (ني) يظهر ضميرا فى الدارجةالسورية (واللبنانية) ملحقا بحرف الجر مثل **فيني** (= **في**) ، وفى اللبنانية ايضا فى مثل : **بني** (= بي) . وعســـى القارىء ان يكون قد سمع فيروز ترتـــل (مـــا ادري **شويني**) . ونجد برهانا آخر فى الانكليزية التـــي ورد فيها هذا الضمير بصورة (**مي**) فى قولهم : aid me ايـــدنـــي !

والنحويون اعلم اهل الارض بالمفارقات فى قواعد اللغة . ولا يسعنا هنا الا ان نذكرهم بواحدة فقـــط من تلك المفارقات هي أن العرب قد عبروا عن الجمع الذكور بصيغة المفردة الانثى حيث قالوا بكامل وعيهـــم وسلامة عقلهم : جاءت الرجال !

وان هذه (التقليعة) لتكفي وحدها لنسف كـــل تمنطقات النحويين ، وليقولوا فى تبريرها ما يقولون . وهي (تقليعة) بالنسبة الى النحويين انفسهم ، امـــا بلغة طريقتنا فى البحث اللغوي فترجمتها ان هذا التعبير اشارة متخلفة من عهد استعمال التاء ضميرا عاما قبل ان تتخصص بالمؤنثة المفـــردة .

من اجل ما تقدم نعتقد أن ضمير المتكلم فى «متى اضع العمامة تعرفوني» هو النون ، وان الياء اللاحقة به ليست الا حركة نطقية جعلته (**ني**) فى (صدقتوني)كما جعلته (**نا**) فى (علمنا) كما جعلته (**نو**) فى (نساعـــد ونؤيـــد) ..

واما ضمير الاضافة الى المتكلم فى مثل (كتابي، يدي) فاثله الهمزة (اي) ، وهذه اثلها (آ) .

ابـــدال النـــون ميمـــا :

ابدال الحروف ظاهرة لغويـــة تعتور مختلـــف الالفاظ فى جميع اللغات ، وقد راينا ان الهمزة ابدلت ياءا وهاءا . وطبيعي ان لا يسلم نون الضمير ايضـــا من هذه الملمـــة .

ويغلب على ظننا ان كل ميم نجده فى احـــــد الضمائر العربية مبدل من النون ، ولعل الامر كذلك فى الآريات ايضا بوجه عام .

ففي الفارسية نجد ان (**ما**) تعني : نحن ، واثلها (نا) بدليل ان قولك فى الفارسية (بنظر **ما**) يعني بالدقة (**بنظرنا**) اي : فى راينـــا .

وفى الانكليزية نجـــد ان ضمير المتكلم الفرد فى حالة الاضافة هو (**ماي** ـــ my) ، وفى حالـــــة المفعولية (**مي** ـــ me) . وعبـــارة : aid me (= ايدني) التي ذكرناها آنفا ترينا بوضوح كاف ان ضميـــر (مي ـــ me) فى الانكليزية هـــو نفـس ضمير (ني) فى العربية ، بنفس معنـــاه .

وفى الفارسية (**مـــن** ـــ man) يعني : **انا**، واثله فيما نظن (من) بالعربية ومعناه (الذي) للعاقل ، واثلـــه (تـــن) .

واما (**مان** ـــ man) بالانكليزية فيعنـــي الانسان او الرجل . واذا شـــاء القارىء ان يظن ان هذه الصيغة الانكليزية متاثلة من الضمائر ايضا فلـــن نعارضه فى ذلك ، بل اننا نشجعه عليه ، لاننا مثله لم نسلم من هذا الظن ، ولاسيما ان نفس الكلمة فى العربية (**من**) تعني كما قلنا (الذي) للعاقل ، اي لجنس الانسان ، واستعمالها فى الفارسية بمعنـــى (**أنا**) وفى الانكليزية بمعنى (انسان ، رجل) ، ثم فى الفرنسيـــة (**مـــون** ـــ mon) بمعنى ضمير المتكلم المضاف اليه- يدل على انها كانت ضميرا عاما اطلق علـــى مختلف الاشخـــاص .

ونرجح ان استعمال الانكليـــز (مان ـــ man) بمعنى الانسان والرجل قد بداه العرب فى معربتهـــم من قديم عهودهم . يدل على ذلك قول المعجم العربي ان (من) تاتي « نكرة موصوفـــة نحـــو مررت **بمـــن** معجب لك ، كما لو قلت **برجل** معجب لك » !

وقد ثنوها فقالوا : **منان** انتما ، وجمعوها جمع المؤنث السالم فقالوا : **منات** هن ؟ .. وجمع المذكـــر الســالم ، ومنـــه البيت :

اتــوا ليلا فقلـــت منـــون انتم ؟
فقالوا الجـــن ، قلت عموا ظلامـــا

وظاهرة ابدال النون ميما فى الضمائر منشؤها المعربة أيضا ، ونجدها فى ضمائر عربية مختلفة مثل **(أنتما)** وأثلها (أنتنا) ، و**(هم)** واثلها (هن) وهكذا ..

يؤيد ذلك لنا ضمير **(هم)** بالذات ، لان العراقيين ينطقونه بفتح الميم وتشديــــــده hummah) مثل نطق ضمير **(هن)** فى الفصحى .

ويؤيد ذلك ايضا علـــى نحو اوضح واقطع ان القوم فى ديـــار الشام ما زالوا ينطقون الميم نونـــــا اثيلا فى مثل : اخوكم وبيتكم ، فانهم يقولون : **اخوكن وبيتكـــن** - وبدلا من ضمير (هم) يقولـــون **(هن)** مـــع فتح النون المشدد . والاصح ان نقول أن الفصحى هي التي تقول (هم) بدلا من (هن) .

التـــــاء

لسنا نعرف عن اثل **(تا)** اكثر مما عرفنـــا عـــن اثل (تا) ، فالارجح عندنا انها مثلها من قول الطفل : تاتاتا .. فجزاه الله عن البشريـــة خيـــرا .

وقد استعملوها ضميـــرا عاما كالنون والهمزة. وما زالت موجودة فى العربية منفصلة وبصيغتها الاولى **(تا)** كاسم اشارة ، وتثنيتها **(تان)** ، ومنها : **تـــي** ، تيك ، تلك . وقد ابدلت ذالا فنتج منها **ذا** ، **ذو** ، **ذي**..

وتوجد كذلك ضميرا متصـــلا مفتوحا فى (فعلت) للمخاطب ، ومضموما فى (فعلت) للمتكلم ، ومكسورا فى (فعلت) للمخاطبة ، وساكنـــا فى (فعلت) للغائبة .. كما توجد فى ضمائر اخرى . وتوجد فى اول الفعـــــل المضارع للمخاطبين عمومـــا والغائبات عموما : تكرم (انت ، هي) ، تكرمان (أنتما ، **همـــــا الغائبتان)** ، **تكرمـــون** ، **تكرمـــن** .

وانما توجد التاء ضميرا (منفصلا) بصيغتهـــــا البدائية الاولى **(تا)** فى الصينية بمعنى هو . وتوجـــد بصيغة **(تـــو** ـــ tu) بمعنى انت ، فى الفارسيـــة والفرنسيـــة والايطالية جميعا . وهي تنطق **(ذو** ـــ thu) بـــالسكســونيـــــة ، و **(ذاو** ـــ thou) بالانكليزيـــة ، بنفس المعنـــى .

تركيب الضمائر

المشهور أن الالفاظ السامية منفردة ، لا مركبة كالالفاظ الآريـــة . اما ما ورد مركبا ـــ اي منحوتـــا بتعبير النحويين ـــ من الالفاظ التطورية الجاهلية مثل عبشمي وحضرمي ، فقليل جدا . وأما الالفاظ المركبة الاخرى مثل : بسمل وحوقل ودمعز (قال ادام اللـــه عزك) وأمثالها فاسلامية نحتها القوم بدافع الحاجـــة فهي ليست تطورية بالمعنى الجاهلي العفوي وانما هي تطويريـــة اشبه بالعمل الذي تضطلع به المجامع الآن من وضع الالفاظ للمعاني الجديدة استجابة للحاجـــة الحضاريـــة المعاصـــرة .

وخلو العربية من التركيب يعد عند علماء اللغة من اهم خصائصها وخصائص بناتهـــا الساميـــات المميزة لها عن الآريات التي دابت على تركيب اللفظة الواحـــدةمن لفظتيـــن او اكثـــر .

لكننا نكتشف التركيب اللغوي فى العربية قديما، اثيلا جدا .. فى الضمائـــر .

بل ان معظم الضمائر العربية مركب مـــــن عنصرين أو اكثر . حتـــى (هو) مركب من (او ، آ) ، و(هي) من (اي ، آ) ، بدليل ان العرب ينطقونهما اليوم بفتح الواو والياء مشددين ، كما كان ينطقها بعـــض القبائل العربية الجاهلية ايضا ، مما يدل على اثالـــة هذا النطق .. هذا بالاضافة الى فتح الواو واليـــاء فى الفصحـــى بدون تشديـــد .

أنـــت :

ان النموذج المثالي للضمير المركب هو **(أنت)** ، لانه يجمع الضمائر العنصريـــة الثلاثة (آ ، نا ، تا) بصورتها الاولى دون ابدال احد حروفها ، ودون زيادة مثل (انتما) او نقصان مثل (أنا) .

ونجد هذه العناصر الثلاثة بنفس هذا الترتيب فى الفرنسيـــة : **(أنت** ـــ ent) ضميرا متصـــــلا بالفعل المضارع بمعنـــى (هم) فى مثل : marchent يمشـــــون) . ونجـــده فى الفـــارسيـــــة بصيغة **(اند)** بالمعنى الفرنسي تقريبا فى مثل (بلعيده انـــد) : بلعوا .

نشـــوء التركيـــب :

لدينا الآن سؤال : كيف ، ولماذا وقع التركيب فى الضمائـــر ؟

نحسب الاجابة على هذا السؤال ممكنة ومقنعة الى حد غيـــر قليـــل .

والذي نعتقده ان الضمائر العنصرية الثلاثة الاولى — آ ، نا ، تا — لم تظهر الى الوجود فى وقت واحد ولا فى بقعة واحدة ، وانما ولد بعضها قبل بعض فى اماكن مختلفة من المعربة . فلما التقى الفريق الذي استعمل الهمزة بالفريق الذي استعمل النون مثلا جرى خلط الاثنين فنجم منهما ضمير **(آ — نا)** بمد الهمزة والنون اول الامر . ومن عجب ان هذه الصيغة البدائية الاولى ما زالت حية تنطق فى جنوبي العراق بمعنى ضمير المتكلم : انا .. فصدق او لا تصدق انهم ينطقونها **(آنا)** ! ولا ندري من اي القبائل العربية القدمى تخلف هذا النطق . واما فى اواسط العراق فقد تطور هذا الضمير قليلا فصار ينطق بكسر النون ولو ان الفتحة على الهمزة ما تزال مديدة ، اي : **(آني)** بلغة بغداد وما حواليها . واما فى الشمال اي الموصل وما حواليها فينطقونها بالصيغة الحديثة اي القرشية (أنا) كما ينطقها معظم العرب اليوم فى الدارجات .

ومما يدل على ان هذا الضمير المركب (آ — نا) كان ضميرا عاما يستعمل فى مختلف المعاني أنه يوجد فى الفارسية بصيغة **(آن)** بمعنى (هو) لغير العاقل، أو (ذلك) للعاقل وغيره .

كذلك نجد آثار (انا) فى ضمائر عربية مختلفة المعاني : انت ، انتما ، انتم ، انتن .

ويبدو ان قبيلا ثالثا ممن يستعملون التاء ضميرا عاما قد خالط الناطقين بضمير (آنا) فظهر من احتكاكهم الضمير (آناتا) . ودابت الالسنة على صقل هذه التركيبة وهندمتها حتى اصبحت **(أنت)** ! وقد سبق ان اتضح لنا ان هذا الضمير هو الآخر قد استعمل بمعان مختلفة ، اي ضميرا عاما .

وبعد اختلاطات اخرى كثيرة ومعقدة نشأت بقية الضمائر ، ولاسيما ضمائر التثنية والجمع : أنتما ، انتم ، انتن ، هما ، هم ، هن .

بواعث التركيب :

ويلوح ان عدة عوامل قد تظافرت على تركيب الضمائر اي خلطها عند اختلاط الناطقين بها . ولعل اهم هذه العوامل هو اكثرها بداهة وبساطة ، وهو عدم فهم هذا الفريق لغة ذاك عند اللقاء ، مع رغبتهما فى التخاطب : الفهم والافهام . فاذا كان هؤلاء يقولون (آ) واولئك يقولون (نا) وقد تعايش القبيلان فى صعيد واحد ، فالاصوب والاضمن — حين يخاطب أحدهم شخصا لا يعرف من اي القبيلين هو ، أو حين يخاطب شخصين أحدهما من هذا القبيل والآخر من ذلك — ان يقول **(آ — نا)** ، لكي يفهم المخاطب مراده اية كانت لغته .

ولا يحسبن القارىء أن تأويلنا هذا ضرب من (شطحات) خيال مغامر ، فان لدينا على هذا القول لبرهانا من صميم واقعنا العربي المعاصر ! وذلك ان لدى العرب — فى هذا القرن العشرين — مشكلة لغوية مماثلة .. لم يجدوا لحلها وسيلة انجع من تلك الوسيلة البدائية العتيقة .. الاثيلة . تلك هي رغبتهم فى التفاهم على ما هم فيه مختلفون من اسماء الاشهر الميلادية مثلا . فأهل المعربة والهلال الخصيب يذكرون هذه الاشهر باسمائها العربية القديمة — البابلية : كانون الثاني ، شباط ، آذار ، نيسان ..

اما عرب الشمال الافريقي — من القناة الى المحيط — فيذكرونها باسماء اوربية .

فلما اختلط الفريقان (ثقافيا) على صعيد واحد — من المطبوعات — صارت المجلات مثلا تسجل تاريخ صدور كل عدد منها باللغتين ، فتقول : شهر **(نيسان — ابريل)** .. لكي يفهم عنها قراء الطائفتين . وكذلك صارت تفعل الاذاعات العربية ، ولاسيما الصادر منها عن عواصم اجنبية .. بالضبط كما قال الاعربون الاوائل (آ — **نا)** ليفهم عنهم المتكلمون بالضميرين !

ولما كانت الاقطار العربية فى الشمال الافريقي تختلف فيما بينها فى نطق اسماء الاشهر الميلادية الاوربية ايضا فقد اضطررنا — شخصيا — الى ان نفعل ما هو ادهى من ذلك ، يوم ذكرنا اسم الشهر فى احدى المناسبات بثلاث لغات : **(غشت — آب — اغسطس)** ! (*) ..

فهل يحق لنا — او يحق لي شخصيا على الاقل — بعد أن اقترفت هذه التركيبة ، ان استغرب تركيبة : **آ — نا — تا** (انت) ؟

ولعل من اسباب تركيب الضمائر **ايضا** أن بعضها استعمل بمعنى **غير معنى الضمير** ، كالهمزة

(*) اللسان العربي — عدد 4 ، حاشية ص 8 .

التي استعملوها كما قلنا للتنبيـــه والنداء والاشـارة . وعلى هذا يحتمل ان الهمزة فى (آ ــ نا) كانت تعنـــي التنبيه فأضيف اليها النون ليؤدي معنى الضمير ، كما هي الحال فى تركيبة : هاذا (هذا) ، حيث تؤدي الهاء معنى التنبيه و (ذا) معنـــى الاشـارة .

كذلك يجوز أن نضيف الى السببين الآنفيـــن سببا ثالثا لتركيب الضمائر هو **(التكرار)** للتعبير عن **الجمع** : كما كنا ذكرنا عند حديثنا عـــن ضمير (نحن) الذي قلنا انه مركب من (انا ــ انا) وربما من (نا ــ نا)، ثم دخلت الحاء بينهما تنغيما .. (فى المقال السـابق) .

وقد يكون الغرض من التكرار هو **التأكيد** كالذي نجده صريحا فى اداة النداء **(أيا)** التي هي فى الواقـــع (أ ، يا) ، وكل من جزأيها يغني وحده غناء الآخر ، ثم صار التخصص بمعنى القريب والبعيـــد .

وقد ادى التركيب احيانا الى تكرار نفـــــس الضمير **بمعان مختلفة** مثل **(اياي)** وهي تركيبة مـــن : اي ، آ ، يــا .. وكلها اثلها : آ .

ونعيد الآن ما سبق ان نوهنا به من اننا لا نقصد أن ثلاث طوائف من البشـــر كـــل منها يتكلم باحـــد الضمائر قد اجتمعت فى مكان واحد فى وقت واحـــد فالتقت الضمائر العنصرية البسيطة فى ضمائر مركبة ، لكن الاغلب ان ذلك قد جرى بالتعاقب فى اكثر مـــن مكان . وان استعراض ضمير مطول مثل : **انتما** (ا ، ن ، تو ، ما) ليساعدنـــا على ادراك هذه الحقيقة . ولعل النصف الاول من هذا الضمير (ان) قد نشــأ على حدة فى مكان، و (ــ تما) قد نشأ على حدة فى مكان آخر ، بدليل وجوده وحده فى مثل (نظر **تما**) ، ولعـــل النون قد ابدل ميما فى مكان ثالث .. هذا عدا الاماكـــن الاخرى التي غيرت حركات (آ ، نا ، تا ، نا) حتـــى كان الحاصل النهائـــي (انتمـــا) .

تحليل الضمائر

فما دامت الضمائر مركبة فان خير ما نفعله بها لنتمكن من حل طلاسمها والنفاذ الى اسرارها هو ان نخضعها للتحليل فنردها الى عناصرهـــا البسيطة ، البدائية الثلاثة ، التي لا تقبل التجزئة لان كـــلا منها لا يزيد فى النطق على مقطع واحد : آ ، نا ، تا .

واليك تحليل الضمائـــر **المنفصلة** :

انـــا = آ + نــا .
نحن = **نا** + ح (زائدة) + نو (اثلها : **نــا**) .
انت = آ + ن (**نا**) + **تــا** .
انت = آ + ن (**نا**) + تي (**تا**) .
أنتما = آ + ن (**نا**) + تو (**تا**) + ما (**نا**) .
انتم = آ + ن (**نا**) + تو (**تا**) + م (ما ، **نا**) .
انتن = آ + ن (**نا**) تو (**تا**) + (**نــا**) .
هـــو = او (آ) + آ .
هي = اي (آ) + آ .
هما = او (آ) + مـــا (**نا**) .
هم = او (آ) + م (ما ، **نا**) .
هن = او (آ) + **نــا** .

واما الضمائر **المتصلــة** فهكذا تحليلها فى الفعل **الماضـــي** :

ذهبت (أنا) = ذهب + تو (**تا**) .
ذهبنـــا = ذهب + **نــا** .
ذهبت (المخاطب) = ذهب + **تــا** .
ذهبت (المخاطبة) = ذهب + تي (**تا**) .
ذهبتما = ذهب + تو (**تا**) + ما (**نا**) .
ذهبتم = ذهب + تو (**تا**) + م (ن ، **نــا**) .
ذهبتن = ذهب + تـــو (**تــا**) + **نــا** .
ذهب = ذهب + آ .
ذهبـــا = ذهب + (آ) .
ذهبـــوا = ذهب + او (آ) .
ذهبت (هي) = ذهب + آ + ت (**تــا**) .
ذهبتـــا = ذهب + آ + **تــا** .
ذهبـــن = ذهب + **نــا** .

وأما فى الفعل **المضـــارع** فهكذا تحليلها :

افعل (أنا) = آ + فعل + او (آ) .
نفعل = **نا** + فعل + او (آ) .
تفعل (أنت ، هي) = **تــا** + فعل + او (آ) .
تفعلين = **تــا** + فعل + اي (آ) + **نــا** .
تفعلان (انتما، هما) = **تا** + فعل + آ + ني(**نا**)
تفعلون = **تا** + فعل + او (آ) + (**نا**) .
تفعلن = **تــا** + فعل + **نــا** .
يفعـــل = يا (آ) + فعل + او (آ) .
يفعلان = يا (آ) + فعل + (آ) + ني (**نا**) .
يفعلون = يا (آ) + فعل + او (آ) + **نــا** .
يفعلـــن = يا (آ) + فعل + **نــا** .

اما افعال **الامر** فتسبقها الهمزة دائما ان كـــان الامر مباشـــرا اي موجها الى المخاطب ، واما امـــر

المتكلم والغائب بواسطة اللام فخارج عن موضوعنا الآن :

افعل (انت) = اي (آ) + فعل .
افعلـي = اي (آ) + فعل + اي (آ) .
افعلا = اي (آ) + فعل + آ .
افعلوا = اي (آ) + فعل + او (آ) .
افعلـن = اي (آ) + فعل + نـا .

ولئن كانت همزة الامر مكسورة هنا فهي مضمومة في مثل : انظر ، انظري . وعندئـذ يكـون تحليلها : انظر = او (آ) + نظر ..الخ

وقد جزموا آخر فعل الامر فلم تظهر عليه حركة، من باب الاستعجال رغبة منهم في سرعة انفاذ الامر ، ربما منذ عهود الغاب بأخطارها ووحشيتها . فمن اجل ذلك حذف النون من اواخر صيغ المضارع المنتهية به مثل : تفعلين ، تفعلان ، تفعلون . فبدلا من القـول (اهربين ، اسمعـان ، اضربون) قالوا : (اهربي ، اسمعا ، اضربوا) ، استعجالا او عنفـا . ولعل النون كان موجودا في هذه الافعال اول الامر ، ثم زال . واما صيغة (تفعل انت) فقد كان تخفيفهـا عند الامر بحذف الضمة من آخرها فحسب ، كما يجري عليها عند الوقف ايضـا .

واما صيغة (افعلن انتن) فلم يحذف نونها لكيلا تلتبس الصيغة بالمفرد المذكر (افعل انت) ، وان كان عامل تجنب اللبس لم ينجع في مواطن اخرى . لكـن ربما كانت بعض المشاكل الغابية قد نجمت من مثـل هذا الالتباس فاضطروا الى الاحتفاظ بالنون .

وامـا ابقاء النـون في صيغة امـر المخاطب (افعلن) فيظهر كأنه مناقض لهـذه القاعدة ، الا ان قليلا من التمعن يرينا ان التأكيد ، لا الاستعجال ، هو المقصود في هذه الصيغة . فمن اجل هذا اسمـاه النحويون نون التوكيـد . وقد جاء هذا التوكيد علـى درجتين : خفيفة بتسكين نون (افعلن) ، وشديـدة بتشديـده .

واما الضمائر **المتصلة بالاسماء** اضافة وبالحروف جرا فيمكن تحليلها على هذا المنـوال :

عندي = عند + اي (آ) .
عندنا = عند + نـا .
عندك = عند + آ + ك (اثلها : تـا ، بدليـل ان التاء ما زالت في الفارسية تقوم مقام هذا الكـاف مثل : كتابت = كتابك .. وبدليل استعمال التاء عنـد العرب انفسهم في الفعل مقابل الكاف في الاسم مثل : ذهبت ، مقابل : ذهابك ، وذهبتما مقابل ذهابكما ..)

عندكما = عند + كو (تو ، **تا**) + ما (**نا**) ..الخ

وقد تتشابه الضمائـر في اول الفعل كالياء في : يفعل ، يفعلان ، يفعلون ، يفعلن .. وكالتاء في : تفعل (انت ، هي) ، تفعلان (انتما ، هما) ، تفعلون ، تفعلن.

ومهما يكن فان النحاة لم يعتبروها ضمائـر متصلة ، ولا سيما انهم وجدوا لحسن حظهم ضمائر غير متشابهة في اواخر الافعال ، كل واحد منها لـه لفظ خاص ومدلول معين . لكن جابهتهم مشكلة فقدان مثل هذه الضمائر المتميزة في بعض الافعال مثل : افعل (أنا) ، تفعل (أنت ، هي) ، فعل (هو) .. فكان منهـم أن حلوا المشكلة بقولهم ان فاعل الفعل ضمير **(مستتر)** تقديره : انا ، او انت ، او هو ، او هي .. ولم يخطـر لهم ، والحق معهم في ذلك الزمان ، ان الهمزة والتاء والياء والنون في أول الفعل ، وان الفتحة والضمـة والكسرة في آخره ، ان هي الا بقايا متنكرة ، لكن غير مستترة ، تمثل ضمائر مندرسة ، كقطعة من فـك يجدونها في كهف تبتاريخي ليستدلوا بها على آدمـي كهفـي قديـم .

تخصـص الضمائـر

لا شك أن الاعرب الغابـي قد خالجه سـرور كثير يوم اكتشف او تعلم (آ) ، فصار يستعملها للتعبير عن شؤون مختلفة ماكان يعرف سابقا كيف يعبر عنها. ومثل ذلك او ما يقاربه يمكن ان يقال عن كل من **(نـا)** و **(تا)** ، لاننا نعتقد كما قلنا ان كل رهط من اهـل المعربة كان اول الامر يستعمل واحدا من هـذه الضمائر الثلاثة اهتدى اليه حسب ظروفه الزمكانية .

ولعل فرح كل رهط منهم بكلمته السحرية تلك ، التـي فتحت لـه عالما جديدا شائقا مـن التفاهـم والتكاشف ما كان يقل عن فرح الانسـان الحديـث عندمـا اكتشف التلفـون !

غير انه — الانسان القديـم — اضطر الـى استعمال الواحد الذي يملكه من هذه الضمائر الثلاثة الجذرية بمعنى الضمير العام كالذي اوضحناه ، أي للدلالة على كل الاشخاص والاشياء واسماء الاشارة والموصولات وادوات النداء والاستفهام (أ ؟) والايجاب (اي) .. وشؤون اخرى . وسبب ذلك طبعا هو فقـره اللغوي المدقع قبل اهتدائه الى الفاظ اخرى يستعمل كل واحد منها لواحد من تلك المعاني الكثيرة .. اشبه

بالراعي الذي يملك من دنياه عصاه يحمل عليها متاعه عند المسير ، ويتوكأ عليها عند التصعيد في الآكام ، ويركزها في الارض ليستظل تحتها بعباءته عند الهاجرة، ويهش بها على غنمه .. وله فيها مآرب أخرى .

واذا عدنا الى المقارنة مع انساننا المعاصر قلنا ان عربي الغابة استعمل الضمير العام شبيهــا باستعمال الانسان الحديث تلفونه السحري الذي فتح لــه افقـا رائعا من التواصل والتفاهم حتى أن اكثر الذين حصلوا على جهاز التلفون لاول مرة ، ان لم نقل كلهم ، جعلوا يحدثون به هذا وذاك من اقاربهم واصدقائهم ومعارفهم لا لضرورة ولكن لمجرد التمتع بهذه البدعة الحضارية (اللغوية) ! ومن الطبيعي ان هذا الانسان الحديث ، الساحر ، المسحور ، استعمل التلفون اول الامر لمختلف انواع مخابراته ، القريب منها والبعيد ، قبل اهتدائه الى المحضار (الجهاز الذي يخاطب به الرئيس مرؤوسيه وهم في حجراتهم كأنما يستحضرهم به) ، واللاسلكي والمشواف (التليفزيون) ، والمحذار (الرادار) ، التي أصبح يستخدم كلا منها للغرض الملائم ، كما استخدم جده المعربي كلمة (آ) لمختلف الاغراض قبل أن يكتشف : انا ، أنت ، تيك ، ذاك ..

وتخصص الضمائر من احسن الامثلة للتخصص التطوري في اللغة ان لم يكن احسنها . تستعمل كلمة في معنى عام ، ثم يظهر لهامرادف فيتخصص احد المترادفين بجزء من ذلك المعنى العام . وكلما ظهر مرادف آخر تخصص بجزء منه . فاذا تمت معاني الاجزاء كلها وظهر مرادف جديد ، لم يجد له معنى سائبا يتخصص به فيبقى مرادفا ، وما اكثر الامثلة على ذلك . ومن التخصص مثلا : تيك وتلك ، فهما صيغتان مختلفتان مبنى متفقتان معنى ، لكن القوم مع أنهم قد استوفوا أسماء الاشارة فخصوا كل واحد منها بلفظة تدل عليه ولم تعد بهم حاجة الى آخر ، خصصوا من باب الترف اللغوي صيغة **(تلك)** بالانثى البعيدة و**(تيك)** بالانثى المتوسطة .. على قول النحاة .

ان اهم العوامل التي ساعدت على تكاثر الضمائر وتنوع صيغها هو **(الاختلاط)** الذي افضى الى التركيب كالذي قلنا .

وثمة عامل آخر هو **(الابدال)** اي تغيير بعض حروف الضمير ، مثل ضمير (هن) الذي قلنا انهم ابدلوا نونه ميما فصار (هم) وتخصص كل منهما بمعنى .

وثمة عامل ثالث هو **اختلاف نطق الحركات** فتحا وضما وكسرا كما تقدم بنا ، فتخصصت كل حركة بضمير ، وابسط مثال على ذلك واوضحه التاء في : فعلت بالفتح (انت المخاطب) ، وفعلت بالضم (أنا) وفعلت بالكسر (انت المخاطبة) ، وفعلت بالتسكين (هي)

بل ان مجرد الاختلاف في اطالة الحركة او تقصيرها قد يسبب احداث ضمير جديد ، مثل : سمع وسمعا ، ومثل : ذهبن وذهبنا ، ومثل : يذهب ويذهبوا (في حالة الجزم) .

تباين الضمائر

على ان الجماعات العربية لم تتفق قط في تخصيص الضمائر وتحديد وظيفة كل صيغة منها ، الا في الفصحى ، اي بعد جمع مفردات اللغة وتثبيتها في المعاجم . واما في الدارجات فلم تتفق حتى هذه الساعة

ففي المغرب يقولون (نفعل) وهم يقصدون (افعل) . نعم انهم يقولون **(أنا نبغي)** اي : أنا اريد . فاما اذا ارادوا جمع المتكلم قالوا : **نبغيو** ، نقولو ،**نمشيو.**

وفي سوريا وغيرها يقولون **(انتي)** وهم يقصدون المخاطب الذكر ، هذا بالاضافة الى قولهم **(هن)** بمعنى (هم) . والعرب عموما ما عادوا يفرقون بين التأنيث والتذكير في هذا الضمير ، غير انهم على عكس السوريين يقولون **(هم)** بمعنى **(هن)** .

واما المصريون فيستعملون الميم بدل الواو في مثل : راحوا ، اكتبوا ، ناموا ... ينطقونها : **راحم ، اكتبم ، نامم** .

واما العراقيون فهم على العكس من ذلك يستعملون الواو بدل الميم في مثل : انتم ، رحتم ، جيتم .. ينطقونها : **انتو ، رحتوا ، جيتوا** . كذلك يقول العراقيون (تسمعا) بمعنى **(تسمعه)** بلغة بغداد ، وبمعنى **(تسمعها)** بلغة الموصل ، وهذه الاخيرة لغة بر الشام .

وجميع العرب فيما يظهر صاروا يعاملون المثنى معاملة الجمع الآن ، في مثل : قالا ، يأمران ، اسمعا .. فينطقونها : **قالوا ، يأمرون ، اسمعوا** .

ولابد ان امثال هذه الاختلافات . والتطويرات كانت اكثر تنوعا واكبر عددا في غابر الزمان ، قبل ظهور الفصحى المشتركة .

وبسبب كثرة الهجرات القديمة من المعربة الى الاراضي المجاورة وما يليها ، من مختلف القبائل ،

وفى مختلف الظروف والاوقات ، كان من الطبيعي ان نجد الضمائر العربية فى الاعجميات ايضا مختلفة المعاني احيانا ومختلفة المباني احيّانا . وبتعبير آخر ان كلا من الضمائر الآرية يمثل احدى القبائل العربية القديمة ، كما ان اختلاف العرب اليوم فى مباني الضمائر أو معانيها يعني ان كلا منها يمثل احدى القبائل العربية القديمة (باستثناء ما طرأ عليها بعد ذلك من تطور طبعا) .

ولنأخذ اهم الضمائر واكملها من الناحية التركيبية لانه المركب المشترك الاصغر ، وهو **(أنت)** فهو فى العربية — الباقية — ضمير المخاطب الفرد الذكر . وهذا الضمير رأيناه يطالعنا فى الفرنسية بنصه وبنفس ترتيب حروفه بصيغة (- ent) ضميرا متصلا بالمضارع للجمع مثل aident : يؤيدون ، كما رأيناه فى الفارسية بصيغة **(اند)** وهو يستعمل بالمعنى الفرنسي فى حالتي الماضي والمضارع معا مثل : مكيدند (مكوا ، والمك هو المص) ، وميمكند (يمكون ، يمصون) . وتكون همزة الضمير (اند) اظهر فى مثل صيغة : مكيده **اند** (مكوا ، مصوا ، فى زمن مضى) .

كذلك يختلف معنى ضمير **(هو)** فى الانكليزية عنه فى العربية . فقد وجدناه فيها بنفس اللفظ (هو — who) لكن بمعنى : الذي . كذلك صيغة **(هي — he)** التي قلنا انها تعني فى الانكليزية (هو) . وسوف يمر بنا الكثير من النماذج المماثلة حين نستعرض الضمائر فى العربية وبعض الآريات تحت عنوان (معان اخرى) ، ونطلع على ما بينها من توافق وتباين.

توحيد الضمائر

وعندما ظهر الاسلام كانت اللغة العربية تجتاز مرحلة تطورية معينة لها خطورة خاصة ، حيث كان الشعر السائر والامثال المتداولة المتبادلة والخلطة فى الاسواق ونحوها قد اخذت تبلور لغة **(فصحى)** مشتركة بين مختلف القبائل والبطون ، غير لغة التخاطب المحلي او القبلي . وكانت تلك الفصحى تتألف بوجه عام من لغات بعض القبائل التي كانوا يعدونها أفصح العرب من سعد وهذيل وتميم .. وكانت تغلب عليها — اي الفصحى — مسحة قرشية بوجه عام ، لاجتماع العرب سنويا بمكة فى (معرض دولي) يشارك فيه العرب من كل صوب باسم (سوق عكاظ) . وقل من المعارض الدولية اليوم ما يعنى بالآداب وفنونها عناية سوق عكاظ بها . فقد كان القوم يتبادلون فيها الى جانب عروض التجارة ما لا نظير له اليوم فى اية عاصمة كبرى من (عروض) الادب شعرا وخطبا ومواعظ ومفاخرات ومناجزات ، وكلما لديهم من افانين منتجات الكلمة فى الادب مع مختلف شؤون السياسة والاجتماع والدين .

وقد كان من الاسلام ان اضفى على تلك (الفصحى) العربية صبغة رسمية لظهوره فى بؤرة اشعاعها (مكة) ولنزول القرآن بها على الاخص ، فحفظه المسلمون فى جميع انحاء الارض العربية ، وتعلمه حتى الصبيان الذين استقامت السنتهم عليه الى أن شبوا وشابوا . ثم جاءت العناية باللغة جزءا من العناية بالدين فتناولوها جمعا وتدوينا ودرسا وتحقيقا وتنسيقا وتقنين قواعد صرف ونحو .. حتى ثبتت القواعد والالفاظ ومنها الضمائر على النحو الذي وعته لنا المعاجم وكتب اللغة .

وقد ادى ذلك الى امرين : احدهما وقف حركة ذلك التطور اللغوي الجاهلي العفوي واحلال تطور ثقافي حضاري فى محله اقرب الى العمدية والتناسق. والثاني أن الجماعين والمدونين اللغويين انفوا من كل ما لم يعدوه فصيحا من لغات القوم الكثيرة ولاسيما لغات من سموهم النبط ونحوهم ، وبذلك توحدت اللغة وثبتت .. فكان ذلك خسارة كبرى لدارس اللغة وبركة كبرى للثقافة والادب .

صيغ المجهول

وكان من اشكال الاختصاص الكثيرة المتنوعة ان بعض الضمائر ، المتصلة فى اوائل الافعال ، قد تخصصت بمعنى الفعل المبني للمجهول . ويلوح لنا ان أول ظهور صيغ المجهولية كان فى الفعل المضارع، فقد قال بعضهم مثلا : أرى ، نسمع ، يضربون — بفتح اول الفعل ، ونطقها آخرون بضمه ، فتخصصت الصورة الثانية مع الزمن بمعنى المجهولية .

أما نطق بعض الفتحات ضمات فليس بالمستغرب فى العصور الاولى ما دام بعض العرب يمارسه حتى اليوم . فالسوريون وغيرهم من بعض العرب ينطقون اسم(بغداد) بضم الباء بدلا من فتحها . بل ان بعض العامة واشباه العامة من العراقيين انفسهم ينطقون اسم وطنهم (العراق) بضم العين !

وبعد ان استقر معنى المجهولية لهذه الصيغة الجديدة فى الفعل المضارع صيغ منها الفعل الماضي على طريقة تصريف الافعال المبنية للمعلوم ، فقالوا

للمجهول(فعل) بضم الفاء من قولهم (يفعل) بضم الياء .. بينما نعتقد فيما يخص صيغ المعلوم ان صيغة الفعل الماضي أسبق الى الظهور من صيغ المضارع والامر .. وليس هنا مكان تعليل ذلك .

ونكتفي بالذي قلنا عن صيغة المجهول الآن تاركين الصيغ الاشتقاقية الاخرى : انفعل ، تفاعل ، تفعل ، افتعل .. الى فطنة القارىء .

حركات الاعراب

الزائد اللغوي :

يظهر أن كل نوع من انواع التطور يترك وراءه مخلفات من الرواسب . ومن نماذج رواسب التطور فى عالم الاحياء ارجل صغيرة خفية لثعبان البواة تحت الجلد لا تبين ولا تعمل ، وغلاصم للانسان يقول التطوريون أنها من رواسب مرحلة الحياة المائية .

وما اكثر الرواسب فى حياة البشر الاجتماعية فى كل بيئة متطورة مما يسمى بالتقاليد والعرف والعادات تخلفت من آثار سابقة ، اشبه ببقايا الماء فى الحفر يتركها وراءه السيل الذاهب .

واللغة — كائنا حيا متطورا — لا تشذ فى هذا الباب عما يجري فى عالم الاحيائيات وعالم الاجتماعيات، ولاسيما ان اللغة كيان **حي** من جهة **واجتماعي** من جهة.

ومن الرواسب اللغوية زوائد متخلفة من عهد تطوري كانت لها فيه وظيفتها ، ثم تقلبت الاحوال ففقدت وظيفتها او اعتاضت عنها بغيرها . واشهر نموذج لهذا فى العربية **(ما)** الزائدة بعد **(اذا)** . وهي تكون زائدة كذلك عند وقوعها بعد : حين ، وكي ، وحيث ، وغيرها - لان معانيها لا تتغير اذا اضيفت اليها (ما) فصارت : حينما ، كيما ، حيثما ..

واذا اعتبرنا اصل وظيفة (ما) هو الموصولية بمعنى (الذي) لغير العاقل ، فهي فى هذه الشواهد قد فقدت هذا المعنى تماما وبقيت بلا معنى . على أنها فى شواهد اخرى قد استعاضت عن معناها المفقود بمعان جديدة فى مثل : لما ، طالما ، ما دام ..

وهذا عين ما يجري فى عالم الاحياء ، فبعض الرواسب التطورية ، اي الاعضاء الاثرية ، تفقد عملها تماما كأرجل ثعبان البواة ، وبعضها تستبدل وظيفة جديدة بوظيفتها المفقودة ، كالموظف المحال على التقاعد يفقد عمله المألوف فيجد لنفسه عملا آخر يلائمه فى ظروفه الجديدة ليملأ به ايامه ، ومثل ذلك ما فعلته غلاصم الانسان اذ أصبحت تحتكر الجراثيم وتكافحها لتخفيف وطأتها عن الجسم .

شين النفي :

ولعل أحسن نموذج للزائد اللغوي المعاصر ، فى الدارجات العربية ، هو حرف الشين الملازم للنفي فى الجملة المغربية والمصرية : مش ناسي ، ما اعرفشي..

واثل هذا الشين هو كلمة **(شيء)** لحقت أولا بالفعل المتعدي المنفي لغرض التاكيد فقالوا : ما اعرفـ**شي** ، ما قال **شي** ، ما اكلوا **شي** ..

وهذا ما لا يزال سائر العرب يقولونه ولكنهم يقصدون معنى (شيء) حقيقة اي : لا اعرف شيئا ، ما قال شيئا ، ما اكلوا شيئا ..

اما فى المغربية والمصرية فالمقصود بتلك التعابير وامثالها مجرد النفي اي : لا اعرف ، ما قال ، ما اكلوا . وبعبارة اخرى ان هذا الشين قد فقد معناه تماما فى الدارجتين المصرية والمغربية واصبح **(زائدا لغويا)** .

فكيف حدث هذا ؟ الواضح ان كثرة استعمال كلمة (شيء) مع الفعل المتعدي المنفي لغرض التأكيد جعلتها تلتصق به وتعم كل تعابير النفي ولو لم يقصد بها التوكيد .. ثم تعم ثانية فتشمل حتى الفعل اللازم الذي لا يجوز ذكر (شيء) معه بصفته مفعولا به ، مثل : ما جاشي ، مايروحشي ، ما يمشيش ، ما يصحش .. ثم تعم مرة ثالثة لتشمل جميع حالات النفي حتى فى التعابير التي لا فعل فيها ، وعندئذ تلتصق (شي) بالحروف و غيرها فى التعابير غير الفعلية : **مش** انا ، **مش** عارف ، ما عندنا**ش** ، مالو**ش** دعوة . وتختلف استعمالات الشين قليلا فى المغربية عنها فى المصرية ، وليس هنا مجال التوسع فى ذلك .

وبعد أن فقدت كلمة (شيء) معناها على هذا الوجه اضطروا — الناطقون بالشين — الى استخدام كلمة اخرى تقوم مقامها فى اللغة لتؤدي معناها فى مختلف مطالب الحياة فوقع اختيارهم على كلمة (حاجة) بمعنى الشيء . فاذا قال الحجازي : ما شاف شي ، قال المصري ما شافشي حاجة (= ما شاف+ **شي + حاجة)** .

واذا كان الشين قد سميناه (الزائد اللغوي) فان كلمة (حاجة) يمكننا تسميتها **(العوض اللغوي)** وهو الكلمة التي تحل محل كلمة فقدت وظيفتها . وهذا العوض اللغوي ان لم يكن مرادفا لسلفه فلابد من سلبهمعناه واعطائهمعنى سلفه، وعندئذ ينبغي أن يحل محله بدوره عوض لغوي آخر ليؤدي معناه السليب .

على ان (شي) تظهر فى الدارجة السورية فى مثل قولهم : اعطيني **شي** كتاب ادبي ، أو : تعرف **شي** طبيب اسنان ؟ ولعل القارىء قد سمع نصري شمس الدين يغني : « لو بتحاكيني **شي** مرة يمكن تحبيني»! والظاهر أن (شي) فى هذه التعابير تعمل كاداة تنكير بمعنى (واحد) ، اي : لو بتحاكيني مرة (واحده) .. اي ان (شي) هنا لم تتعطل عن العمل بل ابدلت به غيره .

وفى المغرب (كل شي) — وينطقونها كلمة واحدة **(كلشي)** — تعني : كله ، أو كلهم ، أو كلنا .. فاذا ارادوا ان يقولوا (كلنا نريد) قالوا : **كلشي** نبغيو .

وفى العراق يوجد الشين فى **(كلش)** — بكسر اللام مشددا — بمعنى (جدا) ، فى مثل : **كلش** زين : جيد جدا .

الضمير الزائد :

اظننا بعد هذا التمهيد المطنب نستطيع أن نقتحم الموضوع الوعر الذي نريد اليه ، فنقول أن ما جرى على كلمة (شيء) قد جرى ما يشبهه على الهمزة الضمير . لقد تعددت وظائف الهمزة كالذي راينا وكثر التوكؤ عليها فى الكلام فاضافوها الى الافعال فى أولها أو فى آخرها ، حتى لقد اضيفت الى الفعل الواحد فى بعض الحالات فى أوله وفى آخره معا مثل : اذهبا (= **اي** + ذهب + آ) و : افعلي (= **اي** + فعل + **اي)** .. بل لقد اضافوها حتى الى نفسها فى مثل (أيا) للنداء (= آ + آ) .. وفى مثل ايـاي (= **اي** + آ + آ) ! ..

فالذي نعتقده ان حركات الاعراب ليست الا رواسب تطورية من الهمزة فى مختلف حالاتها النطقية : آ ، **او** ، **اي** .

واليك هذه التعابير نوردها علىطريقة النحويين: جاء الرجل ، ورأيت الرجل ، ونظرت الى الرجل . فاذا نحن حللنا كلمة الرجل وجدنا انها فى الحالة الاولى (= الرجل + **او)** ، وفى الحالة الثانية (= الرجل + آ) ، وفى الحالة الثالثة (الرجل + **اي)** .

واذا شق على القارىء العزيز هذا التخريج كان علينا أن نذكره بالافعال التي سبق أن حللناها على هذا الوجه :

افعلوا = اي + فعل + **او** .
افعلا = اي + فعل + **آ** .
افعلي = اي + فعل + **اي** .

فالضمائر هنا من الوضوح بحيث لا يمكن انكارها ، او اغفالها .

والضمة التي تلحق بالمبتدا او الخبر او الفاعل — لا تختلف عن الضمة اللاحقة بالفعل . وليس اعون لنا من التحليل فى ايضاح الامر ، فلنعد اليه لننظر من خلاله الى الحركات الاعرابية الثلاث فى العبارات التالية فى الاسم والفعل معا :

الضمة ، فى مثل : ينتصر الحق (= ينتصر + **او** + الحق +**او**) .

والفتحة ، فى مثل : سمع النداء (= سمع + **آ** + النداء + آ) .

والكسرة ، فى مثل : اعتصمي بالصبر (= اعتصم + **اي** + بالصبر + **اي**) .

اي ان نفس الضمير الذي التصق بالفعل قد التصق بالاسم فى الامثلة الثلاثة .

الذي يؤيد هذا تأييدا مقنعا هو وجود حركة الضمة فى اواخر الالفاظ البابلية من الافعال والاسماء على السواء . فقد كانوا يقولون — من الافعال مثلا :

سخنو	(sahanu)	: سخن .
تلفو	(qalafu)	: تلف (تقشر) .
صرمو	(saramu)	: صرم (تطع) .

ومن الاسماء :

ايدو	(idu)	: يد .
ملاحو	(mallahu)	: ملاح .
تربيتو	(tarbitu)	: تربية .
حرتو	(hirtu)	: حرية .

وهنا تجابهنا نقطة مهمة . ان الفعل لا يعتبر كلاما مفيدا بذاته ما لم يقترن بالاسم الذي وقع الفعل منه او عليه (فى حالة المجهولية) ، فاذا غاب ذلك الاسم جيء بنائبه الضمير ليدل عليه . لذلك كان من

الطبيعي ان تتصل الضمائر بالافعال ويظهر بعضها على صورة فتحة او ضمة او كسرة . غير ان الاسم لا يحتاج الى ذكر الضمير معه لان الضمير ما هو الا نائب الاسم ، يذكر عند غيابه ليدل عليه . اما عند وجود الاسم فالاسم هو الذي يدل على نفسه . فكيف ظهر معه الضمير اذن ، والتصق به ؟

قالوا بصيغة الامر : اذهب آ ، اذهب او ، اذهب **اي** .. لكي يعرف السامع من هو المقصود بفعل الذهاب . فلماذا قالوا : الرجل آ ، الرجل **او** ، الرجل **اي** ؟ كيف انتقل هذا الضمير من الفعل الى الاسم ؟

الذي نظنه هو انهم كما استعملوا الضمير مع الفعل ليخبر عن فاعله (المسند اليه) استعملوا الضمير مبتدءا مؤخرا ، فقالوا : صغير **او** ، مريض **او** ، جائع **أو** ... بمعنى صغير هو ، مريض هو ، جائع هو .. مثلما قالوا في الفعل : سخن او ، صرم او - في البابلية .

وقد تكرر ذلك فيما يظهر الى حد انه صار عادة نطقية فلصق الضمير بالاسم على هذا النحو وامثاله ، ثم عم فشمل جميع الاسماء مبتدأ وخبرا بدون تمييز . وقد رأينا كيف جرى ما هو اكبر من ذلك على شين النفي الذي لصق بالافعال المتعدية اولا ثم شمل جميع الافعال ثم جميع حالات النفي .

وواضح ان ظاهرة **تحريك اواخر الالفاظ** قد نشأت لدى الفريق الذي كان الضمير عنده هو الهمزة . وهنا تجابهنا الظاهرة اللغوية الاخرى التي عرضت لنا اكثر من مرة في مراحل هذا الحديث ونعني بها ظاهرة **اختلاف القوم في نطق الحركات** . فقد كان من اختلافهم في نطق الهمزة ان كانت عند بعضهم **(آ)** وعند بعضهم **(اي)** وعند بعضهم **(او** — o) وعند بعضهم **(او** — û)

وقد رأينا الضمة في المفردات البابلية التي اوردناها آنفا . اما الفتحة فنجدها في السريانية الشرقية — العراقية بوجه عام — التي تنطق فيها الاسماء البابلية الآنفة الذكر هكذا : **ايدا** (ida) **ملوحا** (maloha) **تربيثا** (tarbitha) **حروتا** (hirouta) . واما في السريانية الغربية — الشآمية بوجه عام — فتنطق حركة آخر الاسم بين الفتحة والضمة ، اي مزتونة بالتعبير السرياني ، هكذا : **ايدو** (ido) ، **ملوحو** (maloho) ، **تربيثو** (tarbitho) **حروتو** (hirouto) . غير ان الافعال السريانية قد تخلص بعضها من هذه الحركة وبقيت ظاهرة على بعضها مثل : **شرمو** (sharmo) : شرم او صرم ، **فرو** (fro) : فرا (قطع) .

ومن عجب اننا نجد الضمة علامة اعراب في الاسماء الاغريقية واللاتينية لكن متبوعة بالسين ، ففي اللاتينية تنطق ضمة مستقيمة كالاكدية ، مثل : calamus(قلم) Antonius (انطنيو) . اما في الاغريقية فتنطق الضمة مزتونة كما في السريانية : kalamos و iogos (كلمة) . وهي تنطق في الايطالية كالسريانية تماما اي بدون السين مثل : gatto (قط ، هر) ، و Antonio

ويجوز ان تكون هذه الزنقة الايطالية منحدرة من لهجة لاتينية قدمى ، كما يجوز ان تكون ترخيما من اللاتينية المعروفة بحذف السين ، كالذي حدث للسين في الفرنسية حيث اهملوا نطقه ترخيما بالرغم من انهم لا يزالون يكتبونه في مثل : suis, les, des

ولا ندري هل بنا حاجة الى القول الآن ان الهمزة نفسها في الامثلة السابقة كلها قد ذابت واختفت ولم يبق الا حركتها اثرا يدل عليها . فان الهمزة كما هو معلوم اكثر الحروف تعرضا للتخفيف او الذوبان . واذا كان بعض اللهجات العربية ومنها الفصحى تعترف بهمزة صلبة لا تمحى في اول الكلمة سماها النحاة همزة القطع فان بعض العرب كانوا يصلون — اي يحذفون — حتى همزات القطع ، وما زال المغاربة يحذفونها عند قراءة القرآن في مثل (له ما في السماوات وما في الارض) يقرؤونها **(فلرض)** بكسر الفاء وفتح اللام كأنها كلمة واحدة من وزن دمشق ، و(والآخرة) يقرؤونها **(ولاخرة)** من وزن عباقرة .

والذي يظهر من المفردات التي استعرضناها من اللغات البابلية والارمية والاغريقية واللاتينية ان كل فئة من ابناء المعربة كانت تنطق باحدى هاته الحركات المستقيمة او الممالة ، لكن تلك الحركات التقت وتخالطت وتفاعلت في المعربة — ذلك المسبك اللغوي الكبير — فاخضعها ذلك للقاعدة اللغوية الاخرى التي نوهنا بها اكثر من مرة ايضا وهي قاعدة **التخصص**. فالظاهر انه نشأ جيل من العرب في زمان ما، في مكان ما ، ينطق ابناؤه بمختلف الحركات في وقت واحد بدون تمييز . ومع مرور الزمن اخذت تلك الحركات المختلفة تبحث لنفسها عن عمل تختص

به حتى استقرت كل واحدة منها فاصبحت تدل على مجموعة من حالات الاعراب الكثيرة .

وكانت اقواها الضمة فيما يظهر ، اي ان الجماعات التي كانت تنطق بالضمة كانت اكثر عديدا او اعز جانبا من الجماعات الاخرى ، فالتصقت ضمتهم بالاسم في جميع الحالات الاعتيادية المهمة من الكلام سواء في الجمل الاسمية والفعلية : الشمس طالعة ، يهرب الغزال .. اي في الجمل التي تتكون من كلمتين (مسند اليه ومسند) . حتى المفعول به ما زال يرفع اذا تالفت الجملة منه ومن الفعل (في حالة الفعل المبني للمجهول) . اما اذا اجتمع الاسم الاصلي (الفاعل) مع اسم آخر في الجملة الفعلية فان الفتحة هي التي تتولى الاسم الطارىء ، من المفعولات ، والحال ، والظرف ..

وبتعبير آخر ان الرفع اختص بالمسند اليه في الجملة فاعلا كان او مفعولا به ! فاذا ظهر معه في الجملة الفعلية اسم آخر او اكثر انبرت له ظاهرة لغوية ثالثة هي قاعدة **(تجنب اللبس)** لتعمل عملها فيه واذا بالفتحة تتخصص بجميع الاسماء عدا المسند اليه وخبره ، اي جميع حالات المفعولية وما اليها . ومن التعميم والتجوز المبالغ فيه ان نسمي ذلك تخصصا فان حالات النصب في العربية من الكثرة والتنوع بحيث يصعب وصفها او تحديد معناها بتعبير واحد . وانما تبدو اقرب الى التخصص حالة الجر التي انحصرت في الاضافة وبضعة حروف .

ونعود لنستدرك فنقول انه ليس حتما ان تكون الحركات الثلاث قد تخصصت في وقت واحد ، فمن المحتمل ان بعضها قد تخصص قبل بعض . كما ان وجود حركة واحدة في البابلية والارمية لا يدل على ان ظاهرة الاعراب بالحركات الثلاث لم تكن قد نضجت وتبلورت في المعربة عند هجرة الاكديين — البابليين القدماء — والارميين ، ولكنها ربما لم تكن قد عمت جميع الاعربين ، او كانت قد عمت ثم اخذت تزول عند بعض العرب ولا سيما من جاور الاعاجم منهم وخالطهم .

والواقع ان المأثورات الوثائقية تدل على العكس من ذلك ان ظاهرة الاعراب كانت موجودة على اتمها في المعربة منذ عهد سحيق ، لان الاكدية نفسها وكذلك سائر الساميات القديمة — كانت في عهودها الاولى خاضعة للاعراب بالحركات الثلاث . وما الحركة الواحدة في البابلية الحديثة والارمية الا مرحلة تطورية متأخرة تمثل وشك الاعراب على الاندثار ، فهي تمثل نهاية عهد الاعراب لا بدايته .

ومما يدل على قدم الاعراب في العربية وجوده في بعض الآريات على وجه يقارب الاعراب العربي ، ولاسيما اللغتين الاوربيتين القديمتين : الاغريقية واللاتينية . وما يزال الاعراب موجودا في بعض اللغات الاوربية المعاصرة كالروسية والالمانية والايطالية . والمفروض على كل حال ان الآريين عموما قد غادروا المعربة قبل الساميين عموما ، بزمن طويل.

تدريس النحو

وانه لمن العبث الاستمرار في تعليم قواعد اللغة العربية على الطريقة التفصيلية المأثورة ، التي جعلت علم النحو اصعب العلوم على التلميذ وابغضها الى نفسه الهشة وذهنه الجديد .

فالصواب عندنا ان الاسم — المعرب — يكون مرفوعا في جميع الحالات الاساسية اي حين يكون عماد الجملة او خبرا له ، الا اذا نصبته (ان) واخواتها. والذي نعنيه هو ان (ان) تنصب الاسم ولا ترفع الخبر ، لان الخبر مرفوع اصلا ! اما (كان) واخواتها فلا ترفع ولا تنصب ، وانما هي كبقية الافعال لها فاعل . وكونها افعالا ناقصة لا يغير من الامر شيئا . فاذا قلنا : (اصبح الجو باردا) كان (الجو) فاعلا لفعل (اصبح) ، واما (باردا) فقد نصب لتمييزه عن الفاعل فحسب ، مثل نصب المفعول به وغيره في : ضرب زيد عمرا ، وصيرت الحرارة الماء بخارا ، واقبل السكران مترنحا يمينا طورا وشمالا احيانا ففر الصبيان خوفا، واعطى بكر خالدا صدقة صاعا تمرا. واعطي (بصيغة المجهول) خالد صدقة صاعا تمرا .

فبعد ان يقال للتلميذ ان الاسم المعرب يكون مرفوعا اذا كان عماد الجملة او خبرا له (بصرف النظر عن كونه فاعلا او مفعولا به) ، يقال له ان الاسم يكون مكسورا اذا وقع مضافا اليه او مجرورا بأحد الحروف المعروفة . وفيما عدا حالتي الرفع والجر هاتين يكون الاسم منصوبا في ذلك الخليط الكبير من الحالات الاعرابية الاخرى .. ومنها حتى حالات الجر التي حذف منها حرف الجر نفسه ، اي حين يكون منصوبا بنزع الخافض على تعبير النحاة .

وبعد ان يتعلم التلميذ ذلك ويتمكن منه ، لا بأس أن يعلموه ما شاءوا من التفصيلات اذا هو اراد التخصص في اللغة وآدابها .

ماذا ستكون النتيجة ؟ النتيجة ستكون ان يخسر التلميذ العلم بالقواعد النحوية العقيمة ويربح المقدرة على الكلام الصحيح بغير عناء . فاذا قيل له لماذا نصبت (سيفا) فى قوله : اذا كان بعض الناس سيفا لدولة ؟ اجاب لانه لا مرفوع ولا مجرور ! ولا عليه ان يجهل انه مفعول به او تمييز او حال او ما يسمونه خبر كان . فان المقصود هو أن يتعلم كيف يصوغ الكلام الصحيح . وذلك فيما نظن خير من أن ندهمه — التلميذ المسكين الآنف الذكر — بتلك القواعد النحوية العسيرة فيخسر تعلم القواعد النحوية والقدرة على الكلام الصحيح معا ، كما هو شان اربعة اخماس حملة الدكتوراه والليسانس من خريجي الجامعات العربية .. على اقل تقدير .

الضمائر المتصلة

يظهر ان الاعربين استعملوا الضمائر منفصلة اول الامر فقالوا : ذهب انتما ، ذهب انتم ، ذهبهن.. ثم التصقت الضمائر بالافعال فقيل فى حالة الفاعلية : ذهبتما ، ذهبتم ، ذهبن . والواقع ان بعض الضمائر المتصلة ليست الا اختزالا للضمائر المنفصلة كما فى هذه النماذج ، او اعادة لها بنصها كضمير (هو) فى قولهم فى حالة المفعولية : رايتهو (رايته) ، وكضمير (هما) فى : رأيتهما ، و(هن) فى : رأيتهن .

ولعل بعض الاقدمين الحقوا ضمير (هم) مثلا بالفعل فقالوا (نام هم) بدلا من (ناموا) ، لكن هاء (هم) خففت مع الزمن فنشأ النطق المصري الذي نوهنا به : (عرفم ، نامم ، راحم) اي النطق اليعربي المندرس فيما يبدو ، ويمثله النطق المصري الراهن . وبعد تخفيف آخر زال الميم ايضا وبقيت الضمة وحدها فنشأ نطق الفصحى : عرفو ، نامو ، راحو .

ومهما يكن فان قاعدة الحاق الضمير بالافعال مختزلا او معادا قد اختلت ، ففي قولهم (رايتها) كان ينبغي أن يعيدوا ضمير (هي) فيقولوا (رايت هي) ، او يختزلوه فيقولوا (رايتي) ، لكننا لا نجد احدى هاتين الصورتين فى لغتنا فى الماضي او المضارع ، وانما نجد الثانية منهما فى صيغة الامر (اذهبي) ، لكن هذه مخففة من (تذهبين) لا من (ذهبهي) .

كذلك ضمير (هو) الذي استعملوه متصلا فى حالة المفعولية مثل (رأيتهو) لا نجده متصلا فى حالة الفاعلية فلم يقولوا (ذهبهو) ، بل (ذهب) . واغلب الظن ان هاء (هو) قد ذابت تخفيفا فصار الفعل (ذهبو) ، ولما كانت هذه الصيغة تشبه قولهم (ذهبوا) بمعنى الجمع فقد انبرت قاعدة تجنب اللبس وافسحت المجال لضمير (آ) الذي كان ينطق به بعض الاعربين فيما يظهر فراجت صيغة (ذهب) بفتح الباء للفرد و(ذهبا) بفتحها ومدها للاثنين .

وهذا كله عن صيغة الماضي ، فاما المضارع فقد استأثر فيه ضمير (او) بجميع صيغ المفرد هذه : اذهب انا (= اذهب + او) ، تذهب اس ، يذهب ، تذهب هي .. وصيغة الجمع : نذهب .

وبدلا من التحدث عن كل ضمير على حدة نؤثر ان نعرض الضمائر المنفصلة كلها لنظر القارىء الكريم مع ما يقابلها من الضمائر المتصلة فى صيغ الماضي والمضارع وامر المخاطبين ، تاركين له التمعن فيها وملاحظة ما يجري منها على قاعدة وما يجري منها على مصادفات الاعتباط التطوري :

انا : ذهبت ، اذهب
* نحن : ذهبنا ، نذهب
انت : ذهبت ، تذهب ، اذهب
انت : ذهبت ، تذهبين ، اذهبي
انتما : ذهبتما ، تذهبان ، اذهبا
انتم : ذهبتم ، تذهبون ، اذهبوا
انتن : ذهبتن ، تذهبن ، اذهبن
هو : ذهب ، يذهب
هي : ذهبت ، تذهب
هما : ذهبا ، يذهبان
هما : ذهبتا ، تذهبان
هم : ذهبوا ، يذهبون
هن : ذهبن ، يذهبن .

التثنية والجمع

القرائن اللغوية تنبىء ان الاعربين عمدوا الى تكرار اللفظة للدلالة على الجمع ، وقد سبق ان تلنا ان ضمير (نحن) مركب اثلا من تكرار (انا) ، وان بعض اللغات ما زالت تجمع الاسماء بتكرارها كما فى الاندونيسية (سودارا سودارا = صديق صديق ، اي: اصدقاء) .

وقد وجدنا كلمة عجيبة تؤيد هذه الفكرة وتخرجها من طور النظرية الى ما يقرب من اليقين ، وهي **(آنان)** الفارسية وتعني : اولئك ، هم . ومفردها **(آن)** : هو لغير العاقل ، ذلك للعاقل وغيره ، كما قلنا قبل . وواضح أن (آنان) ما هي الا تكرار (آن)

وبعبارة تحليلية أوضح ان (آنان) =آن+آن)، وان هذا التكرار لم يكن المقصود به سوى الجمع . اي ان أصل معناه كان (هو هو) بمعنى هم ، أو (ذلك ذلك) بمعنى اولئك .

لكن بما ان (آن) وحدها تعني الفرد و(آنان) تعني الجمع فقد وقع في وهم الاجيال اللاحقة التي ورثت صيغة (آنان) ان (آن) الثانية تعني اداة الجمع. لذلك لما تطور الضمير (آن) فصار ينطق (اين) بمعنى هذا ، لم يجمعوه بطريقة التكرار على (اين اين) ، بل اضافوا اليه (آن) الثانية بصفتها اداة جمع فقالوا (اينان) : هؤلاء (= اين + آن) .

وبعد ان رسخت مكانة (آن) كاداة للجمع شملت جميع الاسماء اول الامر عند الناطقين بها فيما نظن . ثم ظهر قوم نطقوها **(هان)** و **(ها)** .

وبعد الاختلاط والتعايش تخصصت **(آن)** في الفارسية بجمع ذوات الروح من حيوان وانسان وكواكب ، وقد كانت الكواكب تمثل ارواحا وآلهة عند القدماء كما هو معلوم . وتخصصت **(ها)** بجمع الجمادات اولا ، ثم اخذت تنافس (آن) اخيرا في جمع العاقل ايضا ، في الفارسية الحديثة . وأما صيغة **(هان)** فقد صارت في الفارسية تعني التحذير اي التنبيه ، وسوف نطالعنا ثانية مع أثلها (آن) في مجال حيوي آخر . فلنتركها وشأنها الان .

ووفاقا لنظريتنا في أمومة العربية نعتقد أن استخدام (آن) اداة للجمع نشأ في المعربة اولا . فأول دليل على هذا هو أن (آن) ما زالت في العربية اداة (التثنية) وهي ادنى الجمع . بل انها ما زالت باقية في جمع الكثير من الاسماء العربية ، كالاخ والصبي والغلام والفارس والنديم والقضيب والحمل والذئب.. فهذه الاسماء كالكثير سواها ما زالت تجمع على : اخوان وصبيان وغلمان وفرسان وندمان وقضبان وحملان وذؤبان . والنسوان جمع ضاعت فردته في اطواء الزمان .

ويكثر هذا الجمع على الاخص فيما يدل على الانسان من الصفات التي وردت على وزن (افعل) كالابيض والاسود والاطرش ، فهي تجمع على بيضان وسودان وطرشان .

ولئن كانت لاداة الجمع هذه صيغة واحدة في الفارسية هي (آن) فما زالت لدينا منها في العربية خمس صور : **آن** ، **اين** (بفتح الهمزة) ، **اون** (بضمها) **اين** (بكسرها) ، **اون** (بفتحها) .. نجدها في قولهم : صيادان ، صيادين (اثنين) ، صيادون ، صيادين (جمع) ، يرضون . وقد تخصصت الصيغتان الاوليان بالتثنية كما هو غني عن البيان ؛ والثالثة والرابعة بالجمع ، والاخيرة بجمع المضارع المقصور .

والظاهر ان جميع الاسماء كانت تجمع وتثنى في العربية بالالف والنون أول الامر ، ثم اراد الاعربي ان يخص التثنية بتعبير خاص بها يميزها عن حالتي الافراد والجمع ، وربما كان ذلك لاسباب اجتماعية بقصد الدلالة على (الزوجين) من الذكر والانثى عندما اصبحت للحياة العائلية اهمية خاصة عنده . وقد ساعده على هذا التمييز بين التثنية والجمع ظهور صيغ جديدة ، فاختص الصيغة الاصلية **(آن)** بالتثنية وترك الصيغة الطارئة **(اون) للجمع** .

ولئن كانت (آن) اداة تثنية للعاقل وغيره فالذي نعتقده ان **(اون)** ايضا كانت اداة لجمع العاقل وغيره، وما زالت شواهد من جمع الجمادات على طريقة جمع المذكر السالم تطالعنا في العربية في مثل جمع البرة — بضم ففتح — على برون وبرين — والسنة على سنون وسنين ، والارض على ارضون وارضين، والمئة على مئون ومئين .

ثم انه لما كثرت صيغ جمع التكسير عند مختلف القبائل والبطون وراجت اخذت (اون) تتخصص بجمع العاقل .

ويلاحظ ان صيغ (افعل) التي تجمع بالالف والنون (كالسودان والبيضان والعرجان) تدل على الانسان ، فأما اذا اريد بها غيره فهي تجمع على سود وبيض وعرج . وهذا احد مظاهر تخصص ضمير (آن) بالانسان ، ونحسبه يفسر لنا كيف تخصص في الفارسية بذي الروح اول الامر ، ثم تخصص بالانسان وحده في اللغة الحديثة .

ولم تظهر في التثنية صيغ تكسير ، أو ظهرت واندحرت ، فبقيت التثنية كلها سالمة ، للذكر والانثى، والعاقل وغيره .

التأنيث وجمعه

اداة التأنيث في الاكدية هي التاء يلحقونها بالاسم المذكر . فمثلا (بعلو) تصبح (بعلتو) . وهذا عين ما نجده في العربية : (المرؤ) مؤنثه **(المراتو)** ، و **(الهرو)** مؤنثه **(الهرتو)** ، وهكذا . وأما قولنا رأيت المرا والمراة،

بالفتحة على كليهما ؛ نشبيه بنطق السريان الشرقيين : بعلا وبعلتا .

وقد ظهرت هذه التاء فيما يبدو من اضافة ضمير (آت) الى الاسماء ، وهو الذي نجده ضميرا متصلا بالفعل الماضي (فعلت هي) للدلالة على معنى التأنيث ايضا ؛ (فعلت = فعل + **ات**) .

وكان بعض العرب يخففون تاء (المراة والهرة) فينطقونها اشبه بالهاء او الفتحة القصيرة ، فصارت هي القاعدة عند الوقف عموما . لكن بعضهم ينطق التاء حتى عند الوقف ، وقد سمعت محاضرة ذات مرة من اذاعة بيروت كان المحاضر يقول فى اثنائها (الجامعت ، الكليت ، الحريت) . وهذي هي طريقة الفرس فى نطق معظم الالفاظ المؤنثة المقتبسة من العربية مثل : دولت ، امانت ، مشروطيت . وهي كذلك طريقة الفرنسيين فى مثل : ce (هذا) ومؤنثها : cette (هذه) ؛ و fils (ابن) ومؤنثها : fillette (بنت) . اما الايطاليون فيطلقونها فتحة فى آخر الاسماء المؤنثة مثل gatto (هر) ومؤنثها gatta (هرة) ، ومثل bravo (بارع، او مرحى للذكر)،و brava (بارعة، أو مرحى للانثى) .

وقد تحير النحاة العرب فى امر علامة التانيث هذه هل هي التاء ام الهاء . واخذ بعضهم ومنهم الفيروزابادي فى قاموسه بنظرية الهاء . لكن الذي يبدو لنا مما تقدم انها التاء ،؛ اي ضمير (ات) ذابت همزته وبقيت الفتحة على ما قبله دليلا عليها .

واما جمع المؤنث السالم بالالف والتاء فالاغلب انه ناشيء من مد فتحة ما قبل التاء ؛ مثل : ذنبت ؛ شجرت ، حركت .. كان بعضهم ينطقها بالمد : ذنبات، شجرات ، حركات .

وعادة اطالة الحركات عند بعض العرب ما زلنا نجدها فى المغرب ، فان حميد ، مدير ، بالتي .. ينطقها اكثرهم : حاميد ، موديـر ، باللاتي .. وما اكثر ما تسمع من بعضهم : والله العاظيم .

ويبدو من هذا الباب نطق المصريين بعض اسماء الاناث مثل : زينات ونعمات ، بدلا من زينت ونعمت .. وقولهم : دمك شربات ، ونعتقد ان اثلها (شربت) كما ينطقها العراقيون ، وتعني الاشربة الحلوة ، ونصيحها (شربة) .

فلما التقى النطقان ــ نطق المؤنث بالمد وبالقصر ــ تخصصت الفتحة القصيرة بالمفرد والطويلة بالجمع .

التنوين

تنوين الاسماء يعد عند النحاة امارة تمكنها من الاسمية ، واول مشكلة يثيرها لهم تفجير الضمائر فى هذا الصدد هي ان الافعال ايضا تنون كالاسماء، وان تحليل تولهم بصيغة امر المفرد (اذهبن) يكشف انه (= اذهب + **ان**) .. كما ان تولهم رجلن (رجلا) (=رجل+ **ان**) ! ومثل ذلك يقال فى : « لنسفعن بالناصية » . ومن تشديد النون نشأت صيغ اخرى مثل : لاعذبنه او ليأتيني بنبأ عظيم .

ويبدو ان التنوين كان اكثر شيوعا فى الافعال مما وصل الينا من مأثورات العرب . وما زال الجنوبيون من اهل العراق يكثرون من تنوين الفعل فى مثل : اصبن ، واصومن (= اصب ، واصوم) .. ومنها الاغنية الشعبية العراقية المشهورة : ما اكدر اكولن آه خوف الفضيحة (= ما اقدر اقولن آه..) وواضح ان هذا مجرد لهجة ، وليس المقصود بها التوكيد كما هي الحال فى الامثلة السابقة .

ولعل من دلائل شيوع التنوين فى الافعال قديما تنوين الفعل المضارع فى السكسونية : bringan (يجلب) ، و beatan (يضرب) ، و sceawian (يرى) ، وتنطق (شاويان) ولعلها من العربية : شاف يشوف .

والذي نظنه ان بعض العرب كانوا يلحقون بالالفاظ ضمير (آن) بالاضافة الى اولئك الذين كانوا يلحقون بها ضمير (آ) . فان صح هذا فهو سبب نشوء التنوين ، والا فلا مناص لنا من ان نفترض انهم الحقوا الهمزة اولا ثم الحقوا بها النون ثانيا . لكننا نرجح الاحتمال الاول .

وعندما التقى التنوين بحركات الاعراب تخصص التنوين بالتنكير وبقيت الحركات غير المنونة لحالات التعريف بوجه عام . ولعل من هذا القبيل ضمير (**آن** ــ an) الذي تخصص فى الانكليزية بالتنكير مع الاسماء المبدوأة بالهمزة .

فعلى هذا يكون تحليل الاسم المنون هكذا :

واتفا = واقف + آن .

واقف (بالضم) **= واقف + اون .**

واقف (بالكسر) = واقف + ايـــن .

اما الافعال فالتنوين فيها يعني التوكيد بوجـه عام . الا انه بالنظر لكثرة الضمائر المتصلة لم يمكـن تخصيص صيغة منونة لكل منهـا لان الحركـات لا تزيد على الثلاث ؛ لهذا صـار قولك (لتذهبن) بفتـح الباء وتشديد النون — يعني المخاطب والغائبـة ؛ وبضم الباء يعني المخاطبين والمخاطبات ؛ وبكسرها يعني المخاطبة . وهذا شبيه بما رأيناه من (تخصص) كل واحدة من حركات الاعراب الثلاث بعدد من حالات الاعراب في الاسماء . اما صيغة (لتذهبان) فيكــون توكيدها بتشديد النون ؛ واما (اليذهبن) فهي توكيدية بالتخفيف او التشديد .

ويلاحظ انالنون يحذف منالاسم المنون عند الوقوف فمن اجل ذلك كتبوا الفتحة المنونةالفا، اي كتبوها كما ينطقونها في حالة الوقوف عليها . ولم يكتبوا الضمـة المنونة واوا ولا الكسرة المنونة ياءا لان الوقوف عليها يكون بالسكون اي بحذف النون والحركة التي قبلـه. ومعنى هذا انهم لم يرسموا التنوين في الكتابـة الى ان ظهرت علامات شكل الحركات في العربية فصاروا يرسمـون التنـويـن حركـة مضـاعفـة اي فتحتين او ضمتين او كسرتين .

ألتعريف

لم يقتصر استعمال الضميرين (آ ؛ وآن) علـى الحالات الآنفة الذكر ، وانما استعملا للتعريف ايضا !

اما (آن) فنطالعنا بنصها اداة تلحق الاسـم لتعريفه في لغات اليمن المندرسة . و(آن) هذه قـد صادفناها اكثر من مرة كاسم اشـارة واداة جمع في الفارسية ، واداة تثنية وجمع وتنكيـر في العربية ، واداة تنكيـر في الانكليزيـة ..

والظاهر أن معنى الاشارة هو الذي اعطاهـا معنى التعريف ، يؤيد ذلك لنا ان (آن) التي هـي اداة تعريف في اليمنيات القدمى ما زالت تستعمل في الفارسية كاسم اشارة . وهذا دليل واهن في الواقـع لان الضمائر استعملت بمعان شتى ومنها ضمير (آن) نفسه . غير اننا نلاحظ ان اللاتينيـة ليست فيها اداة خاصة للتعريف لان الاسم يعتبر فيها معرفة بذاتـه كالفارسية وبعض الساميات القديمة ، لكن اللاتين استعملوا في حالات التوكيد ادوات الاشارة مـع الاسماء بمعنى التعريف .

يقول الايراني اليوم (آن قلم) بمعنى : ذلـك القلم . فكذلك جدنا ساكن الغاب اذا قال (آن شجرم) — اي هذه الشجرة او تلك الشجرة — يكون قـد عرفها لمخاطبه من بين الاشجار الاخرى . ومع الزمن اصبح قوله (آن شجرة) يدل على الشجرة المقصودة ولو كانت غائبة عن العيان . ودابت الاجيال على ذلك حتـى صارت (آن) اداة للتعريف .

وقد ابدل بعض الاعربين الهمزة هاءا فنطقوها (هان) ، ويظهر الضمير علـى هـذه الصـورة اداة للتعريف في العبرية القديمة ؛ ربما موروثا عن أمهـا الكنعانيـة .

وقد نطقها آخرون من العرب مرخمة (ها) كما يتضح من اكاتيب بعـض اللغات العربية البائـدة كاللحيانية والثموديـة والصفوية (نسبة الى روابـي الصفا التي اكتشفت فيها بعض الاكاتيب منقوشـة على الحجر ، بسورية) ، فقد ورد في هذه اللغات مثلا: هـ و ع ل (الوعل) ، هـ ج م ل (الجمل) ، هـ د ر (الدار) هـ ب ي ت (البيت) .

ويحتمل ايضا ان (ها) لم تكن ترخيما مـن (هان) بل ابدالا من الهمزة (آ) .

ولا نؤثر الانسياق مع الاحتمالات الآن لكثرتهـا وتشعبها ؛ فان جذور الضمائر وفروعها من التشابك والتعقيد بحيث يتعذر احيانا ان نستل احدها من بيـن اخوانه دون مساس بسـواه .

وايـا كان اثل (ها) فقـد كانت اداة تعريف في تلك اللغات البائدة ، وقد رسموها هاءا مجردة :(هـ)؛ ويغلب على ظننا انهم كانوا ينطقونهـا بالمد (ها) في هذه الالفاظ وامثالها — او في بعض تلك اللغات علـى الاقل — لان القوم لم يكونوا يستعملون حروف المـد في كتاباتهم ، فقد كانوا مثلا يكتبون (در) ليقرؤوها (دار) كالذي رأينا ، و(منت) ليقرؤوها (مناة) ، و(يغث) ليقرؤوها (يغوث) ، و(عم) ليقرؤوها (عام) اي سنة .

فهذا يشجعنا على القول ان مـن المحتمل ان (هـ ج م ل) كانوا ينطقونها (ها جمل) — مثلما نكتب نحن : هذه ، ولكن ، وطه .. لنقراهـا : ها ذهي ؛ ولاكن ؛ وطاها . على أن هذا مجرد احتمال . وانمـا يمكننا التأكد اذا اكتشف شعر موزون من تلك اللغات يساعدنا وزنه على معرفة حركة الهاء أطويلة هي ام قصيـرة .

والظاهر ان الصيغتين (ها ، وهان) قد اندرستا كأداتين للتعريف لكن بقي من مخلفاتهما **(هان)** في الفارسية للتحذير او التنبيه ، و **(ها)** في العربية للتنبيه ، و**(هاه)** للوعيد ، وياله من تنبيه وتحذير .

قلنا ان اللاتينية كانت تستعمل الاشارة احيانا للتعريف ، واليك منها هذه الصيغ الهائية الثلاث : hoc, hic, haec (والكاف هنا **مبدل من التاء** كما لا حاجة بنا الى ان نقول) .

لقد افترضنا ان جدنا نزيل الغاب — طيب الله ثراه — قال (آن شجرة) بمعنى (هذه الشجرة) ثم بمعنى (الشجرة) . فهنا تنبص لغة (أمن امبر امصيام في امسفر) المشهورة ، التي سموها طمطمانية حمير ، لتقص علينا حكاية اخرى مفادها ان ميم (ام) التعريف هنا مبدل من نون (آن) التعريف القدمى .

ولعل هذا الابدال قد جرى عن طريق هذه الحروف الثلاثة (ب،م،ف) **واهل القراءات اعلم الناس** بان النون الساكن ينطق ميما قبل الحرفين الاولين في مثل : **من بعد** ما تبين لهم الهدى ، و: **من ما** رزقناهم (حتى انها لتكتب : مما) . وينطق النون قريبا من الميم قبل الحرف الثالث (الفاء) في مثل : **ينفقون** ..

فمن اجل هذا يكتب الاوربيون النون ميما كما ينطقونه في امثال هذه الاحوال : ambition و symphony و **immortal**, و **sympathy**,

وأيا كانت الطريقة التي يكتب بها الاوربيون فان النون والميم من حروف التناوب او التبادل ، اي ان مخرجيهما متقاربان فلذلك يكثر ابدال احدهما بالآخر

وبعد كل هذا لا تثريب علينا اذا نحن استنتجنا ان هذه اللغة الميمية الحميرية قد انحدرت من لغة نونية سابقة كانت تقول : انشجرة ، انبيل ، انمكان ، انبيت ، أمن انبر انصيام في انسفر !

وقد بقي من تلك اللغة النونية أن بدو الهلال الخصيب ، وربما غيرهم ايضا ، ما زالوا يقولون (بيت انعامر) على حين ان الحضر ينطقونها : بيت العامر ، و(رجال انزين) والحضر ينطقونها : رجال الزين ، و(ليل انطويل) والحضر ينطقونها : ليل الطويل . وما زلت اتذكر بدويا سمعته منذ ثلاثين عاما يذكر اسم الارجنتين : البلد الذي كان اخوه قد هاجر اليه في صباه ، فينطقه (عرج انتين) على اساس ان اثل الاسم (عرق التين) !

ولا ندري هل من **(أن)** ام من **(أم)** نبطت **(أل)** التعريف عندنا . لكننا نرجح انها من (أن) لان نطق الحروف الشمسية بعد (ال) اشبه بنطقها بعد (أن) منه بعد (أم) ..

ومهما يكن فان **(ال)** هي التي راجت ودامت اداة للتعريف حتى هذه اللحظة ، لا في المعربة وسائر الاقطار العربية فقط لكن في اوربا وامريكا ايضا ، نعني في اللغات المنحدرة من اللاتينية ، الايطالية والفرنسية والاسبانية .. حيث يظهر اللام اداة للتعريف في عدة صور : los, les, lo, le, la, il .

اما في اللاتينية نفسها فقد ذكرنا من اسماء الاشارة التي استعملت للتعريف : haec و hic و hoc ، ونضيف اليها الآن هذه الصيغ اللامية الثلاث : illud, elle, illa (= ال + او + د ، **تا**) .. ونضيف اليها ايضا بهذه المناسبة هذه الصيغ الاخرى : istud, iste, ista وسيأتي الحديث عن عروبة هذه الصيغ الثلاث الاخيرة عند الكلام على (ظهور السين) .

ومعنى هذا ان لام التعريف قد استعمل في اللاتينية بمعنى الاشارة ايضا ، مما يؤيد ما قلناه آنفا من ان التعريف اصله الاشارة . وقد استعملوا اللام بمعنى الضمير كذلك مثل : elle (هو)، illi, illae (هم) .

والامر شبيه بهذا في بنات اللاتينية فبالاضافة الى استعمال اللام للتعريف في الامثلة السالفة نجده في الفرنسية مثلا ضميرا بصيغة il (هو) ، و elle (هي) .. كما نجده اداة (اشارة) بصيغة la (هناك) . وعدا هذا تستعمل ادوات التعريف تلك مع صيغ لامية اخرى كضمائر في بعض الحالات كما في قولهم montrez le moi ارني **اياه** .

وقياسا على ما تقدم بنا من الكلام عن الضمائرمن اوله يمكننا ان نستنبط من هذا الآن ان كل هذه الصيغ، وغيرها ، قد كانت موجودة في العربية بهذه المعاني وبمعان اخرى على الاغلب ، ثم اندثر ما اندثر وبقي ما بقي .

وما دمنا بصدد الحديث عن التعريف وادواته نقول ان الانكليزية قد اختارت لغرض التعريف احد اسماء الاشارة ايضا ، وهو : ذي (the)

ولما كان اثل التنوين هو (آن) واثل التعريف

كذلك هو (آن) فمن السهل علينا أن نتصور أن التعريف والتنكير كانا شيئا واحدا أول الامر ، ولاسيما ان (آن) التعريف اليمنية تلحق الاسماء **كالتنوين** عندنا بينما (آن — an) التنكير الانكليزية على العكس تسبق الاسم ، **كالتعريف** عندنا .

ولدينا الآن مثل حي على اختلاط التعريف بالتنكير ، وفى لغة واحدة ، هي الدارجة المغربية .. فهم يقولون : اشتريت واحد الفروج (= اشتريت ديكا) ، وتوصلت بواحد الرسالة (= تلقيت رسالة) ، والمغرب عقد واحد الاتفاقيات الاقتصادية المهمة مع الدول العربية (عقد المغرب اتفاقيات اقتصادية..)

ها هنا اقترن الجمع بالافراد والتأنيث بالتذكير علاوة على اقتران التعريف بالتنكير . ونتيجة الخلطة فى هذه التعابير وامثالها هي التنكير ، اي ان لام التعريف عاطل عن العمل .. زائد لغوي .

اما البدوي الذي ذكرنا انه يقول (بيت **انعامر** ، ورجال **انزين** ؛ وليل **انطويل)** فالذي يلوح انه يريد فى واقع الامر أن يقول : (**بيتن** عامر ، **ورجالن** زين ، **وليلن** طويل) اي انه يقصد التنوين ، وان الحضري يترجم كلامه الى (بيت العامر ، ورجال الزين ، وليل الطويل) . ولعل هذا يفسر لنا كيف انتقل النون من آخر الاسم الى اوله .

على أن البدوي نفسه يستعمل (ان) للتعريف ايضا وفى أول الاسم ، على لغة (عرج **انتين**) .

ظهور السين

ظهور السين فى الضمائر حدث خطير يمثل بداية مرحلة توسعية فى اللغة . ولا ندري بالدقة ما سبب ذلك الانهماك به حتى تعددت وظائفه وتنوعت كانما هو واحد من الضمائر البدائية الاصلية .

وكان اول ما لفت هذا السين نظرنا فى الاسماء اللاتينية مثل : calamus (قلم) و oceanus (بحر) . ثم عرفنا السين فى الاسماء الاغريقية التي وردت فيها هاتان الكلمتان بصيغة : kalamos و okeanos . وقد تطرق الى وهمنا اولا ، ان الضمة التي تسبق السين فى امثال هذه الالفاظ قد جاءت من الاكدية التي قلنا ان الفاظها تنتهي بالضمة بوجه عام . لكن اذا كانت الضمة مقتبسة من الاكدية فكيف ظهر معها السين نفسه ؟ سؤال طالما تحيرنا فى جوابه .

وعندما درسنا الضمائر بهذه الطريقة الترسيسية (*) المقارنة تبين لنا ان السين ايضا من العربية ، ولو ان تأثيره التطوري فى العربية ضعيف اذا هو قيس بتأثيره فى الآريات وتكوين خصائصها وقواعد نحوها .

ونرجح ان هذا السين ليس بالحرف الاثيل مثل (آ ، نا ، تا) ، ولا هو بالحرف الزائد كالحاء فى (نحن) ، **وانما هو مبدل من التاء**، اي ان (اوس — us) فى اللاتينية = او **(آ)** + س (ت ، **تا**) . وبعبارة اوضح أن (اوس — us) اثلها **(اوت) !**

والصاق الضمائر بالالفاظ — تصديرا أو تذييلا — امر لم يعد يحتاج فيما نظن الى برهان ، فهي ظاهرة قد عرفناها والفناها بعد الذي رأينا من امثلة كثيرة . وقد رأينا ضمير (ات) يلتحق بالاسم اداة للتأنيث ، و (آت) — بالمد — اداة لجمع المؤنث السالم .

ومثل ذلك فعلوا بضمير **(اوت)** الذي الحقوه ببعض الاسماء دلالة على المصدرية مثل : كهنوت وجبروت . ومن يدري لعل gelidus, calamus, genius و camelus فى اللاتينية انما هي من قول بعض العرب البائدة : جملوت وجنيوت (جني) وقلموت وجليدوت .. بل لعلهم نطقوها جملوس وجنيوس وقلموس وجليدوس ، ايضا .. ثم اندثروا واندثرت معهم لهجتهم لولا ظهورهافى اللاتينية والاغريقية .

وكما نجد ضمير (ات) فى العربية مفتوح الهمزة فى (اخوات) ومضمومها فى (ملكوت) نجده **مكسورها ايضا** فى (عفريت نفريت) ، زادوه فى (العفر والنفر) توكيدا للمعنى وتقوية لوقعه فى النفس .

ان تبادل التاء والسين ليس بدعا فى العربية ، فمنه : **التهو والسهو** ، **خات** بالعهد وخاس ، الترتل فى القراءة والترسل .. ومنه ايضا النسات والناس ، والاكيات والاكياس (من الكياسة) ، وقد قال شاعرهم:

لا بارك الله بني السعلاة
عمرو بن يربوع شرار **النات**
ليسوا باخيار ولا **اكيات !**

(*) نقصد بالترسيس البحث عن الارساس — جمع رس — اي الجذور الاولى من اللفظ . ولنا كلمة عن الموضوع بعنوان « علم الترسيس » فى مكان آخر من هذا العدد من « اللسان العربي » .

ونزعة ابدال التاء سينا تظهر في اللاتينية نفسها ، بل هي قاعدة مطردة في بعض الحالات ، مثل : nation التي تنطق تاؤها سينا بالفرنسية وشينا بالانكليزية ، و negotiation التي تنطق بشينين في الانكليزية ، وتكتب négociation لتنطق بسينين بالفرنسية .

يضاف الى ذلك ان ضمير (**أتا** — atta) الذي يعني بالاكدية (انت) ينطق بالايطالية (essa) بمعنى (هي) ، و esso بمعنى (هو) .

اس — us

على ما تقدم لا نستغرب اذا وجدنا هذا الابدال بين الحرفين قد وقع في العربية نفسها قبل انتقال الضمير الى اللاتينية . فالواقع اننا نجد بعض الاسماء العربية قد زيد فيها (اس ، واوس ، وايس) مثل : **القسطاس والعيطموس** (= التامة الخلق من الابل والنساء) ، **والدربيس** (= الداهية والشيخ والعجوز الفانية) .. تقابلها في اللاتينية اسماء أضيف اليها هذا الضمير بصوره الثلاث هذه ، مثل : habitas (مقدرة) ، و justus (عادل) ، واثلها القسطاس الآنفة الذكر) ، و carnis (لحم) .

ويطالعنا هذا الضمير في العربية بصيغه السينية الثلاث واضحا صريحا في كلمة واحدة هي **(الاس)** — بفتح الهمزة وضمها وكسرها ! — بمعنى الاصل والاساس . واستعماله بهذا المعنى لا يثير عجبنا لان اطلاق الضمير العام على الامور الجوهرية (الاساسية) مألوف في اللغات . وقد اطلق المتصوفة العرب ضمير **(هو)** على ذات الله ، وطالما رددوا في انكارهم : ياهو ، ياهو ..

وكذلك فعل الاكديون من قبل يوم اطلقوا ضمير (**أيا** — Ea) على (الماء العذب) أكبر آلهتهم، ونفس الكلمة (ea) تعني باللاتينية ضمير الغائبة وتنطق بالعربية **(هي)** ! وواضح ان اللفظة انما كانت قد اطلقت على الالاه البابلي الكبير عندما كانت تعني عندهم الضمير العام ، او ضمير الغائب الذكر كما في الانكليزية (**هي** — he) هو .

ومن صور **(الاس)** نجد في الايطالية ضميري essa (هي) و esso (هو) اللذين سبق ذكرهما . ومن صور (الاس) في اللاتينية : esse — بتشديد السين أيضا — بمعنى : يكون . ومنها في اللغات الاوربية الحديثة essence بمعنى قريب جدا من المعنى العربي : الذات ، الجوهر ، العنصر، الخلاصة ..

والحقيقة ان الكلمة تعني الضمير والكينونة والوجود بالعربية ايضا في صورة **(ايس)** الباقية لدينا في (ليس) ! وما نقول هذا من عند نفسنا وانما هو أمر معروف لدى اهل الصنعة ، وقديما قال لغوينا الكبير الفراهيدي — الخليل بن احمد — ان (ليس) أصلها (لا أيس) مستشهدا بقول العرب : « ائتني به من حيث أيس ولا **ايس** ، أي من حيث هو ولا هو ».. اي من حيث يوجد ولا يوجد ، او من حيث يكون ولا يكون . وقوله : « من حيث **هو ولا هو** » يدل على ان (ايس) ضمير فعلا . يؤيد ذلك ان كان بحاجة الى تأييد أنه ورد في الفارسية بصورة **(اش)** ضميرا متصلا بمعنى (هو) ايضا . وجمعه **(ايشان)** ينبىء انه كان في الاثل (ايش) كأثله العربي (ايس) .

وظائف السين

ويتوزع السين على كثير من الالفاظ الاوربية، يتصدرها حينا من قبيل (se) التي تسبق بعض الانفعال في الفرنسية — وغيرها — بمعنى نفس او ذات مثل : se lever : يرفع نفسه (= ينهض) ، و s'appeler : ينادي نفسه (= يتسمى ، يدعى) .. ويذيلها حينا كالسين الذي يلتحق بآخر الاسماء علامة للجمع في الفرنسية والانكليزية والاسبانية .

ويحتل السين مكانة خاصة غريبة في الجملة الانكليزية ، فهو يلتحق بالفاعل علامة جمع او بالفعل علامة افراد ! المهم ان هذا السين لابد منه في الجملة الفعلية المضارعة فان لم يظهر على الاسم ظهر على الفعل ليؤدي في كل من الحالتين وظيفة مناقضة للاخرى . تقول : The girls play : الصبايا يلعبن . فاذا اردت ان تقول الصبية تلعب ، حيث لا يمكن استعمال السين للجمع اضطررت الى سحبه من آخر الاسم الى آخر الفعل فتقول The girl plays كذلك الحال في قولك The girls have played : لعبت الصبايا ، و The girl has played : لعبت الصبية . وكذلك الحال في الجملة الاسمية أيضا حيث تقول The girls are playing : الصبايا لاعبات ، و The girl is playing : الصبية لاعبة .. كأنما السين هو ملح الارض

بالنسبة الى الجملة الانكليزية لا غنى عنه فى طعام سائغ ، اي عبارة سليمة .

وهذا الفعل المساعد (is) الذي يظهر فى الجملة الانكليزية الاسمية يذكرنا بنظيره (اس) فى الفارسية الشيرازية الذي يؤدي نفس المعنى فى الجملة الاسمية مثل : هوا سرداس (= الهواء صرد ؛ اي : الجو بارد) .

فعل الكينونة

هنا تطل علينا برأسها ظاهرة لغوية خطيرة تجيبنا على هذا السؤال الذي طالما الح على اذهان اللغويين فلم يجدوا له جوابا : **كيف حدث أن أصبحت الجملة الاسمية فى الآريات تعتمد على فعل الكينونة ، خلافا للساميات ؟**

فى الآريات لا يقولون : انا هنا ، بل يقولون : انا **اكون هنا** . ولا يقولون : الغائب معذور ، والرجال توامون ، وأنتم الناس أيها الشعراء .. وانما يقولون : الغائب (يكون) معذورا ، والرجال (يكونون) توامين ، وأنتم (تكونون) الناس أيها الشعراء .

وبتعبير آخر لا توجد فى الآريات جملة اسمية ، لانهم يدخلون فى الجملة الاسمية هذا الذي يسمونه **الفعل المساعد** بمعنى (كائن) أو (يكون) ليستقر التعبير ويستوي عندهم .

افليس عجيبا جدا أن تكون هذه الخصلة اللغوية التي تعد فى طليعة الخصائص التي يذكرها علماء اللغة بين الخصال التي تتميز بها اللغات الآرية عن العربية وبقية الساميات — اليس عجيبا جدا ان تكون منحدرة من ارومة عربية صميمة ؟

اذا تحرينا فعل الكينونة للغائب فى الآريات — الانكليزية والفرنسية والفارسية — وجدنا أنه من (الاس) الذي مر بنا حديثه . وهو يطالعنا بصورة (est) فى الفرنسية ، و**(است)** فى الفارسية الرسمية، و **(اس)** فى فارسية شيراز ، و (is) فى الانكليزية . وهذه الاخيرة علاقتها واضحة لفظا ومعنى باللاتينية (esse) — يكون — ومن ثم بالعربية **(اس)** .

واما صيغة **(است)** فى الفرنسية والفارسية فيدهشنا ان نجدها فى العربية أيضا **(الاست)** بمعنى الاساس والاصل ؛ اي انها متطورة من (الاس) بنفس معناه . وبعبارة اخرى ان **(است** — est فى الفارسية والفرنسية ليست تطويرا آريا لكلمة (الاس) وانما هي اقتباس مباشر من التطوير العربي ، وان كل ما فعلته الآريات هو انها تشبثت بهذه الكلمة بصيغتيها (الاس والاست) حتى جعلتها لازمة للجملة الاسمية مثل لزوم الشين الذي تشبثت به اللهجة المصرية والمغربية فى حالات النفي .

ومهما يكن فاننا نجد الصيغتين (اس و است) كلتيهما فى الفارسية بمعنى الكينونة للغائب ، فهم يقولون : (كتاب مفيد **است**) بالفصحى الرسمية ؛ و(كتاب مفيد **اس**) بلهجة شيراز . وكنا نظن لغة شيراز هذه عامية مخففة من الفصحى ، غير اننا صرنا نرجح أن لغة شيراز أثيلة مستقلة اي انها من (الاس) مثل (is) الانكليزية و (esse) اللاتينية ، كما ان (است) الفارسية ونظيرتها (est) الفرنسية اثلهما (الاست) .

وجدير بالذكر ان همزة (اس واست) تكون فى الفارسية همزة وصل فى مثل (كتاب مفيداس ، أو مفيداست) فانهم ينطقونها : مفيدس ، ومفيدست . وانما تكون همزة قطع فى مثل : آن عمارت مدرسه است ، اي : تلك العمارة مدرسة .

واذا اتخذنا هذا منطلقا لدراسة نشوء فعل الكينونة فى الآريات نجد فى هذه العبارة مثلا ان (اس ، واست) كانا ضميرين يلحقان بالالفاظ الفارسية بمعنى (هو) . ويؤكد لنا ذلك ان (اس) ما زال ضميرا متصلا بهذا المعنى فى الفارسية بصورة (اش) الذي قلنا ان اثله (ايس) العربي .

لكن فعل الكينونة ، او ضمير الكينونة — والافضل ان نسميه **اداة الكينونة** تسهيلا للتعبير ودفعا لكل التباس — نعم ان اداة الكينونة تختلف صيغها باختلاف حالات الافراد والجمع لكل من المتكلم والمخاطب والغائب ، اي ان كل واحد من الضمائر المنفصلة له اداة الكينونة الخاصة به : وهي فى الفارسية نفس الضمائر المتصلة بالافعال فى مختلف تلك الحالات .

الكينونة فى الفارسية

ولعل الفارسية أقدر اللغات الآرية على ارشادنا الى كيفية نشوء ادوات الكينونة . وايضاحا للفكرة ندرج فيما يلي الضمائر المنفصلة فى الفارسية يلي كلا منها نظيره المتصل (الذي هو فى الجملة الفعلية ضمير متصل وفى الجملة الاسمية اداة كينونة) :

	الضمير المنفصل	**المتصل (والكينونة)**
انـــا :	مـــن	**أم**
نحـن :	مـــا	**ايـم**
انـت :	تـو	**اي**
انتـم :	شمـــا	**ايد**
هـو :	او	**أست** (اس)
هـم :	ايشـان	**انـد**

ففي الجملة الفعلية نقـــول :

رفتم ، رفتـــه **أم**	ذهبت (انا)
رفتيم ، رفته **ايم**	ذهبنـــا
رفتي ، رفته **اي**	ذهبت (انت)
رفتيد ، رفته **ايـد**	ذهبتـم
رفت ، رفته **است**	ذهب
رفتنـد ، رفته **انـد**	ذهبـــوا

وفى الجملة الاسميـــة نقول :

متشكـــرم	شـاكـــر انـــا
متشكريـــم	شـاكرون نحن
متشكـــري	شـاكـــر انـت
متشكريـــد	شـاكـــرون انتـم
متشكراست	شـاكـــر هـــو
متشكـــرنـــد	شـاكـــرون هم

ويلاحظ أن الضمير المنفصل لا يستعمل عـــادة فى الجملة الفعلية عند وجود الضمير المتصل الـــذي يؤدي معناه ، فلا يقال : نحـــن كتبنا ، وهم ذهبـــوا الا فى حالة التأكيد . وانما نقول عادة : كتبنا ، وذهبوا، ورأيتما ..

وليس هذا قاصرا على العربية بل الامر كذلك فى الفارسية واللاتينية وغيرهما من اللغات التـــي توجد فيها ضمائر واضحة متميزة ، متصلة بالافعال .

ان بعض اللغات لا توجد فيها ضمائر متصلـــة اصلا كالانكليزية التي توجد كل الضمائر فيها منفصلة . اما العربية فقد اخذت بنظام وصل الضمائر بالافعال لتدل السامع على من يخبر عنه الفعل . لكن الضمائر لا تتصل بالاسماء العربية . واما فى الفارسية فتتصل الضمائـــر بالاســـم ايضـــا ، اي الصفـــــة ، — لتـــؤدي نـــفـــس الـــوظـيـــفـــــة ، اي لتدل السامع على من تخبر عنـــه الصفة ، كمـــا

رأينا فى متشكرم ؛ متشكـــريـــم .. (شـاكـــر **أنـــا** ، شـاكـــرون **نحـــن** ..)

وكانت النتيجة ان الضمائر المتصلة التصقـــت بـــالاســـم كمـــا التصقـــت بـــالفعـــل ، واصبحت ضرورية لتركيب الجملة الاسمية ولو لـــم يكن المعنى بحاجة الى وجودها ، عند ذكر الشخـــص المقصود بها . اي انها فقدت وظيفتها واكتسبت وظيفة أخرى رمزية اشبه بوظيفة شين النفي . وبتعبيـــــر أوضح قليلا أن اداة الكينونة بالنسبة الى المتكلم العربي ليست الا (زائدا لغويا) بقي مستعملا فى الآريات بحكم العادة والاستمرارية . فنحن نقول (الكتاب مفيد) دون أن نشعر ان هذا التعبير ينقصه شيء ليتم أو يستقر. لكن المتكلم الايراني لا يشعر باستواء التعبير وراحة النفس ما لم يضف ضمير الكينونة (است) ، فعندهـــا يقول (كتاب مفيد است) ويتنفس الصعداء .. شـــأن المصري الذي يشعر بعدم الارتياح اذا قال (مالـــــي دعوة) ، وانما يستقر الامر فى نصابه عندما يقـــــول (ماليش دعوة) . وهذا شأن سائر الناطقين بالشيـــن طبعا من مغاربة وغيرهم ، ان كان هناك غيرهم ايضا.

فاذا كان القارىء الكريم يتفق معنا فى القـــول بان ادوات الكينونة انما هي ضمائر فى الاثـــــــل — ونحسب الادلة السالفة كافيـــة لاقناعه بذلك — فلابد ان ذلك يستتبع اتفاقه معنـــا كذلـــك علـــى ان العبارات الآنفة الذكر : الغائب معـــذور ، والرجـــال قوامون ، وانتم النـــاس .. لا تعنـــي فى الآريـــات : الغائب **يكون** معذورا ، والرجال **يكونـــون** قوامين ، وانتم **تكونون** الناس .. كالذي يظـــن نحاتهم وانمـــا الصحيح أن معناها الحقيقي الاثلـــي : الغائب **هو** معذور ، والرجال **هم** قوامون ، وانتم **انتـــم** الناس .. وهذا يصدق على الآريات الاوربيـــة التـــي يقـــع ضمير الكينونة فيها بيـــن المبتدأ والخبـــر ، واما فى الفارسية التي يقع فيها ضمير الكينونـــة عادة بعـــد الخبر فتكون ترجمة العبارات المذكورة بالنسبة اليها هكذا : الغائب معـــذور **هو** ، الرجال قوامون **هم** ، انتـــم الناس **انتـــم** .

وانما سموها افعالا لانهم وجـــدوا لها صـــورا للماضي غير صيغ المضارع والمستقبـــل فتوهموا ان اختلاف الصور ضرب من الصرف ! ومـــع هـــــذا شعر نحاتهم — النحاة الانكليز مثلا — انها ليست افعالا بالمعنى الصحيح فسموها **افعالا مساعدة** .

وصفوة القول انها ضمائر انقلبت شبه افعال .

اي انها ضمائر فقدت ضميريتها ، ثم اصبحت افعالا بلا فعلية .. لها من الفعل تصريفه الزمني وليس لها دلالته على عمل شيء .

ان اداة الكينونة شيء لا هو بالضمير حقيقة ولا هو بالفعل واقعيا ــ خنثى . او هي شيء بين الفعل والضمير : اشبه بالحيوان النباتي .. كالحيوان يتحرك ويصيد ، وكالنبات ثابت في الارض لا يملك انتقالا من موضعه .

الكينونة فى سائر الآريات :

على أن نشوء ادوات الكينونة من الضمائر فى سائر الآريات ليس بمثل هذا الوضوح والاطراد الذي شهدناه فى الفارسية . فان ادوات الكينونة فيها ــ فى الانكليزية والفرنسية والايطالية مثلا ــ ليست هي الضمائر المتصلة نفسها ، وانما هي ضمائر اخرى اختيرت ، بطريق الانتخاب الطبيعي فى التطور ، من الصيغ الكثيرة المتنوعة التي تولد بعضها من بعض بسبب تبلبل الالسنة واختلاف اللهجات .

وسبب ذلك هو اما ان اللغة ليست فيها ضمائر متصلة كالانكليزية ، واما ان الضمائر المتصلة فيها ليست من الوضوح والكفاءة بحيث تستطيع وحدها أداء المعنى بمجرد ذكرها مع الفعل كما هي الحال فى الفرنسية التي اصبح فيها الضمير المتصل بالفعل مجرد علامة لا تغني عن ذكر الضمير المنفصل معها للدلالة على الشخص المقصود هل هو المتكلم ام المخاطب ام الغائب ، الفرد ام الجمع ، ولو ان كل واحدة من هاته الحالات لها ضميرها المتصل الخاص بها . وبتعبير آخر ان الضمير المتصل قد اصبح فى الفرنسية (زائدا لغويا) هو الآخر . فمن اجل هذا استعملوا ضمائر اخرى لاداء معنى الكينونة فى الجملة الاسمية .

وندرج فيما يلي ادوات الكينونة فى **الانكليزية** المستعملة مع مختلف الضمائر :

انا : am = آ + م **(نا)** .
نحن : are = آ + ر (زائدة ، او مبدلة من اللام : **نا**) .
أنت : art = آ + ر (كذا) + ت **(تا)** .
أنتم : are (آنفا).
هو / هي : is = اي **(آ)** + ز (ت ، **تا**)
هم : are (آنفا) .

وأما فى **الفرنسية** فان ادوات الكينونة كما يلي :

انا : suis = سو (تو ، **تا**) + اي (آ) + س **(تا)** .

نحن : sommes = سو (تو ، **تا**) + م **(نا)** + اي (آ) + س **(تا)** .
انت : es = اس = اي **(آ)** + س **(تا)**.
انتم : ettes = اي (آ) + ت **(تا)** + اي (آ) + س **(تا)** .
هو / هي : est = است = (آ) + س **(تا)** + ت **(تا)**
هم : sont = سو (تو ، **تا**) + ن **(نا)** + ت **(تا)** .

فعل التملك

ونضيف الى حديثنا هذا عن (افعال) الكينونة كلمة عن (افعال) مساعدة شبيهة بها فى الآريات وقد ترجموا اسمها الى العربية : (افعال التملك) ، لكننا نؤثر أن نسميها (ادوات **العندية**) لان ترجمة هذه الافعال ليست (انا املك ، انت تملك) ولكن (عندي ، عندك) ...

والآريون يضيفون هذه الادوات الى الفعل لتزمينه اي لتحديد زمنه . وهي على اختلافها فى الآريات تنتمي اثلا الى الضمائر أيضا ..

وهي فى الفارسية نفس الضمائر المتصلة . وهذا معناه ان الضمائر المتصلة تؤدي فى الفارسية ثلاث وظائف : الاولى تعيين فاعل الفعل ، والثانية اداء معنى الكينونة فى الجملة الاسمية ، والثالثة تزمين الفعل .

اما فى الآريات الاخرى ــ ولنأخذ منها الانكليزية والفرنسية ــ فان ادوات العندية ضمائر خاصة بوظيفة تزمين الفعل ، وانما سموها افعالا كادوات الكينونة لان صيغها تختلف كذلك باختلاف زمان الفعل .

وندرج فيما يلي ادوات التزمين فى **الانكليزية** مع مختلف الضمائر فى حالة المضارع :

انا ، نحن انتم ، هم : have = ها **(آ)** + و (آ) .

انت : hast = ها **(آ)** + س (ت ، **تا**) + ت **(تا)** .

هو } has = ها (آ) + س (ت ، تا) .
هي }

واما فى الفرنسيــة فادوات التزمين للمضــارع كمــا يلــي :

انـا : ai = آ
نحن : avons = آ + وو (آ) + ن (نا) + س (ت ، تــا) .
انت : a = آ .
أنتم : avez = آ + وي (آ) + ز (ت ،تا)
هــو } : a = آ .
هــي }
هم : ont = او (آ) + ن (نا) + ت (تا) .

اختلافهــا عن العربيــة :

والذي نتوهمه بعد كل الذي رأيناه من نشــوء الضمائر وتطوراتها وهجراتها ان ظاهرتي التزميــن والتكنين هاتين ليستا من صنع الآريات وانما هــي من نتاج المصهر اليعربي . ولا نقصد (ادوات) التزمين والتكنين نفسها : فان هذه الادوات وغيرها قد فرغنا من اثبات عروبتها ؛ لكننا انما نقصد الآن عروبـــة ظاهرتي التزمين والتكنيــن كقاعدتين لغويتين .

لقد رأينا ان هذه الآريات انما تتفق فى وجــود هاتين القاعدتين فيها لكنها تتباين فى الطريقة وتختلف فى الادوات التي تستعملها لهذا الغرض — مما يدل على وحدة اصولها مع تعدد فروعها . اي ان الآريات قد اقتبست الفكرة (القاعدة) من منبع واحد .

وما دامت الادوات نفسها عربية فلنا ان نظن ان أن هذا المنبع الواحد الذي صدرت عنه (القاعدة) هو العربية ايضــا .

والظاهر أن الاعربين الاقدمين كانوا يستعملون ادوات التزمين والتكنين لكن كل طائفة منهم استعملت ضمائرها الخاصة بهــا .

وقد خضعت هذه الادوات التزمينية والتكنينية لما خضعت له سائر الضمائر والمفــردات اللغويــة من تشابه وتباين وتحريف لفظ وتحوير معنى بنتيجة تطورات الاختلاط والتنقــل .

وقد هاجر من المعربة نفر من كل طائفة مــن تلك الطوائف ؛ فى اوقات مختلفــة وحملــوا معهــم آثارا من كل ذلك بقي منها ما بقي فى الآريــات . أما فى المعربة نفسها فقد اندرس ما اندرس من تلك اللهجات اما لان اصحابها قد غادروا المعربة كلهم ، وامــا لان من بقي منهم فيها قد اندمج فى المجموعة اللغوية التي خلفتها لنا الاحقاب . ولاسيما ان نزعة الايجاز والتركيز اخذت تظهر فى العربية وتتمكن من السنة اصحابهــا فأسقطــوا الادوات التوكئيــة اي التي يتوكأ عليهــا المتكلم فى كلامه ؛ ومن جراء ذلك سماها الانكليز مثلا بالافعال المساعدة (Auxiliary Verbs) كالذي تلنــا .

ولعل حركات الاعراب التي رأينا آنفا انها مــن بقايا الضمائر كانت قــد استعملت فى العربيــة اول الامر للتزمين أو التكنين او كليهما فى حقبة ما ثــم تغيرت وظيفتها . ويلاحظ ان حركات الاعراب داخلية فى الجملة العربية ، اي انها توجد فى داخل الجملة فقط، اما اذا وقعت احداها فى آخــر الجملة فحكمها ان تحذف أو تخفف ؛ وذلك بحذف حركة آخرها ان كانت متحركة وحذف النون منها مع الحركة التي تسبقــه ان كانت منونة (عدا الفتحة التي تبقى بعد حذف النون).

وما هذا الحذف الا امتداد لنزعة الايجاز التــي قضت على ادوات التزمين والتكنيــن وغيرهمــا فى العربية على ما يظهر .. بينما اللغات الاخرى التــي كانت تحرك أواخر الكلمات كانت تحتفظ بالحركــة عادة حتــى عند الوقف كالاكدية التي كانت تضــم اواخر الالفاظ والارمية الغربية التي ترتقها والارمية الشرقية التي تفتحها — كالذي مر بنا حديثه .

على أن بعض الاعربين كانوا قد اسقطوا حركات الاعراب أيضا بوجه عام ؛ ثم صار ذلك شأن العــرب اجمعين فى لغاتهم الدارجة اليوم ؛ وهذا امتــداد آخر لنزعة الايجاز ، وقد ساعدت عليه مخالطـــة الاعاجم أيضا . ولولا الاسلام والقرآن وما جــرى بسببهما من جمع وتدوين ووضع قواعد لما عرفنــا اليوم شيئا عن هذه الفصحى التي ننفق ما ننفــق من جهد فى تعلم صرفها ونحوها ؛ بل لانفقنا مثل هــذا الجهد فى تعلم الدارجة المحلية بدلا منها ؛ ولضــاع علينا كل التراث الجاهلي وكل ما قام عليه من تراث .

ولئن كانت العربية قد تخلصت من هذه الرواسب اللغوية التطورية — التكنينية والتزمينية — التــي احتفظ بها ابناء عمومتنا الآريون ، فــان حركــات الاعراب ليست هي الاخرى الا رواسب تطوريـــة

مشابهة فى العربية ، وما تزال آثار منها متخلفة فى بعض اللغات الاوربية كالالمانية والايطالية والروسية.. لكن بدرجات متفاوتة وطرائق متباينة .

والنتيجة النهائية التي حصلت بيدنا الآن هي أن بعض اللغات احتفظت بالتزمين والتكنين وتخلصت من الاعراب كالفارسية والانكليزية .. وبعضها احتفظت بالاعراب وتخلصت من التزمين والتكنين كفصحانا العربية .. وبعضها احتفظت بالتكنين والتزمين بالاضافة الى حركات الاعراب كالالمانية .. وبعضها تخلصت من هذه الرواسب جميعا كلغاتنا الدارجة بوجه عام وبعض اللهجات العربية القديمة .

الفصحى

واذا سئلنا الآن ايها نفضل ؟ لم نتردد فى ايثار فصحانا . ولا نحب الدخول فى جدال طويل بهذا الشأن. فربما كان سبب ايثارنا اياها عاطفيا محتا لانها لغتنا التي الفنا القراءة والكتابة بها ولسراوتها بالقياس الى مستوى العاميات . وربما كان سبب ايثارنا لها ما تمتاز به حقا من رصانة ودقة وعمق ومرونة وتركيز .. وذخيرة هائلة من المفردات والتعابير .. عدا ما فيها من اسرار الاشتقاق وروائعه .

أما الاعراب فلا نعده من سيئات الفصحى ولاسيما ان الاقدمين قد خففوا وطاتهلنا بالتخلي عنه فى أواخر الكلام اي بالوقف على السكون . اما وجود الحركات من داخل الجملة فالاغلب انه لاينافي الاقتصاد فى اللفظ لان الاوروبيين انفسهم لا يجدون مناصا عند التقاء ساكنين من تحريك اولهما او ما قبله بكسرة خفيفة كالذي نفعله نحن فى دارجاتنا .. حتى أن ضرورة التحريك هذه قد جعلت بعض القدامى من اللغويين العرب يظنون ان حركات الاعراب انما نجمت فى العربية من هذه الضرورة .

لكن هذا لا يمنعنا من القول ان بعض قواعد الاعراب والبناء بحاجة الى شيء من تعديل وتنسيق وتنقية من الشوائب والشواذ . وقد حقق نحاتنا الرواد الاوائل من ذلك ما يستأهلون عليه الثناء والتقدير حين نفوا الكثير من بدوات اللهجات الخاصة ونبذوا بعض النواشز آخذين بالاعم الاغلب .

واحسبنا الآن بحاجة الى اعادة الكرة ليتم نحاتنا المعاصرون ما بداه اسلافهم فيجاروا صرورات العصر تنسيقا وتعديلا وتيسيرا . فان تنوع العلوم اليوم جعل وقت التلميذ اثمن من ان ينفقه فيما لم يستطيع أحد أن يتعلمه كاملا من قواعد الصرفوالنحو على حالها الحاضرة ، التي يتطلب التخصص فيها من الزمن ما يكفي للتخصص فى الطب او الذرة .

وعسى الا يتوهم متوهم اننا بهذا نقضي على لغتنا او نهدم حياضها ، وانما تعقيد قواعدها وصعوبة تعلمها مع ضيق وقت التلميذ هو الذي سيفضي الى انحلال اللغة وضياعها كالذي اصاب اللاتينية . ولا سبيل لنا الى المحافظة عليها وانقاذ ما يمكن انقاذه منها الا بتيسيرها . وقد تحدث الكثيرون فيما ينبغي نبذه او تعديله من قواعدها فلا حاجة بنا الى الافاضة فيه ..

ايجاز العربية

نزعة التركيز والايجاز فى العربية قد اعترضت سبيلنا غير مرة فى حديثنا هذا عن الضمائر واسرارها فما مأتاها ؟

يبدو أن هذا التركيز فى المعاني الكبيرة يوعبونها العبارات الصغيرة كأنها حبوب الطعام المركز للرحلات القطبية أو الفضائية — يبدو انه امتداد لنزعة عربية قديمة العهد ، نجد آثارها فى اسقاطهم بعض ادوات الكلام التي تعتبر ضرورية فى التعابير الاعجمية بوجه عام . من ذلك مثلا قولك : لا احب الرجل يهزل وقت الجد (بدلا من : لا احب الرجل **الذي** يهزل وقت الجد) ، وقولك : ذهبوا يجاهدون (بدلا من : ذهبوا **كي** يجاهدوا) ، وقولك : شرعت اقرا (بدلا من : شرعت **أن** اقرا) ..

ان اسقاط **الذي** و**كي** و **أن** ، يجعل الكلام فى العربية أفصح واوقع الا انه لا يجوز فى الانكليزية مثلا.

فلا عجب أن اسقط العرب ادوات التكنين والتزمين وهي اشبه بالزوائد اللغوية منها بأي شيء آخر .

ومهما يكن فأن هذه الخصلة — نزعة الايجاز — طارئة فى العربية ، بدليل انها لا توجد فى الآريات المنسلخة منها باعتبار ان هذه الرواسب والزوائد التي نجدها فى الآريات ترجع باثلها الى العربية نفسها كما قلنا .

وهذا معناه فيما يخيل لنا ان الآريات قد انشعبت من الاعربية منذ عهود سحيقة اي منذ الهجرات الاولى حين أخذت المعربة بالجفاف على اثر انحسار الجليد عن اوربا . وكانت اللغة الاعربية عهدئذ على حالتها الطبيعية الاعتيادية الاولى . غير أن الجفاف وتحول

الجنة المعربية الى صحراء قاحلة محترقة محرقة جيلا بعد جيل ، وما استتبع ذلك من قسوة الطبيعة ومشاكل العيش وأخطاره وغزواته ومفاجئاته جعلت القوم اميل الى الاقتصاد في الكلام ولاسيما في الحالات التي تتطلب المسارعة والمبادرة الى عمل او قتال او فرار . لهذا نجد البدوي يتكلم نتلا ، فاذا هو حدثك عن شيء مهما يكن تافها او بعيدا عن الاثارة كقوله مثلا : شربت الماء ، او سأنام ، أو طارت الجرادة ، او مات جدي قبل ستين سنة .. تلحظ انه يقول ذلك بالفاظ قوية اللحن يقذفها من فمه قذف الحجارة من المقلاع، وبنبرة اشبه بلهجة الامر منها بلهجة الخبر ، كأنما هي الايعازات العسكرية الفورية في ساحة المعركة ، وكأنما هو يقول : شب الحريق ، هاهو العدو ، اضرب ، اركب ، اسرع ..

هذا ما يعن لنا الآن في تعليل خصلة الايجاز التي تتسم بها العربية ، نذكره بتحفظ ، وقد يكشف لنا البحث عن تعليل اوجه منه في المستقبل . والله اعلم !

الضمائر الارية

جميع الضمائر المنفصلة ، في حالة المسند اليه — نعم جميعها — يمكن ارجاعها في الفارسية والانكليزية والفرنسية والايطالية ، الى عناصرها الاولى من العربية . ومثل هذا يقال بشأن الكثير من الضمائر الاخرى في لغات آريات اخريات ، وغير آريات بله الحاميات والساميات .

فأما في **الفارسية** فهي :

انا : **من** = ما **(نا)** + ن **(نا)** .
نحن : **ما** = **(تا)** .
انت : **تو** = **(تا)** .

انتم : **شما** = شو (تو ، **تا**) + ما **(نا)** (وكأنها من التاء والميم في قولك بالعربية : **نظرتما**) .
هم : **آنان** = آن **(آ + نا)** + آن **(آ + نا)** .
هم : **ايشان** = **ايش** (اي ، آ + ش ، س ، **تا**) + آن **(آ + نا)** .
هم : **آنها** = آ + **(نا)** + ها **(آ)** .

واما في **الانكليزية** فهي :

انا : I (آي) = آ .
نحن : we = اى (آ) .
انت : thou = ذو (تو ، **تا**) .
انتم : you = يو (او ، آ) .
هو : he = (اي ، آ) .
هي : she = شي (تي : **تا**) .
هو ، هي (الغير العاقل) : it = اي **(آ)** + ت **(تا)** .
هم : they + ذي (تي ، **تا**) .

واما في **الفرنسية** فهي :

انا : je = بي (اي ، آ) .
نحن : nous = نو **(نا)** + س (ت ، **تا**) .
انت : tu = تو **(تا)** .
انتم : vous = بو (او ، آ — كالانكليزية) + س (ت ، **تا**) .
هو : il = اي **(آ)** + ل (ن ، **نا**) (راجع لام التعريف آنفا) .
هي : elle = اي **(آ)** + ل (ن ، **نا**) .
هم : ils = اي **(آ)** + ل (ن، **نا**) + س**(تا)**
هن : elles = اي **(آ)** + ل (ن ، **نا**) + س **(تا)** .

وهي في **الايطالية** :

انا : io = اي **(آ)** + يو (او ، آ) .
نحن : noi (نويى) = نو **(نا)** + اي (آ) .
انت : tu = تو **(تا)** .
انتم : voi = بو **(آ)** + اي **(آ)** .
هو : esso = اي **(آ)** + سو (تو ، **تا**) .
هي : essa اي **(آ)** + سا **(تا)** .
هم : loro = لو (تو ، **نا**) + رو (لعل اثلها : لو ، نو ، **نا**) .

اسماء الاشارة

قلنا ان **(الهمزة)** استعملت ضميرا عاما واسم اشارة . وقد كان من جراء استعمالها اداة تنبيه بصيغة **(ها)** ان فقدت معناها للاشارة ، غير أنها لصقت ببعض اسماء الاشارة مثل : هذا ، هذه ، هؤلاء — فقلما يقول المحدثون : ذا ، ذه ، اولاء . حتى في الفصحى .

واما **(النون)** فلا نراه في العربية اسما للاشارة او جزءا من اسماء الاشارة المتعارفة ، لكننا نجده في بعض الاسماء التي (تشير) الى الزمان او المكان الحاضرين مثل : **هنا** (= او + نا) ، وهي

بالانكليزية : here (بابدال النـــون راءا) .. ومثل **الآن** (= آ + نا) ، ومنها : **الاوان** ، والفعل آن **أونا** (= تمهل) و : آن **اينا** (= حان) . وهي بالانكليزيـــة now (مقلوب الاون) بمعنـــى : الآن .

وانما يختص النون بمعنى الاشارة فى الفارسية، على هذا النحـــو :

ايـــن : هذا .
آن : ذلك .
اينان : هؤلاء (للعاقل) .
اينهـــا : هؤلاء (لغيـــره).
آنـــان : اولئك (للعاقل) .
آنهـــا : اولئك (لغيره) .

غير ان **(التاء)** هي الضمير الخصب الذي اختص بمعنى الاشارة فى صيغ شتى ولاسيما فى العربيـــة والانكليزيـــة :

ونجدها فى العربية بابسط صورها واقدمها **(تا)** بمعنى هذه ، ومنها : **(تي)** بنفس المعنى . وتثنـــى على: **تان وتين** . ومنها **تيك** ، **وهاتيك ثم تلـــك** .

وقد ابدلت التاء ذالا فنشأت صيغة **(ذا)** واختصت بالذكر ، و **(ذي)** واختصت بالانثى ؛ ومنها **(ذه)** بنفس المعنـــى .

وتعتمد الانكليزية كل الاعتماد على هذه الاداة الاشارية الذالية فتصوغ منها جميع اسماء الاشارة فيها ، مثل اعتماد الفارسية علـــى الاداة النونية . يقـــول الانكليـــز :

this : هـــذا .
that : ذاك
these : هؤلاء
those : اولئـــك .

واما الفرنسية فقد اتخذت التاء مادة لاسمـــاء الاشارة فيها لكن بعد ابدالها سينا وهـــي : ça و ce, و cet, و cette, و ces, ، لمختلـــف حالات الافراد والجمع والتذكير والتأنيث . وهذا برهان آخر على ما سبق ان تلناه من ان (السين) فى الضمائر الآرية يرجع فى اثلـــه الـــى (التـــاء) .

واما فى الايطالية فنذكـــر صيغة cosi : كذا.

معـــان اخـــرى

جدنا المعربي الذي بدأ مشروع تشييد هـــذا الصرح الباذخ لاروع اللغات واغناها واقدرها علـــى تصوير هجسات الضمير وخلجات الذهن — كـــان هو نفسه يعاني نقرا لغويـــا كبيـــرا ، فما اكتفـــى باستعمال كل واحد من الضمائر القليلة التي يملكهـــا ضميرا عاما واسم اشارة ، وانما استعملها بالاضافة الى ذلك فى اشتات من المعاني الاخرى التي عرضت له على طريقة الراعي التي نوهنا بها ، فى استعمال عصـــاه ...

وقد دام ذلك احتابا مديدة فيما يبدو ، لان تعدد المعاني التي استعملت فيها الصيغة الواحدة لم يقتصر على الضمائر البدائية العنصرية (آ ، نا ، تا) وانمـــا شمل صيغها المتطورة ثم المركبـــة ، التي لابد انهـــا لم تنشأ الا بعد مرور اجيال كثيرة . حتى ان ضميـــر (انت) الذي اعتبرناه اكمل صور تركيب الضمائر قـــد استعمل ضميرا عاما كالضمائر البدائية ، ثم استعمل فى معان اخرى غير الضمير والاشارة ، كما سنذكـــر بعد .. مما يدل على ان طفولة اللغة قـــد استغرقـــت زمنا طويلا ، وانها لم تتقدم الا ببطء شديد .

وبعض هذه المعاني قريب من معانـــي الاشـــارة والضمير كالذي راينا وبعضها بعيد عنها لا صلة لـــه بها كالذي سنرى . وما كنا لنتقدم على القول ان هذه المعاني البعيدة ترجع فى اثلها الـــى الضمائر لولا ان صيغها يقود بعضها الى بعض مـــن حيث المعنـــى او المبنى ، ولولا ما مر بنا من كثرة تخبطات الاعـــرب الاقدم التي تستدر الرثاء من جهة وتشبثاته الجريئـــة التي تستحق العطف والاعجاب من جهة اخـــرى .

ولابد ان كثرة اخطائه فى نطـــق الالفاظ علـــى غير وجهها واستعمالها فى غير معانيها قد سبب لـــه الكثير من سوء التفاهم وضرب الهـــراوات ؛ الا ان لهذه الاخطاء المباركة فضلا كبيرا فى خلق صيغ جديدة، ساعد التركيب اللغوي على تكثيرها ، فاستعملت فى معان جديدة او تخصصت فى معان قديمة .. كالذي مرت بنا شواهد متنوعـــة منه .

الهمـــزة

وقد راينا ان الهمزة استعملت للتنبيه اولا ، ثم للنداء ، ثم للضمير ، ثم للاستفهام والايجاب .

ومن توليداتها — عدا كل ذلك — واو العطـــف الذي كان اولا **(او)** كما لا يزال العـــرب ينطقونـــه فى الدارجات ، ثم ظهرت منه صيغة **(و)** فتخصصت بعطف الجمع كما تخصصت **(او)** — بفتح الهمزة — بعطـــف الشك كما يسميه النحاة . وينطقها بعضهم فى العراق

(يا) فى مثل قولهم : **يا** هذا **يا** هذا ، اي : اما هذا واما هذا . وكذلك هي فى الفارسية ، بنفس المعنى : **يا** اين **يا** اين .

وينطقها بعض العراقيين **(لو)** فى مثل : تريد هذا **لو** هذا ؟

ومن واو العطف نشأت **(الفاء)** للترتيب والتعقيب ولا عجب فى قلب الواو فاءا ، فان (اين) التي ينطقها الكثيرون من العرب فى دارجاتهم (وين) انقلب واوها فاءا عند المصريين والمغاربة فنطقوها (فين) .

ولئن كانت الهمزة المكسورة **(اي)** تعني الايجاب مع القسم فى مثل **(اي والله)** فى الفصحى فانها تعني مجرد الايجاب (نعم) بالسورية والعراقية وغيرهما . لكنها تظهر بشكلها البدائي الاقدم فى المصرية بمعنى نعم : آ .

اما المغاربة فينطقونها : **ايه** (iyyah)
وربما منها نشأت الصيغة المصرية الاخرى : **ايوه** .
ونذكر بالمناسبة انها تنطق بالارمنية : آيو (âyo) !

ومن الهمزة ايضا صيغت **(اي)** بفتح وسكون — وهي حرف التفسير ، و**(اي)** بتشديد الياء — ولها فى المعجم عدة معان .

فاذا انتقلنا الى الآريات نجد للهمزة فى بعضها صورا كثيرة منها التالية :

α	:	قط ، ابدا — بالسكسونية (ومعان اخرى) .
α	:	اداة تنكير تسبق الاسم — بالانكليزية .
α	:	علامة تأنيث — بالايطالية (ولعلها مخففة من تاء التأنيث العربية) .
α	:	الى (حرف الجر) — بالايطالية .
α	:	عنده (اداة تزمين) — بالايطالية والفرنسية.
à	:	الى — بالفرنسية والايطالية .
αy	:	نعم — بالانكليزية .
αio	:	يقول نعم — باللاتينية .
αy	:	(اي) : يا (للنداء) — بالفارسية .
αyα	:	(آيا) : هل ؟ — بالفارسية .
αyo	:	نعم — بالارمنية .
e	:	واو العطف — بالايطالية .
e	:	اداة جمع الاناث — بالايطالية .
i	:	اداة جمع الذكور — بالايطالية .
o	:	اداة نداء — بالانكليزية والفرنسية .
o	:	عندي — بالايطالية .
o	:	علامة تذكير تلحق الاسم — بالايطالية .
o	:	او (حرف العطف) — بالايطالية .
or	:	أو — بالانكليزية .
ou	:	أو — بالفرنسية .
ou	:	اين — بالفرنسية .
oui	:	نعم — بالفرنسية .

النــون

نجد النون بصيغته البدائية فى الفارسية بمعنى (لا) فى مثل (**نا** مرئي) اي لا مرئي ، غير مرئي ، ومثل : **نا** معقول ..

ولا يستغرب استعمال الضمير (نا) بمعنى النفي ولا سيما اذا تذكرنا ان ضمير الهمزة قد استعمل بمعنى الايجاب فى عدة لغات ، وبمعنى النفي فى السكسونية وربما فى غيرها ايضا . ويؤيد ذلك ان **(ان)** — بكسر فسكون — تعني النفي فى العربية ايضا مثل : **ان** هو الا وحي يوحى .

ولها فى الفارسية صيغة اخرى هي **(نه)** وتقابلها فى العربية : **ما** ، **ولا** . والظاهر أن هاتين الصيغتين العربيتين متطورتان من صيغة (نا) التي اندرست فى العربية بمعنى النفي وبقيت بصيغتها المديدة والقصيرة فى الفارسية . ومما يدل على عروبة (**نه**) انهم اشتقوا منها فعل (نهى نهيا) .

وهي تظهر فى بعض الآريات بصيغة no و non.
ومن الجدير بالذكر أن العراقيين ينطقونها **(مو** — mû) فى نفي الاسماء والضمائر مثل : **مو** آني ، **مو** احمد ، **مو** تعبان .. اي : ما أنا ، ليس احمد ، ليس تعبان (أو غير تعبان) . وهم ينطقونها **(ما)** فى نفي الافعال مثل : **ما** يجي ، **ما** يخالف (اي لاباس) .

التـــاء

بالاضافة الى المعاني الضميرية والاشارية التي نشأت من **(تا)** كالذي سبق ذكره ، نشأت منها من المعاني الاخرى صيغة **(حتى)** بمعنى : ايضا ، والى ، وكي ..

وان خامر قارئنا العزيز شيء من الريب فى ان (حتى) ما هي الا (تا) قد فخمت بالحاء فلابد انه ليس من المغاربة ، لان **(تا)** بصيغتها الاولى هذه تعني بلغة المغرب : الى ، وايضا ، مثل (حتى) . فهم يقولون : **(تا** تشوف) : الى أن ترى ، و (**تا** أنا) : انا ايضا .

غير ان الفرس يستعملون **(تا)** بالمعنيين : الى، وكي (للتعليل) .

أما الانكليز فيستعملونها بالمعنيين المغربيين فى صورتين : to (الى) ، و too (ايضا) .

وقد استعملت التاء فى العربية بمعنى الموصولية، وعرفوها باللام فصارت **(التي)** (=ال+تي) : ومنها : **اللتان ، واللتين ، واللتيا ، واللاتي** ..

* * *

ولنستعرض فيما يلي بعض الصيغ المتطورة من الضمائر، التي استعملت فى غير معاني الضمائر واسماء الاشارة ، لاعطاء فكرة اجمالية عن تعدد معانيها .

آ ن :

اراد غابي معربي من اهل الضمير **(آن)** ان يحدث صاحبه عن الوقت الحاضر فلم يجد غير هذه اللفظة التي كان يستعملها لمختلف المعاني ، فقال **(آن)** بمعنى : **هذا** الزمان . وقد استعملها بمعنى المكان الحاضر ايضا ، اي **هذا** المكان . لكنها تطورت بهذا المعنى الاخير فصارت لها بضع صور بقي لنا منها فى العربية **(هنا)** ، و**(هنا)** من وزن كنا وحتى — بمعنى هناك . ووردت كذلك بصيغة **(هني)** بفتح الهاء وكسر النون . ولعلها قد كانت لها صيغ اخرى .

لكنها بقيت بصيغتها الاولى **(آن)** بمعنى الزمان ، ومنها **الآن والاوان** ، وتظهر فى الانكليزية كما تلنا بصيغة : now . وقد قلبوا فى العربية فعل (آن يئين) فصار **(أنى يأني)** .

كذلك ابدل الاعربون همزتها حاءا فصارت **(حان** يحين) ومنها **(الحين)** بفتح الحاء أو كسرها ، وقد تخصص الفتح بمعنى الاجل . وتظهر فى الانكليزية بصيغة when (حينما) وهي من السكسونية : hawenne

ومن مخلفات عهود التخبط التطوري بقيت لنا صيغة **(أنى)** — زنة حتى — بثلاث معان : الزمان (حينما) ، والمكان (حيثما) والنحو (كيفما) . وتستعمل كذلك للاستفهام بهذه المعاني : متى ، اين ، من اين ، كيف ؟ وصيغة (انى) هذه تكاد تندثر الآن لقلة استعمال المعاصرين لها ، بدافع تجنب اللبس فى قراءتها على الاخص .

ومن صورها **(أين)** للمكان خاصة ، و**(أيان)** للزمان خاصة ، وقد كادت هذه الاخيرة تندرس هي الاخرى لشيوع صيغة (متى) .

وبينما استعمل اليمنيون القدامى صيغة **(آن)** فى آخر الاسم للتعريف استعملها الانكليز بنفسها an فى اول الاسم للتنكير !

ونشأت منها فى العربية صيغتها **(ان)** المشددة بفتح الهمزة وكسرها وصيغتا **(ان)** المخففة بفتح الهمزة وكسرها أيضا .

ونلاحظ على صيغة **(ان)** المكسورة الخفيفة ان لها معنيين : الشرطية والنفي . وتأتي **(ان)** هذه زائدا لغويا كقول شاعرهم : ما **ان** اتيت بشيء انت تكرهه.

ولضمير **(ان)** على مختلف وجوه نطقه حالات لغوية ونحوية كثيرة لا نريد التوغل فيها وانما نكتفي باستلفات النظر اليها والتوصية بمراجعتها فى المعاجم للاطلاع على افاعيل التطور اللغوي .

ومن استعمالات **(آن)** ايضا انها الحقت بالاسم توجيبا لمعناه احيانا لتكسبه معنى الفاعلية ، فى مثل: عطشان ، انسان ، رحمان ، سلطان .. أو معنى المصدرية فى مثل شكران ، وبهتان ، وغفران ، وسلطان أيضا .

وندرج فيما يلي بعض الصور التي تقمصها ضمير **(آن)** فى الآريات :

an : اداة تنكير تسبق الاسم المهموز — بالانكليزية ، كما تقدم .

en : فى — بالفرنسية .

in : فى — بالانكليزية .

in : اداة نفي الصفة ، وتذكرنا بنظيرتها العربية (ان) ، ومنها im و un, — بالانكليزية، وما يقارب ذلك بالفرنسية (وهي تستعمل مثل:نا، الفارسية) .. مثل : inflexible : لا ينثني،و impossible غير ممكن .

on : على (حرف الجر) — بالانكليزية

ian : اداة نسبة الى البلد مثل: Indian, Arabian — بالانكليزية .

ien : للذكر و ienne للانثى : اداة نسبة الىالبلد بالفرنسية مثل: indien : هندي،و indienne هندية .

one : واحد — بالانكليزية (واثلها : an آنفا)

un : للذكر و une للانثى : اداة تنكير تسبق الاسم، وتعني كذلك: واحد — بالفرنسية .

ذ ا :

اثلها كما قلنا (تا) التي تعني (هذي) . وقد اختصت صيغتا **(تا ؛ و تي)** بالانثى وكذلك **(ذي)** ومنها (ذه) . اما صيغة **(ذا)** فاختصت بالذكر ، وقد بقيت صيغة جامدة بهذا المعنى .

لكنها تكون معربة بمعنى صاحب ، اي انها تنطق (**ذا . ذو ؛ ذي**) حسب موقعها من الاعراب مثل: ذا النون . **وذو** النون ، **وذي** النون . وهي تطالعنا في الفرنسية بصيغ : des, du, de بمعنى الاضافة ايضا لكن بعكس المعنى . اي ان (**ذا** يزن) تعني فى العربية صاحب يزن ، بينما Jeanne d'Arc تعني فى الفرنسية : جان التابعة لآرك ، اي أن (آرك) هو (صاحب جان) .

وقد انثوا (ذا) فصارت **(ذات)** وجمعها **(ذوات)**، غير أن المثنى يأتي شاذا بصيغة **(ذواتان)** وكأنه تثنية للجمع ، بدلا من (ذاتان) . ومنها الاية : ذواتا افنان .

و**(ذات)** هذه استعملوها ايضا كلمة واحدة بذالها وتائها ، اي باعتبار التاء جزءا منها لا اداة تأنيث . فصارت بهذا الاستعمال تعني النفس او الجوهر مثل : **ذات الشيء** ، ومنها **(الذوات)** باصطلاح المتأخرين : اعيان الناس والشخصيات البارزة فيهم. غير ان تثنيتها **(ذاتان)** ، اي على القياس .

وقد استعملوا **(ذو)** بمعنى الموصولية ومنها القول المشهور : وبئري **ذو** حفرت **وذو** طويت . وليراجع القارىء الكريم تفصيلات معاني (ذو) واستعمالاتها فى المعجم . لكننا نكتفي هنا بالقول ان العرب عرفوها باللام فنشأت : **الذي** (= ال + ذي) . والاغلب انهم قالوا ايضا (الذا ، والذو) اول الامر ، ثم اهملت هاتان الصيغتان . وصارت (الذي) تجمع على **(الذين)** فى حالات الاعراب جميعها ، اما **(الذون)** فلم يأتنا منها فى المأثورات الجاهلية الا شذرات قليلة عدوها شاذة ، من لغة : نحن **الذون** صبحوا الصباحا .

وتظهر (ذي) بصيغة (si) بمعنى (بلى) فى الفرنسية ، وبمعنى (نعم) فى الايطالية .

واما **(اذا)** فهي فى الفرنسية (si) ايضا ، وفى الايطالية (se) ، وفى التركية (ايسه ـ ise)

وأما فى الانكليزية فبالاضافة الى صيغ الضمائر والاشارة التي وجدناها آنفا وصيغة (the) بمعنى لام التعريف ، نجد صورة though و although : ولو .

أنـت :

بالاضافة الى ظهور هذه الصيغة فى العربية بالمعاني الضميرية التي رأيناها ، وفى الفارسية بمعنى الضمير واداة الترمين والتكنين بصيغة **(اند)** ، وفى الفرنسية اداة تكنين بصيغة (sont) واداة ترمين بصيغة (ont) وضميرا متصلا بصيغة (- ent) نجدها فى الآريات بمعان اخرى . منها :

and : حرف العطف ـ بالانكليزية .

ante : اداة تسبق الاسم بمعنى قبل او سابق مثل : antediluvian قبل الطوفان ، و antecedent : سلف ، سالف ـ بالانكليزية والفرنسية . وهي من اللاتينية .

anti : اداة تسبق الاسم بمعنى الضد والمعاكس مثل antidote ضد السم (= ترياق) ـ بالانكليزية والفرنسية . وهي من اللاتينية ايضا .

ختـام :

هذا قليل حقا من كثير جدا .

فعلى الرغم مما جاء فى حديثنا هذا من تفصيلات لعل القارىء وجدها مسئمة ، وشواهد لابد انه رآها كثيرة ـ نؤكد له اننا اهملنا تفصيلات ومقارنات وضمائر والفاظا من مولدات الضمائر كثيرة اخرى .. اما رغبة فى تخفيف الوطأة عن قارئنا واما لتعذر عرضها دون ما ينبغي لها من شرح وبرهان مما يأتي دوره من الحديث فى آخره .

ولايضاح هذه النقطة نقول اننا تكلمنا على (الضمير العام) مثلا فى اول البحث لكي نتمكن من تفهم ما سيليه من الامور القائمة عليه .

لكننا لم نستشهد من الضمائر العامة الا بالهمزة والا بالقليل من حالاتها . وتركنا الباقي الكثير من الشواهد اضطرارا لاننا لم نكن قد تقدمنا بعد فى البحث الى الحد الذي يمكننا من فهمها وقبولها وهضمها. فمن اجل ذلك جاء كلامنا عن الضمير العام مبتسرا ، هزيلا . وقس على ذلك .

اما حين تثبت دعائم دراسة الضمائر على هذه الطريقة ، ويقتنع الباحثون اللغويون بها ، فسيمكن الدخول فى الموضوع راسا دون اضاعة وقت او كلام فى البرهنة ومحاولة الاقناع ، كالذي فعلنا من السير مع صديقنا القارىء يدا بيد وخطوة بخطوة ـ مما تقتضيه جدة الموضوع على القارىء والكاتب جميعا .

ونود ان نسجل بهذه المناسبة ان هذه التفسيرات والتخريجات التي مرت بنا انما ازجيناها على انها بعض الاحتمالات الممكنة ، لا على انها فيصل الخطاب .

ان الذي اردنا اليه بالدرجة الاولى هو ان نبسط طريقة للبحث لا ان نقرر حقائق نهائية لا تقبل جدالا . ذلك اننا ادرجنا من الاحتمالات المتعددة التي تتزاحم على المخيلة في كل مرحلة من مراحل البحث ما تراءى لنا اهم واقوم او اقرب الى جادة المنطق من سواه .

واننا لندعو اخانا القارىء الى التمعن في هذه الضمائر وحالاتها وتفاعلاتها ، ونحن واثقون انه واجد بنفسه احتمالات اخرى ، ولعل بعضها اقرب الى السداد من بعض هاته الاحتمالات والاستنباطات التي سقناها . وما نقول هذا مجاملة للقارىء لاننا في الواقع كثيرا ما نصحح بعض آرائنا حين تعن لنا افكار اخرى ، او نطلع من الشواهد او الحقائق على جديد ، او نتذكر من الامر منسيا .

غير ان الذي مر بنا — على اختصاره ، بنظرنا — كان كافيا لان يرينا كيف ان دراسة الضمائر قادرة على تغيير وجه اللغة واعطائها ملامح جديدة تثير الدهشة حقا .

انها تعزق أرض اللغة عزقا ، وتبتعث من احشائها ما لم يكن متوقعا من دفائن ومجهولات .

ولا تقف دراسة الضمائر عند اهميتها الذاتية هذه، فان لها كذلك لاهمية مفتاحية في الدراسات اللغوية عموما ، فهي خليقة ان تعيننا حتى على حل بعض المعضلات التي لا صلة لها بالضمائر . لان ما طرأ على الضمائر من تطورات وما رافقها من ملابسات وما تسرب منها مع الهجرات البشرية الى مختلف اللغات في مختلف الجهات — ينطبق على اللغة كلها ، ومن ثم ينير لنا نهجا جديدا في البحث اللغوي عامة ويساعدنا على تصحيح نهوج قديمة .

لقد توفر اللغويون من عرب ومستعربين قديما ، ومستشرقين حديثا، على دراسة العربية وافنوا اعمارا في اماطة الاقنعة عن اسرارها . وعلى الرغم من النتائج القيمة التي ظفروا بها قديما وحديثا ، صمدت امامهم في العربية وغيرها طلاسم عنيدة استعصت على كل محاولة : التنوين ، التعريف ، الاعراب ، الجمع ، التركيب .. وامثالها من الموضوعات التي حوموا حولها ما حوموا ، فاقتربوا من حقيقتها حينا وابتعدوا حينا ، ولم يصلوا ابدا .

فعليهم منذ اليوم بالضمائر . انها مفتاح الكثير من الاقفال اللغوية . أما (الترسيس) فهو من اللغة بابها الكبير .

وكما صنفوا الكتب في العربية عن (الحروف) سوف يصنفون الكتب في العربية وغيرها عن(الضمائر) وسيجدون في العربية وغيرها عددا كبيرا من الموصولات والحروف والكواسع والرواسن ومختلف الروابط والادوات والاشتقاقات .. ترجع في اثلها البعيد او القريب الى الضمائر البدائية .. التي نبتت بذرتها الاولى وازدهرت في الغابة المعربية .

(نزيل المغرب العربي) — **عبد الحق فاضل**

تحديات في وجه

الفكر العربي المعاصر

الأستاذ انور الجندي

(القاهرة)

الحق أن الفكر العربي المعاصر يعيش « اليوم » فى ضوء التاريخ ، واننا فى خلال هذه المرحلة من اليقظة الفكرية العربية الباهرة نستطيع أن ننطلق بحرية لتقييم المرحلة الماضية من حياتنا الفكرية ، حيث بدأ بوضوح « الخط الفاصل » بين عصر وعصر ..

بين عصر الاحتلال والنفوذ الاستعماري والمقاومة والدفاع . وبين عصر الحرية والبناء والنهضة والعدل الاجتماعي وامتلاك الارادة وبروز الشخصية العربية ، والتقدم نحو الصناعة والآلة والقوة الحربية والتكنيك والعلم والصاروخ ، فقد امتلكت الامة العربية ارادتها وبرزت فى التاريخ المعاصر كقوة فعالة قادرة على مواجهة بقايا النفوذ الاستعماري ، وبقايا الاستعمار الفكري والاقتصادي التي تحاول أن تستبقي من نفوذها ما ليس باقيا . ونحن اليوم فى ظل النهضة العربية المصرية التي تنشر جناحيها مظفرة ، نستطيع ان نقيم بحرية كاملة وعلى اساس علمي شامل ، مرحلة تكاملت وانفصلت واصبحت خاضعة لتقف امام التاريخ موقف المراجعة . هذه الفترة التي بدأت فى العالم العربي منذ منتصف القرن التاسع عشر الى منتصف القرن العشرين .

فى هذه الفترة ، وفى ظل التيارات الضخمة المتعددة التي انطلقت من كل مكان ، سواء منها ما ارتبط بالفكر العربي أو بدعوات الشعوبية والتعريب، أو ما قذفت به أوربا العالم العربي من دعوات ومذاهب مادية او روحية ، اقليمية ضيقة ، أو قومية او شرقية أو اسلامية أو طائفية سواء منها ما يرمي الى التحلل من الدين أو التحلل من قيد اللغة العربية الفصحى ، أو بناء التصور العربي بعيدا عن الاسلام او عن الدين جملة ، أو فصل الاسلام عن القومية ، هذا الصراع بين المدارس المختلفة فى الفكر العربي وما القى اليه من ثقافات فرنسية وانجليزية وامريكية ، او اسلامية عربية صادرة عن فهم فقهي او تصوفي ، او متصل بمدارس المرسلين ، او الجامعات ، او الازهر ، او دار العلوم، أو ما يتصل بالدعوات الى الفرعونية او البربرية أو الفينيقية او الخلاف بين الاديان ، كل هذه الدعوات التي عاشتها الفترةالسالفة «فترة الفعل ورد الفعل» بالاستجابة او التحدي بين الاستعمار والتغريب وبين الامة وفكرها فى مقاومة تحديات الاستعمار وشبهات التغريب » كانت فى اغلبها ردا مرحليا لهجوم مركز مقصود من النفوذ الغربي الاستعماري الذي بعث الخلافات القديمة ، واحيا الشبهات المدفونة ، واعاد اذاعتها والهب النفوس بالاتصال بها أو معارضتها .

ولقد كان على هذه الامة ان تنظر فى يقظة وحرص الى كل هذه الدعوات وتفهم بواعثها وغاياتها ومصادرها ، فالى جوار كتابات المئات من المؤمنين بأمتهم وفكرها ، فان هناك عشرات من كتابات الكتاب قد انطلقت لتعبر عن غرض ذاتي من حقد أو خصومة او كراهية أو ولاء ، دون أن تعتمد اساسا على مفهوم علمي .

كل هذا كان فى حاجة الى دراسة ونظر ومراجعة كان علينا ان نكشف للمثقفين بعد ان انتهت هذه المرحلة ان النفوذ الاستعماري لم يكن يهدف من هذه المعركة الضخمة الا خلق البلبلة والتفرقة والتمزيق الفكري والروحي للامة العربية عن طريق الفكر والثقافة ، ذلك أن الوحدة كانت ولا تزال هي الخطر الاساسي الذي يواجهه الاستعمار ، ووحدة الامة لا تتم الا فى ضوء وحدة فكر . وما دامت الامة العربية ممزقة الى عشرات المذاهب والدعوات والعقائد فانها

ستظل ممزقة لا تتجمع على وحدة حقيقية .

ولقد كان علينا ان نعيش هذه المرحلة من عالمنا العربي ، وفكرنا العربي من خلال دراسة « الاسلام والثقافة العربية فى مواجهة تحديات الاستعمار وشبهات التغريب » .

* * *

وقد استطارت الشبهات فى مختلف مجالات الثقافة العربية الاسلامية فشملت الاسلام ورسول الاسلام والقرآن والفكر العربي والحضارة العربية الاسلامية وقيم الفكر العربي والسنة واللغة العربية والتشريع الاسلامي والادب العربي والتاريخ. استطارت هذه الشبهات منذ بدأ الاحتلال والنفوذ الغربي يسيطر على العالم الاسلامي والامة العربية كوسيلة من وسائل الحرب النفسية ، والقضاء على المقومات الاساسية التي كان مصدرها الفكر العربي الاسلامي، والتي كانت ولا تزال تحمل طابع المقاومة لكل دخيل وغاز ، مع الجري فى نفس الوقت على سنة الاسلام والفكر الاسلامي الاساسية فى التفتح على الثقافات المختلفة مع الحركة والايجابية والنمو . ولم تكن سيطرة الاستعمار الاوربي على العالم الاسلامي الا حلقة من معركة طويلة ممتدة بدات فى القرن الخامس الهجري (القرن 11م) بالحروب الصليبية ، حيث استطاع الفرنجة اقامة مملكة على الشريط الساحلي للشام استمرت حوالي قرنين من الزمان ، وقد قاومها العرب المسلمون مقاومة فعالة مستمرة حتى قضي عليها . وكان لهذه المعركة دوافع مختلفة ابرزها ذلك الصراع بين فكر الشرق وفكر الغرب ، بالاضافة الى دوافع الاقتصاد وما التمسته هذه الحروب من شعار لها وهو الدفاع عن بيت المقدس وتخليصه من ايدي المسلمين والعرب .

وانتهت الحروب الصليبية بهزيمة الغرب ولكنها امدته بقوة جديدة ، فقد أولع المغلوب بتقليد الغالب فنقل حضارته وثقافته ، ونظمه وتقاليده ، وبدأ فى ترجمة ذلك التراث الضخم والانتفاع به على النحو الذي هيأ لعصر النهضة الادبية فجره الذي استطاع أن يسيطر من بعد على العالم الاسلامي الذي كان قد اصيب بالجمود والضعف واقفل ابوابه متخليا عن ابرز مقوماته الفكرية وهي القدرة على الحركة واليقظة والقوة وحماية الثغور والتجدد ، حتى بدات يقظة العالم الاسلامي منذ داخله ، ومن اعماق الامة العربية بالدعوة الى التوحيد كوسيلة لتحرير الفكر الاسلامي من شبهات الجمود والتقليد .

ولعل ابرز الاتهامات التي توجه الينا ان يقظة العالم الاسلامي والامة العربية انما جاءت نتيجة للبعثات التبشيرية والحملة الفرنسية ، ونحن نرى فمعنا كل الادلة على ان اليقظة الفكرية قد سبقت هذا الغزو الغربي بأمد طويل ، بدعوة التوحيد التي كانت تستهدف التحرر من زيف التقليد وان هذه الدعوة بدأت قبل وصول الحملة الفرنسية والبعثات التبشيرية الاوربية بمائة عام على الاقل .

وقد كانت يقظة الفكر العربي منصبة على تأكيد الحقائق الاساسية للفكر العربي الاسلامي وهو ما قامت عليه الحضارة العربية الاسلامية التي عم ضياؤها العالم كله واستمرت تؤثر فيه الى اليوم ، وهي فى خلاصتها تتمثل فى مبادىء محددة صريحة : ابرزها كرامة الانسان وحريته ، وامتزاج الروحية بالمادية ، وسيادة العقل (قل هاتوا برهانكم) مع تجدد الفكر بالغربلة واقصاء القشور والاجتهاد والمواءمة مع التطور والزمن والبيئة ، وحمل لواء الحضارة والزيادة فيها . وحماية الوطن والحضارة والتسلح واليقظة للعدو ، والمقاومة واعتبار الدفاع عن الوطن دفاعا عن العرض وتغليب السلام والاخوة والمحبة والدعوة الى العدل الاجتماعي ومساواة الاجناس والمفاضلة بالعمل والتضامن والشورى .

وقد غاضت هذه الاسس فى ظل امتداد الحكم العثماني وجموده فى مراحله الاخيرة ، وفى خلال فترة الجمود التي حلت بالعالم العربي الاسلامي ، وكان ابرز ما سيطر على فكر الامة العربية فى هذه المرحلة فقدان الثقة بالنفس والاحساس بالهوان وكانت الدعوة الى « التوحيد » علامة على اليقظة، ومعنى هذا ان يقظة الفكر العربي الاسلامي قد انبعثت من اعماقه وصدرت عن فهم صادق لضرورة استعادته دوره فى الصدارة ، وكانت تلك سنة الفكر العربي الاسلامي منذ فجره ، ينهض ويتحرك ثم تدخل اليه عوامل الانحراف ثم يستعيدكيانه ويجدد مفاهيمه، ويعاود الحركة .

* * *

ومن هنا كانت محاولة الغرب فى السيطرة على العالم الاسلامي والامة العربية ، مرة اخرى ، مزودا هذه المرة بسلاح جديد ، هو سلاح القضاء على مقومات الفكر العربي الاسلامي اساسا بوصفها القوة التي هزمته فى الحروب الصليبية وردته على اعقابه، ومن هنا كانت معركة الاسلام والثقافة العربية «اساسا» فى تأكيد سيطرته على العالم الاسلامي

والامة العربية وتثبيت قوائم سلطانه وامتداده .

وهدف « التغريب » فى تقدير دعاية هو « وحدة الثقافة العالمية » وهي عبارة خلابة المظهر ، براقة الصورة ، ولكنها تخفي فى اعماقها التعصب ضد الثقافات الانسانية وشبيهها ومحاولة صهرها فى بوتقة الثقافة الغربية ، وقد كانت « الثقافة العربية الاسلامية » التي تتميز بطابعها الواضح البارز المعالم اهم الثقافات التي حرص التغريب على تذويبها والقضاء عليها وقد يسمى التغريب بالدعوة الى التمدين والتحضير للامم المختلفة ، او رسالة الرجل الابيض الى العالم الملون ، ولكن الهدف الكامن فى اعماق الدعوة هو سوق الناس جميعا الى الولاء والعبودية لسيادة الفكر الغربي واحلال قيمه ومفاهيمه محل القيم الفكرية الثقافية التي يدين بها الشرق والعالم الاسلامي والعرب وافريقيا وهي قيم ومفاهيم تختلف فى جوهرها عن قيم الفكر الغربي ومفاهيمه ، وهناك عشرات من الايماءات الواضحة الدلالة سواء من الثقافة الفرنسية أو البريطانية أو غيرهما من ثقافات الفكر الغربي بشقيه .

والهدف من التغريب كما صوره دهاة الاستعمار والنفوذ الغربي يتمثل فى انشاء عقلية عامة تحتقر كل مقومات الحياة الاسلامية بل الشرقية ، وابعاد العناصر التي تمثل الثقافة الاسلامية عن مراكز التوجيه وبذلك يستغنى عن مواجهة الشعور الديني بالعداوة السافرة » ومن هنا كانت محاولة اثارة قضايا التشكيك وبعث اليأس واذاعة روح التصور والحيرة والقلق فى محاولة لدفع الفكر العربي المعاصر مجال التبعية والانقياد للروح الغربية ، والقضاء على المثل الاعلى للشخصية العربية الاسلامية ، وخلق جو من فقدان الثقة بقيم القرآن والاسلام واللغة العربية والتاريخ والتراث ، واحتقاره واثارة الشبهات حوله .

وقد حرص التغريب على القضاء اساسا على « الوحدة » : وحدة الفكر ووحدة الامة وتمزيق الشعوب والامم من خلال اثارة الدعوات القديمة المدفوعة ، واثارة الخلافات المذهبية والدينية والسياسية والفكرية والقبلية ، هذه الخلافات التي قضى عليها الفكر الاسلامي العربي فى (توحيد) المفاهيم والاذواق والمشاعر والعقليات . وكانت عبارات كل السياسيين الغربيين المعنيين ببقاء النفوذ الاجنبي تشير الى ضرورة ابقاء العرب والمسلمين بلا وزن ولا تأثير ، وذلك عن طريق القضاء على كل عوامل الوحدة او الالتقاء ومن هنا يقول القس سيمون ان الوحدة تجمع آمال الشعوب السمر ، وتساعدهم على التخلص من السيطرة الاوربية ، ولذلك كان التبشير عاملا مهما فى كسر شوكة هذه الحركة ، ذلك لان التبشير يعمل على سلب حركة الوحدة من عنصري القوة والتمركز اللذين هما فيها .

ومن هنا كانت الدعوة الدائبة على خلق الفوارق بين اجزاء الوطن العربي بمغايرة مناهج التعليم والثقافة ، وبالابقاء على الفوارق بين البدو والحضر ، وتعزيز اللهجات ، واثارة النزعات القبلية والمذهبية ، وقد اشار الى هذا المعنى (موريس برنو) حين قال: ظهر لي أن معظم الضعف فى الشرق منبعث من تخلفه فى مضمار تنظيم نفسه وتوحيد كلمته .

وقد اشار الدكتور كرستيان سنوك هرجزنج الهولندي الذي امضى سبعة عشر عاما فى الهند الشرقية الهولندية مستشارا لحكومة هولندا ، واستطاع ان يدرس قضايا الاسلام وتواجه مشاكل النفوذ الهولندي مع 35 مليونا من المسلمين فى (اندونيسا) . وساح فى البلاد الاسلامية خلال ربع قرن يراقب الحركات الاسلامية . قال : ان المبشرين ما يزالون يتوقعون انضمام كل الاديان اليهم ، أما بالنسبة للاسلام فلا تتحقق أحلامهم ؛ لان الدين الاسلامي سيظل دينا قويا نشيطا ؛ ذلك أن للاسلام شرائع تتعلق بالحياة فى كل اطوارها ، شخصية عمومية ، وفردية اجتماعية ، ومن الحق أن الاسلام فى القرن الماضي تعرى من استقلاله السياسي باعتداء الدول الاوربية عليه ، ونتج عن ذلك أن الاسلام اضطر ان يعدل آراءه واعماله ، وقد استنتج الباحثون أن القضايا المادية فى الاسلام ، تؤدي الى سقوط الاسلام نفسه ، ولكني لا اوافقهم على هذا الراي ، واذا كان الاسلام قادرا على احتمال ذلك التغيير ، فانه يقدر ان يطبق نفسه على قضايا الحياة الحديثة بطريقة يستطيع بها تابعوه أن يكونوا فى مقدمة الصفوف فى ارتقاء العالم ومدنيته والمسلمون لا يقصدون ان يغيروا دينهم وقد احتاطوا اعظم الاحتياط لهذا الامر الذي ادركه كل المبشرين المتنورين فى أرض الاسلام ، ولا اعتقد أن الدين الاسلامي يسقط امام الاديان الاخرى ، لان المسلم محتاط اشد الاحتياط لمقاومة النفوذ الغريب ؛ وقد يرى أن تدينه بدين سابق ، خطوة الى الوراء ، وقد تغلغلت الافكار الاوربية فى كل جهة من الاراضي الاسلامية ولكن لم يجد فيها الشعور

الغربي مركزا ، ولهذا اتجرأ على القول بأن المسلمين سيستمرون فى دينهم مهما اتخذوا من التهذيب والمدنية الغربيين ولا يمكن ان يقع انحطاط تدريجي فى الاسلام لانهتوجد بواعث خارجة تمنعهفالاسلام قوي لم يضعف، وقد قتلت فيه الانشقاقات الداخلية ، وزد على ذلك فان الاسلام يربح اكثر من غيره تابعين له من الوثنية » ومع هذا الراي الذي يبديه احد اقطاب حركة التغريب فان هذه الحركة لم توقف .

وقد استغلت حركة التغريب قوى التبشير والاستشراق والشعوبية لقتل المقومات التي تحاول أن تجاهد نفوذه أو تحطم قوائمه ، وقد اصطنعت فى هذه المعركة اساليب غاية فى المرونة والذكاء والمكر والدهاء والبراعة ، وكان لابد للقوى اليقظة أن تكشف هذه الاساليب وما ادت اليه من مؤامرات فى مجال تشكيك العرب والمسلمين فى دينهم وفكرهم ومعتقداتهم وتاريخهم ولغتهم ، واثارة الشبهات حولها جميعا ، وهي شبهات تتجدد مع الزمن ولا تنتهي ، وتصطبغ كل ساعة بلون جديد ، ولكنها فى صميمها تتمثل فى الشبهات الاساسية التي اثارها كرومر فى مصر وليوتي فى المغرب والتي رددها دائما زويمر ورينان ودنلوب وغيرهم .

وقد عني عشرات من اعلام الباحثين بدراسة هذه القضايا منفصلة خلال مراحل اثارتها ، ودراسة اخطاء المستشرقين وكتاب الغرب فى هذه المسألة او تلك ، غير ان هذه الشبهات والرد عليها لم تقدم كوحدة كاملة قبل هذه الدراسة .

ولقد كان النفوذ الاجنبي يفهم أنه يستطيع حين يطبق فى العالم الاسلامي والامة العربية منهج التغريب ان يجد فى ذلك وسيلة للقضاء على مقومات الفكر العربي الاسلامي ، غير أن الذي حدث كان عكس ذلك تماما ، فقد أفاد من ذلك الاحتكاك قوة ، وجدد نفسه واصطنع المناهج الحديثة فى ابراز معالمه ، واستطاع ان يبعث من اعماقه قوة قادرة على الحركة، ومن خلال النفوذ الاستعماري المسيطر عسكريا وثقافيا لم يتوقف الفكر العربي عن التجدد والحركة ، وكانت قضيته الكبرى هي الدفاع عن مقوماته ، ازاء تلك الحملة الضخمة التي وجهت اليه ، واستطاع فى نفس الوقت ان ينفتح على الفكر الانساني فيهضم ويسيغ منه ما يزيده قوة وحياة . ولقد كان من ابرز عوامل الغبن والعقوق فى الفكر الغربي أن اصر على انه ليس متصلا بالفكر الغربي وان الحضارة الغربية الحديثة التي برزت فى أوائل القرن الرابع عشر الميلادي انما كانت امتدادا للحضارة الرومانية التي هوت فى القرن الرابع الميلادي وان المرحلة بين الحضارتين قد اطلق عليها فترة القرون الوسطى المظلمة .

والحق ان فترة القرون الوسطى كانت فترة ظلام وانحطاط بالنسبة للغرب وحده اما بالنسبة للعالم الاسلامي فقد كانت مرحلة هامة فى التاريخ الانساني كله ، بظهور الاسلام وتوسعه فى خلال قرن واحد من الزمان من حدود الصين شرقا الى حدود فرنسا غربا . وزحفه على اوربا نفسها حتى كاد يطوقها لولا توقف هذا التمدن بمعركة بلاط الشهداء عام 732م.

فقد قام المسلمون والعرب فى ظلمات بربرية القرون الوسطى (الاوربية) باشعال مصباح الحضارة والمدنية ومن ثم برزت نهضة فكرية وحضارة امتدت الف عام . فقد كانت اوربا عبارة عن ابراج يسكنها سادة نصف متوحشين ، يفاخرون بأنهم اميون لا يقراون ولا يكتبون ، وطال عهد الجهالة فى اوربا ولم يبن منها بعض الميل للعلم الا فى القرن الحادي عشر ، وبعبارة اصح فى القرن الثاني عشر ، ثم طرقوا ابواب العرب يستهدونهم ما يحتاجون اليه(وهذه عبارة جوستاف لوبون) ، ولم يدخل العلم اوربا فى الحروب الصليبية بل دخل بواسطة الاندلس وصقلية وايطاليا وفى سنة 1130م (القرن الخامس الهجري) انشئت مدرسة للترجمة فى طليطلة اخذت تترجم الى اللاتينية اشهر مؤلفات العرب وعظم نجاح هذه الترجمات وعرف الغرب عالما جديدا ، والحق أنه « ما عرفت القرون الوسطى المدنية الا بعد أن مرت على لسان اتباع محمد » كما قال لوبون .

ومن القضايا التي بدا فيها الغبن والعقوق واضحا لمكانة الفكر العربي فى الحضارة الحديثة ، انكار فضل العرب والمسلمين على المنهج العلمي فى البحث الذي يقوم عليه الفكر الانساني اليوم ، والادعاء بأن هذا المنهج من ابتداع الفكر الغربي وحده ، والحقيقة المؤكدة ان العرب والمسلمين عرفوا المنهج العلمي وقدموه ووضعوا قواعده وأسسه وطبقوها تطبيقا منصفا فى كل ما اتصل بهم من قضايا الفكر ، وان الفكر العربي الاسلامي قد استمد هذا المنهج اساسا من القرآن الذي اصر على تقديم البرهان « قل هاتوا برهانكم » ومن ثم نشا فى مجال الفكر العربي ما يسمى بالبحث عن الدليل والنهي عن التقليد وعدم الثقة بالنص الا بعد مطابقته للعقل واقرار مصدره ، وقد وصل الفكر العربي الاسلامي فى ذلك الى غاية النضج والقوة ، وعندما ترجمت آثار اليونان

والاغريق – تفتحا من الفكر الاسلامي وقدرة على الاستيعاب والانتفاع بآثار الفكر الانساني – لم يأخذها المفكرون المسلمون قضايا مسلما بها ولكن ناقشوها وراجعوها وقبلوا منها ورفضوا ، ثم اضافوا اليها اضافات حية مهدت لفنون التطور التي بلغتها من بعد . ومن وثائق اعلام الفكر العربي الاسلامي : ابن الهيثم والبيروني والقاضي عياض وجابر بن حيان والجاحظ وابن حزم ، يتكشف هذا المعنى واضحا فى اكتمال منهج البحث العلمي على اساس : قصر البحث العلمي على المشاهدة والتجربة وجمع المشاهدات ونتائج التجربة وربطها وتبويبها ، وتمحيص هذه النتائج وربط تلك الحقائق على النحو الذي يجعلهاتصبح قانوناطبيعيا اونظرية علميةواستنباط النتائج التي تفضي اليها وبحث صحة تلك النتائج وتأكد مطابقتها للواقع .

* * *

وقد استطاع الفكر العربي الاسلامي الحديث فى مجال الدفاع عن مقوماته أن يؤكد هذه الحقائق ومن ثم فقد التزم بها بعض العلماء الغربيين المنصفين . ونبع تيار جديد من النظرة المحايدة والمنصفة للفكر العربي الاسلامي ، غير ان هذا التيار ما زال ضعيفا ، ازاء القوى الغازية الضخمة المتسلطة على الفكر العربي ، مؤيدة بسلطان النفوذ الاستعماري الذي كان يحاول ان يحقق هدفين :

1) انتزاع الفكر العربي الاسلامي من العالم الاسلامي والامة العربية وذلك بالتشكيك فيه واثارة الشبهات حوله كوسيلة لفرض منطق فكره ومقومات ثقافته ، وبذلك تسيطر الثقافة الغربية وتصهر فى بوتقتها مختلف الثقافات ، وفى مقدمتها الثقافة العربية الاسلامية التي تختلف اساسا فى جذورها ومقوماتها عن الثقافة الغربية المستمدة من الوثنية اليونانية والشريعة الرومانية والمسيحية الغربية .

2) محاولة اسقاط نفوذ الفكر العربي الاسلامي المستمد من القرآن والاسلام وحياة النبي محمد ، هذا النفوذ الذياستطاع فىخلال قرنمن الزمان بدافع من مقوماته أن يسيطر على عالم ضخم واسع ، وان هذا الفكر قادر على الانبعاث مرة اخرى فى جولة جديدة اذا عاد الى تمثل مفاهيمه الانسانية وقيمه الاصيلة والى التماس القوة العسكرية والصناعية وتمكينه من الحصول على مقومات التكنيك .

ومن هنا كان الخطر الذي يواجه الغرب والحضارة الغربية ، الذي توسع بالاستعمار وسيطر على اغلب مناطق العالم الاسلامي والامة العربية وامتص مقدراتها الاقتصادية ، وحاول أن يذيبها فى بوتقة النفوذ الغربي الفكري والاجتماعي ، هذا الخطر يتمثل فى قدرة الامة العربية التي هي القوة الصامدة للدفاع عن مقومات الفكر العربي الاسلامي وحمايته والكشف عنه ، كمقدمة لمرحلة تالية هي التعريف بهذا الفكر وهذه الثقافة كقوة دافعة للانسانية وتحريرها من الاستعباد والتفرقة العنصرية وبناء الكيان الانساني بناءا يجعله قادرا على حمل امانة الحضارة وانتزاعها من براثن الاباحة والتحلل ، وتحرير العقل الانساني من الالحاد والوثنية .

فى ظل المفاهيم تبدو اهمية مواجهة تحديات الاستعمار وشبهات التغريب فى مجال الاسلام والثقافة الغربية كوسيلة الى تحرير الفكر العربي الاسلامي ودفعه الى الامام ليكون قادرا على حمل امانة اليقظة والنهضة الثورية العربية التي تزدهر اليوم فى قلب الامة العربية ، وتمتد الى مختلف اجزائه بل وتتعداه الى اطراف العالم الاسلامي ، هذه النهضة التي تحمل لواء امانة الفكر العربي الاسلامي ومقوماته مع السيطرة على عوامل القوة العسكرية والصناعية والتكنيك ، لاقامة مجتمع جديد قادر على العمل لاعادة هذه الامة وهذه الثقافة الى مكانها الحق ، مكان الصدارة والتفاعل وتقديم جوهر الفكر العربي الاسلامي الى الانسانية .

الشعر العربي الأصيل

للاستاذ عبد الله يوركي حلاق

صاحب مجلة الضاد
وعضو لجنة الشعر فى المجلس الاعلى
(القاهرة)

الشعر صوت القلب ، ولسان العاطفة ، والرسول الوفي الامين ، الناطق بما يجيش فى حنايا الصدور من احاسيس ومشاعر ، وبما يختلج فى خبايا الضمائر من مطامح وافكار .

ولقد تعرض كثير من رجال الفكر والادب لتعريف الشعر ، فحددوا معناه ومبناه ، وبينوا مفاهيمه وقيمه ، وما يجب أن يكون عليه من وضوح واشراق ، ومن جزالة ومتانة وسمو فكرة ، كما عرفوا الشعراء تعريفاصادقا فقال شللي: الشعراءهم الكهنة الذين يتلقون وحيا خفيا . هم المرايا التي تعكس الظلال الماردة يلقيها المستقبل على الحاضر . وهم الالفاظ التي تفصح عما لا يفقه . هم الابواق التي تدعو للمعركة ولا تحس بما تلهبه فى النفوس من حماسة . هم القوة التي تحرك الاشياء ولا يحركها شيء . هم شراع العالم الذين لم يعترف بهم انسان .

ولن نحاول هنا ، ان نعدد كل ما قاله اولئك الرجال ، بل نقف عند كلمتين فى تعريف الشعر قالهما اثنان من كبار ادبائنا المحدثين ، ونعني بهما الكاتب اللبناني المعروف المغفور له كرم ملحم كرم والاستاذ محمد عبد الغني حسن شاعر الاهرام وعضو لجنتي الشعر والنثر فى المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب بالقاهرة . قال كرم رحمه الله من كلمة عنوانها «الشعر غناء» : « ما تمثلت الشاعر فى انشاده وابداعه الا تجلى لي الصدوح بتغريده الفاتن وشدوه الرخيم ، فكأنهما عديلان فى رسالة يؤديانها باريحية صادقة وسخاء مطبوع . وما الشعر الا غناء ، الا نبرات شجية ، انتفضت بها العاطفة فى ثورة لاهبة فانبسطت فى الآذان الرهاف ، تتلق منها الحس الواعي ، وتوقظ الهوى الدفين » .

ويمضي الاستاذ كرم فى تعريف الشعر ، فيبين ان الاوزان والقوافي مدينة للنغم ، بانبثاقها على رقراق ، وبنيانها على اهزوجة ، وان النغم جاد به شعور مضطرم ضاق به الصدر ، فانفرجت عنه شفتان تعينان على جلوه بمقدارما تفسحله موهبة الفن، وملكة الابداع .

اما شاعر الاهرام الاستاذ محمد عبد الغني حسن فقال ان « الشعر شعور » وراح يؤيد قوله بادلة قوية وبراهين لا تدحض .

فالشعر شعور ما فى ذلك ريب، والشعر موهبة سامية واحساس مرهف ونغم حلو وايقاع منسجم وفن جميل اصيل . وما كان ابو الفرج الاصبهاني عابثا — كما يقول كرم ملحم كرم — حين جمع الشاعر والمغني فى « اغانيه » فهذا حليف ذاك ، وفى الصوت الشجي من قوة البث والفتنة ، ما يعدل قصيدة مكتنزة اللحمة باهرة الاضواء .

وذكر المرحوم جرجي زيدان فى كتابه (آداب اللغة العربية) « ان الشعر والغناء من اصل واحد عند جميع الامم ، والشعر وضع اولا للتغني به وانشاده للالهة والملوك . فاليونان والرومان يقولون حتى الآن : (غنى شعرا) . وليس نظم شعرا . أو صنع شعرا. والعرب يقولون: انشد الشعر اي غناه. وقضى اليونان اجيالا لا يقولون الشعر الا انشادا . ولعل العرب كانوا كذلك فى اقدم احوالهم ، فنبغ منهم جماعة يغنون شعرهم كما فعل الاعشى قبل الاسلام . فقد كان ينظم الشعر ويغنيه ، ولذلك سموه صناجة العرب .

والذي نراه ، ان للحب اثرا بارزا ودورا مهما ، فى ايقاظ الشعور ، وشحذ القريحة ، وصقل المواهب ، وتفتيح العيون على آفاق الخلق والابتكار . فالحب للشاعر كالندى للازهار ، يغذيها وينعشها ويزيدها شذا وجمالا . ولاشك ان لكل شاعر عروسا توحي اليه الشعر ، فيستمد من الوجوه الوضيئة والقامات الرشيقة مادة غزلية تعرب عن وجده وهيامه .

ولا يستوحي الشاعر مادة الهامه من حب المراة فحسب ، ولكنه يستوحيها من حب الوطن وهو اشرف الحب ، ومن حب الطبيعة ، وحب العدل والاحسان ، وحب الكرامة والبطولة والفداء .

ولقد عرف الشعر منذ زمن بعيد ، وجرى على السنة العرب فى العصر الجاهلي . وكثيرا ما كان ينشده العربي عفو الخاطر فيجيء سليما بليغا رغم بساطته .

ومن الامثلة على ذلك ، ان اعرابيا ركب بعيره وقصد خباء محبوبته . ولما ترجل ودخل الخباء اقترب البعير من ناقة الحبيبة وبدا وكأنه يداعبها فنظر اليهما الاعرابي وقال على البديهة :

واحبها وتحبني ويحب ناقتها بعيري

وقد ابدع شعراء الجاهلية فى صوغ الشعر فقال عنترة فى معلقته مخاطبا ابنة عمه عبلة :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل
منى وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها
لمعت كبارق ثغرك المتبسم

وقال فيها ايضا :

احبك يا ظلوم فانت عندي
مكان الروح فى جسد الجبان
واني لا اقول مكان روحي
اخاف عليك بادرة الطعان

أما قيس بن الملوح الملقب بمجنون ليلى ، فقد عاش فى العصر الاموي وقال اجمل اشعار الحب فاسمعه يخاطب قلبه بهذين البيتين اللذين يعدهما كثير من الناقدين اروع ما قيل فى الغزل :

اليس وعدتني يا قلب انى
اذا ما تبت عن ليلى تتوب
فها انا تائب عن حب ليلى
فما لك كلما ذكرت تذوب

وعندما حرمت عليه ليلى ، هام على وجهه فى الصحراء . وهناك لقي غزالة طوقها بذراعيه وخاطبها بقوله :

وعيناك عيناها وجيدك جيدها
ولكن عظم الساق منك دقيق

وللعرب قصائد خالدة فى الوصف والفخر والحماسة والغزل والشكوى والعتاب والرثاء جرت على السنة كثير من شعرائنا الاقدمين ، صحيحة موزونة قبل أن يستنبط الخليل بن احمد الفراهيدي علم العروض وتعد المعلقات فى طليعة هذه القصائد الباقية على الزمن .

وجاء الخليل ، وقضى حياته فى داب ونصب ، حتى تمكن من وضع علم العروض ، على قواعد ثابتة، واصول متكاملة ، تصونه من العبث ، وتبعده عن الاضطراب ، وتبقيه لمواكب الاجيال العربية القادمة ، مقياسا دقيقا يجنب طلابه الزلل والخطأ ، ويساعدهم على صوغ مشاعرهم ، وفق وحدة موسيقية متناسقة الجرس والايقاع .

وذهب الخليل ، وبقي علم العروض اساسا بني عليه كبار شعراء العرب خرائدهم وابكارهم ، لا يعيبونه ، ولا يشذون عنه ، ولا يخرجون على احكامه ، ولا يفكرون فى ايجاد طريقة جديدة تقوم مقامه ، ليقينهم ان طريقة الخليل ، هي الطريقة المثلى ، وان قيثارته صالحة لكل زمان ، وقادرة على التعبير بصدقويسروانسجام، عنكل ما يجول فىالذهن من افكار وخواطر ، وعن كل ما يكنه القلب من احاسيس وخلجات وانفعالات .

بيد أن فئة من حملة الاقلام عندنا ، يرون غير هذا الرأي ، ويدعون الى التحرر من ضوابط هذا العلم ومقاييسه، زاعمينان هذهالضوابطوالمقاييس،تقيدالفكر، وتغل العواطف ، وتحد من طاقة الخيال على التحليق فى آفاق التجديد والابتكار . ولهذا طلعوا علينا ببدعة « الشعر المنثور » .

وهب بعض الغيارى على العلم واللغة ، يناهضون هذه البدعة الدخيلة على الفصحى ، ويحضون على التمسك بعمود الشعر ، ويثبتون بالف دليل قاطع ، ان الشعر المتنكر للوزن والقافية لا يعد شعرا وانما هو كلمات رصف بعضها بجانب بعضها الآخر ، رصفا متباينا متنافرا . وفى مقدور راصفي هذه الكلمات ، ان يضعوا بينها ما يشاءون من

نقاط وعلامات تعجب واستفهام ، وان يطلقوا عليها ما يحبون من أسماء اما الشعر بمفهومه الصحيح ، وبديباجته المشرقة ، وبنغمته الموسيقية المتلائمة ، فهو بعيد عنها ، وبراء منها .

وكأني بأصحاب تلك البدعة ، قد تضعضعوا وتراجعوا امام صيحات الحق والمنطق ، فعادوا الى توقعتهم ، وانطووا على أنفسهم فيها ، ولم نعد نلمس لهم نشاطا يذكر ، في ميدان نثرهم الذي يأبون الا ان يسموه شعرا .

وما كادت تنحسر تلك الموجة عن الشعر العربي الاصيل ، حتى رأينا موجة غريبة ثانية ، تتلاطم على صخور ادبنا المعاصر ، ثم تتكسر وترتد الى شاطئه اللامتناهي ، وتتلاشى على رماله الذهبية تماما كما تلاشت موجة اللغة العامية ، التي نادى باستعمالها بدلا من الفصحى ، عدد من المبشرين باليسر والسهولة ، والنافرين من كل صعب وعسير .. على حد تعبيرهم .

لقد طلع علينا احد المتحذلقين المغالين في التجديد ، بنظرية غريبة عجيبة لتعلم الشعر ونظمه تذهب الى ان علم العروض بأسلوبه القديم ، وقواعده المعقد ، ينفر طالبيه ويبعدهم عن حظيرته ويحدوهم الى التخلي عن دراسته ، وفي انفسهم غصص تمتد من زيد الى عبيد ، ثم لا تلبث ان تصبح عقدة مستحكمة متوارثة تنتقل بالممارسة الوجدانية . حتى تصل الى المدرس ، والى واضع كتاب العروض .

ويمضي هذا المتحذلق المجدد في حملته ، فيضع الخليل ابن احمد الفراهيدي على المشرحة ويحمل المبضع بيد ، والمعول بيد، محاولا أن يجري لعروضه عملية جراحية ، يستأصل فيها الزحافات والعلل وكل ما يقع تحت بصره من زوائد لا حاجة لها في ذمته واعتقاده ، وان يدك بعد ذلك ، كثيرا من المفاهيم العروضية ، ليقينه ان عروض الخليل ضيقة الافق ، تجنح الى التوصيل والترقيع ، وتغرق في التعقيدات الشكلية المصطنعة .

واخيرا ، وبعد ان يقسو على الخليل ، ويغالي في ذم عروضه ، يقول : ان الحل الوحيد في تجنب المزالق الخليلية ، يكمن في اعتبار التفعيلة اساسا في البناء الشعري ، فبذلك يصبح في مقدور الناس أن يبتدعوا العشرات والعشرات من البحور الاخرى من النمط العمودي وغير العمودي ..

هذه طريقة بعض دعاة التجديد ، وهي طريقة عقيمة سقيمة تخالف العلم والذوق والمنطق وتجعل كل متأدب ينظم على هواه ، ومتى نظم المرء على هواه ، اضطرب الشعر ، وصار الامر فوضى ..

مسخوا الشعر ثم قالوا جديد
اجديد يا ويحكم وهو رث
الجديد المعنى وليس جديدا
ذلك المنطق الخسيس الغث

والذي نراه ، ان الشعر الجدير بهذا الاسم ، هو الشعر الحافل بالابداع والعاطفة والمستند الى عمود الشعر والى قواعد اللغة ، وانه ليس في الشعر قديم وحديث ، بل هو شعر اولا شعر . فالمتنبي لا يزال اعظم شعرائنا واكثرهم ابداعا رغم مرور الف سنة على وفاته . وكذلك نستطيع ان نقول عن البحتري وابي تمام وابي فراس الحمداني وعن كثير من شعرائنا القدامى والمحدثين .

وفي الموسوعة البريطانية التي صدرت في عام 1961 فصل مسهب عن الوزن ، وفصل آخر عن القافية ومما جاء في هذين الفصلين قولها : « ان قوانين القافية قد تصعب احيانا كغيرها من القيود الفنية ولكنه ما من دليل قط على ان الجمال المطبوع الذي تجلبه القافية الى الشعر يفقد اثره على الاذن الانسانية او يتعرض لخطر من الاخطار ممن يحاول أن يستبدل به النبرات او النغمات أو مجرد الايقاع » .

ويقول الشاعر اليوت « انه لشاعر رديء ذلك الذي يرحب بالشعر المرسل ويحسبه انطلاقا من النظم » .

وحين تصدى شاعر عبقر الاستاذ شفيق معلوف لمعالجة الادب الجديد ، اشار الى أن طائفة من الادباء الحديثين تأثروا بالاساليب الانكلو — امريكية التجديدية كالصورية IMAGIST والشعر الحر ، كما أنهم تأثروا بالمدرسة الفرنسية السريالية التي رفع علمها سنة 1924 اندريه بريتون ، والتي تمت بما فيها من غرابة وتجهم وشذوذ وانحراف عن المنطق ، الى الشعراء جيرار ده نرفال ، ورامبو ، ولتريامون وابو لينير وشعراء المدرسة الرادية .

واستطرد شاعر عبقر قائلا : من هذا الخليط المتارجح بين الرمزية والسريالية ، انبثق انصار الحديث ، هدفهم نشر الشعر الحر ، وتطويع الشعر العربي للاغراض المحدثة ، والخروج بأساليبه على

النمط التقليدي ، فسلكوا بذلك سبلا غريبة على اللسان العربي ، لم يعهد مثلها تاريخنا الادبي فى الشذوذ والانحراف عن قابلية الشعوب العربية ومفاهيمها .

وسئل الاستاذ رشيد سليم الخوري الملقب بالشاعر القروي عن رايه فى هذا النوع من الشعر فاجاب :

هذا الشعر الذي يروجون له اليوم ، ان هو الا صورة خنافسية ، بيتلزية مشوهة للنفس السوية . ولسوء الحظ نرى ان هذه الاقيسة الغربية المسيخة تد المت بسائر الفنون الجميلة من موسيقى ورسم ورقص ، حتى لا يسع متبني البنية الروحية والعقلية الذين لم تزلزلهم الكوارث ، الا ان يقفوا موقف المتفرج من هذه المساخر يضحكون حينا ويتجهمون طورا ويبكون تارة .

ثم يقول الشاعر القروي : ان الشاعر الاصيل يعجبك شعره بأي شكل عروضي صحيح جاء . أما الشويعر الفضولي المتطفل ، فمهما تفنن فى اشكال كؤوسه واقداحه ، لا يمكنه ان يناولك الا ما هو شبيه بزيت الخروع واضرابه من الاشربة » .

وفى دراسة ممتعة عن الشعر يقول شاعر الاهرام الاستاذ محمد عبد الغني حسن : ان الشعر العربي الاصيل ، مما لا يسيغه الذين يجدون الماء الزلال مرا فى افواههم .

وعندما يتحدثون عن المدرسة الشعرية التي يسميها الناس : مدرسة شعراء الديباجة والصياغة يقول : « ومتى كانت الديباجة المشرقة ، والصياغة الانيقة المونقة عيبا فى الشعر ، ونقصا فى الشاعر ، الا فى زمان احتفل الناس فيه بالركاكة وانشغلوا بالتفاهة وهبطوا الى درك العجز عن التعبير الناصع الوضيء؟

اننا نقرا فى الشعر الذي يسمونه جديدا ، او مجددا ، كلاما مرصوصا على غير طريقة ، مخطوطا على غير خطة ، لا تجد له النفس طعما سائغا ، ولا معنى واضحا ، ولا بيتا يؤثر ، ولا شطرة تحفظ ، ولا مثلا يسير ، كأنه ولد ليكون ميتا ، او تقذف به من بطن قائله ليكون موءودا . ولو انك تساءلت : بأي ذنب قتل هذا الموءود ، لجاءك الجواب حاضرا بأنه قتل بيد صاحبه ...

فلا مرحبا بشعر لا يدرى اذا كان نظما أم نثرا ولا يعرف — على سبيل اليقين — اذا كان غثاء نفس ، ام هذيان حس ؟

ومرحبا — والف مرحبا — بشعر تقرؤه فتجده سوي الطبع ، مستقيم البناء ، شريف المعنى وضيء العبارة ، دفاق الشعور . ..

وبعد هذا الوصف ، ينتهي شاعر الاهرام ، الى تحديد معنى مدرسة شعراء الديباجة والصياغة فيقول : هي المدرسة التي لا ارضى فى الشعر عنها بديلا ، وهي المدرسة التي وصلت ما بين ماضي الشعر العربي وحاضره ، لانها تأخذ اروع ما فى القديم. واصح ما فى الحديث واعقله وارصنه ، وتخرج من ذلك شعرا لا هو بالقديم المقلد ، ولا هو بالجديدالمتهور ولكنه مزاج معتدل . فيه الفكر الجديد بطرافته وفيه القديم بعراقته .

وفى مهرجان الشعر الدوري الثالث الذي اقيم فى دمشق ، ابتداء من يوم السبت 23 ايلول 1961 الى يوم الاربعاء 27 من الشهر نفسه تصدى كثير من الشعراء والخطباء للشعر المطلق والمرسل فقال بعضهم انه نثر مخلع على السطور ، وقال بعضهم الآخر :

انه كلام عادي ، لا يستطاع ان يسمى شعرا ، لخلوه من الوحدة الموسيقية والايقاع الفني ، ولبعده عن عمود الشعر المرتكز على الوزن والقافية .

وكان اولمن اثار هذاالموضوعوتعرض للخارجينعلى التفعيلات والقوافي هو الشاعر الكبير الاستاذ صالح جودت فاسمعه يخاطب البحتري برائيته الرائعة :

نرد زمانك يا « بحتري
ونعلي مكانك يا منبر
ونتلو من الشعر ما يستطاب
ونسمع منه الذي يسكر
ونحمي القريض من العابثين
به : ونقدس ما اهدروا
يقولون جاءوا بشعر جديد
يجب القديم الذي نكبر
تفاعيله يزدريها الاطار
ومبناه تنكره الابحر
اجل ، ليس يوزن سقط الحجارة
بل يوزن الدر والجوهر
وما الشطرتان سوى المقلتين
وفاقد احداهما اعور

وقام اصحاب الموجة الجديدة ، او الشعراء المجددون ، كما يطيب لهم ان يسموا انفسهم ، قاموا يسفهون هذا الراي ، ويعلنون ان الشعر يجب ان يكون حرا طليقا ، لا يتقيد بوزن ، ولا يرتبط بقافية ،

فالمهم ان يعبر الشاعر عما يريد أن يعبر عنه من عواطف وخلجات وانفعالات وان يلبس المعنى الثوب اللفظي الذي يختاره له بدون أن يعتمد على قاعدة عروضية ، أو يسلك الطريق الذي سلكه تلاميذ الخليل ، منذصدر الاسلام الى اليوم .

وثار النقاش بين الفريقين ، واحتدم الجدل . وكثر الاخذ والرد ، وامتلأت اعمدةالصحف بآراء المؤيدين والمعارضين ، ووقف كبار شعراء المهرجان فى الصف القائل بضرورة المحافظة على عمود الشعر واورد كل منهم براهين قوية تثبت ان الشعر المتنكر للوزن والقافية ، لا يعد شعرا ، وانما هو مجرد كلمات رصف بعضها بجانب بعضها الآخر رصفا متباينا متنافرا، وفى مقدور راصفيهذه الكلمات، ان يطلقوا عليها ما يشاءون من اسماء . اما الشعر بديباجته المشرقة ، ونغمته الموسيقية العذبة المتناسقة فهو بعيد عنها ، وبراء منها .

ونحب أن نورد على هذه الصفحات ، بعض ما قاله شعراء المهرجان فى هذا الصدد ، ثم نبين رأينا بوضوح واخلاص . فقد سألت جريدة « الايام » شاعر الشباب الاستاذ عادل الغضبان عن رايه فى حركة الشعر الجديد فأجاب : « يخيل الي انه لو بعث الخليل بن احمد ، لكان اول الغاضبين من حركة الشعر الجديد . فبعض هذا الشعر فى تفعيلاته المتنافرة ، قد خرج عن قطب الدائرة الذي وضعه الخليل ، تلك الدائرة التي تجعل من ائتلاف التفعيلات فى البحر الواحد ، وحدة موسيقية ملتفة الجرس والايقاع » .

ووجه السؤال نفسه الى الشاعر الكبير الاستاذ محمود غنيم فقال لسائله : « ان كنت تريد بالتجديد ، الخلق ، والابداع ، ومسايرة العصر الذي نعيش فيه، مع المحافظة على عمود الشعر ، فان هذا امر من اوجب الواجبات . والشعر ما لم يتوفر فيه عنصر التجديد ، فهو غث قديم بال ، يسمعه النائم فلا يستيقظ ، ويسمعه الصاحي فينام . واما ان كنت تريد بالتجديد ، هذا الذي تطالعنا به الصحف احيانا ، مما يسميه اصحابه شعرا وهو غير معتمد على وزن او قافية ، فاسمح لي الا اشاركك او اشارك اصحابه فى اطلاق اسم الشعر عليه ، ان هذا الذي تعنيه ضرب من الكلام ، فان جادت اخيلته ، ونبضت صوره بالحياة ، فهو بالنثر الفني اشبه . وان لم يكن كذلك، فلك ان تسميه لغوا او عبثا أو هذرا . وعندي ان هذا الشعر يوؤد يوم يولد » .

وحين سئل الشاعر الاستاذ حامد حسن ، عن رايه فى هذه الحركة الشعرية الجديدة اجاب : « لا اسمي هذه الظاهرة حركة جديدة ، وانما من باب الدقة فى التعبير ، وتسمية الاشياء بأسمائها ، يجب أن ندعوها بالمؤامرة الجديدة على الشعر العربي والاسلوب العربي والامة العربية . فأي ادب ، واي حركة فى هذه الكلمات الحائرة المتفككة ، التي لا يربطها رابط من وزن ، او قافية ، او فكرة او موسيقى ؟ ما اسهل الشعر على طريقة هؤلاء وأبسطه ؟ انه لا يكلف اي جهد ولا اية مشقة . انه مجرد كلمات فارغة ليس الا » .

وعندنا ان الشعر الحقيقي الرصين ، يحتاج الى مقومات لا غنى له عنها ، واهم هذه المقومات هي الروح الشاعرية المستقرة فى هيكل لفظي متكامل البنيان . ولكي يكون الهيكل متينا ثابتا ، لابد من قيامه على اساس متين راسخ يصونه من العبث والضياع، ويبقيه لمواكب الاجيال القادمة على جدته وروائه. وهذا الاساس انما هو الوزن الذي يضع كل كلمة فى الموضع الملائم للمعنى ، تماما كما يضع الجوهري الماهر ، الحجرة الكريمة فى المكان المعد لها من العقد الثمين .

وما يقال عن الوزن ، يقال عن القافية . فللقافية وقعها الموسيقي فى اذن السامع ، واثرها العميق فى نفسه وحسه . والمقطوعة الخالية من الوزن والقافية ، تعتبر مقطوعة شعرية ، لانها لم تبن على الاساس الذي بنيت عليه جميع قصائد الشعراء المتفوقين من قدامى ومحدثين .

ونحن حين نقول ذلك ، لا نزعم ان الالفاظ المقفاة الموزونة هي الشعر بمعناه ومبناه ، ولكننا نعود فنؤكد ، ان للعاطفة والالهام ، اعظم الاثر فى القصيدة ، فهما من هذه الناحية بمثابة الروح للجسد ، الذي يجب ان يكون سليما قويا متناسق الاعضاء .

بقي أن نبين ، ان الشعر الجديد فى نظرنا ، هو الشعر الحافل بالمعاني الجديدة ، وبالصور المبتكرة ، ولو تنوعت فيه التفعيلات وتعددت القوافي . وقديما استنبط شعراء الاندلس الموشحات ، وتفننوا فى سبك الالفاظ وابداع المعاني وتنويع البحور . وقد استقبل العرب نتاجهم بالاكبار والاعجاب ، لان اولئك الشعراء لم يخالفوا قواعد العروض ، ولا محوا ما رسمه الاقدمون ، بل نهجوا النهج اللغوي الفني السوي ، وطلعوا على الفصحى ، بآيات بينات فيها الوان زاهية

خلابة ، من الوصف الصادق ، والغزل الرقيق ، والشوق الملح ، والحنين الفياض ، ، والحماسة القومية ، والفخر النابض بالعزة والكرامة . فكانوا رواد التجديد الشائق المستحب ، يوم كان العالم الغربي تائها في أدغال الامية والجهالة المطبقة .

والحق ، ان الوزن للاسماع بمثابة النور للابصار . اما كثرة التفعيلات ، أو تبديلها ، أو اختراع ما يشبهها ، او الاستغناء عنها ، كل هذه الامور ، لا ترهف حسا ، ولا تولد افكارا ، ولا تخلق شعرا ، فالشعر موهبة يصقلها العلم ، وتغذيها الممارسة ، وتزيدها تجارب الحياة قوة وابداعا ، وفي وسع الشاعر الموهوب ، ان يعزف على قيثارة الشعر العربي المؤلفة من ستة عشر وترا ، ما يطيب له من نغمات عذبة والحان ساحرة اخاذة .

على هذه القيثارة المحكمة الصنع ، الرخيمة الصوت ، ذات الاوتار الطيعة الخيرة التي استنبطها الخليل ، عزف ابو الطيب المتنبي وابو العلاء المعري ، وابو ماضي ، وشوقي وحافظ ومطران والشاعر القروي وفرحات وغيرهم من عباقرة القريض فاطربوا الزمان ، وارضوا العروبة ، وضمنوا الخلود .

ولسنا نشك بانه سيعزف على هذه القيثارة نفسها ، كل من يجيء بعدنا من شعراء يحرصون على تدسية علم لم يأت اعتباطا ، ولم يرتجل ارتجالا ، وانما جاء نتيجة تفكير عميق ، وحساب دقيق ، ودراسات طويلة ، وتجارب ناجحة ، ولهذا بقي منذ اكثر من الف عام على جدته وروائه ، وسيبقى الى الابد ، كقرص الشمس المتالق في علياء السماء ، لا تطفئه ريح ، ولا يؤثر فيه نقد، ولا تقوى على اخفاء جماله يدان .

فعلينا اذن ، ان نحرص على تراثنا الادبي ، حرصنا على اقدس مقدساتنا ، وان نحتفظ بأساليب شعرنا الاصيل الجميل النبيل ، وان ننأى به عن مواطن الضعف والركاكة والاسفاف ، وعن هذه البذعة الدخيلة التي يروج لها بعض المتشاعرين ، الذين يريدون ان يخالفوا ليعرفوا والسلام .

معركة الفصحى والعامية في الصين

توحيد اللهجات الاقليمية لمواكبة الركب العلمي

للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله

بعد اقتبال رئيس الاكاديمية العلمية الصينية للسيد الامين العام للمكتب الدائم للتعريب خلال رحلته الى الصين الشعبية فى العام الماضي انعقدت جلسات عمل مع اعضاء فى الاكاديمية الصينية لدرس المناهج والاساليب التي يسلكها اللغويون الصينيون لحل مشاكل اللغة والكتابة والحروف وتوحيد اللهجات الجهوية وتحقيق التوازي بين اللغة الصينية الحديثة واللغات العلمية المعاصرة وقد طلبنا من السيد الامين العام الافضاء بارتساماته حول هذا العمل الضخم فقال :

ان ابتداء اللغة الكتابية الصينية يرجع تاريخه الى ما بين الفين وثلاثة آلاف من السنين والغاية التي يستهدفها علماء اللغة الآن والتي ينكبون منذ نحو اربعة عقود من السنين على انجازها هي توحيد اللهجات ومفرداتها والقواعد النحوية وتمكينها من مواكبة ركب الحضارة . ومعلوم ان الفصحى الصينية انبثقت عن العامية بعكس ما وقع للغة العربية وكان لغويو الصين قد طالبوا منذ نحو مائة سنة بالاستعاضة عن العامية وتوحيد اساليبها فلم يتأت للمشروع ان يحقق الا ابتداء من عام 1919 حيث شرع فى وضع اسس اللغة الحديثة على اساس اللهجات الدارجة وكان الضابط الاساسي لهذه العملية هو ضمان التقارب والتواكب بين لغة العلماء ولهجات الشعب فالعاميات كانت مختلفة تبعا لاختلاف القوميات البالغ عددها خمسين (عددها السياسي لا يتجاوز احدى وعشرين قومية) .

وقد تكونت اللغة الصينية الحديثة من ثلاثة عناصر : الكتابة القديمة والعامية المستعملة واللغة الدخيلة وعناصرها الضئيلة تستمد من اليابانية والانجليزية والفرنسية والالمانية والروسية بسبب تعاقب التأثيرات الاستعمارية على هذه المنطقة فى مختلف العصور وقد دخلت الى الصينية الفاظ عربية عن طريق الانجليزية مثل اريكة وصافا اي متكأ من الصوف Sofa (1) بينما اثرت الهندية عن طريق النحلة البوذية .

وقد انطبعت مسطرة العمل بطابع شيوعي تجلى فى منهاج التوحيد المكون من ثلاثة مقومات .

1) مقاومة النظام الرجعي فى تطوير اللغة بتركيز كل تطوير على الوعي الوحدوي الجماهيري

2) توحيد اللغة على اساس التقريب بين الجماهير وتوحيد الثقافات الاقليمية .

3) اتخاذ اللهجات المحلية وخاصة الشمالية اساسا للفصحى مع اقتباس اصول النحو مما وضعه العلماء المحدثون فى كتاباتهم بعد الثورة كمقالات ماوتسي تونغ المختارة .

---

(1) بالاضافة الى التأثير العربي عن طريق التجار المسلمين الذين اثروا فى المجتمع الصيني عامة وفى الاوساط الصينية الاسلامية خاصة .

وقد تحقق الان تعميم عناصر اللغة الحديثة باستقصاء دراسة العاميات القومية للبحث عن ضابط التقريب بين الدارجة والفصحى فصدرت بحوث في النحو والبلاغة وخاصة المصطلحات التي يتبلور اختيارها في وضع معجم في شكل اداة طيعة بيد الشعب .

المعجم الصيني الموحد

وخلال الجلسات التي عقدناها في الاكاديمية قدم عضوان في بعض المراكز المجمعية احدهما وهو الاستاذ ليوجيان Liu Jian بحثا حول اللغة الصينية والآخر وهو الاستاذ موهان Mou Heng عرضا حول المعجم مع الاجابة عن كل الاسئلة والملاحظات التي كنا نبديها بين الفينة والاخرى : ونحن نلخص هذين العرضين فيما يلي :

ان وضع معجم صيني يثير مشاكل معقدة تندرج في ثلاثة اقسام :

1) سبب تاليف المعجم الموحد هو تطوير اللغة ضمن الاصلاح الثقافي العام استجابة لمقتضيات الوحدة الثقافية بين عناصر الشعب الصيني فالوحدة يجب أن تتم طبقا للوازم العصر ومقتضياته وللاوضاع المتجددة في الصين في حقل الاشتراكية والعلوم والتكنولوجيةالعصرية مماضاعفالمفردات الحديثة وابطل استعمال مصطلحات قديمة، نعم تتوفر اللغة الصينية على مفردات غزيرة غير انها لا تستجيب لمطالب المجتمع الجديد فلذلك استعيرت مفردات قديمة صالحة وتولدت اخرى حديثة اصبح الشعب يستعملها في مجال التقنيات فتنوعت بذلك معطيات الفصحى الصينية بترجمة مصطلحات التكنولوجية الغربية الحديثة مثل بينيسيلين Penicilline اصبحت تسمى تشين مي سو ومعناها عنصر القضاء على السم والالتهاب وهناك طريق ثان هو نصف ترجمة معنوية ونصف لفظية مثل tracteur بالفرنسية او tora بالروسية صارت طورا — تي Tora-ti اي ماكينة .

2) العامل الثاني لتركيز اللغة هو النهوض بالثقافة الاشتراكية على ضوء النهضة الاقتصادية القائمة ونظرا لكثرة الحروف لم يمكن طبع معجم مرتب عليها لهذا رتب معجم جديد على خطوط الكلمة وقد طبع عام 1955 باسم « قاموس الصين الجديدة» في 7000كلمة في جزء واحد مبسط يجعل في متناول الطلبة والبحاثين والعمال ، وقد وقع العدول عن الخطوط للاستعاضة عنها بحروف الفبائية وعددها خمسة وعشرون حرفا (في اللغة الصينية 3000 من الخطوط الاساسية اي اول الكلمات المفردة)

ومعلوم ان طريقة الخط هي عبارة عن الرسوم الصينية الحرفية التي سيستعاض عنها بالحروف اللاتينية .

3) توحيد اللغة وتعميم الفصحى الحديثة

مسطرة تاليف المعجم :

وقع الشروع في تاليف المعجم الجديد عام 1955 (بينما يرجع تاريخ اصدار المعجم القديم الى عام 1927) بعنوان « معجم مفردات اللغة الصينية الحديثة » تحت اشراف مكتب تحرير المعجم التابع لكلية بحوث اللغة الصينية الملحقة باكاديمية العلوم الصينية وهو معجم وسيط اساس مصطلحاته اللغة الفصحى الحديثة وهو خاص بالابتدائي والثانوي :

1) الكلمات وهي مجموعة خطوط ليس لها معنى خاص ، فالخط المرسوم هكذا : 人 معناه الشعب ولكن.معناه العام هو الانسان في اللغة القديمة وقد احتفظ به .

2) المفردات : تقتبس من نشرات وكتب حركة التحرير وخاصة مصنفات ماوتسي تونغ في المستوى المتوسط فقط ولاختيار هذه المفردات ضابطان اثنان يرجع احدهما لتاثير الافكار البروليتارية السياسية الحالية التي هي مظهر للملامح الطبقية مثل الكومونات الشعبية Communes rurales والقفزة الكبرى والفرق الانتاجية والاخرى لفضح النظام القديم بدافع اختيار نقدي على ضوء افكار ماوتسي تونغ فلهذا حمل اللغويون على « قاموس اللغة الوطنية » الذي صدر عام 1933 بدعوى امتلائه بالفاظ مقتبسة من نظام تشانغ كاي شيك لا يوجد من بينها كلمات مثل المقاومة والانقاذ الوطني فمقياس توحيد اللغة يكمن اذن في نظر اللغويين الصينين المعاصرين فيما يجب ان تعكسه المفردات الجديدة من روح زمنية اي منبثقة عن مبادىء ماوتسي تونغ وعلى هذا الاساس وحده يتم انتقاء المصطلحات والامثال السائرة في العاميات الحديثة وكذلك الجمل التي يضاف اليها شرح للالفاظ الدخيلة المختارة .

والعمل التنسيقي الحالي يسير على نهج محكم ففي عام 1956 تاسس مكتب التحرير لتعميم الفصحى المشتركة يشتغل فيه نحو ستة عشر شابا جامعيا

مع عدد قليل من الخبراء القدامى الذين سبق ان ساهموا في وضع المعجم الاول وهناك ايضا خبراء لكل مادة يقومون باختيار ما يتصل باختصاصهم وكلهم طلاب يتخصصون في اللغة بكلية الاداب ويتلقون تكوينا فنيا دقيقا للاضطلاع بمهمتهم ويقوم هؤلاء المتدربون باختيار المواد الاولية المستعملة من :

أ) المصادر الادبية وخاصة المقالات والابحاث النموذجية الاشتراكية .

ب) مواد العلوم الاجتماعية مثل كتب مدرسية ابتدائية وثانوية وقراءات مبسطة .

ج) معارف تكنولوجية .

اما المواد الثانوية فيقتبسونها من المعاجم القديمة كقاموس اللغة الجديدة المطبوع اول عهد التحرير بالاضافة الى المواد الحية المأخوذة من اعماق جماهير الشعب ومن حياته اليومية وعاداته وميوله ومفاهيمه وتعابيره التلقائية عنها .

وقد انيط هذا العمل الضخم بثلاث فرق جمعت خلال عام واحد 700 000 جزازة (اي بطاقة) اساسية ثم خلال عشر السنوات التالية الى عام 1966 جردت 900 000 جزازة اضافية من المقالات الصحفية والمجلات .

اما اختيار المفردات فانه عملية معقدة تتطلب تحليلا علميا للمفيد وغير المفيد وقد اختير خمسون الف مفرد من سبعمائة الف ثم نتج عن فحص ثان ادق انتقاء ثلاثة آلاف مصطلح اضيف اليها ستة آلاف اختيرت من التسعمائة الف وهذه الارقام تقريبية .

ولا يتم الاختيار للمصطلحات الاصلح الا بعد جدال عنيف بين الاعضاء الذين ينتمون لمختلف الاقاليم والقوميات ويمثلون مختلف الاتجاهات وذلك حول مقاييس الاختيار اي موضوعيته او الى الانسياق مع الايديولوجية البروليتارية كمقياس للحكم للفظ او عليه غير ان الاتجاه العام السائد هو ضرورة انعكاس السياسة الاشتراكية والمفاهيم الايديولوجية في تركيز الثقافة الجديدة عن طريق مصطلحات جديدة فالمصطلح المختار وتعريفه يتاثران بمقتضيات المجتمع الطبقي القائم فالروح مثلا تعرف بأنها كلمة خرافية وبأن رسالة الماركسية التي لا تومن بالاله هي فضح خرافة الروح وتداسة الاديان .

وهاك مثلين آخرين للتدليل على مدى تاثر اللغة وتطويرها بالعامل السياسي ذلك ان ملاك الاراضي الذين عرفهم القاموس الوطني القديم بأنهم مالكون للارض يؤجرون فدادينهم للفلاحين في مقابل صاروا يعرفون الان بأنهم مالكون لا يشتغلون وانما يعيشون على حساب الفلاحين .

وللتعبير عن الموت مثلا يقال الوفاة وهي موت المحترم سياسيا في حين ان الموت يعبر بها عن وفاة المحتقرين من خصوم الاشتراكية .

فاللفظ اصبح محط انعكاس لا للمفهوم العلمي او التاريخي او الحضاري وانما هو مرآة الاتجاه الايديولوجي الجديد .

ويستند اللغويون خاصة على ما يسمونه بحكمة الجماهير فالكلمة الاخيرة هي نظريا للشعب في اختيار اللفظ الصالح .

وهنالك لجنة للتبادل مكونة من ثلاثة اعضاء تختارهم اللجان او الفرق الثلاث المذكورة والتبادل هنا معناه اعادة النظر في الجزازات وارجاعها الى رئيس كل لجنة للتمحيص فتعاد الجزازة الى صاحبها الاول للتحري وابداء الراي من جديد وبعد التصحيح الثاني للجزازات ترجع كل جزازة الى الرئيس العام للفرق الثلاث زيادة في التمحيص ثم تعاد الى واضعها للمرة الثانية لتصحيحها على ضوء التوجيه الجديد وهو التوجيه الناتج عن اقوال ماوتسي تونغ القائلة بأن القاموس له هدف واحد هو الجماهير فينبغي ان يكون عمليا واقعيا مفيدا للشعب اذا اريدت له الحياة فلهذا تكلل العمليات السابقة بطبع كل الجزازات في الورق المهرق (ستنسيل) لتوزع على الجماهير من رجال التعليم والجامعة وغير الاميين من العمال والجنود .

اما مفردات العلوم التكنولوجية فانها تعرض في نهاية الامر على انظار مؤسسات البحوث العلمية لاقرارها .

وهكذا يرى لغويو المذهب الصيني الجديد ان اللفظ الحضاري العام يخلقه الشعب ويقره الشعب اما المصطلح العلمي فان انتقاءه راجع للاختصاصيين واذا كانت الفكرة طيبة في اساسها لانها تبني قابلية حياة اللفظ على مدى تغلغله في المجتمع واقبال الجماهير عليه فان الايغال في ذلك قد يؤدي الى نوع من الشكليات المصطنعة والحل الوسط الذي نرتئيه هو ان العامية اي اللفظ المتغلغل في احشاء الشعب يجب ان يحسب له حسابه في تطعيم الفصحى لما ينتج عن التلقائية الجماهيرية احيانا من روعة نطرية وعمق جبلي ، ولكن اتخاذ ذلك اساسا للعمل قد يؤدي الى فوضى لا داعي لها .

لغة القرآن

الأستاذ محمد بهجة الأثري
عضو المجمع العلمي العراقي
- بغداد -

سلام .. ومن حييت ، اي رؤوم ؟ … علي لها ، في الحمد ، دين غريم
سلام على «ام اللغات»، على المدى … سلام اخيذ بالجمال هيوم
مشوق الى الجرس الرقيق ، ومفصح … من اللفظ منسوق البيان رخيم
تراقص مفتر المباسم حرفه … كما هز عطف الزهر روح نسيم
اذا قلت : « در » قلت : بعض صفائها … صفاء مضيء الصفحتين يتيم
وان قلت: «سحر»، قلت فاق استراقه … منافث سحر في الملاح صميم
دع السحر ، من سود العيون تروده، … ورم سحر لفظ بالحياة زعيم
صفا وترا ، حلو الارانين ، مثلما … نغى صوت مطراب الحنين بغوم
ورف ، كما رفت بأطياف قبلة … شفاه رؤوم قد هفت لفطيم

*

أ « ام لغات العالمين » بلاغة ، … وطيب مذاق ، واختلاف طعوم
بيانك ؟ ام نبع من الخلد كوثر … ترقرق عذبا ؟ ام رحيق كروم ؟
تجاوز أعناق الدهور ، وحسنه … يزيد على الايام حسن رسوم
سقى كل لماح البيان زلاله … مصفى ، وروى طبع كل حكيم

*

يقولون: «بنت البيد»، قلت : شناءة ، … وضغن بدا من قاسط وزنيم
أجل ، بنت بيد .. شرف الله قدرها … باعظم مبعوث وخير زعيم
ثراها الطهور الجعد ، للعين اثمد ، … ورضراضها در وزهر نجوم
ومنزلها الضحيان ، دار كرامة … لازكى نفوس في اعز أروم
تنزل « قرآن » بها .. ما تلوته … صحوت على معنى اغر عظيم
تكرم بالوحي الامين مبينه … وعز بمعطاء الحياة كريم

تمـلأ منـه بالرواء « محمـد » ، وآتـى بـه الدنيـا اريـج شميـم
سـرى يفغم الآفاق مسكـا وعنبـرا ويحيـي مـن الارواح كل رميـم

*

يقولون : «سيف»؛ قلت: سيف بلاغة سماويـة الانفـاس ذات رنيـم
لـه فى نواحـي الخافقيـن بوارق تضيـىء قلوبا جللت بسديـم ،
وفتح ... هداياه البشائر والسنـا ، وعيـش ربيـع دائـم ووسيـم
فتـوح بلاغـات اللسـان خوالد ، وما حظ فتـح السيف غيـر هشيم
وقد وسعت دينا؛ ودنيا؛ ودولـة وراء حـدود للفـلا وتخـوم
وصاغت كعرق التبر اسنـى حضارة تحلـت بـآداب سمـت وعلـوم
على كل طمـاح الذوائب .. اسمعت صداها ؛ ورنت فى ربـا وحـزوم
وفى حيث حلت .. معشب ، ومبـاءة يفـض بهـا النـوار ختم لطيـم
وتامت شعوبـا ، فاستقلت بدنهـا كما استحلت الصهباء روح خذيم (1)
واغنت بها الدنيا عباقـرة النهـي بأحلـى نثيـر ماتـع ونظيـم
ستبقى على رغم العدا ذات سؤدد على ذاهب من دهرهـا ومقيـم

*

فدى لك ، يا روح الجمـال وسره ، لغات الورى مـن حادث وقديـم
حبيتـك حبـا .. يعلـم الله أنـه أعز مـن ابنـي صونه وحميمـي
ولو سامني دهري بحبيك ، لافتدت هـواك حياتـي حسبـة ونعيمـي

(1) الخذيم : السكـران .

نشاط المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي

- منهاج لتنسيق التعريب فى العالم العربى ،
- الموسم العلمى لسنة 1967
- رحلة الامين العام للمكتب الدائم الى آسيا
- السيد الامين العام فى الخليج العربى
- ذكرى فلسطين
- ارتسامات عن « اللسان العربى » فى مجاهل آسيا

للدكتور عادل عبد السلام

- بين المجلة وقرائها

منهاج لتنسيق
التعريب في العالم العربي

التصميم العشاري

في نطاق التصميم العشاري الذي اختطه المكتب الدائم لتنسيق التعريب من اجل استكمال سلسلة معاجمه في ظرف عشر سنوات قد امضى المكتب منذ انشائه اربع سنوات في تحضير معاجم لتعريب بعض العلوم مثل الكيمياء والفيزياء والرياضيات والاشغال العمومية والفقه والقانون الخ. وهو يعتزم اتمام اعماله المعجمية اثناء السنوات الست الباقية لجعل المصطلحات العربية موازية ومساوية للمصطلحات الغربية الحديثة .

وذلك هو موضوع هذا « المنهاج لتنسيق التعريب في العالم العربي » .

تمهيد

ان تدارك النقص الذي تعانيه اللغة العربية في اداء كثير من المفاهيم الانسانية بصفة عامة ؛ وفي التعبير عن المدركات العلمية والتقنية بصفة خاصة قد اصبح بلا نزاع ضرورة حتمية يومن بها الجميع ولا يزال العاملون في مختلف البلاد العربية منذ القرن الماضي يسعون في سبيل القيام بها ما وسعهم السعي؛ ولكن من دون خطة مرسومة ولا طريقة محددة ولا منهاج معلوم ؛ بل كل يعمل على شاكلته وفي عزلته ليسد بعض ما يواجهه من فراغ .

ولا يسع احدا أن ينكر ان هذه الجهود رغما عن تشتتها وتنوعها وعدم منهاجيتها قد أتت بنتائج حسنة قيمة في حد ذاتها، لكن قيمة هذه الثروة النفيسة التي اكتسبتها لغتنا تتضاءل امام ضخامة الزمان الذي استغرقته تلك الجهود في جمعها وان جدوى هذه الحصيلة الضخمة من المصطلحات الجديدة والكلمات المستحدثة لتكاد تتلاشى ازاء السرعة التي تتقدم بها العلوم والفنون وتسير بها الحضارة الانسانية في هذا العصر .

اجل ، ان لغة الضاد صارت في مطلع هذا القرن بفضل أولئك العاملين أقدر منها في القرن الماضي على ابانة مقاصد الناطقين بها ثم اصبحت في منتصف القرن العشرين اكثر اقتدارا منها في الربع الاول من هذا القرن ، فحينما نستعرض مثلا المصطلحات العلمية والفنية التي اقرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة في الثلاثين عاما التي مرت على تأسيسه وحينما نمعن النظر في قواعد اللغة التي اعدها هذا المجمع لعمل المعربين وسائر اللغويين فاننا لا نملك الا ان ننحني اعجابا واكبارا لهمة رجاله وكفاءتهم وغيرتهم على لغتنا القومية ؛ فانهم رغما عن محاربتهم النقص في واجبتين معا: وضع المصطلحات الجديدة من ناحية وسن القواعد لوضعها من ناحية اخرى ، ورغما عن قلة الوسائل المادية المتيسرة لديهم وعدم تفرغهم للعمل فانهم رغما عن ذلك كله قد تمكنوا من توفير الاداة اللازمة لعمل التعريب من قواعد للوضع والاشتقاق والنحت والتركيب والجمع الخ. مثلما وفقوا الى وضع المقابل العربي لكثير من المصطلحات العلمية والفنية الاعجمية .

وقد تعززت اعمال هذا المجمع بأعمال مؤتمرات وهيئات علمية ومهنية مختلفة وبأعمال افراد من الشخصيات العلمية ذوي الثقافة المزدوجة من امثال

انستاس الكرملي والدكتور امين معلوف ومصطفى الشهابي وعبد الرحمن الكواكبي وخليل شيبوب فازدادت بذلك ضخامة حصيلة المصطلحات الموضوعة.

لكن هذه الحصيلة كلها ليست سوى غرفة من بحر بالنسبة الى مجموع مصطلحات العلوم الحديثة التي تزداد بنسبة 100 مصطلح جديد فى كل يوم حسبما ورد فى احد تقارير منظمة اليونسكو الاممية .

ولا مندوحة عن الاعتراف بأن تلك الطريقة العفوية غير المحدد موضوعها ولا شكلها ولا زمانها والتي سار عليها حتى الآن عمل التعريب فى العالم العربي لا يمكنها ان تكفل حاجة العرب اللغوية ولن يتسنى لها ان تسد خصاصة لغة الضاد فى يوم من الايام مهما تضاعفت الجهود واشتد نشاط المترجمين والمعربين والواضعين ، فان تخلف اللغة العربية لن يتدارك بغير خطة علمية وتقنية مرسومة بأحكام اهدافها محددة بدقة وتفصيل ووسائلها العلمية معينة بوضوح خطة صالحة لتكون اطارا لجميع ما يجري من أعمال فى ميدان التعريب وما يبذل من جهود فى اصلاح اللغة .

ان التخطيط لازم لعمل التعريب وهو بالتالي ضروري للقيام بمهمة التنسيق المنوطة « بالمكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربي » ما دام التنسيق يعني جعل العمل يسير على نسق محدد نحو غاية معينة وهذا بالذات هو موضوع التخطيط.

لذلك راى هذا المكتب لزاما عليه ان يرسم لعمله منهاجا يحيط بجميع ما يبذله من جهود ويصدر عنه من منجزات وفى نطاقه يجري التعاون مع جميع الهيئات والمؤسسات اللغوية والافراد المعنيين بشؤون التعريب فى كل البلاد العربية .

وهذا المنهاج الذي استقر عليه راي اسرة المكتب الدائم بعد طول البحث ينقسم الى قسمين :

1) الاعمال العلمية .

2) الوسائل التقنية والعملية .

القسم الاول — الاعمال العلمية

1) جرد الفاظ اللغة العربية وتبويبها حسب معانيها

قبل وصف الدواء لابد منتشخيص الداء ولتشخيص الداء لابد من فحص المريض واستبانة مواطن ضعفه ومواطن قوته، وفحص مريضتنا اللغة العربية لم يقم به احد حتى الآن بكيفية علمية كفيلة بتحديد مواطن ضعفها ومواطن قوتها بالضبط وكفيلة بتعيين درجةهذا الضعف وهذه القوة فى الخطورة . فالكل يعلم ان لغتنا تشكو فقرا مدقعا من ناحية وطغيان ثروة باذخة من ناحية أخرى لكن لا احد يستطيع ان يقدر ولو على وجه التقريب قيمة الثروة ولا مدى الفقر ، وما دمنا لا نعرف عن طريق احصاء علمي دقيق ما عند لغتنا وما ينقصها فاننا نظلمها ظلما صريحا عندما نعمد الى وضع الفاظ جديدة أو احداث معان جديدة لكلمات موجودة لنقابل بها المصطلحات العلمية والتقنية والفاظ الحضارة التي نفترض خلو لغتنا مما يقابلها فى حين ان افتراضنا لا يقوم الا على الحدس وانه لمن المؤسف حقا ان نعمد الى وضع الفاظ او عبارات جديدة لمصطلحات موجودة فى كتب اللغة قبل هذا العصر . وكثيرا ما يحدث ذلك بسبب ايثارنا الطريق السهل فى مجال البحث كما يتضح من المثال التالي الذي نورده على سبيل البيان فحسب فاللفظ الفرنسي « Contrepoids » يعني « ما يعدل به ثقل غيره» ويقابله فى اللغة العربية لفظ « رجازة » (وزان كتابة) الذي شرحه ابن سيدة فى « المخصص » بقوله « الرجازة كساء يجعل فيه احجار ويعلق بأحد جانبي الهودج اذا مال ليعتدل وجمعه رجائز» واللفظ الفرنسي مصطلح تقني موضوعه الصناعة المكنية فبماذا قابله ارباب هذا العالم من اخواننا العرب ؟ لقد عربه أبو شعيشع فى كتابه « هندسة السيارات » وكذلك عباس حلمي ومحمد عبد العزيز ندا فى كتابهما « علم اصول صناعة السيارات » بـ « اثقال اتزان » وترجمه محمد النجاري بك فى معجمه « قاموس فرنساوي عربي » بـ ثقالة و « ثقل » و « موازنة » اما بولو اليسوعي فقد اكتفى فى ترجمته بايراد الشرح التالي : « ثقل موازن لغيره » .

ومهما كان الامر فان لهؤلاء المترجمين فضل الاجتهاد ولهم كامل العذر فى عدم اهتدائهم الى لفظ « رجازة » الذي لا يقع العثور على امثاله الا بمحض الصدفة لانه لا يوجد كتاب يضم بين دفتيه الفاظ اللغة العربية مبوبة حسب معانيها تبويبا موضوعيا ملائما لعقلية هذا العصر وذوقه ، يسهل على الباحث ان يعثر فيه على الالفاظ المؤدية للمعاني التي تجول فى خاطره ويتوقف فى التعبير عنها كتاب يمكن اعتباره معجما للمعاني كاملا ومحيطا بكل ما فى اللغة العربية من الالفاظ والمعاني ، بحيث يسوغ لنا عندما لا نجد فيه اللفظ الصالح لمقابلة مصطلح اجنبي أو المؤدي لمعنى معين ان نجزم بان اللغة العربية خلو منه ، فيمكن حينذاك وضع لفظ جديد .

واعداد هذا الكتاب هو من الاعمال العلمية التي يتضمنها هذا المنهاج ويدخل فيه باسم « معجم عربي للمعاني » وسنتحدث فيما يلي عن الطريقة العلمية التي ستتبع فى اعداده اما الوسيلة التقنية والاداة العملية فسنتعرض لهما فى القسم الثاني من هذا التخطيط .

معجم عربي للمعاني

سيشتمل هذا المعجم على جميع الفاظ اللغة العربية التي ستجرد من مختلف كتب اللغة سواء منها القديمة او الحديثة وسواء منها معاجم الالفاظ او معاجم المعاني،وسترتب فيه باعتبار مواضيع معانيها حسب تبويب قويم صالح للتطبيق على كل لغة حية راقية فى هذا العصر .

وسيختار لكل لفظ أوفى الشروح وانصحها ويجعل أمامه بقدر الامكان ما يقابله من الفاظ فى اللغتين الفرنسية والانجليزية .

وهذا المعجم الذي سيكون مرآة ناصعة تتجلى فيها بغاية الوضوح مواطن الضعف ومواطن القوة فى لغة الضاد سيساعد لا على تدارك النقص الموجودفى اللغة العربية فحسب بل وعلى امداد اللغتين الفرنسية والانجليزية بما ينقصهما من المفاهيم الانسانية التيتنفرد بها لغة القرآن وفى ذلك استجابة لرغبة المكتب الدائم الحريص على أن يسهم فى العمل على توحيد المفاهيم الانسانية على الصعيد العالمي فى اطار التبادل الفكري بين الشرق والغرب.

ومن المراجع الرئيسية التي ستعتمد فى تحضير هذا المعجم نذكر « لسان العرب » و « تاج العروس» و « اساس البلاغة » و « الصحاح » و مقاييس اللغة » و « متن اللغة » و « المعجم الوسيط » و « اقرب الموارد » و « المخصص » و « فقه اللغة » و « الفاظ » ابن السكيت و « الالفاظ الكتابية » للهمذاني ودائرة معارف لاروس الكبرى ومعجم اللغة الفرنسية لبول روبير ودائرة المعارف البريطانية .

* * *

ب) جرد الفاظ اللغتين الفرنسية والانجليزية وتبويبها حسب معانيها

معجم فرنسي — انجليزي للمعاني

جرد المفاهيم الانسانية من خلال الالفاظ التي تشتمل عليها المعاجم الفرنسية والانجليزية الحديثة عمل لازم لتكملة العمل الاول الذي قلنا اننا نهدف به الى معرفة ما عند اللغة العربية وما ينقصها ، فان المعجم العربي للمعاني الذي تحدثنا عنه لن يكون بوسعه ان يطلعنا آلا على ما عند اللغة العربية أما ما ينقصها فلن يتبين الا بمقارنة ما عندها فى كل موضوع بما عند غيرها فى نفس الموضوع ، ولذلك يتعين جرد دائرة المعارف الفرنسية ودائرة المعارف الانجليزية وتصنيف مادتيهما حسب التبويب المتبع فى اعداد المعجم العربي للمعاني لتسهيل المقارنة .

* * *

ت) جمع المصطلحات المعربة

معاجم المعربات — مساعد المعرب

يتلخص هذا العمل فى تجميع كل ما عرب حتى الآن فى مختلف البلاد العربية من مصطلحات علمية وتقنية والفاظ حضارية وغيرها مع الالفاظ الفرنسية والانجليزية المقابلة لها وترتيبها حسب الحروف الهجائية ترتيبات ثلاثة فى معاجم ثلاثية اللغة :

1) باعتبار اللفظ الفرنسي فىصورة معجم فرنسي — انجليزي — عربي .

2) باعتبار اللفظ الانجليزي فى صورة معجم انجليزي — فرنسي — عربي .

3) باعتبار اللفظ العربي فى صورة معجم عربي — فرنسي انجليزي .

وهذه المعاجم الثلاثية اللغة ستكون مادتها عامة تشمل مصطلحات مختلف العلوم والفنون وغيرها مع الاشارة بجانب كل مصطلح الى العلم او الفن الذي ينتمي اليه وسيوضع أمام كل مصطلح اعجمي جميع ما يقابله من الالفاظ العربية المستعملة فى مختلف البلاد العربية على غرار النهج الذي سلكناه فى معجم الفقه والقانون الفرنسي — العربي الذي صدر منه اخيرا الجزء الاول (A - B)

وسيطلق على هذه المعاجم الثلاثة اسم « مساعد المعرب ».

وبهذا العمل سيتم تدوين حصيلة التعريب كاملة وتتيسر الافادة منها للمعنيين بشؤون التعريب والترجمة ويتسنى للمباشرين وضع المصطلحات أن يعملوا وهم على بينة من امرهم فلا تتكرر الجهود وتتعدد لتعريب مصطلح قد تم تعريبه من قبل .

وقد انجز المكتب الدائم بالتعاون مع مصلحة التعريب التابعة لمكتب التسويق والتصدير قسما هاما من هذا العمل فان المصلحة المذكورة انشأت جزازية

تشتمل على نحو مائتي الف جزازة تضم مصطلحات علمية وتقنية وحضارية مختلفة بالفرنسية والعربية والانجليزية جردتها من مختلف الكتب والمعاجم والمجلات المجمعية ونشرات الهيئات الثقافية فى مختلف البلاد العربية التي أمدها بها المكتب الدائم لتنسيق التعريب وتشكل هذه المجموعة معجما فرنسيا عربيا ضخما يمتاز بكونه يضع أمام المصطلح الاعجمي جميع مقابلاته العربية المستعملة فى مختلف البلاد العربية .

ومن هذه الجزازية التي تتضخم يوما عن يوم بما يمدها به عمل الجرد المتصل أمكن استخراج مادة معجم الفقه والقانون الذي صدر منه الجزء الاول .

* * *

ث) ترتيب المعربات العلمية والفنية حسب مواضيعها

تستخرج من « مساعد المعرب » المذكور اعلاه مصطلحات كل علم وفن لترتب على حدة فى معاجم علمية ثلاثية اللغة كذلك مرفقة بشروحها فى اللغات الثلاث فيتألف منها مثلا « معجم الرياضيات » و « معجم الفيزياء » و « معجم الكيمياء » و « معجم المصطلحات المكنية والصناعية » و « معجم المصطلحات الاقتصادية والمالية » و « معجم الفقه والقانون » و « المعجم الطبي » و « المعجم الحضاري » الخ..

وعند انجاز كل معجم من هذه المعاجم يعرض على خبراء العالم العربي قصد اقرار مصطلحاته بكيفية نهائية وذلك حسب الطريقة المبينة فى الفصل «ح » من هذا المنهاج .

* * *

ج) جرد المصطلحات غير المعربة

تجرد المصطلحات الفرنسية والانجليزية التي بقيت بدون مقابل عربي فى معاجم فرنسية انجليزية مختصة نعني أن كل معجم منها يختص بعلم أو فن أو موضوع معين يستقل به ، وينبغي لهذه المعاجم أن تتضمن ازاء كل مصطلح شرحه العلمي بلغته وأن تضيف الى الشرحين الاعجميين شرحا عربيا بقدر الامكان .

وبعد تمام العمل فى هذه المعاجم تعرض على لجان عربية مختصة لتضع لمصطلحاتها الاعجمية مقابلات عربية ، ولتقر شروحها العلمية .

* * *

ح) تأليف معجم اللغة العربية

بعد توحيد جميع المصطلحات المعربة واقرارها بصفة نهائية تضاف الفاظها وشروحها العربية الى مادة المعاجم اللغوية بعد تهذيب هذه المادة وتنقيحها ليتكون منها المعجم العربي الجديد الذي سيمتاز بشموله وبوضوح الشرح ودقته وكفايته وملاءمته لذوق العصر وعقليته بقدر الامكان .

ومن مميزات هذا المعجم يمكننا ان نذكر على سبيل البيان فحسب لا على سبيل الحصر :

— خلوه من الكلمات الاضداد وهي كثيرة فى اللغة العربية وذلك بتغليب احد المعنيين على ضده وقصر مدلول الكلمة عليه ، فلا يشرح فعل « جل » مثلا بـ « عظم » و « حقر » أو « دق » معا بل ينبغي أن يقصر على معنى « عظم » الغالب على مادة « جل » كلها وخصوصا أن « الجليل » من أسماء الله الحسنى، وانه لا يستعمل فى عصرنا هذا اي لفظ من مشتقات هذه المادة بمعنى « حقر » أو « دق » ويستبعد جدا أن يستعمل فى المستقبل ، وكذلك يمكننا أن نقول عن فعل « اسر الشيء : اخفاه+ وأعلنه » و « رتا الشيء : شده + وارخاه » واخفى الشيء : اظهره + وكتمه» و « باع الشيء : باعه + واشتراه » وشرى الشيء: اشتراه + وباعه » الخ .. ونجيب المعارضين المحتجين بقطع الصلة بين ماضي العربية ومستقبلها بأن هذه الصلة ستبقى محكمة بفضل المعاجم القديمة التي ينبغي أن تبقى مرجعا يستعان به على فهم الآثار الادبية والتاريخية .

— اجتناب الدور والتسلسل فى شرح الكلمات فلا يجتزأ فى تفسير اللفظ بايراد احد مرادفاته حتى اذا انتقل الباحث الى مادة المرادف ليحصل على مدلول اللفظ الاول يحيله هو الآخر على اللفظ الاول أو على لفظ ثالث مثلما يلاحظ على « المعجم الوسيط» الذي شرح كلمة « المبزغ » بـ « المشرط » وشرح « المشرط » بـ « المبضع » وشرح « المبضع » بـ « المشرط » .

— الاقلال بقدر الامكان من معاني الكلمات المشتركة بحذف معانيها الغريبة أو النادر استعمالها بها مما لا تحتاج اليه اللغة العربية لوجود الفاظ اخرى تؤديه مثل أن يعمد فى شرح كلمة « راموز » التي تعني حسب معاجم اللغة « النموذج » و « الاصل » و « البحر » الى حذف « البحر » من مدلولها فتبقى دالة على « الاصل » و « النموذج « فحسب » .

* * *

خ) توحيد المصطلحات واقرارها فى العالم العربي

لتوحيد المصطلحات المعربة وتعريب بقية المصطلحات واقرارها فى العالم العربي بصفة نهائية تلتمس الامانة العامة للمكتب الدائم لتنسيق التعريب من الامانة العامة لجامعة الدول العربية عند انتهاء العمل فى المعاجم العلمية المذكورة سابقا ان تعمل على تأليف لجان علمية عروبية (اي مشتركة بين البلاد العربية) وذلك بأن تطلب من حكومة كل دولة عربية أن تعين عالما أو أكثر لتمثيلها فى كل لجنة مختصة ببحث مصطلحات علم من العلوم . ثم تجتمع هذه اللجان تحت اشراف الامانة العامة للمكتب الدائم لتنسيق التعريب وبعد فراغها تبلغ الادارة الثقافية للجامعة نتائج اعمال هذه اللجان الى جميع الحكومات العربية مع التوصية بالعمل على أن لا تستعمل فى بلادها غير المصطلحات التي اقرتها اللجان العروبية .

القسم الثاني — الوسائل التقنية والعملية

1 — الخبراء :

لا يمكن القيام بالاعمال العلمية المبينة فى القسم الاول من هذا المنهاج الا بمساعدة خبراء عرب ، واقل ما يلزم لاعداد مصطلحات كل علم ثلاثة اخصائيين يتقنون اللغة العربية مع احدى اللغتين الفرنسية أو الانجليزية .

وسيكون عملهم علميا محضا يتلخص فى مقابلة المصطلحات الاعجمية بنظيراتها العربية والعكس وفى مقابلة المصطلحات الفرنسية بالمصطلحات الانجليزية والعكس واعداد شروحها العلمية باللغات الثلاث ، أما التصنيف والترتيب فينجزبواسطة آلات المكنغرافية.

2 — المكنغرافية

ان المشاريع العلمية التي يشتمل عليها هذا المنهاج عمل عظيم وانجازها كلها بالجهود الانسانية يقتضي استخدام جيش من العلماء والمساعدين مدة قد تطول عشرات السنين ، ولذلك فكر اعضاء اسرة المكتب فى استعمال الآلات المكنغرافية فاتصلوا برجال ادارة مؤسسة « IBM » ومؤسسة « Bull » وعرضوا عليهم هذه المشاريع وبحثوا معهم الطريقة التقنية التي ينبغي أن تتبع لتحقيقها واستخلصوا من بحثهم انه يمكن اعداد الاعمال العلمية المشتمل عليها هذا المنهاج فى آن واحد يعني ان الجهد الواحد المصروف فى اعداد عمل واحد من هذه الاعمال يمكن استغلاله لاعداد سائر الاعمال الاخرى ؛ بفضل جزازات المكنغرافية التي هيأت لها أسرة المكتب نظاما يكفل تحقيق جميع اغراض هذا المنهاج .

وتتلخص طريقة العمل فى أن تقوم احدى هاتين المؤسستين بجرد جميع المفردات المشتمل عليها معجم لاروس الكبير فى جزازات المكنغرافية وباصدار الامر الى الدماغ الالكتروني أو الفاكورة (كما يريد أن يسميها الاستاذ عبد الحق فاضل) لترتيبها ترتيبا هجائيا وترتيبا موضوعيا أي حسب العلم الذي تنتمي اليه ثم لتقابلها بالمصطلحات الانجليزية والعربية التي يمدها بها المكتب الدائم ثم لترتب هذه المصطلحات المضافة ترتيبا هجائيا حسب الالفاظ الانجليزية وحسب الالفاظ العربية ثم لتعزل المصطلحات المعربة عن المصطلحات غير المعربة ثم لتفصل المعربات فتميز الموحد من الراجح من المختلف فيه ثم لتميزها حسب مصادر وضعها وحسب مراجعها .

ويقوم المكتب الدائم بجرد جميع مفردات المعاجم وكتب اللغة العربية وامداد آلات المكنغرافية بها لترتبها حسب مواضيعها على نظام المعجم العربي للمعاني المذكورة فى فصل « الاعمال العلمية » . ولترتبها ايضا ترتيبا هجائيا لتأليف المعجم العربي الجديد .

وبعد تمام جمع مادة الاعمال العلمية المذكورة فى الفصل السابق كلهاوادخالها فى المكنغرافية تستخرج منها بطريقة آلية المعاجم كلها تباعا الواحد تلو الآخر مطبوعة على نحو يمكن من تقديمها الى المطبعة بدون تغيير كبير .

3 — المال :

لقد اتضح للمكتب من مخابراته مع مؤسسة « IBM » التي قومت العمل فى جرد الفاظ لاروس فقط بأن انجاز هذه المشاريع العلمية سيستغرق ما يقرب من خمس سنوات تؤدى خلالها اجرةشهرية عنكراءالآلاتالمكنغرافيةواجور الآليين،اذان جرد الفاظ لاروس وحده سيستغرق ثمانية عشر شهرا من عمل مستخدم آلي واحد على اساس اشتغاله بكيفية متصلة طوال ثماني ساعات فى اليوم مدة خمسة أيام فى الاسبوع .

لذلك فان تحقيق هذه المشاريع العلمية سيكلف نفقات كبيرة لا قبل للمكتب بها الا اذا وفت جميع الدول

العربية بالتزاماتها فأدت له ما بقي فى ذمتها من الاقساط السنوية التي تعهدت بها ثم امدته زيادة عليها بمقادير مالية تخصص لانجاز الاعمال العلمية المذكورة .

* * *

خلاصة :

ان المكتب الدائم لتنسيق التعريب بتخطيطه هذا المنهاج لعمله قد وضع خطة للنهوض باللغة العربية ورفعها الى مستوى اللغات الراقية فى هذا العصر ؛ لكنه لن يمكنه ان ينجز شيئا من هذه الاعمال بدون مال ولذلك فانه يأمل أن يقدر ابناء العروبة هذه المشاريع التي يتقرر بها مصير اللغة العربية حق قدرها كما يأمل ان تتفهم جميع الدول العربية واجباتها فى هذا السبيل بكامل الوعي ويرجو على الاخص ان تقدر الحكومات العربية مسؤوليتها بشأن العمل على انجاز هذه المشاريع العلمية الحيوية بالنسبة للغة القومية .

وسيكون المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربي سعيدا اذا توفر لديه المال والخبراء لتحقيق المشاريع ، اما اذا لم تتح له وسائل العمل فحسبه أنه قدم الى الشعوب العربية خطة علمية وتقنية لتحقيق امنية من اغلى امانيها القومية .

الجامعة العربية وتمويل التصميم العشاري

توصلنا من الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية بتاريخ 27—12—1966 بخطاب موجه للسيد الامين العام ورد فيه انه فى خصوص « مشروع التصميم العشاري للتعريب لا يسع الادارة الثقافية بالامانة العامة لجامعة الدول العربية الا ان تشد على يديكم مهنئة اياكم على ما تبذلون من جهود مشكورة فى خدمة لغتنا راجية لكم اضطراد النجاح والتوفيق كما نوافق من جهتنا على المبادىء التي ضمنتموها مشروعكم المشار اليه باعتباره الوسيلة المثلى فى راينا لاية خطة عملية تنتهج فى موضوع التعريب او توحيد المصطلحات العلمية » .

وقد وجهت الجامعة العربية فى هذا الصدد مذكرة الى وزراء الخارجية العرب جاء فيها :

تهدي الامانة العامة لجامعة الدول العربية اطيب تحياتها الى وزارة خارجية ...
والحاقا بمذكرتها رقم 46 فى 1—1—1967 بشأن تأييد المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالمغرب ، تتشرف بالافادة بان هذا المكتب بصدد وضع معجم عام باللغة العربية واللغتين الفرنسية والانجليزية فى نطاق التصميم العشري ، يكلف مبالغ لا تستطيع ميزانية المكتب — بصورتها الراهنة — تحملها .

لذلك تأمل الامانة العامة تأييد دولتكم الموقرة لهذا المشروع ومعاونة المكتب على تحقيقه علما بأن للمكتب المذكور مجلسا تنفيذيا مشكلا من جميع السادة سفراء الدول العربية بالرباط وهو الذي يتولى اقرار ميزانياته والاشراف على اعماله . وتنتهز الامانة العامة هذه الفرصة للاعراب عن فائق احترامها .

المكتب الدائم ينظم :

الموسم العلمي لسنة 1967

فى نطاق الموسم العلمي الذي نظمه المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربي بين 16 ابريل و15 مايو 1967 اقيمت اربعة معارض للكتب العلمية العربية .

1 — معرض الكتاب العسكري بدار الفكر بالرباط .

2 — معرض الكتاب الاقتصادي بالقاعة الكبرى للمعرض الدولي بالدار البيضاء ، من 27 ابريل الى 21 مايه .

3 — معرض الكتاب العلمي العربي بقاعة المكتبة العامة بتطوان .

4 — معرض كتاب الفقه والقانون بقاعة كلية الشريعة بفاس وهي تابعة لجامعة القرويين .

وفى اطار هذا الموسم بعثت المملكة العربية السعودية الاستاذ محمد عثمان الصالح استاذ بجامعة الرياض للحضور باسم بلاده فى هذا الموسم الثقافي، وقد استمرت زيارته للمغرب نحوا من شهر وقف خلالها على مختلف نشاطات المكتب ، واجرى عدة محادثات مع السيد الامين العام ومع رجال الصحافة والاذاعة حول نشاط العربية السعودية فى الحقل الفكري ، كما بعثت الجمهورية السينغالية بدورها السيد عامر صب الاستاذ بالمعهد الاصلي للدراسات الزنجية ، وقد استمرت زيارته للمغرب اكثر من اسبوع اتصل خلالها بمختلف اجهزة الاعلام المغربية ووقف فيها على عدة نشاطات فكرية وثقافية وكان حضوره للموسم العلمي العربي مظهرا للطابع الاسلامي العام الذي تمتاز به حركة التعريب المرتكزة على لغة القرآن التي هي لغة ستمائة مليون من سكان العالم .

وقد عينت الحكومة اللبنانية لتمثيلها فى هذا الموسم الدكتور جبور عبد النور الاستاذ فى جامعة بيروت كما عينت وزارة التعليم العالي بدمشق الاساتذة سعيد الافغاني وانطوان ايوب وخير الدين حقي الذين قاموا بابحاث ودراسات فى نطاق الفكرة التي ارتكز عليها الموسم العلمي والاستفتاء العام حول مشاكل اللغة العربية بينما وجهت الحكومات العربية الاخرى عشرات الابحاث والمحاضرات ؛ وقد سبق للمكتب ان ترك الاختيار للدول العربية بين بعث اساتذة او ارسال ابحاث للمشاركة فى الموسم .

وقد تركت معارض الكتاب العلمي التي نظمها المكتب الدائم بمناسبة هذا الموسم اصداء كثيرة فى الصحافة منها ما كتبته جريدة العلم على لسان مراسلها بالدار البيضاء حول معرض الكتاب الاقتصادي حيث قالت :

معرض « الكتاب الاقتصادي » الذي يقيمه المكتب الدائم للتعريب بالمعرض الدولي بالدار البيضاء شهادة صادقة تجسد قدرة اللغة العربية على مسايرة البحوث العلمية بكل دقائقها وملاحقة التطور الفكري بكل ابعاده .

وهذا المعرض ايضا عنوان بارز للجهود الجبارة، وللنشاط المتواصل ، الذي يقوم به المكتب الدائم للتعريب فى العالم العربي من اجل تثبيت كيان الامة العربية الاقتصادي والعلمي والثقافي والاجتماعي ، فى اطار لغتها الحاذقة تعبيراً وعملا .

ومما يلفت الانتباه ان رواق « الكتاب الاقتصادي» يلاقي — يوما بعد يوم — اقبالا منقطع النظير ويحوز اعجابا متزايدا من جميع زوار المعرض الدولي — على اختلاف جنسياتهم وميولاتهم ولغاتهم — لما يمتاز به من كثرة المصنفات المترجمة والمؤلفة التي تتناول بطريقة الاستقراء والاستنتاج والقياس الحديثة مختلف الابحاث الاقتصادية المتعلقة بالفلاحة والتجارة والاحصاء ، وهندسة السيارات ، والجيولوجيا ، والدراسات البنكية . هذا بالاضافة الى المجلات الاكاديمية القاهرية والبغدادية والدمشقية — التي تعزز بابحاثها تلك المؤلفات المذكورة — والمصطلحات العلمية الجديدة التي اقرتها المجامع العربية .

هذا ومما تجدر الاشارة اليه ان نظام العرض كان رائعا الى حد بعيد .

وكتبت نفس الجريدة تعليقا على معرض «الكتاب العسكري» بقلم احد محرري صفحاتها الادبية جاء فيه :

ان معرض الكتاب العسكري الذي نظمه المكتب الدائم للتعريب في دار الفكر بالرباط هو واحد من اربعة معارض منظمة في البيضاء والرباط وفاس وتطوان وقد امتاز معرض الكتاب العسكري الى جانب اهميته من حيث انه الاول من نوعه في معارض الكتب العربية . امتاز بهذا السيل الكبير من الكتب التي ظفرت بها المكتبة العربية وخصوصا في ميادين الاختصاص ، فالزائر للمعرض يأخذ باهتمامه عناوين الكتب والنشرات والمعاجم والمسلسلات التي تبدأ من علوم الذرة والفيزياء وعلوم البحر والمواصلات الى علوم الفضاء والصواريخ والقاذفات ناهيك بالكتب المخصصة لسائر المعدات والاجهزة الحربية من دبابات ومدافع وطائرات وبنادق وغواصات ومصفحات ومختلف الفرق الآلية الخفيفة أو الثقيلة ووسط هذا الخضم كتب عن ادارة المعارك والاستراتيجية الحربية وكتب عن الجيوش، ومعاركها، وانتصاراتها ومواقعها ، وعن قادة الحروب ، واثر الحروب في الحضارات وكذلك الجيوش المحترفة ، والفرق المشهورة ، وبعض الخطط الحربية التي كللت بالنصر سواء في الصحراء او فوق المحيطات ، او في الجو ، ثم هناك مذكرات الجنرالات المرموقين واصداء عن معاركهم ومعاهداتهم ، والجيوش التي قادوها الى النصر . وغير هذا كثير مما لا يدخل تحت حصر .

ويضم المعرض العسكري العربي في جناح الكتب دون المجلات مائة وثمانين كتابا مختلفة الاحجام والاتجاه ومقسمة الى خمسة اقسام رئيسية هي :

1) الهندسة العسكرية .
2) الاسلحة والمعدات الحربية .
3) الفضاء والعلوم النووية .
4) الاستراتيجية .
5) الجيش .

وهذه الكتب صدر اغلبها في سوريا والجمهورية العربية المتحدة ولبنان ، كما أن بعضها مترجم عن الانجليزية خصوصا ما يتعلق بشؤون الفضاء ، والطائرات التي تسبق الصوت والصواريخ والغواصات والقنابل الذرية والهيدروجينية وسلاح الجو . وقد ضم المعرض الى جانب الكتب الحديثة كتبا اخرى قديمة تشهد للكتاب العربي بالسبق في هذا الميدان .

وفي وسط المعرض نصبت مائدة كبيرة عليها بعض المعاجم الخاصة بالالفاظ الحربية والعسكرية « انجليزية عربية » .

وفي قاعة اخرى عرضت المجلات التي تهتم بالشؤون الحربية والدفاعية والقوات المسلحة والامن تصدر بالمغرب وسوريا والعراق والمملكة العربية السعودية والاردن .

ومن هذه المجلات « القوات المسلحة السعودية » و « الجندي » و « المجلة العسكرية » و « الركن » من الاردن ، و« الجندي » و « المدفعي » و « الركن » من العراق و « الجندي » و الجيش الشعبي » و « الشرطة » من سوريا .

ومن المغرب « الشرطة » و « القوات المسلحة الملكية » .

ومن الجمهورية العربية المتحدة (الامن العام) وكتب كثيرة عن قوانين البوليس والمباحث الجنائية .

وهذه المجلات تمتاز بمواضيعها والوانها واشكالها المتعددة التي تخطف الابصار . وفي باب المعرض نضدت رايات هي رايات المغرب عبر العصور.

وقبل ان يخرج الزائر من المعرض يرسم على شفتيه بسمة الثقة في ان الكتاب العربي المتخصص يشق طريقه نحو هدفه ، حقيقة ان المعرض لم يحتو على كل ما ظهر بالعربية في هذا الضرب من التاليف وحقيقة أنه ليس الا قطرة من بحر ، فانه على اي حال قد اسهم في صمت وتواضع في تعريف القارىء العربي بالاشواط التي قطعتها العربية في العصر النووي » .

وفي اطار الموسم العلمي نظمت المندوبيات الاقليمية للمكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي ندوات علمية شتى تناولت مختلف القضايا اللغوية التي تهم العالم العربي اليوم .

ففي مدينة تطوان قامت المندوبية الاقليمية التابعة للمكتب الدائم بتنظيم ندوة علمية حول تجربة تعريب القضاء والقانون اشترك فيها الاساتذة : الدكتور علوش رئيس المحكمة الاقليمية والاستاذ الكرناي نقيب المحامين بتطوان ، والمحامي الاستاذ

محمد الفاسي الفهري، واشرف عليها المندوب الاقليمي للمكتب الاستاذ عبد الله العمراني .

وقد حضر الندوة رجال الفكر ورجال السلطة ورجال القضاء والقانون .

وقد عالجت الندوة التجربة التي قام بها المغرب والعالم العربي فى تعريب القضاء والقانون ؛ كما نوهت بالمجهودات التي يقوم بها المكتب الدائم للتعريب فى هذا الصدد ؛ وذلك عن طريق اصداره للمعاجم القانونية والفقهية المختلفة التي استفاد منها رجال القانون المغاربة والعرب عموما فى الحقبة الاخيرة .

وفى الرباط نظمت ندوة علمية بدار الفكر شارك فيها الاساتذة الدكتور المهدي بنعبود ، والدكتور عز الدين العراقي والاستاذ العربي حصار والدكتور حمزة الكتاني والاستاذ محمد الطيب الفيلالي وقد افتتحها الملحق الثقافي للمكتب بكلمة قصيرة بين فيها الاسباب التي جعلت المكتب يحصر الموسم فى الدائرة العلمية الدقيقة ويهتم بالناحية الفنية من الكتاب العربي واشار بالخصوص الى ان الندوات التي تنظم بالرباط وفاس وتطوان تدخل فى نطاق توضيح الاستفتاء اللغوي الذي ينظمه المكتب منذ اواخر السنة الماضية وبين ان المكتب لم يثر هذا الاستفتاء ارتيابا منه فى فعالية اللغة العربية ودورها العالمي الملحوظ ، ولكن للبحث عن المشاكل — اذا كانت هناك مشاكل — تحول دون تطوير لغة الضاد وجعلها لغة دولية فى الحقل العلمي والتقني لا فى الحقل السياسي فحسب .

وذكر ان الاستفتاء كان ناجحا الى ابعد حدود النجاح حيث شاركت فيه كافة المجامع اللغوية والعلمية والجامعات وثلة بارزة من الافراد العلميين بما يربو عن سبعين جوابا ستنشر خلاصتها فى اواخر هذا الموسم فى مذكرة تلخيصية يصدرها المكتب كما ان النصوص كلها مع التعاليق ستصدر فى عدد خاص من مجلة « اللسان العربي » .

وذكر فى الاخير ان المعجم العلمي الذي سيصدره المكتب بعدد من اللغات سيكون مرآة حية تنعكس عليها آراء الشعوب العربية والهيئات العلمية معا فى اختيار اللفظ الصالح المستوعب للحياة . ثم تناول الكلمة الدكتور المهدي بنعبود فتحدث عن فعالية اللغة العلمية فى الحقل العلمي وخاصة فى الطب وفروعه المختلفة وبين الطريقة التي اعتمدتها اوربا فى الخروج من التخلف اللغوي حتى حققت تقدمها العلمي المنشود ، وركز بامثلة حية على ان الازدهار الفكري تابع لارادة الشعوب وما المصطلحات كما يقول الاستاذ — الا قضية رموز واتفاقات . فلا ينبغي أن تكون عائقا لتقدم العرب العلمي ، وقد كان عرضه يتسم بغزارة المادة والحنكة القوية . اما الاستاذ الصيدلي العربي حصار فتحدث عن حيوية العربية كما شاهدها وجربها ورغم كونه لم يسبق له أن زاول دراسته الحديثة (الكيمياء والفيزياء والطبيعيات والرياضيات) بالعربية فانه استطاع ان يساعد فى تجربة التعريب العلمي فى التعليم الحر منذ ما يزيد عن 18 سنة تلك التجربة التي نجحت الى حد بعيد واتى بمثال حي ناطق وهو الدكتور حمزة الكتاني الذي كان من بين اعضاء الندوة والذي يعتبر نموذجا للتجربة المذكورة : درس بالعربية فى جميع مراحل التعليم الابتدائي والثانوي واستطاع ان يحصل على الدكتوراه فى الكيمياء من كلية العلوم بباريس .

وتناول الكلمة بعده ايضا الدكتور عز الدين العراقي من اطباء مستشفى ابن سينا الذي بين ان تعريب الطب ليس مسألة صعبة اذا ما عربت العلوم والح بالخصوص على وجوب تربية النشء العربي على التفكير العلمي مبينا ان مجرد تعريب المصطلحات لا يخرج بنا عن دائرة التخلف فى حقل العلوم والكشوف الحديثة .

وفى الاخير تكلم الاستاذ محمد الفيلالي احد اعضاء شعبة الاقتصاد العاملة فى حظيرة المكتب فركز حديثه بالخصوص على المعجم العلمي العام الذي سيصدره المكتب معتمدا الآلة الميكانوغرافية وان هذا المعجم يستطيع ان يحل مشكلة المصطلح العلمي ويقضي على البلبلة الواقعة فى وضعه بين اقطار العالم العربي .

هذا ومن المعلوم ان الاذاعة والتلفزة والصحافة شاركت فى نطاق هذا الموسم بنشر نتائج الاستفتاء الذي نظمه المكتب الدائم للتعريب بداية هذه السنة على مستوى العالم العربي حول مختلف قضايا اللغة العربية ؛ كما نظمت التلفزة على الخصوص ندوتين شارك فيهما نخبة من رجال الفكر المغاربة حول التقدم العلمي العالمي واللغة العربية .

وقد دشنت المندوبية العامة لشمال شرق المغرب للمكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربي بفاس معرض الكتاب الفقهي والقانوني وحضر هذه الحفلة

الامين العام للمكتب الدائم الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله وشخصيات علمية وادارية وقضائية كثيرة .

وقد افتتح الاحتفال الاستاذ محمد السلوي المندوب العام لشمال المغرب الشرقي بكلمة رحب فيها بالحاضرين واعطى بيانا عن تنظيم المعرض ومدته والمهرجانات الثقافية التي ستنظم عند نهايته .

وتحدث بعد ذلك الاستاذ محمد العلمي الملحق الثقافي للمكتب الدائم عن المعارض المنظمة للكتاب العربي وعن استفتاء مكتب التعريب حول فعالية اللغة العربية .

ثم ارتجل الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله الامين العام للمكتب حديثا هاما تناول فيه التخطيطات التي اتخذها المكتب في خطوته الجديدة في التعريب . وأشار بتفصيل لمغزى اقامة هذا المعرض بفاس ، واطنب في الدور الذي لعبته المدينة لارساء صرح الحضارة العربية . وحلل في الاخير خطوات المكتب ومشروعاته والتوفيق الذي حالف اعماله في الشرق العربي .

وقام الحاضرون بعد حفلة التدشين بزيارة لمرافق المعرض ولاحظوا اهمية الكتب القانونية والفقهية المعروضة في الرفوف .

واستأثر باهتمام الحاضرين منشور معلق في مدخل المعرض يقول : « قرر المؤتمر الدولي للقانون المقارن الذي انعقد في باريس بين 2 و 7 يوليه 1951، وذلك باجماع الاعضاء ، انه نتج بوضوح ان مبادىء الفقه الاسلامي تمتاز بقيمة لا ينازع فيها احد ؛ وان اختلاف المدارس الفقهية داخل هذه المجموعة القانونية ينم عن وجود ثروة رائعة من المفاهيم القانونية والتقنية تسمح للفقه الاسلامي بتلبية جميع الحاجيات التي يفرضها التكيف مع مقتضيات الحياة العصرية » .

وترأس الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله في اختتام مهرجان تدشين معرض الكتاب الفقهي والقانوني جلسة عمل ضمت الشخصيات المثقفة في فاس جدد في بدايتها اشادته بدور جامعة القرويين في رفع مشعل اللغة العربية ، واعطى خلاصة عن الجهود المبذولة من لدن المكتب الدائم من اجل احلال اللغة العربية مكانتها العالمية اللائقة بها .

الشعب الوطنية للتعريب

تهدي الامانة العامة (الادارة الثقافية) لجامعة الدول العربية أطيب تحياتها الى وزارة خارجية -

والحاقا بمذكرتها في 1—1—1967 رقم 17—14—19 ج 4 بشأن المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي — الرباط ، تتشرف الامانة العامة (الادارة الثقافية) ان تذكر ، ان مجلس الجامعة كان قد اتخذ القرار رقم 1896 — ابريل 1963 ، (توصي اللجنة الدول العربية ان تعنى عناية فائقة بموضوع التعريب وان تعمل الدول التي لم تنشىء بعد لجانا وطنية للتعريب على تكوين هذه اللجان في اقرب وقت ممكن . واللجنة اذ تشيد بالجهد العظيم الذي تبذله الدول العربية في مجال التعريب ، توصي بأن يلقى مكتب التعريب بالرباط كل عون وتأييد منها حتى يعمم التعريب بين ابناء الامة العربية)

هذا ، وكان مؤتمر التعريب الذي عقد بالمغرب بدعوة من حكومتها في ابريل / نيسان 1961 ، والذي انبثق عنه المكتب الدائم لتنسيق التعريب ، قد أوصى بما يلي :

(يوصي المؤتمر بأن تنشأ شعبة وطنية للتعريب في كل بلد عربي تتبع نشاط الهيئات المشتغلة بالتعريب في بلدها وتكون صلة بينها وبين المكتب الدائم وتقدم اليه الحصيلة العلمية التي تنتهي اليها الجهود في ذلك البلد)

كما اوصى المؤتمر الثاني لوزراء المعارف والتربية العرب — بغداد فبراير 1964 ، بان تعمل الدول الاعضاء على تنفيذ توصيات التعريب الآنف الذكر (وخاصة تلك التوصية المتعلقة بانشاء شعب وطنية في البلاد العربية للتعريب والتي وافق عليها مجلس جامعة الدول العربية في دورة مارس — ابريل من عام 1963) .

هذا ، ولما كان انشاء مثل هذه الشعب يساعد مكتب التعريب بالرباط على تأدية رسالته بالصورة المتوخاة ؛ والسير به قدما من اجل تحقيق الاهداف القومية المرجوة من وراء انشائه ، فان الامانة العامة (الادارة الثقافية) لجامعة الدول العربية ، تأمل ان تتفضل الوزارة الموقرة بافادتها ما تم بشأن هذا الموضوع البالغ الاهمية والذي يتصل اتصالا مباشرا بالنهضة العلمية العربية الراهنة .

وتنتهز الامانة العامة هذه الفرصة للاعراب عن فائق احترامها .

القاهرة — 25 / 2 / 1967

رحلة الأمين العام إلى الشرقين الأقصى والأوسط
من أجل
توسيع شبكة نفوذ اللغة العربية في العالم

ادلى السيد الامين العام للمكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربي ببيانات حول رحلته الى الشرق الاوسط وآسيا حيث تحدثت الصحافة باسهاب عن اطوار جولاته وقد توصل من الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية برسالة شكر بشأن ما قام به من القاء محاضرات واحاديث فى كراتشي ولاهور واسلامباد حول اللغة العربية واهميتها باعتبارها لغة القرآن الكريم ولغة حضارة عالمية اذ ان هذا المجهود الطيب هو من صميم رسالة الجامعة العربية التي عملت على جعل العربية لغة عمل فى اليونسكو .

قال سيادة الامين العام للمكتب الدائم :

ان الغاية من رحلتي التي استغرقت زهاء شهر (من 16 شتنبر الى 12 اكتوبر 1966) الى الصين ؛ وايران ، والباكستان بدعوة من حكومتي بيكن وكراتشي ، هي العمل على مد شبكة نفوذ اللغة العربية فى كل انحاء العالم . وهاته الرحلة انما هي حلقة اولى من سلسلة تهدف الى تركيز لغة الضاد فى جميع انحاء المعمور كلغة اصبحت لها مكانة مرموقة فى المحافل الدولية بما تتضمنه من مقدرات ثرية وامكانيات رائعة .

وان المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربي الذي انيطت به من طرف الدول العربية وجامعتها الموقرةتلك الرسالة الخالدة الهادفة الى العمل على تبسيطاللغة العربية، وتنسيقمصطلحاتها ونشرها على اوسع نطاق فى كل انحاء العالم ليشعر باهمية هذه المسؤولية التي طوق بها ، والتي ينكب منذ اربع سنوات على وضع اللبنة الاولى لتحقيقها بتعاون مع اصحاب المعالي سفراء الدول العربية بالرباط بصفتهم اعضاء يمثلون حكوماتهم الموقرة فى المجلس التنفيذي للمكتب الدائم وبفضل مساندة جامعة الدول العربية الموقرة والمجامع اللغوية بالقاهرة ودمشق وبغداد والمجالس العليا للعلوم والفنون والاداب والاتحاد العلمي العربي ، ومختلف الاتحادات والهيئات العلمية العربية والافراد العلميين الذين لا يدخرون وسعا فى امداد المكتب بكل ما من شأنه ان يساعد على بلورة عمله التنسيقي الهام .

وانني لاغتنم هذه الفرصة لاجدد شكري واعجابي بالجهود التي تبذلها المجامع اللغوية العربية فى صمت وأناة من اجل اقرار المصطلح العلمي وتوحيده تحت راية جامعة الدول العربية كما أنوه بعمل المجالس العليا البناء فى نشر واشاعة نتائج هذا العمل الذي هو ركيزة اساسية لاحلال اللغة العربية المكان اللائق بها فى الحقل الامي ، ومجالات الحضارة والعلوم .

لقد كان لزيارتي اثر عميق فى الاقطار التي تشرفت بالمقام فيها والاتصال برجالاتها ، حيث عقدت ندوات صحفية واذاعية عديدة ، وارتجلت محاضرات واحاديث مهدت لها دائما بعروض ضافية عن مقومات الحضارة الاسلامية وفى طليعتها لغة القرآن التي تعتبر الأداة الفعالة لبلورة كل وحدة فكرية ، وثقافية بين جميع الناطقين او المتمسكين بلغة القرآن .

وقبل القيام باتصالاتي ابيت الا عقد جلسة مع حضرة عميد السلك الدبلوماسي العربي فى كاراتشي السيد الكيلاني بصفته ممثلا لكل رؤساء البعثات العربية لاشرح لسيادته الغاية من زيارتي والفكرة الاساسية التي كانت محور احاديثي هي أن التاريخ

يجب أن يعيد نفسه بتمكين اللغة العربية من تطعيم اللغات الاقليمية الاسلامية ، كالاردية ، والبنغالية ، والايرانية ، والتركية ، وغيرها في مقابل تطعيمات تنبثق عن هاته اللغات وتستفيد منها لغة الضاد، كما كان الحال في صدر الاسلام وان مرحلة المخاض التي يجتازها العالم المتمدن الآن في اقتباسه مصطلحاته العلمية والتقنية من اللغات الحية يجعل المسلمين في جميع انحاء العالم ، اشد حاجة الى تنسيق جهودهم من اجل تبادل النظر ، والمصطلح العلمي لا يمكن أن يفتقد في هاته اللغات الاسلامية التي لعبت دورا في بلورة الحضارات الغنية لاقامة المصطلح التقني الحديث .

واذا كنا في حاجة الى اقتباس الدخيل الانجليزي او الفرنسي او الالماني او الروسي فيجب الا يتم ذلك الا اذا شعرنا بعد التمحيص والتحري بعدم وجود مقابل علمي صحيح في اللغات الاسلامية ، اذ ان مفهوم التعريب نفسه ، انما هو ادخال المصطلح الاجنبي ، وافراغه في قالب عربي حيث أن روح التسامح الاسلامية التي تشمل حتى الميادين الروحية لا يمكن الا أن تعزز هذا النوع من التبادل الانساني في المجالات التقنية والكشوف العلمية المتوافرة

فاللغة العربية قد قامت بدور هام في العلوم خلال العصور الوسطى وانها مستعدة اليوم ايضا للاخذ والعطاء ارتكازا على الاصلح فكان اول عمل تمت به اذن هو التعرف الى ما يجري فيعض الاقطار التي تواجه نفس المشاكل التي نواجهها فعقدت جلسات دراسية في الصين ، مع ممثلي اكاديمية اللغات الصينية من اجل الاطلاع على المبادرات ، والاعمال التي يقوم بها مكتب المعجم الصيني الموحد التابع لاكاديمية اللغات منذ سنة 1927 من اجل القضاء على اختلاف اللهجات في هذا الصقع من العالم الاسيوي الافريقي . وقد استمرت هذه الدراسة ازيد من ثماني ساعات تبودلت فيها الآراء ، حول مسطرة الانجاز المعجمي ، وسيتبلور هذا التبادل في تقرير خاص يقدمه المكتب الدائم للمجامع والهيئات اللغوية، كبحث أول تعقبه سلسلة ابحاث عن مسطرة العمل في المجامع والاكاديميات في جميع انحاء العالم .

وقد كلل هذا التبادل بمقابلة دامت ساعتين مع نائب رئيس مجلس الشعب الصيني، بصفته رئيسا لاكاديمية العلوم الصينية ، ورئيسا لكتاب وادباء الصين وكانت الغاية من هذا الاتصال ، العمل على توسيع دراسة اللغة العربية في كليات ومعاهد اللغات الشرقية، واقسام الترجمة بالصين وقد اعجبت باتقان المتخرجين من هذه المعاهد للغة العربية ، وطلاقتهم في التعبير بها ، مما حداني الى تسجيل اعجابي ، والمطالبة بمزيد من الحصص والمعاهد للدراسة العربية كوسيلة لتوثيق عرى التبادل الفكري بين جميع دول العالم .

* * *

اما الباكستان التي يبلغ عدد سكانها مائة مليون نسمة ، فهي اول دولة اسلامية ، وجهت حكومتها الدعوة الينا من اجل القيام برحلة في ربوعها .

وكان اول اتصالاتي برئيس جامعة كراتشي الدكتور القريشي وزير التربية سابقا ضمن ثلة من عمداء الكليات، واساتذتها وتبودلت العروض بيننا حول الهدف من زيارتي ووسائل العمل ، فاتفقنا مبدئيا على تشكيل لجنة اقليمية تمثل فيها كل الهيئات العلمية واللغوية في الباكستان على غرار الشعب الوطنية للتعريب المكونة في كل العواصم العربية والتابعة للمكتب الدائم ، وتنحصر مهمتها الاولى في تبادل الراي حول المعاجم المعدة من طرف المكتب الدائم بالعربية والفرنسية والانجليزية والمجهود المصطلحي المبذول من طرف الباكستان في هذا الحقل ، ومعلوم ان الباكستان كادت تختار اللغة العربية كلغة رسمية عام 1950 لولا ان بعض الدول العربية كانت مشتغلة آنذاك في مشاكلها الداخلية مما ترك الباكستان في مهب الرياح بين تأثير اللغة الانجليزية ، وتجاذب اللهجتين الاردوية والبنغالية . ومن حسن الحظ أن حكومة الباكستان الموقرة قد قررت الاستغناء عن الانجليزية سنة 1972 ، والاستعاضة عنها رسميا بالاردوية في الباكستان الغربية والبنغالية في الباكستان الشرقية وهما يحتويان على سبعين في المائة من اللغة العربية .

وكانت زيارتي الثانية لمركز تطوير اللغة الاردوية الذي يعمل على جمع المصطلحات العربية الدخيلة في الاردوية من اجل تركيز هذا الاقتباس على اسس علمية والتعرف الى مدىشبكة التأثير اللغوي العربي، وقد جمع المركز ثمان مائة الف جزازة ، وسيصدر معجما في اثني عشر مجلدا ، صدرت منه لحد الآن نماذج مبسطة . وقد لمسنا روح الاجلال والتقديس التي تذكي كل الباكستانيين ازاء لغة القرآن ، ولغة الحضارة المشتركة ، وهذا المركز يدعم جزازاته بالنصوص المستخلصة من الكتب العلمية والادبية في

مختلف العصور كبرهان حي على مدى تاثير اللغة الام لغة القرآن فى الاردوية .

وانتهى اليوم الاول من الرحلة بحفلة استقبال اقامتها الرابطة الثقافية الباكستانية العربية بحضور كبار العلماء والادباء ورجال الفكر ، وبعض اعضاء السلك الدبلوماسي العربي ورئيس جمعية العلائق الدولية فى فندق العاصمة ، وقد خطب رئيس الرابطة وكاتبها العام ، واوضحا اهداف الجمعية الرامية الى توثيق الروابط مع العالم العربي ، واجبت عن هذه العواطف بكلمة طويلة شرحت فيها اهداف زيارتي واعمال المكتب الدائم ، واقترحت اسس العمل والتبادل .

وفى يوم سابع اكتوبر انتقلت بواسطة الطائرة الى لاهور عاصمة الفكر فى الباكستان فزرت الفرع الاسلامي بجامعة بنجاب حيث القى رئيسها الشيخ علاء الدين الصديقي رئيس المجلس الاستشاري التشريعي لحكومة الباكستان خطاب ترحيب حارا أشاد فيه بلغة القرآن كأساس لوحدة الفكر الاسلامي، وبالمناسبة ارتجلت محاضرة أمام فوج من الطلاب والطالبات والاساتذة حول اسس الحضارة المشتركة، والطرق الناجعة لتجديد الوعي الاسلامي عن طريق لغة الضاد ، كلغة موحدة بين الاقطار الاسلامية بالاضافة الى اللغات الاسلامية الاقليمية المقتبسة أو المطعمة باللغة العربية ، وقد أشدت بصفتي استاذا سابقا فى جامعة القرويين ، واستاذا بدار الحديث الحسنية بالدور الذي قامت به جامعة القرويين كاولى جامعات العالم التي لا تزال قائمة حتى الآن وكذلك بجامعتي الزيتونة بتونس والازهر بالقاهرة .

وتعرضت للشخصيات العلمية العجمية التي ركزت العلوم الإسلامية عن طريق لغة الضاد كابي حنيفة ، والبخاري ، ومسلم ، والفخر الرازي ، والفارابي ، وابن سينا ، وابن الهيثم ، وغيرهم ممن لا يحصون كثرة ، والذين كانوا يعتزون باللغة العربية ولغة القرآن ، ولغة العلوم والحضارة وقد دخلت صدفة الى الجامع ، فسمعت الخطيب يتحدث بالاردوية مشيدا بنشاط المكتب الدائم ومقدم امينه العام ، والامل المعلق على هذه الزيارة من اجل مد شبكة نفوذ لغة الضاد ، وتركيز التبادل الفكري واللغوي .

وقد رجا مني حضرة الخطيب ، وهو شيخ الاسلام علاء الدين الصديقي ، أن اوجه كلمة توجيهية الى الجمهور بعد الانتهاء من الصلاة ، فكان لهذا الخطاب صدى عميق فى نفوسهم ظل بعده العناق والتحيات تترى زهاء ربع ساعة .

ثم ارتجلت حديثا فى مركز الدعوة الاسلامية الذي حضر أعضاؤه للاستماع الى كلمتي حول الاساليب الصحيحة الجدية للدعوة الى الاسلام ؛ والطرق الناجعة لدرء الشبهات الموجهة ضد الاسلام ، وللتوفيق بين الفكر الصريح ، والشرع الصحيح دعما للوفاق الانساني وتركيزا لمبادىء الحنيفية السمحة التي هي دين كل عصر ومصر .

وكانت الامسية موعدا لمادبة عشاء من طرف السيد وزير التربية الوطنية .

وفى اليوم الثامن من اكتوبر زرت الكلية الشرقية بلاهور ، ومكتبتها وتبودلت خطابات ، واحاديث حول نفس الموضوع

ثم زرت معهد الثقافة الاسلامية حيث قابلني اساتذته واعضاؤه ، وهم من علية العلماء عارضين امام نظري نماذج لنحو ثمانين مؤلفا حول الاسلام باللغتين الانجليزية والاردوية .

وبعد الظهر اقامت جمعية حماية الاسلام حفلة استقبال حضرها زهاء مائة استاذ يمثلون ثلاث كليات تشرف عليها الجمعية منها كلية اللغات الشرقية التي تضم ثلاثة آلاف طالب وطالبة وكانت رائعة تبودلت خلالها الخطب وارتجلنا جديثا طويلا حول مقومات الحضارة الاسلامية واسس الدين الاسلامي الصحيح الموافق لروح العصر ثم عرجنا باسهاب على رسالة المكتب الدائم فكان التجاوب كاملا.

وفى المساء اقامت الجامعة النعيمية وهي جامعة اسست على غرار المدرسة النظامية النيسابورية للدراسات والعلوم الاسلامية ، مادبة عشاء حضرها كبار العلماء ، ورجال الصحافة وممثلوا الاذاعة تبودلت خلالها الخطب ، وشرفت بتعليق حمالة تكريمية ، واجريت مقابلة مع ممثلي الاذاعة حول بعض القضايا الاسلامية العامة ، ومشاكل الوحدة اللغوية .

وانتقلت بالطائرة الى راول باندي ثم العاصمة الجديدة اسلاماباد وكان احتفال وزارة الخارجية الباكيستانية رائعا حيث اقامت هذه الوزارة مادبة عشاء فى قصر الضيافة الذي نزلت به فى هذه المدينة

وكذلك فى كراتشي واستدعي لهذا الحفل كبار العمداء والشخصيات العلمية وكبار موظفي وزارتي الخارجية والتعليم ، وكان الحديث طويلا مفيدا حول اهداف المكتب الدائم ومقومات الحضارة الاسلامية المشتركة وامكانيات التبادل الثقافي بين العالم الاسلامي والعالم العربي وشرحت الفكرة باسهاب الى المسؤولين وقد اقيمت هذه المادبة عقب حفلة استقبال اقامها نادي المثقفين فى الساعة الخامسة ارتجلت خلالها محاضرة باللغة الفرنسية كان ترجمان وزارة الخارجية ينقلها الى الانجليزية وكان محور الحديث مع هذه النخبة من المفكرين الشباب هو فعالية الوعي الاسلامي ومقومات الحضارة الاسلامية ووسائل التوفيق بين حضارتنا المشتركة والحضارة الحديثة مما يدعم اندماج العالم الاسلامي فى الحضرة الانسانية معززا بقوة جديدة .

وقد صفق الحاضرون لكل المبادرات التي عبرنا عنها والقى جناب رئيس النادي بحماس بالغ كلمة بالانجليزية حيا فيها ما سماه بالرسالة الخالدة التي حملها المكتب الدائم الى الباكستان لدعم الوحدة الفكرية والثقافية بين نصف مليار من المسلمين من جهة وبين هاته المجموعة الاسلامية والعالم الحديث من جهة اخرى عن طريق اللغة العربية لغة القرآن والحضارة والعلوم واللغات الاسلامية الاقليمية ، وقد شعروا بالمجهود الجبار الذي تبذله الدول العربية ومجامعها وهيئاتها العلمية لارساء لغة الضاد على قواعد تجعل منها لغة دولية تركيزا للاتجاه الجديد الذي جعل من العربية اليوم لغة التخاطب والعمل فى المحافل الدولية ، وقد نشرت الصحف الباكستانية بالاردوية والانجليزية مقتطفات ضافية من حديثنا تردد صداها فى المقابلة التي شرفني بها معالي كاتب الدولة فى الشؤون الخارجية بالنيابة عن السيد الوزير المتغيب وقد استعرضنا مع السيد كاتب الدولة كل عناصر هذا الموضوع فأفضى سيادته بتصريح عبر فيه عن كامل ارتياحه لما ابديناه من عواطف وعبرنا عنه من افكار ورددت الصحف صدى هذا الحديث الذي كلل سلسلة اتصالنا بالهيئات الرسمية وغير الرسمية فى الباكستان .

وقد أبت وزارة الخارجية الا ان تنظم لنا ندوة صحافية استدعت ممثلي الوكالات والصحف والاذاعة اجبنا خلالها عن مختلف الاسئلة بعد عرض مفصل عن الغاية من الزيارة ..

وقد قمنا فى ايران بنفس العمل فاتصلنا بالسيد رئيس جامعة طهران وكان سيادته مصحوبا ببعض مساعديه من اساتذة كلية العلوم المهتمين بالمصطلحات العلمية، واتضح بعد استعراض المجهود المبذول فى حقل المصطلحات العلمية فى الاقطار العربية من جهة وايران من جهة اخرى ان مكاسبنا المشتركة المتبلورة فى التبادل التاريخي للتطعيم بين اللغتين يجب ان تركز من جديد فى مرحلة المخاض التي يجتازها العالم اليوم لاسيما وان الايرانية تحتوي على نسبة 5٪ من العربية التي تضم هي الاخرى مآت المصطلحات الفارسية الاصل لاسيما فى الحقل الحضاري واتفقنا على امكان تكوين شعبة على غرار الشعب المشكلة فى العواصم العربية من أجل امداد المكتب بمعلومات دقيقة عن المجهود العلمي الذي تبذله ايران فى الحقل المصطلحي والمجال الثقافي بكيفية عامة وادى الاتصال بالسيد عميد كلية المعقول والمنقول الى نفس النتائج وتأكد هذا الاتجاه عندما قابلنا سعادة كاتب الدولة فى التربية الوطنية وكنا على ميعاد غير محدد مع معالي وزير التربية نفسه الذي اضطر الى الغياب فى ذلك اليوم ، وقد دار الحديث حول وضع اللغة العربية الآن فى ايران وحصصها فى الاسلاك الدراسية ونوايا الحكومة فى المستقبل تلك الحكومة التي تقدر اللغة العربية كلغة القرآن وكمقوم جوهري لتوطيد الوحدة الفكرية وبعد الاتصال بالسيد نائب رئيس مجلس الشيوخ الاستاذ عباس مسعود اجتمعت برجال الصحافة من ممثلي الجرائد العربية والايرانية والانجليزية والفرنسية وكانت الاسئلة تترى حول نشاط المكتب الدائم وتطور الفكر الثقافي العربي واسس التبادل الفكري فى المستقبل بالاضافة الى اسئلة خاصة حول الادب والثقافة الحديثة فى المغرب الاقصى

وافترقنا فى كل من البلدين الباكستان وايران على اساس تقديم مشروع الى وزير الخارجية فى اسلام اباد وطهران يعده المكتب الدائم لوضع اسس التعاون الثقافي والتبادل اللغوي عن طريق لجنة خاصة تشكل لهاته الغاية .

وكان ضمن برنامج رحلتي التعريج على تركيا الا ان غياب معظم المسؤولين فيها رفقة فخامة رئيس الجمهورية فى زيارته للباكستان حدانا الى تأخير هاته الزيارة الى مستقبل نرجو ان يكون قريبا حتى نستطيع وضع الاسس الاولية لتبادل مجدد بين كافة اصقاع العالم العربي والاسلامي .

وقد كانت ارتساماتنا جد مشجعة وحـرارة الاستقبال وصدق التجاوب من بواعث الامل فى مستقبل وحدوي تستفيد منه الانسانية والسلام العالمي لان الحضارة الاسلامية هي حضارة ينبوعها وعي صادق بالاخاء الانساني الذي يجب أن تتسم بها كل علائقنا الاممية .

وقد تركت هذه الرحلة صدى كبيرا فى الصحافة الشرقية اذ كتبت مختلف الصحف الصينية والايرانية والباكستانية (بالاردوية والانجليزية) تعليقات ضافية عن المكتب الدائم ونشاطات امينه العام . وقد خصصت مجلة « الاخاء » الغراء افتتاحيتها (عدد 87) للحديث عن هذه الرحلة فكتبت تقول :

تطالع فى هذا العدد الحديث القيم الذي ادلى به الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله الامين العام الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربي ، اثناء زيارته لايران
تبدو فى الحديث الذي ادلى به الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله لمجلتنا الجهود المثمرة الخيرة التي يقوم بها صفوة من العاملين من اجل البحث عن الحقيقة ، وتوفير اللقاءات المثمرة ، تلك الجهود التي لا تقف عند حدود ولا تخدم مصالح معينة ، وانما تهدف لتعزيز الروابط بين البلدان الشقيقة المجاورة ، والاستفادة من التطورات العلمية والادبية فى كل من هذه البلاد .

والاستاذ بنعبد الله ، حينما كان يتحدث عن كل ذلك كانت تحدوه الروح الاسلامية النابعة من قلب مؤمن مخلص ، والنظرة العلمية العميقة التي تبحث عن الحقيقة فى كل مكان مهما تباعدت الاصقاع وامتدت المسافات . وذلك لربط وجهات النظر فى حقل مقومات الوحدة الفكرية بين كبار المسؤولين فى العالم العربي والعالم الاسلامي .

ولعل حسن الاستقبال الذي لاقاه الاستاذ بنعبد الله فى كل مكان زاره وخاصة فى ايران والذي انعكس فى حديثه هذا ، ليدل دلالة واضحة على ان بلادنا لا تالوا جهدا فى السير فى نفس الطريق هذا ، وهي تنطلق خلف رائدها الاول جلالة الشاهنشاه المعظم ، لارساء البناء الحضاري الاسلامي ، وبالتالي للتعاون مع جميع الامم على اساس المحبة والتعاون والاحترام المتبادل ، جريا على الطريق الطويلة للحضارة الفارسية التي اشعت على مدى التاريخ .

وقد اشار سعادة الاستاذ بنعبد الله الى هذه النقطة بالذات عند حديثه عن البادرة الشاهانية فى محاربة الامية على المستوى العالمي ، بقوله :

« ان البادرة الشاهانية الكريمة لمكافحة الامية انما هي حلقة من تلك الحلقات الرائعة التي انبعثت عن حكمة فارس والتي ما زالت الى الآن تطعم الفكر الانساني الحديث . وقد لمست ولمس كل عربي عن كثب الروح الاسلامية الفياضة التي يتمتع بها جلالة الشاهنشاه والتي كنا نسمع عنها ، ولكننا شاهدنا مظهرا من نصاعتها واشراقها واشعاعها » .
واليكم هذا الحديث :

زار ايران فى اواخر الشهر الماضي الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله الامين العام الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربي والاستاذ فى جامعة القرويين وجامعة محمد الخامس ودار الحديث .

وقد زار سعادته مكاتب الاخاء ، فاغتنم مندوبنا الفرصة وسأله عن المهمة التي يهدف اليها من زيارة ايران .

قال الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله : لابد لي أن اتحدث اليكم قبل كل شىء عن المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربي ، لان مهمتي تعتمد اعتمادا كليا على العمل من اجل اهداف هذا المكتب .

فالمكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربي اسس عام 1960 بعد انعقاد مؤتمر التعريب فى الرباط ، ذلك المؤتمر الذي دعا اليه صاحب الجلالة المرحوم محمد الخامس ، على اثر عودته من الدول العربية حيث لاحظ اختلاف المصطلحات العلمية بين هذه الاقطار . فكانت هذه البادرة المغربية الهادفة الى تنسيق جهود العالم العربي والعالم الاسلامي وكل المناطق الناطقة بلغة الضاد اقرار وحدة كاملة شاملة فى شتى نواحي الفكر وهكذا بدأ المكتب الدائم يعمل من اجل تحقيق وحدة الفكر ووحدة الثقافة فى العالمين العربي والاسلامي عن طريق توحيد لغة القرآن ، والعمل من اجل احلالها المقام اللائق بها فى العالم المعاصر . وقد اصبحت اللغة العربية لغة عمل فى كثير من المحافل الدولية . الا ان الجهود التي يبذلها العالم العربي فى حقل المصطلح العلمي هي جهود مبعثرة دعتنا الى وضع معاجم موحدة باللغات العربية والانجليزية والفرنسية فى شتى الشعب العلمية والتقنية وقد صدر منها حتى الآن معاجم الكيمياء والفيزياء والرياضيات والاشغال العامة والسياحة والفقه والقانون ومصطلحات السيارات ومصطلحات مصانع التقنية الخ .. كل هذا بتعاون بين المجامع العربية والهيئات والمجالس العلمية فى البلاد العربية .

وبعد تحقيق هذه الفترة من الوحدة اللغوية والفكرية بين اجزاء العالم العربي ندخل الآن الى مرحلة ثانية ، هي ادراج بقية اقطار العالم الاسلامي فى هذا العمل الوحدوي الفكري . وكان ذلك هو موضوع الجولة التي قمت بها فى الباكستان وايران وتركيا ، حيث اتصلت ، وخاصة فى القطرين الاولين بوزراء او نواب كتاب الدولة فى الخارجية ورؤساء الجامعات وقادة الفكر فى شتى المناحي الثقافية والتقنية والعلمية ، وقد قضيت اسبوعا كاملا فى الباكستان القيت خلاله عدة محاضرات فى الاندية الادبية والمراكز الاسلامية وتبلورت فكرة اساسية ، هي امتداد للمسطرة المتبعة فى العالم العربي ، الا وهي العمل من اجل تشكيل لجنة يختار اعضاؤها من الجامعات والمراكز اللغوية والادبية المختلفة على غرار الشعب الوطنية للتعريب الموجودة فى كل عاصمة عربية . ولا نقصد من التعريب ادخال المصطلحات العربية فى كل اللغات المسلمة الاقليمية ، وانما نقصد كما هو التعريف اللغوي لهذه الكلمة الاقتباس من الفارسية والباكستانية والبنغالية والتركية وحتى اللغات الحديثة واعطاء هذه الكلمات قالبا عربيا ، فهو اذن تبادل وتزاوج بين الفكر الفارسي والفكر العربي فى الحقلين اللغوي والثقافي ويهدف الى الاستفادة من الجهود الجبارة التي يبذلها رجالات الفكر فى فارس من اجل بلورة اللغة الفارسية وافادتها بالمجهود الذي يبذله العالم العربي فى الحقل اللغوي العلمي . وبهذا يمكننا ان نعيد تاريخنا الماجد يوم كانت هذه اللغات تتبادل مصطلحاتها وقد نستغني بهذه الوحدة اللغوية وتبادل المصطلح بين اجزاء العالم الاسلامي عن الاقتباس من كثير من اللغات الاجنبية غير الاسلامية .

وقد اتصلنا ايضا بالمسؤولين فى جامعة طهران وكلية العلوم العقلية والنقلية بها وكذلك بمعالي كاتب الدولة فى التربية والتعليم الدكتور شريف ، لربط وجهات النظر فى هذا الحقل الهام من مقومات وحدتنا الفكرية بين كبار المسؤولين فى العالم العربي والعالم الاسلامي وخاصة فى باكستان وايران والدول العربية. وقد لمست استجابة كاملة عند كل المسؤولين فى مختلف الاقطار الاسلامية التي اتصلت بقادتها وخاصة منها بلاد الصومال التي اجريت مع وزير التربية حديثا يهدف الى وضع نفس الاسس الوحدوية ، وساحاول الاتصال فى جولات مختلفة بباقي اجزاء العالم الاسلامي ترصيصا لهذه الوحدة اللغوية والفكرية والروحية بين 600 مليون من المسلمين فى العالم . وسوف لا يقتصر عمل المكتب على العالم العربي والاسلامي فحسب بل سيشمل ايضا كل انحاء العالم المتمدن ، ولهذه الغاية قمت باول جولة استطلاعية فى الصين الشعبية تلبية لدعوة من حكومتها وذلك من اجل العمل على نشر اللغة العربية فى الاصقاع الصينية وتوزيع حصصها الدراسية فى المعاهد والجامعات فى مختلف ارجاء الصين ، وقد اجريت حديثا طويلا دام اكثر من ساعتين مع السيد نائب رئيس البرلمان الصيني بصفته رئيسا لكتاب وادباء الصين ورئيسا لاكاديمية العلوم واللغات . وستكون هذه خطوة اولى للقيام بنفس العمل فى روسيا وامريكا واوربا من اجل تركيز اللغة العربية ، كلغة دولية ، وتوسيع شبكة نفوذها فى العالم الحديث.

ثم وجه مندوبنا للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله السؤال التالي :

س — قلتم انه يوجد بين الادبين الفارسي والعربي نقاط تبادل وامتزاج ، يمكن الاستفادة منها الآن ، فما هي هذه النقاط فى رايكم ؟

ج — من الناحية العلمية يمكن أن يؤثر الادب الفارسي على الادب العربي ، أما من الناحية الادبية فهناك نسبة هامة من اللغة العربية فى الفارسية وبالعكس مآت من الالفاظ الفارسية فى العربية ، والمهم اليوم أن نغتنم هذه الفترة التي تتمخض خلالها اللغة العلمية فى كل من العالم العربي والاسلامي وخاصة فى فارس وتركيا وباكستان من اجل تبادل الجهود المتمخضة عن تجارب علمية قامت بها كل هذه الدول فى حقل المصطلح العلمي وستكون هذه القاعدة الاساسية نقطة انطلاق رصينة من اجل تركيز الوحدة الاسلامية فى جميع مناحي الفكر والحضارة والعلم .

وبعد استجواب الاستاذ عن مؤلفاته واللغات التي يتقنها طرحت المجلة على سيادته السؤال الآتي :

س — متى بدات الحركة الادبية فى المغرب وما هو اتجاهها ؟

ج — الحركة الادبية فى المغرب بدات تزدهر وتتخذ اتجاهها حديثا الى جانب اصالتها كمظهر حضاري لامة حملت مشعل اللغة العربية والثقافة العربية خلال اربعة قرون عندما كان العالم الاسلامي

كله خاضعا للخلافة العثمانية ولم يتخلف عند ذلك الا المغرب الاقصى الذي احتفظ باستقلاله وسيادته طوال اكثر من1000 عام ولهذا امتازت ثقافتنا ونظرتنا الحديثة الى الادب والحضارة بنوع من الاصالة عززتها تطعيمات شرقية رصينة وثقافة غربية علمية عن كثير من النخب الفكرية فى هذه البلاد للطابع الاساسي الذي رسم ثقافتنا المعاصرة هو اذن طابع يتسم بهذه الفسيفساء من الحضارات المختلفة ، ونجد ايضا فى الفن المغربي صورة ناصعة لهذه الفذلكة الجامعة والتي نجد فيها الى جانب الفن البربري والفن الاندلسي والفن التوطي السمات الجوهرية للفن الفارسي الرائع ، كما نجد فى مختلف مظاهر حضارتنا ومصطلحاتنا التقليدية الفاظا فارسية تشهد بذلك الاخاء وبتلك الوحدة التي ارتكزت فى المغرب الاقصى وفارس منذ ازيد من 1000 عام والتي نعمل الآن على ترصيصها ضمن وحدة كاملة تشمل جميع مظاهر الحضارة المعاصرة .

س — ما رايكم بدعوة جلالة الشاهنشاه محمد رضا بهلوي لمكافحة الامية ؟

ج — الواقع ان هذه دعوة نبيلة سامية وهي تهدف الى استئصال شأفة هذا الداء من جذوره العميقة ، وهي بادرة شاهانية كريمة ليست الاولى من نوعها وانما هي حلقة من تلك الحلقات الرائعة التي انبثقت عن حكمة فارس والتي ما زالت الى الآن تطعم الفكر الانسانى الحديث ، وحبذا لو نفذت هذه الفكرة الشاهانية السامية فى كل اقطار العالم لتؤدي حتما للقضاء على الامية على اساس التخلف عند كثير من الامم .

ثم استطرد الاستاذ بنعبد الله قائلا : والواقع أنني اعجبت اعجابا بالغا بصاحب الجلالة وخاصة خلال رحلته الاخيرة الى الديار المغربية حيث لمست ولمس كل مغربي عن كثب تلك الروح الاسلامية الفياضة التي كنا نسمع عنها ولكننا شاهدنا مظهرا من نصاعتها واشراقها واشعاعها .

وفى المغرب كتبت جريدة «العلم» الغراء تقول :

نشرنا فى الصفحة الثقافية خبر سفر الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله الامين العام للمكتب الدائم للتعريب فى رحلة عبر آسيا يزور خلالها ايران والباكستان وتركيا والصين الشعبية فى مهمة اناطته بها الجامعة العربية ، وقبل مغادرته الرباط اجرينا معه الاستجواب التالي :

س — هل لنا ان نعرف الهدف من زيارتكم لهذه الدول ؟

ج — كانت الغاية الجوهرية من تأسيس المكتب الدائم المنبثق عن مؤتمر التعريب الذي انعقد بالرباط بين ثالث وسابع ابريل 1961 تحت رعاية جلالة الملك الحسن الثاني تتلخص خاصة فى السهر على تطوير اللغة العربية وتزويدها بما يتطلبه العصر الحديث من مقتضيات تساعد لغة الضاد على مسايرة اللغات الحية وعلى استرجاع مكانتها فى الحقل العلمي واحتلال المقام المرموق الذي ينتظرها فى المحافل الدولية .

وقد رتب المكتب الدائم لضمان ذلك تصميمات واسعة برز بعضها للوجود وسيعلن عن البعض الآخر فى تصميم عشاري (سيطلع عليه الخبراء فى الشهور المقبلة بعد مصادقة المجلس التنفيذي المكون من سفراء الدول العربية بالرباط عليه) .

ونحن نهدف من وراء هذا الى تحقيق تحول وفعالية اللغة العربية وذلك على اربع مراحل :

المرحلة الاولى : استغرقنا فيها ثلاث السنوات الماضية بجرد وترتيب كل المصطلحات الرائجة فى العالم العربي الآن (ويمكن للباحثين ان يشاهدوا نتيجة هذا العمل الضخم . لا فيما اصدره المكتب الدائم من معاجم فحسب . بل فى الجزازيات التي تعد بعشرات الآلاف فى مختلف شعب العلوم والتقنيات والآداب والحضارة) .

اما المراحل الثانية والثالثة والرابعة فانني ارجيء الحديث عنها الى فرصة اخرى الى ان تصادق عليها جامعة الدول العربية والمجلس التنفيذي للمكتب الدائم .

وقد توخينا لتحقيق ما نصبو اليه من شمول اللغة العربية اصدار معاجمنا بلغات ثلاث هي العربية والانجليزية والفرنسية ، لانها هي اللغات السائدة فى العالم العربي خاصة والاسلامي عامة ، لا سيما فى افريقيا وآسيا .

فلهذا لا تقتصر مهمة المكتب الدائم على ضمان فعالية اللغة العربية بالنسبة لمائة مليون من العرب فقط ، ولكن بالنسبة لكافة الناطقين بلغة الضاد حيث ما وجدوا ، سواء بالمهجر فى امريكا ، وفى فيافي الصحراء الافريقية والاسيوية وعددهم ينيف على نصف مليار .

ونحن نعمل على ان تصل معاجمنا الى كافة هاته الاصقاع ، وان تصل اصداء نشاطنا الى كل انحاء العالم حتى يطلع العرب وغير العرب من المستشرقين والمهتمين بالابحاث اللغوية على المسطرة المنطقية التي تنهجها للسير بلغة الضاد فى اقرب الآماد الى غايتها المنشودة .

ولذلك انشأنا اركانا اذاعية ببعض اللغات الغربية علاوة على العربية ، وفتحنا صفحات « اللسان العربي » لكل بحث يصدر عن لغة الضاد بأية لغة اخرى .

فالجولة التي سأقوم بها الى الشرق الاوسط والاقصى بدعوة من دول شقيقة وصديقة ابتداء من 16 شتمبر الى 12 اكتوبر ، تهدف الى التعرف على مدى اهتمام هاته الدول باللغة العربية كلغة للقرآن والحضارة الاسلامية ، وعن الحصص المخصصة لها بالمناهج الدراسية والجامعية حتى تتجمع لدينا العناصر التي ستشكل مقوما من المقومات التي تركز دولية اللغة العربية وفعاليتها فى الحقل الاممي .

وقد وجهنا مذكرات لوزراء التربية فى العالم العربي والاسلامي والى عدد من رجال الفكر العرب والمستشرقين من المهتمين بالدراسات اللغوية ، وذلك فى شكل استفتاء حول المشاكل التي قد تصطدم بها اللغة العربية لضمان بلورتها فى الحقل العلمي والتقني وسيفتح هذا الاستفتاء عهدا عمليا جديدا للتعرف على المشاكل ، والبحث عن الحلول الناجعة لها .

اما فى خصوص زيارتي للصين الشعبية فالغاية الاساسية هي التعرف الى المجهود الذي تبذله الاكاديمية الصينية فى حقل المصطلحات العلمية ، منذ سنة 1927 حيث شكلت لجانا كثيرة للخبراء فى مختلف شعب العلوم ، من اجل وضع قاموس صيني يبلغ عدد مجلداته المائة .

واللغة الصينية، وان كانت لغة لها مشاكلها الخاصة ، فيما يتعلق بالحروف (الصورية) التي تعد بالآلاف الا ان لبعض مشاكلها شبها بالمشاكل التي نواجهها فى بلورة المصطلح العلمي العربي الحديث وخاصة بالنسبة للمعجم العربي العام الذي نعد العدة لاصداره فى نهاية التصميم السداسي للمكتب الدائم للتعريب .

— نرجو للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله جولة موفقة ومزيدا من النجاح للغتنا العربية .

السيد الأمين العام في الخليج العربي

في نطاق المهام المنوطة بالسيد الامين العام للمكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي ، توصل في يبراير 1967 بدعوة من حكومة الكويت لزيارة البلد الشقيق ، واجراء اتصالات مع رجال الفكر والثقافة والتعليم هناك ، وبالفعل لبى السيد الامين العام الدعوة التي اعقبتها دعوات الى القاهرة والرياض وقطر والبحرين .

وقد وصل الى القاهرة يوم السبت 25 فبراير 1967 اذ حل ضيفا على حكومة الجمهورية العربية المتحدة صحبة مساعده السيد المندوب العام للمكتب في الدار البيضاء ، واجرى اتصالات مع المسؤولين في وزارتي التربية والتعليم العالي لتسوية المسائل المعلقة ؛ وانعقد جمع بمقر الجامعة العربية حضره السيد الامين العام المساعد والمدير العام للادارة الثقافية كما حضره السيد رئيس البعثة الديبلوماسية المغربية بالقاهرة ، وقد التقى السيد الامين العام عرضا عن الوضع الحالي للمكتب الدائم من الناحيتين القانونية والمالية ، وتم الاتفاق على مسطرة تعضد نشاط المكتب وتضمن رسالته التنسيقية في العالم العربي .

هذا وقد استقبل السيد الامين العام للمكتب الدائم من طرف مجلس مجمع اللغة العربية بالقاهرة وفي كلمة الترحيب التي القاها بهذه المناسبة رئيس المجمع الدكتور طه حسين اشاد بالمكتب الدائم مباركا اعماله ومثنيا على جهوده ومهيبا برجاله ان يوالوا اياديهم المشكورة لصالح العروبة ولغة الضاد.

وقد ابت جامعة الدول العربية في هذه الفترة الا ان تعزز التصميم العشاري الذي وضعه المكتب الدائم فوجهت مذكرة الى الدول العربية للاسهام في تمويله والعمل على انجازه .

وبمناسبة انعقاد المؤتمر التاسع لاتحاد المحامين العرب في القاهرة آنذاك ابرق السيد الامين العام للمكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي الى رئيس المؤتمر ببرقية جاء فيها :

يسعدنا أن نحيي باسم المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي مؤتمركم الموقر ونؤكد لحضرتكم ان المكتب الدائم الذي يكرس جهوده لتوحيد المصطلحات العربية وفي ضمنها المصطلحات القانونية يهيب بكم الى اغتنام هذه الفرصة للعمل على تحقيق هذا الهدف السامي الذي يعتبر من مقومات الوحدة الفكرية بين اجزاء العالم العربي وللمكتب الدائم الشرف في أن يجعل نفسه رهن اشارة المؤتمر .

هذا وقد علقت بعض الصحف العربية بالقاهرة على زيارة السيد الامين العام ناقلة اخبار نشاطاته واتصالاته بالدوائر المسؤولة ؛ فكتب مراسل جريدة الجمهورية القاهرية الاستاذ اسعد حسني (بتاريخ 2 مارس 1967) يقول :

في اطار التعاون الثقافي بين اجزاء الوطن العربي .. قررت الجامعة العربية ان تعهد الى مكتبها الدائم لتنسيق التعريب بالعمل على استكمال وضع سلسلة من المعاجم اللغوية التي بدأ خبراء التعريب في العالم العربي قبل اربع سنوات بالتحضير لها .. وذلك باللغات العربية والفرنسية والانجليزية ، وفي مدة اقصاها ست سنوات اخرى على أن تكون هذه المعاجم شاملة لكافة المصطلحات المعجمية الموازية والمتساوية في اللغات الثلاث ، فيما يختص بالاداب

والعلوم والرياضيات والفيزياء والفقه والقانون ..

وقد تقرر اعتماد مبلغ مائة الف جنيه بصفة مبدئية لاصدار هذه المعاجم وذلك علاوة على مرتبات العلماء والخبراء الذين سيعملون فى هذا المشروع ، اذ ستصرف لهم من الدول التي ينتسبون اليها ..

وقد اجتمع السيد عبد العزيز بنعبد الله ، الامين العام لمكتب التعريب بالسيد « سيد يوسف السيد » وزير التربية والدكتور « محمد محمد حسان » وكيل وزارة التعليم العالي لدراسة خطة العمل ، كما بحث مع السيد « الدرديري اسماعيل » الامين العام المساعد للجامعة العربية وسائل التمويل التي يحتاجها اصدار هذه المعاجم فى المدة المحددة لها .. وذلك بمناسبة سفره اليوم فى جولة يزور فيها عواصم الدول العربية للتعريف بالمشروع فى الدوائر الحكومية والشعبية .

وشرح السيد « بنعبد الله » فى حديث ادلى به الى « الجمهورية » تفاصيل هذا المشروع بقوله : « ان الهدف الرئيسي من اصدار هذه المعاجم ، هو تدارك النقص الذي تعانيه لغتنا العربية فى اداء كثير من المفاهيم الانسانية بصفة عامة ، وفى التعبير عن المصطلحات العلمية بصفة خاصة » وقال : « ان العاملين فى الحقل الثقافي والعلمي فى البلاد العربية ، عملوا فى حدود امكانياتهم على سد هذا النقص ، ولكن من دون ان تكون هناك خطة مدروسة ولا منهاج معلوم لذلك فان شعب التعريب فى كل قطر عربي عملت على تجميع الحصيلات العلمية والثقافية والمصطلحات اللغوية واخذت تبعث بها الى المكتب الدائم.. ولكن رغمقيمة هذه الثروةالنفيسةالتياكتسبتها لغتنا العربية من هذه الجهود .. فانها تكاد تتلاشى ازاء التطور والسرعة اللذين تتقدم بهما العلوم والآداب وتسير بهما الحضارة الانسانية فى هذا العصر .

وختم السيد « بنعبد الله » حديثه قائلا :

لهذا تقرر وضع معاجم عربية للمعاني .. ووضع ما يماثلها من المعاجم فى اللغتين الفرنسية والانجليزية.

« ان جرد المفاهيم الانسانية من خلال الالفاظ التي تشتمل عليها المعاجم الفرنسية والانجليزية الحديثة عمل لازم لتكملة الفصل الاول الذي نهدف من ورائه الى معرفة ما عند اللغة العربية وما ينقصها فان المعجم العربي للمعاني لن يكون بوسعه ان يطلعنا الا على ما عند اللغة العربية . أما ما ينقصها فلن يتبين الا بمقارنة ما عندنا فى كل موضوع بما عند غيرنا فى نفس الموضوع .

ولذلك يتعين لكي نضع المعجم المنشود جرد دائرتي المعارف الفرنسية والانجليزية .. وتصنيف مادتيهما حسب التبويب المتبع فى اعداد المعجم العربي لتسهيل المقارنة » .

هذا وقد غادر السيد الامين القاهرة يوم الثلاثاء 28 فبراير بعد زيارة لها دامت ثلاثة ايام عقد خلالها آخر جلسة قبل سفره الى الكويت مع معالي وزير التربية محمد يوسف السيد وصادف الحال وجود فضيلة الدكتور عبد الرزاق محيي الدين رئيس المجمع العلمي العراقي والامين العام للسياسة الموحدة بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية ونوقشت فى هذا الاجتماع قضايا التعريب المعلقة بين المكتب الدائم والجمهورية العربية المتحدة ، كما تحدث السيد رئيس المجمع العراقي عن نشاط المكتب والروابط المكينة مع المجمع العربي الموقر .

وفى نفس اليوم حل السيد الامين العام بالكويت حيث استقبل من طرف سعادة وزير التربية السيد صالح عبد الملك الصالح فى مكتبه ، وقد درست بهذه المناسبة قضايا تتصل باسهام الكويت فى ميزانية المكتب وتشكيل شعبة كويتية للتعريب تابعة للمكتب الدائم وتمويل التصميم العشاري .

وقد تضمن برنامج زيارة الامين العام للكويت الاتصال ببعض اعضاء الحكومة الكويتية كوزراء الارشاد والمالية والتجارة والتخطيط الذين أجرى معهم محادثات حول تمويل دولة الكويت لقسم من التصميم كما اتصل برجال الصحافة والشخصيات العلمية من بينها الدكتور احمد زكي مدير مجلة « العربي » وعضو مجمع اللغة العربية واجرى مع مدير الاذاعة الوطنية حديثا اذاعته المحطة المركزية ، وقد اقامت رابطة ادباء الكويت حفلة تكريمية للامين العام كما وشحته جامعة الكويت بالشارة الجامعية .

وقد رحب جهاز الصحافة والاذاعة الكويتية بالسيد الامين العام ونقل اصداء رحلته ، وبعد انتهاء مقام السيد الامين العام بالكويت توجه الى البحرين حيث استقبل من طرف سمو وزير المعارف ومن طرف المدير العام للتعليم واقام فخامة امير البحرين مادبة عشاء تكريما له فى قصره الفخم حضرها عدد من رجال الدولة ودار حديث طويل حول المشروع وتمويله.

وفى قطر ايضا استقبل السيد الامين العام من طرف سمو وزير المعارف والمدير العام لنفس الغاية . وارتجل السيد الامين العام بطلب من هيئة العلماء محاضرة بالمعهد الديني اعقبتها مناقشة طويلة وختم مقام السيد الامين العام فى اقطار الخليج العربي بمأدبة غداء اقامتها وزارة المعارف القطرية تكريما له .

وكان مشروع المكتب الدائم عناية الجميع كما كانت البادرة الطيبة التي صدرت عن جلالة الملك المرحوم محمد الخامس بتنظيم مؤتمر التعريب وتأسيس المكتب الدائم مثار اعجاب كل الذين تتبعوا عن كثب مآثر جلالته الخالدة وكان اسمه مقرونا فى كل مكان بآيات التقدير والاجلال ، وكذلك اسم صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله الذي يرعى المكتب بكامل العناية .

وقبل عودة السيد الامين العام من الخليج العربي عرج على الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية اذ اجرى اتصالات شتى مع رجال الفكر فى مقدمتهم معالي وزير التربية والتعليم بالمملكة العربية السعودية الذي تفضل فشمل المكتب ومشاريعه بكامل العناية والتقدير ، وفى المدينة المنورة اتصل مندوب جريدة المدينة بالسيد الامين العام واجرى معه حديثا مسهبا حول مهام المكتب الدائم واهدافه ومنجزاته نقدمه فيما يلي :

خلال موسم الحج التقى مندوبنا احمد محمد مجلى بسعادة السيد عبد العزيز بنعبد الله الاستاذ بجامعة القرويين بفاس (وهي اقدم جامعة فى العالم حيث تأسست عام 245 هـ) والاستاذ بجامعة محمد الخامس ودار الحديث بالرباط وهو أمين عام المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربي .

وقد تحدث سيادته الى مندوبنا فقال :

— جئت فى مهمة الى الرياض بعد ان زرت عواصم عربية كالقاهرة والكويت وقطر والبحرين من اجل التعريف بالمكتب الدائم والاتصال بوزارات التربية والاعلام والمالية فى هذه الاقطار .. وسأتصل بمعالي وزير المعارف السعودي الموقر والمسؤولين بالرياض لدراسة وتنسيق تخطيطات المكتب ومعلوم ان المكتب الدائم قد انبثق عن مؤتمر التعريب الذي انعقد بالرباط عام 1961 بدعوة من جلالة المرحوم محمد الخامس بعد زيارته للديار الشرقية حيث لاحظ جلالته اختلاف المصطلح العلمي واقليمية الجهد اللغوي فشاركت تلك الدول العربية مع الجامعة العربية واسندت الينا الامانة العامة لهذا المكتب الذي أصبح يعمل على الصعيد العربي تحت اشراف الجامعة العربية ومما يمتاز به هذا المكتب ويضفي على نشاطه نوعا من الحرية والمرونة ان له مجلسا تنفيذيا مكونا من سفراء الدول العربية بالمغرب منتدبين من حكوماتهم وهم الذين يقررون الميزانية ويشرفون مع الامانة العامة على اعمال المكتب .

وعلى سؤال حول دور المكتب الدائم فى حقل الثقافة والترجمة اجاب سيادته بقوله :

— المكتب الدائم يعمل على تنسيق جهود الدول العربية فى حقل الثقافة والترجمة والتعريب وقد تقرر تشكيل شعبة وطنية للتعريب فى كل قطر عربي تتتبع النشاط الثقافي واللغوي الاقليمي لتوافي به المكتب الدائم الذي يعمل على تركيزه تحقيقا للوحدة الفكرية بين اجزاء العالم العربي .

وعن منجزات المكتب فى السنوات الاربع الماضية قال سيادته :

— لقد اصدر المكتب الدائم عدة معاجم باللغات العربية والانجليزية والفرنسية فى الكيمياء والعلوم والفيزياء والرياضيات والاشغال العمومية والسياحة والفقه والقانون وغير ذلك من نشرات لمحاربة الدخيل الاجنبي فى العالم العربي وتفصيح اللهجات العامية فى كل قطر عربي وتوسيع نطاق استعمال اللغة العربية فى العالم الاسلامي وقد تمت لهذه الغاية فى العام الماضي بزيارة للباكستان وايران حيث يعمل المكتب على تشكيل لجان ثقافية .

وساله مندوبنا عن مشاريع المكتب ومخططاته المستقبلة فاجاب سيادته بقوله :

— لقد وضع المكتب الدائم تصميما عشريا أي تخطيطا لعشر سنوات يتضمن خمسة مشاريع منها معجم عام باللغات يستكمل كل المفاهيم الحضارية المعاصرة وقد وضع المكتب حتى الآن ثلاثمئة الف بطاقة تحمل المصطلح الفرنسي أو الانجليزي مع مقابلاته المستعملة فى كل قطر عربي وهنا تتجلى اهمية الدور الذي تقوم به الشعبة الوطنية للتعريب لانه عن طريقها يتأتى للمكتب اسماع صوت كل قطر عربي والتعريف بمجهوده الفكري وضمان اسهامه فى الوضع اللغوي، وستتبنى بعض الدول العربية هذه المشاريع فتصدر باسمها .. وقد تقدم المكتب بهذا الرجاء الى المغرب

ودول الخليج العربي وحكومة الرياض فقوبل اقتراحه بحماس وتشجيع وقد ساعد المغرب المكتب الدائم لحد الآن بما قدره مائتا الف دولار امريكي كما دفعت الاردن والكويت والعراق وسوريا وليبيا جزءا من اقساطها فى الميزانية وقد التزمت بعض الدول الباقية بدفع كامل اقساطها عن السنوات الماضية على اثر زيارة الامين العام لها واشعارها باهمية وفعالية هذا العمل التنسيقي الذي يركز لغة الضاد ويحلها المكانة اللائقة بها فى الحقل الدولي واذا كانت اللغة العربية قد اصبحت اليوم لغة رسمية فى محافل دولية كاليونسكو والمنظمة الزراعية العالمية فان المكتب يعمل على تركيز هذه اللغة من الناحية العلمية حتى تصبح ايضا لغة العلم والحضارة .

واخيرا اعرب الامين العام للمكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربي عن انطباعاته عن المملكة فقال :

— لقد راعني ما لمسته من مجهود جبار فى تطوير المملكة العربية السعودية بقيادة عاهلها الهمام جلالة الملك فيصل المعظم حيث يحس الزائر فى كل سنة بمظهر جديد لهذا الانبعاث ونحن نعتبر الحرمين الشريفين وطننا الاول قبل مسقط راسنا ومهبط الوحي وموطن الرسول عليه السلام ومأوى الايمان .

وبزيارة العربية السعودية ، انتهت رحلة السيد الامين العام للمكتب الدائم الى الشرق العربي تلك الرحلة التي حقق المكتب الدائم من ورائها فكرة اللقاء المباشر مع المسؤولين عن التعريب والتعليم فى البلاد العربية والتي اقرت التصميم العشاري الذي اعده المكتب الدائم لمشاريعه فى عشر السنوات القادمة .

مهرجان رائع من أجل
إحياء ذكرى فلسطين

في المهرجان الذي نظمه مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في المغرب بمناسبة الذكرى التاسعة عشرة لتقسيم فلسطين العربية شارك الملحق الثقافي السيد محمد العلمي نيابة عن المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي في هذا المهرجان بكلمة هذا نصها :

اصحاب السعادة السادة السفراء

سادتي سيداتي اخواني

انه لشرف عظيم ان احضر هذا المهرجان العربي الذي يقام تخليدا لذكرى فلسطين العربية المسلمة ، وانه ليشرفني ايضا ان امثل فيه المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي .

هذا المكتب الذي انشىء بالمغرب سنة 1961 بدافع شعور قادة العرب وروادهم بوجوب لم الشعث العربي وتدعيم وحدة الفكر ، التي طوحت بها الاهواء وحاول الاستعمار ان يذهب بها في طرق ملتوية لا يعرف معها العرب الطريق الذي يجب ان يسلكوها لتخليد عزمهم وارجاع دولتهم وجعلهم أمة واحدة كما كانت يوم ان قال الله تعالى في كتابه العزيز «كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله » .

ان المكتب الدائم للتعريب يرى ان مساهمته في احياء ذكرى فلسطين وتخليد ايامها والدعوة الى تحريرها لمن الامور الهامة التي تدخل في نطاق العمل التنسيقي الذي يقوم به على الصعيد العربي ، ولذلك لا يعد تجاوزا لاختصاصاته اذا ما قام في الماضي — قبل ان يتكون فرع منظمة التحرير الفلسطينية بالمغرب — بتنظيم اسابيع لفلسطين الخالدة يجمع فيها سفراء الدول العرب وعلماءهم وادباءهم من اجل المساهمة في هاته الاسابيع بالمحاضرات والندوات والمعارض للكتاب الفلسطيني في جميع انواعه وشعبه.

واليوم وبعد ان تكون هذا الفرع الذي نرجو له النجاح والتوفيق راى المكتب استمرارا لعمله الاول ان يشارك في هذا المهرجان ويقول كلمته بين الكلمات يعبر فيها عن شعور اعضائه قاطبة ويتحسر لبقاء الحال كما كانت عليه بل لتأزمها من جديد في فلسطين، هذا الجزء العربي المغتصب الذي شاء الاستعمار ان يجمع فيه قوى الشر من كل صنف ويجعل منه اوكارا للجور والطغيان والفتك بابناء العروبة والاسلام الابرياء لا لشىء الا لارضاء الاهواء والمطامع الاستعمارية والابقاء على النفوذ الاجنبي في هاته الديار العربية .

وان المكتب كمنظمة ثقافية عليا تعمل على الصعيد العربي ليسعده ان يرى اليوم الذي ترفرف فيه راية النصر العربية الخفاقة من جديد في فلسطين مثلما ترفرف على باقي الشعوب العربية الاخرى ، ولذلك فهو فخور بأن يجدد العهد على توجيه الدعوات المتكررة الى ابناء العروبة والاسلام في كل مكان لينا صروا اشقاءهم في هذا الجزء المغتصب ويقرروا الخطط العملية التي تسير بالقضية الى حل عاجل مشرف تنقذ منه العروبة والاسلام ويقضي على الاستعمار واذنابه ، وما ذلك على ابناء العروبة والاسلام اذا ما قويت عزائمهم واتحدت قلوبهم ببعيد، ذلك لان نبيهم العظيم صلوات الله وسلامه عليه ، يرى حقا انه لن يغلب من امته اثنا عشر الفا صابرة محتسبة ، فما بالك والشعوب العربية تقدر بنحو مائة مليون والشعوب الاسلامية عامة تناهز ربع سكان المعمور . أفلا يقوى عزمنا ونوالي المعركة حتى النصر (ان ينصركم الله فلا غالب لكم . ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم) صدق الله العظيم . والسلام عليكم ورحمة الله .

ارتسامات عن "اللسان العربي" في مجاهل آسيا

الدكتور عادل عبد السلام
(جامعة دمشق)

بعث الدكتور عادل عبد السلام استاذ الجغرافيا بكلية الآداب فى جامعة دمشق رسالة يشرح فيها ارتسامات حول مجلة « اللسان العربي » فى قبائل التوبو بمغاور جبال تبيتي ، ومما جاء فيها :

كان ذلك من قبيل الصدفة ، عند ما وقعت عيني لاول مرة على مجلة « اللسان العربي » . كما كان ذلك من قبيل السهو ، عندما تركها احدهم على منضدة عملي فى الجامعة . وبالرغم من كثرة الاوراق المكدسة امامي تنتظرني لاريحها من جلستها المملة ، لم اتمالك نفسي من الانقضاض على المجلة التي نسيها صاحبها . وما امسكت بها بين يدي حتى عدت بالذاكرة الى صيف 1965 ، عندما كنت فى قلب تبيتي عضوا فى بعثة جغرافية علمية المانية . فهناك فى ذلك المكان المهجور والمنقطع عن العالم والحضارة، وبين افراد قبائل التوبو سمعت لاول مرة باسم (اللسان العربي) . والاطرف من هذا هو ان اسمع ذلك من توباوي (نسبة الى التوبو) لا يعرف الكتابة او القراءة البتة ، لكنه يتقن لغته الاصلية وكذلك العربية ويلم بالفرنسية . ففي احدى رحلاتي العلمية فى شعاب ومغاور جبال تيبتي الموحشة حيث كان هذا التوباوي ومساعد آخر فى رفقتي ، وصلنا الى واد عميق تغطت ارضه ببساط من النباتات المختلفة . ولما كان عمل البعثة جغرافيا متشعبا فانني اخذت بجمع عينات من كل نوع من النباتات . وكان رفيق رحلتي التوباوي يساعدني فى التعرف على اسمائها باللغة التوباوية ، واقوم بوضع ما يقابلها فى اللغات اللاتينية او الفرنسية او العربية. وفى هذه الاثناء وخلال استفساري عن بعض الاسماء ذكر لي رفيقي التوباوي اسم احد النباتات باللغات الثلاث التي يعرفها فاستغربت ذلك منه ، لمعرفتي بندرة ذلك النبات وصعوبة معرفة اسمه ان لم يكن المرء واسع الاطلاع فى مجال العلوم الطبيعية، مما دفعني لسؤاله عن مصدر معرفته للنبات ، فاجابني بانه يعرفه عن طريق احد التجار العرب الذي قرا له مرة موضوعا عن اللغة العربية والمصطلحات العلمية والنباتية من كتاب (كذا !!!) يطبع كل سنة مرة اسمه (اللسان العربي) ويصدر فى بلد عربي يقع مكان غروب الشمس على البحر الكبير . ومن هذا الكتاب قرا له التاجر العربي اسم النبات بالعربية والفرنسية.

ومضت الايام وعدت الى وطني ، ولم يتسن لي الوقت او تسنح الفرصة للسؤال عن (اللسان العربي) حتى هذه الساعة ، رغم تسجيلي ما جرى لي مع التوباوي فى مذكراتي ، ووضعي ملاحظة تذكرني بضرورة البحث عن (اللسان العربي) .

واليوم وكما اشرت اعلاه وقعت يدي على العدد الرابع من مجلة اللسان العربي الصادر فى ربيع الثاني 1386 ، غشت 1966 . وها انا اكتب اليكم هذه الرسالة بعد ان طالعت عددا من مقالات المجلة ، ولي امل بالحصول على الاعداد التي اصدرتموها حتى الآن منذ بدء ظهور مجلتكم ، بما فيها العدد الرابع لانه يحز فى نفسي ان احرم منه صاحبه الذي نسيه سهوا ، وذلك لغناه بالابحاث الرفيعة المستوى فى مجالات اللغة العربية والتعريب . كما سيسعدني جدا حصولي على ما يمكنكم ارساله لي مما صدر عن مكتبكم الدائم من معاجم باللغات العربية والانجليزية والفرنسية ، وغيرها من المعاجم والكتب والمطبوعات والنشرات المختلفة خاصة وانني شديد الاهتمام بـ « اللغة الجغرافية » فى اللغة العربية .

محييا فيكم نشاطكم وجهودكم فى رفع شأن اللغة والثقافة والحضارة العربية ، ارفع اليكم والى كل عامل فى طريقتكم ونهجكم اطيب تحية وسلام .

بين المجلة وقرائها

ما زالت مجلة « اللسان العربي » محط انظار القراء شرقا وغربا وخاصة العدد الرابع الذي احتوى على اقلام عباقرة وادباء من المشرق والمغرب .

وتتوصل ادارة المجلة باستمرار برسائل تنويه وتقدير وملاحظات بناءة تدل على رغبة الجمهور العربي فى سد فراغ يشعر به كل عربي يسعى فى تطوير لغة الضاد ومسايرة تيارات الحضارة العالمية وطبع ثقافتنا بطابع القومية والانسانية معا ، وفى هذا الاطار ننقل الى قرائنا الكرام جملا من بعض هاته الرسائل فقد كتب لنا استاذ كبير من تونس رسالة طويلة يصف فيها حالته من الفرح والاغتباط والامل المشرق عندما تناولت يده لاول مرة العدد الرابع من مجلتنا وقد كان يظن أن هذا المجهود عسير المنال ولا سيما فى الظروف العصيبة التي تعيشها لغتنا ومما جاء فى رسالته :

«ان هاته المجلة تمثل اللسان العربي وخاصة لسان الدول العربية لانها تتكلم بلسان الوطن العربي وتتوجه اليه مباشرة وتبعثه نحو العمل الجدي للرفع من شأن لغته حتى تصبح فى المستوى العالمي المطلوب » ومن تونس أيضا توصلنا برسالة من الاستاذة المتخصصة فى علم النفس بالجامعة التونسية السيدة حسناء الصرارفى فبعد استعراضها لمراحل التقدم الصناعي والمشاكل التي تعترضه وذكر العلوم التي تساعد على التنمية الاجتماعية والتطور اللغوي ومشكلة المصطلح العلمي ذكرت ان مجلة « اللسان العربي » «تعتبر خير مجلة تعالج كل هاته المواضيع بموضوعية ومنطق صحيح » ومن الجزائر كتب الاستاذ عبد الحكيم بن الشيخ الحسين يتفاءل ويشكر مجهودات مكتب التعريب ، كما توصلنا برسائل مماثلة من بعض مدن المغرب الاقصى وخاصة من معالي وزير البريد والبرق والهاتف حيث كتب لنا منوها بالجهود المبذولة فى حقل التعريب والبحوث ونشر التراث العربي عامة.

وبعد هاته الرسائل التي تصف اصداء المجلة فى اقطار المغرب العربي تأتي رسائل اخرى من الشرق العربي من بغداد والموصل والرياض ودمشق والقاهرة واتحاد الجنوب العربي تكتبها شخصيات وهيآت علمية بارزة نذكر فى طليعتها الدكتور محمد بهجة الاثري عضو المجمع العلمي ببغداد والاستاذ عدنان الخطيب عضو المجمع العلمي ووكيل مجلس الدولة فى سورية والاستاذ عبد الرحمن حمد العكرش والاستاذ عبد المجيد شوقي البكري من الموصل . وقد جاءت رسائلهم تعبيرا أخويا صادقا يبعث الامل فى النفوس .

كما عبر الدكتور محمود حافظ وكيل المجلس الاعلى للبحث العلمي بالجمهورية العربية المتحدة عن عميق تقدير هذا المجلس للجهود البناءة التي يقوم بها المكتب الدائم لتنسيق التعريب لتوحيد المصطلحات العلمية باعتبارها عملا رائدا يخدم الوطن العربي كله.

وكتب الدكتور انور لوقا من جامعة عين شمس بالقاهرة والذي يقوم بمهمة فى جنيف مشيدا بالعمل الايجابي الذي ينجزه المكتب فى حقل تنسيق الثقافة والتعريب على الصعيد العربي وانه يتتبع مع زملائه جهود مكتب التنسيق الشاملة .

وقد كتب الدكتور اكرم فاضل من بغداد رسالة مطولة يشرح فيها بتفصيل ما تركته المجلة فى الاوساط العلمية من حسن الاحدوثة ويرجو أن يتوصل بها جميع المهتمين بالثقافة والتعريب فى العالم العربي نظرا لاهميتها الكبرى كما كتب الاستاذ علي حزام

الطوفي المدير العام للتخطيط بوزارة المواصلات باليمن رسالة يعبر فيها عن اعجابه بالمجهود الذي يبذله المكتب على الصعيد العربي والخدمات الجلى التي تسديها المجلة للغة القومية .

أما الاستاذ علي راضي أبو زريف من الجمهورية العربية المتحدة فقد اعرب فى رسالة عن تقديره للجهود الجبارة التي يقوم بها المكتب على الصعيد العالمي والدور الذي تلعبه المجلة لخدمة اللغة العربية وبعث الاستاذ احمد عبد الرحيم السائح من جامعة الازهر بالقاهرة رسالة رقيقة عبر فيها عن ارتساماته حين تصفحه للعدد الرابع من مجلة «اللسان العربي» مؤكدا ان الله حقق رجاء الاستاذ الثعالبي فى فقه اللغة حيث رجا ان يكون فى الاجيال العربية من يعمل على صيانة لغة القرآن ويعنى بمسائل تطويرها وتطويعها حتى تبقى اداة حية لمجاراة تيارات الحضارة العالمية وتعيش مع الايام والعصور . ومما جاء فى رسالة الاستاذ الازهري المحترم « والله لقد بعثت فينا مجلة « اللسان العربي» البحث العميق والقومي والاصالة فى التفكير » واذا كانت المجلة قد احتلت مكانها المرموق بين طبقات الامة العربية المثقفة وخاصة الشخصيات العلمية البارزة فانها كانت أيضا محل تقدير كبير من لدن مؤسسات الوطن العربي الرسمية .

فقد توصلنا من وزارة الخارجية بالقطر العدني الشقيق برسالة تصف مدى تطلع هذا الجزء من الوطن العربي الى ما انجزته حضارتنا العربية فى المشرق والمغرب وتصف مدى الحفاوة والتقدير الذي يقابل المكتب به هناك . وبعد رسائل الوطن العربي بشقيه المشرقي والمغربي يأتي دور رجال الثقافة المهتمين بنشاط المكتب الدائم للتعريب فى العالم الغربي ، وهنا نذكر فى طليعة من وافونا بملاحظاتهم وارتساماتهم الدكتور شارل بيلا الاستاذ بجامعة السربون بباريس والذي يعرف عنه العلماء والباحثون العرب وغيرهم تضلعا فى حقل الدراسات اللغوية العربية ، فقد نوه هذا الاستاذ بجهود المكتب الدائم العلمية واللغوية المتبلورة فى معاجمه ومجلته .

مجلة المجلات

- حركة التعريب فى المغرب العربى

للاستاذ ياسين رفاعية

- معجم عربى للمعانـــى

مجلــة العربــي

- معجم الفصيح فى العامية المغربية

للاستاذ انــور الجندي

- رسالة المغرب اللغوية

للاستاذ عبد الكريم غلاب

حركة التعريب في المغرب العربي

الأستاذ ياسين رفاعية

دمشق .

تقوم فى المغرب العربي الآن حركة واسعة لاعادة اللغة العربية الى سابق مجدها وعزها . فنشأت فى مختلف البلدان هناك نواد وجمعيات ومعاهد وحملات اعلامية واسعة لتعود اللغة العربية وتصبح هـــي السائدة علـــى كل شيء .

ولقد حاول الاستعمار طـــوال الاعوام التـــي مارس فيها سلطته واستعباده لارض الوطن العربي ان يزيل معالم هذه اللغة العظيمة فيطمس تراثهـــا ويهيل التراب على آثارهـــا ..

وكانت الجزائر هي ابرز دول المغرب العربـــي فى التمسك بلغة الآباء والاجـــداد ، ومـــا ان خرجت الثورة الجزائرية العظيمة من ميدان المعركة منتصرة مظفرة بعد ان استماتت واستبسلت لتعيـــد للارض الجزائرية حريتها وعروبتها ، وتراثها حتى اخـــذت تخوض الآن معركة جديدة هي فى الواقع اشد ضراوة واقسى شجاعة من اجل خلع ما وزعه المستعمر فى الارض والنفس والذات الجزائرية من ثقافة مشوهـــة ولغة دخيلة لا تمت الى واقع الانســـان العربـــي فى المغرب بصلـــة .

وانجد الشعب العربي الجزائر الشقيقة فارسل لها البعثات تلو البعثات ومجموعات من المعلمين والمعلمات والعلماء والخبراء مشاركا اياها فى معركتها الجديدة باعادة الضياء والعظمة لمجد اللغة العربية وآثارهـــا وتراثهـــا .

وكان اهم ما فى هذه المعركة استعداد الشعب الجزائري بالذات لان يكون صداهـــا الاول ذلك لان الانسان اذا لم يكن هو راغبا فى الشىء فان اية قوة فى العالم لا تستطيع ارغامه على قبوله .

وهكذا فقد وجدت اللغة العربية نفسها تنساب الى الذات الجزائرية انسيابـــا عجيبا يتألق فيه ماضي الامة العربية وحضارتها التي اشعت فى العالم طوال عشـــرة قرون .

وساهمت الجامعة العربية فى ذلك مساهمـــة فعالة فأسست فى الرباط « المكتب الدائـــم لتنسيـــق التعريب فى المغرب (1) العربي الكبير» واخذ هـــذا المكتب يصدر النشرات والمجلات والكتب طارحا فيها بكل قوة وثقل تعريب كل ما هو اجنبـــي حتـــى أن المراقبين يتوقعون أن تكون اللغة العربية اكثر ازدهارا منها فى المشرق العربي وذلك خلال العشر سنوات القادمـــة .

وقد اطلعت مؤخرا على دراسة كتبها الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله الامين العام للمكتب الدائـــم لتنسيق التعريب ، اجرى فيها مقارنة بين العاميتيـــن فى بلاد المغرب وبلاد الشـــام .

ومن مظاهر الاختلاف بين العاميتين فى المنطقتين العربيتين انالعامية المغربية تحتفظ بالهمزة فى بعض الاحوال مثل ابليس وامير وابريق بينما تسقط فى بلاد

(1) فى العالم العربي كله لا فى المغرب العربي فقط .

الشام فيقال بدل امير « مير » وابليس « بليس » او « بيليس » في المغرب وابريق « بريق » .

تتحول الثاء في الشام الى سين « مثل : حديس وخبيس ومؤنس بدل حديث وخبيث ومؤنث بينما تنقلب الى تاء في المغرب كما تبدل الذال زايا في الشام « ذوق » زوق وكذب « كزب » واذا : « ازا » في حين يحتفظ اللفظ الدارج المغربي بأصالته العربية وتنوب العين مناب الجيم الارامية في الشام مثل عدف بدل جدف « من تقذف الارامية » في حين تنقلب بالمغرب قانا في هذه الحالة « تذف » وهي أقرب هنا الى الارامية رغم عدم تأثر المغرب بهذه اللهجة نظرا لكون المغرب اقتبسها مباشرة من الفصحى .

ويتابع الاستاذ بنعبد الله بايراد امثلة الاختلاف فيقول : وتتحول الميم في الشام نتيجة للتأثير الارامي كذلك الى نون في آخر الضمير المتصل في جمع المخاطب والغائب المذكرين مثل ضربكن بدل ضربكم ، وضربن عوض ضربهم ، وتسقط الهاء من الضمير المتصل للغائب والغائبة في حالتي الافراد والجمع ضربوا « ضربه » ضربهن بينما لا تسقط في اللهجة المغربية الا في الحالة الاولى « ضربوا — ضربها » .

وفي العامية المغربية نزيد الكاف او التاء فنقول تياكل او كياكل بينما تزيد العامية المصرية الحاء فنقول حايكل « اي رايح ياكل » ولعل الحرفين الزائدين وهما التاء والكاف في العامية المغربية من ادوات الخطاب وهما انت وانك كأننا نستشهد المستمع على ما يفعل الشخص المتحدث عنه فنقول : انت تراه ياكل وانت تراك تأكل وانك تراه يأكل وانك تراك تأكل فاختصر الخطاب في الحرفين الاخيرين وتزيد العامية احيانا العين فنقول « غايكل » ولعل اصلها راء « راياكل » اي رآه يأكل بمعنى رآه وتراه او يراه يأكل .. وتدخل بعض اللغات السامية .. كالفارسية الباء على الاسماء فنقول بمارستان بدل مارستان ويقال بأن اصل الباب بيت .

وقد اكد دوزي في مقدمة مستدركه على المعاجم العربية : ان العربية الفصحى هي اساس اللهجة المتفرعة عنها بينما زعم برونو في خصوص المغرب ان اللهجات الحضرية واقل منها اللهجات البدوية — لم تقتبس ما يستحق الذكر من العربية الفصحى قبل الحماية الفرنسية ! ولا يخفى ما في هذا الادعاء من التهافت الرخيص .

وفي النشرة التربوية التي تصدرها وزارة التربية الوطنية في الجزائر جاء في احدى افتتاحياتها بعض التوجيه في هذا الخصوص للمعلمين العرب الذين وفدوا الى الجزائر لتعليم ابنائها طالبة منهم التخلي عن لهجاتهم المحلية التي لا يفقه الطالب الجزائري منها شيئا ، وقالت في ختام الافتتاحية: اننا نقترح على اخواننا الوافدين من المعلمين العرب بعض الحلول التي تساعدهم على اجتياز هذه العقبة وتساعد التلاميذ في نفس الوقت على تعلم اللغة العربية .

1 — ان تستعمل الفصحى — في اغلب الاحايين — وسيلة للتعليم .

2 — ان يستعمل المعلم الوافد بعض الكلمات الجزائرية المحلية مثل « ما كان شي : ماكاش » بدلا من «ماكو » — مافيش — او « ما في » و — كاس بدلا من — كلاص — او كباية او كبابة — وهلم جرا .

3 — من بين الكلمات الجزائرية المحلية ما هو عربي فصيح ، مثل كلمة كاس السابق ذكرها وكلمة سروال ولا باس — الخ.

ولذا على المعلم ان يستعمل هذه الكلمات عند الحاجة اليها وعليه أن يبتعد عن الكلمات المحلية الشائعة والمستعملة في قطره لانها تعسر الطريق ولا تيسره .

وهكذا كانت عشرات النشرات التي تصدر في الجزائر تلح الحاحا عظيما على تعليم اللغة الفصحى بالذات دون ان يتسرب لها كلمات من اللهجات العامية العربية المختلفة وهذا يعني ان الجيل العربي الجزائري الجديد سوف يفتح عيونه على لغته العربية وهي في احلى ارديتها وحللها لغة فصيحة نقية من الشوائب ، وبالتالي فان الاعوام القليلة القادمة سوف تشهد انبعاث اللغة العربية الفصحى على لسان العرب المغاربة فيسبقون بذلك عرب المشارقة ويعود للغة العربية مجدها الغابر في شق دربها من جديد لتحل محل اللغات الدخيلة على المغرب العربي الكبير .

معجم عربي للمعاني

« اننا فى حاجة الى معجم المعاني العربي هـذا نكشف به عما فى لغتنا العربية من فقر ونكشف عما فيها من غنـى »

« مجلة العربـي »

نشرت مجلة «العربي» الغـراء فى عـدد 102 الصادر فى 21 محرم 1387 (مايه 1967) تعليقا على « منهاج التعريب » الذي أصدره المكتـب الدائـم لتنسيق التعريب فى العالم العربي ننشره شاكريـن وقد سبق للسيد الامين العام الاستاذ عبد العزيـز بنعبد الله ان عقد جلسات عمل مع مدير هذه المجلة الاستاذ الكبير الدكتور احمد زكي بالكويت وكان النقاش منبثقا عن تجربة الدكتور فى الحقل المجمعي لما بذل سيادته من جهد فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ ازيـد من ربع قـرن :

هل فكرت يوما ، وأنت تقلب صفحات معجـم عربي ، أو ان شئت غير عربي كذلك ، بالضبط عمـا تبحث عنه ؟ انه لفظ لديك . ثم انك تريد له معنى .

اذن اللفظ وجد لديك اولا ، والمعنى جاء ثانيا .

ولكن الذي يحدث كثيرا فى الحياة ، ان المعنى ياتيك اولا ، ثم تطلب لهذا المعنى لفظا . فأين تطلبه ؟

من المعاجم ؟ بالطبـع لا .

ان المعاجم ، ودعنا نتحدث عن العربية خاصة، تعطيك الالفاظ مرتبة ترتيبا وفـق حروف الهجـاء ، فما اسرع ما تهتدي الى موضع اللفظ ، واذن فالـى معناه الذي هو الى جانبه .

فهذا المعجم هو معجم الالفاظ .

وليس فى المعاجم المعجم الذي يعطيك المعانـي مرتبة ، تهديك الى معناك الذي تطلب اهتداء سهلا . ثم الى جانبه تجد لفظه . ان هذا المعجم الذي نفتقد هو معجم المعاني .

وستقول ان كتاب « المخصص » لابن سيـده معجم عربي من هذا الصنف ؟ وأقول نعم انه من هذا النحو ، ولكن أين هو من اللغة ، بل اين هو مـــن المعاني . انه البركة واللغة العربيـة فى بحر محيط . ان صاحبه طرق الباب ، واحسن بطرقه ، ولكنـه لم يخط فيه الا خطوة واحدة من الف خطوة . فايـن الفاظ العلوم ، وهي مئات فيه ؟ وأين الفاظ الفنون ؟ وأين الفاظ الحضارة ، حتى القديم منها ؟ لا . ليـس فى العربية معجم المعاني الكافي الذي نعني ، والذي هو حاجة هذا العصر .

ان لغتنا العربية لغة واسعة. وعليك « بلسان العرب » تحصي مجلداته ، وتحصي ما فى كل مجلـد من صفحات ، وما فى الصفحات من اسطر ، وما فى الاسطر من كلمات ، كل هذا فيه اقتناع بسعة اللغـة

وهو مع ذلك لم يستوعبها . ولكن كم فى هذه الصفحات من كلمات نحن حقا فى حاجة اليها فى هذا العصر ، فى علوم طبيعية ، وفى علوم رياضية ، وفى علوم تكنية ، وفى علوم طبية ونفسانية وتربوية ، وفى آداب وعلوم ادبية وانسانية ، وفى غير هذا من صنوف المعرفة التي كشفت عنها العصور الحاضرة ؟ وغير هذا ، فالمعاني التي تولد كل يوم تتكاثر . بهذا يحدثنا احصاء منظمة اليونسكو الدولية . انها تقول ان الجديد من الالفاظ التي تستحدث فى العالم كل يوم يقدر بمائة لفظ لمائة معنى جديد !! اننا فى حاجة الى معجم المعاني العربي هذا لنكشف به عما فى لغتنا العربية من فقر ونكشف عما فيها من غنى .

اما الفقر ، اي النقص عن متابعة معان احدثتها هذه القرون الحديثة ، فامره واضح .

وعلاجه واضح : ذلك استحداث الالفاظ .

واما الغنى ، غنى اللغة العربية ، فى معاجمها القديمة . فيتمثل فى كلمات كثيرة لمعان ثمينة ، هي بعض تراثنا . وهي اذا نحن انزلناها من مراكز التعريب اليوم ، اينما تكون من الدول العربية ، لو فت بالكثير الذي نبغي من مستحدث الالفاظ للحياة الحاضرة من كل علم ولحاجيات المدنية هذه القائمة اليوم . انها مدنيتنا ، وهي مدنية كل جامد لها بيننا ، او كاره .

ذكرت كل هذا مقدمة لان اقول ان بالمغرب العربي الاقصى « مكتبا دائما لتنسيق التعريب فى العالم العربي » مركزه الرباط ، وهو من اشد مراكز التعريب نشاطا . ومن آخر مجهوداته « منهاج لتنسيق التعريب فى العالم العربي » وهو منهاج واسع ، مخطوط مرسوم ، مطبوع وهو مفصل تفصيلا فيه الكفاية ، وهو يهدف الى انشاء معجم المعاني هذا فى العربية ، وينشىء مثله فى الانجليزية وفى الفرنسية ، واذن يسهل بين اللغات الثلاث التقاء معانيها . واذن فالتقاء الفاظها ، واذن فسهولة وضع اللفظ العربي الناقص للمعنى القائم . وقد قدر له المكتب الدائم عشرة اعوام لاتمامه .

ومع هذا ، فقد اراه املا ، اذا اعتبرنا الزمن المقترح لتحقيقه ، يثقل ظهره تفاؤل كثير . الا ان يستغنى فى الفاظ المعاجم العربية ، عن كل لفظ قديم عتيق لا ينتفع به ، ولا يمكن ان ينتفع به فى العصر وكل لفظ جائز عليه هذا الحكم الا لفظا ورد فى القرآن او فى الحديث . او فيما اشتهر من ارثنا العربي السهل الممتنع الجميل الذي ينطق به الناطق ، ومع ذلك تسلم اسنانه فلا تتحطم .

بقي المال .

وهذا يضع « المكتب الدائم لتنسيق التعريب » وهو جزء من الجامعة العربية يضع تبعته على اكتاف الدول العربية ويجعله من بعض التزاماتها ، والتزامات سبقت .

ومن هنا تأتي الخشية .

لان هذا العمل الذي يطلب له المال عمل فى الصميم من بناء الامة العربية ، بناء لغتها . فبناء علمها ومعرفتها ، ومستقبل حياتها . ومن اجل انه فى الصميم فهو خاف . ومن اجل انه خاف ، ليس له المظهر البراق الذي يستدر المال . **فوزير مالية اي دولة لابد أن يكون راشدا رشيدا** ، يدرس أخطار الامور القريبة المدى والبعيدة على السواء . لكي يتهيأ له أن يجود بمال فى « سبيل عمل معجم » أو« تعريب مصطلحات» **تعابير فى لغة الحكم والحكومات ليس لها خطر يخيف**

معجم الفصيح

في العامية المغربية

الأستاذ أنور الجندي

طلعت علينا « دار الارشاد » بمؤلف جديد قيم من انتاج الاستاذ انور الجندي المعروف بضلاعتــه وعمق بحوثه وهو « مفكرون وادباء » ترجم فيــه لتسعةوثلاثين من كبار رجال الفكرفي العالم العربي فافرد بحثا للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله ، ونحن ننشـر ما يتصل بالتعريب والمكتب الدائم من هذا البحـث شاكرين للاستاذ الكريم مجهوده الفياض للتعريـف بمقومات الوحدة الفكرية في العالم العربي ودحـض ترهات التغريب والمغربين .

قال حفظه اللــه :

. عبد العزيز بنعبد الله هو المشرف علــى مجلة « اللسان العربي » التي يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي ، وله دراساتــه اللغوية المتعددة ، ولقد كان علي أن اذكر عملــه الضخم الذي يقوم به ، وهو معجمه الضخم عــن الفصيح في العامية المغربية ، ويحتوي آلاف الالفـاظ ذات الاصل العربي ، وقد ارفقــه بدراسة مقارنـة لتطور استعمال تلك الالفاظ ووجوه اشتقاقها ، مـع موازنة ذلك بالتاثيرات اللغوية التركية والفارسيــة واليونانية واللاتينية والفرنسية والاسبانية . وقــد حمل عبد العزيز بنعبد الله منذ وقت بعيد لـــواء الدعوة الى تفصيح العامية في العالم العربي ، واجرى مقارنات بين عامية المغرب وعامية الشام من ناحيــة وعامية المغرب وعامية مصر من ناحية اخرى .

وفي دراسة لمنهجه يقول : ان اغلب الاصـول والقواعد الاسلامية مشتركة بين الفصحى والعاميــة المغربية ، حتــى ما يتصل بالقلب والابدال والتسهيل والترخيم والنحت ، وتمتاز العامية بمظاهر بسيطــة تجعلها في بعض الاحايين اكثر ايغالا في القلب والتسهيل

ويقول : يجب ان يعيد التاريخ نفســه في تفصيــح العاميات العربية وتوحيدها فقد تعــددت اللهجات في الجاهلية بتعدد القبائل الكبرى ، وخفت اوجه الخلاف بما استوثق اذ ذاك من صلات في الاسواق الاقليميــة والمبادلات التجاريــة والمصاهــرات ، ولقد لعبــت دورا هاما في انتقاء اجود اللغات فنسقت واجتنــت افضل لغات العرب ، وحاول بعض العلماء تفصيــح اللهجات العامية (مثل الاستاذ عبد القادر المغربـي) ويرجع عدم نجاحهم الى عدم اتخاذ مسطرة منطقيــة فعالة جماعية ، مصادق عليها من مجموع الـدول العربية ، لمواجهة الفروق المختلفة الناتجة عن تشعب القواعد العامة ، تبعا لاختلاف التأثيرات القبليــة العربية أو التأثيرات اللغوية الدخيلة .

وللاستاذ بنعبد الله ابحاث مختلفــة متعددة ، نشر كثيرا منها في المجلات العلمية المغربية ، وقــد قرات اولها في مجلة « رسالة المغرب » (1946) التي كان يراس تحريرها الاستاذعبدالكريم غلاب مديرتحرير جريدة العلم كبرى الصحف المغربية اليوم . وقــد كشفت هذه الابحاث عن اتجاه كاتبنا نحو احيــاء التراث والتحقيق العلمي في مجال الادب والتاريخ معا، في دراسات عن تراث ابن خلدون ، وتراث المغــرب الفلسفي ، ومؤرخي الدولة العلوية ، ومراكــز المغرب الثقافية ، والمعاهدات بين المغرب واروبا في العصور الوسطــى .

واعظم ما لفت نظري دراسته « مظاهـــر الحضارة المغربية » وهو بحث مطـول بدأ في نشره عام 1952 ، ثم أصبح من بعد مؤلفا ضخما مــن مؤلفاته ، استكمله بدراسة اخرى (معطيات الحضارة المغربية) ، ثم « الفن المغربي في مختلف العصور » ثم

« التيارات الكبرى لحضارة المغـرب (بالفرنسية) » واضاف اليه «تاريخ المغرب فى دراسة مقارنة للنصوص العربية والاجنبية » ثم « جغرافية المغرب » ثم «الطب والاطباء بالمغرب » من هذه المجلدات السبع تكونـت موسوعة ضخمة ، تعد من المراجع الاساسيـــــة للحضارة المغربية ؛ ولا عجب فالاستاذ عبد العزيـز هو استاذ الحضارة والفن بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالاضافة الى ادارة المكتب الدائم للتعريب. فهذا عمل تخصص فيه منذ عشرين عاما ، فاذا عرفنا انه من مواليد عام 1923 ، وانه احـرز اللسانس فى الآداب والحقوق عام 1946 ؛ ثم درس العلـــــوم الاسلامية على مجموعة من كبار العلماء بالربـــــاط عجبنا لهذا الذكاء والنبوغ .

ولقد لفت نظري الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله بصورة باهرة ، فى خلال اعداد دراستي عن الفكـر والثقافة فى المغرب العربي باقطاره الاربعة فى فتـرة الاحتلال الفرنسي لهذه الاقطـار حتـى عام 1954 تقريبا ، لفت نظري بانتاجه الضخم الواسع المنـوع ومنهجه العلمي ، وله الى هذه الموسوعة عن الحضارة المغربية آثار اخرى منها « الفلسفة والاخلاق عند ابن الخطيب » و « الاسلام فى تطور » أو « الاسـلام فى طريق التقدم كتبه باللغة الفرنسيـــة ، وله بالفرنسية ايضا « الفن المغربي »

ومن هنا كان اهتمامي بكتابه عن تاريخ المغرب فى العصر الحديث والفترة المعاصرة ، الذي تحـدث فيه عن تاريخ المغرب منذ قيام الدولة العلوية وتجديد وحدة المغرب الى العصر الحديث ، موليا اهتمامـه للعصر الاسماعيلي ثم الاستعمار الفرنسي بالجزائـر والمقاومة المغربية المسلحة ، والكفاح السياسي لهذه الحماية ، ودور الملك محمد الخامس والشعب فـي المقاومة وقد اهتم المؤرخ بحركة الامير عبد الكريـم الخطابي فى الريف ؛ ومضى فى دراسته مفصلا تطور الحضارة والفن ؛ وموارد الدولة ، ونظم البلديـات والتعليم ، والمحاكم الاهلية . ثم رسم صورة رائعـة للمقاومة والمطالبة بالاستقلال وقيام الكتلة الوطنيـة ملتفة حول الملك محمد الخامس .

ولعل أروع ما فى هذه الدراسة ، ذلك المعجم التاريخي عن اهم الاحداث والاعلام والاماكن ، الـذي يبدو جم الفائدة للباحث من خارج نطاق المغـرب حيث تبدو بعض الكلمات ولها طابـع فريد معين » .

وبعد ما توسع المؤلف الجليل فى ايراد جوانـب من المعجم التاريخي الذي ضمه الاستاذ عبد العزيـز بنعبد الله الى كتاب تاريخ المغرب ، والذي تنـاول فيه اكثر من ثلاثمائة مادة أكد انه اتـى بذلك ليدلل على منهج البحث العلمي، الذي يبرز دائما فى دراسات عبد العزيز بنعبد الله ، مما يدل على تنوع دراساته وتعمقها واشتمالها على ابحاث التراث واللغة والتاريخ والحضـــارة .

رسالة المغرب اللغوية

(للاستاذ عبد الكريم غلاب)

نشرت جريدة «العلم» الغراء (22—5—1967) كلمة لمديرها الاستاذ عبد الكريم غلاب حول فعالية اللغة العربية جاء فيه :

فى منزل الاخ الاستاذ احمد الاخضر استمعت اليوم الى حديثه عن تدرج التفكير فى احياء اللغة العربية عنده ، ثم دخلت مكتبه ، فوجدت نفسي امام مخبر علمي ليس عماده الكتب المصنوفة والاقلام المبرية ، ولكن عماده صناديق الجذاذات والقواميس المفتوحة هنا وهناك والكلمات المبعثرة فى كل ركن من المكتب تنتظر تصحيحا او توضيحا أو تفسيرا .

وفى جولة قصيرة قمت بها فى هذا المكتب الصغير تبينت اني أمام عالم كيماوي لا امام باحث لغوي ، فالكلمات عند الاستاذ الاخضر مادة خام كانها مأخوذة من عالم الطبيعة ، ثم تأخذ تكتسي مظاهرها التعبيرية كما تكتسي المادة مظاهرها الوجودية لتستوي اخيرا فى عالم التعبير كلمة لها دلالتها المحدودة كما تصبح المادة صالحة الاستعمال بعد أن تمر بمراحل التكوين الطبيعي .

ومن خلال هذا العمل ادركت ان الاستاذ الاخضر يقوم بعمل جليل وخطير هو تطويع اللغة العربية للتعبير فى المجال العلمي وقد اختار الآن فرع طبقات الارض ليخرج عنه معجم « المتقابل » يسجل فيه الالفاظ العلمية المستعملة فى ابحاث طبقات الارض وباللغات العربية والفرنسية والانجليزية .

لقد بذلت جهود فى هذا الميدان من قبل ، ولكن سعة افق الاستاذ الاخضر واستعداده للبحث وصبره على مكاره البحث العلمي ومعرفته بأصول اللغات ترشح عمله ليكون على راس كل الجهود التي بذلت فى الشرق العربي حتى الآن لاغناء اللغة العربية وتمكينها من التعبير عن ادق المصطلحات العلمية .

مجهود الاستاذ الاخضر ينضاف الى المجهودات التي يبذلها الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله فى مكتب تنسيق التعريب لاخراج معاجم الحضارة والى الجهود التي بذلت فى المركز الوطني للتعريب لاخراج مشروعات معاجم الكيمياء والرياضيات ، وبهذه المجهودات جميعا يساهم المغرب فى عمل علمي كبير هو ايجاد الاداة التعبيرية للعلوم حتى لا تظل اللغة العربية قاصرة وعالة على اللغات الاجنبية .

من هذه المجهودات احب ان استنتج ان اللغة العربية سهلة ميسورة للتعبير فى الميدان العلمي ، وان استخدام العربية كلغة تلقين فى العلوم الكونية لن ينزل بمستوى تعليم هذه العلوم ، بل سيرتفع بها لانها ستصبح قريبة الى ذهن كل تلميذ يصل اليها عن طريق اللغة العربية التي هي اقرب الى فهمه من اية لغة يتعلمها فى المدرسة . فمن الواضح ان ايحاء الكلمة له دلالته فى تفهم المعنى ، والكلمة العربية بالنسبة للعربي موحية — كما ان الكلمة الفرنسية بالنسبة للفرنسي موحية كذلك — والايحاء يختصر المسافة للفهم . ولذلك فاقرب طريق الى تكوين الاجيال تكوينا علميا هي تعريب تعليم المواد العلمية . ووجود مثل هذه المعاجم يسهل مهمة الاساتذة والتلاميذ والطلاب فى نفس الوقت .

اننا نفخر ونحن نرقب هذه الجهود المضنية لايجاد المعاجم والقواميس العلمية ، ونعتبر من رسالة المغرب أن ينهض علماء منه اتسموا بالروح العلمي وبصبر الصابرين ونضال المناضلين ليضعوا لغة العلم بين ايدي الاجيال الحاضرة والمقبلة .

الفهـــرس العـــام

1) دراســات وأبحــاث لغويــة

2) نتــائــج الاستفتــاء

3) المعـاجـم

4) موسوعـــة المغـــرب العربـــي

5) أبحـــاث مختلفـــة

6) نشـــاط المكتب الدائـــم للتعريـــب

7) مجلـــة المجـــلات

مطبعـــة فضالــة ـ المحمدية